قادة النبي ﷺ

صلى الله عليه وسلم

تأليف
اللواء الركن
محمود شيت خطاب

دار القلم
دمشق

الدار الشامية
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ
فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾ . [سورة الفتح: ٢٩]

قادة النبي ﷺ

صلى الله عليه وسلم

الطّبعَة الثانيَة
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

حقوق الطبع محفوظة

تُطلب جميع كتبنا من :
دار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب : ١١٣ / ٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السّعودية عن طريق
دار البشير - جدّة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

الإهـــدَاء

إلى سَيِّد المرسلين، وخاتم النبيين، وإمام المجاهدين، أهدي سِيَر قادة سراياه، من خريجي مدرسته في الجهاد، لإعلاء كلمة الله في الأرض وقيادة البشريَّة للتي هي أحسن.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب: ٢١].

مُقَدِّمَةُ الكِتَابِ
الدُّرُوسُ وَالعِبَرُ مِنْ قَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ
لحَاضِرِ العَرَبِ وَالمُسْلِمِينَ وَمُسْتَقْبَلِهِمْ

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ما استمتعتُ ولا استفدتُ من تأليف كتاب من كتبي، ما استمتعت به واستفدت منه، في تأليف هذا الكتاب: «قادة النبيّ ﷺ»، فقد كان تأليفه رحلة من رحلات الاستجمام مع الفائدة الروحية والعقلية معاً، بشكل رائع جميل.

وبعد إنجاز تأليفه، أعدتُ قراءته من جديد، مستغرقاً في قراءته استغراقاً كاملاً، لا من أجل إعادة النظر في معانيه ومبانيه، فما بدّلت كلمة من كلماته، ولا غَيّرتُ جُملة من جُمَله، ولا أضفتُ فكرةً جديدة ولا رأياً جديداً، على أصول الكتاب، عدا ما كان من وضع نقاط على حروف نسيت أن أضعها في مكانها، أو تصحيح كلمة من الكلمات سُجلت خطأً عن غير قصد. ولكن طال أمد إعادة قراءة أصول الكتاب فاستغرق أربعة أسابيع، لاستمتاعي بما كنت أقرأ، ولاستفادتي فوائد روحية كثيرة وعقلية في صور متلاحقة متشابكة غزيرة، والوقت ثمين بالنسبة للناس أو لقسم منهم، وهو أثمن ما أملكه في هذه الدنيا وأغلى ما أحرص عليه، ولكن الوقت الذي

يُقضى في المتعة الحلال وفنون من الفائدة، لا يذهب سُدى.

وليست بي حاجة إلى كشف سر استمتاعي واستفادتي من تأليف هذا الكتاب وإعادة قراءته على مهل، فالأفضل أن أترك اكتشاف هذا السر لمن يقرأ الكتاب، حتى لا أحرم أحداً من حلاوة الاكتشاف، كما قد يكون ما أستمتع به لا يستمتع به غيري، وما أستفيد منه روحياً وعقلياً لا يستفيد منه غيري أيضاً.

ولكنني في أثناء تأليف هذا الكتاب، وفي أثناء إعادة قراءته، تمنّيْت على الله، أن يجعل حُكّام العرب والمسلمين، يجعلون النبيّ المصطفى عليه الصّلاة والسّلام، أُسوتهم الحسنة وقدوتهم في اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب، ليس في المجال العسكري حسب ـ على أهمية هذا المجال ـ بل في شتّى المجالات الإدارية والعلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والزراعية والصناعية، ليقود شعوبَهم أفضلُ أبنائها، وليقود هؤلاء الأبناء البررة رجالهم إلى النصر عسكرياً، وإلى التفوّق بالنجاح في المجالات الأخرى.

كما تمنّيْتُ على الله أن يجعل قادة العرب والمسلمين بخاصة، وقادة المناصب الإدارية والعلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والزراعية والصناعية كلاً في موقعه بعامة، يجعلون النبيّ ﷺ في شتّى المجالات العسكرية والمدنية، مَثَلهم الأعلى وقدوتهم الحسنة، ليريحوا مَنْ يقودونهم ويستريحوا، ويقودوا رجالهم إلى النصر والتفوّق في النجاح.

ولعلّ أوّل درس تعلّمته من عملي في هذا الكتاب، هو طريقة النبيّ ﷺ النادرة وأسلوبه الفذّ، في مجال اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب، بالنسبة للقيادات العسكرية كما في هذا الكتاب، وبالنسبة للقيادات المختلفة في مجالات الحياة، كما في سيرته العطرة، من بعثته رحمةً للعالمين، إلى التحاقه بالرفيق الأعلى.

وطريقته وأسلوبه، بالنسبة للقيادات العسكرية، كما تبدو واضحة جليّة في هذا الكتاب، هي هي طريقته وهو هو أسلوبه بالنسبة للقيادات المدنيّة غير العسكريـة، في مجالات القيادات المدنيّة المختلفة، وبذلك استطاع أن يربِّي جيلاً متميِّزاً من القياديين المتميزين. فلما التحق عليه الصَّلاة والسَّلام بالرفيق الأعلى، خلَّفَ عدداً ضخماً من القادة العسكريين والمدنيين، كان لكلّ واحد في ميدانه أثر عظيم باقٍ مستدام.

الغـزوات والسَّـرايـا

كان النبيّ ﷺ، هو قائد أصحابه المجاهدين في الغزوات، وهي ثمان وعشـرون غزوة، نشـب القتـال فـي تسـع غـزوات منهـا، بيـن المسلميـن وأعدائهم، وحقّقت تسع عشرة غزوة من غزواته عليه الصّلاة والسّلام أهدافها المرسومة بدون قتال.

واستغرق جهاد النبيّ ﷺ في غزواته كافةً سبع سنين، من سني ما بعد الهجرة من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنورة، فقد خرج إلى غزوة (وَدَّان)، وهي أوّل غزوة قادها النبيّ ﷺ، في شهر صفر من السنة الثانية الهجرية، وكانت غزوة (تَبوك) وهي آخر غزواته عليه الصّلاة والسّلام في رَجب من السنة التاسعة الهجرية (انظر الجدول الملحق أ).

ولكن جهاد النبيّ ﷺ، لم يقتصر على الغزوات حسب، بل شمل الغزوات والسرايا أيضاً، والفرق بين الغزوة والسريّة، هو أنّ الغزوة تكون بقيادة النبيّ ﷺ، أما السرية فتكون بقيادة أحد أصحابه عليهم رضوان الله تعالى.

وكان عدد سرايا النبيّ ﷺ سبعاً وأربعين سرية، وفي رواية أنّه بعث عددًا أكثر من السَّرايا، والأول أصح لإجماع أكثر المصادر المعتمدة عليه (انظر الجدول الملحق ب).

وقد استغرق بعث هذه السرايا تسع سنين، ابتداءً من سرية حمزة بن عبد المطّلب رضي الله عنه التي بعثها إلى (الْعِيص) في شهر رمضان من السنة الأولى الهجرية، وانتهاءً بسرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه التي بعثها إلى بلاد (مَذْحج) في اليمن في شهر رمضان من السنة العاشرة الهجرية.

وكان من بعض ثمرات جهاد سبع سنين في الغزوات وتسع سنين في السرايا، توحيد شبه الجزيرة العربية لأوّل مرة في التاريخ تحت لواء الإسلام، بقيادة أبنائها من العرب المسلمين، وتطهيرها من الأجنبيّ الدخيل، وتحطيم الأصنام والأوثان في أرجائها ـ وهي آلهة العرب قبل الإسلام في أيام الجاهلية، بعد أن أصبح العرب يعبدون إلَهاً واحداً لا شريك له، بفضل الإسلام دين التوحيد والوحدة.

وكان عدد قادة سرايا النبيّ ﷺ سبعاً وثلاثين قائداً من الصحابة، قادوا سبعاً وأربعين سرية من سرايا النبيّ ﷺ، منهم مَنْ قاد سرية واحدة، ومنهم مَنْ قاد أكثر من سرية واحدة في أوقات مختلفة من عمر الزّمن.

ونجد في (الجدول الملحق جـ) قائمة بأسماء ثمانية وثلاثين قائداً لا سبعة وثلاثين قائداً حسب، بإضافة عبد الله بن جُبَيْر الأَوْسيّ الأنصاري رضي الله عنه، الذي كان قائد الرُّماة في غزوة (أُحُد) فـأبلىٰ في تلك الغزوة بلاءً عظيماً، وثبت في موضعه ثباتَ الرّاسيات، وضرب أروع المثل لجيله ولأجيال المسلمين المتعاقبة من بعد، في الشجاعة والإقدام والطّاعة والثبات والتضحية والفداء، فآثرتُ أن أضيف سيرته العَطِـرَة إلى سِيَر قادة النبيّ ﷺ في هذا الكتاب، إكباراً لمزاياه القيادية الفذّة، وتقديراً لسجاياه البطولية النادرة، وليكون أسوة حسنة لكلّ قائد وجندي من قادة العرب والمسلمين وجنودهم في مزاياه وسجاياه قائداً وجندياً، ثم إنّ النبيّ ﷺ، هو الذي اختاره في غزوة (أُحُد) ليقود الرماة من الصحابة، وهم أهمّ قسم

من أقسام المجاهدين في غزوة (أُحُد)، لأنهم كانوا يحمون ظهور المسلمين من أعدائهم المشركين، وهي أخطر مهمة من المهمات في تلك الغزوة، في ذلك الموقف العصيب.

وليس عبد الله بن جُبَيْر رضي الله عنه من قادة سرايا النبيّ ﷺ، ولكنه كان قائد قسم تعبويّ من أهم أقسام غزوة (أحُد) التعبويّة، وليست السرايا بأهمّ في قيادتها من قيادة (الرّماة) في غزوة (أُحُد)، وليس ابن جُبير بأقلّ من قادة السرايا كفاية واقتداراً، وقدراً وجلالاً.

لقد كانت ثمرات الجهاد في الغزوات والسرايا النبويّة ثمرات يانعة حقاً، وكان لقيادة النبيّ ﷺ، آثار حاسمة في نتائج غزواته وسراياه: بصورة مباشرة في غزواته، لأنها بقيادته رسولاً قائداً، وبصورة غير مباشرة في سراياه، لأنّها بقيادة مَنْ أَحْسَنَ اختيارهم، فوضع القائد المناسب في القيادة المناسبة.

واختيار الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام، لقادة سراياه، بطريقته الفذّة وأسلوبه النادر في اختيار الرجل المناسب للواجب المناسب، وفي حرصه على توخّي الكمال في المسؤول المختار، لفائدة المسلمين في حاضرهم ومستقبلهم، درس ينبغي أن نتعلّمه حكّاماً ومحكومين، إذا أردنا أن ننتصر في الحرب ونتفوّق بالنجاح في السّلام، فقد عزّ النصر على العرب والمسلمين وعزّ النجاح، وأصبحوا أهل الهزائم والإخفاق، منذ تخلّوا عن بناء الإنسان العربيّ المسلم، وتفرّغوا لهدم هذا الإنسان تفرّغاً كاملاً، ولم يحرصوا على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب، ووسّدوا الأمرَ لغير أهله، فكان الخراب والدمار.

اختيار القادة

اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ليس سهلاً، وهو سِرّ نجاح الحكّام والمحكومين في الحياة العملية، في أيام الحرب وفي أيام السّلام.

ليس سهلاً، لأنّ النفس البشرية الأمّارة بالسوء إلاّ مَنْ رَحِمَ اللَّهُ، تحول دون تولية من هو أفضل منها كفاية وعلماً وخلقاً، لأنها تخشى أن يختطف الأضواء من حولها، فتظل في ظلام دامس.

وهو سِرّ نجاح الحكّام والمحكومين، بل سِرّ تفوّقهم في النجاح، لأنّ القادة الصالحين هم الذين يقودون شعوبهم إلى النصر في أيام الحرب، وإلى التقدم والنجاح في أيام السّلام.

وقد كان النبيّ ﷺ، مؤيداً من الله عزّ وجلّ بالوحي، وكان لهذا التأييد أثره الحاسم في توفيقه بشيراً ونذيراً، ومشرِّعاً وقاضياً، وسياسياً وإدارياً، وقائداً وجندياً، ومربياً ومعلِّماً، وبشراً سوّياً، وإنساناً يُوحى إليه.

وهذا التأييد الإلّهي، لا يمنع أن تكون لكفاياته الشخصيّة أثر حاسم في توفيقه، وهذه الكفايات هي القدوة الحسنة والأسوة التي باستطاعة الإنسان السّليم المؤمن أن يضعها نصب عينيه لاتخاذها قدوة حسنة وأسوة ومَثَلاً أعلى له في الحياة، لأنها كفايات بشرية متميزة يمكن الطموح إلى اقتنائها ما استطاع المقتفي إلى ذلك سبيلاً.

وصدق الله العظيم: ﴿اللَّهُ أَعلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾(١).

أما التأييد بالوحي، فيقتصر على الأنبياء والرُّسل وحدهم، دون سائر الناس.

لقد وجدت بالدراسة المستفيضة لسيرة النبيّ ﷺ، ولسِيَر قادته العسكريين بخاصة ولغير العسكريين بعامة، أن من ضمن كفايات النبيّ ﷺ الفذّة، قابليته النادرة على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب.

ووجدت أنّ هذه القابلية التي التزم بها التزاماً حازماً في حياته المباركة، هي من أهم الأسباب (الدنيوية) لانتصاره في أيام الحرب، وتميّزه بالنجاح في أيام السّلام.

---

(١) سورة الأنعام: الآية: ١٢٤.

كان عليه أفضل الصّلاة والسّلام، يعرف أصحابه معرفة دقيقة مفصّلة، وكان يعرف ما يتميّز به كل صحابيّ من (مزايا) تفيد المجتمع الإسلامي الجديد، فكان يستعمل هذه المزايا استعمالاً كاملاً لخير هذا المجتمع وخدمته، وللمصلحة العامة للمسلمين.

وكان في الوقت نفسه يدرك ما يعانيه كلّ صحابي من (نواقص) طبيعيّة، وكان يتغاضى عن تلك النواقص، ويغضّ النظر عنها، ويحاول تقويمها وتلافي محاذيرها، وكان يذكر أصحابها بأحسن ما فيهم من مزايا ويشيد بها، ويأمر أصحابه بالتغاضي عن نواقص إخوانهم، والإشادة بما فيهم من مزايا تقديراً وإعجاباً.

وكان عليه أفضل الصّلاة والسّلام، بهذا الأسلوب الرائع الذي التزم به في كلّ حياته المباركة يشيد بالمزايا وينتفع بها لخير المسلمين، ويغضّ الطرف عن النواقص ويقوّمها بالحسنى.

بهذا الأسلوب الرائع كان النبيّ ﷺ يبني المسلم ولا يحطّمه، ويقوّم المعوَج، ولا يكسره، ويشيّد للحاضر والمستقبل، لا للحاضر وحده ولا للسّاعة التي هو فيها.

لقد كان عليه الصّلاة والسّلام لا يبقي المزايا في أصحابه طاقات معطّلة، بل كان ينتفع بها لمصلحة المجتمع الجديد، وهذا يجعل طاقات أصحابه المتميزة تتضافر لشدّ أزر الأُمة وتقويتها ودفعها نحو النصر والبناء.

وكان عليه الصّلاة والسّلام، يعرف كفايات أصحابه وقابلياتهم حقّ المعرفة، فلم تُغْمَط كفاية، ولم يُهْمَل صاحب كفاية، وأُضيفت التجربة العملية على تلك الكفايات، فصُقلت ولمعت.

وضع كلّ رجل من ذوي الكفايات المتميِّزة، في المكان المناسب لكفايته[1].

---

(١) انظر المقاصد في رسالة المسجد العسكرية (٨٩ ـ ٩٢).

وكان الشرطان الرئيسان اللّذان التزم بهما النبيّ ﷺ في تولية القادة هما: الإسلام والكفاية. أما العقيدة الرّاسخة، فشرط أساس لتولية القيادة، لكي يبرز القائد في عمله، ويكون إنتاجه بعيداً عن الشوائب، قريباً من الكمال، لأنّ مثل هذا القائد العقيدي يعمل على هدى وبصيرة، معتمداً على عقيدته وكفايته، وحتى يعمل القائد في خدمة عقيدته ومجتمعه أكثر مما يعمل لنفسه ولعائلته، وهذا هو سرّ تفوّق أهل العقيدة في أعمالهم على مَن لا عقيدة لهم، أو لهم عقيدة فاسدة تجعل المرء يحرص على العمل لنفسه أولاً، ولا يعمل لمجتمعه والمصلحة العامة.

أما الكفاية العالية، فشرط أساس لتولية القيادة، حتى يبرز القائد في أداء واجباته، ويكون إنتاجه بعيداً عن الشّوائبُ قريباً من الكمال، لأنّه ذو كفاية يعمل بهدي كفايته معتمداً عليها، ولا يعمل في فوضى وتخبّط، لأنّه بلا كفاية تصونه من الخطأ وتقوده إلى الصواب، وتبعده عن الارتجال، وتقرّبه من العمل المدروس.

لقد كان ثلاثون من قادة النبيّ ﷺ من الذين أسلموا قديماً، منهم واحد وعشرون قائداً من البدريين الذين شهدوا بَدْراً تحت لواء الرسول القائد عليه الصّلاة والسّلام.

وهؤلاء الذين شهدوا غزوة (بَدْرٍ) الكبرى والذين أسلموا قديماً، كانوا على جانب عظيم من الإيمان العميق، وهم من الذين ثبت إخلاصهم لعقيدتهم بشكل حاسم، وثبت التزامهم بها التزاماً مصيرياً، لذلك كان النبيّ ﷺ، يضع ثقته الكاملة بهم، ويفضّلهم على غيرهم من أصحابه في تولّي المراكز القيادية.

وكان واحد من قادته من الذين أسلموا بعد الهجرة، هو كُرْز بن جابرٍ الفِهْرِيّ، ولاّه النبيّ ﷺ قيادة سرية من سراياه، لأنّه كان فارساً مغواراً وشجاعاً مقداماً مندفعاً يُحسن التعرّض والمطاردة، والسرية التي تولّى

قيادتها مؤلّفةٌ من الفرسان، مهمتهم الاندفاع السريع والتعرض والمطاردة، وكان كُرْز قد أسلم وحسن إسلامه، وهو القائد المناسب لهذه المهمّة بالذات.

وكان واحد من قادته من الذين أسلموا بعد غزوة (أُحُد) التي كانت في السنة الثالثة الهجرية، وهو عَمْرو بن أميّة الضَّمْرِيّ، ولاّهُ النبيّ ﷺ لشجاعته الفائقة وتطوّعه مختاراً لتحمّل الواجب الذي أوكل إليه، وكان عمرو قد أسلم وحسن إسلامه.

وكان خمسة من قادته من الذين أسلموا قبل فتح مَكّة المكرَّمة التي كانت في السنة الثامنة الهجرية وهم: ابن أبي العَوْجاء السُّلَيمِيّ، وخالد بن الوليد المخزومي، وعمرو بن العاص السَّهْمِيّ، وعُيَيْنَة بن حِصْن الفَزَارِيّ، وعَلْقَمَة بن مُجَزِّز المُدْلِجيّ.

وقد ولّى ابن أبي العوجاء السُّلَيمِيّ على سرية من سرايا الدعوة إلى قومه بني سُلَيْم، لأنه أعرف بهم وبمداخلهم ومخارجهم، وأعرف بهم من غيره، لأنّه منهم وإليهم، وهم قومه يعرفونه ويستجيبون له أكثر مما يستجيبون لغيره، وقد أسلم طوعاً وحسنَ إسلامه، وكان حَرِيّاً أن يؤثِّر في قومه ليُسلموا، ولكنّهم لم يستجيبوا له وأصرّوا على الكفر.

وقد ولّى عليه الصّلاة والسّلام، عُيَيْنَة بن حِصْن، لأنّه كان سيد غَطَفَان، مسموع الكلمة في قومه، مَهيبَ الجانب من القبائل كافة، يعرفون له مكانه ومكانته؛ وقد امتنع فخذ من تَمِيْم فلم يدفعوا صدقاتهم إلى المُصَدِّق الذي بعثه إليهم النبيّ ﷺ، فقال النبيّ ﷺ بعد أن بلغه أمر امتناع أولئك النفر من تَميم: «مَن لهؤلاء القوم الذين فعلوا ما فعلوا؟!»، فانتدب أوّل الناس عُيَيْنة، فبعثه النبيّ ﷺ قائداً لسرية في خمسين فارساً من الأعراب، ليس فيهم مهاجريّ ولا أنصاريّ. ويبدو أنّ مبادرة عُيَيْنَة إلى التطوّع قبل غيره من الناس، أدّى إلى توليته قيادة هذه السرية التي ليس فيها

من المهاجرين والأنصار أحدٌ، وهم المسلمون الأوّلون الذين ينبغي ألاّ يتأمر عليهم ولا يقودهم غير القادرين ذوي الكفايات العالية في القيادة والتجربة العملية من المسلمين الأولين من أمثالهم السابقين الأولين للإسلام، إلاّ في حالات نادرة جداً، ولضرورة قصوى تقتضيها المصلحة العامة للمسلمين، وحكمة بالغة لا تكاد تخفى على عاقل حاضرٍ أو غائب، حتى بعد تقادم القرون والأجيال.

ومن الواضح جداً، أنّ النبيّ ﷺ، ما كان ليولّي عيينة ولا أمثاله من الذين أسلموا حديثاً، قيادة سرية من سراياه، وبغضّ الطرف عن السّابقين الأولين من المسلمين الملتزمين التزاماً كاملاً بعقيدتهم، لولا مبادرة عُيينة إلى التطوع قبل غيره، ولو بادر غيره من السابقين الأولين إلى التطوع، لكان أحقّ بتولّي القيادة، فالسبق إلى اعتناق الإسلام، والولاء المطلق للإسلام وحده دون سواه، تجعل للسّابق ذي الولاء المطلق أسبقية مطلقة في تولّي القيادة، وأفضلية كاملة في قيادة الرجال في الحرب.

ومن دراسة سِيَر قادة سرايا النبيّ ﷺ، يظهر لنا أنّ غالبيتهم العظمى من المهاجرين والأنصار من السّابقين الأولين، فقد كان ثمانون بالمئة منهم من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار عليهم رضوان الله.

وكان ستون بالمئة منهم بدريين، فلأهل بدر فضل عظيم على غيرهم من الصحابة.

وكان لا يؤمِّر أهل الوَبَر على أهل الحَضَر، أي أنّه لا يستعمل أعرابياً من أهل البادية على عربي من أهل المدن، فقد كان خمسة وثلاثون من قادته من أهل الحَضَر، واثنان من الأعراب هما: عُيَيْنَة بن حِصْن الذي تطوّع للنهوض بقيادته، والضحّاك بن سفيان الكلاني الذي كان من أشجع الشجعان، وكان يُعدّ بمائة فارس، كما أنّه مكث ردحاً طويلاً في المدينة إلى جانب النبيّ ﷺ سيّافاً له، وقد ولاّه على قومه في ظروف معينة. ذلك

لأنّ أهل الحَضَر، أعرف بفنون القتال من أهل الوَبَر، وأكثر صبراً على معاناة الحرب، وأقدر على تحمّل أعباء القتال.

والخلاصة هي أنّ الشرطين الرئيسيين لتولية القادة هما: الإسلام أولاً، والكفاية ثانياً. وهذان الشرطان هما القاعدة للتولية بدون استثناء.

أما الشروط الأخرى: السابقون الأولون، وأهل بَدْر، وأهل الحَضَر، فهي قواعد لا تخلو من استثناءات عند الضرورة القصوى.

وقد طبّق أبو بكر الصدِّيق وعمر بن الخطّاب هذه الشروط نصّاً وروحاً في تولية القادة، ولم يحيدا عن هذه الشروط أبداً.

وقد استطاع النبيّ ﷺ والشيخان أبو بكر وعمر من بعده، بتطبيق هذه الشروط في تولية القادة، أن يجعلوا الصفوة المختارة من الأمّة عقيدةً وكفاية يقودون الأمة إلى النصر في الحرب وإلى التفوق في النّجاح في السّلام.

وما أسعد الأمة التي يقودها القمم من رجالها ديناً واقتداراً!.

إنّ استفادة النبيّ ﷺ وخليفتيه من مزايا كلّ مسلم، واستقطاب المزايا لبناء المجتمع الإسلامي، فلا يضعون لبنة إلّا في المكان اللائق بها والمناسب لها، جعل هذا البناء يرتفع ويتعالى سليماً مرصوصاً يشدّ بعضه بعضاً.

وكان اختيار القائد المناسب للعمل المناسب سبباً من أسباب انتصار النبيّ ﷺ وخليفتيه وتوفيقهم عسكرياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً وفي أيام الحرب والسّلام.

ولما التحق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى، خلّف في المجتمع الإسلاميّ قادة وأمراء وولاة وقضاة وعلماء وفقهاء ومحدِّثين، قادوا الأمّة الإسلامية عسكرياً وسياسياً وإداريّاً وفكريّاً واقتصادياً واجتماعياً إلى النصر والنجاح

والخير، وإلى السؤدد والمجد والتوفيق، وإلى طريق الحقّ وسبيل الرَّشاد.

وكان أولئك القادة هم من خريجي مدرسة الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام.

وأسلوب اختيار القادة هو الدرس الحيوي الذي يجب أن يتعلّمه العرب والمسلمون في هذه الأيام وفي المستقبل أيضاً، قادة وشعوباً، وحكّاماً ومحكومين: أن يستفيدوا من الكفايات ولا يعطِّلوها، وأن يضعوا الإنسان المناسب في الموقع المناسب.

وليس كلّ حاكم يستطيع أن يبني الكفايات ويستقطبها ويضعها في المكان المناسب.

لقد كان النبيّ ﷺ قمّة القمم نسياناً لذاته وتفكيراً في صالح المسلمين وإخلاصاً لمصالحهم العُليا.

لذلك خَرَّج في مدرسته القمم من جميع الكفايات والقابليات لمختلف المناصب والواجبات.

وليس ذلك بالأمر السّهل، وبخاصة نسيان الذات من أجل المصلحة العامة، فهو جدّ عسير بالنسبة للذين تأمّروا من أجل مصالحهم لا من أجل مصالح الآخرين، ومن أجل أنفسهم لا من أجل المصالح الأخرى.

وصدق رسول الله ﷺ: «مَنْ استعمل رجلاً من عِصَابَة[١] وفيهم مَنْ هو أرضى لله منه فقد خان اللَّهَ ورسوله والمؤمنين»[٢]، حديث صحيح.

ذلك هو رجل الدولة، وهذا هو بيانه للناس، وصفه عليه الصّلاة والسّلام في كلمات معدودات، ولكنها تُغْنِي عن مجلّدات من المؤلفات.

---

(١) عصابة: جماعة من الناس. (ج): عصائب.

(٢) رواه الحاكم، انظر مختصر الجامع الصغير للمناوي (٢/ ٢٧٨).

مصائر القادة

الدليل القاطع على تمتّع قادة النبيّ ﷺ بالكفاية القيادية المتميّزة، هو ما أحرزوه من انتصارات باهرة على أعداء الإسلام والمسلمين المتفوّقين عليهم عَدَداً وعُدَداً في كل معركة خاضوها، بدون استثناء.

والشجاعة الفائقة هي إحدى المزايا الواجب توفّرها في الكفاية القيادية، وكانت الشجاعة الفائقة هي القاسم المشترك بين مزايا قادة النبيّ ﷺ كافة بدون استثناء أيضاً.

والدليل القاطع على الشجاعة الفائقة لقادة النبيّ ﷺ، أنّ اثنين وعشرين قائداً منهم قضى شهيداً، وخمسة عشر قائداً منهم مات على فراشه، أي أنّ ستين بالمئة من القادة استُشهدوا، وأربعين بالمئة منهم ماتوا خارج ساحة القتال.

ولا أعرف نسبة عالية من الشهداء في القادة، كنسبة الشهداء في قادة النبيّ ﷺ في تاريخ الحروب القديمة والحديثة فالخسائر في القادة اعتيادياً أقلّ بكثير من الخسائر في غير القادة من الجنود وضباط الصف والضباط، وقد لا تكوِّن واحداً بالمائة في أحسن الأحوال وفي أعلى تقدير.

والقول بأنّ هذه النسبة العالية في الشهداء بين قادة النبيّ ﷺ سببها شجاعتهم الفائقة صواب ومنطقي وسليم، ولكنّه لا يقرِّر الواقع كاملاً، والواقع الكامل أنّ سببها هي الشجاعة الفائقة والإيمان العميق، وليس كالإيمان العميق حافز من حوافز الإقدام والاستقتال في طلب الشّهادة، تخلّصاً من الحياة المؤقتة للأحياء إلى الحياة الخالدة للشهداء.

والمبدأ الذي جاء به الإسلام في اختصاص الشهداء بالحياة الباقية مبدأ لا مثيل له في تعاليم القتال التي جاءت بها الأديان السماوية الأخرى، ولها أنه مبدأ فريد في جميع تعاليم القتال الشرقية والغربيّة، تنفرد به العسكرية الإسلامية، لم تُسبق إليه ولم تُنافسها به عسكريّة أخرى: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيْلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[1].

(١) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣/ ١٦٩).

مصارع قادة النبيّ ﷺ

	القائد	قِدَمهُ في الإسلام	مصرعه	مكان مصرعه	تاريخ مصرعه	
					الهجريّ	الميلاديّ
١	حمزة بن عبد المُطَّلِب	قديم الإسلام ـ بدريّ	شهيد	أُحُد	٣	٦٢٤
٢	عُبَيْدَة بن الحارث بن المُطَّلِب	قديم الإسلام ـ بدريّ	شهيد	بَدْر	٢	٦٢٣
٣	عبد الله بن جَحْش الأَسَدِيّ	قديم الإسلام ـ بدريّ	شهيد	أُحُد	٣	٦٢٤
٤	عُمَيْر بن عَدِيّ الخَطْمِيّ الأوسّي	قديم الإسلام	شهيد	أحد	٣	٦٢٤
٥	سالم بن عُمَيْر الأوسِيُّ	قديم الإسلام ـ بدريّ	مات على فراشه	المدينة	على عهد معاوية بن أبي سفيان	
٦	محمد بن مَسْلَمَة الأوسيّ الأنصاري	قديم الإسلام ـ بدريّ	مات على فراشه	المدينة	٤٣	٦٦٣
٧	سعد بن أبي وَقّاص	قديم الإسلام ـ بدريّ	مات على فراشه	المدينة	٥٥	٦٧٥
٨	زيد بن حارثة الكلبيّ	قديم الإسلام ـ بدريّ	شهيد	مُؤْتَة	٨	٦٢٩
٩	عبد الله بن أُنَيْس الجُهَنِيّ	قديم الإسلام	مات على فراشه	غَزَّة	٥٤	٦٧٣
١٠	عبد الله بن جُبَيْر الأوسي الأنصاريّ	قديم الإسلام ـ بدريّ	شهيد	أُحُد	٣	٦٢٤
١١	أبو سَلَمَة بن عبد الأسد المخزوميّ	قديم الإسلام ـ بدريّ	شهيد	المدينة	٤	٦٢٥

	القائد	قِدَمُهُ في الإسلام	مصرعه	مكان مصرعه	تاريخ مصرعه الهجريّ	تاريخ مصرعه الميلاديّ
١٢	المنذر بن عمرو السّاعدي الخزرجيّ	قديم الإسلام - بدريّ	شهيد	بئر مَعُونَة	٤	٦٢٥
١٣	مَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَوِيّ	قديم الإسلام - بدريّ	شهيد	الرَّجِيْع	٤	٦٢٥
١٤	عُكَّاشة بن مِحْصَن الأَسَدِيّ	قديم الإسلام - بدريّ	شهيد	بُزَاخَة	١١	٦٣٢
١٥	أبو عُبَيْدَة بن الجَرَّاح	قديم الإسلام - بدريّ	مات على فراشه	عَمْواس	١٨	٦٣٩
١٦	عبد الرحمن بن عوف	قديم الإسلام - بدريّ	مات على فراشه	المدينة	٣٢	٦٥٢
١٧	علي بن أبي طالب	قديم الإسلام - بدريّ	شهيد	الكوفة	٤٠	٦٦٠
١٨	عبد الله بن عَتِيْك الخزرجيّ	قديم الإسلام	شهيد	اليمامة	١١	٦٣٢
١٩	عبد الله بن رَوَاحة الخزرجيّ	قديم الإسلام - بدريّ	شهيد	مُؤْتَة	٨	٦٢٩
٢٠	كُرْز بن جابر الفِهْرِيّ	أسلم بعد الهجرة	شهيد	مكة	٨	٦٢٩
٢١	عَمْرُو بن أُميَّة الضَّمْريّ	أسلم بعد غزوة أُحُد	مات على فراشه	المدينة	على عهد معاوية بن أبي سفيان	
٢٢	عمر بن الخطّاب	قديم الإسلام - بدريّ	شهيد	المدينة	٢٣	٦٤٣
٢٣	أبو بكر الصدِّيق	قديم الإسلام - بدريّ	مات على فراشه	المدينة	١٣	٦٣٤
٢٤	بشير بن سعد الخزرجيّ	قديم الإسلام - بدريّ	شهيد	عين التّمر	١٢	٦٣٣
٢٥	غالب بن عبد الله اللَّيْثيّ	قديم الإسلام	مات على فراشه	—	—	—

	القائد	قِدَمُهُ في الإسلام	مصرعه	مكان مصرعه	تاريخ مصرعه	
					الهجريّ	الميلاديّ
٢٦	ابن أبي العَوْجاء السُّلَمِيّ	أسلم قبل فتح امكّة	شهيد	ديار بني سُلَيْم	٧	٦٢٨
٢٧	شُجاع بن وَهْب الأسَدِيّ	قديم الإسلام ـ بدريّ	شهيد	اليمامة	١١	٦٣٢
٢٨	كَعْب بن عُمَيْر الغِفَارِيّ	قديم الإسلام	شهيد	ذات أطْلَاح	٨	٦٢٩
٢٩	جعفر بن أبي طالب	قديم الإسلام	شهيد	مُؤْتَة	٨	٦٢٩
٣٠	أبو قَتَادَة بن رِبْعِيّ الأنصاريّ	قديم الإسلام	مات على فراشه	المدينة	٥٤	٦٧٣
٣١	خالد بن الوليد	أسلم قبل فتح مكّة	مات على فراشه	حمص	٢١	٦٤١
٣٢	عمرو بن العاص	أسلم قبل فتح مكّة	مات على فراشه	القاهرة	٤٣	٦٦٤
٣٣	سعد بن زيد الأوسيّ	قديم الإسلام ـ بدريّ	مات على فراشه	ـ	ـ	ـ
٣٤	الطُّفيل بن عمرو الدَّوْسِيّ	قديم الإسلام	شهيد	اليمامة	١١	٦٣٢
٣٥	عُيَيْنَة بن حِصْن الفَزَارِيّ	أسلم قبل فتح مكّة	مات على فراشه	المدينة	على عهد عثمان بن عفان	
٣٦	قُطْبَة بن عامِرْ الخزرجيّ	قديم الإسلام ـ بدريّ	مات على فراشه	المدينة	على عهد عثمان بن عفّان	
٣٧	الضَّحَّاك بن سُفيان الكلانيّ	قديم الإسلام	شهيد	بلاد بني سُلَيْم	١١	٦٣٢
٣٨	عَلْقَمة بن مُجَزَّز المُدْلِجيّ	أسلم قبل فتح مكّة	شهيد	بلاد الحبشة	٢٠	٦٤٠

كما أنّ ارتفاع نسبة الشهداء في قادة النبيّ ﷺ، يدلّ على طلبهم للشهادة وحرصهم على الاستشهاد، فكانت الشهادة من أغلى أمانيّ المجاهدين الصادقين. وقادة النبيّ ﷺ منهم بدون شك.

كما أنّ ارتفاع نسبة الشهداء في قادة النبيّ ﷺ، يدلّ على أنّهم كانوا يقودون رجالهم من (الأمام)، يقولون لهم: اتبعونا. ويضربون لهم في الشجاعة والإقدام أروع الأمثال، وأنّهم كانوا يستأثرون دون رجالهم بمواطن الخطر، ويؤثرونهم بمواطن الأمن، وهكذا يكون القادة الذين يحوزون على ثقة رجالهم عن جدارة واستحقاق.

ودليل على أنّ أولئك القادة لم يكونوا يقودون رجالهم من (الخلف)، يقولون لرجالهم: تقدّموا، ثم يبقون قابعين في مواقع أمينة، كما يفعل القادة الذين يؤثرون مصالحهم الذاتية على مصالح رجالهم ومصلحة أمتهم العليا.

لقد كان شعارهم في الجهاد: ﴿قُلْ: هَلْ تَرَبَّصُوْنَ بِنَا إِلَّآ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ﴾[(١)]: النصر أو الشهادة.

تلك هي الحقيقة الأولى التي تظهر من دراسة السِيَر التفصيليّة لقادة النبيّ ﷺ وهي: أنّ نسبة الشهداء منهم كانت ستين بالمئة، وهي أعلى نسبة مئوية لاستشهاد القادة في تاريخ الحرب القديم والحديث، وهذا برهان على صدق حديث النبيّ ﷺ: «خير الناس قَرْني ثمّ الذين يلونَهم...» الحديث

(١) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩: ٥٢).

الشريف[1]، برهان من الناحية العسكرية، وبإمكان كلِّ مختص أن يدلِّل حسب اختصاصه على صدق هذا الحديث الشريف.

ولكن الحقيقة الثانية أعجب من الحقيقة الأولى وأغرب، وهي أنّ قادة النبيّ ﷺ المتميزين بالشجاعة (الفائقة) استُشهدوا في ساحة الجهاد، والقادة المتميزين منهم بالشجاعة (النادرة) ماتوا في بيوتهم على فراشهم.

وبتعبير أوضح، إنّ القادة الذين ماتوا في بيوتهم بآجالهم، كانوا أكثر شجاعة من القادة الذين استُشهدوا في ساحة الجهاد.

ومن المعلوم أنّ الشجاعة من المزايا المعنويّة في الإنسان، فالشجاع والأشجع من الأمور التي تثبت بالقتال، وقد كانت بطولات قادة النبيّ ﷺ الذين ماتوا في بيوتهم بآجالهم والتي أثبتوها بالقتال رفيعة المستوى متميِّزة عن سائر البطولات. لذلك وصفتُ شجاعة قادة النبيّ ﷺ بأنها شجاعة فائقة، ولكنّني وصفت شجاعة الذين قضوا نحبهم في بيوتهم بآجالهم بأنها شجاعة نادرة تمييزاً لدرجتها الرفيعة على درجة الشجاعة الفائقة، فكل شجاعة نادرة شجاعة فائقة، ولكن ليس كلّ شجاعة فائقة شجاعة نادرة.

وهدفي من إبراز الحقيقة الثانية، هو لإثبات أنّ الجبن لا يُحْيِي والشجاعة لا تُميت، وصدق الله العظيم: ﴿**إذا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُوْنَ**﴾[2].

لقد مات خمسة عشر قائداً من قادة النبيّ ﷺ كما ذكرنا في بيوتهم وبآجالهم بعيداً عن ساحة الجهاد، مع أنّهم كانوا جميعاً بدون استثناء من المتميزين بالشجاعة النادرة، وكانوا جميعاً يتمنّون من أعماق قلوبهم أن يستشهدوا في ساحة الجهاد، ولكن أمانيهم لم تتحقّق، فماتوا وفي أنفسهم

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد. انظر مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (١٣/٢).

(٢) الآية الكريمة من سورة يونس (١٠: ٤٩).

شيء من تخلّفهم بدون إرادتهم عن تحقيق أعز أمانيهم في الحياة.

والذين يحبّون أن يطلعوا على شواهد مما كان يتمتّع به أولئك القادة من شجاعة نادرة بالتفصيل، يجدون ما يحبّون أن يطّلعوا عليه في دراسة سِيَر حياة هؤلاء القادة في هذا الكتاب، ولكن لا بدّ من ذكر شواهد مختصرة عن شجاعتهم النادرة، وقد لا يُغْنِي الاختصار عن التفصيل في هذا الباب بالذات، ولكنّه لا يخلو من فائدة على كلٍّ حال.

وسأضرب الأمثال على شجاعة أولئك القادة النادرة، بالنسبة لأقدميّتِهم في القيادة، حيث سنجد أن الشجاع استُشهد، والأشجع منه مات حتف أنفه.

فقد مات سالم بن عُمَيْر الأنصاري الأوسي على فراشه، وقد تولّى القيادة لأول مرة في شهر شوال من السنة الثانية الهجرية، فتطوّع لقتل أبي عَفَك، وقتله وهو بين قومه وعشيرته وأهله، وكان أبو عفك يحرِّض على عداوة النبيّ ﷺ والمسلمين، وينظم الشِّعر في هجائهم، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ لي بهذا الخبيث؟!»، فتطوّع سالم من بين الأوس والخزرج والمسلمين لقتله، ونفّذ وعده الذي قطعه على نفسه.

ومات محمد بن مَسْلَمة الأنصاري الأوسيّ على فراشه، وقد تولّى القيادة لأول مرة في شهر ربيع الأول من السنة الثالثة الهجرية، فكان ممن ثبت مع رسول الله ﷺ يوم (أُحُد)، وقد ثبت مع النبيّ ﷺ أربعة عشر رجلاً: سبعة من المهاجرين، وسبعة من الأنصار، كان أحدهم ابن مَسْلَمَة. وكان يتولى قيادة حرس النبيّ ﷺ في غزواته، وهو الذي قتل اليهودي كعب بن الأشرف عدو الإسلام والمسلمين، وقد تطوّع لقتله، فقتله بين قومه وعشيرته وأهله، وانتصر على حشود المشركين بثلاثين من رجاله فقط، وكان من الذين لا يخشون في الحق لومة لائم، واعتزل الفتنة الكبرى خوفاً على دينه.

ومات سعد بن أبي وقّاص حتف أنفه، وقد تولّى القيادة لأول مرة في عهد النبيّ ﷺ ثمّ أصبح من قادة الفتح الإسلاميّ المشهورين، فتولّى لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه قيادة معركة القادسية التي فتحت أبواب العراق للمسلمين. وقد كان أوّل مَنْ رمى بسهم في الإسلام، وثبت مع النبيّ ﷺ يوم (أُحُد) ووقف إلى جانبه يرمي بالنَّبلَ دونه، والنبيّ ﷺ يناوله النَّبل ويترصّد له إصاباته الدقيقة قائلاً: «إرْمِ فداك أبي وأُمّي»، وكان الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «ما سمعت رسول الله ﷺ يفدي أحداً بأبويه إلاّ سعداً».

ولعلّ من نافلة القول إثبات أنّ سعداً كان يتحلّى بالشّجاعة النادرة.

ومات عبد الله بن أُنَيْس الجُهَيْني الأنصاريّ على فراشه، وقد تولّى القيادة لأول مرة في شهر المحرّم من السنة الرابعة الهجريّة، وهو الذي تولّى قتل اليهوديّ سَلاَّم بن أبي الحُقَيْق أحد أعداء النبيّ ﷺ والمسلمين، حيث تمَّ قتله بين قومه وأهله في (خَيْبَر)، كما تَولّى قتل اليهوديّ البُسَيْر بن رِزَام الذي كان بِخَيْبر يجمع غَطَفَان لغزو رسول الله ﷺ لعداوته الشديدة للإسلام والمسلمين.

وابن أُنَيْس هو الذي قتل وحده خالد بن سُفْيان بن نُبَيْح الهُذَلِيّ، وكان من سادات قومه يجمع الجموع لرسول الله ﷺ ليغزوه، فقتله ابن أُنَيْس بين قومه وحشوده التي حشدها لحرب الإسلام والمسلمين.

ومات أبو عُبَيْدة بن الجراح على فراشه بالطّاعون سنة ثماني عشرة الهجرية، والذي يموت بالطاعون شهيد، ولكنني لم أجعله مع الشهداء الذين استُشهدوا لأنّه توفي خارج ميدان الجهاد، وقد كان منهاجي في إحصاء الشهداء منهاجاً واضح المعالم، هو درج الذين يستشهدون في ساحة الجهاد. وقد تولّى أبو عُبَيْدة القيادة لأول مرة في شهر ربيع الآخر من السنة السادسة الهجرية، وشهد غزوة (بَدْرٍ) الحاسمة وقتل أباه في تلك الغزوة،

وكان مع النّفر الذين ثبتوا يوم (أُحُد) مع رسول الله ﷺ ودافع عنه يومئذ دفاع الأبطال.

وتولّى قيادة عدّة سرايا على عهد النبيّ ﷺ، كان من جنوده في بعضها الشيخان: أبو بكر الصدِّيق وعمر بن الخطّاب رضي الله عنهما، فلما التحق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى أصبح أبو عبيدة من أكبر قادة الفتح الإسلامي على عهد عمر بن الخطاب وهو فاتح بلاد الشام والجزيرة.

وأراد عمر بن الخطّاب أن يستخرج أبا عبيدة من منطقة الوباء بعد اشتداده سنة ثماني عشرة الهجرية، ولكن أبا عبيدة كتب إلى عمر: «... لا أجد بنفسي رغبة عن جند المسلمين، فلست أريد فراقهم...»، وبقي مع جنوده حتى تُوفي بالطاعون مع مَنْ توفي منهم، وهذا من شجاعته النادرة التي لا تتكرر.

ومات عبد الرحمن بن عَوْف على فراشه في منزله بأجله الموعود، وقد تولّى القيادة لأول مرة في شهر شعبان من السنة السادسة الهجرية، وشهد غزوة بَدْرٍ الحاسمة فأسر أسيراً وقتل رجلاً من قريش وغنم أدراعاً، وثبت يوم (أُحُد) مع رسول الله ﷺ، وما ثبت معه يومئذ غير قليل: سبعة من المهاجرين، وسبعة من الأنصار، وجرح في هذه الغزوة لاستقتاله في الدفاع عن النبيّ ﷺ إحدى وعشرين جراحة، وجرح في رجله فكان يعرج منها، وسقطت ثنيتاه فكان أَهْتَم، وقتل رجلين من المشركين.

ومواقفه البطولية في الدِّفاع عن الإسلام والمسلمين أكثر من أن تُحصى.

ومات عمرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِيّ على فراشه في بيته بأجله الموعود، وقد تولّى القيادة لأول مرة في السنة السادسة الهجرية، وكان من أنْجاد العرب ورجالها نجدةً وجَراءة وجوداً. ومن جراءته أنّ المشركين من قريش صلبوا خُبَيْب بن عَدِي بالتَّنْعِيم قريباً من مكّة المكرّمة وجعلوا عليه حرساً

منهم، فاختطف عمرو جثة خُبَيْب وعاد بها إلى المدينة.

وكان أبو سُفيان بن حرب قد بعث رجلاً من المشركين لاغتيال النبيّ ﷺ، فانكشف أمر المشرك وأسلم.

وبعث النبيّ ﷺ عمرو بن أميّة وبرفقته مسلم آخر اسمه: سَلَمَة إلى أبي سفيان، وقال لهما: «إن أصبتما منه غِرّة فاقتلاه».

ودخلا مكّة، ومضى عمرو يطوف بالبيت العتيق ليلاً، فرآه معاوية بن أبي سفيان فعرفه، فأخبر قريشاً بمكانه، فخافوه وطلبوه، وكان فاتكاً في الجاهلية، فهرب عمرو وسَلَمَة، فلقي عُبَيْد اللّه بن مالك التّميمي الذي كان مشركاً فقتله، وقتل مشركاً آخر سمعه يغني ويقول:

ولستُ بمسلمٍ ما دمتُ حيّاً ... ولستُ أَدينُ دينَ المسلمينا!

ولقي رسولين لقريش يتجسّسان على المسلمين، فقتل أحدهما وأسر الآخر.

وقدم عمرو المدينة عائداً من رحلته إلى مكّة، فجعل يُخبر رسول الله ﷺ خبره، ورسول الله ﷺ يضحك.

ومواقف عمرو البطولية كثيرة، فكان بطلاً في الجاهلية، وبطلاً في الإسلام.

ومات أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه على فراشه، وقد تولّى القيادة لأول مرّة في شهر شعبان من السّنة السّابعة الهجرية، وكان من المهاجرين السبعة الذين ثبتوا مع النبيّ ﷺ يوم (أُحُد). وأثبت كفاية عالية في قيادته المستقلة وانتصر بالعدد القليل من رجاله على العدد الكثير من المشركين، وثبت مع النبيّ ﷺ يوم (حُنَيْن).

وقال عبد الله بن مسعود عن شجاعة أبي بكر: «لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقاماً كدنا نهلك فيه، لولا أنَّ الله منَّ علينا بأبي بكر»، في

عزمه على قتال المرتدين، وانتصاره عليهم انتصاراً مؤزّراً.

وعن أبي رجاء العُطارديّ قال: «دخلتُ المدينة، فرأيت الناس مجتمعين، ورأيت رجلاً يُقبِّل رأس رجل وهو يقول: «أنا فداؤك! ولولا أنتَ لهلكنا، فقلت: مَنْ المقبِّل ومَنْ المقبَّل؟ قالوا: ذاك عمر يقبِّل رأس أبي بكر في قتاله أهل الرِّدَّة إذ منعوا الزّكاة حتى أتوا بها صاغرين».

وحسبنا شهادة الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد سأل عليٌّ مَنْ حوله: «أخبروني مَنْ أشجع الناس؟»، فقالوا: «أنت!»، فقال: «أما إني ما بارزتُ أحداً إلاّ انتصفت منه، ولكن أخبروني مَنْ أشجع الناس؟»، فقالوا: «لا نعلم!»، فقال: «أبو بكر! إنّه لما كان يوم بَدْرٍ، فجعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً، فقلنا: مَنْ يكون مع رسول الله ﷺ، لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دَنَا منّا أحد إلاّ أبا بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ، لا يهوي إليه أحد، إلاّ هوى إليه، فهو أشجع الناس».

وشجاعة أبي بكر النادرة أشهر من أن تُعَرَّف.

ومات غالب بن عبد الله اللَّيْثِيّ حتف أنفه، وقد تولّى القيادة لأول مرّة في شهر رمضان من السنة السّابعة الهجريّة، وتولى قيادة أكثر من سريّة من سرايا النبيّ ﷺ، حقّق بها انتصارات باهرة بقواته القليلة على قوّات المشركين الكثيرة، فكان بحق قائداً فذّاً من قادة النبيّ ﷺ، كما قاد مقدّمة النبيّ ﷺ في غزوة فتح مكة، وكانت قيادته متميِّزة للغاية.

وشهد غالب معارك حروب الرّدة وفتح العراق، فكان من أبطال المسلمين المعدودين. وفي معركة (البُوَيْب) التي كانت سنة ثلاث عشرة الهجرية، قتل وحده تسعة من الفرس في هذه المعركة وحدها.

وكان له موقف مشرِّف في معركة القادسية الحاسمة التي كانت سنة أربع عشرة الهجريّة، وهو الذي قتل هُرمز ملك مدينة (الباب) التي تسمى

اليوم: (درنبد) على بحر الخَزَر، وكان هرمز يومئذ من أكبر قادة الفُرْس.

لقد كان غالب بطلاً مغواراً، يتحلّى بالشجاعة النادرة.

ومات أبو قَتَادَة بن رِبْعِيّ الأنصاريّ الخزرجيّ على فراشه في داره بأجله الموعود، وتولّى القيادة لأول مرة في شهر شعبان من السنة الثامنة الهجريّة. وكان قد شهد سرية عبد الله بن عَتِيْك لقتل اليهودي أبي رافع سَلّام بن أبي الحُقَيْق النَّضْرِي التي قتلت أبا رافع لأنّه كان يحرِّض المشركين على المسلمين، فنسي أبو قَتَادة قوسه في موضع مقتل أبي رافع، فذكرها بعدما نزل، فرجع واستعاد قوسه وعاد إلى أصحابه دون أن يخشى حشود يهود أو يحسب لها حساباً.

وشهد غزوة (المُرَيْسِيع)، وكان يحمل لواء المشركين في هذه الغزوة صَفْوان ذو الشُّقْر، فشدّ عليه أبو قتادة، فكان الفتح.

وشهد غزوة (ذي قَرَد)، فقتل مَسْعَدَة بن حَكَمَة بن مالك بن حُذَيْفَة الفِزَارِيّ وحبيب بن عُيَيْنَة بن حِصْن، فقال رسول الله ﷺ يوم ذي قَرَد: «خير فرساننا أبو قتادة»، ومن يومها أصبح يعرف بفارس النبيّ ﷺ.

وكان في قيادته لسريتين من سرايا النبيّ ﷺ موفّقاً، فأثبتَ أنه قائد لامعٌ.

وشهد غزوة (حُنَيْن)، فقتل أحد المشركين، فأراد أن يستأثر بسلبه أحد مسلمي الفتح الذين أسلموا حديثاً، فقال هذا الرجل للنبيّ ﷺ: «يا رسول الله! سَلَبُ ذلك القتيل عندي، فأَرْضِهِ عنِّي»، يريد سَلْب قتيل أبي قتادة عنده، ويريد أن يستأثر به دون أبي قتادة، ولكنّ أبا بكر الصدِّيق قال: «لا والله! لا يُرْضيه منك، تعمد إلى أَسَد من أُسْدِ الله، يقاتل عن دين الله، تقاسمه سلبه! ارْدد عليه سَلَب قتيله»، وكان هذا الأسد من أُسد الله الذي يقاتل عن دين الله، هو أبا قتادة.

والحديث عن شجاعة أبي قتادة النادرة يطول.

ومات خالد بن الوليد على فراشه كما يموت البعير، كما قال هو حين حضرته الوفاة. وتولّى القيادة لأول مرّة في سريّة (مُؤْتَة) التي كانت في شهر جمادى الأولى السنة الثامنة الهجرية، فقد أمّره المسلمون على أنفسهم بعد أن استشهد قادة هذه المعركة الثلاثة بالتعاقب: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رَوَاحة، فاصطلح المسلمون على خالد، وولّوه قيادتهم في موقف ميؤوس منه وعصيب للغاية، فأنقذ المسلمين الذين كانوا في تلك المعركة من الإبادة والإفناء، بفضل قيادته الفذّة وشجاعته النادرة.

واستعمله النبيّ ﷺ على سرية من سراياه لأول مرّة في شهر رمضان من السنة الثامنة الهجريّة. ثمّ استعمله من جديد على سريتين أخريين، كما استعمله قائداً مرءوساً في غزوة فتح مكّة وغيرها.

لقد شهد خالد ثلاث معارك على المسلمين قبل إسلامه، وشهد في عهد النبيّ ﷺ اثنتي عشرة معركة، وشهد في حروب الردّة ثلاث معارك هي أهمّ وأخطر وأكبر معارك حروب أهل الرِدَّة، وقاتل الفُرْس وحلفاءهم في العراق في خمس عشرة معركة، وخاض في طريقه من العراق إلى أرض الشام غمار أربع معارك، وقاد سبع معارك في أرض الشّام، فكان مجموع ما شهده من معارك في حياته العسكرية أربعاً وأربعين معركة، كانت نتائجها كلّها باهرة في تاريخ الإسلام وفي تاريخ العرب والمسلمين.

وقد حسم أكثر من معركة بهجومه شخصياً على قائد العدو وقَتْله، مما أدّى إلى انهيار معنويات رجاله واستسلامهم للمسلمين.

وانتصاراته الباهرة جعلته قائداً مشهوراً منذ كان حتى اليوم وإلى ما شاء الله، ليس على النطاق العربي أو الإسلامي حسب، بل على النطاق العالميّ، ومعاركه تدرس في المدارس والمعاهد والكليّات العسكريّة الأجنبية كما تدرس في المدارس والمعاهد والكليات العسكريّة العربيّة والإسلاميّة.

وطالما سمعنا أو قرأنا أنّ ألمع قادة الغرب، يفخرون بأنّهم طبّقوا خطّة عسكرية تعلّموها من خطط خالد، وطالما سمعنا وقرأنا أنّ ألمع القادة الأجانب يشبههم الذين يصفونهم من المؤلفين والكتاب: بأنهم كخالد..! ولن يكون أحدهم مثله أبداً، وشتان بين الأصل وبين الصورة.

وحسبه قولة رسول الله ﷺ فيه: «خالد سيف من سيوف الله، سلّه الله على المشركين».

ولكنّ خالداً قال حين حضرته الوفاة: «ما كان في الأرض من ليلة أحبّ إليّ من ليلة شديدة الجليد، في سرية من المهاجرين، أصبِّح بهم العدو، فعليكم بالجهاد».

وتنهّد قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة حزناً وأسفاً على الشّهادة التي فاتته بالرغم من تعرّضه لأفدح الأخطار في أقسى المعارك، فقال: «شهدت مائة زحف أو زهاءها، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، ثمّ ها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت العِيْر، فلا نامت أعينُ الجبناء».

ومات عمرو بن العاص على فراشه، وقد تولّى القيادة لأوّل مرة في شهر جمادى الآخرة من السنة الثامنة الهجرية، وتولّى قيادة سريتين من سرايا النبيّ ﷺ، فأحسن في قيادته غاية الإحسان ولما التحق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى، شهد عمرو حروب الرِدّة، وحروب فتح بلاد الشام، كما شهد فتح مصر وليبيا، ففتح فلسطين ومصر وليبيا.

ومن مواقفه التي تدلّ على شجاعته النادرة ودهائه أيضاً، أنّه أقام على (أجْنَادِيْن) في فلسطين لا يقدر على قائدها الأرطبون الروميّ ولا تشفيه الرسل، فسار إليه بنفسه، ودخل عليه كأنّه رسول، ففطن به الأرطبون وقال: «لا شكّ أنّ هذا هو الأمير أو مَنْ يأخذ الأمير برأيه»، فأمر رجلاً أن يقعد على طريقه ليقتله إذا مرّ به. وفطن عمرو بغدرِ الأرطبون، فقال له: «قد سمعتَ مني وسمعتُ منك، وقد وقع قولك مني موقعاً، وأنا واحد من

عشرة بعثنا عمر بن الخطّاب مع هذا الوالي لنكاتفه ويشهدنا أموره، فأرجع فآتيك بهم الآن، فإن رأوا في الذي عرضتَ مثل الذي أرى، فقد رآه أهل العسكر والأمير، وإن لم يروه رددتهم إلى مأمنهم وكنتَ على رأس أمرك»، فقال الأرطبون: «نعم!»، وردّ الرجل الذي أمره بقتل عمرو. وخرج عمرو من عند الأرطبون، فعلم الأرطبون أنّ عَمْراً خدعه، فقال: «خدعني الرّجل! هذا أدهى الخلق!!». وبلغت هذه القصة عمر بن الخطّاب، فقال: «لله درّ عمرو!».

لقد كان عمرو من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية مذكوراً بذلك فيهم، وكان جريئاً مقداماً، وذا رأي في قريش كما وصفه أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، فكان عمرو يقاتل بشجاعته النادرة، وعقله الراجح، لذلك كان موضع ثقة النبيّ ﷺ وخلفائه من بعده، فقال عمرو عن ثقة النبيّ ﷺ به واعتماده عليه: «ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في حربه منذ أسلمتُ»، وصدق عمرو، وحسبه ثقة رسول الله ﷺ به، وهي ثقة لا توضع إلّا في مكانها الصحيح.

ومات سعد بن زيد الأنصاري الأَوْسي الأَشْهَلِي حتف أنفه، وتولّى القيادة لأول مرة في شهر رمضان السنة الثامنة الهجريّة. وقد شهد غزوة (ذي قَرَد) قائداً لفرسان المسلمين، فطارد عُيَيْنَة بن حِصْن الذي أغار على سرح المسلمين بالقرب من المدينة، وقتل حبيب بن عُيَيْنَة بن حِصْن في رواية، وفي رواية أخرى أنّ الذي قتله هو أبو قَتَادة كما ذكرنا من قَبْل.

وأحسن سعد في قيادة سريته غاية الإحسان، وأنجز واجبه على أحسن وجه.

وقد شهد سعدٌ بَدْراً وأُحُداً والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، كما شهد قسماً من سرايا النبيّ ﷺ جندياً مرات وقائداً مرّة أخرى، فأدّى واجبه في الجهاد العملي جندياً وقائداً بشكل مثاليّ يدعو إلى أعمق

التقدير، وأبدى في جميع المعارك التي خاضها شجاعة نادرة.

ومات عُيَيْنَة بن حِصْن الفَزَارِيّ على فراشه كما يموت البعير، وتولّى القيادة لأول مرة في شهر المحرّم من السنة التاسعة الهجرية. وكان بطلاً من الأبطال المعدودين قبل الإسلام وبعد الإسلام وسيّداً من سادات العرب.

وكان أحد المؤلفة قلوبهم، وكانوا أشرافاً من أشراف العرب، يتألّفهم النبيّ ﷺ بما أعطاهم ويتألّف بهم قومهم.

وكان عُيَيْنَة في الجاهلية من الجَرَّارين يقود عشرة آلاف، ولم يكن الرجل يسمّى: جَرَّاراً حتى يرأس ألفاً على الأقل. وقد قاد غَطَفان إلى بني تَغْلِب، كما قاد قومه في كثير من أيام العرب قبل الإسلام.

وشهد معارك طاحنة على المسلمين قبل إسلامه، وشهد معارك طاحنة مع المسلمين بعد إسلامه جندياً وقائداً، وقاد سريّة من سرايا النبيّ ﷺ لأنّه كان أول مَنْ انتدب لحرب المنحرفين من بني تَمِيْم الذين منعوا الزكاة ولم يستجيبوا للمصدِّق الموفد إليهم من النبيّ ﷺ، فكان عند حسن ظن المسلمين به في قيادته، وكان لشجاعته النادرة أثر عظيم في انتصار سريته بعددها القليل على المنحرفين بعددهم الكثير.

لقد كانت حياة عُيَيْنة سلسلة من المعارك المتّصلة، فقد كان بطبيعته مِسْعَر[1] حرب.

ومات القائد الخامس عشر والأخير من قادة النبيّ ﷺ حتف أنفه، وهو قُطْبَة بن جَدِيْدَة الأنصاريّ الخزرجيّ الذي تولّى القيادة لأول مرة في شهر صَفَر من السنة التاسعة الهجرية. وقد شهد (بَدْراً) فرمى حجراً بين الصفّين وقال: «لا أفرّ حتى يفرّ هذا الحجر»، وقد ثبت في تلك الغزوة ثبات الراسيات وقاتل قتال الأبطال وأسر أحد أبطال قريش من المشركين.

وشهد غزوة (أُحُد)، وكان أحد الرّماة الماهرين الذين برزوا بين

---

(١) المسعر: ما تحرّك به النار من حديد أو خشب، ومسعر حرب: مُوْقِد حرب.

المسلمين في تلك الغزوة، وجُرح تسع جراحات فلم تمنعه جراحاته الغائرة من المبادرة إلى الخروج في اليوم التالي من يوم (أُحُد) مع النبيّ ﷺ والمسلمين الذين شهدوا غزوة (أُحُد) إلى (حمراء الأسد)، لمطاردة المشركين، فشهد مع النبيّ ﷺ تلك الغزوة التي رفعت معنويات المسلمين وحطّمت معنويات المشركين.

وشهد معركة (مُؤْتَة)، فلما استُشهد القادة الثلاثة بالتعاقب، وكانت الهزيمة وقُتل المسلمون، جعل قُطْبَة يصيح: «يا قوم! يُقْتَلُ الرجل مُقْبلاً أحسن من أن يُقتل مُدْبِراً».

وشهد غزوة فتح مكة، فعقد النبيّ ﷺ الألوية والرايات في (قُدَيْد)، فجعل راية بني سَلِمَة قومه من الأنصار مع قُطبة، والراية لا تُعقد إلاّ لمن يحافظ عليها ويحميها من الأعداء.

وحين تولّى قُطْبَة قيادة سرية من سرايا النبيّ ﷺ، أحسن في قيادته غاية الإحسان، وانتصر على عدوه، بينما كانت سريته قليلة العدد والمدد، وكان عدوّه كثير العَدد والمدد.

وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، لم يتخلّف عنه في مشهد من مشاهده بالإضافة إلى السرايا التي شهدها مع قادة السرايا الآخرين، فكان في كل مشهد شهده نادر الشجاعة فذّ الإقدام.

تلك هي الحقيقة الثانية: استُشهد القادة الشجعان، ومات القادة الذين هم أكثر شجاعة وإقداماً.

ولعل هذه الحقيقة الناصعة التي برزت لأول مرة في بداية القرن الخامس عشر الهجري رسالة من رسائل الغيب، تنكشف لتذكِر الجبناء بأنّ الأعمار بيد الله، لا يزيد فيها الجبن ولا تنقص منها الشجاعة، وصدق القائل: «اطلب الموت توهب لك الحياة».

هكذا بكلِّ بساطة، مات الأشجع، واستُشهد الشّجاع.

تأليف هذا الكتاب

كانت فكرة تأليف كتاب عن: قادة النبيّ ﷺ، تراودني منذ كنت طالباً في الكلية العسكرية سنة ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) وضابطاً في كلية الأركان العراقية سنتي ١٣٦٧ ـ ١٣٦٨ هـ (١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ م)، فقد كان درس تاريخ الحرب في تينك الكليتين يهتم بالدرجة الأولى بحرب العراق، وهي قصّة احتلال بريطانيا للعراق، وحرب فلسطين، وهي قصّة احتلال بريطانيا لفلسطين.

كما كان درس تاريخ الحرب يهتم بالدرجة الثانية بقصّة الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨ م) في الكلية العسكرية يوم كنت طالباً فيها، وبقصّة الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ م) في كلية الأركان العراقية.

وما ينطبق على الكلية العسكرية العراقية وكلية الأركان العراقية، ينطبق على سائر الكليّات العسكرية وكليّات الأركان في سائر البلاد العربية والإسلامية. فمنهاج تدريس تاريخ الحرب في تلك الكليات العربية والإسلامية، يقتصر على تاريخ استعمار البلاد العربية والإسلامية ومعارك الاستعمار وقادة الاستعمار!!.

أما المعارك العربية والإسلامية، التي ترفع المعنويات، وتوحي بالثقة، فغائبة عن الكليات العسكرية وكليات الأركان العربية والإسلامية.

كما أنّ قادة العرب والمسلمين وعلى رأسهم الرسول القائد عليه الصّلاة والسّلام وقادة الفتح الإسلامي والقادة الذين دافعوا عن العرب والمسلمين وانتصروا على أعدائهم، غائبون غياباً كاملاً عن الكليات العسكرية وكلّيات الأركان العربية والإسلامية.

أما العسكرية الإسلامية في أبسط صورها ومفاهيمها، فليس لها ذكر في تلك الكلّيات من قريب أو بعيد.

وكان الإعراض المطلق نصيبَ كلّ ما له صلة بالتاريخ العسكريّ العربيّ الإسلاميّ في الكليات العسكرية العربية والإسلامية.

وكان الإقبال المطلق نصيبَ كلٍّ ما له صلة بالتاريخ العسكري الاستعماري للبلاد العربية والإسلامية، يدرسه الطلّاب العسكريون العرب والمسلمون ويُمتحنون به ويتوقّف عليه مستقبلهم في النجاح أو الرسوب.

إعراض مطلق عن التاريخ العسكري العربيّ والإسلاميّ في الكلّيات العربية والإسلامية، وعن كلّ ما له صلة بهذا التاريخ المجيد.

وإقبال مطلق على التاريخ العسكري لاستعمار البلاد العربية والإسلاميّة في الكلّيات العسكرية العربية والإسلامية، وعلى كلّ ما له صلة بهذا التاريخ البغيض.

ومنهاج تاريخ الحرب الذي يدرس في الكليات العسكرية البريطانية والفرنسية والإيطالية للبريطانيّ والفرنسي والإيطاليّ، يدرس بحذافيره في الكليات العسكرية العربية والإسلامية للعربيّ المسلم وللمسلمين كافة، وليس هناك أيّ فرق في أسس المنهاج، وقد تكون هناك بعض الفروق الطفيفة في التفاصيل الفرعيّة التي لا تؤثّر في شيء على الأسس الأصليّة.

وكنت طالباً عسكريّاً عربيّاً مسلماً، كغيري من الطلّاب العسكريين العرب المسلمين، أُحاول أن أعرف الهدف من تدريس التاريخ العسكري لاستعمار بلادي، فلا أجد سبباً مسوَّغاً لهدف هذا التدريس إلّا تحطيم معنوياتي ومعنويات غيري من الطلّاب العسكريين، وتخريجهم في الكليات العسكرية بمعنويات محطّمة منهارة ومعلومات تقود إلى الذل والهوان.

وإذا كان المسوِّغ لتدريس مثل هذا التاريخ العسكري للاستعمار في

الكليات العسكرية الأجنبية هو لرفع معنويات طلّاب تلك الكلّيات الأجانب، باعتبارهم استطاعوا إحراز النصر على العرب والمسلمين وغيرهم من الأمم المغلوبة على أمرها، فما المسوِّغ لتدريس هذا التاريخ العسكري للاستعمار في الكليات العسكرية العربية والإسلامية وغيرها من الأمم المقهورة المستعمرة المُسْتَعْبَدة، إلاّ أن يكون تحطيم المعنويات هو المسوِّغ، والعسكريّ الذي تكون معنوياته محطَّمة لا ينتصر أبداً ولا يقاتل كما يقاتل الرجال، كما هو معروف.

وكنتُ أتساءل: كيف أتعلّم سِيَر قادة الأجانب الذين استعمروا بلادي واستعبدوا أمّتي، ولا أتعلّم سِيَر قادة العرب المسلمين الفاتحين أو الذين دافعوا عن العربيّة لغةً والإسلام ديناً؟!.

وكيف أدرس معارك استعمار بلادي واستعباد أمّتي، ولا أتعلّم معارك النبيّ ﷺ لإحقاق الحق وإزهاق الباطل والدعوة إلى الله، ومعارك حروب الرِدّة والفتح الإسلامي العظيم ومعارك الدفاع المجيدة عن حياض البلاد العربيّة والإسلاميّة وعن العرب والمسلمين؟!.

وقد بلغ الإسفاف بقسم من قادة الأجانب المستعمِرين حداً، جعل أحدهم يقف على قبر صلاح الدين الأيوبي في دمشق شاهراً سيفه مزهوّاً بانتصاره، مخاطباً الجدث الطّاهر: «لقد عدنا ثانية إلى هنا يا صلاح الدين!»، ويقول: «اليوم انتهت الحروب الصليبيّة».

وهذا القائد الذي انتصر بتفوّقه المادي بالسلاح والعتاد ووسائط النقل والمواد التموينيّة، لا بشجاعة رجاله وحصافة قيادته، لا يجهل أنّ صلاح الدين الأيوبي غلب عدّة جيوش أجنبية يقودها ملوكها وأمراؤها، واكتسح الصليبيين من القدس ومن البلاد العربية كافة، ولكنّه قاتل بمبادىء الحرب العادلة التي تفرضها تعاليم الإسلام في الجهاد، وبمزايا حرب الفروسية التي تفرضها فروسيته الأصيلة، فأرسل طبيبه الخاص لمعالجة ركاردوس ملك

الإنكليز وقائدهم الذي أُصيب بجروح خطيرة في ساحة القتال، فلما تماثل ريكاردوس للشفاء كان صلاح الدين أسعد بشفائه من أهله الأقربين وبني قومه ـ كما سجّل ذلك المؤرخون الأجانب ـ. ومات صلاح الدين منذ قرون طويلة، ودار الزمن دورته، وأصبح صلاح الدين صفحة من صفحات التاريخ، فجاء هذا القائد الأجنبيّ في غفلة من غفلات الزمن، ليواجه صلاح الدين وهو جثّة هامدة منذ قرون خلت، لاصلاح الدين وهو على قيد الحياة، فيشهر على الرفاة السيف، ويهدِّد ويتوعّد حين خلا له الجو وأمن العقاب!!.

والغريب العجيب أنّ المطلوب من الطالب العسكري العربيّ والمسلم أن يتعلّم سيرة هذا القائد الأجنبيّ المستعمِر الجبان وأمثاله، ويجهل سيرة صلاح الدين الأيوبي الذي استعاد القدس من الصليبيين وطرد الأجانب من بلاد العرب وديار الإسلام!!.

كما أنّ المطلوب من العسكري العربيّ والمسلم، أن يقتنع بأنّ الهنود المسلمين الذين فرّوا من صفوف جيش الأجنبيّ إلى صفوف العرب والمسلمين، لأنّهم رفضوا أن يحاربوا إخوانهم في الدين، خونة عصاة يستحقون الموت رمياً بالرصاص على خيانتهم للأجنبيّ وعصيانهم أوامره في قتل أبناء دينهم، وقد نفّذ المستعمِر حكم الإعدام بالذين استطاع إلقاء القبض عليهم من هؤلاء الهنود المسلمين، والمطلوب أيضاً أن يقنع هذا العسكري العربيّ المسلم، أنّ الذين وشوا بهؤلاء الهنود المسلمين ودلّوا على مخابئهم هم المخلصون حقّاً، والخونة هم الهنود المسلمون!.

لقد كانت كل المقاييس مختلّة مضطربة بالنسبة لتدريس تاريخ الحرب في الكليّات العسكرية العربية والإسلاميّة، ولكن الطلاّب العسكريين العرب والمسلمين كانوا على بيِّنة من أمرهم، فهم يعلمون أنّ قادة جيوش الاحتلال أعداء لبلادهم، وأنّ جيوش الاحتلال مغتصِبة جائرة، وأنّ الذين تعاونوا مع المستعمرين من أبناء البلاد خونة، والذين لم يقاتلوا في صفوف

الغزاة من الهنود المسلمين مخلصون، والذين لاقوا حتفهم لأنّهم لم يقاتلوا إخوانهم في الدين شهداء عند ربهم يرزقون.

وقد كنت أهوى دراسة التاريخ بعامة حين كنت تلميذاً في الابتدائية والمتوسطة والثانوية، فأصبحت أكره التاريخ في الكلية العسكرية وكلية الأركان.

إلّا أنّ معلومات الطلاب العسكريين العرب والمسلمين عن قادة العرب والمسلمين وعن معاركهم المشرِّفة وعن العسكرية الإسلامية كانت قليلة جداً ومشوِّهة، لأنّ المكتبة العربية والإسلامية كانت تعاني فراغاً في المصادر التاريخية المعتمدة حول ذلك، فتمنّيت من يومها على الله أن أبذل جهدي لسدّ هذا الفراغ.

وبدأت الأمانيُّ تتحقّق شيئاً فشيئاً من سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م)، فقد درست سنوات طويلة حياة النبيّ ﷺ العسكرية باعتباره سيِّد القادات وقائد السادات، فوضَعْتُ دراساتي على الورق في تلك السنة، منتهزاً وجودي آمراً لحامية مدينة عَقْراة الجبلية في شمالي شرقي الموصل، فكان كتاب: الرسول القائد أوّل أمنية تحقّقت من أمانيّ في مجال الدراسات العسكرية العربية والإسلاميّة في التاريخ.

وشغلتني واجباتي العسكرية في الجيش عن تحقيق جزء من أمانيّ الأخرى، حتى استقرّ بي المقام في سجون قاسم العراق سنة ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م) في أعقاب ثورة الموصل على حكمه المنحرف، فنسيت كل شيءٍ في الدنيا غير تحقيق ما أصبو إليه من أمانيّ القديمة، وتفرّغت تفرّغاً كاملاً لدراسة قادة الفتح الإسلامي ومعارك الفتح والعسكرية الإسلامية واللغة العسكرية والتراث العسكريّ.

وأُخرجت من السجن بعد أكثر من سنة، فكنتُ حرّاً في داري فقط مقيّداً بأشدّ القيود خارجه، ومن تلك القيود عيون المباحث وأرصادها،

فشغلت نفسي بتأليف قادة فتح العراق والجزيرة وقادة فتح بلاد فارس وقادة فتح الشام ومصر، وقادة فتح المغرب العربيّ، وأكملت إخراجها للناس بين سنتي ١٣٨٤ ـ ١٣٨٦ هـ (١٩٦٤ ـ ١٩٦٦ م)، فكان السجن وإخراجي من الجيش وإحالتي على التقاعد نعمة سابغة من نِعَمِ الله عليّ، فلولا تفرّغي القسري لما استطعت إخراج هذه المؤلفات للناس.

والذين يراجعون كتابي: قادة فتح الشام ومصر[1]، يجدون أنني قطعت على نفسي وعداً بأنني سأصدر كتاباً عن: قادة النبيّ ﷺ، ولكنني لم أستطع أن أبرّ بوعدي حتى سنة ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) لعملي (مضطراً) في المناصب الحكومية السياسية، ولوقع الحرب بين العرب والعدو الصهيوني سنة ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) واندحار العرب مما اضطرني على العمل في مجالات الدراسات الفلسطينية ونشرها في الكتب والمجلات والصحف وإلقائها في الجامعات العسكرية وغير العسكرية في العراق وفي سائر البلاد العربية، ثمّ انشغالي في توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية وإخراج أربعة معجمات موحَّدة للناس، وقد استغرق هذا العمل الجماعي في التوحيد من سنة ١٣٨٨ هـ إلى سنة ١٣٩٣ هـ (١٩٦٨ م ـ ١٩٧٣ م).

ولما عدت إلى الوطن سنة ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) من القاهرة، بعد أن مكثت فيها ما يقارب ست سنوات متفرِّغاً تفرّغاً كاملاً لتوحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية، شُغلت بنفسي سنتين تقريباً أعاني المرض الشديد. ولم أكد أتماثل للشفاء إلاّ وشغلت نفسي بواجباتي المجمعية ناسياً نفسي ومَنْ حولي في خضم هذه الواجبات، ولكنني أُعفيت من عضوية المجمع العلمي العراقي فجأة، فسألني رئيس المجمع عن سبب إعفائي فلم أعرف السبب، ثم سأل الوزير المختص فلم يعرف السبب أيضاً. ولم أُخبر بالسبب من أحد، ولم أسأل أحداً عن السبب، لأنني كنت سعيداً بهذا الإعفاء، فالتفرغ وحده هو الذي يتيح لي أن أضع خطّتي في خدمة تاريخ

(١) قادة فتح الشام ومصر ـ بيروت ـ ١٣٨٥ هـ ـ ص (٤٠٧).

العرب والمسلمين العسكري في حيِّز التنفيذ. وهو أجدى عليّ وعلى العرب والمسلمين من كلِّ عمل آخر حكوميّ أو غير حكوميّ أُكلّف به، مهما يكن ذلك العمل مرموقاً من الذين يهتمون بالمظاهر ولا يهتمون بما ينفع الناس ويمكث في الأرض.

وهكذا يكون نصيب الذي وحّد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية لأول مرة في التاريخ، وهو عمل مجمعي لا مثيل له، الإعفاء من عضوية المجمع.

لقد أتاح لي الاعتكاف في جبال عَقْرة تأليف: الرسول القائد، وأتاح لي التفرغ في السجن الإعداد لتأليف: قادة الفتح الإسلامي، وأتاح لي التفرغ في الدار متقاعداً إخراج أربعة أجزاء من قادة الفتح الإسلامي، وأتاح لي التفرغ في مصر توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية في أربعة معجمات عسكرية موحِّدة، وأتاح لي التفرغ بعد إعفائي من عضوية المجمع العلمي العراقي تأليف كتاب: قادة النبي ﷺ وإسماع صوتي في أشهر المجلات العربية والإسلامية.

والتفرّغ بالنسبة لي نعمة عظيمة من الله أحمده وأشكره عليها، وبخاصة بعد أن أثمرت جهودي في خدمة تاريخ العرب والمسلمين أينع الثمرات، ليس على نطاق البلاد العربية وحدها، بل على نطاق ديار المسلمين في كلِّ مكان، وفي نطاق أوسع من ذلك بكثير، وأصبحت الكليّات العسكرية وكليات الأركان وجامعات الدراسات العسكرية العليا في الوطن العربي من المحيط إلى الخليج وفي الوطن الإسلامي من المحيط إلى المحيط تتابع باهتمام بالغ الدراسات العسكرية العربية والإسلامية قادةً وفتحاً ومعارك دفاعيّة، كما تكاثرت المقالات والبحوث والمؤلفات العسكرية العربية والإسلامية، ولكن بقي الفراغ بارزاً في المكتبة العربية والإسلامية في كتاب خاص عن: قادة النبيّ ﷺ، والأمل وطيد بأن يسدّ هذا الكتاب هذا الفراغ بإذن الله.

وكنت ولا أزال وسأبقى أشعر بأنّ العسكريّة العربية والإسلامية

(رسالة) عليّ واجب حملها ومسؤولية تبليغها للناس.

وقد أصبح ما كنت أتمنّاه واقعاً في كتب وبحوث ودراسات منشورة، ولا يزال بعضها ينتظر النشر.

وأحمد الله عزّ وجلّ على تفرّغي الكامل لتحقيق هذه (الرسالة) التي وضعتها الأقدار على عاتقي، وسعادتي بحملها تجلّ عن الوصف، فلا أبرح داري إلّا لتلبية منادي الصّلاة ليوم الجمعة. وعملي متواصل في ميدان العسكرية العربية والإسلامية، يستغرق عليّ ساعات يومي وقسماً من ساعات ليلي، والبذرة أصبحت نبتة ثم أمست شجرة مثمرة، فمن كان يظن أنّ الجاه بالمناصب والمال، فأنا موقن بأنّ العلم هو جاه الدنيا والآخرة إذا أُريد به وجه الله، وهذا ما أومن به إيماناً قاطعاً لا يتزعزع أبداً، وأوصي به غيري من الناس.

فمن كان يريد الخير لي، وللذين يقرأون لي، فليتركني متفرغاً للدراسة والتأليف، وليتفضل بالمناصب والمال على غيري وهم كثيرون.

وهذا الكتاب الذي هو خطوات على طريق العسكرية العربية والإسلامية، هو نتاج سنة ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م)، وقد احتفل المسلمون بهذه السنة احتفالاً جماعياً وفردياً بمرور أربعة عشر قرناً على الهجرة النبوية الشريفة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وكتابي هذا هو جزء من الاحتفالات الفردية بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على هجرة النبيّ ﷺ من مكّة المكرمة إلى المدينة المنوّرة، والهجرة أهمّ حدث من أحداث الإسلام والمسلمين.

وكانت هذه السنة سنة اختلافات ومشاحنات بين الدول العربية، كأنّ هذه الدول لا ترى ما يبيّته لها أعداؤها المتربّصون بها من تدمير وتخريب واستعباد، وعلى رأس قائمة أعدائها العدو الصهيوني الذي يطمع أن يتوسّع على حساب الدول العربية لتكون دولته من النيل إلى الفرات.

وقد استطاع النبيّ ﷺ بعون من الله سبحانه وتعالى أن يوحّد العرب

تحت لواء الإسلام، وكان من عوامل هذا التوحيد: اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب.

وطالما ردّدت والألم يعتصر فؤادي ما لا يُعدّ ولا يُحصى من المرّات في هذه السنة بالذات وفي السنوات الماضية، وردّد معي العرب والمسلمون: كيف استطاع النبيّ عليه الصّلاة والسّلام توحيد هؤلاء العرب الذين عقدوا العزم كما يبدو على ألاّ يتّحدوا.

إنّه اختار الرجل المناسب للعمل المناسب، فحكم الأُمّةَ أفضلُ أبنائها عقيدةً واقتداراً، فتوحّدت بنعمة الله وفضله، وفتحت وسادت بالتوحيد والوحدة.

وأصحاب العقائد الراسخة والكفايات العالية لا يختلفون، لأنّهم يبنون ولا يهدمون ويُصلحون ولا يُفسدون.

أما الذين لا عقيدة لهم ولا كفاية فيختلفون، فهم يهدمون لأنّهم لا يدرون كيف يبنون، ويفسدون لأنّهم يجهلون كيف يصلحون.

فهل يكون النبيّ ﷺ قدوةً حسنة للعرب والمسلمين في اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب؟!.

وهل يكون عليه الصّلاة أسوة حسنة للعرب والمسلمين في بناء الرجال وبناء الإنسان العربيّ والمسلم؟!.

إنّ الله على كل شيءٍ قدير.

والله أسأل أن يجعل هذا الدّرس الحيوي مما يتعلّمه العرب والمسلمون من هذا الكتاب، فقد طال غياب الرجل المناسب عن العمل المناسب، وطال العمل في تحطيم الرجال وبخاصة أصحاب العقيدة الراسخة الذين لا ينافقون، والكفاية العالية الذين لا يستخزون؟!.

والله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً. وصلّى الله على سيدي ومولاي رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قادة النبي ﷺ

١ ـ حمزة بن عبد المُطَّلِب.

٢ ـ عُبَيْدة بن الحارث بن المُطَّلِب.

٣ ـ عبد الله بن جَحْش الأسديّ.

٤ ـ عُمَيْر بن عَدِيّ الخَطْمِيّ الأوسِيّ.

٥ ـ سالم بن عُمَيْر الأوسِيّ.

٦ ـ محمد بن مَسْلَمَة الأوسِيّ الأنصاري.

٧ ـ سعد بن أبي وقّاص[1].

٨ ـ زيد بن حارثة الكلبيّ.

٩ ـ عبد الله بن أُنَيْس الجُهَنِيّ.

١٠ ـ عبد الله بن جُبَيْر الأوسِيّ الأنصاري.

١١ ـ أبو سَلَمة بن عبد الأسد المخزوميّ.

١٢ ـ المنذر بن عمرو السّاعِديّ الخزرجيّ الأنصاري.

١٣ ـ مَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَوِيّ.

١٤ ـ عُكّاشة بن مِحْصَن الأَسديّ.

١٥ ـ أبو عُبَيْدَة بن الجَرّاح[2].

١٦ ـ عبد الرحمن بن عَوْف.

---

(١) انظر سيرته في كتابنا: قادة فتح العراق والجزيرة ـ (٢٤٨ ـ ٢٩٦) ـ ط ٢.
(٢) انظر سيرته في كتابنا: قادة فتح الشام ومصر ـ (٥٤ ـ ٨١).

١٧ ـ علي بن أبي طالب[١].
١٨ ـ عبدالله بن عتيك الخزرجي.
١٩ ـ كرز بن جابر الفهري.
٢٠ ـ عمرو بن أميّة الضمري.
٢١ ـ عمر بن الخطاب[٢].
٢٢ ـ أبو بكر الصديق[٣].
٢٣ ـ بشير بن سعد الأنصاري الخزرجي.
٢٤ ـ غالب بن عبد الله الليثي.
٢٥ ـ ابن أبي العوجاء السلمي.
٢٦ ـ شجاع بن وهب الأسدي.
٢٧ ـ كعب بن عمير الغفاري.
٢٨ ـ جعفر بن أبي طالب.
٢٩ ـ أبو قتادة بن ربعي الأنصاري.
٣٠ ـ خالد بن الوليد[٤].
٣١ ـ عمرو بن العاص.
٣٢ ـ سعد بن زيد الأوسي.
٣٣ ـ الطفيل بن عمرو الدوسي.
٣٤ ـ عيينة بن حصن الفزاري.
٣٥ ـ قطبة بن عامر الخزرجي.
٣٦ ـ الضحاك بن سفيان الكلابي.
٣٧ ـ علقمة بن مجزز المدلجي.

---

(١) انظر كتابنا: الإمام القائد، الذي سيصدر قريباً بإذن الله.
(٢) انظر كتابنا: الفاروق.
(٣) انظر كتابنا: الصدِّيق القائد، الذي سيصدر قريباً بإذن الله.
(٤) انظر كتابنا: خالد بن الوليد المخزوم، وكتابنا: قادة فتح العراق والجزيرة (ص ٥١ ـ ٢٣٧)، ط ٢.

حَمْزَة بن عبد المُطَّلِب
أسَد الله وأسد رسوله
وسيِّـد الشهـداء

نسبه وأيّامه قبل الإسلام

هـو حمـزة بـن عبـد المُطَّلِب بـن هـاشِـم بـن عبـد مَنَـاف القُـرَشِـيّ الهاشِـمِيّ(١)، أبوه: عبد المطّلب سيِّد قريش حتى مات(٢)، وأمّه: هالة بنت أُهَيْب بنِ عبد مَنَاف بن زُهْرَة(٣)، وهي بنت عمّ آمِنَة بنت وَهْب أمّ الرسول ﷺ، وحمزة شقيق صَفِيَّة بنت عبد المُطَّلب أم الزبير بن العوّام رضي الله عنهم(٤).

ولِيَ أبوه عبد المطلب بن هاشِم السِّقاية والرِّفادة بعد عمّه المُطّلب، فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، وشَرُف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبّه قومُه، وعظُم خطره فيهم(٥)، وكان من أعماله الباقية على الدّهر حتى اليوم هو حفر بئر زَمْزَم(٦).

---

(١) نسب قريش (١٧)، وجمهرة أنساب العرب (١٥)، وانظر تفاصيل نسبه في سيرة ابن هشام (١/١ ـ ٢).
(٢) أنساب الأشراف (١/ ٦٤).
(٣) نسب قريش (١٧).
(٤) تهذيب الأسماء واللّغات (١/١٦٨).
(٥) سيرة ابن هشام (١/١٥٣).
(٦) انظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (١/ ١٥٤ ـ ١٦٤).

وحمزة، عمّ النبي ﷺ وأخوه من الرَّضاعة، أرضعتهما ثُوَيْبَة مولاة أبي لَهَب بن عبد المطلب، أرضعت النبيّ ﷺ أيّاماً، وأرضعت قبله حمزة[1].

وكان حمزة أسنّ من رسول الله ﷺ بسنتين، وقيل: بأربع، والأول أصحّ[2]، فإذا كان النبيّ ﷺ قد ولد سنة (٥٧١ م)، فإنّ حمزة قد ولد سنة (٥٦٩ م).

وشهد حمزة حرب الفُجَّار الثاني، وكان بعد عام الفيل بعشرين سنة، بعد موت عبد المطَّلِب باثنتي عشرة سنة، ولم يكن في أيام العرب أشهر منه ولا أعظم، وإنما سُمّي الفجار لما استحل الحَيَّان: كِنَانة وقيس من المحارم.

وكان بين قيس ومعها ثقيف وغيرها، وبين قريش ومعها كِنَانة والأحابيش وأسد بن خُزَيْمَة، فكان على بني هاشم الزّبير بن عبد المطَّلب ومعه رسول الله ﷺ، وإخوة الزبير وهم أبو طالب وحمزة والعبّاس بنو عبد المطّلب، وجرت المعركة بين الجانبين في (عُكاظ)[3]، فانتصرت قريش وحلفاؤها على قَيْس وحلفائها[4].

وكانت حرب الفجار أوّل تدريب عملي بالنسبة لحمزة، مارس فيها التدريب العملي على استعمال السّلاح وعاش جوّ المعركة في حرب حقيقيّة، وتحمّل فيها أعباء القتال ومشقّات الحرب، فتوّج بها تدريبه النظريّ على الفروسيّة واستعمال السّلاح واستخدام الأرض في المعركة.

(١) أنساب الأشراف (١/ ٩٤).
(٢) أسد الغابة (٢/ ٤٦).
(٣) عكاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية بين مكة والطائف بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال، انظر معجم البلدان (٦/ ٢٠٣).
(٤) انظر التفاصيل في ابن الأثير (١/ ٥٨٨ ـ ٥٩٥).

وكان عمره حين شهد حرب الفجار اثنتين وعشرين سنة، لأنّه ولد قبل عام الفيل بسنتين، وولد النبيّ ﷺ في عام الفيل[1] كما هو معروف.

وكان حمزة مغرماً بالصّيد والقنص[2]، وهو دليل على مهارته في الفروسيّة والتّسديد الدّقيق في الرّمي، كما أنّه تدريبٌ عمليٌّ على ممارسة هذين الفنّيْنِ العسكريين.

وقد كان لحمزة دور بارز في زواج النبيّ ﷺ بخديجة بنت خُوَيْلد رضي الله عنها، وكانت خديجة امرأة حازمة عاقلة شريفة، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ فعرضت عليه نفسها، وكانت أوسط نساء قريش نسباً وأكثرهنّ مالاً وشرفاً، وكلّ قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه. فلما أرسلت إلى النبيّ ﷺ، ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمّه حمزة حتى دخل على أهلها، فخطبها إليه وتزوّجها[3].

ولما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[4]، جمع النبيّ ﷺ بني المُطَّلِب وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة وأبو لَهَب، ودعاهم إلى الله[5].

وبدأ المشركون يؤذون رسول الله ﷺ، وكان ممن يؤذيه عمّه أبو لَهَب عبد العُزى بن عبد المطّلب، وكان شديداً على النبيّ ﷺ وعلى المسلمين، عظيم التكذيب له، دائم الأذى، فكان يطرح العَذِرة[6] والنتن على باب النبيّ ﷺ، وكان جاره، فكان رسول الله ﷺ يقول: «أيّ جِوارٍ هذا يا بني

(١) سيرة ابن هشام (١/ ١٧١).
(٢) أسد الغابة (٢/ ٤٦)، وابن الأثير (٢/ ٨٣).
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٢٠٥)، وفي ابن الأثير (٢/ ٤٥): خرج مع النبيّ ﷺ حمزة وأبو طالب لخطبة خديجة.
(٤) الآية الكريمة من سورة الشعراء (٢٦: ٢١٤).
(٥) ابن الأثير (٢/ ٦٢).
(٦) العذرة: فضلات الإنسان التي تخرج من بطنه، الغائط.

عبد المطّلب!». ورآه يوماً حمزة، فأخذ العَذِرة وطرحها على رأس أبي لهب، فجعل ينفضها عن رأسه ويقول: «صاحبي أحمق!»، وأقصر عما كان يفعله، لكنّه يضع مَن يفعل ذلك[1].

وهكذا نصر حمزة ابن أخيه على أخيه، لأنّه وجد أنّ أخاه هو المُعتدي، وابن أخيه هو المُعتدى عليه، فنصر المظلوم على الظالم، مما يدلّ على سريرته الطّاهرة وانحيازه إلى جانب الحق إذا تبيّن له الحق، كما يدلّ على أنّه كان يحبّ النبيّ ﷺ، ليس لأنه عمّه وأخاه بالرِّضاعة، بل أحبّه لسجاياه، والأرواح جنود مجنّدة، ما تعارف منها ائتلف.

إسـلام حمـزة

مرّ أبو جَهْل برسول الله ﷺ، وهو جالس عند (الصَّفَا)[2]، فآذاه وشتمه ونال منه وعاب دِيْنه، ومولاة لعبد الله بن جُدْعان في مسكن لها تسمع ذلك. وانصرف أبو جَهْل عن النبيّ ﷺ فجلس في نادي قريش عند الكعبة، فلم يلبث حمزة أن أقبل من قنصه متوشِّحاً قوسه، وكان إذا رجع لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان يقف على أندية قريش ويسلِّم عليهم ويتحدّث معهم، وكان أعزّ قريش وأشدّهم شكيمة. فلما مرّ بالمولاة، وقد قام رسول الله ﷺ ورجع إلى بيته، قالت له: «يا أبا عُمَارة! لو رأيتَ ما لقي ابن أخيك محمّد من أبي الحكم بن هشام، فإنّه سبّه وآذاه، ثم انصرف عنه، ولم يكلِّمه محمّد».

واجتاح الغضب حمزة، فخرج سريعاً لا يقف على أحد، كما كان يصنع، يريد الطواف بالكعبة، مُعِدّاً لأبي جهل إذا لقيه أن يَقَعَ به، حتى دخل المسجد، فرآه جالساً في القوم، فأقبل نحوه وضرب رأسه بالقوس،

---

(١) ابن الأثير (٢/ ٧٠).

(٢) الصفا: مكان مرتفع من جبل أبي قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/ ٣٦٥).

فشجّه شجّة منكرة، وقال: «أتشتمه وأنا على دينه، أقول ما يقول؟ فاردد عليّ إن استطعت».

وقامت رجال من بني مَخْزُوم إلى حمزة لينصروا أبا جَهْل، فقال أبو جهل: «دعوا أبا عُمارة، فإني سببتُ ابن أخيه سبّاً قبيحاً».

فلما أسلم حمزة، عرفت قريش أنّ رسول الله ﷺ قد عزَّ، وأنّ حمزة سيمنعه، فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[١].

وكان إسلام حمزة في السنة الثانية من مبعث رسول الله ﷺ[٢]، وقيل: بل أسلم بعد دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم في السّنة السّادسة من مَبْعَثه ﷺ[٣]، وأرجِّح الرواية الأولى، لإجماع أكثر المصادر المعتمدة عليها.

وكان حمزة قد أسلم قبل عمر بن الخطّاب، فلما أسلم عمر، قوي الإسلام بهما، وعلم المشركون أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ والمسلمين[٤].

في شِعْب[٥] أبي طالب

لما رأت قريش أنّ أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أَمْناً وقَراراً هي الحبشة، وأنّ النجاشيّ قد مَنَع مَنْ لجأ إليه منهم، وأنّ عمر وحمزة قد أسلما، وجعل الإسلام يفشو في القبائل؛ اجتمعوا وائتمروا أن

(١) أسد الغابة (٢/ ٤٦ ـ ٤٧)، وابن الأثير (٢/ ٨٣)، وانظر سيرة ابن هشام (١/ ٣١٢ ـ ٣١٣).

(٢) أسد الغابة (٢/ ٤٦)، والإصابة (٢/ ٣٧)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٦٨)، والاستيعاب (١/ ٧٦٩).

(٣) الاستيعاب (١/ ٣٦٩).

(٤) ابن الأثير (٢/ ٨٤).

(٥) الشِّعب: انفراج بين الجبلين (ج): شِعاب، وشعب أبي طالب: منزل بني هاشم ومساكنهم في مكّة، انظر معجم البلدان (٥/ ٢٧٠).

يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المُطَّلِب: على أن لا يَنْكحوا إليهم، ولا يُنْكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم. فلما اجتمعوا لذلك كتبوا صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم عَلَّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم.

وانحازت بنو هاشم وبنو المطّلب إلى أبي طالب بن عبد المطّلب، فدخلوا معه في شِعْبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العُزَّى بن عبد المطّلب إلى قريش، فظاهرهم وكان معهم في تحالفهم على إخوته وبني إخوته.

وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا، لا يصل إليهم شيء إلّا سِرّاً، مستخفياً به مَنْ أراد صلتهم من قريش. وقد كان أبو جهل بن هشام لقي حَكِيْم بن حِزَام بن خُوَيْلد بن أسد معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمّته خديجة بنت خويلد، وهي عند رسول الله ﷺ ومعه في الشِّعب، فتعلّق به وقال: «أتذهب بالطعام إلى بني هاشم! والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة». وجاءه أبو البَخْتَري بن هشام بن الحارث بن أسد، فقال: «ما لك وله!»، فقال: «يحمل الطّعام إلى بني هاشم»، فقال أبو البَخْتَرِيّ: «طعام كان لعمّته عنده، بعثت إليه، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها! خَلِّ سبيلَ الرَّجل»، فأبى أبو جهل، حتى نال أحدهما من صاحبه، فأخذ أبو البختري لَحْيَ[1] بعير فضربه به، فشجّه، ووطئه وطئاً شديداً، وحمزة قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشمتوا بهم، ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً وسرّاً وجهاراً، مبادياً بأمر الله، لا يتّقي فيه أحداً من النّاس[2].

وأخيراً مُزِّقت الصحيفة، وانتهت القطيعة، وعاد بنو هاشم وبنو

(١) اللحي: منبت اللِّحية من الإنسان وغيره، والعظمان اللذان فيهما الأسنان من ذي لَحْيٍ.

(٢) انظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (١/ ٣٧١ ـ ٣٩٦).

المطّلب إلى حياتهم الاعتيادية، وعاد معهم حمزة أقوى ما يكون دفاعاً عن النبيّ ﷺ والمسلمين[١].

الهجـرة العامّـة

أمر النبيّ ﷺ المسلمين بالهجرة إلى المدينة قاعدة المسلمين الأَمِينَة، فهاجر حمزة مع مَنْ هاجر إلى المدينة المنوّرة قُبَيْل هجرة النبيّ ﷺ إليها بوقت قصير. فنزل حمزة وزيد بن حارثة وأبو مَرْثَد كنَّاز بن حِصْن، ويقال: ابن حُصَيْن، وابنه مَرْثَد الغَنَوِيّان حليفا حمزة على كُلْثوم بن هدم أخي بني عمرو بن عوف بـ (قُباء)[٢]، ويقال: بل نزلوا على سَعْد بن خَيْثَمَة، ويقال: نزل حمزة على أَسْعَد بن زُرارة أخي بني النَّجّار[٣].

وفي المدينة المنوّرة، آخى النبيّ ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة مَوْلى رسول الله ﷺ، وإليه أوصى حمزة يوم (أُحُد) حين حضره القتال، إنْ حدث به حادث الموت[٤].

أوّل لواء في الإسلام

قدم رسول الله ﷺ المدينة، حين هاجر إليها من مكّة، يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول، وهو المجتمَع عليه، فكان أوّل لواء عقده رسول الله ﷺ لحمزة في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مُهَاجَر رسول الله ﷺ، لواء أبيض، فكان الذي حمله أبو مَرْثَد كَنَّاز الغَنَوِي حليف حمزة، وبعثه رسول الله ﷺ في ثلاثين رجلاً من المهاجرين.

---

(١) انظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٧ ـ ٤٠٦).

(٢) قباء: قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة، وهناك مسجد التقوى، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/ ٢٠ ـ ٢١).

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٩٠).

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ١٢٤)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٦٨)، والإصابة (١/ ٣٧).

وخرج حمزة يعترض لعِير قريش قد جاءت من الشّام تريد مكّة، وفيها أبو جَهل بن هشام في ثلاثمائة رجل، فبلغوا سِيْف البحر، يعني ساحله، من ناحية (العِيْص)[1] والتقى الجانبان حتى اصطفّوا للقتال، فمشى مَجْدِيّ بن عمرو الجُهَنِيّ، وكان حليفاً للفريقين جميعاً، إلى هؤلاء مرّة، وإلى هؤلاء مرّة حتى حجز بينهم ولم يقتتلوا.

وتوجّه أبو جَهْل في أصحابه وعِيره إلى مكّة، وانصرف حمزة في أصحابه إلى المدينة[2].

وبدون شك، أثّر المسلمون في معنويات قريش، فتخلّوا عن القتال بالرغم من تفوّق المشركين على المسلمين تفوّقاً ساحقاً، وخافوا المسلمين على قافلتهم التجاريّة، ورأس المال دائماً جبان، كما يقولون.

وبهذه السريّة بدأ فرض الحصار الاقتصادي على قريش، بتهديد طريق مكة - الشّام الحيوي لتجارة قريش تهديداً إيجابيّاً خطيراً.

وهناك مَنْ يذكر أنّ أوّل راية عقدها النبيّ ﷺ كانت لعُبَيْدة بن الحارث بن المُطّلب، وذلك أنّ بَعْث حمزة وبَعْث عبيدة كانا في وقتين متقاربين: الأول في رمضان، والثاني في شوّال، فشُبِّهَ ذلك على النّاس[3].

ولا مجال للاشتباه، لأنّ راية حمزة عُقدت في رمضان، بينما عُقدت راية عبيدة في شوال، أي بعد شهر تقريباً. كما شهد حمزة مع النبيّ ﷺ

(1) العيص: موضع في بلاد بني سُلَيْم به ماء يقال له: ذنبان العيص، وهو من ناحية ذي المَرْوَة على ساحل البحر، بطريق قريش التي كانوا يأخذون منها إلى الشام، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢٤٨).

(2) طبقات ابن سعد (٢/٦)، وابن الأثير (٢/١١١)، وانظر تهذيب الأسماء واللغات (١/١٦٩)، والاستيعاب (١/ ٣٧٠).

(3) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٠).

غزوة (ودّان)[1]، وكان لواؤه أبيض وكان مع حمزة في هذه الغزوة[2].

في غزوة بدرٍ الكبرى

خرج النبيّ ﷺ باتّجاه موضع (بَدْرٍ) من المدينة المنوّرة لثمانِ ليالٍ خَلَوْنَ من شهر رمضان، من السَّنة الثَّانية الهجريَّة (٦٢٣ م) على رأس أصحابه، وكان معه سبعون بعيراً يعتقبها أصحابه، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كَبْشَة وأَنَسَةُ موليا رسول الله ﷺ يعتقبون بعيراً[3] واحداً.

وفي بدرٍ، قبل نشوب القتال، خرج الأسود بن عبد الأسد المخزوميّ، وكان رجلاً شَرِساً سيِّىءَ الخُلق، فقال: «أعاهد الله لأشربنّ من حوضهم أو لأهدِمَنَّهُ أو لأَمُوتَنَّ دونه»، فخرج إليه حمزة، فلما التقيا ضربه حمزة فأطنّ[4] قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تَشْخُبُ[5] رجله دماً، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ليبرّ يمينه، واتبعه حمزة، فضربه حتى قتله في الحوض.

ثم خرج بعده عُتْبَة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد بن عُتْبَة، حتى إذا فَصَل[6] من الصفّ دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار، فقالوا: «مَنْ أنتم؟»، فقالوا: «رَهْط من الأنصار»، قالوا: «ما لنا بكم من حاجة»، ثم نادى مناديهم: «يا محمّد! أَخرجْ إلينا أكفاءنا من قومنا»، فقال رسول الله ﷺ: «قُمْ يا عُبَيْدة بن الحارث. قم يا حمزة، قم يا عَلِيّ». ولما قاموا ودنوا منهم قالوا: «مَنْ أنتم؟»، ذكروا أسماءهم، فقالوا: «نعم، أكفاء كرام».

---

(١) قرية قريبة من الجحفة، بين مكة والمدينة.

(٢) ابن الأثير (٢/ ١٢٣).

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٥١).

(٤) أطن قدمه: أطارها.

(٥) تشخب: تسيل بصوت.

(٦) فصل: خرج.

وبارز عُبَيْدَة، وكان أسنّ القوم عُتْبَةَ بن ربيعة، وبارز حمزةُ شَيْبَةَ، وبارز عليٌّ الوليد بن عُتْبَة.

فأما حمزة، فلم يُمْهل شيبة أن قتله، وأما عليّ فلم يُمْهل الوليد أن قتله، واختلف عُبَيْدَة وعُتْبَة بينهما ضربتين، كلاهما جرح صاحبه، فكرّ عليّ وحمزة بأسيافهما على عتبة، فَذَفَّفا عليه[1]، واحتملا صاحبهما إلى معسكر المسلمين[2].

لقد أبلى في بدر بلاءً عظيماً، وقاتل بسيفين[3]، وقد سأل أُميّةُ بن خلف الذي أسر يوم (بدر) عبدَ الرحمن بن عوف: «مَنْ الرّجُل المُعْلَم بريشة نعامة في صدره؟»، فقال عبد الرحمن بن عوف: «حمزة بن عبد المطّلب»، فقال أُميّة: «هو الذي فعل بنا الأفاعيل»[4].

إنّ دور حمزة في غزوة بدرٍ الكبرى الحاسمة، لم يكن دوراً اعتيادياً، بل كان دوراً بارزاً للغاية، فقد قتل أشجع شجعان قريش وأكثرهم إقداماً، الذي تحدّى المسلمين في محاولة الشرب من حوضهم أو هدمه، وقتل شيبة وشارك في قتل عُتْبة ابني ربيعة، وهما من أبرز أشراف قريش ومن أشجع شجعانها، وبذلك أثّر أعمق الأثر في معنويات قريش، فانهارت تلك المعنويات من جرّاء هذه البداية غير الموفّقة، والجيش الذي يخسر معنوياته لا ينتصر أبداً.

ولم يكن حمزة يقاتل بصورة اعتياديّة في بدر، بل كان مستقتلاً في قتاله، فقتل كثيراً من المشركين، ومزّق صفوفهم، وشَدَّ عليهم شَدَّة لا هوادة فيها، وطارد فلولهم بدون رحمة، وفعل بهم الأفاعيل.

---

(١) ذَففا عليه: أسرعا في قتله، وأجهزا عليه.

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٥)، ابن الأثير (٢/ ١٢٤ ـ ١٢٥).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٦٨).

(٤) ابن الأثير (٢/ ١٢٧).

لقد كان حمزة بحق بطل غزوة بدر الكبرى، فلا عجب أن تشتدّ نقمة المشركين عليه ويستهدفون حياته الغالية إذا نشب القتال بينهم وبين المسلمين من جديد.

في غَزْوَة بني القَيْنُقاع

لما عاد رسول الله ﷺ من بدرٍ، أظهرت يهود له الحسد بما فتح الله عليه وبغوا ونقضوا العهد، وكان قد وادعهم حين قدم المدينة مهاجراً، فلما بلغه حسدهم، جمعهم بسوق بني قَيْنُقَاع وقال لهم: «احذروا ما نزل بقريش وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبيّ مرسل»، فقالوا: يا محمّد! لا يغرنّك أنّك لقيتَ قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبتَ منهم فرصة؛ فكانوا أوّل يهود نقضوا ما بينهم وبينه.

وبينما هم على مجاهرتهم وكفرهم، إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سوق بني قَيْنُقَاع، فجلست عند صائغ لأجل حلى لها، فجاء رجل منهم فخلّ درعها إلى ظهرها، وهي لا تشعر، فلما قامت بدت عورتها، فضحكوا منها، فقام إليه رجل من المسلمين فقتله، ونبذوا العهد إلى رسول الله ﷺ، وتحصّنوا بحصونهم، فغزاهم رسول الله ﷺ، وحاصرهم خمس عشرة ليلة، فنزلوا على حكمه، فأجلاهم عن المدينة إلى (أَذْرِعَات)[1].

وكان لواء النبيّ ﷺ مع حمزة، وكان اللِّواء أبيض[2]، وكانت الغزوة يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من مُهاجَره عليه الصّلاة والسّلام[3].

ومن المعلوم أنّ اللِّواء يحمله اعتيادياً أشجع الشّجعان، لأنّ الدفاع عنه وإبقاءه مرفوع دون أن يهوى إلى الأرض أو يعفّر بالتراب، لا يتمّ إلاّ

(١) أذرعات: موضع يقع في شرقي الأردن حالياً، وهو بين أجنادين والشام.
(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٢٨ ـ ٣٠)، وابن الأثير (٢/ ١٣٧ ـ ١٣٨).
(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٢٨ ـ ٢٩).

لشجعان مشهود لهم بالشّجاعة والإقدام والثبات وقوّة الأعصاب والألمعيّة والذكاء.

فـــي غـزوة أُحُـــد

١ ــ فـي المعركـة:

كانت غزوة أُحُد يوم السّبت لسبع ليالٍ خلون من شوّال، على رأس اثنين وثلاثين شهراً من مُهاجَره عليه الصّلاة والسّلام[١]، في السنة الثالثة الهجرية (٦٢٤ م)، وقد استقبل النبيّ ﷺ المدينة، وتركَ أُحُداً خلف ظهره، وجعل وراءه الرُّماة وهم خمسون رجلاً، وأمّر عليهم عبد الله بن جُبَيْر، أخا خَوَّات بن جُبَيْر، وقال له: «انضح عنّا الخيل بالنّبل، لا يأتونا من خلفنا، واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا»، وظاهَرَ رسول الله ﷺ بين درعَين، وأعطى اللِّواء، مُصْعَب بن عُمَيْر، وأمّر الزبير بن العوّام على الخيل ومعه المِقْداد، وخرج حمزة بالجيش بين يديه[٢].

ونشب القتال بين الجانبين، واقتتل الناس قتالاً شديداً، وأمعن في الناس حمزةُ وعليّ وأبو دُجانة في رجالٍ من المسلمين، وكانت الهزيمة على المشركين، وهرب النِّساء مصعّدات في الجبل، ودخل المسلمون عسكرهم يغنمون. فلما نظر بعض الرّماة إلى العسكر حين انكشف الكفّار عنه، أقبلوا يريدون الغنائم، وثبت طائفة منهم وقالوا: نطيع رسول الله ﷺ ونثبت في مكاننا.

ولما فارق بعض الرّماة مكانهم، رأى خالد بن الوليد قلّة مَنْ بقي من الرّماة، فحمل عليهم وقتلهم، وحمل على أصحاب النبيّ ﷺ من خلفهم. فلما رأى المشركون خيلهم تقاتل، أعادوا الكرّة على المسلمين، فهزموهم وقتلوهم[٣].

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦).
(٢) ابن الأثير (٢/ ١٥٢).
(٣) ابن الأثير (٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤).

وكان حمزة قد أبلى بلاءً عظيماً في هذه المعركة، فقد قتل أحداً وثلاثين من الكفّار[1].

٢ ــ الشّهيــد:

قاتل حمزة حتى مَرّ به سِبَاع بن عبد العُزّى العُبْشَانِيّ، وكان يكنّى بأبي نِيار، فقال له حمزة: «هَلُمَّ إليّ يا ابنَ مُقَطِّعَةِ البُظُور»، وكانت أمّه أمّ أنمار مولاة شَرِيق بن الأخنس بن شريق، وكانت خَتَّانة بمكة، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله.

قال وحْشِيّ غلام جُبَير بن مطعم: «والله إني لأنظر إلى حمزة يَهُدّ[2] الناس بسيفه ما يُلِيْقُ[3] به شيئاً مثل الجمل الأورق[4]، إذ تقدّمني إليه سِباع بن عبد العُزّى، فقال له حمزة: هَلُمَّ إليَّ يا ابن مُقَطِّعة البُظُور، فضربه ضربة، فكأنما أخطأ رأسه[5]. وهَزَزْتُ حربتي، حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت في ثُنَّته[6]، حتى خرجت من بين رجليه، فأقبل نحوي، فَغُلِبَ فوقع، وأمهلته حتى إذا مات، جئت فأخذت حربتي، ثمّ تنحّيتُ إلى العسكر، ولم يكن لي بشيءٍ حاجة غيره»[7].

وكان وحشيّ غلاماً لجبير بن مطعم، وكان عمّه طُعَيْمَة بن عَدِيّ قد أصيب يوم بدر، فلما سارت قريش إلى أُحُد، قال جُبَيْر لوحشي: «إنْ قتلتَ حمزة عمّ محمّدٍ، فأنت عَتيق»، فخرج وحشي مع الناس. وكان رجلاً حبشيّاً يقذف بالحربة قذف الحبشة، قلّما يُخطىء، فلما التقى الجانبان خرج

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٦٩)، والإصابة (٢/ ٣٧)، وأسد الغابة (٢/ ٤٢).
(٢) يهد: يهلكهم، ويروى: يهذّ في ابن الأثير (٢/ ١٥٦)، ومعناه: يسرع في قتلهم.
(٣) ما يليق: ما يبقى.
(٤) الأورق: الذي لونه بين الغبرة والسّواد.
(٥) فكأنما أخطأ رأسه: يقال هذا عند المبالغة في الإصابة، كذا في الزرقاني على المواهب.
(٦) الثنيّة: أسفل بطنه. والثنّة: أسفل البطن.
(٧) سيرة ابن هشام (٣/ ١٥).

ينظر حمزة، فلما قَتَلَ حمزةَ عاد أدراجه إلى معسكر قريش وقعد فيه، إذ لم يكن له بغير حمزة حاجة، وإنما قتله ليُعْتَق، فلما عاد إلى مكة أُعتِق[1].

وقد استُشهد حمزة يوم السبت النصف من شهر شوّال[2] من سنة ثلاث الهجرية[3] (٦٢٤ م).

وخرج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة، فوجده ببطن الوادي قد بُقِرَ بطنه عن كبِده، ومُثِّل به فجُدِعَ أنفُه وأُذناهُ، فحزن عليه النبيّ ﷺ. فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺوغيظه على مَنْ فعل بعمِّه ما فعل. قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدّهر، لنمثِّلنّ بهم مُثْلَةً لم يُمَثِّلها أحد من العرب.

ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال: «لن أُصاب بمثلك أبداً، ما وَقَفْتُ موقفاً قطّ أغيظُ إليَّ من هذا»[4].

وكُفِّن حمزة في بُرْدَة[5]، إذا غُطِّيَ رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطِّيت رجلاه خرج رأسه، فغُطِّيَ رأسه وجُعل على رجليه إذْخِر[6].

ووضع النبيّ ﷺ حمزة فصلّى عليه، ثمّ جيءَ برجل فوُضع فصلّى عليهما جميعاً، ثم رفع الرّجل وجيءَ بآخر، فما زال يفعل ذلك حتى صلّى يومئذ على حمزة سبعين صلاة[7].

وأقبلت صَفِيّة بنت عبد المطّلب شقيقة حمزة لتنظر إلى حمزة قبل دفنه، فقال النبيّ ﷺ لابنها الزُّبير بن العَوّام: «الْقَها فارْجِعْها، لا ترى

---

(١) سيرة ابن هشام (٣/١٧)، والبداية والنهاية (٤/١٨).

(٢) أسد الغابة (٢/ ٤٧).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٦٩).

(٤) سيرة ابن هشام (٣/٤٧).

(٥) البردة: كساء مخطّط يلتحف به. (ج): بُرْدٌ، وبُرَد.

(٦) إذخر: نبات فيه رائحة طيبة.

(٧) طبقات ابن سعد (٣/ ١٥ ـ ١٦).

ما بأخيها»، فقال لها: «يا أُمّت! إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي»، قالت: «ولِمَ؟ وقد بلغني أنْ قد مُثِّل بأخي، وذلك في الله! فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحْتَسِبَنّ ولأَصْبِرَنّ إن شاء الله!»، فلما جاء الزُّبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، قال: «خَلِّ سبيلها»، فأتته ونظرت إليه وصلّت عليه واسترجعت واستغفرت له[1].

ولم يَر النبيّ ﷺ مَنْظراً أوجع لقلبه من منظر حمزة مقتولاً مُمَثّلاً به، فقال: «رحمك الله أي عم! فلقد كنتَ وصولاً للرَّحم، فعولاً للخيرات، فوالله لئن أظفرني الله بالقوم لأُمثلنّ بسبعين منهم»[2]، فما برح حتى نزل قول الله في قول رسول الله ﷺ وقول أصحابه: **﴿وإنْ عاقَبْتُمْ فعاقِبُوا بمثْلِ ما عُوْقِبْتُمْ به، ولَئِنْ صَبَرْتُم لَهُوَ خَيْرٌ للصَّابِرِيْنَ، واصْبِرْ ومَا صَبْرُكَ إلاَّ باللَّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ في ضَيْقٍ مِمّا يُمْكُرُون﴾**[3]، فعفا رسول الله ﷺ، وصبر، ونهى عن المُثْلَة[4].

ثم أمر رسول الله ﷺ بحمزة فدفن في (أُحُد) ودفن معه ابن أخته عبد الله بن جحش وأمّه أُمَيْمَة بنت عبد المطّلب، وكان قد مُثِّل به أيضاً[5].

وقبرهما معروف في (أُحُد) حتى اليوم.

ولما رجع رسول الله ﷺ من أُحُد، سمع نساء بني عبد الأَشْهَل من الأنصار يبكين على شهدائهنّ، فقال: «لكنَّ حمزة لا بواكي له»، فاجتمع نساء وبكين حمزة، فسمع رسول الله ﷺ بكاءهنّ، فقال: «مَنْ هؤلاء؟»، فقيل: نساء الأنصار، فخرج إليهن فقال: «ارجعن، لا بكاء بعد اليوم»[6]،

---

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ٤٨).
(٢) الاستيعاب (١/ ٣٧٤).
(٣) الآيتان الكريمتان من سورة النّحل (١٦ : ١٢٧ ـ ١٢٧).
(٤) سيرة ابن هشام (٣/ ٤٥ ـ ٤٦).
(٥) البداية والنهاية (٤/ ٤٢).
(٦) طبقات ابن سعد (٣/ ١٨).

ودعا لهنّ ولأولادهنّ وأولاد أولادهنّ بالخير والبركة والرحمة[١].

وكان النبيّ ﷺ قد مرّ في طريق عودته من أُحُد إلى المدينة بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحُد، فلما نُعُوا لها قالت: «فما فعل رسول الله ﷺ؟»، قالوا: خيرًا يا أُمّ فلان! هو بحمد الله كما تحبين، قالت: «أَرُونِيْه حتىٰ أنظر إليه»، فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: «كلُّ مصيبة بَعْدَكَ جَلَلٌ»، تريد صغيرة[٢].

وكانت فاطمة بنت النبيّ ﷺ، تأتي قبر حمزة تَرُمّه وتُصْلِحُهُ[٣].

وهكذا ضحّى حمزة بنفسه من أجل الدِّفاع عن عقيدته، ولم يُضح بعقيدته من أجل الدفاع عن نفسه، فاستحقّ لقب أسد الله وأسد رسوله[٤]، وسيِّد الشهداء[٥]، وحزن عليه النبيّ ﷺ حزناً لم يحزن مثله على أحد غيره، وقال عنه: «حمزة سيِّد الشهداء»[٦]، لأنه كان يقاتل بين يدي رسول الله ﷺ في أُحُد بسيفين، فيذهل الناس بشجاعته وإقدامه، حتى يقول قائلهم فيه: أيّ أسد[٧]!.

لقد كان استشهاد حمزة خسارة للمسلمين كافة، لا لآل البيت وحدهم، لأنه كان رجلاً في أمّة، وأمّة في رجل، لا يعيش لنفسه بل للمسلمين جميعاً.

رثــاؤه

حظي حمزة بعد استشهاده بكثير من المراثي لكثير من الشعراء المسلمين، مما يدلّ على حبّ الناس له وإعجابهم به وتقديرهم لسجاياه.

(١) طبقات ابن سعد (١٣/ ١٨)، وسيرة ابن هشام (٣/ ٥٠).
(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ٥١).
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ١٩).
(٤) سيرة ابن هشام (٣/ ٤٧).
(٥) الإصابة (٢/ ٣٧).
(٦) الاستيعاب (١/ ٣٧٢).
(٧) الاستيعاب (١/ ٣٧٣).

قال كعب بن مالك يرثي حمزة وقتلى أُحُد من المسلمين رضي الله عنهم:

نَشَجْتَ وهل لك من مَنْشَجِ ... وكنتَ متى تَذَّكِرْ تَلْجُجِ[1]

فقلبُكَ من ذِكْرِهِمْ خافِقٌ ... من الشَّوْق والحُزْنِ المُنْضَجِ

وقتلاهُمُ في جِنان النَّعيمِ ... كرامُ المداخِلِ والمَخْرَجِ

بما صبروا تحت ظلِّ اللِّواء ... لواء الرَّسول بذي الأَضْوُجِ[2]

غداة أجابت بأسيافها ... جميعاً بنو الأوس والخزرج

وأشياع أحمدَ إذ شايعوا ... على الحقِّ ذِي النّور والمنهج

فما بَرِحُوا يضربونَ الكُماة ... ويمضون في القَسْطَلِ المُرْهِجِ[3]

كذلك حتى دعاهم مليكٌ ... إلى جنّةٍ دَوْحةِ المُوْلِجِ[4]

فكلّهُمُ ماتَ حُرَّ البلاءِ ... على مِلَّةِ الله لم يَحْرُجِ[5]

كحمزة لَمَّا وَفَى صادقاً ... بذي هَبّةٍ صارمٍ سَلْجَجِ[6]

فلاقاهُ عبدُ بني نَوْفَلٍ ... يُبَرْبِرُ كالجمل الأدْعَجِ[7]

فأَوْجَرَهُ حربةً كالشِّهاب ... تَلَهَّبُ في اللَّهَب الموهِجِ[8]

---

(١) نشجت: بكيت، والنشيج: البكاء مع صوت متردد. وتلجج: هو من اللجج، وهو التمادي في الشيء والإقامة عليه.

(٢) الأضوج: جمع ضوج، وهو جانب الوادي.

(٣) الكماة: الشجعان، واحدهم كميّ، والقسطل: الغبار. والمرهج: الذي ثار حتى علا وارتفع في الجو.

(٤) الدوحة: الكثيرة الأغصان. والمولج: المدخل، وأراد هنا أنّ الجنة كثيرة الأبواب.

(٥) لم يحرج: لم يأثم.

(٦) بذي هبّة: أراد به سيفًا. وهبّة السيف: وقوعه بالعظم. والصارم: القاطع. سلجج: مرهف حاد قاطع.

(٧) أراد بعبد بني نوفل: وحشياً. ويبربر: يتكلّم بما لا يفهم. والجمل الأدعج: الأسود.

(٨) أوجره: طعنه في صدره. والشهاب: القطعة من النار. والموهج: المتّقد.

ونُعمـــان أوفـــى بميثـــاقــه　　　وحنظلــةُ الخيـر لـم يُخْنَـجِ[1]
عـن الحـقّ حتـى غـدت روحـه　　　إلـى منـزلٍ فـاخـرِ الـزِّبْـرِجِ[2]
أولئـــك لا مَـــنْ ثـــوى منكـــمُ　　　من النّار في الـدَّرَكِ المُـرْتَـجِ[3]

وقال حسّان بن ثابت يرثي حمزة وشهداء أُحُد:

أشـاقـكَ مـن أمِّ الـوليـدِ رُبُـوعُ　　　بَـلاَقِـعُ مـا مـن أهلهـنّ جميـع[4]
عفـاهُـنَّ صَيْفِـيّ الـرِّيـاحِ وواكِـفٌ　　　من الدَّلْوِ رجّافُ السَّحَاب هَمُوع[5]
فلـم يبـقَ إلاّ مَـوْقِـدُ النَّـار حـوْلـه　　　رواكـدُ أمثـالُ الحَمـام كُنُـوع[6]
فَـدَعْ ذكـرَ دارٍ بَـدَّدتْ بيـن أهلهـا　　　نـوىً لِمَتِيْنَـاتِ الحِبَـال قَطـوع[7]
وَقُـلْ إنْ يكـن يـومٌ بـأُحُـدٍ يعـدُّه　　　سفيهٌ، فإنَّ الحقَّ سوف يشيع[8]
فقد صابرت فيه بنو الأوس كلّهم　　　وكـان لهـم ذكـرٌ هنـاك رفيـعُ
وحامى بنو النجّار فيه وصابروا　　　وما كان منهم في اللِّقاء جزوع
أمـامَ رسـول الله لا يخـذلـونـه　　　لهـم نـاصـرٌ مـن ربِّهـم وشفيـع
وَفَوْا إذ كفرتُمْ يا سَخِينَ بـربِّكُم　　　ولا يستـوي عبـدٌ وَفَـى وَمُضِيْـع[9]

(١) لم يجنح: لم يصرف عن وجهه الذي أراد من الحق.
(٢) الزبرج: الموشّى، وهو أيضاً الذّهب.
(٣) المرتج: المغلق، تقول: أرتجت الباب: إذا أغلقته.
(٤) ربوع: جمع ربع، وهو المنزل. وبلاقع: جمع بلقع، وهو القفر الخالي، وجميع: مجتمع مؤتلف.
(٥) عفاهنّ: غيرهن ودرس جدتهن، وواكف: المطر السائل. وقوله: من الدلو: أراد نجم الدلو. ورجّاف: متحرك شديد الصوت. وهموع: سائل كثير السيلان.
(٦) رواكد: جمع راكدة وهي الثابتة، وأراد بالراكدة: الأثافي، وهي الحجارة التي ينصبونها لوضع القدور عليها. وكنوع: لاصقة بالأرض.
(٧) النوى: البعد. ومتينات الحبال: الغليظ الشديد منها. وقطوع: شديدة القطع، وأراد هنا بالحبال الوصال والاجتماع بين الأهل والمحبين.
(٨) يشيع: يفشو أمره وينتشر ذكره وينبه شأنه.
(٩) ياسخين: أراد ياسخينة، وهي الحساء يتخذ من الدقيق، وكانت قريش تنبز بها.

بأيديهمُ بِيْضٌ إذا حَمِشَ الوَغَى ... فلا بدّ أن يَرْدَى لهنّ صريع[1]
كما غادرت في النَّقْعِ عُتْبَة ثاوِياً ... وسَعْداً صريعاً والوَشِيْجُ شُرُوع[2]
وقد غادرت تحت العجاجَة مُسْنَداً ... أُبَيّاً وقد بلَّ القميصَ نَجِيْع[3]
بكفِّ رسول الله حيث تنصَّبَتْ ... على القوم مما قد يُثِرْنَ نُقُوع[4]
أولئك قوم سادة من فُرُوعكم ... وفي كلِّ قومٍ سادةٌ وفُروع
بهنّ نُعِزّ الله حتى يُعِزَّنا ... وإن كان أمرٌ يا سَخِيْنَ فظيع[5]
فلا تذكروا قتلى وحمزةُ فيهمُ ... قتيل ثوى لله وهو مطيع
فإنَّ جنَان الخُلْدِ منزلةٌ له ... وأمرُ الذي يقضي الأمورَ سريعُ
وقتلاكُمُ في النّار أفضل رزقهم ... حَمِيْمٌ مَعاً في جوفها وضَرِيْعُ[6]

وقال حسّان بن ثابت يرثي حمزة سيّد الشهداء:

أتَعْرِفُ الدارَ عَفَا رَسْمها ... بعدكَ صَوْبُ المُسْبِلِ الهاطِلِ[7]
بين السّراديح فأُدْمانَةٍ ... فَمَدْفعُ الرَّوْحاء في حائلِ[8]
سألتُها عن ذاكَ فاسْتَعْجَمَتْ ... لم تَدْرِ ما مَرْجُوعَةُ السَّائلِ[9]

---

(١) حمش: اشتدّ وقوي. والوغى: الحرب، ويردى: يهلك.
(٢) غادرت: تركت. والنقع: الغبار. وثاوياً: مقيماً. والوشيج: الرماح. وشوج: مائلة للطعن.
(٣) العجاجة: الغبرة والتراب الثائر. والنجيع: الدم.
(٤) نقوع: جمع نقع، وهو الغبار.
(٥) ياسخين: مضى تفسيرها قريباً. والفظيع: الثقيل الكريه.
(٦) الحميم: الحار. والضريع: نبات أخضر يرمى به البحر، وانظر القصيدة في سيرة ابن هشام (٣/ ١٠٧ ـ ١١٠).
(٧) عفا: غيّر ودرس. ورسمها: أثرها. والصّوب: المطر. والهاطل: الكثير السيلان.
(٨) السراديح: جمع سرداح، وهو الوادي، ويقال: المكان المتّسع. وأدمانة: مكان بعينه. والمدفع: حيث يندفع السيل. والروحاء: اسم موضع. وحائل: جبل.
(٩) استعجمت: لم ترد جواباً. ومرجوعة السائل: رجوع جوابه.

دَعْ عنكَ داراً قد عفا رسمُها وابْكِ على حمزةَ ذِي النّائل[1]
المالىءِ الشِّيزَى إذا أَعْصَفَتْ غبراءُ في ذِي الشَّبِمِ الماحِلِ[2]
والتّارِكِ القِرْنَ لذي لِبْدَة يَعثُر في ذي الخُرصِ الذّابل[3]
واللّابسِ الخيلَ إذا أَحْجَمَتْ كاللّيث في غابته الباسل
أبيض في الذِّرْوَة من هاشم لم يَمرْ دون الحقّ بالباطل[4]
مال شهيداً بين أسيافكم شُلَّت يدا وحْشِيٍّ من قاتل
أيَّ امرىءٍ غادرَ في آلةٍ مَطْرورةٍ مارِنَةِ العامل[5]
أظلمتِ الدنيا لِفقْدانِه واسودّ نور القمر النّاصِل[6]
صلّى عليه اللهُ في جَنّةٍ عاليةٍ مُكْرَمَةِ الدّاخِلِ
كنّا نرى حمزة حرزاً لنا في كلِّ أمرٍ نابَنَا نازِلِ
وكان في الإسلام ذا تُدْرَإٍ يكفيكَ فَقْدَ القاعِدِ الخاذِل[7]
لا تفرحي يا هندُ واسْتَجْلِبي دمعاً وأذْري عَبْرَةَ الثّاكل[8]
وابكي على عُتْبَةَ إذ قَطَّهُ بالسّيف تحتَ الرَّهَجِ الجائل[9]

(١) النائل: العطاء.
(٢) الشيزى: الجفان المصنوعة من خشب الشيز؛ وأعصفت: اشتدّت. يقال: عصفت الريح وأعصفت: إذا اشتدّ هبوبها. والغبراء: التي تثير الغبار وتهيجه، والشبم: الماء البارد. والماحل: من المحل، وهو القحط.
(٣) القرن: الذي يقاومك في القتال. واللبدة: الغبار الملبد. وذو الخرص: الرمح، والخرص: سنانه، وجمعه: خرصان. والذابل: الرقيق الشديد.
(٤) لم يمر: لم يمارِ ولم يجادل.
(٥) غادر: ترك. وآلة: الحربة التي لها سنان طويل. والمطرورة: المحددة. والمارنة: اللينة. والعامل: أعلى الرمح.
(٦) الناصل: الخارج من السحاب. (٧) ذا تدرأ: كثير الدفاع عنا.
(٨) أذْري: اسكبي واسترخصي، والعَبْرة: الدمعة، والثّاكل: المرأة التي فقدت ولدها.
(٩) قَطَّه: قطعه نصفين، والرهج: الغبار، والجائل: المتحرِّك الثائر ممّا أثارته سنابك الخيل وأقدام المحاربين.

إذا خَــرَّ فـــي مشيخـــةٍ منكُـــمُ		مــن كـــلِّ عـــاتٍ قلبـــه جـــاهـــلِ
أرداهُـــمُ حمـــزةُ فـــي أُسْـــرَةٍ		يمشون تحت الحَلَقِ الفاضِلِ[١]
غـــداة جِبْـــرِيـــل وزيـــرٌ لـــه		نِعْـمَ وزيـرُ الفـارس الحـامِـلِ[٢]

وقال كعب بن مالك يبكي حمزة رضي الله عنه:

طَرَقَتْ همومُكَ فالرُّقادُ مُسَهَّدُ		وجزعتَ أَنْ سُلخَ الشَّبابُ الأغْيَدُ[٣]
وَدَعَــتْ فـؤادَكَ للهـوى ضَمْـرِيَّـة		فهواك غَوْرِيٌّ وصَحْبُك مُنْجِد[٤]
فَدَعِ التمادي في الغَوايةِ سادراً		قد كنتَ في طلب الغَواية تُفْنَد[٥]
ولقـد أَنَـى لَـكَ أنْ تَنَـاهَـى طـائعـاً		أو تستفيق إذا نهـاكَ المـرشـد[٦]
ولقـد هُـدِدْتَ لفَقْـدِ حمـزةَ هَـدَّةً		ظلَّتْ بناتُ الجَوْف منها تُرْعَد[٧]
ولَـوَ انّــه فُجِعَــت حِـراءُ بمثلـه		لرأيــتَ راسِـيَ صخرِهـا يتبدّد[٨]
قِـــرْمٌ تمكّـنَ فـي ذؤابـة هـاشـمٍ		حيث النبوّةُ والنّدى والسؤدد[٩]

(١) أرداهم: أوردهم الردى، وهو الهلاك. وأسرة: قرابة، وذلك لأن حمزة قتل عتبة وشيبة أخاه وحنظلة بن أبي سفيان وأمه هي هند. والحلق: الدروع. والفاضل: الذي يفضل عن لابسه ويزيد عنه، وينجرّ على الأرفق.
(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ١٣٢ ـ ١٣٥).
(٣) المسهد: القليل النوم في الأصل، وأراد المسهّد صاحبه، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. سلخ: أزيل. الأغيد: الناعم.
(٤) ضمرية: منسوبة إلى بني ضمرة، إحدى القبائل العربية. وغوري: منسوب إلى الغور، وهو المنخفض من الأرض.
(٥) الغاوي: ضد الراشد، وهو المتحير في سبيل الضلال. وتفند: تلام وتعذل وتكذب. والفند أيضاً: الكلام الذي لا يعقل.
(٦) أنى: حان.
(٧) بنات الجوف: أراد قلبه وما اتّصل به من كبده وأمعائه، لأن الجوف يضمّها ويشتمل عليها.
(٨) حراء: اسم جبل. وأنثه باعتباره بقعة من الأرض. والراسي: الثابت ويتبدد: يتفتت.
(٩) القرم: الفحل. وذؤابة هاشم: أعاليها، وأراد أسمى أنسابها وأرفعها.

والعاقِرُ الكُومَ الجِلَادِ إذا غدت ... ريحٌ يكادُ الرِّيح فيها يَجْمُد[1]
والتّـاركُ القِـرْنَ الكَمِـيَّ مُجَـدَّلاً ... يومَ الكريهـة والقَنـا يَتَقَصَّد[2]
وتـراه يَـرْفُـل في الحديـد كأنّـه ... ذو لِبْدَةٍ شَثْنُ البَراثِـنِ أَرْبَد[3]
عَـمّ النبـيّ محمّـدٍ وصفيّـهُ ... وَرَدَ الحِمَـام فطـابَ ذاك المـورد
وأتـى المنيَّـة مُعْلَمـاً فـي أُسْـرَةٍ ... نصروا النبيَّ ومنهمُ المُسْتَشْهِدُ[4]
ولقـد إخـالُ بـذاك هِنْـداً بُشِّـرَت ... لِتُمِيْتَ داخـلَ غُصّـة لا تَبْـرُد[5]
ممّـا صَبَحْنـا بـالعَقَنْقَـلِ قـومَهـا ... يـومٌ تغيّـبَ فيـه عنهـا الأسعـد[6]
وببئـر بـدرٍ إذ يـردُّ وجـوهَهـم ... جِبـريـلُ تحـتَ لـوائنـا ومحمّـد
حتـى رأيـتُ لـدَى النبـيّ سراتَهـم ... قِسْمَيـن نَقْتُلُ من نشاء ونَطْـرُدُ
فـأقـام بـالعَطَـنِ المُعَطَّـنِ منهـمُ ... سبعـون عُتْبـةُ منهـمُ والأسـود[8]
وابـنَ المُغِيْـرَةِ قـد ضـربنـا ضَـرْبَـةً ... فوق الوَرِيْد لها رَشَاشٌ مُزْبِدُ[9]

---

(١) الكوم: جمع كوماء، وهي من الإبل العظيمة السنام. والجـلاد: القويّة. وريح يكاد الماء فيها يجمد: أيام الشتاء.

(٢) الكمي : الشجاع. ومجدّلاً: مطروحاً على الجدالة، وهي الأرض. ويتقصّد: يتكسّر.

(٣) يرفل: يمشي مختالاً. والحديد: الدوع. وذو لبدة: الأسد، واللبدة الشعر الذي على كتفي الأسد. وشثن: غليظ. والبراثن: هي للأسد بمنزلة الأصابع للإنسان. وأربد: أغبر يُخالط لونَهُ سوادٌ.

(٤) معلماً: مشهراً نفسه بعلامة تميزه من سائر المحاربين. وأسرة: رهط.

(٥) إخال: أظنّ. والغصة: ما يقف في الحلق فيخنق.

(٦) العقنقل: الكثيب من الرمل، أراد به كثيب بدر. وصبحناهم: أتيناهم صباحاً للغارة عليهم.

(٧) سراتهم: أشرافهم وخيارهم. ونطرد: نسوقه كما تساق الأنعام، يريد إنّا قتلنا قسماً وأسرنا قسماً آخر.

(٨) العطن: مبرك الإبل حول الماء. والمعطن: الذي عود أن يتّخذ عطناً.

(٩) الوريد: عرق في صفحة العنق. ورشاش مزبد: يريد دماً تعلوه الرغوة.

وأُميّة الجُمَحِيّ قَوَّمَ مَيْلَهُ عَضْبٌ بأيدي المؤمنين مهنّد[1]
فأتاك فَلُّ المشركين كأنّهُم والخيلُ تَثْفِنُهُم نعامٌ شُرَّدُ[2]
شتّانَ مَنْ هو في جهنم ثاوياً أبداً ومن هو بالجِنانِ مُخَلَّدُ[3]

وقال كعب بن مالك يرثي حمزة رضي الله عنه:

صَفيّةُ قومي ولا تعجزي وبَكّي النِّساءَ على حمزةِ
ولا تَسْأَمي أن تُطيلي البُكا على أسدِ اللهِ في الهِزَّةِ[4]
فقد كان عزّاً لأيتامنا وليثَ الملاحِمِ في البِزَّةِ[5]
يريدُ بذاك رضا أحْمَدٍ ورضوانَ ذي العرْشِ والعِزّةِ[6]

وقال كعب بن مالك يرثي حمزة رضي الله عنه[7]:

بكَتْ عَيْني وحقّ لها بُكاها وما يُغني البكاءُ ولا العويل[8]
على أسدِ الإلّه غداة قالوا أحمزةُ ذاكُمُ الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً هناك وقد أصيبَ به الرّسول
أبا يَعْلَى لكَ الأركانُ هُدَّتْ وأنت الماجدُ البَرُّ الوَصول[9]
عليك سلامُ ربِّك في جِنانٍ مُخالِطُها نعيمٌ لا يزول
ألا يا هاشم الأخيار صبراً فكُلُّ فعالكم حَسَنٌ جميل

---

(١) عضب: سيف قاطع.
(٢) فلّ المشركين: المنهزمون منهم. وتثفنهم: تطردهم وتتبع آثارهم، وأصله الأول من ثفنات البعير، وهي ما حول الخف. وشرد: جمع شاردة.
(٣) ثاوياً: مقيماً ليس يبرحها، ويروى (تاوياً)، وهو الهالك. انظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٣٦ ـ ١٣٨).
(٤) الهزّة: الاختلاط في الحرب.
(٥) الملاحم: جمع ملحمة، وهي الحرب التي يكثر فيها القتلى.
(٦) سيرة ابن هشام (٣/ ١٣٩ ـ ١٤٠).
(٧) وتروى هذه القصيدة لعبد الله بن رواحة أيضاً، انظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٤٨).
(٨) العويل: البكاء مع ارتفاع الصوت.
(٩) أبو يعلى: هي كنية حمزة رضي الله عنه، وكان حمزة يكنى بابنه يعلى، ولم يعش لحمزة ولد غيره، وأعقب يعلى خمسة من البنين ثم انقرض عقبهم، وكذلك كان يكنى أبا عمارة. والماجد: الشريف.

رســـول اللهِ مُصْطَبِـــرٌ كَـــرِيـــمٌ ... بـــأمـــر اللهِ يَنْطِـــقُ إذ يقـــول

ألا مَـــنْ مُبْلِـــغٌ عنِّـــي لُـــؤَيّـــاً ... فبعـــد اليـــوم دائلـــةٌ تَـــدُول[1]

وقبـل اليـوم مـا عَـرَفـوا وذاقـوا ... وقـائعنـا بهـا يُشفـى الغليـل[2]

نسيتُـم ضـربنـا بقَلِيـبِ بـدرٍ ... غـداةَ أتـاكـمُ المـوتُ العَجِيْـل[3]

غـداةَ ثَـوَى أبـو جَهْـلٍ صـريعـاً ... عليـه الطيـر حـائمـة تجـول[4]

وعُتْبَـــةُ وابنـــه خـــرّا جميعـــاً ... وشَيْبَـةُ عضّـهُ السيـف الصَّقِيـل[5]

ومَتْـــرَكُنـــا أُميّـــةَ مُجْلَعِبّـــاً ... وفـي حَيْـزُومِـــهِ لَـدْنٌ نبيـل[6]

وَهَـامَ بنـو ربيعـة سـائِلـوهـا ... ففـي أسيـافنـا منهـا فُلـول

ألا يـا هنـدُ فـابْكِـي لاتمَلِّـي ... فـأنـتِ الـوالِـهُ العَبْرى الهَبُـول[7]

ألا يـا هنـد لا تُبْـدي شَمَـاتـاً ... بحمـــزة إنّ عـــزّكُـــمُ ذليـــل[8]

تلك غيض من فيض القصائد التي قيلت في رثاء حمزة والشهداء الآخرين وفي غزوة أُحُد، تدلّ دلالة واضحة على مبلغ حزن المسلمين كافة على استشهاد حمزة بخاصة والشهداء الآخرين بعامة، وهي إن دلّت على شيءٍ، فإنّما تدلّ على سجاياه الرفيعة التي كان يتمتّع بها حيّاً، والفراغ الهائل الذي خلّفه بعد استشهاده.

---

(١) دائلة تدول: يريد دائرة الحرب.

(٢) الغليل: حرارة الجوف من عطش أو حزن.

(٣) العجيل: العاجل السّريع.

(٤) حائمة: تدور حوله، وتجول: تجيء وتذهب.

(٥) خرّا جميعاً: سقطا على الأرض.

(٦) مجلعبّاً: معناه أنه ممتد مع الأرض. والحيزوم: أسفل الصدر. واللدن: الرمح اللّين.

(٧) الواله: الشديد الحزن. والعبرى: الكثيرة الدّمع. والهبول: التي فقدت عزيزها.

(٨) سيرة ابن هشام (٣/ ١٤٨ ـ ١٤٩)، وانظر الاستيعاب (١/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥)، والإصابة (٢/ ٣٨).

الإنسـان

لم يُسْلِم من ولد عبد المطلب بن هاشم أحد إلاّ حمزة والعبّاس[١].

وولد حمزةُ عُمارةَ، وأمّه خولة بنت قيس بن فَهْد الأنصاري؛ ويَعْلى، وعامِر، أمهما أنصاريّة، وابنة تزوجها سَلَمَة بن أبي سَلَمَة بن عبد الأسد المخزوميّ[٢].

يكنّى: أبا عُمارة، وأبا يَعْلَى أيضاً بابنيه عُمَارة ويَعْلَى[٣]، وقد انقرض عقب حمزة رضي الله عنه[٤].

واسم ابنة حمزة: أُمامة، وكان رسول الله ﷺ قد زوّج أُمامةَ بنت حمزة سَلمَةَ بن أبي سلمة المخزومي، فماتت قبل أن يجمعها[٥].

وآخى رسول الله ﷺ بين حمزة وبين زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وبهذا السبب خاصم زيد علياً وجعفراً ابني أبي طالب في ابنة حمزة، فدفعها رسول الله ﷺ إلى جعفر، لأنّ خالتها أسماء بنت عُمَيْس كانت عند جعفر[٦]، وكانت عند حمزة أختها سلمى بنت عُمَيْس[٧].

كان من السّابقين إلى الإسلام، فأعزّ الله به المسلمين والإسلام[٨]، ولم يقف موقفاً سلبياً بعد إسلامه، بل وقف موقفاً إيجابياً مدافعاً عن النبيّ ﷺ وعن المسلمين كافة، وبقي موقفه إيجابياً حتى استُشهد في غزوة

---

(١) الاستيعاب (١/ ٣٧١)، وجمهرة أنساب العرب (١٧).
(٢) جمهرة أنساب العرب (١٧).
(٣) الاستيعاب (١/ ٣٦٩).
(٤) جمهرة أنساب العرب (١٧).
(٥) المحبّر (٦٤).
(٦) المحبّر (٧٠ ـ ٧١).
(٧) المحبّر (١٠٦)، والتنبيه والإشراف (٢٦٣).
(٨) جوامع السيرة لابن حزم (٦٤).

أُحُد، فقدّم روحه هدية للمصلحة العامة للمسلمين، فربح نفسه وخسره المسلمون.

وكان الحافز لإسلامه، حميّته على ابن أخيه الذي آذاه أبو جهل واضطهده وأهانهُ لا لشيءٍ إلاّ أن يقول: ربّي الله، فتحدّى قريشاً بإسلامه، وانتقم من أبي جهل[1] علناً. ولكن يبدو أنّ جذور الإيمان في نفس حمزة كانت أعمق جذوراً، فقد كان عمّ النبيّ ﷺ، وكان مقارباً له في السنّ، يعرفه حق المعرفة، لأنّه مطّلع على أدقّ تفاصيل أحواله إنساناً ونبيّاً، فهو واثق بالنبيّ ﷺ ثقة بغير حدود، فكان إيذاء النبيّ ﷺ الحافز الذي فجّر إيمان حمزة، فأعلن إسلامه على ملأ من قريش.

لقد كان حمزة أعزّ قريش وأشدّهم شكيمة[2]، فكان إسلامه عزّاً للمسلمين، فقوي الإسلام به[3]، وصدق حسّان بن ثابت، إذ قال في رثائه:

كنّا نرى حمزة حرزاً لنا في كلِّ أمر نابَنَا نازِل

كما صدق كعب بن مالك، إذ قال في رثائه أيضاً:

أُصيب المسلمون به جميعاً هناك وقد أُصيب به الرسولُ

ولكنّ القول بأنّ حمزة خسره المسلمون لشجاعته الفذّة وبطولته النادرة دفاعاً عن الإسلام والمسلمين على صواب هذا القول وصدقه، إلاّ أنّه لا يغني عن كلِّ قول.

فالواقع أنّ حمزة، كان يرعى المسلمين في السّلام رعاية الأب لابنه والأم لولدها، كما كان يدافع عنهم في الحرب دفاع القائد الشّجاع والبطل المغوار، وصدق كعب في رثائه:

(١) أسد الغابة (٢/ ٤٦ ـ ٤٧)، وابن الأثير (٢/ ٨٣)، وانظر سيرة ابن هشام (١/ ٣١٢ ـ ٣١٣).
(٢) أسد الغابة (٢/ ٤٦).
(٣) ابن الأثير (٢/ ٨٤).

فقد كان عزّاً لأيتامنا   وليث الملاحم في البِزَّة

إنه بحق الأب الحنون والأم الرءوم للمسلمين كافة في السّلام، والمدافع عنهم بروحه في الحرب.

لقد كان إنساناً رفيعاً في سجاياه، من أولئك الذين خُلقوا للخير والمُثل العليا، فكان كلّ حياته رهين مُثُله العُليا، لا يفكّر بغيرها، ولا يعمل إلاّ من أجلها، فعاش لها ومات دفاعاً عنها، ولا نعلم أنّه شغل نفسه بالتجارة أو أتعبَ نفسه للثراء، فقضى عمره فقيراً، ومات فقيراً، ولم يَكْتَنِز درهماً ولا ديناراً، ولا اقتنى داراً وعقاراً، فكان فقيراً بالمادة، غنيّاً بالروح.

وكان عمره حين استُشهد تسعاً وخمسين سنة على قول مَن يقول: إنّه كان أسنّ من رسول الله ﷺ بأربع سنين، وقيل: كان عمره أربعاً وخمسين سنة[١].

فإذا ثبت لنا أنّ حمزة أسنّ من رسول الله ﷺ بسنتين[٢]، وأنّه ولد سنة (٥٧٩ م)، واستشهد في السنة الثالثة الهجريّة (٦٢٤ م)، فمعنى ذلك أنّه عاش ستاً وخمسين سنة قمرية وخمساً وخمسين سنة شمسيّة.

ومضى حمزة إلى ربّه طاهر الذيل، عفّ اللِّسان، مرفوع الرأس، طيِّب الذِّكر، سخّر طاقاته لخدمة عقيدته وخدمة الناس، ولم يسخِّر عقيدته ولا أحداً من الناس لخدمته، مَلَكَ روحه فما ضنّ بها على الإسلام، بل ضحّى بها طوعاً مُقبلاً غير مدبر، فكانت روحه اللَّبنة الصلدة في صرح الدين الحنيف.

القائد

كان حمزة من أبطال المسلمين الأولين، مشهوداً له بالشّجاعة

---

(١) أسد الغابة (٢/ ٤٩).

(٢) أسد الغابة (٢/ ٤٦).

والإقدام، ولعلّ شجاعته الفائقة هي التي فرضت احترامه الشديد على النّاس قبل الإسلام وبعد الإسلام، بالإضافة إلى سجاياه الرَّفيعة الأخرى، التي يمكن أن أُطلق عليها: سجايا الفروسيّة.

لقد اعتدى أبو جَهْل المخزوميّ على النبيّ ﷺ، فشجّه شَجّة منكرة في البيت الحرام، وهو بين قومه بني مخزوم، وهم أعزّ قريش، فقام بنو مخزوم لينصروا أبا جهل، ولكنّ حمزة تحدّاهم جميعاً بإعلانه الإسلام قائلاً: «وما يمنعني وقد استبان لي منه ذلك، أنا أشهد أنّه رسول الله ﷺ، وأنّه الذي يقول الحق، فوالله لا أنزع، فامنعوني إن كنتم صادقين»، فقال أبو جهل: «دعوا أبا عُمارة، فإني والله قد سببت ابن أخيه سبّاً قبيحاً»(١).

لقد منع أبو جهل قومَه بني مخزوم من نصرته على حمزة، لأنّه كان يعلم أنّ نصرته ستكلِّفه وتكلِّف قومه غالياً، فانسحب من تحدي حمزة راضياً بالذل والهوان بين قومه بني مخزوم وحشد رجال قريش، خوفاً من حمزة لا إشفاقاً عليه، وهكذا تفرض الشجاعة نفسها فرضاً على الأعداء والأصدقاء.

وعزّ الإسلام بحمزة والمسلمون بعد إسلامه، لأنّه شجاع لا كالشجعان، وهو الذي جندل رجالات قريش في المبارزة يوم بدر ويوم أُحُد أيضاً، وفعل بهم الأفاعيل في القتال.

وحسبنا دليلاً على مبلغ شجاعته الفائقة، ما حظي به من تكريم النبيّ ﷺ الذي أطلق عليه: أسد الله، وأسد رسوله.

ولعلّ أكبر دليل على كفايته القياديّة، أنّ النبيّ ﷺ قلّده أوّل لواء في الإسلام، فبعثه على رأس سرية في ثلاثين من المهاجرين، ليتصدّى لقافلة قريش بقيادة أبي جهل في ثلاثمائة من المشركين، فاصطفّ الجانبان للقتال،

---

(١) أسد الغابة (٢/٤٧).

ولكنهما حجزا فلم يكن هناك أيّ قتال، ولكنّ أثَر حمزة في المشركين من الناحية المعنويّة كان عظيماً.

وما كان حمزة في كلٍّ حياته يخشى أن يقع على الموت أو يقع الموت عليه، لهذا كان يضع علامة في رأسه أو على صدره، يتميّز بها عن المجاهدين الآخرين، دون أن يحسب أيّ حساب لإظهار شخصيته لأعدائه متحدّياً لهم غير هيّاب ولا وَجِل مما يكتنفه من هذا التحدّي على حياته من أخطار.

وليس توليته أوّل قيادة إلاّ دليلاً على ثقة النبيّ ﷺ بقيادة حمزة، لأنّها أوّل مجابهة بين المسلمين والمشركين، ونتائجها تؤثر في معنويات الجانبين تأثيراً حاسماً. وهذه الثقة النبويّة، لشجاعته ولمزاياه القياديّة الأخرى.

وكما كان حمزة موضع ثقة النبيّ ﷺ، كان موضع ثقة المسلمين كافة، وكان يبادلهم ثقة بثقة، والثقة المتبادلة من مزايا القائد المتميّز.

كما كان موضع محبّة النبيّ ﷺ وموضع محبّة المسلمين جميعاً، وكان حمزة يبادلهم حباً بحب وتقديراً بتقدير.

وقد تيسّرت لحمزة مزايا القائد الثلاث الرئيسة: الطبع الموهوب، والعلم المكتسب والتجربة العمليّة.

فقد وهبه الله طبعاً هو طبع القائد الموهوب، فالشجاعة طبع أصيل فيه، وكان ألمعيّ الذكاء، وهذا أيضاً من الطبع الموهوب.

ولعلّ ثقته العالية بنفسه في القتال، هي نتيجة من نتائج شجاعته وذكائه، فصقل هذا الطّبع بالعلم المكتسب في التدريب على استعمال السِّلاح والفروسيّة وتحمّل المشاق والصّبر والمصابرة والإيمان العميق بالقضاء والقدر.

أما تجربته العملية، فقد مارس القتال من نعومة أظفاره في حرب

الفِجار، إلى استشهاده في غزوة أُحُد، فسقط مضرّجاً بدمائه، ولم يسقط من يده السيّف.

أما مزايا القائد الفرعيّة أو الثانويّة، فقد كان حمزة يتمتّع بأكثرها وأهمها.

فقد كان سريعَ القرار سليم القرار، ذا إرادة قويّة ثابتة، يتحمل المسؤولية كاملة ولا يتهرّب منها ولا يلقيها على عواتق غيره من القادة أو المرءوسين، له نفسية ثابتة لا تتبدّل في حالة النّصر أو الهزيمة، وكان عارفاً بنفسيّات رجاله وقابلياتهم لأنه يعيش معهم ويقضي أكثر وقته بينهم، ذا شخصيّة نافذة قويّة، له قابلية بدنية فذّة، وماضٍ ناصع مجيد.

وكان قائداً يطبّق مبادىء الحرب: يختار مقصده ويسعى إلى تحقيقه، قائداً تعرّضياً لا يلجأ إلى الدِّفاع، يتوخّى تطبيق مبدأ المباغتة أهم مبادىء الحرب على الإطلاق، يحشد قوّاته لتحقيق مقصده، ويقتصد بالقوّة ولا يسرف فيها، ويحقِّق الأمن لرجاله وغالباً ما يستأثر بالخطر ويؤثرهم بالاطمئنان، خططه مرنة لتناسب المواقف المتبدِّلة بسرعة في الحرب، يطبّق مبدأ التعاون تطبيقاً متميِّزاً، يديم معنويات رجاله وهو بحق عنصر من أهم عناصر رفع المعنويات في رجاله، ويهتمّ بتأمين الأمور الإدارية للعاملين بإمرته.

وهو كذلك يساوي نفسه مع رجاله، ولا يتميّز عنهم بالرّاحة وقد يتميّز عنهم بالعناء، ويشاور رجاله ولا يستبدّ دونهم بالقرار.

ولم تطل مدّته في القيادة، فقد سارع إلى الشهادة، وإلا لكان له شأن عظيم في سرايا النبيّ ﷺ وغزواته، ولكان له شأن عظيم في أيام الفتح الإسلاميّ العظيم.

حمـزة فـي التاريـخ

يذكر التاريخ لحمزة، أنّه كان شخصيّة مرموقة من شخصيات قريش في الجاهليّة.

ويذكر له، أنّ إسلامه كان عِزّاً للإسلام والمسلمين.

ويذكر له، أنّه كان بَطَل الإسلام والمسلمين في مكّة المكرّمة، وظلّ بَطَل الإسلام والمسلمين بعد هجرته إلى المدينة المنوّرة.

ويذكر له، أنّه تقلّد أوّل لواء في الإسلام في بداية الصراع الحاسم بين المسلمين والمشركين.

ويذكر له، أنّه بَطَل الإسلام والمسلمين في غزوة بَدْر، وكان لجهاده الفذّ وشجاعته الخارقة أعظم الأثر في نصر المسلمين على المشركين في تلك الغزوة الحاسمة.

ويذكر له، أنّه بطل الإسلام والمسلمين في غزوة أُحُد، فضحّى بروحه من أجل عقيدته ولم يُضَحِّ بعقيدته من أجل روحه.

ويذكر له، أنّه خدم الإسلام والمسلمين في السّلام كما خدم الإسلام والمسلمين في الحرب.

رضي الله عن سيف الله، وسيف رسوله، سيِّد الشهداء، أسد الله، وأسد رسوله، عمّ النبيّ ﷺ، حمزة بن عبد المطّلب القُرَشِيّ الهاشمي.

عُبَيْدَة بن الحارث بن المُطَّلِب
القائد الشّهيد

نسبه وأيامه الأولى

هو عُبَيْدَة بن الحارث بن المُطّلب بن عبد مَناف بن قُصَيّ[1] القُرَشِيّ المُطَّلِبيّ[2]، وفي عبد مناف يجتمع مع رسول الله ﷺ عُبَيْدَةُ وإخوته.

أُمّه: سُخَيْلَة بنت خُزاعِي بن الحُويرث بن حبيب بن مالك بن الحارث بن جُشَم بن قَسِيّ[3]. وهو ثَقيف.

ولد سنة (٥٦١ م)، لأنّه أسنّ من النبيّ ﷺ بعشر سنين[4] الذي ولد سنة (٥٧١ م)، ولا نعلم شيئاً عن أيامه في الجاهليّة.

أسلم هو وأبو سَلَمَة بن عبد الأسد وعبد الله بن الأرقم المخزومي وعثمان بن مَظْعون في وقت واحد[5]، وكان إسلامه قديماً[6]، وكان إسلامه قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرْقَم بن أبي الأرقم وقبل أن يَدْعُو فيها[7]، فهو من السّابقين الأولين لاعتناق الدين الحنيف.

(١) نسب قريش (٩٢ ـ ٩٣).
(٢) الاستيعاب (٣/ ١٠٢٠).
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٠).
(٤) أسد الغابة (٣/ ٣٥٦)، والإصابة (٤/ ٢٠٩ ـ ٢١٠).
(٥) أسد الغابة (٣/ ٣٥٦).
(٦) الإصابة (٤/ ٢٠٩)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٥١).
(٧) الاستيعاب (٣/ ١٠٢٠).

آخى النبيّ ﷺ في مكّة بينه وبين بلال الحَبَشِيّ مولى أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه[١]، فقد آخى عليه الصّلاة والسّلام بين أصحابه المهاجرين في مكّة، وكان آخى بينهم على الحق والمواساة وذلك بمكّة[٢] المكرّمة.

وحين اشتدّ أذى قريش على المسلمين، وأذن النبيّ ﷺ بالهجرة إلى المدينة، هاجر عبيدة من مكّة إلى المدينة مع أخويه الطُّفَيْل والحُصَيْن ابني الحارث ومع مِسْطَح بن أُثَاثة بن عَبَّاد بن المطّلب، ونزلوا على عبد الله بن سَلَمَة العَجْلانِيّ[٣] في المدينة المنوّرة، وكانوا قبل خروجهم اتّعدوا بطن ناجح[٤]، فتخلّف مِسْطَح لأنه لُدغ، فلما أصبحوا جاءَهم الخبر، فانطلقوا إليه فوجدوه بـ (الحَصَاص)[٥]، فحملوه وقدموا المدينة[٦].

في المدينة المنورة

استقرّ عبيدة في المدينة المنوّرة بعد هجرته إليها مع أخويه وذوي قرباه، فبدأ صفحة جديدة من حياته في الدفاع عن الإسلام، ووضع طاقاته المادية والمعنوية من أجل تحقيق هذه الغاية.

وفي المدينة المنوّرة آخـىٰ النبيّ ﷺ بينه وبين عُمَيْر بن الحُمَام الأنصاري وقُتِلا جميعاً يوم بدر[٧].

وكان عُبَيْدَة وصحبه حين هاجروا من مكّة إلى المدينة، قد نزلوا على

---

(١) أنساب الأشراف (١/ ٢٧٠)، والمحبّر (٧١).
(٢) المحبّر (٧٠).
(٣) أسد الغابة (٣/ ٣٥٧)، وفي طبقات ابن سعد (٣/ ٥١): أنه عبد الرحمن.
(٤) بطن ناجح: أحد الوديان القريبة من مكّة.
(٥) الحصاص: في معجم البلدان (٣/ ٢٨٣)، الحصحاص، جبل مشرف على ذي طوى بالقرب من مكة.
(٦) طبقات ابن سعد (٣/ ٥١).
(٧) طبقات ابن سعد (٣/ ٥١)، والمحبّر (٧١)، وفي أنساب الأشراف (١/ ٢٧٠) أنه آخى بين عبيدة وحمام بن الجموح ويقال: عمرو بن الجموح، والأول أصحّ.

عبد الله بن سَلَمَـة أخي بنـي العَجْـلَان بِقُبَاء[١]، وهي قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكّة[٢]، فأقطع النبيّ ﷺ لعبيدة وأخويه الطُّفَيْل والحُصَيْن موضع خُطّتهم اليوم بالمدينة فيما بين بقيع الزُّبَيْر وبني مازِن[٣]، وكان عليه الصّلاة والسّلام يُقْطع المهاجرين الذين لا يملكون أرضاً قطعة من الأرض التي لا يملكها أحد أو يتبرّع بها أصحابها من الأنصار، وبذلك أصبحت لعبيدة دار قريبة من مسجد رسول الله ﷺ، قلب المدينة المنوّرة، ودماغها المفكّر، والثكنة الأولى في الإسلام.

وكان لعبيدة قدر ومنزلة كبيرة عند رسول الله ﷺ[٤]، وهذا دليل قاطع على ما كان يتمتّع به عُبَيْدة من سجايا رفيعة وإيمان عميق، وكفاية عالية.

سرّيـة عُبَيْـدَة

كان أوّل لواء عقده رسول الله ﷺ بعد أن قدم المدينة لحمزة بن عبد المطّلب، ثم عقد بعده لواء عبيدة[٥]. فقد بعث عليه الصّلاة والسّلام سرية عبيدة إلى بطن (رابِغ)[٦] في شوّال على رأس ثمانية أشهر من مُهاجَر رسول الله ﷺ، عقد له لواءً أبيض كان الذي حمله مِسْطَح بن أثَاثَة بن المُطَّلِب بن عبد مُنَاف، بعثه رسول الله ﷺ في ستين رجلاً من المهاجرين ليس فيهم أنصاريّ، فلقي أبا سُفْيان بن حَرْب، وهو على مائتين من أصحابه، على ماء يقال له (أحياء)[٧] من بطن (رابِغ) على عشرة أميال من

---

(١) جوامع السيرة (٨٩).
(٢) انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/ ٢٠ ـ ٢١).
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٥١)، وجاء فيه: موضع خطبتهم، وأعتقد أنها خطّتهم لا خطبتهم، وهو تصحيف.
(٤) أسد الغابة (٣/ ٣٥٧).
(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٥١).
(٦) رابغ: وادٍ بين الجحفة وودّان، على طريق المدينة ـ مكة.
(٧) ماء أحياء: ماء أسفل من ثنية المرّة. انظر معجم البلدان (١/ ١٤٥).

(الجُحْفَة)[1] وأنت تريد (قُدَيْداً)[2] عن يسار الطريق، وإنّما نكبوا عن الطريق ليرعوا ركابهم، فكان بينهم الرّمي ولم يسلّوا السيوف ولم يصطفّوا للقتال، وإنما كانت بينهم المناوشة. إلّا أنّ سَعْد بن أبي وَقَّاص قد رمى يومئذ بسهم، فكان أوّل سهم رُمي به في الإسلام، ثمّ انصرف الفريقان[3] وعاد المسلمون إلى المدينة، وعاد المشركون إلى مكّة.

وفرّ من المشركين إلى المسلمين المِقْداد بن عمرو البَهْرانِيّ حليف بني زُهْرَة، وعُتْبَة بن غَزْوان بن جابر المازنيّ حليف بني نَوْفَل بن عبد مَنَاف، وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصّلا بالكفار، وكان على المشركين عِكْرِمة بن أبي جَهل في رواية أخرى[4].

وهناك مَنْ يذكر أنّ أوّل راية عقدها النبيّ ﷺ كانت لعبيدة[5] لا لحَمزة بن عبد المطَّلب، وذلك أنّ بَعْثَ حمزة وبَعْثَ عبيدة كانا في وقتين متقاربين: الأول في رمضان، والثاني في شوّال؛ فشبّه ذلك على الناس[6].

ولا مجال للاشتباه، لأنّ راية حمزة عقدت في رمضان، بينما عقدت راية عبيدة في شوّال، أي بعد شهر تقريباً.

وبالرغم من أنّ القتال لم ينشب في هذه المعركة، فلم يحرز أيّ طرف من الطرفين انتصاراً في القتال، إلّا أنّ سرية عبيدة أحرزت انتصاراً معنوياً على المشركين لا ريب فيه، لأنّ انسحاب مئتين من المشركين بين فارس وراجل، أمام ستين من المسلمين، يدلّ على أنّ معنويات المسلمين

---

(١) الجحفة: قرية على طريق المدينة ـ مكة، انظر معجم البلدان (٣/ ٦٢).
(٢) قديد: اسم موضع قرب مكة، انظر معجم البلدان (٧/ ٣٨).
(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٧)، وانظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٤).
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥)، وانظر طبقات ابن سعد (٢/ ٧).
(٥) الاستيعاب (٣/ ١٠٢٠)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٤).
(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٠).

كانت عالية، ومعنويات المشركين كانت منهارة، والانتصار المعنوي لا يقلّ أهميّة عن الانتصار الماديّ إنْ لم يكن أكثر أهميّة منه وأعظم أثراً وتأثيراً.

وقد فرح المسلمون بنتائج هذه السرية، ولا أدلّ على ذلك من الشعر الغزير الذي سجّلوا به أثر هذه السريّة، ولو أنّ أكثر أهل العلم بالشِّعر يشكّ في صحّة نسبته إلى قائليه[1]، ولكن تبقى دلالته على أهمية نتائج هذه السرية، في مثل ذلك الوقت المبكِّر من تاريخ المسلمين في المدينة المنورة.

الشَّهيــد

خرج النبيّ ﷺ باتِّجاه موقع (بَدْرٍ) من المدينة المنوّرة لثماني ليالٍ خَلَوْن من شهر رمضان، من السنة الثانية الهجريّة (٦٢٣ م) على رأس أصحابه، وكان معه سبعون بعيراً يعتقبها أصحابه، وكان بين عُبيدة والطُّفَيْل والحُصَين بني الحارث ومِسْطَح بن أُثاثة ناضح[2] ابتاعه عبيدة من أبي داود الأنصاري المازنيّ[3].

وعندما نشب القتال بين المسلمين والمشركين في غزوة (بدر)، خرج عُتْبَة بن ربيعة بين أخيه شَيْبَة وابنه الوليد بن عُتْبَة، حتى إذا فصل[4] من الصفّ دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار، فقالوا: «مَنْ أنتم؟»، فقالوا: «رهط من الأنصار»، فقالوا: «ما لنا بكم من حاجة؟». ثمّ نادى مناديهم: «يا محمّد! أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا»، فقال رسول الله ﷺ: «قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، قم يا عليّ»، ولما قاموا ودنوا منهم قالوا: «مَنْ أنتم؟»، ذكروا أسماءهم، فقالوا: «نعم، أكفاء كرام».

---

(١) انظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٥ ـ ٢٢٩).
(٢) الناضح: الدّابة يُسْتقى عليها جمعها: نَواضِح.
(٣) أنساب الأشراف (١/ ٢٨٩).
(٤) فصل: خرج.

وبارز عبيدة، وكان أسنّ القوم عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة. وبارز عليٌّ الوليد بن عتبة.

فأما حمزة، فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما عليّ فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما جرح صاحبه، فكرّ عليّ وحمزة بأسيافهما على عتبة، فَذَفَّفا عليه[1]. واحتملا صاحبهما إلى معسكر المسلمين[2].

وكان عُبَيْدَة في هذه المبارزة أمير جماعته من المسلمين: حمزة وعليّ رضي الله عنهما[3] في رهط المبارزة من المسلمين الذين بارزوا رهط المبارزة من المشركين، وكان له غناء عظيم في غزوة بدر[4] الحاسمة.

ولكنّ عُتْبَة بن ربيعة قطع رجل عُبَيْدَة في المبارزة حين جرح كلّ واحد منهما خَصْمَهُ في تلك المبارزة[5]، فحمل عبيدة إلى النبيّ ﷺ وجرحه ينزف دماً، فقال له عبيدة: «يا رسول الله! ليت أبا طالب حيٌّ، حتى يرى مصداق قوله:

«كَذَبْتُمْ وبيْتِ اللَّهِ نُبْزَى محمّداً ... ولمَّـا نُطَـاعِـنْ دونَـه ونُنَـاضِـل
ونُسْلِمُـهُ حتـى نُصَـرَّعَ حَـوْلَـهُ ... ونُذْهَلَ عن أبنائنا والحلائل»[6]

وكان النبيّ ﷺ قد وضع رأس عبيدة على ركبته[7]، ويومَها كان

---

(١) ذفف عليه: أجهز عليه.
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٥)، وابن الأثير (٢/ ١٢٢ ـ ١٢٥).
(٣) ابن الأثير (٢/ ١٢٥).
(٤) الاستيعاب (٣/ ١٠٢٠).
(٥) الإصابة (٣/ ٢١٠)، وانظر الاستيعاب (٣/ ١٠٢٠).
(٦) نسب قريش (٩٤)، وانظر ابن الأثير (٢/ ١٢٥)، ونبزى: نقهر، أي لا نحميه وندافع عنه.
(٧) أسد الغابة (٣/ ٣٥٧).

عبيدة أسنّ المسلمين الذين شهدوا غزوة بدر[١].

وعاد عبيدة مع رسول الله ﷺ من بدر، وفي طريق عودته إلى المدينة توفّي عبيدة بـ (الصَّفْراء)[٢] فدفن بها بذات أجذال أسفل من عين الجدول بالصَّفراء[٣].

وهكذا انتهت حياة عبيدة الحافلة بالجهاد بالشهادة، فاستراح بالصَّفراء بعد أن أتعب نفسه طويلاً دفاعاً عن الإسلام والمسلمين.

الإنســـــان

كان لعبيدة من الولد: معاوية، وعَوْن، ومُنْقِذ، والحارث، ومحمّد، وإبراهيم، ورَيْطَة، وخديجة، وسُخَيْلة، وصَفِيَّة، لأمّهات أولاد شتى[٤].

زوجته: زينب بنت خُزَيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامِر بن صَعْصَعَة[٥]. وكان يقال لزينب: أمّ المساكين، وكنِّيت بذلك في الجاهلية. ثمّ إنّ رسول الله ﷺ خطبها وتزوجها في رمضان سنة ثلاث الهجريّة، فأقامت عنده ثمانية أشهر وماتت في آخر شهر ربيع الآخر سنة أربع الهجريّة، ودفنها رسول الله ﷺ وصلّى عليها[٦].

وكانوا يكرِّمون الشهداء بأن يخلفوهم على زوجاتهم، وكان النبيّ ﷺ قد خلف عُبَيْدة على زينب زوجه، مما يدلّ على مكانته السّامية في نفس النبيّ ﷺ.

---

(١) الاستيعاب (٣/ ١٠٢٠)، وأسد الغابة (٣/ ٣٥٧).

(٢) الصَّفراء: قرية كثيرة النخل والمزارع، وماؤها عيون كلّها وهي فوق ينبع مما يلي المدينة. انظر معجم البلدان (٥/ ٣٦٧).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٥١ ـ ٥٢)، وانظر الاستيعاب (٣/ ١٠٢١).

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٠).

(٥) المحبّر (٨٣).

(٦) أنساب الأشراف (١/ ٤٢٩).

وزوجة عبيدة الأخرى: عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى[1].

والطُّفَيْل والحُصَيْن هما أخوا عبيدة: شهد الطُّفَيل بدراً والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، وتوفّي سنة اثنتين وثلاثين الهجرية، وهو ابن سبعين سنة، وذلك في خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنه. وشهد الحُصَين بدراً والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، وتُوفي في خلافة عثمان بن عفّان بعد الطُّفيل بأشهر[2].

وكان لعبيدة قدرٌ ومنزلة عند رسول الله ﷺ[3]، مما يدلّ على أنه كان يتمتّع بصفات إيمانية ومزايا بشريّة عالية جداً، فقد كان النبيّ ﷺ يقدِّر الناس ويضعهم حسب منازلهم التي يستحقونها بالنسبة لصفاتهم ومزاياهم وسجاياهم فقط.

ولا نعلم أنّه ترك درهماً ولا ديناراً، غير داره التي بناها على الأرض التي وهبها له النبيّ ﷺ في المدينة، وكانت داراً بسيطة جداً كغيرها من دور الصّحابة الكرام.

وإذا كان عبيدة أسنّ من النبيّ ﷺ بعشر سنين، وأنّه ولد سنة (٥٦١ م)، واستُشهد بغزوة بدر في السنة الثانية الهجرية (٦٢٣ م)، فمعنى ذلك أنّه عاش اثنتين وستين سنة شمسية، وثلاثاً وستين سنة قمرية[4].

وكان عبيدة رجلاً مربوعاً حسن الوجه[5].

ويروى أنّ النبيّ ﷺ لما نزل بالصَّفراء في إحدى غزواته، قال له

---

(١) المحبّر (٤٣٧).

(٢) نسب قريش (٩٥)، وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ٥٢ ـ ٥٣).

(٣) الاستيعاب (٣/ ١٠٢٠).

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٢)، والاستيعاب (٣/ ١٠٢١)، وأسد الغابة (٣/ ٣٥٧).

(٥) الاستيعاب (٣/ ١٠٢١)، وأسد الغابة (٣/ ٣٥٧).

أصحابه: «إنّا نجد ريح المسك!!»، فقال: «وما يمنعكم؟ وههنا قبر أبي معاوية»[1].

وكان يكنى: أبا الحارث، وأبا معاوية، ويبدو أنّ الحارث توفي، فأصبح يكنّى بابنه الثاني.

وهكذا مضى عبيدة إلى ربِّه بعد أن قدّم كل شيء للإسلام والمسلمين، دون أن يأخذ لنفسه شيئاً، فكان طرازاً فريداً من الإنسان صاحب العقيدة الرّاسخة التي يعيش لها ويموت من أجلها.

القائد

كانت لعبيدة مكانة عظيمة عند النبيّ ﷺ، ومن مكانته أنّه عقد له اللّواء الثاني في الإسلام بعد لواء أسد الله وأسد رسوله وسيِّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عمّ النبيّ ﷺ، مما يدلّ على أنَّ عبيدة كان يتمتّع بسجايا قيادية مميّزة، منها الشجاعة والإقدام والذكاء، وحسن الإدارة لرجاله ومعرفة الأساليب القتالية المعروفة في وقته.

ولعلّ أمر النبيّ ﷺ لعبيدة أن يخرج لمبارزة أبطال قريش المعروفين، دليل قاطع على ثقته بشجاعته وإقدامه وبطولته.

أما مزاياه القياديّة الأخرى، فمن الصعب اكتشافها، لأنّ المعارك التي خاضها قليلة، فلم تطل حياته لتبرز تلك المزايا في سرايا النبيّ ﷺ وغزواته أو في أيام الفتح الإسلامي العظيم بعد انتقال النبيّ ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

أما سبب عدم قضاء عبيدة على خصمه الذي بارزه يوم بدر، بل جرح كلّ واحد منهما خصمه، فإنّ المبارزة تعتمد القوّة البدنية والمهارة في الفروسية وتسديد السّلاح، وقد كان فارساً لا غبار على مهارته في الفروسيّة، وكان هدّافاً في تسديد سلاحه، ولكنّ قوته البدنية مشكوك فيها،

(١) الاستيعاب (٣/ ١٠٢١).

لأنّه كان في الثالثة والستين من عمره، فهو شيخ طاعن في السنِّ وليس شاباً أو كهلاً في أوج قوّته، لذلك لم ينجح في القضاء على خصمه، كما فعل عليّ بن أبي طالب الذي كان شاباً، وحمزة بن عبد المطّلب الذي كان كهلاً.

وحسب عبيدة شرفاً أنّه كان قائداً من أوائل قادة النبيّ ﷺ، فذلك الدليل القاطع على سجاياه القياديّة.

وحسبه أن ينال شرف الصّحبة وشرف الجهاد تحت لواء النبيّ ﷺ.

عبيـدة فـي التاريـخ

يذكر التاريخ لعبيدة، أنّه كان من المسلمين الأولين السّابقين إلى الإسلام، وأنّه صبر على ما لاقاه المسلمون الأولون من مصاعب وأهوال وأذى.

ويذكر له، أنّه كان قائداً ذا عقيدة راسخة، ضحّى روحه دفاعاً عن عقيدته، ولم يُضَحِّ عقيدته دفاعاً عن روحه.

ويذكر أنّه كان بطلاً فذّاً من أبطال المسلمين الأولين، ومن أوائل شهداء الإسلام والمسلمين.

رضي الله عن القائد البطل الشهيد عبيدة بن الحارث بن المطلّب القُرَشيّ المُطَّلِبيّ.

عَبْدُ الله بن جَحْش الأَسَدِيْ
القـائـد الشَّهيــد

«مِنَّا خير فارسٍ في العرب، عبد الله بن جحش»
[محمد رسول الله ﷺ]

«كان عبد الله بن جحش خيراً مني»
[سعد بن أبي وقاص]

نسبـه وأيامـه الأولـى

هو عبد الله بن جَحْش بن رئاب بن يَعْمَر بن صَبِرَة بن مُرَّة بن كَثِير بن غَنْم بن دُوْدَان بن خُزَيْمَة الأسَدِي[١].

أمّه: أُمَيْمة بنت عبد المطّلِب عمّة رسول الله ﷺ[٢]. وهو حليف لبني عبد شَمْس، وقيل: حليف حَرْب بن أُمَيَّة بن عبد شمس، وإذا كان حليفاً لحرب بن أُميّة، فهو حليف لعبد شمس، لأنّه منهم[٣]، فهو حليف لعبد شمس على كلٍّ حال.

كان من المسلمين الأولين السّابقين إلى الإسلام[٤]، فقد أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم[٥]، فهو أحد السّابقين[٦] إلى الإسلام.

---

(١) الاستيعاب (٣/ ٨٧٧)، وأسد الغابة (٣/ ١٣١)، وأنساب الأشراف (١/ ٨٨).
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٨٩).
(٣) أسد الغابة (٣/ ١٣١)، والاستيعاب (٣/ ٨٧٧).
(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٨ ـ ٢٧١)، وجوامع السيرة (٤٥ ـ ٥١).
(٥) الاستيعاب (٣/ ٨٧٧)، وأسد الغابة (٣/ ١٣١).
(٦) الإصابة (٤/ ٤٦).

وكان عبد الله هو وأخوه أبو أحمد عَبْد بن جَحْش من المهاجرين الأولين ممّن هاجر الهجرتين[١] إلى الحبشة: الهجرة الأولى[٢]، ولكنّه عاد إلى مكّة لما بلغه إسلام أهل مَكّة[٣]، وهاجر إلى أرض الحبشة المرّة الثانية هو وأخوه عُبَيْد الله ابنا جحش، وكانت مع عبيد الله زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فتنصّر عبيد الله بأرض الحبشة ومات بها، ورجع عبد الله إلى مكّة[٤]، فتزوّج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان وهي في الحبشة[٥].

وحين أَذِنَ النبيّ ﷺ بالهجرة إلى المدينة، كان ثالث مَنْ هاجر إليها عبد الله، فقد احتمل بأهله وبأخيه عَبْد بن جحش، وهو أبو أحمد، وكان أبو أحمد رجلاً ضريرَ البصر، وكان يطوف مكّة أعلاها وأسفلها بغير قائد، وكان شاعراً، وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب[٦]، فنزل على مُبَشِّر بن عبد المنذر بن زَنْبَر في بني عمرو بن عَوْف من الأنصار بقُباء[٧] بالقرب من المدينة[٨]. وكان بنو غَنْم بن دودان عشيرة عبد الله أهل إسلام، هاجروا جميعاً رجالاً ونساءً إلى المدينة وتركوا دورهم مغلقة[٩]، فعدا أبو سفيان على دار بني جحش وباعها[١٠].

وفي المدينة المنوّرة آخى النبيّ ﷺ بين عبد الله وبين عاصِم بن

---

(١) الاستيعاب (٣/ ٨٧٧).
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٦).
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٩).
(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٨٩).
(٥) أسد الغابة (٣/ ١٣١).
(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ٧٨ ـ ٧٩).
(٧) قباء: قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/ ٢٠ ـ ٢٢).
(٨) طبقات ابن سعد (٣/ ٩٠)، وجوامع السيرة (٨٦).
(٩) طبقات ابن سعد (٣/ ٨٩).
(١٠) سيرة ابن هشام (٢/ ١١٧).

ثابت بن أبي الأَقْلَح واسمه قَيس[١].

وهكذا تحمّل عبد الله وآل بيته وعشيرته ما تحمّل من هجرة ومصاعب وشدائد في سبيل الإسلام.

سريّـة نَخْلَـة[٢]

بعث النبيّ ﷺ إلى نَخْلَة في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مُهاجَره، في السنة الثانية الهجريّة، سرية عليها عبد الله بن جحش الأسدي في اثني عشر رجلاً من المهاجرين[٣]، كلّ اثنين منهم يعتقبان بعيراً، ليس فيهم من الأنصار أحد.

وكتب النبيّ ﷺ لعبد الله كتاباً، وأمره ألّا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، ولا يَسْتَكْرِه من أصحابه أحداً، وهذا النوع من الرسائل، هو الذي نطلق عليه: الرسائل المكتومة، في المصطلحات العسكرية الحديثة.

وكان أصحاب عبد الله من المهاجرين: أبو حُذَيْفَة بن عُتبة بن ربيعة، وعُكَّاشة بن مِحْصَن الأسدي، وعُتبة بن غَزْوَان بن جابر، وسعد بن أبي وقّاص، وعامر بن ربيعة، وواقد بن عبد الله التَّميمي، وخالد بن البُكَيْر اللَّيثي، وسُهَيْل بن بيضاء الفِهْرِي، وهؤلاء الذين ذكرهم ابن هشام في سيرته[٤].

---

(١) المحبّر (٧٢)، وفي الإصابة (٤/ ٤٦): أنه عاصم بن صادق، وما أثبتناه في أعلاه هو الصحيح.

(٢) نخلة: بستان ابن عامر الذي قرب مكة، انظر طبقات ابن سعد (٢/ ١٠)، على طريق مكة ـ الطائف، وهو وادٍ يصب باليمامة على بستان ابن عامر، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ٢٧٥).

(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ١٠)، أما في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٩)، فذكر أنّ السرية كان تعدادها ثمانية رهط من المهاجرين.

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٩).

فلما سار عبد الله يومين بسريّته فتح الكتاب ونظر فيه، فإذا نصّه: «إذا نظرتَ في كتابي هذا، فامضِ حتى تنزل (نخلة) بين مكّة والطّائف، فترصَّدَ بها قريشاً وتَعَلَّم لنا من أخبارهم».

وقال عبد الله بعد قراءة كتاب رسول الله ﷺ: «سمعاً وطاعة»، ثم قال لأصحابه: «قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة، أرصد بها قريشاً حتى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان منكم يريد الشّهادة ويرغب فيها فلينطق، ومَنْ كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ».

ومضى عبد الله، ومضى معه أصحابه، لم يتخلفْ منهم أحد، فلما كان بـ (بُحْران)[1] أضلّ سعد بن أبي وقّاص وعُتْبَة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه، فتخلّفا عليه في طلبه.

وواصل عبد الله مسيرته نحو هدفه، حتى نزل بنَخْلَة، فمرّت به عِيْرٌ لقريش تحمل زَبيباً وأَدَماً وتجارة من تجارة قريش، عليها عمرو بن الحَضْرَمِيّ، وفيها عثمان بن عبد الله بن المغيرة، وأخوه نَوْفَل بن عبد الله المخزوميّان، والحَكَم بن كَيْسَان مولى هشام بن المغيرة، فلما رأى المشركون المسلمين هابوهم، فأشرف لهم عُكاشَة بن مِحْصَن، وكان قد حلق رأسه، فلما رآه المشركون أمِنوا، وقالوا: عُمَّارٌ لا بأس عليكم منهم.

وتشاور المسلمون فيما بينهم، فقالوا: والله لئن تركتم القوم هذه اللّيلة لَيَدْخُلُنَّ الحرَم فَلَيَمْتَنِعُنَّ منكم به، ولئن قتلتموهم لَتَقْتَلُنَّهُمْ في الشّهر الحرام.

وتردّد المسلمون، وهابوا الإقدام على المشركين حرمةً للشّهر الحرام، ثم شجّعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل مَنْ قدروا عليه

(١) بحران: موضع بين المدينة والفرع، وبينهما ثمانية بُرُد، انظر معجم البلدان (٢/ ٦٥).

منهم، وأخذ ما معهم، فرمى واقد بن عبد الله التّميمي عمرُو بن الحَضْرَمِيّ بسهمٍ فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، وأفلت نوفلُ بن عبد الله فأعجزهم.

وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير وبالأسيرين، حتى قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة.

وقال عبد الله لأصحابه: «إنّ لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخُمس»، وذلك قبل أن يفرض الله تعالى الخُمس من المغانم، فعزل لرسول الله ﷺ خُمس العير، وقسم سائرها بين أصحابه.

فلما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، قال: «ما أمرتكم بقتال في الشّهر الحرام»، فوقف العير والأسرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً.

وسُقِط في أيدي القوم، وظنّوا أنّهم قد هلكوا، وعَنَّفَهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا.

وقالت قريش: قد استحلّ محمد وأصحابه الشّهر الحرام، وسفكوا فيه الدمَ، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرِّجال.

وردّ على قريش قسم من المسلمين الذين كانوا بمكّة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان لا في رجب.

واستغلّ يهود هذا الموقف، فأخذوا يشنّعون على المسلمين، ويحرضّون قريش على المسلمين والإسلام.

ولما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحرَام قِتَالٍ فيه، قُلْ قِتَالٌ فيه كَبِيْرٌ وصَدٌّ عن سَبِيْلِ اللَّهِ وكُفْرٌ بِهِ والمَسْجِدِ الحَرامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ منه أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾**[1]، أي: إن كنتم قتلتم في الشّهر الحرام، فقد صدّوكم عن سبيل الله مع الكفر به، وعن المسجد

(١) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢: ٢١٧).

الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل مَنْ قتلتم منهم: ﴿والفِتْنَةُ أكبرُ مِنَ القَتْلِ﴾، أي: قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردّوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾، أي: ثمّ هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه، غير تائبين ولا نازعين.

فلما نزل القرآن بهذا من الأمر، وفرّج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الخوف، قبض رسول الله ﷺ العيرَ والأسيرين.

وبعثت إليهم قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحَكم بن كَيْسَان، فقال رسول الله ﷺ: «لا نفديكموهما حتى يَقْدَمَ صاحبانا»، يعني: سعد بن أبي وقّاص وعُتْبَة بن غَزْوان، «فإنّا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتلْ صاحبيكم»، فقدم سعد وعتبة، ففداهما رسول الله ﷺ منهم، فأما الحكم بن كيسان فأسلمَ وحسُنَ إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قُتِل يوم بئر مَعُونَة شهيداً، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكّة فمات بها كافراً.

وهذه السرية كان فيها أوّل غنيمة غنمها المسلمون، وعمرو بن الحضرمي أوّل مَنْ قتله المسلمون، وعثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان أوّل مَنْ أسر المسلمون(١).

وكان عبد الله أوّل من قسم المغنم وأعطى الخمس في الإسلام(٢)، وأوّل من سُمِّي: أمير المؤمنين في الإسلام(٣) في هذه السريّة.

ولم يرد النبيّ ﷺ من هذه السرية أن تُنْشب القتال، بل كان هدفه من بعثها الاستطلاع فقط، ولكنّ حماسة عبد الله واندفاعه أدّى إلى نشوب القتال في الشهر الحرام، مما يخالف تقاليد العرب المرعيّة حينذاك،

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٨ ـ ٢٤٣)، وانظر طبقات ابن سعد (٢/ ١٠ ـ ١١).
(٢) المحبّر (٨٦)، وأسد الغابة (٣/ ١٣١)، والاستيعاب (٣/ ٨٧٩).
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٩٠).

فانتهزتها قريش فرصة سانحة كما انتهزها يهود والمشركون كافة للدعاية ضدّ المسلمين.

وبالإضافة إلى تأثير نتائج هذه السرية معنوياً في قريش بخاصة، إذ لم تكن تظنّ أنّ المسلمين قادرون على التغلغل بالعمق إلى مشارف مكّة والطّائف، فأثّر إقدام المسلمين في هذه السريّة في معنويات قريش فتزعزعت، فإنّ من نتائج هذه السريّة فرض الحصار الاقتصادي على قريش ليس بالنسبة لطريق مكّة ـ الشّام، وهو طريق حيوي جداً لتجارة قريش، بل امتدّ هذا الحصار على طريق مكّة ـ الطّائف التجاري، وهو طريق ثانويّ بالنسبة لطريق مكّة ـ الشّام، وبذلك أحكم المسلمون الطوق على طرق تجارة قريش، فلم يبق أمامها طريق تأمنه غير طريق الجنوب: طريق مكة ـ اليمن.

وكان اعتماد النبيّ ﷺ بالدرجة الأولى في هذه السريّة على كفاية عبد الله في تحمّله المشاق والصعوبات، فقد خطب المسلمين وقال: «لأبعثنّ عليكم رجلاً ليس بخيركم، ولكنه أصبركم للجوع والعطش»، فبعث عبد الله[1]. وفي رواية أنّ النبيّ ﷺ قال: «لأعطينّ الرّاية رجلاً هو أصبر على الجوع والعطش منكم»، فأعطاها عبد الله، فقال: «يا رسول الله! أسير بها وأنا غلام حدث!؟»، فقال له: «سر!»، فسار، ففتح الله عليه[2].

لقد كان واجب سرية عبد الله أشبه بواجبات المغاوير أو القوات الخاصّة في الجيوش الحديثة، تلك التي تدرّب تدريباً شاقاً عنيفاً على تحمّل الأهوال واجتياز العقبات والصبر على الجوع والعطش.

وهؤلاء يجري اختيارهم من الأقوياء الأشدّاء، ويجري اختيار قائدهم من أقواهم وأشدِّهم، وهذا هو عبد الله في قوته وصلابته وصبره وشجاعته وإقدامه.

---

(١) الاستيعاب (٣/ ٨٧٨).

(٢) المحبّر (٨٨).

في غزوة بدرٍ الحاسمة

شهد عبد الله في اليوم السابع عشر من رمضان من السنة الثانية الهجريّة، غزوة بدر الكبرى الحاسمة، فهو من البدريّين عليهم رضوان الله[١].

وقد أبلى في بدر بلاءً عظيماً، وبذل قصارى جهده لإحراز النصر على المشركين، وقد أسر في هذه الغزوة الوليد بن الوليد بن المغيرة، فقدم في فدائه خالد بن الوليد وأخوه هشام بن الوليد، ولكنه أفلت منهما وأسلم[٢]، وهاجر إلى المدينة قبل الفتح[٣].

وقد استشار رسول الله ﷺ عبد الله وأبا بكر الصدِّيق وعمر الفاروق رضي الله عنهم في أُسارى بدر[٤]، ويبدو أنّ رأيه كان كرأي أبي بكر الذي قال: «قومك وأهلك، استبقهم لعلّ الله أن يتوب عليهم، وخذ منهم فدية تقوِّي بها أصحابك»[٥].

واستشارةُ النبيّ ﷺ عبد الله دليل على حصافة رأيه ومكانته السّامية بين أصحاب النبيّ ﷺ، ودليل على بلائه الحسن في غزوة بدر بخاصة وفي خدمة المسلمين بعامة.

الشّهيد

ذكر سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه، قال: «قعدت أنا وعبد الله بن جحش صبيحة يوم (أُحُد) نتمنّى، فقلت: اللّهم لقِّني من المشركين رجلاً

(١) المحبّر (٢٧٨)، وأسد الغابة (٣/ ١٣١)، والاستيعاب (٣/ ٨٧٨)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦٣)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٣٢٦).
(٢) أنساب الأشراف (١/ ٣٠٢).
(٣) جمهرة أنساب العرب (١٤٧).
(٤) الاستيعاب (٣/ ٨٨٠).
(٥) تفسير الكشاف للزمخشري (٢/ ٢٠).

عظيماً كُفْرُهُ، شديداً حَرْدُه[1]، فيقاتلني، فأقتله، فآخذ سَلَبَه. فقال عبد الله بن جحش: اللّهم لقِّني من المشركين رجلاً عظيماً كفره، شديداً حَرْده، فأقاتله، فيقتلني، فيسلبني، ثمّ يجدع أنفي وأُذني، فإذا لقيتُك قلتَ: يا عبد الله بن جحش، فِيْمَ جُدِعتَ؟ قلتُ: فيك يا ربّي. فوالله لقد رأيته آخر ذلك النّهار وقد قُتِل، وإنّ أنفه وأذنه لفي خيط واحد بيد رجل من المشركين»، وكان سعد يقول: «كان عبد الله بن جحش خيراً مني»[2]، وكان سعد يقول: «كانت دعوة عبد الله خيراً من دعوتي»[3].

وقد سُمع يوم أُحُد يدعو اللهَ بقوله: «اللّهم أُقسم عليك أن نلقى العدو، وإذا لقينا العدوَّ أن يقتلوني ثمّ يبقروا بطني، ثمّ يمثِّلوا بي، فإذا لقيتُك سألتني: فِيْمَ هذا؟ فأقول: فيك». فلقي العدو وقُتل وبقروا بطنه ومثّلوا به. قال سعيد بن المسيّب رضي الله عنه: «فإني أرجو أن يبرّ الله آخر قسمه»[4].

وكان عبد الله قد قاتل قتال الأبطال في أُحُد، واستقتل استقتالاً شديداً لينال الشّهادة، فانقطع سيفه الذي كان يقاتل به يوم أُحُد، فأعطاه رسول الله ﷺ سيفاً جديداً يسمى: العرجون، ولم يزل هذا السيف ينتقل من يدٍ إلى أخرى، حتى بيع من بغا التركي بمائتي دينار[5]، يوم كانت الشاة بنصف درهم.

ونال الشّهادة كما أراد في غزوة أُحُد، فقد قتله أبو الحَكَم بن الأخنس بن شُرَيْق[6]، ودفن هو وحمزة بن عبد المطّلب عمّ النبيّ ﷺ في

---

(١) الحرد: الغيظ والغضب.

(٢) جوامع السيرة (١٦٧)، وأسد الغابة (٣/ ١٣١)، والإصابة (٤/ ٤٦)، وطبقات ابن سعد (٤/ ٩٠)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦٣).

(٣) أسد الغابة (٣/ ١٣١).

(٤) أسد الغابة (٣/ ١٣١ ـ ١٣٢).

(٥) الاستيعاب (٣/ ٨٧٩)، وأسد الغابة (٣/ ١٣٢).

(٦) الإصابة (٤/ ٤٦)، وأسد الغابة (٣/ ١٣١).

قبر واحد[1]، وكان له يوم قُتل نيّف وأربعون سنة[2]، وصلّى عليه النبيّ ﷺ[3].

ولما قُتل عبد الله مَثَّل به المشركون، فجدعوا أنفه، وقطعوا أذنيه، وبقروا بطنه، فكان يقال له: المجدَّع في الله، وعرف بهذا الوصف بعد استشهاده، ووَلِيَ تركتَه رسول الله ﷺ، فاشترى بـ (خَيْبَر)[4] لابنه مالاً[5].

وكان عبد الله باستشهاده اللَّبنة الأولى في صرح الإسلام، والأسوة الحسنة للمسلمين في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم.

وكان استشهاد عبد الله في أُحُد في السنة الثالثة الهجريّة (٦٢٤ م).

الإنسان

أحدثت سرية عبد الله إلى نَخْلَة أثراً بالغاً في المشركين ويهود، باعتبار أنّ المسلمين استحلّوا الأشهر الحرم، فشنّوا حرباً دعائية على المسلمين، واستغلّوا هذا الحادث أبشع استغلال.

وكان هجوم المشركين في حربهم الدعائيّة وهجوم يهود، يقتصر في تلك المدّة على الشعر والنثر، وكان المسلمون يردّون على تخرّصات أعدائهم شعراً ونثراً أيضاً.

وكان عبد الله ممن شارك بشعره في هذه الحرب الدعائية، فقال:

تَعُدُّونَ قَتْلاً فـي الحَـرَامِ عَظِيْمَـةً ... وأَعْظَمُ منه لو يَرَى الرُّشْدَ راشِدُ

(١) أنساب الأشراف (١/ ٣٢٢)، وأسد الغابة (٣/ ١٣١)، والإصابة (٤/ ٤٦).
(٢) الإصابة (٤/ ٤٦)، وأسد الغابة (٣/ ١٣١).
(٣) الإصابة (٤/ ٤٦)، وأسد الغابة (٣/ ١٣١)، والاستيعاب (٣/ ٨٧٨).
(٤) خيبر: ناحية على ثمانية بُرُد من المدينة لمن يريد الشَّام، ويطلق الاسم على الولاية التي تشمل على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير. انظر معجم البلدان (٣/ ٤٩٥).
(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٩١)، وأسد الغابة (٣/ ١٣١).

صُـدُودُكُـمُ عَمَّـا يَقُـولُ مُحَمَّـدٌ وكُفْـرٌ بِـهِ واللَّـهُ رَاءٍ وشَـاهِـدُ
وإخْرَاجُكُمْ من مسجدِ اللَّهِ أهلَه لئلا يُرى للَّـهِ في البيتِ ساجِدُ
فـإنّـا وإنْ عَيَّـرْتُمـونـا بِقَتْلَـةٍ وأرجفَ بـالإسـلام بـاغٍ وحـاسِـدُ
سَقَيْنَا مِنَ ابنِ الحَضْرَمِيِّ رماحَنَا بنَخْلَـةَ لمـا أوقـدَ الحـربَ واقِـدُ
دَمـاً وابـنُ عبـد اللَّـهِ عُثْمـانُ بينَنَـا يُنَـازِعُـهُ غُـلٌّ مـن القِـدِّ عـانِـد[1]

وهذه الأبيات التي نسبت إليه، إذا صحّت نسبتها إليه، تدلّ على أنّه كان شاعراً، وأنّه لم يسخِّر سيفه وماله لخدمة الإسلام حسب، بل سخّر لسانه أيضاً، وهكذا سخّر كلّ طاقاته المادية والمعنوية لخدمة الإسلام والمسلمين.

ويبدو أنّ لعبد الله عقباً، ولا أعرف عددهم ولا أسماءهم، إذ لم أجد لهم ذكراً في المصادر المعتمدة المتيسِّرة لديّ.

ولعبد الله أخوان: عبد أبو أحمد، كفّ بصره، ومات على عهد عثمان كما ذكرنا، وعبيد الله الذي هاجر إلى الحبشة فتنصّر ومات على النّصرانية، ويقال: إنّه غرق في البحر وهو سكران، ويقال: غرق في الخمر، وكانت معه رملة بنت أبي سفيان بن حرب، فولدت له جارية سمّتها حَبِيْبَة[2]، فقيل: أم حبيبة، فأقامت على الإسلام، فخلف عليها رسول الله ﷺ، وذلك أنه وجّه عمرو بن أُميّة الضَّمْرِيّ إلى (أصحمة) النجاشي بكتاب منه، يدعوه فيه إلى الإسلام، وأمره أن يخطب عليه أمّ حبيبة، فوكلت خالدَ بن سعيد بن العاص بتزويجها، وكان وأخوه أقرب مَنْ بالحبشة إليها، فزوّجها إياه.

---

(١) القِد: شرك يقطع من الجلد. وعاند: سائل بالدم لا ينقطع. وانظر سيرة ابن هشام (٢/٢٤٣) حول هذا الشِّعر.

(٢) أخطأ ابن حزم في جمهرة أنساب العرب (١١١): الذي قال: «فولدت أم حبيبة رضي الله عنها ـ لعبد الله بن جحش الأسدي حبيبة»، ولم تكن أم حبيبة زوج عبد الله، بل كانت زوج عبيد الله.

وأبو أحمد عبد بن جحش الذي جعل يوم فتح مكّة يمرّ بين يدي رسول الله ﷺ بين الصّفا والمَرْوَة وهو يقول:

يـــا حبّـــذا مكّـــة مـــن وادي أرض بهـــا أهلـــي وعـــوّادي

إنـــي بهـــا تـــرشـــح أوتـــادي إنـــي بهـــا أمشـــي بـــلا هـــادي[1]

وقد روى الحديث عن حبيبة بنت أمّ حبيبة رضي الله عنهما[2].

وعبد الله ممّن كان يدخل على صَفِيّة بنت عبد المطّلِب رضي الله عنها من البدريين وكان لها محرماً، لأنّ أمّ عبد الله هي أُمَيْمَة بنت عبد المطّلب أخت صفيّة بنت عبد المطّلب[3] عمّة النبيّ ﷺ، فصفيّة خالة عبد الله.

وكـان أوّل مغنـم فـي الإسـلام مغنـم عبـد الله، وأوّل مَـنْ قسـم لرسول الله ﷺ خمس المغنم قبل أن ينزل به القرآن، وأوّل مَنْ سُميَ أمير المؤمنين[4].

وكانت حَمْنَة بنت جحش أخت عبد الله المرأة الوحيدة التي قتل أخوها عبد الله وخالها حمزة بن عبد المطّلب وزوجها مُصْعَب بن عُمير مع رسول الله ﷺ في أُحُد[5]، فصَبرت صبراً جميلاً وحمدت الله وأثنت عليه كثيراً.

ذلك مبلغ تضحية عبد الله وأقربائه في سبيل الإسلام، وحسبه أن يعرف بالمُجَدَّع في الله[6]. وكان يوم قُتل ابن بضع وأربعين سنة، وكان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير، كثير الشّعر[7].

(١) أنساب الأشراف (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).
(٢) جمهرة أنساب العرب (١١١).
(٣) المحبّر (١٧٣).
(٤) المحبّر (٨٦).
(٥) المحبّر (٤٠٢ ـ ٤٠٣).
(٦) الاستيعاب (٣/ ٨٧٨).
(٧) طبقات ابن سعد (٣/ ٩١).

روى عن عبد الله سعد بن أبي وقّاص وروى عنه سعيد بن المُسَيّب، ولم يُسْمَع منه[1]، وهو صهر النبيّ ﷺ بأخته زينب بنت جحش رضي الله عنها[2].

وفارق الحياة شهيداً وهو في أوج عطائه وبداية كهولته، ولكنّ ذكره بقي عطراً في التاريخ.

القـائـد

كان من أبرز سمات عبد الله القياديّة: الشّجاعة الفائقة، والجرأة النادرة، والصبر العظيم على تحمّل أعباء القتال.

فقد كانت سَرِيّته مختارة من ناحية أفرادها من أشجع شجعان المهاجرين، فهم مغاوير المهاجرين دون منازع، وقد سجّل التاريخ لكلِّ فرد منهم صفحات في الفتوح وفي الشّجاعة والإقدام.

لقد كانت سرية عبد الله مؤلّفة من قمم شجعان المهاجرين، وكان عبد الله قمّة القمم، لأنّ النبيّ ﷺ اختاره قائداً لتلك السرية.

وحسبنا قولة رسول الله ﷺ في عبد الله: «مِنّا خير فارس في العرب: عبد الله بن جحش»[3].

أما جُرأته النادرة، فقد استطاع أن يتغلغل بسريّته المؤلّفة من أفراد قلائل إلى طريق مكّة ـ الطائف، بعيداً عن قاعدة المسلمين الأَمِيْنَة: المدينة المنوّرة.

وقد قدّر النبيّ ﷺ خطورة مُهمّة سرية عبد الله إلى نخلة، فأمره ألّا يستكره أحداً من رجاله على مصاحبته في مهمّته، وأن يترك لهم الخيار، إن

---

(١) حلية الأولياء (١/ ١٠٨).
(٢) الاستيعاب (٣/ ٨٨١)، والإصابة (٤/ ٤٦).
(٣) المحبّر (٨٧).

شاءوا رافقوه، وإن شاءوا لم يرافقوه، وعادوا أدراجهم إلى المدينة المنوّرة غير ملومين.

ولا أعرف سريّة كانت لها خطورة سرية عبد الله إلى نخلة في مثل قلّة عددها وضعف مددها، في مثل ذلك الوقت المبكّر من جهاد المسلمين.

ولكنّ عبد الله اندفع بجرأة خارقة، وحقّق أهداف السرية، وذهب إلى مدى أبعد من تحقيق أهدافها المرسومة، فحقّق بجرأته واندفاعه المذهل حقاً أهدافاً لم تكن في الحسبان.

أما الصبر العظيم في تحمّل أعباء القتال، فقد تحدّى عِيْر قريش وحرّاسها، وقاتلهم بحرب خاطفة مصغّرة، فقتل مَنْ قَتَلَ، وأسر مَنْ أسر، وعاد بالغنائم منتصراً إلى المدينة المنوّرة.

ولكنّ القول على صبره في القتال لا يُغني عن كلّ قول، فقد شهد له النبيّ ﷺ: بأنّه أصبر المسلمين على الجوع والعطش[1]، وهي شهادة لها وزن عظيم في كلٍّ ميزان.

وكان يتمتّع بضبط متين إلى أبعد الحدود، وهي صفة من صفات الجندي المتميّز والقائد المتميّز، فما كاد يقرأ رسالة النبيّ ﷺ المكتومة، إلّا وهتف من صميم قلبه: «سمعاً وطاعة». ثم مضى لتنفيذ واجبه لا يلوي على شيءٍ في تصميم وإصرار عجيبين.

وكان سريع القرار صائبه، فقد بادر المشركين بالهجوم عليهم، قبل أن يأتيهم المدد ويشتدّ عضدهم، فتغدّى بهم قبل أن يتعشّوا به ـ كما يقول المثل العربي المشهور ـ.

وكان ذا إرادة قوية، يتلقّى الأوامر، وينفِّذها بدون تردّد ولا خوف، مهما تكن تلك الأوامر صعبة التنفيذ، تكتنفها الأخطار والمصاعب.

---

(١) المحبّر (٨٨)، والاستيعاب (٣/٨٧٨).

وكان يتحمّل المسؤوليّة كاملةً، ويحب تحمّل المسؤولية مهما تكن بالغة الخطورة ثقيلة النتائج، ولا يتهرّب منها خوفاً وجزعاً ويلقيها على عواتق الآخرين.

وكان ذا نفسيّة رصينة لا تتبدّل في حالتي النصر والاندحار، فلم يكن يعمل لشخصه بل لمصلحة الإسلام والمسلمين.

وكان يسبق النظر، فقد قطع المسافة بين نخلة والمدينة قبل أن تستطيع قريش مطاردته لاسترداد أموالها وأسيريها، فوصل إلى المدينة قبل أن يصلوا إليه، مع أنّ المسافة بين نخلة والمدينة أضعاف المسافة بين نخلة ومكّة موطن قريش.

وكان على معرفة تامّة بنفسيات رجاله وقابلياتهم، لأنّه عاش معهم بتماس شديد ردحاً طويلاً قبل الإسلام وبعده.

وكان موضع ثقة النبيّ ﷺ الكاملة، وكان عليه الصّلاة والسّلام هو القائد الأعلى للمسلمين، كما كان موضع ثقة رجاله به والمسلمين كافة، وكان يبادلهم ثقة بثقة، فقد كانت أهدافهم واحدة، هي إعلاء كلمة الله، والدفاع عن الإسلام والمسلمين.

وكان النبيّ ﷺ يحبّه حبّاً عظيماً، كما كان أصحابه يحبونه، ويبادلهم حبّاً بحب، في مجتمع الأخوة الإسلامي السّائد حينذاك.

وكان ذا شخصيّة قويّة نافذة، تؤثّر في الرجال والأحداث، ولا تتأثر بها إلاّ في الحق ومن أجل الحق، وقد كان أبرز المسلمين من بني أسد الذين قال عنهم النبيّ ﷺ: «أسد خطباء العرب»[١].

وكان يتمتّع بقابلية بدنية فذّة، بل كان مثالاً رفيعاً يحتذى به في هذا المجال.

---

(١) المحبّر (٨٧).

وكان ذا ماضٍ ناصع مجيد في خدمة الإسلام والمسلمين، وفي الإخلاص للدعوة والدعاة، وفي العمل للمصلحة العامة للمسلمين.

وكان على علمٍ لمبادىء الحرب، يطبِّقها تطبيقاً قادراً وينفِّذها في القتال وقبله وبعده.

وكان يساوي نفسه مع أصحابه، بل كان يستأثر بالخطر، ويؤثرهم بالأمن والاطمئنان.

فلا عجب أن يثق به النبيّ ﷺ ثقة مطلقة، ويولِّيه على أبرز أصحابه وأخطر سراياه وأكثرها أهمية.

لقد كان عبد الله قائداً مجيداً.

عبد الله في التّاريخ

يذكر التاريخ لعبد الله، أنّه كان من المسلمين الأولين السابقين إلى الإسلام.

ويذكر له، أنه هاجر الهجرتين إلى الحبشة، وهاجر إلى المدينة وقاد أخطر سريّة من سرايا النبيّ ﷺ، وكانت معه رسالة مكتومة استُعملت بهذا الأسلوب الجديد لأول مرة في التاريخ.

ويذكر له أنّه قائد السرية التي قتلت أوّل قتيل من المشركين في الإسلام، وأسرت أول أسيرين من المشركين في الإسلام، وأنّه صاحب أوّل مغنم في الإسلام، وأوّل من قسم لرسول الله ﷺ خمس المغنم قبل أن ينزل به القرآن، وأوّل من سُمِّيَ: أمير المؤمنين في الإسلام.

ويذكر له، أنّه قاتل قتال الأبطال في غزوة بدرٍ الحاسمة وفي غزوة أُحُد، وأنّه تمنّى على الله أن ينال الشّهادة، فاستُشهد في أُحُد.

ويذكر له، أنّه كان يُعرف: بالمُجَدَّع في الله، وأنّه ضحّى بروحه من

أجل عقيدته، ولم يُضَحِّ عقيدته من أجل روحه.

ويذكر له أنه مات واقفاً كما تموت النخلة، فسقط مضرّجاً بدمائه دون أن يسقط سيفه من يمينه.

رضي الله عن الصحابي الجليل، البطل الفارس، القائد الشهيد، عبد الله بن جحش الأسدي.

عُمَيْر بن عَدِيّ الخَطْمِيّ الأَوْسِيّ
الـقـائـد الشّهيـــد

«نصرتَ الله ورسوله يا عُمَيْر»
[محمد رسول الله ﷺ]

نسبـه وأيامـه الأولـى

هو عُمَيْر بن خَرَشَة بن أُمَيَّة بن عامِر بن عبد الله، وهو خَطْمَة، بطن من بطون الأوس، بن جَشَم بن مالِك بن الأوس[1].

وكان قديم الإسلام، صحيح النيّة[2]، وكان أسبق بني خَطْمَة إلى الإسلام، وكان أوّلهم إسلاماً، ولم يكن في بني خطمة يوم أسلم مُسْلِم غيره[3]، وكان يكسِّر أصنام بني خطمة[4]، مما يدلّ على أنّه كان مسلماً إيجابياً يصاول عن الإسلام، ولم يكن مسلماً سلبياً يكتفي بأداء العبادات فيخدم نفسه ولا يَصْنع شيئاً غيرها في خدمة الإسلام.

ولا نعلم سنة مولده، ولا تفاصيل أيامه الأولى قبل الإسلام. أما بعد الإسلام، فقد كان عمير يُدعى: القارىء، وقد حفظ طائفة من القرآن، وكان يؤمّ بني خَطْمَة[5] قومه، وكان أبوه شاعرا[6].

---

(١) جمهرة أنساب العرب (٣٤٣).
(٢) الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار (٢٦٨).
(٣) جوامع السيرة لابن حزم (١٦٩).
(٤) الاستيعاب (١٢١٨/٣).
(٥) الاستبصار (٦٩).
(٦) الاستيعاب (١٢١٨/٣).

ولم يشهد عميـر بدراً لضرارته، فقد كان أعمى[١]، وقيل: بل كان بصيراً ولكنه ضعيف البَصر[٢].

وأرجِّح أنه كان بصيراً، ولكنه كان ضعيف البصر، لأنّه شهد مع النبيّ ﷺ بعض غزواته، وأدّى بعض الواجبات التي يصعب على الأعمى أداؤها، كما سنذكر إحدى تلك الواجبات وشيكاً.

ويبدو أنّه كان يشكو ضعف البصر الشديد، لذلك اختلفوا في أمره، فقال قسم منهم: إنّه أعمى، وقال الآخرون: إنّه بصير، ولكنّه ضعيف البَصر.

سَـرِيَّتُـه

وكانت سريّة عمير إلى عَصْماء بنت مروان من بني أُميّة بن زيد، لخمس ليالٍ بقين من رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من هجرة النبيّ ﷺ، أي في السنة الثامنة الهجريّة، وكانت عصماء عند يزيد بن زيد بن حِصْن الخَطْمِي، وكانت تعيب الإسلام وتؤذي النبيّ ﷺ وتقول الشعر[٣]. فقالت تعيب الإسلام وأهله:

بـإسْـتِ بَنِـي مـالـكٍ والنَّبِيـتِ ... وعَـوْفٍ وبـاسْـتِ بنـي الخَـزْرَجِ
أَطَعْتُـمْ أَتَـاوِيَّ مِـنْ غيـرِكُـمْ ... فـلا مـن مُـرادٍ ولا مَـذْحِـجِ[٤]
تُـرَجُّـونَـه بَعْـدَ قَتْـلِ الـرؤوس ... كمـا يُـرْتَجـى مَـرَقُ المُنْضِـجِ[٥]
أَلاَ أَنِـفٌ يَبْتَغِـي غِـرَّةً ... فَيَقْطَـعَ مِـنْ أَمَـلِ المُـرْتَجِـيْ[٦]

---

(١) الإصابة (٥/ ٣٤).

(٢) الاستبصار (٢٦٨).

(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٢٧).

(٤) الأتاوى: الغريب. ومراد ومذحج: قبيلتان من قبائل اليمن.

(٥) الرؤوس: أشراف القوم.

(٦) الأَنِف ـ بفتح الألف وكسر النون ـ: الذي يترفّع عن الشيء ويكبر نفسه عنه، =

فأجابها حسّان بن ثابت شاعر النبيّ ﷺ فقال:

بنـــو وائِـــلٍ وبنـــو واقـــفٍ ... وخَطْمَـــةَ دونَ بنـــي الخَـــزْرَجِ
مَتَـى مـا دَعَـتْ سَفَهـاً وَيْحَهـا ... بِعَـوْلَتِهَـا والمنـايـا تَجِـي[1]
فهـزَّتْ فتَـى مـاجِـداً عِـرْقُـهُ ... كَـريـمَ المـداخِـلِ والمَخْـرَجِ
فَضَـرّجَهـا مِـن نَجِيْـعِ الـدِّمـا ... ءِ بَعْـدَ الهُـدُوِّ فلـم يَحْـرَجِ[2]

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك: «ألا آخِذٌ لي من ابنة مَرْوان؟»، فسمع ذلك من قول رسول الله ﷺ عُمَيْر وهو عنده، فلما أمسى من تلك الليلة سَرَى عليها في بيتها، فقتلها.

وأصبح عمير مع رسول الله ﷺ، فقال: «يا رسول الله! إني قد قتلتها»، فقال: «نَصَرْتَ اللّهَ ورسولَه يا عُمَيْر!»، فقال: «هل عليَّ شيءٌ من شأنها يا رسول الله؟»، فقال: «لا يَنْتَطِحُ فيها عَنْزان»[3].

ورجع عمير إلى قومه، وبنو خطمة يومئذ مَوْجُهُم[4] كثير في شأن

= والغرة: الغفلة. وقد روى أيضاً: «ألا أَنِفٌ يبتغي عزّة».

(١) العَوْلة ـ بفتح العين المهملة وسكون الواو ـ: المرّة من العويل، وهو البكاء مع ارتفاع صوت، وتجي في آخر البيت: أصله تجيء بالهمزة، فخفّفه بحذفها.

(٢) ضرّجها: لطّخها. والنجيع ههنا: الكثير. بعد الهدو: أي بعد ساعة من اللّيل. وقوله: لم يحرج، هو من الحرج، وهو الإثم، وجاءت في مغازي الواقدي (١/ ١٧٤):

فضـرّجهـا مـن نجيـع الـدمـاء ... قُبَيْـل الصبـاح ولـم يَحْـرَجِ
فـأوردَكَ اللّـهُ بَـرْدَ الجِنـانِ ... جَـذْلانَ فـي نعمـة المَـوْلـج

وذكر الواقدي أنّ حسان بن ثابت قال هذه القصيدة يمدح عمير بن عدي لقتله عصماء، وأرجِّح ذلك.

(٣) لا ينتطح فيها عنزان: يريد أنّ شأن قتلها هيِّن، لا يكون فيها طلب ثأر ولا اختلاف.

(٤) موجهم كثير: أراد به اختلاط كلامهم.

بنت مروان، ولها يومئذ بنون خمسة رجال، فلما جاءهم عمير من عند رسول الله ﷺ قال: «يا بني خطمة! أنا قتلتُ ابنة مروان، فكيدوني جميعاً ثمّ لا تُنْظِرون»، فذلك اليوم أوّل ما عزّ الإسلام في دار بني خَطْمَة، وكان يستخفي بإسلامه فيهم مَنْ أسلم، وأسلم يوم قُتِلت ابنة مروان رجال من بني خطمة لما رأوه من عِزِّ الإسلام[1].

ويبدو أن سكوت أبناء عصماء وإخوتها عن أخذ الثأر من عمير، لأنّ عميراً كان من أشرافهم، وكان معدوداً من أشرافهم[2] المعدودين حقّاً، وأنّ الإسلام فشا فيهم، وأنّهم خافوا المسلمين الذين أصبحوا قوّة ضاربة بعد انتصارهم في غزوة بَدْرِ الحاسمة، ولا يمكن تعليل سكوتهم عن أخذ ثأرهم إلّا بأحد هذه الأسباب، أو بهذه الأسباب مجتمعة.

الشّهيد

خاض المسلمون غزوة (أُحُد) في شهر شوّال من السنة الثالثة الهجرية[3]، فخسر المسلمون سبعين شهيداً، كان بينهم من شهداء الأنصار عمير[4].

وفي رواية: أنّه مات في حياة النبيّ ﷺ، فقام مقامه ولده عبد الله بن عمير، وهذه الرواية على الاحتمال[5] لا على الجزم.

وفي رواية: أنّه شهد أُحُداً وما بعدها[6]، وفي رواية: أنّه لم يشهد أُحُداً ولا الخندق لضرر بصره[7].

(١) سيرة ابن هشام (٤/ ٣١٣ ـ ٣١٥)، وانظر طبقات ابن سعد (٢/ ٢٧ ـ ٢٨)، ومغازي الواقدي (١/ ١٧٢ ـ ١٧٤).
(٢) المحبّر (٢٩٨).
(٣) الدرر في اختصار المغازي والسير (١٥٣).
(٤) الدرر (١٦٣)، وجمهرة أنساب العرب (٣٤٣)، وجوامع السيرة (١٦٩).
(٥) الإصابة (٥/ ٣٤).
(٦) الاستيعاب (٣/ ١٢١٨)، والاستبصار (٢٦٨ ـ ٢٦٩).
(٧) الاستيعاب (٣/ ١٢١٨).

وأرجِّح أنّه شهد أُحُداً، واستُشهد في هذه الغزوة، لأنّ الثقاة الذين أرّخوا له أجمعوا على أنّه شهد أُحُداً، والذين نصّوا على استشهاده في هذه الغزوة من أوثق أولئك الثقاة.

وهكذا ضحّى عمير بحياته من أجل عقيدته، وكان بمقدوره أن يبقى بعيداً عن الحرب غير ملوم، لأنّه كان لا يُبْصِر أو كان ضعيف البصر، وهذا عذر مشروع يسوِّغ له التخلّف عن القتال.

الإنسان والقائد

التفاصيل عن حياة عمير إنساناً قليلة للغاية، ويروى أنه قتل أخته لأنها شتمت رسول الله ﷺ[1]، كما قتل عصماء بنت مروان من قومه، وكسّر أصنام بني خَطْمَة، وكان يدعى بالقارىء ويؤم قومه على عهد رسول الله ﷺ، وكلّ هذه الأعمال تدلّ على إيمانه العميق وعقيدته الرّاسخة.

وقد مرض عُمير، فعاده النبيّ ﷺ وقال لمن حوله من أصحابه: «انطلقوا بنا إلى البصير الذي في بني واقِف نعوده»[2].

ويروي عنه ابنه عَدِي بن عُمَيْر[3].

ويمكن اعتباره من المغاوير أو الفدائيين المتطوِّعين، أكثر من اعتباره قائداً له سمات القائد الخاصة، وكان إقدامه على قتل عصماء متطوِّعاً دليلاً على أنّه من أولئك المغاوير الفدائيين، يتّسم بالشّجاعة والإقدام والجرأة وحب المغامرة من أجل إعلاء كلمة الله.

لقد كان عمير مجاهداً من الطراز الأول، وقد أعزّ الإسلام بشجاعته

(١) الاستيعاب (٣/ ١٢١٧).
(٢) الإصابة (٥/ ٣٤).
(٣) الاستبصار (٢٦٩).

وإقدامه وجرأته، وقد جاهد مع النبيّ ﷺ وهو أعمى[1] أو ضعيف البصر.

وبذلك نال عمير شرف الصحبة، وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام، وختم حياته بالشّهادة.

عُمَيْــر فــي التاريـخ

يذكر التاريخ لعمير، أنّه كان أوّل مَنْ أسلم من قومه، وأنّه أعزّ الإسلام بقتله عصماء إحدى أعداء الإسلام والمسلمين.

ويذكر له، أنّه كان موضع ثقة النبيّ ﷺ وموضع حبه وتقديره.

ويذكر له، أنّه كان من قرّاء المسلمين الأولين، وأنّه من المغاوير الفدائيين المتطوعين لخدمة الإسلام إيجابياً.

ويذكر له، أنه ضحّى بروحه من أجل عقيدته، فنال شرف الشهادة تحت راية النبيّ ﷺ.

رضي الله عن الصحابي الجليل، القارىء المحدِّث، البطل الشهيد، عمير بن عَدِيّ الخَطْمِيّ الأوسيّ الأنصاريّ.

---

(١) الإصابة (٥/ ٣٤).

سالم بن عُمَيْر العَوْفِيّ الأَوْسِيّ
المجاهـد المغـوار[1]

نسبـه وأيـامـه

هو سالم بن عُمَيْر بن ثابت بن النُّعمان بن أُمَيَّة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عَوْف، وهو ابن عمّ خَوَّات بن جُبَيْر بن النُّعمان[2].

وقيل في نسبه: سالم بن عُمَيْر بن كُلْفَة بن ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصاري العَوْفِيّ العَمْرِيّ[3] الأَوْسِيّ[4].

وهو من مسلمي الأنصار الأولين، فقد شهد بيعة العَقَبَة[5]، كما شهد بدراً[6] وأُحُداً والخندق[7] والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ[8].

والعَوْفِيّ، يعني أنّه من بني عمرو بن عَوْف[9]، والعَوْفِيّ، يعني أنه من بني عوف بن مالك بن الأوس[10]؛ فهو من بني عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس.

---

(١) المغوار: الفدائي.
(٢) أسد الغابة (٢/ ٢٤٨).
(٣) أسد الغابة (٢/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩)، وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٠)، والاستيعاب (٢/ ٥٦٧)، والإصابة (٣/ ٥٥).
(٤) الإصابة (٣/ ٥٥).
(٥) أسد الغابة (٢/ ٢٤٩)، والإصابة (٣/ ٥٥).
(٦) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٠).
(٧) الاستيعاب (٢/ ٥٦٧).
(٨) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٠)، والاستيعاب (٢/ ٥٦٧).
(٩) الإصابة (٣/ ٥٥).
(١٠) الاستبصار (٣٢٢)، وانظر أسد الغابة (٢/ ٢٤٩).

وسالم هو أحد البكّائين الذين جاءوا إلى رسول الله ﷺ وهو يريد أن يخرج إلى (تبُوك)، فقالوا: «إحْمِلنا»، وكانوا فقراء، فقال: «لا أجدُ ما أحملكم عليه»، فتولّوا وأعينهم تفيض من الدّمع حزناً ألاّ يجدوا ما ينفقون[١]، وهم سبعة: من بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير، ومن بني واقِف: هَرَميّ بن عمرو، ومن بني حارثة: عُلْبَة بن زيد، ومن بني مازن بن النجار: أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، ومن بني سَلِمَة: عمرو بن عُتْبَة، ومن بني زُرَيْق: سَلَمَة بن صَخْر، ومن بني سُلَيْم: عِربَاض بن سارية السُّلَميّ[٢]، وفي هؤلاء البكّائين نزل قول الله: **﴿ولاَ عَلَى الذينَ إذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ: لا أجدُ ما أحْمِلكُمْ عليه، تولوا وأعينُهُمْ تَفِيْضُ من الدَّمْعِ حَزَناً ألاّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ﴾**[٣].

وقد قتل سالم أحد يهود بني قُرَيْظَة في هذه الغزوة[٤]، وهي غزوة بني قُرَيْظَة.

وتوفي سالم في خلافة معاوية بن أبي سفيان[٥]، وله عقب[٦].

سـريّـتـه

لعلّ أبرز أعمال سالم، قتله أبي عَفَك، أحد بني عمرو بن عوف، ثم من بني عُبَيْدَة[٧]، وكان قد نَجَمَ نفاقه[٨] حين قتل رسول الله ﷺ

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٠).
(٢) مغازي الواقدي (٣/ ٩٩٣ ـ ٩٩٤) و (٣/ ١٠٢٤) و (٣/ ١٠٧١)، وسيرة ابن هشام (٤/ ١٧٢)، والمحبّر (٢٨١)، والدرر (٢٥٤).
(٣) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩: ٩٢).
(٤) مغازي الواقدي (٢/ ٥١٦).
(٥) الاستيعاب (٢/ ٥٦٧)، وأسد الغابة (٢/ ٢٤٩)، والإصابة (٣/ ٥٥).
(٦) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٠).
(٧) سيرة ابن هشام (٤/ ٣١٢).
(٨) نجم نفاقه: ظهر وبدا.

الحارثَ بن سُوَيْد بن صامت، فقال:

لقد عِشْتُ دهراً وما إنْ أرى ... من النّاس داراً ولا مَجْمَعَا
أَبَرَّ عهُوداً وأوفى لمن ... يُعاقد فيهم إذا ما دعا
من اولادِ قَيْلَةَ في جَمْعِهم ... يَهُدُّ الجبالَ ولن يخضعا
فصدّعهم راكبٌ جاءهم ... حلالٌ حرامٌ لَشَتَّى معا
فلو أنّ بالعزِّ صدَّقْتُمُ ... أو المُلْكِ تابعتُم تبَّعا

فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ لي بهذا الخبيث؟»[1].

وكان أبو عَفَك شيخاً كبيراً بلغ عشرين ومائة سنة، حين قدم النبيّ ﷺ المدينةَ، وكان يحرِّض على عداوة النبيّ ﷺ، ولم يدخل في الإسلام، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى (بدرٍ)، ورجع وقد انتصر على المشركين، حَسده أبو عَفَك وبغى، وقال في هجائه وهجاء المسلمين شعراً[2].

وقال سالم: «عليّ نذرٌ أن أقتل أبا عَفَك أو أموت دونَه».

وأمهل سالم، وطلب له غِرَّة، حتى كانت ليلة صائفة، فنام أبو عَفَك بالفِناء في الصّيف في بني عمرو بن عوف، فأقبل سالم، فوضع السّيف على كبده، حتى خشّ في الفراش.

وصاح أبو عَفك، فسارع إليه ناس ممّن هم على قوله، فأدخلوه منزله وقبروه، وقالوا: مَنْ قتله؟ والله لو نعلم مَنْ قتله لقتلناه به! فقالت أُمامة المُزَيْرِيَّة[3] في ذلك:

تكَذِّبُ دينَ اللهِ والمرءَ أحمدا ... لعَمر الذي أمْنَاكَ إذْ بئس ما يُمْنِي[4]

(١) سيرة ابن هشام (٤/ ٣١٣).
(٢) مغازي الواقدي (١/ ١٧٤ ـ ١٧٥).
(٣) سيرة ابن هشام (٤/ ٣١٣)، أما في مغازي الواقدي (١/ ١٧٥)، فورد اسمها: النهديّة.
(٤) أمناك: أنساك، قاله أبو ذر، وعندنا أنّ خيراً من ذلك أن يكون أمناك بمعنى بلاك، وما يُمني: مضارع هذا الفعل.

حَبَـاكَ حَنِيْفٌ آخِـرُ الليـل طعـنةً أبـا عَفَـك خُذْها على كِبَرِ السِّنِّ
فـإِنـي وإنْ أعلـمْ بقـاتلـك الـذي أبَاتَكَ حِلْسَ اللّيلِ إنْسيّ أو جنِّي

وكان قتل أبي عفك في شوّال على رأس عشرين شهراً من الهجـرة، من السنة الثانية الهجريّة[1].

الإنـسـان والـقـائـد

لا تفصيلات وافية عن سالم، فلا نعرف عن أيامه الأولى في الجاهليّة وقبل الإسلام، ولا عن سماته بشراً كسائر البشر.

ولا نعرف شيئاً عن جهاده في أيام الفتح الإسلامي العظيم، إذ ليس من المعقول أن يتخلّف عن الجهاد.

وحسبنا أن نعرف أنّه نال شرف الصُّحبة، وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام.

أما قيادته، فإنّ إيمانه الرّاسخ دفعه أن يتطوّع لقتل أحد أعداء الإسلام والمسلمين، فنجح في مهمّته، ولقّن غير أبي عَفَك الذي قتله درساً قاسياً لا ينسونه أبداً.

فهو مجاهد فدائيّ من المغاوير، حمله على قتل أبي عَفَك غيرته على عقيدته.

سالـم فـي التاريـخ

يذكر التاريخ لسالم أنّه كان من المسلمين الأولين من الأنصار، أسلم في بيعة العقبة قبل هجرة النبيّ ﷺ من مكّة إلى المدينة.

ويذكر له، أنّه شهد المشاهد كلّها تحت لواء النبيّ ﷺ، وعلى رأسها غزوة (بَدْرٍ) الكبرى.

---

(١) مغازي الواقدي (١/ ١٧٤ ـ ١٧٥)، وسيرة ابن هشام (٤/ ٣١٢ ـ ٣١٣)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٢٨).

ويذكر له، أنّه قتل أخته، لأنها قالت في النبيّ ﷺ ما لا يرضاه ولا يرضاه المسلمون الصّادقون.

ويذكر له، أنّه قتل أبا عَفَك، أحد أعداء الإسلام والمسلمين، فأعزّ بقتله الإسلام والمسلمين.

ويذكر له، أنّه كان أحد البكّائين، الذين نزل في أمرهم قرآن يُتلى، مثالاً للإخلاص للعقيدة في أسمى مظاهر الإخلاص.

رضي الله عن الصحابيّ الجليل، المجاهد الصّادق، سالم بن عُمَيْر العَمْرِيّ الأوسيّ الأنصاري.

محمّد بن مَسْلَمَة الأَوْسِي الأنصاري
فارس نبيّ الله(١)

نسبه وأيامه الأولى

هو محمّد بن مَسْلَمَة بن سَلَمَة بن خالد بن عَدِيّ بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو، وهو النَّبِيْت بن مالِك من الأَوْس(٢)، حليف بني عبد الأَشْهَل(٣) من الأَوْس(٤) أيضاً.

وأمّه: أمّ سَهْم، واسمها خُلَيْدَة بنت أبي عُبَيْد بن وَهْب بن لَوْذان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثَعْلَبَة بن الخَزْرَج بن ساعِدة بن كعب، من الخزرج(٥).

ويُكنَى: أبا عبد الرحمن، وقيل: بل يكنى: أبا عبد الله(٦)، ويبدو أنّه كان يكنى أبا عبد الرحمن وهو ولده الأكبر، فمات عبد الرحمن فأصبح يكنى أبا عبد الله، وهذه هي عادة العرب قديماً وحديثاً، يكنون باسم ولدهم الأكبر، فإذا مات فكنوا باسم ولدهم الذي يليه بالكبر.

أسلم محمّد بالمدينة على يدِ مُصْعَب بن عُمَيْر(٧) قبل إسلام أُسَيْد بن

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٥).
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٣)، والاستيعاب (٣/ ١٣٧٧)، وأسد الغابة (٤/ ٣٣٠).
(٣) الإصابة (٦/ ٦٣)، وأسد الغابة (٤/ ٣٣٠).
(٤) الاستبصار (٢٠٥)، وجمهرة أنساب العرب (٣٣٩).
(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٣).
(٦) الاستيعاب (٣/ ١٣٧٧)، وأسد الغابة (٤/ ٣٣٠)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٥٤).
(٧) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٣)، وهو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قصي بن كلاب القرشي العبدري، انظر أسد الغابة (٤/ ٣٦٨).

حُضَيْر وسعد بن مُعَاذ[1]، وهو ممن سُميّ في الجاهلية محمّداً[2]، لما كان يبلغهم أنّه يُبْعث في العرب نبيّ يقال له: محمّد[3]، وكان أهل الأديان السّابقة ومنها مَن كان في المدينة يتحدّثون بقرب ظهور نبيّ من العرب، مما يدلّ على استعداده واستعداد أهله لاعتناق الدين الجديد.

وقد آخى النبيّ ﷺ بعد الهجرة بين محمّد بن مَسْلَمة وأبي عُبَيْدة بن الجرّاح[4].

ولما بدأ الجهاد العمليّ بين المسلمين من جهة والمشركين ويهود من جهة أخرى، شهد محمّد بَدْراً[5] والمشاهد كلّها[6] مع رسول الله ﷺ ـ عدا غزوة تَبُوك ـ، فإنّ رسول الله ﷺ استخلفه على المدينة حين خرج إلى تَبُوك[7]، ولكنّه شارك بماله في هذه الغزوة، إذ حمل إلى النبيّ ﷺ مالاً[8]، وهو ما تيسّر لديه يومئذ مشاركاً في جيش العُسْرَة.

وسنلمس بوضوح مبلغ جهاده وجهوده في الغزوات والسرايا وشيكاً.

في الغزوات

١ ـ وشهد محمّد بن مَسْلَمَة غزوة بني قَيْنُقَاع من يهود، ويبدو أنّه أبلى فيها بلاءً حسناً، فكرّمه النبيّ ﷺ، ووهب له درعاً من دروعهم[9]،

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٣)، والبداية والنهاية (٨/ ٢٨).

(٢) الإصابة (٦/ ٦٣)، وأنساب الأشراف (١/ ٥٣٨).

(٣) المحبّر (١٣٠).

(٤) المحبّر (٧٥)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٣)، وأنساب الأشراف (١/ ٢٢٤) و (١/ ٢٧١).

(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٣٣)، وأسد الغابة (٤/ ٣٣٠)، والاستيعاب (٣/ ١٣٧٧)، والاستبصار (٢٤١)، وجوامع السيرة (١٢٤).

(٦) الاستبصار (٢٤١)، وأسد الغابة (٤/ ٣٣٠)، والاستيعاب (٣/ ١٣٧٧).

(٧) طبقات ابن سعد (٣ / ٤٤٣)، وأنساب الأشراف (١ / ٣٦٨) ، ومغازي الواقدي (٣/ ٩٩٥).

(٨) مغازي الواقدي (٣/ ٩٩١).

(٩) مغازي الواقدي (١/ ١٧٩)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٠٩).

كما أنّه تولّى إجلاءهم وقبض أموالهم[1].

٢ ـ وكان له مواقف مشرِّفة في غزوة (أُحُد)، فقد ولّاه النبيّ ﷺ الحرس، وكان يطوف حول العسكر وفي العسكر، في خمسين رجلاً[2]، وكان فيمن ثبت مع رسول الله ﷺ يومئذ حين ولّى الناس[3]، فقد ثبت النبيّ ﷺ في نفرٍ صبروا معه، أربعةَ عشر رجلاً، سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار، منهم محمّد بن مَسْلَمة[4]. قال محمّد بن مَسْلمة: «سمعت أُذُنايَ وأبصرت عيناي رسول الله ﷺ يقول يومئذٍ: إليَّ يا فلان! إليَّ يا فلان! أنا رسول الله! فما عرّج منهما واحد عليه ومضيا»[5]، فقد كان الموقف عصيباً إلى أبعد الحدود.

وبعد أن عاد المسلمون إلى المدينة ليلاً بعد يوم أُحُد، خرج محمّد بن مَسْلَمَة يطلب مع النساء ماءً. وكنَّ قد جئن أربع عشرة امرأة، منهنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ، يحملن الطّعام والشّراب على ظهورهنّ ويسقين الجرحى ويداوينهم[6]، وهكذا لم يقتصر نشاط محمد بن مسلمة على القتال، بل امتدّ نشاطه إلى القضايا الإدارية أيضاً، فقد أشرف على العملية الإداريّة التي نهض بها نساء المسلمين، فلما لم يجد عندهم ماءً، وكان النبيّ ﷺ قد عطش يومئذ عطشاً شديداً، ذهب ابن مسلمة إلى قناة وأخذ سقاءة حتى استقى من حِسْيٍ[7]، فأتى بماء عذب، فشرب

---

(١) مغازي الواقدي (١/ ١٧٨).
(٢) أنساب الأشراف (١/ ٣١٥).
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٣).
(٤) مغازي الواقدي (١/ ٢٤٠).
(٥) مغازي الواقدي (١/ ٢٣٧).
(٦) مغازي الواقدي (١/ ٢٤٩).
(٧) الحسي: حفيرة قريبة القعر، قيل: إنّه لا يكون إلاّ في أرض أسفلها حجارة وفوقها رمل، فإذا أمطرت نشفها الرمل، فإذا انتهى إلى الحجارة أمسكته، انظر النهاية (١/ ٢٢٨).

رسول الله ﷺ ودعا لمحمّد بن مَسْلَمة بخير[1].

٣ ـ وفي غزوة بني النَّضير من يهود، التي كان سببها المباشر محاولة يهود الغدر بالنبيّ ﷺ، وكان يومئذٍ في زيارتهم لمعاونته في تحمل ديّتين لرجلين قتلهما أحد المسلمين[2]. ورجع النبيّ ﷺ من بني النّضير إلى المدينة وتبعه أصحابه. فأرسل إلى محمّد بن مَسْلَمَة يدعوه، فقال أبو بكر الصدِّيق: «يا رسول الله! قمتَ ولم نشعر»، فقال رسول الله ﷺ: «همّت يهود بالغدر بي».

وجاء محمّد بن مَسْلَمة، فقال: «اذهب إلى يهود بني النَّضير، فقُلْ لهم: إنّ رسول الله أرسلني إليكم أن اخرجوا من بلده».

ولما جاءهم ابن مسلمة قال لهم: «إنّ رسول الله ﷺ أرسلني إليكم ليقول لكم: قد نقضتم العهد الذي جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بي... ويقول: اخرجوا من بلدي، فقد أجّلتكم عشراً، فمن رُئي بعد ذلك ضربت عنقه»، قالوا: «يا محمّد! ما كنّا نرى أن يأتي بذلك رجل من الأوس!!»[3]. وكان الأوس حلفاء بني النضير.

وحاصرهم النبيّ ﷺ خمسة عشر يوماً، فأجلاهم رسول الله ﷺ ووَلِي إخراجهم محمّد بن مَسْلَمة[4]، كما ولِيَ قبض أموالهم وسلاحهم[5].

ولم يَكن تكليف محمّد بن مسلمة بتبليغ بني النّضير بالجلاء وتوليته إجلاءهم وإخراجهم من ديارهم وقبض أموالهم وسلاحهم، إلاّ لأنّه من الأوس حلفاء بني النضير، فأثبت محمد بن مسلمة أنّ ولاءه للإسلام وحده لا لأعداء الإسلام حتى ولو كانوا من حلفائه المقرّبين إلى قومه، وبذلك

---

(١) مغازي الواقدي (١/ ٢٥٠).
(٢) انظر مغازي الواقدي (١/ ٣٦٣ ـ ٣٦٦).
(٣) مغازي الواقدي (١/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧).
(٤) مغازي الواقدي (١/ ٣٧٤).
(٥) مغازي الواقدي (١/ ٣٧٧).

حلّت مُثُل الإسلام مكان تقاليد الجاهليّة، وكان ما فعله محمّد بن مسلمة اختباراً عملياً لإيمانه العميق بالمُثُل الإسلاميّة الجديدة وتخليه نهائياً عن تقاليد الجاهلية البالية.

٤ ـ وفي غزوة (دُوْمَة الجَنْدَل)[١]، تفرّق المشركون، فنزل رسول الله ﷺ بساحتهم، فلم يجد بها أحداً، فأقام بها أياماً وبثّ السرايا وفرّقها حتى غابوا عنه يوماً ثمّ رجعوا إليه، ولم يصادفوا منهم أحداً. إلاّ أنّ محمّد بن مَسلَمَة أخذ رجلاً منهم، فأتى به النبيّ ﷺ، فسأله عن أصحابه، فقال: «هربوا أمس حيث سمعوا بأنّك قد أخذت نَعَمهم»، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام أياماً، فأسلم الرّجل، فرجع النبيّ ﷺ إلى المدينة[٢].

٥ ـ وشهد محمّد بن مسلمة الخندق[٣]، فأقبل خالد بن الوليد في ليلة من ليالي تلك الغزوة في مائة فارس، أقبلوا حتى وقفوا وجاه قُبّة النبيّ ﷺ، فأنذر محمّد بن مَسْلَمة قائد حرس النبيّ ﷺ عَبّاد بن بِشر. وأقبل خالد في ثلاثة نَفَرٍ هو رابعهم، فقال: «هذه قبّة محمّد! ارموا... ارموا...». فقاومهم محمد بن مَسْلَمَة، حتى وقف ومَن معه من المسلمين على شفير الخندق، وخالد ومَنْ معه بشفير الخندق من الجانب الآخر، حتى ردّهم المسلمون لم ينالوا خيراً[٤]. وذكر محمّد بن مسلمة، أنّه كان مع قسم من المسلمين حول قُبّة رسول الله ﷺ يحرسونه، إذ وافت أفراس على (سَلْع)[٥]، فبصر بهم عَبّاد بن بِشْر، فأخبرهم بهم، فمضى إلى

(١) دومة الجندل: حصن على سبع مراحل من دمشق، بينها وبين المدينة المنورة، فيها حصن مبني بالجندل، لذلك سميت بدومة الجندل، وهي حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طيىء، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/١٠٦).
(٢) مغازي الواقدي (١/٤٠٣ ـ ٤٠٤).
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٣).
(٤) مغازي الواقدي (٢/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨).
(٥) سلع: جبل بالقرب من المدينة المنورة، بينها وبين جبل أُحُد. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/١٠٧).

الخيل، وعَبّاد قائم على باب قبّة النبيّ ﷺ آخذاً بقائم السّيف ينتظر عودة محمّد بن مَسْلَمَة إلى موضعه في حراسة قُبّة النبيّ ﷺ، ثم يقول ابن سَلَمَة: «كان ليلنا بالخندق نهاراً، حتى فرّجه الله»[1]، يريد أنهم يسهرون اللّيل كلّه خوفاً من مباغتة قريش لهم وحرصاً على سلامة النبيّ ﷺ والمسلمين.

٦ ـ وفي غزوة بني قُرَيْظَة من يهود، كان محمّد بن مَسْلَمَة أحد فرسان المسلمين[2]، وقد ذكر أنّ المسلمين حاصروهم قبل الفجر، وجعلوا يدنون من الحِصْن ويرمونهم عن كَثَب، ولزموا حصونَهم لا يفارقونها حتى حلّ المساء، والنبيّ ﷺ يحضّهم على الجهاد والصبر. وبات المسلمون حول حصون يهود حتى تركوا قتال المسلمين وطلبوا أن يفاوضوا النبيّ ﷺ، فوافق النبيّ ﷺ على المفاوضة، فأنزلوا نبّاش بن قيس أحدهم، فكلّم رسول الله ﷺ ساعة، وقال: «يا محمّد! ننزل على ما نزلت عليه بنو النّضير: لك الأموال والسّلاح وتحقن دماءنا ونخرج من بلادكم بالنساء والذراري، ولنا ما حملت الإبل إلاّ السّلاح»، فأبى رسول الله ﷺ، فقالوا: «ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل»، فقال رسول الله ﷺ: «لا، إلاّ أن تنزلوا على حكمي»[3].

واشتدّ حصار المسلمين لبني قُرَيْظة، وكان محمّد بن مَسْلَمة على حرس النبيّ ﷺ، فمرّ بالحرس عمرو بن سُعْدَى الذي لم يشايع بني قومه من يهود على نقضهم عهودهم، فقال ابن مَسْلَمَة: «مَنْ هذا؟»، فقال: «عمرو بن سُعْدَى»، فقال ابن مَسْلَمَة: «مُرّ! اللّهم لا تحرمني من إقالة عَثَرات الكرام»، فخلّى سبيله. وخرج حتى أتى مسجد رسول الله ﷺ، فبات به حتى أصبح، فلما أصبح غدا فلم يُدْرَ أين هو حتى السّاعة، فسُئِل

(١) مغازي الواقدي (٢/٤٦٨).
(٢) انظر أسماء الفرسان والمسلمين في مغازي الواقدي (٢/٤٩٨).
(٣) انظر تفاصيل المفاوضات في مغازي الواقدي (٢/٥٠١ ـ ٥٠٣).

رسول الله ﷺ عنه فقال: «ذلك رجل نجّاه الله بوفائه»[١].

ولما جهدهم الحصار، نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بأسراهم، فكتّفوا رباطاً، وجعل على كتافهم محمّد بن مَسْلَمَة[٢].

ووصف محمّد بن سلمة الموقف الرّاهن فقال: «وتَنَحّى رسول الله ﷺ فجلس، ودنت الأوس إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! حلفاؤنا دون الخزرج، وقد رأيتَ ما صنعتَ ببني قَيْنُقاع بالأمس، حلفاء ابن أُبَيّ، وهبتَ له ثلاثمائة حاسرٍ وأربعمائة دارع، وقد ندم حلفاؤنا على ما كان من نَقْضِهم العهد، فهبهم لنا! ورسول الله ساكت لا يتكلّم، حتى أكثروا عليه وألحّوا ونطقت الأوس كلّها، فقال رسول الله ﷺ : أما تَرْضون أن يكون الحكم فيهم إلى رجلٍ منكم؟ قالوا: بلى! قال: فذلك إلى سَعد بن مُعاذ. وسعد يومئذٍ في المسجد في خيمة يداوي جرحه.

وجاء سعد، فأكثر عليه الأوس، فقال: «قد آن لسعد ألاّ تأخذه في الله لومة لائم»، وأقبل إلى رسول الله ﷺ، فقال: «أحكم فيهم أن يُقتل مَن جرت عليه المُوسَى، وتُسْبَى النِّساء والذريّة، وتقسم الأموال»، فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمتَ بحكم الله عزّ وجلّ من فوق سبعة أرقعة[٣]». فنفَّذ بهم الحُكْمُ العادل[٤].

وابتاع محمّد بن مُسْلَمَة من السَّبي ثلاثة: امرأة معها ابناها، بخمسة وأربعين ديناراً، وكان ذلك حقّه وحقّ فرسه من السَّبْي والأرض والرِّثّة[٥]،

---

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٥٠٤)، والدرر (١٩١).
(٢) مغازي الواقدي (٢/ ٥١٠).
(٣) الأرقعة: السموات، الواحدة رقيع، شرح أبي ذر (٣٠٦).
(٤) انظر التفاصيل في مغازي الواقدي (٢/ ٥١٠ _ ٥٢٥).
(٥) الرِّثّة: رديء المتاع، وسقط المتاع. (ج): رِثَث، ورِثَاث.

وكان أَسهم النبيّ ﷺ للفارس ثلاثة سهم: له سهم ولفرسه سهمان[1].

٧ ــ وشهد محمّد بن مسلمة غزوة (الحُدَيْبِيّة)[2]، فكان أحد فرسان الطليعة التي قدّمها رسول الله ﷺ بإمرة عبّاد بن بِشْر والمؤلّفَة من عشرين فارساً[3].

وكان رسول الله ﷺ يأمر أصحابه بالحُدَيْبِية يتحارسون اللّيل، فكان ثلاثة من أصحابه يتناوبون الحراسة أحدهم محمّد بن مَسْلَمَة. وكان ابن مَسْلَمة على فرس النبيّ ﷺ ليلة من تلك اللّيالي، وعثمان بن عفّان بمكة بعدُ، وقد كانت قريش بعثت ليلاً خمسين رجلاً، وأمروهم أن يطيفوا بالنبيّ ﷺ رجاءَ أن يُصيبوا منهم أحداً أو يُصيبوا منهم غِرَّةً، فأخذهم محمّد بن مَسْلَمَة وأصحابه، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ، وكان عثمان بمكّة قد أقام بها ثلاثاً يدعو قريشاً، وكان رجال من المسلمين قد دخلوا مكّة بإذن رسول الله ﷺ على أهليهم، فبلغ رسول الله ﷺ أنّ عثمان وأصحابه قد قُتلوا، فذلك حين دعا إلى البيعة تحت الشجرة على الموت. وبلغ قريشاً حبس أصحابهم، فجاء جمع منهم إلى النبيّ ﷺ وأصحابه حتى تراموا بالنبل والحجارة، وأسروا حينئذ من المشركين أسرى[4].

وعندما عُقِد صلح الحُدَيْبِيّة بين المسلمين وقريش، كان محمّد بن مَسْلَمَة أحد الشهود المسلمين على عقد الصّلح مع جماعة من المسلمين منهم أبو بكر الصدِّيق وعمر بن الخطّاب وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص وعثمان بن عفّان وأبو عبيدة بن الجرّاح وغيرهم[5] رضي الله عنهم جميعاً.

---

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٥٢٤).

(٢) قرية صغيرة على تسعة أميال من مكة، انظر شرح الزرقاني على المواهب اللدنيّة (٢/ ٢١٦).

(٣) مغازي الواقدي (٢/ ٥٧٤).

(٤) مغازي الواقدي (٢/ ٦٠٢).

(٥) مغازي الواقدي (٢/ ٦١٢)، وأنساب الأشراف (٢/ ٣٥٠).

٨ ـ وشهد محمّد بن مَسْلَمَة غزوة (خَيْبَر)[١]، فدعاه رسول الله ﷺ وقال: «انظر لنا منزلاً بعيداً من حصونهم بريئاً من الوباء، نأمنُ فيه بياتهم»، فطاف ابن مَسْلَمَة حتى انتهى إلى (الرَّجيع)[٢]، ثمّ عاد إلى النبيّ ﷺ ليلاً فقال: «وجدت لك منزلاً»، فقال رسول الله ﷺ: «على بركة الله»، فلما أمسى رسول الله ﷺ تحوّل وأمر الناس فتحوّلوا إلى الرَّجيع[٣].

وقد شارك محمّد بن مَسْلَمة في قطع النَّخل الذي يحيط بحصن (النَّطاة) أحد حصون خَيبر، فكان ينظر إلى صَوْر[٤] من كَبيس[٥] ويقول: «أنا قطعت هذا الصَّوْر بيدي حتى سمعت بِلالاً ينادي عزمةً من رسول الله ﷺ: لا يُقْطع النّخل! فأمسكنا»[٦].

وكان محمود بن مَسْلَمَة أخو محمّد بن مَسْلَمَة يقاتل مع المسلمين يومئذٍ، وكان يوماً صائفاً شديد الحرّ، وهو أوّل يوم قاتل فيه رسول الله ﷺ أهل حصن النَّطاة وبها بدأ، فلما اشتدّ الحر على محمود وعليه أداته كاملة، جلس تحت حصن ناعِم يبتغي فَيْئَه، ولا يظن محمود أنّ فيه أحداً من المقاتلة، إنما ظنّ أنّ فيه أثاثاً ومتاعاً، وناعم يهوديّ وله حصون ذوات عدد، فكان هذا منها ـ فدلّى عليه مَرْحب اليهودي رحىً، فأصاب رأسه، فاستشهد في المعركة[٧].

وخرج مَرْحب اليهودي من حصنهم، قد جمع سلاحه يرتجز وهو يقول:

---

(١) خيبر: على ثمانية بُرُد من المدينة لمن يريد الشام، انظر معجم البلدان (٣/ ٤٩٥).
(٢) المرجّيع: وادٍ قرب خيبر، انظر وفاء الوفا (٢/ ٣١٥).
(٣) مغازي الواقدي (٢/ ٦٤٤).
(٤) الصور: النخل الصغار أو المجتمع.
(٥) الكبيس: ضرب من التمر.
(٦) مغازي الواقدي (٢/ ٦٤٥).
(٧) مغازي الواقدي (٢/ ٦٤٥).

قـد عَلِمَـتْ خَيْبَـر أنّـي مَـرْحَـبُ   شَـاكِـي السَّـلاحِ بطَـلٌ مُجَـرَّبُ

أطعَـنُ أحيـانـاً وحينـاً أَضْـرِبُ   يُحْجِـمُ عـن صَـوْلَتِـيَ المجـرِّبُ

وهو يقول: «مَن يبارز؟»، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ لهذا؟»، فقال محمّد بن مَسْلَمَة: «أنا له يا رسول الله! أنا والله الموتور الثّائر، قُتِل أخي بالأمس»، فقال: «فَقُمْ إليه! اللّهمّ أَعِنْهُ عليه». فلما دنا أحدهما من صاحبه، دخلت بينهما شجرة عُمْرِيّة[1] من شَجَر العُشَرِ[2]، فجعل أحدهما يلوذ بها[3] من صاحبه، كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه، وصارت بينهما كالرجل القائم، ما فيها فَنَن[4]، ثم حمل مرحب على محمّد بن مَسْلَمة فضربه، فاتّقاه بِدَرَقَة[5] فوقع سيفه فيها، فعَضَّتْ به فأمسكته، وضربه محمّد بن مَسْلَمَة حتى قتله[6].

والصّحيح الذي عليه أكثر أهل السِّير وأهل الحديث أنّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه هو الذي قتل مرحباً اليهودي بخيبر[7].

وبرز أُسَيْر اليهودي. وكان رجلاً أَيِّداً، وكان إلى القِصَر، فجعل يصيح: «مَنْ يبارز؟»، فبرز له محمّد بن مَسْلَمَة، فاختلفا ضربات، ثم قتله محمّد بن مَسْلَمَة[8].

وكان يهود خَيبر في حصونهم يرمون المسلمين بالسِّهام، ويحاولون

---

(١) عمريّة: أي قديمة طويلة العمر.

(٢) العُشَر: بضم العين وفتح الشين، شجر له صمغ.

(٣) يلوذ بها: يلجأ إليها ويستتر بها من عدوّه.

(٤) فنن: بفتح الفاء والنون: غصن.

(٥) الدرقة: الترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب.

(٦) سيرة ابن هشام (٣/ ٣٨٣ ـ ٣٨٥)، وانظر مغازي الواقدي (٢/ ٦٥٤ ـ ٦٥٧)، والدرر (٢١١ ـ ٢١٢).

(٧) الاستيعاب (٣/ ١٣٧٧)، وأسد الغابة (٤/ ٥٣٣).

(٨) مغازي الواقدي (٢/ ٦٦٧).

قتل النبيّ ﷺ، فكان محمّد بن مَسْلَمة فيمن تَرّس عن النبيّ ﷺ، قال محمّد بن مَسْلَمَة: «كنتُ فيمن تَرّس عن النبيّ ﷺ، فجعلت أصيح بأصحابه: تراموا بالحَجَف[1]! ففعلوا، فرمونا حتى ظننتُ ألاّ يُقْلِعوا، فرأيت رسول الله ﷺ رمى بسهم، فما أخطأ رجلاً منهم، وتبسَّم إليّ رسول الله ﷺ، وانفرجوا ودخلوا الحصن»[2].

وحين استسلم أحد الحصون عَنْوَة للمسلمين، دفع النبيّ ﷺ كِنَانَة بن أبي الحُقَيْق إلى محمّد بن مَسْلَمة، فقتله بأخيه الشهيد محمود بن مَسْلَمة[3] الذي استُشهد في تلك الغزوة، وأخذ سهمه من الأرض واشترى من غيره أيضاً[4]. وكان رسول الله ﷺ لما فتح خَيْبَر سأله يهود، فقالوا: «يا محمّد! نحن أرباب النّخل وأهل المعرفة بها»، فساقاهم[5] رسول الله ﷺ خَيْبَر على شطر من التّمر والزّرع، وكان يُزرع تحت النخل، فقال رسول الله ﷺ: «أُقرّكم على ما أقرّكم الله»، فكانوا على عهد رسول الله ﷺ حتى تُوفّي، وأبي بكر، وصدر من خلافة عمر بن الخطّاب[6]، ثم أجلى عنها يهود، وبقي محمّد محافظاً على ما يملك من أرض خَيْبَر[7].

٩ ــ ولما خرج رسول الله ﷺ إلى عُمْرَة القَضِيّة (غزوة القَضِيّة) فانتهى إلى (ذي الحُلَيْفة)[8]، قدم الخيل أمامه وهي مائة فرس، واستعمل عليها

---

(١) الحجف: جمع الحَجَفة، وهي الترس من جلود بلا خشب ولا رباط من عصب.
(٢) مغازي الواقدي (٢/ ٦٢٢).
(٣) مغازي الواقدي (٣/ ٦٧٢ ـ ٦٧٣)، وابن الأثير (٢/ ٢٢١).
(٤) مغازي الواقدي (٢/ ٦٦٠).
(٥) ساقى فلان فلاناً نخله أو كرمه: إذا دفعه إليه واستعمله فيه على أن يعمره ويسقيه ويقوم بمصلحته من الآبار وغيره، فما أخرج الله منه فللعامل سهم من كذا وكذا سهماً مما تغلّه، والباقي لمالك النخل، انظر لسان العرب (١١٨/١٩).
(٦) مغازي الواقدي (٢/ ٦٩٠ ـ ٦٩١).
(٧) مغازي الواقدي (٧٢١).
(٨) ذو الحليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة، على طريق المدينة ـ مكة، ومنها ميقات أهل المدينة. انظر معجم البلدان (٣/ ٣٢٩).

محمّد بن مَسْلَمة[1]. وسار رسول الله ﷺ يُلبِّي والمسلمون يُلبُّون، ومضى محمّد بن مَسْلَمَة بالخيل إلى (مَرّ الظَّهْران)، فوجد بها نفراً من قريش، فسألوا محمّد بن مَسْلَمَة فقال: «هذا رسول الله ﷺ يُصبِّح هذا المنزل غداً إن شاء الله!». فرأوا سلاحاً مع بشير بن سعد، فخرجوا سِراعاً حتى أتوا قريشاً فقالوا: «والله ما أحْدَثنا حَدَثاً، ونحن على كتابنا ومدّتنا، ففيمَ يغزونا محمّد في أصحابه؟!». ونزل رسول الله ﷺ مَرَّ الظَّهْران، وقدّم رسول الله ﷺ السِّلاح إلى بطن (يَأْجَج)[2] حيث ينظر إلى أنصاب الحرم. وبعثت قريش مِكْرَز بن حَفْص بن الأحنف في نفرٍ من قريش، حتى لقوه ببطن يَأْجَج، ورسول الله ﷺ في أصحابه والهَدْيَ والسِّلاح قد تلاحقوا، فقالوا: «يا محمّد! والله ما عُرِفتَ صغيراً ولا كبيراً بالغدر! تدخل بالسِّلاح الحَرَمَ على قومك، وقد شرطتَ ألاَّ تدخل إلاّ بسلاح المسافر: السّيوف في القُرُب»، فقال رسول الله ﷺ: «لا ندخلها إلاّ كذلك»[3].

١٠ ــ وهكذا بذل محمّد بن مَسْلَمَة قصارى جهوده وغاية جهاده في غزوات النبيّ ﷺ جندياً من جنود المسلمين، وقائداً مرءوساً من قادتهم الذين عملوا تحت راية الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام.

قائد السّرايا

١ ــ سريّته إلى كعب بن الأَشْرَف[4] اليهوديّ:

وكان ذلك في شهر ربيع الأول من السنة الثالثة الهجرية (٦٢٤ م).

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٤)، ومغازي الواقدي (٢/ ٧٣٣).

(٢) يأجج: مكان من مكة على ثمانية أميال، انظر معجم البلدان (٨/ ٤٩٠).

(٣) مغازي الواقدي (٢/ ٧٣٤).

(٤) انظر: مغازي الواقدي (١/ ١٨٤ ـ ١٩٣)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٤٣٠ ـ ٤٤٣)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٣١ ـ ٣٤)، والطبري (٢/ ٤٨٧ ـ ٤٩١)، وابن الأثير (٢/ ١٤٣ ـ ١٤٥)، وعيون الأثر (١/ ٢٩٨ ـ ٣٠٣)، والمحبّر (٢٨٢)، والبداية والنهاية (٤/ ٥ ـ ٩)، والإمتاع (١٠٧)، وتاريخ الخميس (١/ ٤١٢)، وسنن أبي داود (١/ ٢٧٧)، وجوامع السيرة (١٥٤ ـ ١٥٦)، والنويري (١٧/ ٧٢)، والدرر (١٥٠ ـ ١٥٣)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٧٤).

ولما اتّصل بكعْب بن الأشرف ـ وهو رجل يهوديّ من نَبْهان من طَيِّىء، وأمّه من بني النَّضِيْر ـ قتل صناديد قريش ببدرٍ قال: «بطن الأرض خير من ظهرها».

ونهض ابن الأشرف إلى مكّة، فجعل يَرْثي قتلى قريش، ويحرِّض على قتال النبيّ ﷺ، ويُشبِّب بنساء المسلمين قصداً لإيذاء أزواجهنّ، وكان شاعراً، ثم عاد من مكة إلى المدينة، فلم يزل يؤذي رسول الله ﷺ ويدعو إلى خلافه ويسبّ المسلمين حتى آذاهم أعظم الأذى، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ لي بابن الأشرف، فإنّه يؤذي الله ورسوله والمؤمنين؟»، فقال له محمّد بن مَسْلَمَة: «أنا له يا رسول الله، أنا أقتله إن شاء الله»، فقال: «فافعل إنْ قدرتَ على ذلك».

ومكث محمّد بن مَسْلَمَة أياماً مشغول النفس بما وعد رسول الله ﷺ من نفسه في قتل ابن الأشرف، فانتدبه رسول الله ﷺ، وانتدب معه سِلْكان بن سَلَامة بن وَقْش أبا نائلة أحد بني عبد الأَشْهَل، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرَّضاعة، وعَبَّاد بن بِشْر بن وَقْش، والحارث بن أَوْس بن مُعَاذ، وهما من بني عبد الأشهل، وأبا عَبْس بن جَبْر أخا بني حارثَة[1]، وأذن لهم رسول الله ﷺ أن يقولوا غير ما يعتقدون[2]، على سبيل جواز ذلك في الحرب.

وقدّموا إلى ابن الأشرف سِلْكَان بن سَلَامة، فقصد له وأظهر له موافقته على الانحراف عن رسول الله ﷺ، وشكا إليه ضِيْق حالهم، وكلّمه في أن يبيعه وأصحابه طعاماً، فَيَرْهَنُوه سِلاحَهم، فأجابهم إلى ذلك.

ورجع سِلْكَان إلى أصحابه، فخرجوا إلى ابن الأشرف اليهوديّ،

(١) في عيون الأثر، أن اسمه عبد الرحمن.
(٢) أن يقولوا في الرسول ﷺ ما لا يعتقدون، خدعة للعدو على سبيل جواز ذلك مع الأعداء في الحرب.

وشيّعهم رسول الله ﷺ إلى (بَقِيْع الغَرْقَد)[1] في ليلة مُقْمِرَة، فأتوا كعباً، فخرج إليهم من حِصْنِه، فتَماشَوْا، فوضعوا عليه سيوفهم، ووضع محمّد بن مَسْلَمَة مِغْوَلاً[2] كان معه في ثُنَّته[3] فقتله.

وصاح ابن الأشرف صيحة شديدة انذعر بها أهل الحصون حواليه، فأوقدوا النيران دون جدوى.

وجُرِح الحارث بن أَوْس في رِجْلِه ببعض سيوف أصحابه أو في رأسه، فنَزَفَهُ الدم، وتأخّر قليلاً عن أصحابه، الذين سلكوا على بني أُمَيَّة بن زيد إلى بني قُرَيْظَة، إلى (بُعَاث)[4]، إلى (حَرّة العُرَيْض)[5]، فانتظروا صاحبهم الحارث هناك حتى وافاهم، فأتوا به رسول الله ﷺ في آخر اللّيل وهو يُصلّي، فأخبروه بقتل ابن الأشرف.

وهكذا انتهت حياة أحد أعداء المسلمين الذي آذاهم وحرّض عليهم كثيراً.

٢ ـ سريّتُه إلى القُرَطاء:

خرج محمّد بن مَسْلَمَة من المدينة المنورة لعشر ليالٍ خلون من شهر المحرّم على رأس تسعة وخمسين شهراً من مُهاجَر رسول الله ﷺ، في السنة السّادسة الهجرية بعثه في ثلاثين راكباً إلى القُرَطاء. والقُرَطاء بنو قُرْط وقُرَيْط بنو عبدالله بن أبي بكر بن كِلَاب، وهم بطن من بني بَكْر من كِلاب، وكانوا يَنزلون (البَكَرات)[6] بناحية (ضَرِيّة)[7]، وبين ضَرِيّة والمدينة سبع ليالٍ.

---

(١) بقيع الغرقد: مقبرة أهل المدينة المنورة.

(٢) المغول: شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه. وقيل: هو حديدة دقيقة لها حدّ ماضٍ وقفاً، وقيل: هو سوط في جوفه سيف دقيق يشدّه الفاتك على وسطه ليغتال الناس.

(٣) الثنّة من الإنسان: ما دون السرّة، فوق العانة، أسفل البطن.

(٤) بعاث: موضع في نواحي المدينة كانت فيه وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية، انظر معجم البلدان (٢/ ٢٢٣).

(٥) حرّة العريض: حرّة بالقرب من المدينة، لا ذكر لها في معجم البلدان.

(٦) البكرات: جبال شُمَّخٌ سود بناحية ضرية، انظر معجم البلدان (٢/ ٢٥٦).

(٧) ضرية: قرية عامرة قديمة على وجه الدهر، في طريق مكّة من البصرة، تقع في=

وأمر النبيّ ﷺ محمّد بن مَسْلَمَة أن يشنّ على القُرَطاء الغارة، فسار اللّيل، وكمن النّهار؛ وأغار عليهم، فقتل نفراً منهم وهرب سائرهم واستاق نَعَماً وشَاءً، ولم يطارد الذين هربوا من القُرَطاء.

وانحدر محمّد بن مَسْلَمَة إلى المدينة، فخمّس رسول الله ﷺ ما جاء به، وأخذ أصحاب ابن مسلمة ما بقي، فعدّلوا الجزور بعشر من الغنم، وكانت النّعَم مائة وخمسين بعيراً، والغنم ثلاثة آلاف شاة، وغاب تسع عشرة ليلة، وقدم للّيلة التي بقيت من المحرّم[1].

وقد استطاع محمّد بن مسلمة بهذه العملية السّريعة الخفيفة، أن يباغت العدو مباغتة كاملة بالزّمان، فانتصر عليه بسهولة ويسر انتصاراً ساحقاً.

٣ ـ سريّته إلى ذي القَصَّة:

بعث النبيّ ﷺ محمّد بن مَسْلَمَة إلى (ذي القَصَّة)[2] في شهر ربيع الآخر سنة ست الهجريّة، في عشرة نفرٍ إلى بني ثَعْلَبَة وبني عُوال من ثعلبة بن سعد، وهم بذي القَصَّة، وبينها وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً على طريق (الرَّبَذَة)[3]، فورد المسلمون عليهم ليلاً، فأحدق بهم القوم وهم مائة رجل، فتراموا ساعةً من اللّيل، ثمّ حملت الأعراب عليهم بالرِّماح فقتلوا المسلمين.

ووقع محمّد بن مَسْلَمَة جريحاً، فضُرب كعبه فلا يتحرّك، وجرّد

= نجد، فيها مياه من بئر، انظر معجم البلدان (٥/ ٤٣١ ـ ٤٣٤).

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٧٨)، وانظر مغازي الواقدي (٢/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٧٦).

(٢) ذو القَصَّة: موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً، وهو طريق الرَّبذة. انظر معجم البلدان (٧/ ١١٤).

(٣) الرَّبَذَة: قرية من قرى المدينة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكّة، انظر معجم البلدان (٤/ ٢٢٢).

المشركون المسلمين من الثياب، فمرّ بمحمّد بن مَسْلَمَة رجل من المسلمين، فحمله على بعيره حتىٰ وردَ به المدينة المنوّرة.

وبعث النبيّ ﷺ أبا عُبَيْدَة بن الجَرّاح في أربعين رجلاً إلى مصارع القوم، فلم يجدوا أحداً، ووجدوا نَعَماً وشاءً فساقه ورجع إلى المدينة[1].

وقد نجا محمّد بن مَسْلَمَة من الموت، لأنّ المشركين بعد إصابته بجروح بليغة، ظنّوا أنّه قد قضى نحبه كسائر أفراد سريّته، ولكنّه لم يكن قد مات، فنجا من الموت ليواصل خدمة الإسلام والمسلمين، من جديد.

مع الخلفاء الرّاشدين

١ ـ مع عمر:

أ ـ كان محمّد بن مَسْلَمَة صاحب العمّال أيام عمر بن الخطّاب، فكان عمر إذا شُكِيَ إليه عامل أرسل محمّداً يكشف الحال[2]، فكان يشغل منصب المفتّش العام للولاة حسب المصطلحات الإدارية الحديثة.

وقد أنشأ سعد بن أبي وقّاص لسكناه داراً في الكوفة من نِقْض[3] آجر قصر كان للأكاسرة في ضواحي مدينة (الحِيْرَة)، وكانت الأسواق قريبة من داره، وكانت الأصوات المرتفعة تمنع سعداً الحديث؛ فلما أُنجز بناء الدّار، ادّعى الناس عليه ما لم يَقُل، فقالوا: قال سعد: «سَكِّن عني الصُّوَيت»[4].

وبلغ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ذلك عن سعد بن أبي وقّاص، وأنّ الناس يسمّون داره: قصر سعد! فدعا محمّد بن مسلمة وأرسله إلى

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٨٥)، ومغازي الواقدي (٢/ ٥٥١ ـ ٥٥٢)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٧٧).

(٢) أسد الغابة (٤/ ٣٣٠).

(٣) نقض: اسم البناء المنقوض إذا هدم.

(٤) الطبري (٤/ ٤٦ ـ ٤٧).

الكوفة وقال له: «اِعْمَدْ إلى القصر حتى تحرِق بابه، ثمّ ارجع عودَكَ على بدئك»[1].

وخرج محمّد بن مَسْلَمَة من المدينة إلى الكوفة، فلما قدم الكوفة اشترى حطباً، ثمّ أتى دار سعد، فأحرق الباب[2].

وأُتي سعد، فأُخبر الخبر، فقال: «هذا رسول أُرسل لهذا الشأن»، وبعث لينظر مَنْ هو الذي حرق باب داره، فإذا هو محمّد بن مَسْلَمَة، فأراده على النزول والدخول، فأبى، فعرض عليه نفقةً، فلم يأخذ شيئاً.

وخرج سعد إلى محمّد بن مَسْلَمَة، فدفع ابن مَسْلَمَة كتاب عمر إلى سعد: «بلغني أنّك بنيتَ قصراً اتّخذته حصناً، ويُسمى: قَصْر سعد، وجعلت بينك وبين الناس باباً، فليس بقصرك ولكنّه قصر الخَبَال. انزل منه منزلاً مما يلي بيوت الأموال وأغلقه، ولا تجعل على القصر باباً تمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم ليوافقوا مجلسَك ومخرجك من دارك إذا خرجتَ»، فحلف سعد ما قال الذي قالوا!!.

ورجع محمّد بن سعد من الكوفة إلى المدينة، حتى إذا دنا من المدينة نفد زاده، فجعل يأكل قشر الشّجر، فأقبل على عمر وقد مرض لسبب ذلك، فأخبره خبره كلّه، فقال عمر: «هلاّ قبلتَ من سعد!؟»، فقال محمّد بن مَسْلَمَة: «لو أردتَ ذلك، كتبت لي به، أو أذنت لي فيه»، فقال عمر: «إنّ أكمل الرجال رأياً مَنْ إذا لم يكن عنده عهد من صاحبه، عمل بالحزم أو قال به».

وأخبر ابنُ مَسْلَمَة عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنهما بيمين سعد، وقوله، فقال عمر: «هو أصدق ممن روى عليه وممّن أبلغني»[3]، وقد

(١) الطبري (٤/٤٧).
(٢) ابن الأثير (٢/٥٢٩).
(٣) الطبري (٤/٤٧)، وابن الأثير (٢/٥٢٩ ـ ٥٣٠)، وانظر كتابنا: قادة فتح العراق والجزيرة (٢٧٤ ـ ٢٧٥) ط ٢.

حدث ذلك سنة سبع عشرة الهجريّة (٦٣٨ م).

ب ــ اتّهم نفر من بني (أَسَد) سعداً في دينه وصلاته وعدله!! فشكوه إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، في أحرج أوقات الفتح الإسلامي، فقد اجتمعت قوى الفُرس كلّها في (نَهَاوند)[1]. وأخذ المسلمون والفُرس يستعدّون لخوض معركة حاسمة، خاصة وأنّ سعداً هو القائد العام، وهو المسؤول الأول عن الفتح في الشّرق.

وقال عمر لأولئك النّفر: «إنّ الـدليل على ما عندكم من الشرِّ، فهو منكم في هذا الأمر وقد استعدّ لكم مَنْ استعدّ! وايمُ الله، لا يمنعني ذلك من النّظر فيما لديكم، وإن نزلوا بكم»[2]. ثمّ بعث محمد بن مَسْلَمَة للتحقيق.

وقدم ابن مَسْلَمَة الكوفة، فأجرى التّحقيق مع سعد بن أبي وقّاص علناً، ذلك أنّه كان يأخذ سعداً من مسجد إلى مسجد من مساجد الكوفة، ويسأل الناس عنه وعن سيرته فيهم علناً، فيقولون: لا نعلم إلّا خيراً، ولا نشتهي به بديلاً.

ووصل ابن مَسْلَمَة بسعدٍ إلى الجماعة التي كانت تمالىء أصحاب الشّكوى على سعد، فلم تجرؤ أن تطعن عليه أو تقول فيه سوءاً.

وانتهى ابن مَسْلَمَة بسعدٍ إلى مسجد بني عَبْس، فقال محمّد بن مَسْلَمَة: «أنشد الله رجلاً يعلم حقّاً إلّا قال»، فقال أُسامة بن قَتادة: «اللّهمّ إن نشدتنا، فإنّه لا يقسم بالسويّة، ولا يعدِلُ في الرعيّة، ولا يغزو في السّرِيّة»، فقال سعد: «اللّهمّ إن كان قالها كاذباً ورئاءً وسمعة، فأعْمِ بصرَه، وأكثر عياله، وعرِّضه لمضلّات الفتن»، فعمِيَ، واجتمع عنده عشرة بنات،

---

(١) نهاوند: مدينة عظيمة في قبلة همذان، بينهما ثلاثة أيام، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ٣٢٩ ـ ٣٣٢).

(٢) الطبري (٤/ ١٢١)، وابن الأثير (٣/ ٥).

وكان يسمع بخبر المرأة فيأتيها حتى يجسّها، فإذا عُثِرَ عليه قال: «دعوة سعد الرجل المبارك»[1].

وقال سعد: «إني لأوّل رجل أهرق دماً من المشركين، ولقد جمع لي رسول الله ﷺ أبَوَيْه، وما جمعهما لأحدٍ قبلي، ولقد رأيتني خُمس الإسلام، وبنو أسد تزعم أني لا أحسن أُصلّي، وأنّ الصَّيدَ يُلهيني»[2].

وخرج محمّد بن مَسْلَمَة بسعدٍ وبخصومه إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، حتى قدموا عليه، فأخبره الخبر، فقال: «يا سعد! ويحك كيف تُصَلِّي؟»، قال سعد: «أُطيلُ الأوليين وأحذف الأُخريين»، فقال عمر: «هكذا الظنّ بك»، ثمّ قال: «لولا الاحتياط لكان سبيلُهم بيّناً»[3].

وعزل عمر سعداً سنة إحدى وعشرين الهجرية[4] (٦٤١ م) وولّى عمّار بن ياسر مكانه، ولم يعزل سعداً عن عجز أو خيانة، كما قال عمر[5]؛ فاتّهم أهل الكوفة عمّار بن ياسر بالضعف وأنّه لا علم له بالسياسة، فعزله عمر وهو يقول: «مَنْ عذيري من أهل الكوفة! إن استعملتُ عليهم القويّ فجّروه، وإنْ ولّيتُ عليهم الضّعيفَ حقّروه!»[6].

جـ ـ وكان عمر بن الخطّاب يرسل محمّد بن مَسْلَمَة إلى عمّاله ليأخذ شطر أموالهم لثقته به[7]، وقد بعثه عمر إلى عمرو بن العاص عامله على مصر، فقاسمه ماله[8].

---

(١) الطبري (٤/ ١٢١).
(٢) الطبري (٤/ ١٢١ ـ ١٢٢)، وانظر المعارف لابن قتيبة (٢٤٢).
(٣) الطبري (٤/ ١٢٢)، وابن الأثير (٣/ ٦).
(٤) العبر (١/ ٢٥).
(٥) فتح الباري بشرح البخاري (٧/ ٥٥).
(٦) البلاذري (٣٩٣)، وتاريخ عمر بن الخطّاب لابن الجوزي (٨٨).
(٧) أسد الغابة (٤/ ٣٣٠).
(٨) الإصابة (٦/ ٦٤).

لقد كان عمر يكتب أموال عمّاله إذا ولّاهم، ثمّ يقاسمهم ما زاد على ذلك، وربما أخذه منهم، فكتب إلى عمرو بن العاص: «أنّه قد فَشَتْ لك فاشِيَة من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم يكن حين وليت مصر»، فكتب إليه عمرو: «إنّ أرضنا أرض مزدرع ومتجر، فنحن نصيب فضلاً عمّا نحتاج إليه لنفقتنا»، فكتب إليه: «إني قد خبرتُ من عمّال السّوء ما كفى، وكتابك إليّ كتاب مَنْ أقلقه الأخذ بالحق، وقد سُؤْتُ بك ظنّاً، وقد وجّهت إليك محمّد بن مَسْلَمَة ليقاسمك مالَكَ، فاطلعه طلعه وأخرج إليه ما يطالبك، وأَعْفِهِ من الغلظة عليك، فإنّه برح الخفاء»، فقاسَمَه مالَهُ.

وقال عمرو: «إنّ زماناً عاملنا فيه ابنُ حَنْتَمة[1] هذه المعاملة لزمان سوء. لقد كان العاص يلبس الخزّ بكفاف الديباج»، فقال محمد بن مَسْلَمة: «مَهْ! لولا زمان ابن حَنْتَمَة، هذا الذي تكرهه، ألفيتَ مُعْتَقِلاً عَنْزاً بفناء بيتك، يسرّك غزرها، ويسوءُك بكوءها»، فقال: «أنشدك الله أن تخبر عمر بقولي، فإنّ المجالس بالأمانات»، فقال: «لا أذكر شيئاً مما جرى بيننا، وعمر حيّ»[2].

لقد كان عمر إذا أحبّ أن يُؤْتى بالأمر كما يريد، بعث محمّد بن مَسْلَمَة، وكان مُعَدّاً لكشف الأمور المعضلة في البلاد[3].

ويمكن أن نتصوّر مبلغ عفّة محمّد بن مسلمة ونزاهته وذكائه وقوّة شخصيته وثقته بنفسه والتزامه المطلق بقول الحق وإقراره، بحيث إنّ عمر بن الخطاب وهو مَن هو أمانة وحرصاً على مصلحة المسلمين يعتمد عليه اعتماداً بلا حدود في قضايا الولاة ومحاسبة المنحرفين منهم محاسبة لا هوادة فيها، كما استعمله على صدقات بني جُهَيْنَة[4]، مما يدلّ على أنّه

(١) حنتمة: هي أم عمر بن الخطّاب، وهي حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومي.
(٢) البلاذري (٣٠٧ ـ ٣٠٨).
(٣) الإصابة (٦/ ٦٤).
(٤) الإصابة (٦/ ٦٣ ـ ٦٤)، وأسد الغابة (٤/ ٣٣٠)، والبداية والنهاية (٨/ ٢٧).

كان مثالياً في عفّته ونزاهته، متفوّقاً في ذكائه وقوّة شخصيته، واثقاً بنفسه أعظم الثقة، ملتزماً بقول الحق أشدّ الالتزام، وتلك ثمرة من ثمرات إيمانه العميق بعقيدته وعمله بهذه العقيدة وإخلاصه في عمله.

٢ ـ مـع عُثْمـان:

أ ـ تصاعد شغب قسم من النّاس على ولاتهم سنة خمس وثلاثين الهجرية (٦٥٥ م) بدسّ عبد الله بن سبأ الذي كان يهودياً وأسلم أيام عثمان، ثمّ تنقّل بالحجاز ثم بالبصرة ثمّ بالكوفة ثم بالشّام يريد إضلال الناس، فلم يقدرِ منهم على ذلك، فأخرجه أهل الشام، فأتى مصر، وأقام فيهم وقال لهم: «العَجَب ممن يُصدِّق أنّ عيسى يرجع، ويكذِّب أنّ محمداً يرجع»، فوضع لهم الرّجعة، فقبلت منه. ثم قال لهم بعد ذلك: «إنّه كان لكلِّ نبيّ وصيّ، وعليّ وصيّ محمّد، فمن أظلم ممّن لم يُجز وصيّة رسول الله ﷺ، ووثب على وصيّته، وإن عثمان أخذها بغير حق، فانهضوا في هذا الأمر وابدأوا بالطّعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا به الناس».

وبثّ دعاته، وكاتب مَنْ استفسد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا بالسرِّ إلى ما هو عليه رأيهم، وصاروا يكتبون إلى الأمصار بكتبٍ يضعونها في عيب ولاتهم، ويكتب أهل كلّ مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة، فيقول أهل كلّ مصر: إنّا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء، إلاّ أهل المدينة، فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار، فقالوا: إنّا لفي عافية مما فيه الناس!!.

وأتى أهلُ المدينة عثمانَ فقالوا: «يا أمير المؤمنين! أيأتيك عن الناس الذي يأتينا؟»، فقال: «وما جاء إلاّ السّلامة، وأنتم شركائي وشهود المؤمنين، فأشيروا عليّ»، قالوا: «نشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار، حتى يرجعوا إليك بأخبارهم».

ودعا عثمان محمّد بن مَسْلَمَة فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أُسامة بن زيد إلى البصرة، وأرسل عَمَّار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام، وفرّق رجالاً سواهم، فرجعوا جميعاً فقالوا: «ما أنكرنا شيئاً أيها الناس ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم»[1].

لقد كان محمّد بن مسلمة موضع ثقة عثمان كما كان موضع ثقة أبي بكر الصدِّيق وعمر الفاروق رضي الله عنهم جميعاً من قبله، كما كان موضع ثقة النبيّ ﷺ الكاملة، فانتدبه عثمان إلى أخطر الثغور الإسلاميّة: الكوفة، لينقل إليه آلام الناس وآمالهم، فما وجد ابن مسلمة ولا وجد غيره من الموفدين، ما كان يذيعه المغرضون، بل وجدوا الأمور تدعو إلى الاطمئنان[2].

وخرج أهل مصر وأهل الكوفة وأهل البصرة، وأظهروا أنّهم يريدون الحجّ، فلما كانوا من المدينة على ثلاث، تقدّموا إلى معسكرات قريبة من المدينة، ثم اقتحموا المدينة. فلما جاءت الجمعة التي على أثر دخولهم المدينة، خرج عثمان فصلّى بالناس، ثم قام على المنبر فقال: «يا هؤلاء! اللّهَ اللّهَ! فوالله إنّ أهل المدينة ليعلمون أنّكم ملعونون على لسان محمّد ﷺ، فامحوا الخطأ بالصّواب»، فقام محمّد بن مَسْلَمَة فقال: «أنا أشهد بذلك».

وثار القوم بأجمعهم، فحصبوا النّاس حتى أخرجوهم من المسجد، وحصبوا عثمان حتى صُرِع على المنبر مغشيّاً عليه، فأُدخل داره[3].

واستنجد عثمان بعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، فأمر الناس

---

(١) الطبري (٤/ ٣٤٠ ـ ٣٤١)، وابن الأثير (٣/ ١٥٤ ـ ١٥٥). .

(٢) من الواضح أنّ هدف عبد الله بن سبأ، هو تمزيق صفوف المسلمين ونشر الفوضى والاختلاف والفرقة بينهم بنشر الإشاعات الكاذبة، وتحريف تعاليم الدين الحنيف، وقد نجح هذا اليهودي الذي تظاهر بالإسلام في مهمته نجاحاً كبيراً.

(٣) الطبري (٤/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣)، وابن الأثير (٣/ ١٦٠ ـ ١٦١).

بالركوب إلى معسكر أهل الفتنة الذين يريدون قتل عثمان إن لم ينزع عمّا يكرهون، فركب معه من المهاجرين والأنصار ثلاثون رجلاً، فأتوا المصريِّين وكلّموهم، وكان الذي يكلِّمهم عليٌّ ومحمّد بن مَسْلَمَة، فسمعوا مقالتهما ورجعوا إلى مصر، فقال قائد المصريين[1] لمحمد بن مَسْلَمَة: «أتوصينا بحاجةٍ؟». قال: «نعَم، تتّقي الله، وتَرُدّ مَنْ قِبلِكَ عن إمامهم، فإنّه قد وعدنا أن يرجع وينزع». فقال: «أفعلُ إن شاء الله»[2].

وعاد المصريون إلى مصر، ولكنّهم رجعوا ثانية من الطريق إلى المدينة، كما عاد الكوفيون والبصريون، فخرج إليهم محمد بن مسلمة وسألهم عن سبب عودتهم، فأخرجوا له صحيفة في أُنبوبة رصاص يأمر فيها عثمان عمّاله بجلد قادتهم وحلق رؤوسهم ولحاهم وصلب بعضهم.

ولما عاد أهل مصر أخبروا بذلك محمّد بن مسلمة وقالوا له: «قد كلّمنا عليًّا ووعدنا أن يكلِّمه، وكلّمنا سعد بن أبي وقّاص وسعيد بن زيد، فقالا: لا ندخل في أمركم»، وقالوا لمحمّد بن مَسْلَمَة: ليحضر مع عليّ عند عثمان بعد الظّهر، فوعدهم بذلك.

ودخل عليٌّ ومحمّد بن مَسْلَمَة على عثمان، فاستأذنا للمصريّين عليه، وعنده مروان بن الحكم، فقال: «دعني أكلِّمهم»، فقال عثمان: «اسكت فضَّ اللهُ فاكَ! ما أنت وهذا الأمر؟ اخرج عني»، فخرج مروان.

وقال عليٌّ ومحمّد بن مَسْلَمة لعثمان ما قال المصريون، فأقسم بالله ما كتبته ولا عِلْمَ لي به، فقال محمّد بن مسلمة: «صدقَ، هذا من عمل مروان».

ودخل عليه المصريون، فلم يسلِّموا عليه بالخلافة، وقالوا له من جملة ما قالوا: «وخرجنا من مصر ونحن نريد قتلك، فردّنا عليٌّ ومحمّد بن

---

(١) هو عبد الرحمن بن عُدَيْس البَلَوِيّ.

(٢) الطبري (٤/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠)، وابن الأثير (٣/ ١٦٢ ـ ١٦٣).

مَسْلَمَة وضَمِنَا لنا النّزوع عن كلٍّ ما تكلّمنا فيه، فرجعنا إلى بلادنا، فرأينا غلامك وكتابك وعليه خاتمك تأمر عبد الله[1] بجلدنا والمُثلة بنا وطول الحبس».

وحلف عثمان أنّه ما كتبَ ولا أمر ولا عَلِم، فقال عليّ ومحمّد بن مسلمة: «صدق عثمان»، ولكنّ المصريين رفضوا التراجع عن موقفهم إلاّ إذا استقال عثمان من الخلافة، فإذا أبى فإنّهم يقتلونه[2].

وحصر المصريون عثمان، فما برحوا محاصريه حتى قتلوه[3].

لقد بذل محمّد بن مَسْلَمة قصارى جهده ليحول دون الفتنة، ووقف مواقف شجاعة مخلصة ليقول كلمة الحق أمام الحشود الغاضبة، وبخاصة في مسجد النبيّ ﷺ، حين صدَّقَ عثمان في روايته عن النبيّ ﷺ أنّ هذه الحشود ملعونة، فاعتدت تلك الحشود على عثمان وهو على المنبر حتى فقدَ وعيه وحُمِل إلى داره، فما سكت ابن مسلمة عن الحق ولا خشي غضبة الحشود عليه. وما قصّر في نصح عثمان ولا في نصح تلك الحشود، ولكنّ الفتنة كانت أقوى من محاولاته ومحاولة غيره من المؤمنين الصادقين، ويبدو أنّ الأيدي الخفية التي لا تريد خير المسلمين هي التي كانت تحرّك بمهارة تلك الحشود، فانهارت محاولات ابن مَسْلَمَة المخلصة الواعية الدّائبة، وحقّقت الأيدي الخفية من أعداء الإسلام أهدافها في تفرقة كلمة المسلمين وإشاعة الفتنة بينهم، وأنْهَتْ حياة عثمان رضي الله عنه فمضى مظلوماً شهيداً، وتفرّقت تلك الحشود إلى أمصارها لتزرع بذور الفتنة شرقاً وغرباً، وأقبلت الفتن كقطع اللّيل المظلم، وتوقّف الفتح الإسلامي، وأصبحت سيوف المسلمين عليهم لا على أعدائهم.

٣ ـ اعتزال الفتنة الكبرى:

هزّ مقتل عثمان بن عفان في مدينة الرسول ﷺ وهو خليفة المسلمين

(١) يريدون: عبد الله بن سعد بن أبي سرح أمير مصر.
(٢) الطبري (٤/ ٣٧٢ ـ ٣٧٥)، وابن الأثير (٣/ ١٦٨ ـ ١٦٩).
(٣) الطبري (٦/ ٣٧٥).

الشّرعيّ، كثيراً من أصحاب النبيّ ﷺ ـ ومنهم محمّد بن مَسْلَمَة ـ هزاً عنيفاً، واعتبروا ما حدث فتنة من الفتن لا تُبقي ولا تذر، ومن واجبهم وواجب كلّ مسلم ألاّ يشارك فيها بسيفه ولا يده ولا لسانه، وألاّ يدّخر وسعاً في إخماد أُوارها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

ومن الخطأ أن نعتبر اعتزال محمّد بن مَسْلَمَة الفتنة لأنّه كان (عثمانياً)[1] وأن نعتبر اعتزال أمثاله من كبار الصّحابة، لأنّهم كانوا عثمانيين، فما كان محمّد بن مَسْلَمة منتفعاً من عثمان ولا من عهده مادياً ولا معنوياً، ولا كان متّهماً بهذا الانتفاع من قريب أو بعيد، وما كان عثمان بالنسبة لمحمّد بن مَسْلَمَة إلاّ رمزاً للشرعيّة بالإضافة إلى مزاياه الأخرى التي لا يستطيع أن ينكرها عليه عدو ولا صديق؛ فإذا وقف محمّد بن مسلمة إلى جانب عثمان سِرّاً وعلناً، فقد وقف إلى جانب الشرعيّة دفاعاً عن المُثل الإسلاميّة وتعاليم الدين الحنيف، وخوفاً من الفتنة التي تُمزِّق صفوف المسلمين ومنعاً لانتشارها المدمِّر، وقد حدث ما توقّعه محمّد بن مَسْلَمة وتوقّعه أمثاله من صحابة رسول الله ﷺ المتّسمين ببعد النّظر والإيمان العميق.

ومن المؤكّد أنّ موقف محمّد بن مَسْلَمَة المسؤول تجاه عثمان موقف ثابت مسؤول لو كان الخليفة المُعْتَدى عليه غير عثمان، فهو موقف مبدئي لا شكّ فيه وليس موقفاً مَصْلَحِياً يتبدّل بتبدّل الظروف والأحوال.

وما كان امتناعه عن مبايعة عليّ بن أبي طالب[2] لأنّه يجهل مكانه ومكانته، فلا يشكّ مسلم بمكان ومكانة عليّ كرّم الله وجهه ورضي الله عنه، ولكنّ هول الصدمة في اشتعال نيران الفتنة وقتل عثمان ترك الحليم حيراناً كما ترك ابن مَسْلَمَة وغيره من المهاجرين والأنصار.

وأخذت الفتنة تستشري، فكانت وقعة (الجَمَل) بين الإمام علي بن

---

(١) الطبري (٤/ ٤٣٠)، وابن الأثير (٣/ ١٩١).
(٢) الطبري (٤/ ٤٣٠)، وابن الأثير (٣/ ١٩١).

أبي طالب وبين المعارضين لخلافته، فقُتل يومئذ من المسلمين عشرة آلاف[1]، وكان ذلك سنة ست وثلاثين الهجريّة (٦٥٦ م).

ثم كانت معركة (صِفّين) بين عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قُتل فيها من الفريقين ستون ألفاً من المسلمين[2].

وهكذا تساقط المسلمون بسيوفهم، وتوقّف الفتح الإسلامي نهائياً، وطمع الروم باستعادة ما فتحه المسلمون من بلادهم، فأصبح الطالب مطلوباً والمنتصر مهزوماً.

وما كان أمام محمّد بن مسلمة إلاّ اعتزال الفتنة، فلم يكن مع الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ولكنّه لم يكن عليه، واعتزل معه جماعة من كبار الصحابة منهم سعد بن أبي وقّاص وأسامة بن زيد وعبد الله بن عمر بن الخطّاب وغيرهم[3]، فكانوا ممن اعتزل الحروب بالجمل وصِفّين ونحو ذلك[4].

واعتزل محمّد بن مسلمة بالرَّبَذة[5] في البادية بعيداً عن المدينة وأهلها الذين فرّقتهم الفتنة أيضاً. قال ضُبَيْعَة بن حُصَيْن الثَّعْلَبِيّ: «كنّا جلوساً مع حُذَيْفَة بن اليَمَان فقال: إني لأعلم رجلاً لا تنقصه الفتنة شيئاً. فقلنا: مَنْ هو؟ فقال محمّد بن مَسْلَمَة الأنصاري. فلما مات حذيفة وكانت الفتنة. خرجتُ فيمن خرج من الناس، فأتيت أهل ماء، فإذا أنا بفُسْطاطٍ مضروب مُتَنَحَّى تضربه الرِّياح، فقلت: لمن هذا الفُسطاط؟ قالوا: لمحمّد بن مَسْلَمَة. فأتيته، فإذا هو شيخ. فقلت له: يرحمك الله! أراك رجلاً من خيار المسلمين، تركتَ بلدك ودارك وأهلك وجيرتك، قال:

(١) العبر (١/ ٣٧).
(٢) العبر (١/ ٢٨).
(٣) أسد الغابة (٤/ ٣٣١)، والاستيعاب (٣/ ١٣٧٧).
(٤) البداية والنهاية (٨/ ٢٧).
(٥) البداية والنهاية (٨/ ٢٧).

تركته كراهية الشرّ، ما في نفسي أن تشتمل على مصر من أمصارهم حتى تنجلي عمّا انجلت»[1].

وقد روى محمّد بن مَسْلَمَة، أنّ النبيّ ﷺ أعطاه سيفاً وقال له: «قاتل به المشركين ما قوتلوا، فإذا رأيت أُمّتي يضرب بعضهم بعضاً، فائت به (أُحُداً) فاضرب به حتى ينكسر، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يدُ خاطئة أو منيّة قاضِيَة»[2].

وروى محمد بن مسلمة أنّ النبيّ ﷺ أعطاه سيفاً فقال: «يا محمّد بن مَسْلَمَة! جاهدْ بهذا السّيْف في سبيل الله، حتى إذا رأيت من المسلمين فئتين تقتتلان، فاضرب به الحجر حتى تكسره. ثمّ كفّ لسانك ويدك، حتى تأتيك منيّة قاضية أو يد خاطئة»، فلما قُتل عثمان، وكان من أمر الناس ما كان، خرج إلى صخرة في فنائه، فضرب الصخرة بسيفه حتى كسره[3].

وذكر محمّد بن مَسْلَمَة، أنّ رسول الله ﷺ أمره باعتزال الفتنة[4]، فاتّخذ سيفاً من خشب[5] قد نحته وصيّرهُ في الجَفْن معلّقاً بالبيت، وقال: «إنّما عَلّقْتُه أُهَيِّبُ به ذاعراً»[6].

وهكذا تقاعد محمّد بن مَسْلَمَة، فكسر سيفه الذي يقاتل به. حين أصبحت سيوف أكثر المسلمين تقاتل المسلمين ولا تقاتل أعداءهم، وأصبح سيفه من خشب ولا يقتل مسلماً، فتقاعد مَنْ كان يقال له: «فارس نبيّ الله»[7]، وما أتعبه الجهاد ولكن أتعبته الفتنة، فلم يلوِّث بها سيفه ولا يده ولا لسانه بدم مسلم أبداً.

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥).
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٤)، والإصابة (٦/ ٦٣).
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٥)، وانظر الإصابة (٦/ ٦٣).
(٤) الاستيعاب (٣/ ١٣٧٧)، والبداية والنهاية (٨/ ٢٧).
(٥) البداية والنهاية (٨/ ٢٧).
(٦) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٥)، والجفن : غمد السيف.
(٧) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٥).

الإنســـان

كان لمحمّد بن مَسْلَمَة عشرة أبناء من الذكور، وستّ بنات[1]: عبد الرّحمن وبه كان يكنى، وأمّ عيسى، وأمّ الحارث، وأمّهم أمّ عمرو بنت سَلامَة بن وَقْش بن زُغْبة بن زَعُوْراء بن عبد الأَشْهَل، وهي أخت سَلَمة بن سَلاَمة. وعبد الله، وأمّ أحمد، وأمّهما عَمْرَة بنت مسعود بن أَوْس بن مالك بن سواد بن ظَفَر، وهو كعب بن الخزرج من الأوس. وسعد، وجعفر، وأمّ زيد، وأمّهم أم فُتَيْلَة بنت الحُصَيْن بن ضَمْضَم من بني مُرَّة بن عوف بن قيس عَيْلاَن. وعُمَر، وأمّه زهراء بنت عَمّار بن مَعْمَر من بني مُرَّة ثم من بني خصيلة من قيس عيلان. وأنس، وعَمْرَة، وأمّهما من الأطبا بطن من بطون كلب. وقيس، وزيد، ومحمّد، وأمّهم أمّ ولد. ومحمود لا عقب له، وحَفْصَة، وأمُّهما أمُّ ولد[2].

وصحب النبيّ ﷺ من أولاد محمّد بن مسلمة: جعفر وعبد الله وسعد وعبد الرحمن وعمر[3]، خمسة ذكور.

أخوه: محمود بن مَسْلَمَة، شهد أُحُداً والخندق وخَيْبَر، ودلّى عليه مرحب اليهودي يوم خيبر رحًى فأصابه في رأسه، فهشمت البيضة رأسه، فمكث ثلاثة أيام ثم مات[4] شهيداً.

وأخته: أمّ عُمَيْس بنت مَسْلَمَة، وهي امرأة رافع بن خُدَيج، وهي التي نزل فيها قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً﴾[5]، وهي من المبايعات رسول الله ﷺ[6]، كما كانت زوج محمّد بن مَسْلَمة

(١) الاستبصار (٤٢٢)، وأسد الغابة (٤/ ٣٣٠).
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٣).
(٣) الإصابة (٦/ ٦٣).
(٤) الاستبصار (٢٤٣).
(٥) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ١٢٨).
(٦) المحبّر (٤١١).

وهي عَمْرَة من المبايعات[1] أيضاً، وكانت زوجه أمّ عمرو بنت سَلاَمة بن وَقْش من المبايعات[2] أيضاً.

وهكذا كان محمّد بن مَسْلَمَة في بيت كلّه إيمان وتقوى.

لقد كان من أكابر الصّحابة[3] ومن فضلائهم[4] وسادتهم[5] وشجعانهم[6]، وكان موضع ثقة النبيّ ﷺ وثقة الخلفاء الراشدين من بعده.

وصف شجاعته عَبَّاد بن بِشْر بن وَقْش الذي كان زميله في قتل اليهودي ابن الأشراف، فقال في قصيدته التي فيها:

صَرَخْتُ به فلم يعرض لصوتي ... وأوفى طالعاً من رأس جدر[7]
فَعُدْتُ فقال: مَنْ هذا المنادي! ... فقلت: أخوك عَبّاد بن بِشْرِ[8]
فعانقه ابنُ مَسْلَمَة المُرادِي[9] ... به الكفّار كاللَّيث الهِزَبْر[10]
وشَدَّ بسيفِهِ صَلْتاً عليه ... فَقَطّره أبو عَبْس بن جَبْرِ
وكان اللَّهُ سادسَنَا فأُبْنَا ... بأنعمِ نعمةٍ وأعزِّ نصر[11]

روى ستة عشر حديثاً عن النبيّ ﷺ[12]؛ انفرد له البخاري

---

(١) المحبّر (٤١٤ و ٤١٥).
(٢) المحبّر (٤١٧).
(٣) خلاصة تهذيب الكمال (٣٥٩).
(٤) الاستيعاب (٣/ ١٣٧٧).
(٥) البداية والنهاية (٨/ ٢٧).
(٦) الاستبصار (٢٤١).
(٧) البيت في مغازي الواقدي:
صرخت به فلم يجفل لصوتي ... وأوفى طالعاً من فوق قصر
(٨) الاستبصار (٢٢٠).
(٩) رادى الرجل عن قومه: إذا ناضل عنهم.
(١٠) الهزبر في الأصل صفة للأسد، ثم أطلقت علماً عليه.
(١١) الاستبصار (٢٣٨)، وانظر تمام القصيدة في مغازي الواقدي (١/ ١٩٠ ـ ١٩١).
(١٢) أسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة (٢٨٣)، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٣٥٩).

بحديث[١]، وروى عنه جماعة من الصحابة والتّابعين[٢]، وكان من أصحاب الفُتْيا من صحابة النبيّ ﷺ[٣]، فكان من المحدِّثين الفقهاء الصّحابة رضي الله عنهم.

وكان رجلاً أسود طويلاً عظيماً (ضخم البدن) أصلع[٤]، أسمر شديد السمرة[٥]، وهذه هي صفة سواده، فلم يكن أسود فاحماً، بل أسمر شديد السمرة، ذا جُثّة[٦].

ولو أردنا وصف صفاته إنساناً، لأحملنا القول، بأنّه يُمثل تعاليم الإسلام بكلِّ مُثلها العليا تمشي بشراً على الأرض، ولعل أبرز تلك السِّمات أمانته المطلقة وعفّته النّادرة وورعه العظيم.

فقد أبى أن يحلّ ضيفاً على سعد بن أبي وقّاص حين قدم الكوفة لإحراق باب قصر الإمارة، وأبى أن يقبل نفقة للطريق أو مؤنة للسفر، فاضطر في سفره البعيد أن يأكل قشور الأشجار ونبات الأرض، فأصيب بالمرض والهزال.

ولما اشترى جرزة حطب من نَبطيّ كوفيّ ليحرق بها باب قصر الإمارة، شرط على بائعها حملها، ثم جاء بها وأحرق باب القصر ورجع، وكان عمر يستعمله على الصّدقة[٧].

---

(١) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٣٥٩).
(٢) انظر التفاصيل في الإصابة (٦/ ٦٣)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٩٢)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥)، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٣٥٩).
(٣) أصحاب الفتيا من الصحابة ـ ملحق بجوامع السيرة (٣٢٠).
(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٤).
(٥) أسد الغابة (٤/ ٣٣١)، والاستيعاب (٣/ ١٣٧٧).
(٦) الاستيعاب (٣/ ٣٧٧).
(٧) الاستبصار (٢٤٢).

وُلد قبل البعثة باثنتين وعشرين سنة[1]. أي أنّه ولد قبل خمس وثلاثين سنة قبل الهجرة، لأنّ النبيّ ﷺ بقي بعد بعثته في مكة ثلاث عشرة سنة.

ومات سنة ثلاث وأربعين الهجريّة[2] (٦٦٣ م) وهو يومئذ ابن سبع وسبعين سنة.

وهذا التاريخ لوفاته ما نرجِّحه، لإجماع المؤرخين عليه، ولأنّه يقارب ما بلغ عمره إليه من سنوات، وقيل: توفي سنة ست وأربعين الهجرية بالمدينة[3] وصلّى عليه مروان بن الحكم[4]، وقيل: توفي سنة سبع وأربعين وهو ابن تسع وسبعين سنة[5].

وهناك رواية أنّ أهل الشام قتلوه. فقد دخل عليه رجل من أهل الأُردن وهو في داره فقتله[6]، لكونه اعتزل عن معاوية في حروبه[7]، والرواية ضعيفة لأنّ أكثر الذين أرّخوا له لم يأخذوا بها ولم يتطرّقوا إليها، ولإجماعهم على أنّه مات بأجله المحتوم.

وقد استوطن المدينة ومات بها، ولم يستوطن غيرها[8]، إلاّ مدّة الفتنة، فقد رحل إلى الرَّبَذَة في الصحراء، واعتزل الفتنة هناك.

وهكذا انتهت حياة صحابيّ جليل، كان يملأ الأعين قدراً وجلالاً،

---

(١) الإصابة (٦/ ٦٣).
(٢) الطبري (٥/ ١٨١)، وابن الأثير (٣/ ٤٢٥)، وتاريخ خليفة بن خياط (١/ ١٩٠)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٢٤٦)، والعبر (١/ ٥٢).
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٥).
(٤) الاستبصار (٤٢٢).
(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٩٢).
(٦) الإصابة (٦/ ٦٤).
(٧) تهذيب التهذيب (٩/ ٤٥٥).
(٨) أسد الغابة (٤/ ٣٣٠)، والاستيعاب (٣/ ١٣٧٧).

والنفوس تقديراً وإجلالاً، والقلوب أُسوة ومِثالاً، خدم عقيدته والمسلمين ولا يزال ذكره يعطِّر صفحات التاريخ.

القـائــد

كان محمّد بن مَسْلَمَة من شجعان الصّحابة كما ذكرنا، حتى لُقِّب بفارس نبيّ الله، فسخّر كل شجاعته في إعلاء كلمة الله مجاهداً تحت لواء الرّسول القائد عليه الصّلاة والسّلام جندياً وقائداً، مرءوساً على الفرسان تارة وعلى حرس النبيّ ﷺ ومعسكر المسلمين تارة أخرى، وقائداً لسرايا النبيّ ﷺ، فقضى على أعدى أعداء المسلمين أفراداً وجماعات، وأثّر في أعداء الإسلام مادّياً ومعنويّاً.

وقد أمّره النبيّ ﷺ على نحوٍ من خمس عشرة سريّة[1] من سراياه كما نصّ على ذلك قسم من المؤرخين، ولكنّ السرايا التي فصّلها المؤرخون ثلاث سرايا فقط، هي التي ورد ذكرها في هذا البحث، ومن دراسة نشاطه جندياً، وقائداً مرءوساً تحت لواء النبيّ ﷺ، يبدو أنّه كان ذا أثر بارز في كلّ غزوة من غزوات النبيّ ﷺ، وفي كلّ سرية قادها، ولم يكن جندياً عادّياً بل كان جنديّاً متميِّزاً، ولا قائداً عادياً بل قائداً متميِّزاً أيضاً، فهو من جنود العقيدة الرّاسخة وقادة العقيدة الرّاسخة، يوظِّف كل طاقاته في طبعه الموهوب وعلمه المكتسب وتجربته العملية، لخدمة عقيدته والمؤمنين بها، ولا يدَّخر وسعاً في خدمتهما.

وقد كان يتحلّى بالطّاعة المطلقة لقادته وأمرائه، والطّاعة هي الضّبط المتين الذي هو من أهم ما يميِّز الجندي الجيِّد على الجندي الرديء والعسكريّ بصورة عامة على المدنيّ، فكان يحارب الفتنة ومثيريها وأسبابها ومسبِّبيها بكلِّ ما أُوتي من قوّة وعزم.

وقد كان سريع القرار صائبه، وقراره مبنيّ على المعلومات التي

(١) البداية والنهاية (٨/ ٢٧).

يحصِّلها عن العدو. وقد كان حرصه على جمع المعلومات عن العدو عظيماً، وكان دائب النشاط لا يكاد يهدأ فلا ينام ولا يُنِيم في جمع المعلومات عن العدو التي تعينه على إصدار قرار سريع صائب، كما أنّ ذكاءه اللّامع أعانه على إصدار مثل هذا القرار.

وكان يتحمّل المسؤولية ولا يتملّص منها أو يلقيها على عواتق الآخرين، عارفاً بنفسيات زملائه ورجاله وقابلياتهم، فيلقي على عاتق كلّ واحد منهم ما يتناسب مع نفسيته وقابليته وكفايته.

وكان يثق بزملائه ورجاله ورؤسائه ويحبّهم، ويبادلونه ثقة بثقة، وحبّاً بحبّ.

وكانت شخصيته قويّة جداً، لا يبالي أن يحاسب الأمراء والولاة والقادة دون مجاملة أو التزام إلّا بالحق وحده دون سواه.

وكان ذا ماض مشرّف مجيد، فهو من قدامى الصّحابة وأشرافهم وشجعانهم وعلمائهم، وخدماته للإسلام والمسلمين واضحة للعيان، كما أنّه كان من أشراف الأوس ومن بيوتاتهم الكريمة في الجاهليّة وفي الإسلام.

وكان يعرف مبادىء الحرب بالفطرة السليمة التي تدلّ على استعداد فطريّ للجندية عامة والقيادة خاصة.

فهو يطبّق مبدأ اختيار المقصد وإدامته، ويحرص غاية الحرص على تحقيق مقصده بدأب واستمرار، دون أن يشتّت جهوده من أجل تحقيق أهداف ثانوية تصرفه عن تحقيق مقصده كاملاً.

وهو يطبّق مبدأ التعرّض، فكلّ معاركه جندياً وقائداً معارك تعرضيّة، ولم يخض معارك دفاعية في حياته القتالية.

وهو يطبّق مبدأ المباغتة، أهمّ مبادىء الحرب على الإطلاق، وقد باغت في إحدى سراياه عدوّه مباغتة كاملة بالزّمان كما ذكرنا.

وهو يطبّق مبدأ الأمن، وكان غالباً المسؤول الأول عن قضايا الأمن في غزوات النبيّ ﷺ قائداً لحرسه وقائداً لحرس معسكره، فلم يستطع العدو أن يباغت قوات المسلمين أبداً، لأنّ ابن مسلمة كان حذراً كلّ الحذر، يقظاً كلّ اليقظة.

تلك هي أبرز سمات محمّد بن مَسْلَمَة جندياً وقائداً، فلا عجب أن يكون موضع ثقة النبيّ ﷺ في حياته المباركة وموضع ثقة خلفائه من بعده، وأن يستطيع أن يؤدي واجباته العسكرية بكفاية واقتدار، وأن يثبت وجوده الفاعل في كلِّ غزوة أو سرية شهدها جندياً وقائداً.

محمّد بن مَسْلَمَة في التاريخ

يذكر التاريخ لمحمّد بن مَسلمة، أنّه كان من قُدامى الصحابة ومن أكابرهم ومن فضلائهم وساداتهم وشجعانهم.

ويذكر له، أنّه كان مؤثِّراً في كلِّ غزوة وسرية شهدها، دائب النشاط والعمل لخدمة الإسلام والمسلمين.

ويذكر له، أنّه من القلائل الذين تولّوا القيادة والإدارة في أيام النبيّ ﷺ وبأمره.

ويذكر له، أنّه أنقذ الإسلام والمسلمين من أعدى أعدائهم أفراداً وجماعات في عهد النبيّ ﷺ وبتوجيهه.

ويذكر له، أنّه لا تأخذه في الحق لومة لائم، فكان محاسب القادة والأمراء والولاة بلا هوادة ولا مجاملة.

ويذكر له، أنّه اعتزل الفتنة في الصحراء بعيداً عن داره وأهله، هارباً بدينه منها، ولم تجرفه الفتنة كما جرفت غيره.

رضي الله عن الصحابيّ الجليل، الإداريّ الحازم، القائد المنتصر، المحدِّث الفقيه، محمّد بن مَسْلَمَة الأوسيّ الأنصاريّ.

زَيْد بن حارثة الكلبيّ
القائد الشّهيد

نسبه وأيامه الأولى

هو زيد بن حارثة بن شَراحِيْل بن عبد العُزَّى بن امرىء القيس بن عامِر بن النُّعمان بن عامِر بن عَبْد وُدّ بن عَوْف بن كِنَانة بن عَوْف بن عُذْرَة بن زيد اللَّات بن رُفَيْدَة بن ثَوْر بن كَلْب بن وَبَرَة بن تَغْلب بن حُلْوان بن الجاف بن قُضَاعة بن مالك بن عمرو بن مُرَّة بن مالِك بن حِمْيَر بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان، وإلى قحطان جماع اليمن[1]، وربما اختلف الذين نسبوه في الأسماء وتقديم بعضها على بعض وزيادة شيء فيها[2] ونقص شيء فيها[3].

ومن المعلوم أن العرب كانوا ولا يزالون يهتمّون بحفظ أنسابهم تسجيلاً ورواية، ومصادر الأنساب في التراث العربي كثيرة جداً، وحتى اليوم إذا زرت حيّاً من أحياء العرب، وسألت طفلاً من أطفالهم عن نسبه، سرد عليك نسبه إلى بضعة أسماء أو أكثر، وحفظ الأنساب غير معروف عند غير العرب من الأمم الأخرى، فلا غرابة في تشكيكهم باستمرار في صحّة الأنساب العربيّة ودقّتها، والمرء عدو ما جهل.

---

(١) طبقات أبن سعد (٣/ ٤٠)، وانظر أنساب الأشراف (١/ ٤٦٧)، وسيرة ابن هشام (١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦)، والاستيعاب (٢/ ٥٤٢).

(٢) الاستيعاب (٢/ ٥٤٢)، وأسد الغابة (٢/ ٢٢٤).

(٣) أسد الغابة (٢/ ٢٢٤).

ولا مجال للعربي الأصيل أن يتقبل تشكيك غير العربي بصحّة أنساب العرب، ولكن الشكّ ينحصر في دقّتها، وبخاصة إذا ارتفعت إلى عهود سحيقة في القِدَم.

وأم زيد: سُعْدى بنت ثعلبة بن عبد عامِر بن أفلتَ من بني مَعْنٍ من طيءٍ[١].

وزارت سُعْدى أمّ زيد قومها وزيد معها، فأغارت خيل لبنى القَيْن بن جَسْر في الجاهليّة، فمرّوا على أبيات بني مَعْن رهط أمّ زيد، فاحتملوا زيداً، إذ هو يومئذٍ غلام يَفَعة قد أَوْصَفَ[٢]، فوافوا به سوق عُكاظ، فعرضوه للبيع، فاشتراه منهم حَكيم بن حِزام بن خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ لعمّته خديجة بنت خُوَيْلِد بأربعمائة درهم، فلما تزوّجها رسول الله ﷺ، وهبته له، فقبضه رسول الله ﷺ[٣].

وفي رواية أخرى، أنّ زيداً كان قد أصابه سباءٌ في الجاهليّة، فاشتراه حكيم بن حزام في سوق حُبَاشة، وهي سوق بناحية مكّة كانت مَجْمَعاً للعرب يتسوّقون بها في كل سنة، اشتراه حكيم لخديجة بنت خُوَيْلد، فوهبته خديجة لرسول الله ﷺ[٤].

وقيل: رآه النبيّ ﷺ يُنادى عليه بالبَطْحاء[٥]، فذكره لخديجة، فقالت له يشتريه، فاشتراه من مالها لها، ثمّ وهبته للنبيّ ﷺ[٦].

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٠)، وأنساب الأشراف (١/ ٤٦٧)، وأسد الغابة (٢/ ٢٢٤)، والاستيعاب (٢/ ٥٤٢)، والإصابة (٣/ ٢٥).
(٢) غلام يفعة: شاب. وأوصف الغلام أو الفتاة: بلغ أوان الخدمة. وأوصف: تمّ قدّه.
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٠ ـ ٤١)، وأنساب الأشراف (١/ ٤٦٧).
(٤) الاستيعاب (٢/ ٥٤٣).
(٥) البطحاء: المسيل الواسع فيه دقائق الحصى، والمقصود هنا: بطحاء مكّة.
(٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٢).

ويقال: إنّ رسول الله ﷺ كان ابتاع زيداً بالشّام لخديجة حين توجّه مع مَيْسَرَة قيِّمها، فوهبته له[1].

والمتّفق عليه، أنّ زيداً أصابه سباء، وكان حرّا فأصبح عبداً لخديجة، ثم أصبح للنبيّ ﷺ، ولا أهميّة للاختلاف في مَنْ اشتراه ولا في مكان بيعه.

وقد كان أبوه حارثة حين فقده قال:

بَكَيْتُ على زيدٍ ولم أدْرِ ما فَعَلْ ... أحَيٌّ فيُرْجَى أم أتَى دونَه الأَجلْ
فواللّهِ ما أدري وإنْ كنتُ سائلاً ... أغالكَ سَهْلُ الأرض أَمْ غالكَ الجَبَلْ
فيا ليتَ شِعْري هل لكَ الدّهرَ رجعةٌ ... فحسبي من الدنيا رُجوعُكَ لي بَجَلْ[2]
تذكّرُنيهِ الشّمسُ عند طلوعها ... وَتَعرض ذكراهُ إذا قاربَ الطَّفل
وإنْ هَبّتِ الأرواحُ هيّجنَ ذكرَه ... فيا طولَ ما حزني عليه ويا وَجَلْ
سأعمل نصَّ العِيْس في الأرض جاهداً ... ولا أسأم التطوافَ أو تسأم الإبل
حَياتيَ أو تأتي عليّ منيّتي ... وكلّ امرىءٍ فانٍ وإنْ غرّه الأمل
وأوصي به قيساً وعَمْرًا كليهما ... وأوصي يزيداً ثمّ من بعدهم جَبَلْ

يعني جبلة بن حارثة أخا زيد، وكان أكبر من زيد، ويعني بيزيد أخا زيد لأمّه، وهو يزيد بن كعب بن شراحيل[3].

ثم إنّ ناساً من بني كلب حجُّوا، فرأوا زيداً فعَرَفَهم وعرفوه، فقال: «بلّغوا أهلي هذه الأبيات، فإني أعلمُ أنّهم جزعوا عليّ»، وقال:

أَحِنّ إلى قومي وإنْ كنتُ نائباً ... بأني قطين البيت عند المشاعر
فكُفّوا من الوَجدِ الذي قد شجاكُمُ ... ولا تعملوا في الأرض نصّ الأباعر

---

(١) أنساب الأشراف (١/ ٤٦٧).
(٢) بجل: حسب.
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤١)، وأنساب الأشراف (١/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨)، وتهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٥٦).

فــإنــي بحمـــد الله فـــي خَيْـــرِ أُسْـــرَةٍ   كـــرام مَعَـــدٍّ كـــابـــراً بَعْـــدَ كـــابِـــرِ[1]

وانطلق الكلبيّون إلى ديارهم، وأعلموا أباه بمكانه، ووصفوا له موضعه وعند مَنْ هو، فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل بفِدائه[2]، وقدِما مكّة، فسألا عن النبيّ ﷺ، فقيل: هو في المسجد، فدخلا عليه، فقالا: «يا ابن عبد الله! يا ابن عبد المطّلب! يا ابن هاشم! يا ابن سيِّد قومه! أنتم أهل الحَرَم وجيرانه وعند بيته، تفكُّونَ العانيَ، وتُطعمون الأسير، جئناك في ابننا عندك، فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه، فإنا سنرفع لك في الفداء». قال: «مَنْ هو؟»، قالوا: «زيد بن حارثة»، فقال رسول الله ﷺ: «فهل لغير ذلك؟»، قالوا: «ما هو؟»، فقال: «دَعُوه، فخيِّروه، فإن اختاركم فهو لكما بغير فداء، وإن اختارني، فوالله ما أنا بالذي أختار على مَنْ اختارني أحداً»، قالا: «زدتنا في النّصف وأحسنت». ودعاه النبيّ ﷺ فقال: «هل تعرف هؤلاء؟»، قال: «نعم»، قال: «مَنْ هُما؟»، قال: «هذا أبي، وهذا عَمِّي»، قال: «فأنا مَنْ قد علمتَ، ورأيتَ صُحْبَتي لك، فاخترني أو اخترهما»، فقال زيد: «ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني بمكان الأب والأم»، فقالا: «ويحك يا زيد! أتختار العبوديّة على الحرّية وعلى أبيك وعَمِّك وأهل بيتك؟!»، قال: «نعم! إني قد رأيت من هذا الرّجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً». فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك، أخرجه إلى الحِجْر[3] فقال: «يا مَنْ حَضَر! اشهدوا أنّ زيداً ابني، أرِثُهُ ويرثني»، فلما رأى ذلك أبوه وعمّه طابت أنفسهما وانصرفا، فدُعِي: زيد بن محمّد، حتى جاء الله بالإسلام[4].

---

(١) أسد الغابة (٢/ ٢٢٥)، والاستيعاب (٢/ ٥٤٤)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٤١).

(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٤١)، وفي أنساب الأشراف (١/ ٤٦٨): خرج حارثة وكعب ابنا شراحيل وجبلة بن حارثة بفدائه.

(٣) الحجر: حجر الكعبة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ٢٢٠ ـ ٢٢١).

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٤١ ـ ٤٢)، وأنساب الأشراف (١/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩)، والإصابة (٣/ ٢٥)، وتهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧).

ويبدو من سياق هذا الحديث، أنّه جرى قبل مبعثه عليه الصّلاة والسّلام، وكان قدوم حارثة وأخوه مكّة لفداء زيد قبل الإسلام أيضاً.

ومما يلفت النّظر، أنّ زيداً قال لأبيه وعمّه: «إني قد رأيت من هذا الرّجل شيئاً، ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً»، فما الذي رآه زيد في النبيّ ﷺ؟ حسن الخلق، وحسن المعاملة؟ ذلك صحيح، ولكنّه لا يكفي لاختياره، لأنّه اختيار صعب جداً، لا يكون إلاّ من أجل العقيدة وحدها، فهي وحدها تدفع المرء المؤمن بها إلى التضحية بغير حدود.

وأرجّح أنّ قدوم حارثة وأخيه لفداء زيد، كان بعد الإسلام، وأنّ زيداً كان قد أعلن إسلامه وارتبط ارتباطاً مصيريّاً بالنبيّ ﷺ، فهذا هو الذي رآه زيد من هذا الرجل: «النّبوّة».

ولعلّ الدليل على ذلك، ما جاء في مصدر واحد: «أنّ حارثة والد زيد أسلم حين جاء في طلب زيد، ثم ذهب إلى قومه مسلماً»[1]، فإسلام زيد هو الذي جعله يختار النبيّ ﷺ على أبيه وأهله، وإسلام أبيه حارثة، هو الذي جعله تطيب نفسه فينصرف راضياً.

إســلام زيــد

كان الزّهريّ يقول: «أوّل مَنْ أسلم زيد بن حارثة»[2]، وكان يقول: «أوّل مَنْ أسلم من النساء خديجة، ومن الرّجال زيد بن حارثة»[3]، وقال غير الزهري: إنّ أوّل من أسلم زيد بن حارثة[4].

وكان زيد وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، يلزمان النبيّ ﷺ، وكان ﷺ يخرج إلى الكعبة أوّل النّهار ويصلي صلاة الضّحى، وكانت قريش

(١) تهذيب الأسماء واللّغات (١/ ٢٠٣).
(٢) أنساب الأشراف (١/ ٤٧٠).
(٣) أنساب الأشراف (١/ ٤٧١).
(٤) ابن الأثير (٢/ ٥٩).

لا تنكرها، وكان إذا صلّى غيرها قعد عليٌّ وزيد بن حارثة يرصدانه[1].

وقيل: إنّه أسلم بعد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فكان أوّل ذكر أسلم وصلّى بعد عليّ بن أبي طالب[2].

وقيل: أوّل مَنْ أسلم خديجة، وأسلم عليُّ بن أبي طالب بعد خديجة، ثم أسلم بعده زيد، ثمّ أبو بكر[3] رضي الله عنهم جميعاً.

وقيل: أوّل مَنْ أسلم خديجة، ثم آمن من الصبيان عليٌّ، ثم آمن من الرجال أبو بكر الصديق، ثم زيد بن حارثة[4].

ولا أرى تناقضاً في تلك الآراء، فأوّل مَنْ أسلم من النِّساء خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، وأوّل مَنْ أسلم من الرِّجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأوّل مَنْ أسلم من الصبيان عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وأول مَنْ أسلم من الموالي زيد بن حارثة رضي الله عنهم، فهؤلاء هم الأوائل في الإسلام.

وكان هؤلاء النّفر هم الذين سبقوا إلى الإسلام، ثمّ تتابع الناس في الإسلام حتى فشا ذكر الإسلام بمكّة وتحدّث به النّاس[5].

وفي مسألة إسلام أولئك النفر السّابقين خلاف مشهور، ولكنّ تقديم زيد على الجميع ضعيف[6]، ولا مسوِّغ للخلاف، فكلّهم أوائل في الإسلام، كلّ فرد منهم الأوّل على أمثاله من النّاس، فإذا لم يكن زيد أوّل مَنْ أسلم، فقد كان بالإجماع من أوائل مَنْ أسلم.

(١) أنساب الأشراف (١/ ١١٣)، وابن الأثير (٢/ ٥٩).
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٥)، وتهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٥٨).
(٣) أسد الغابة (٢/ ٢٢٦).
(٤) جوامع السيرة (٤٥).
(٥) ابن الأثير (٢/ ٥٩).
(٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٢).

فـي الـطّـائـف

تُوفي أبو طالب عمّ النبيّ ﷺ وخديجة أمّ المؤمنين قبل الهجرة بثلاث سنين، وبعد خروجهم من الشِّعب[1] ـ شِعب أبي طالب، فتُوفي أبو طالب في شوّال أو في ذي القعدة وعمره بضع وثمانون سنة، وكانت خديجة ماتت قبله بخمسة وثلاثين يوماً، وقيل: كان بينهما خمسة وخمسون يوماً، وقيل: ثلاثة أيّام.

وعظمت المصيبة على رسول الله ﷺ بهلاكهما، فقال رسول الله ﷺ: «ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»، وذلك أنّ قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته، حتى ينثر بعضهم الترابَ على رأسه، وحتى إنّ بعضهم يطرح عليه رحم الشّاة وهو يُصلّي، وكان رسول الله ﷺ يُخْرِج ذلك على العود ويقول: «أيّ جوارٍ هذا يا بني عبد مناف!»، ثمّ يلقيه بالطريق.

فلما اشتدّ عليه الأمر بعد وفاة أبي طالب، خرج ومعه زيد بن حارثة إلى ثَقِيْف يلتمس منهم النّصر. فلما انتهى إليهم في مدينة الطّائف، عَمَد إلى ثلاثة نفر منهم، وهم يومئذ سادة ثقيف، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب، وبنو عمرو بن عُمَيْر، فدعاهم إلى الله، وكلّمهم في نصرته على الإسلام والقيام معه على مَنْ خالفه، ولكنّهم ردّوه ردّاً غير كريم.

وقام النبيّ ﷺ، وقد يئسَ من خير ثقيف، وقال لهم: «إذا أبيتم فاكتموا عليَّ ذلك»، وكره أن يبلغ قومه خبر إخفاقه، فلم يفعلوا. وأغروا به سفهاءهم، فاجتمعوا إليه وألجؤوه إلى حائط لعُتْبَة وشَيْبَة ابْنَيْ ربيعة، وهو البستان، وهما فيه. ورجع السُّفهاء عنه، فجلس إلى ظلِّ نخلة وقال: «اللّهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي وقلّة حيلتي وهواني على الناس! اللّهمّ

---

(١) الشِّعب: انفراج بين الجبلين. (ج): شِعاب.

يا أرحمَ الرَّاحمين أنتَ ربّ المستضعَفِين وأنت ربي، إلى مَنْ تَكِلُني؟ إلى بعيدٍ يَتجهّمني، أو إلى عدوٍّ ملّكتَه أمري، إنْ لم يكن بك عليّ غضب فلا أُبالي! ولكنّ عافيتك هي أوسع. إني أعوذ بك بنور وجهك الذي أشرقتْ به الظلمات وصلحَ عليه أمرُ الدنيا والآخرة، من أن تُنزل بي غضبك أو تُحلّ بي سخطك»[1].

وعاد النبيّ ﷺ أدراجه إلى مكّة، وعاد معه زيد، الذي كان يلازمه ملازمة الظل، ولا يفارقه طرفة عين، بعد أن شهد رحلة النبيّ ﷺ إلى الطّائف، ورأى بعينيه ما لاقاه من صدود وأذى من أجل الدّعوة إلى الإسلام وفي سبيل الله.

الـهجـــرة

لما أمر النبيّ ﷺ بالهجرة إلى المدينة المنوّرة، هاجر زيد إليها، فنزل على سعد بن خَيْثَمَة[2].

وقيل: نزل حمزة بن عبد المطّلب، وحليفه أبو مَرْثَد كَنَّاز بن حُصَيْن الغَنَوِيّ، وزيد بن حارثة الكَلْبِيّ مولى رسول الله ﷺ، على كُلْثُوم بن الهِدْم، أخي بني عمرو بن عوف بِقُباء، ويقال: على سعد بن خَيْثَمَة[3].

ومهما يكن الاختلاف في اسم الأنصاري الذي نزل عليه في المدينة أو في ضواحيها، فقد وجد له مستقراً يأوي إليه، ليستأنف جهاده في خدمة الإسلام.

وفي المدينة، آخى النبيّ ﷺ بينه وبين أُسَيْد بن حُضَير[4]، وقيل: آخى بينه وبين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما[5]. وقيل: إنّ

(١) ابن الأثير (٢/ ٩١ ـ ٩٢).
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤).
(٣) جوامع السِّيرة (٨٩)، وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤).
(٤) المحبّر (٧١).
(٥) تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٢).

رسول الله ﷺ آخى بين زيد وحمزة وآخى بين زيد وأُسَيْد بن حُضَيْر[1]، وقيل: آخى بين زيد وحمزة[2].

ويبدو أنّ النبيّ ﷺ آخى بين زيد وبين حمزة قبل الهجرة[3]، وإليه أوصى حمزة يوم أُحُد حين حضره القتال، إن حدث به حادث الموت[4]، أما مؤاخاة المدينة التي كانت بعد الهجرة إليها، فقد آخى النبيّ ﷺ بين زيد وأُسَيْد بن حُضَير.

أما المؤاخاة بين زيد وبين جعفر بن أبي طالب، فقد كان جعفر مهاجراً إلى الحبشة، وعاد منها هو وصحبه من المهاجرين ومَنْ دخل في الإسلام هناك، وقدموا على رسول الله ﷺ في خَيْبر[5]، وكانت غزوة خيبر في شهر محرّم من السنة السّابعة الهجرية[6]، فمن المشكوك فيه أنّ النبيّ ﷺ آخى بين زيد وبين جعفر في تلك السنة المتأخرة من الهجرة، بينما جرت المؤاخاة بعد الهجرة مبكِّراً.

وهكذا أصبح لزيد في موطنه الجديد، قاعدة المسلمين الأمينة: المدينة، مستقر يأوي إليه، وأخ يشدّ عضده، ومجتمع يتعاون معه في السرّاء والضرّاء.

في غزوة بدر الكبرى

خرج رسول الله ﷺ من المدينة باتِّجاه موقع (بَدْر) يوم السبت لاثنتي

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤).
(٢) الإصابة (٣/ ٢٦)، وتهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٥٧)، وأسد الغابة (٢/ ٢٢٦).
(٣) الدرر في اختصار المغازي والسير (١٠٠).
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ١٢٤)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٦٨)، والإصابة (١/ ٣٧).
(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٨).
(٦) سيرة ابن هشام (٣/ ٣٧٨)، وفي طبقات ابن سعد (٢/ ١٠٦): أن الغزوة في جمادى الأولى سنة سبع الهجريّة.

عشرة ليلة خلت من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من مُهاجَره[1]، أي في السنة الثانية الهجريّة.

وكان مع المسلمين سبعون بعيراً، فكانوا يتعاقبون عليها: البعير بين الرجلين والثلاثة والأربعة، وكان بين النبيّ ﷺ وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة بعير[2]، وفي رواية أخرى: كان رسول الله ﷺ وعليّ بن أبي طالب ومَرْثَد بن أبي مَرْثَد يعتقبون بعيراً، وكان حمزة وزيد وأبو كَبْشَة وأَنَسَة موالي رسول الله ﷺ يعتقبون بعيراً[3]، والرواية الثانية هي المعتمدة، لإجماع أكثر المؤرخين عليها.

وكان من الرماة المذكورين من أصحاب النبيّ ﷺ في غزوة بدر الكبرى[4]، وكان لهؤلاء الرماة الأثر العظيم في إحراز المسلمين النصر في هذه الغزوة الحاسمة عند المشركين.

وقد قتَلَ من المشركين يوم بدر حَنْظَلَة بن أبي سفيان بن صَخْر بن حَرْب بن أُميّة: وكان من مشاهير مشركي قريش[5].

وكان زيد البشير الذي أوفده النبيّ ﷺ إلى المدينة بفتح بدر[6]، فقد بعث النبيّ ﷺ زيد بن حارثة إلى أهل (السّافِلَة) من المدينة وبعث عبد الله بن رَوَاحة إلى أهل (العالية) بشيرين بنصر المسلمين على المشركين في بدر، قال أُسامة بن زيد: «فأتانا الخبر حين سوّينا التراب[7] على رُقَيّة ابنة رسول الله ﷺ التي كانت عند عثمان بن عفّان رضي الله عنه، كان

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ١٢).
(٢) أنساب الأشراف (١/ ٢٨٩).
(٣) جوامع السيرة (١٠٨).
(٤) أنساب الأشراف (١/ ٣٢٣)، وانظر تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٢)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٤٥).
(٥) جوامع السيرة (١٤٧).
(٦) المحبّر (٢٨٧)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٢)، وأسد الغابة (٢/ ٢٢٦).
(٧) يريد: دفنوها وسووا التراب على قبرها.

رسول الله ﷺ قد خَلَّفني عليها مع عثمان ـ أنّ زيد بن حارثة قَدِمَ، فجئته وهو واقف بالمصلّى وقد غشيه الناس وهو يقول: قُتل عُتْبَة بن ربيعة، وشَيْبَة بن ربيعة، وأبو جَهْل بن هشام، وزَمْعَة بن الأسْوَد، وأبو البَخْتَرِي العاص بن هشام، وأُمية بن خَلَف، ونُبَيْهٌ ومُنَبِّه ابنا الحجّاج! قلت: يا أبتِ! أحقٌّ هذا؟! قال: نعم والله يا بُنَيَّ!»[1].

وكان رجل من المنافقين قد قال لأُسامة بن زيد: «قُتل صاحبكم ومَنْ معه»، وقال آخر منهم لأبي لُبَابَة: «قد تفرّق أصحابكم تفرّقاً لا يجتمعون بعده، وقُتل محمّد وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيد لا يدري ما يقول من الرُّعب». قال أُسامة بن زيد: «فأتيتُ أبي، فكذّب قول المنافقين»[2].

وهكذا استطاع زيد أن يبدِّد مخاوف أهل المدينة، ويكذِّب إشاعات المنافقين المغرضة، ويعيد الهدوء والاطمئنان إلى المدينة.

لقد كان دور زيد في غزوة بدر الحاسمة دوراً بارزاً حقّاً.

قائد سرية القَرَدَة[3].

هي أوّل سريّة خرج فيها زيد أميراً، وخرج لهلال جمادى الآخرة على رأس سبعة وعشرين شهراً[4] من مُهاجَر رسول الله ﷺ، أي في السّنة الثالثة الهجريّة.

وكانت قريش قد حذرت طريق الشّام أن يسلكوها، وخافوا من رسول الله ﷺ وأصحابه، وكانوا قوماً تجّاراً، فقال صَفْوان بن

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥).

(٢) أنساب الأشراف (١/ ٢٩٤)، وانظر المغازي (١/ ١١٤).

(٣) القردة: من أرض نجد، بين الرَّبذة والغَمْرة ناحية ذات عرق، انظر طبقات ابن سعد (٣/ ٣٦)، ومعجم البلدان (٧/ ٥٠).

(٤) مغازي الواقدي (١/ ١٩٧)، أما في طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦)، فجاء: على رأس ثمانية وعشرين شهراً.

أُميّة: «إنّ محمّداً وأصحابه، قد عوّروا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه، لا يبرحون السّاحل، وأهل السّاحل قد وادعهم ودخل عامّتهم معه، فما ندري أين نسلك، وإن أقمنا نأكل رؤوس أموالنا ونحن في دارنا هذه، ما لنا بها نِفَاق[١]، إنما نزلناها على التجارة: إلى الشام في الصّيف، وفي الشتاء إلى أرض الحبشة»، فقال له الأسود بن المطّلِب: «فنكِّب[٢] عن السّاحل، وخذ طريق العراق».

ولم يكن صفوان عالماً بطريق العراق، فاستأجر دليلاً يدعى: فُرات بن حَيَّان العِجْلِيّ الذي قال لصفوان: «أنا أسلك بك طريق العراق، ليس يطأها أحد من أصحاب محمّد، إنما هي أرض نَجْدٍ وفيافٍ»، فقال صفوان: «فهذه حاجتي، أما الفيافي فنحن شاتون، وحاجتنا إلى الماء اليوم قليل».

وتجهّز صفوان، وأرسل معه أبو زَمعة بثلاثمائة مثقال ذهب ونُقَر[٣] فضّة، وبعث معه رجال من قريش ببضائع، وخرج معه عبد الله بن أبي ربيعة وحُوَيْطِب بن عبد العُزّى في رجال من قريش، وخرج صفوان بمال كثير: نُقَر فضّة، وآنية فضّة وزن ثلاثين ألف درهم، وخرجوا على (ذات عِرْق)[٤].

وقدم المدينة نُعَيْم بن مَسعود الأشْجَعِيّ، وهو على دين قومه، فنزل على كِنَانة بن أبي الحُقَيْق في بني النَّضِير من يهود، فشرب معه، وشرب معه سَليط بن النُّعمان بن أسلم ـ ولم تحرّم الخمر يومئذٍ ـ وهو يأتي بني النَّضِيْر ويصيب من شرابهم، فذكر نُعَيْم خروج صَفوان في عِيره وما معهم

(١) مغازي الواقدي (١/١٩٧)، وفي بعض النسخ: «ما لنا بها بقاء». والنفاق: جمع النفقة.
(٢) نكب عنه: عدل وتنحّى.
(٣) النقر: القطعة المذابة من الذهب والفضة.
(٤) ذات عرق: مهلّ أهل العراق للحج، وهو الحد بين نجد وتهامة.

من الأموال، فخرج من ساعته إلى النبيّ ﷺ فأخبره، فأرسل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في مائة راكب، فاعترضوا عِيْر قريش وأصابوها، وأفلتَ أعيان قريش وأسروا رجلاً أو رجلين.

وقدم زيد بالعِيْر على النبيّ ﷺ، فخمّسها، فكان الخمس يومئذٍ قيمة عشرين ألف درهم، وقسم ما بقي على أهل السريّة.

وكان في الأسرى، فُرات بن حَيّان، فأُتي به، فأسلم[1].

وهكذا صعّد النبيّ ﷺ بهذه الغزوة الحصار الاقتصادي على قريش، فهدد طريق تجارتهم إلى العراق أيضاً، بعد أن هدّد طريق مكّة ـ الشّام، وطريق مكّة ـ الطائف في غزواته وسراياه السابقة.

سريّة زيد إلى سُلَيْم بالجَموم[2]

بعث النبيّ ﷺ إلى بني سُلَيْم بالجَمُوم في شهر ربيع الآخر من سنة ست الهجريّة زيداً، فسار على رأس سريته التي لا نعرف تَعداد رجالها حتى ورد الجَمُوم ناحية (بطن نَخل)[3] عن يسارها، وبطن نَخل من المدينة على أربعة بُرُد، فأصابوا عليه امرأة من مُزَيْنَة يقال لها حليمة، فدلتهم على محلّة من محالّ بني سُليم، فأصابوا في تلك المحلّة نَعَماً وشاءً وأسرى، فكان فيهم زوج حليمة المُزَنيَّة. فلما قفل زيد بما أصاب، وهَبَ رسول الله ﷺ للمُزَنيّة نفسَها وزوجها، فقال بلال بن الحارث في ذلك شعراً:

لعمرُكَ! ما أخنى المَسُول ولا وَنَتْ　　　حليمةُ حتى راحَ رَكبُهُما معا[4]

---

(١) مغازي الواقدي (١/١٩٧ ـ ١٩٨)، وطبقات ابن سعد (٢/٣٦)، وانظر سيرة ابن هشام (٢/٤٢٩ ـ ٤٣٠).

(٢) الجموم: أرض لبني سُلَيْم، انظر معجم البلدان (٣/١٤٠).

(٣) بطن نخل: جمع نخلة، قرية قريبة من المدينة، على طريق البصرة، انظر معجم البلدان (٢/٢٢١).

(٤) طبقات ابن سعد (٢/٨٦).

وكان الهدف من هذه السّرية تأمين المدينة القاعدة الأمينة للإسلام، وفرض سيطرة المسلمين على القبائل التي حولها، وتشديد وطأة الحصار الاقتصادي على قريش وحلفائها.

قائد سريّة العِيْص[1]

بعث النبيّ ﷺ زيداً إلى العِيْص، وبينها وبين المدينة أربع ليالٍ، وبينها وبين ذي المَرْوَة ليلة، في جمادى الأولى سنة ست الهجريّة. فقد بلغ رسول الله ﷺ، أنّ عِيراً لقريش قد أقبلت من الشّام، فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب يتعرّض لها، فأخذوها وما فيها، وأخذوا يومئذٍ فضّة كثيرة لصفوان بن أُميّة، وأسروا ناساً ممن كان في العير، منهم أبو العاص بن الربيع.

وقدم زيد بهم المدينة، فاستجار أبو العاص بزينب بنت رسول الله ﷺ، فأجارته. ونادت زينب في الناس حين صلّى رسول الله ﷺ الفجر: «إني قد أجرتُ أبا العاص!»، فقال رسول الله ﷺ: «وما علمتُ بشيءٍ من هذا، وقد أجرنا مَنْ أَجَرْتِ»، وردّ عليه ما أُخذ منه[2].

وهكذا شدّد النبيّ ﷺ الخناق في حصاره الاقتصادي، على قريش التي تعيش على التجارة وتموت بدونها.

قائد سريّة الطَّرَف[3]

بعث النبيّ ﷺ زيداً على سرية إلى الطَّرَف في جمادى الآخرة من سنة

---

(١) العيص: موضع في بلاد بني سُليم، به ماء يقال له: ذنبان العيص، انظر معجم البلدان (٦/ ٢٤٨)، بينها وبين المدينة أربع ليالٍ، وبينها وبين ذي المروة ليلة، انظر طبقات ابن سعد (٢/ ٨٧).

(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٨٧)، وانظر مغازي الواقدي (٢/ ٥٥٣ ـ ٥٥٥).

(٣) الطّرف: ماء قريب من المرقى دون النُّخَيْل، وهو على ست وثلاثين ميلاً من المدينة باتجاه العراق، انظر معجم البلدان (٦/ ٤٣).

ست الهجريّة، والطرف ماء قريب من المِراض دون النُّخَيل على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة طريق البَقَرة على المحجّة.

وخرج زيد إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً، فأصاب نَعَماً وشاءً، وهربت الأعراب، وصبّح زيد بالنّعم المدينة، وهي عشرون بعيراً، ولم يلق كيداً، وغاب أربع ليالٍ، وكان شعارهم: أَمِتْ... أَمِتْ...[1].

وكان هدف هذه السريّة، تأمين المدينة القاعدة الأمينة للإسلام، وفرض سيطرة المسلمين على القبائل، بالهجوم عليها، لأنّ الهجوم أنجع وسائل الدفاع، إذ أنّ الأعراب إذا لم يُهاجموا من المسلمين، هاجموا المسلمين، كما هو دأبهم.

قائد سريّة حِسْمَى[2]

بعث النبيّ ﷺ زيداً على سرية إلى حِسْمَى، وهي وراء وادي القُرى، في جمادى الآخرة من السنة السّادسة الهجريّة.

وسبب بعث هذه السرية، أنّ دِحْيَة بن خليفة الكلبيّ - وكان مسلماً ومن كبار الصحابة - أقبل من عند قيصر الرُّوم وقد أجاره وكساه، فلقيه الهُنَيْد بن عارِض وابنه عارِض بن الهُنَيد في ناس من بني جُذَام بحِسْمَى، فقطعوا عليه الطّريق، ولم يتركوا عليه إلاّ سَمَل ثوب، فسمع بذلك نفرٌ من بني الضُّبيب، فنفروا إليهم، واستنقذوا لدحية متاعه.

وقدِم دِحية على النبيّ ﷺ، فأخبره بذلك، فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل، وردّ معه دِحية.

وكان زيد يسير اللّيل ويكمن النّهار، ومعه دليل من بني عُذْرَة، فأقبل

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٨٧)، ومغازي الواقدي (٢/ ٥٥٥).
(٢) حسمى: أرض ببادية الشّام، بينها وبين وادي القُرى ليلتان، وبين وادي القُرى والمدينة ست ليالٍ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ٢٧٦).

بهم حتى هجم بهم مع الصُّبح على القوم، فأغاروا عليهم وقتلوا فيهم فأوجعوا، وقتلوا الهُنَيد وابنه، وأغاروا على ماشيتهم ونَعمهم ونسائهم، فأخذوا من النَّعم ألف بعير، ومن الشّاء خمسة آلاف شاة، ومن السّبي مائة من النساء والصبيان.

ورحل زيد بن رِفاعة الجُذامِيّ في نفرٍ من قومه إلى رسول الله ﷺ، فدفع إلى رسول الله ﷺ، كتابه الذي كان كتب له ولقومه ليالِيَ قدم عليه فأسلم، وقال: «يا رسول الله! لا تُحَرِّمْ علينا حلالاً ولا تُحِلّ لنا حراماً»، فقال: «كيف أصنع بالقتلى؟»، قال أبو يزيد بن عمرو: «اطلِقْ لنا يا رسول الله مَنْ كان حيّاً، ومَنْ قُتِل فهو تحت قدميّ هاتين»، فقال رسول الله ﷺ: «صدَق أبو يزيد».

وبعث النبيّ ﷺ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، إلى زيد بن حارثة، يأمره أن يخلّي بينهم وبين حُرمهم وأموالهم، فتوجّه عليّ، فلقي رافع بن مَكِيْث الجُهَني ـ بشيرَ زيد بن حارثة ـ على ناقة من إبل القوم، فردّها عليٌّ على القوم، ولقي زيداً بالفَحْلَتَيْن، وهي بين المدينة وذي المَرْوَة، فأبلغه أمر رسول الله ﷺ، فردّ إلى الناس كلّ ما كان أخذ لهم[1].

وكان الهدف من هذه السرية، تأديب بني جُذام الذين اعتدوا على دِحية بن خليفة الكلبيّ، وهم يعلمون أنّه أحد المسلمين، وليس النبيّ ﷺ بالذي يرضى باعتداء أحد على مسلم من المسلمين، لأنّ الاعتداء عليه اعتداء على المسلمين كافة.

قائد سريّة وادي القُرى[2]

بعث النبيّ ﷺ زيد بن حارثة على رأس سرية إلى وادي القُرى في

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٨٨)، ومغازي الواقدي (٢/ ٥٥٥ ـ ٥٦٠).

(٢) وادي القرى: وادٍ بين المدينة والشام، من أعمال المدينة، كثير القرى، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ٣٧٥).

رجب من السنة السادسة الهجريّة[1]، لتأديب بني فَزارة، فأصيبت هذه السرية وتسلّل زيد من بين القتلى وعاد إلى المدينة، فآلى على نفسه ألاّ يمسّ رأسه غسل جنابة حتى يغزو بني فَزارة[2].

وفي رواية، أنّ زيداً خرج في تجارة إلى الشّام، ومعه بضائع لأصحاب النبيّ ﷺ، حتى إذا كان دون وادي القُرى ومعه ناس من أصحابه، لقيه ناسٌ من بني فَزارة من بني بدر، فضربوه وضربوا أصحابه حتى ظنّوا أن قد قُتلوا، وأخذوا ما كان معه. ثم استبلّ[3] زيد، فعاد زيد إلى المدينة[4]، وهذه الرواية أقرب إلى المنطق والعقل وسير الحوادث.

ويبدو أنّ المسلمين لم يكتفوا بقطع الطريق التجاريّة: مكة ـ الشّام على تجارة قريش، بل أرادوا استغلال هذه الطريق لتجارتهم بهدف تحسين أوضاعهم الاقتصادية، ولكنّهم أخفقوا في ذلك، إذ تبيّن لهم أنّ الوقت لا يزال مبكّراً لاستغلال هذه الطريق.

قائد سريّة أم قِرْفة بوادي القرى

بعث النبيّ ﷺ زيداً على رأس سريّة إلى أُم قِرْفة بوادي القرى على سبع ليالٍ من المدينة، في شهر رمضان من السّنة السّادسة الهجريّة، وهي من فَزارة من بني بدر.

وخرج المسلمون من المدينة، يكمنون النهار ويسيرون اللّيل، وخرج بهم دليلٌ لهم. ونذرت بهم بنو بدر من فَزارة، فكانوا يجعلون ناطوراً[5] لهم حين يُصبحون، فينظر على جبل لهم مشرفٍ وجهَ الطريق الذي يرون

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٨٩).
(٢) عيون الأثر (٢/ ١٠٨).
(٣) استبلّ: أي برأ.
(٤) مغازي الواقدي (٢/ ٥٦٤)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٩٠).
(٥) الناطور: حافظ الكرم، والمعنى هنا: الرّاصد.

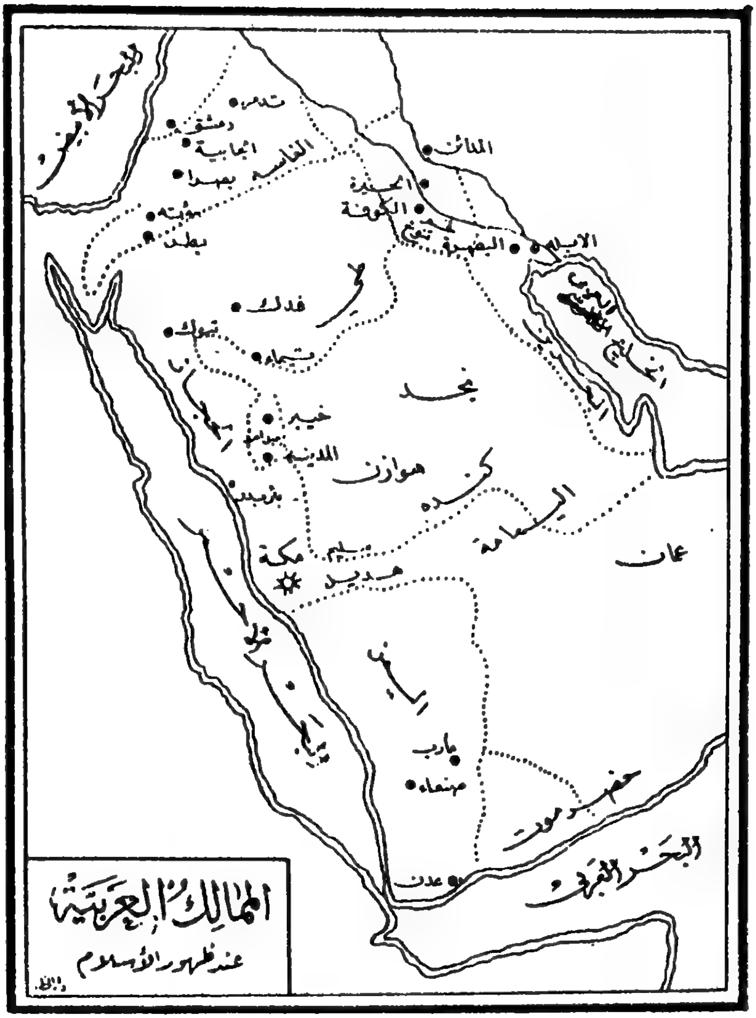
الممالك العربية
عند ظهور الإسلام
البحر الأبيض
تدمر
دمشق
الجابية
الغاسنة
مؤتة
المدائن
الحيرة
الكوفة
البصرة
فدك
تبوك
تيماء
نجد
خيبر
المدينة
هوازن
كندة
اليمامة
عمان
مكة
مأرب
صنعاء
عدن
حضرموت
البحر العربي

المقياس

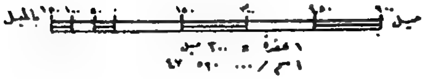

أنّهم يأتون منه، فينظر قدر مسيرة يوم، فيقول: اسرحوا فلا بأس عليكم هذه ليلتكم!.

فلما كان زيد وأصحابه على مسيرة ليلة، أخطأ بهم دليلهم الطريق، فأخذ بهم طريقاً أُخرى، حتى أمسوا وهم على خطأ. وعرفوا خطأهم، ثم صمدوا[1] لهم في اللّيل حتى صبّحوهم، وكان زيد نهاهم عن المطاردة، ثم أمرهم ألاّ يتفرّقوا، وقال: «إذا كبّرتُ فكبّروا»، ثم أحاطَ بفزارة في بيوتهم، وكبّر وكبّروا، فخرج مَسْلَمَة بن الأكْوَع، فطلب رجلاً منهم حتى قتله، وأخذ جارية بنت مالك بن حُذَيفة بن بدر وجدها في بيت من بيوتهم، وهي ابنة أمّ قِرْفَة. واسم أم قِرْفَة: فاطمة بنت ربيعة بن بدر، كما أخذوا أم قِرفَة فقتلها قيس بن المُحسِّر، وقتل النُّعمانَ وعبيد الله ابني مَسْعَدة بن حَكَمَة بن مالك بن بدر[2].

وكانت العرب تقول: «لو كنت أعزّ من أم قرفة»[3]، لأنّها كانت يُعلّق في بيتها خمسون سيفاً كلّهم لها ذو محرم[4].

وعاد زيد إلى المدينة، فقرع باب النبيّ ﷺ، فخرج إليه مسرعاً واعتنقه وقبّله، فأخبره زيد بانتصاره وغنمائه.

أما جارية ابنة أم قِرفة، فقد وهبها مَسْلَمَة بن الأكْوَع لرسول الله ﷺ، فوهبها لحَزْن بن أبي وَهْب خال النبيّ ﷺ، فولدت له امرأةً ليس له منها ولد غيرها[5].

---

(١) صمدوا لهم: أي ثبتوا لهم وقصدوهم وانتظروا غفلتهم، انظر النهاية (٢/ ٣٧٤).
(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٩٠ ـ ٩١)، وفي مغازي الواقدي (٢/ ٥٦٥): قُتل عبد الله بن مَسْعَدَة، وقُتل قيس بن النُّعمان بن مَسْعَدَة بن حَكَمَة بن مالك بن بدر.
(٣) عيون الأثر (٢/ ١٠٨).
(٤) عيون الأثر (٢/ ١١٠).
(٥) طبقات ابن سعد (٢/ ٩٠ ـ ٩١)، ومغازي الواقدي (٢/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥)، وانظر عيون الأثر (٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨).

وهكذا أخذ زيد بثأر المسلمين الذين قتلتهم فَزارة، وأعاد هيبة المسلمين إلى تلك المنطقة، ولقّن فزارة درساً لا ينسونه أبداً كما لقّن غيرها من القبائل مثل هذا الدّرس.

قائـد سريّـة مُؤْتَـة[1]

بعث النبيّ ﷺ زيداً على سرية إلى مُؤْتَة في جمادى الأولى سنة ثمان الهجرية، وكان سبب بعث هذه السريّة، أنّ النبيّ ﷺ بعث الحارث بن عُمَيْر الأَزْدِيّ أحد بني لِهْبٍ إلى ملك بُصْرَى[2] بكتاب، فلما نزل مُؤْتَة عرض له شُرَحْبِيْل بن عمرو الغَسَّاني فقتله، ولم يُقْتَلْ لرسول الله ﷺ، رسولٌ غيره، فاشتدّ ذلك عليه، وندب الناسَ فأسرعوا وعسكروا بالجُرْف[3]، وهم ثلاثة آلاف، فقال رسول الله ﷺ: «أمير النّاس زيد بن حارثة، فإن قُتِل فجعفر بن أبي طالب، فإن قُتِل فعبد الله بن رَواحة، فإن قُتِل فليرتَضِ المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم».

وعقد لهم رسول الله ﷺ، لواءً أبيض دفعه إلى زيد، وأوصاهم رسول الله ﷺ، أن يأتوا مقتل الحارث بن عُمير وأن يَدْعُوا مَنْ هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلاّ استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم. وخرج مشيِّعاً لهم حتى بلغ (ثَنِيَّة الوَدَاع)[4]، فوقف وودّعهم، فلما ساروا من مُعَسكرهم نادى المسلمون: دفعَ الله عنكم وردّكم صالحين غانمين! فقال عبد الله بن رَواحة:

---

(١) مؤتة: قرية من قرى البلقاء في حدود الشّام، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ١٩٠)، وهي بأدنى البلقاء دون دمشق، انظر طبقات ابن سعد (٢/ ١٢٨). والبلقاء، هي الأردن الحالية.

(٢) بصرى: مدينة من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حَوْران، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/ ٢٠٨).

(٣) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ٨٦).

(٤) ثنية الوداع: ثنيّة مشرفة على المدينة، سميت لتوديع المسافرين، انظر معجم البلدان (٣/ ٢٥).

لكنّني أسأل الرحمَن مغفرةً وضَرْبَةً ذات فرع تقذف الزّبدا[1]

ولما فصلوا من المدينة، سمع العدو بمسيرهم، فجمعوا لهم، وقام فيهم شُرَحْبِيل بن عمرو، فجمع أكثر من مائة ألف، وقدّم الطلائع أمامه.

ونزل المسلمون (مُعَان)[2] من أرض الشّام، وبلغ الناسَ أنّ هِرَقْل قد نزل (مَآب)[3] من أرض البلقاء في مائة ألف من بَهْراء ووائل وبَكْر ولَخْم وجُذَام.

وأقام المسلمون ليلتين لينظروا في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ، فنخبره الخبر... فشجّعهم عبد الله بن رَواحة على المُضِيّ، فمضوا إلى مُؤْتَة.

ووافاهم المشركون، فجاء ما لا قِبَل لأحدٍ به من العَدد والسِّلاح والكُراع والديباج والحرير والذّهب، فالتقى المسلمون والمشركون، وقاتل الأمراء يومئذ على أرجُلهم، فأخذ اللِّواء زيد بن حارثة فقاتل، وقاتل المسلمون معه على صفوفهم، حتى قُتِل طعناً بالرِّماح رحمه الله. ثمّ أخذ اللواءَ جعفر بن أبي طالب، فنزل عن فرس له شقراء، فعرقبها[4]، فكانت أوّل فرس عُرْقِبت في الإسلام، وقاتل حتى قُتل، رضي الله عنه، ضربه رجل من الروم فقطعه بنصفين، فوُجد في أحد نصفيه بضعة وثلاثون جرحاً، ووجد في بَدَن جعفر اثنتان وسبعون ضربةً بسيف وطعنةً برمح. ثم أخذ اللواء عبد الله بن رَواحة، فقاتل حتى قُتل رضي الله عنه.

واصطلح الناس على خالد بن الوليد، فسحب قوّات المسلمين من ساحة المعركة، وحمى بالسّاقة انسحابهم، فكانت عملية الانسحاب التي

---

(١) ذات فرع: أي ذات سعة.
(٢) معان: مدينة بطرف بادية الشام تلقاء الحجاز، انظر معجم البلدان (٨/ ٩٣).
(٣) مآب: مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء، انظر معجم البلدان (٧/ ٢٤٩).
(٤) عرقبها: قطع عرقوبها، وعرقوب الدابة في رجلها بمنزلة الرُّكبة في يدها.

طبّقها خالد من العمليات الانسحابية الفذّة في تاريخ الحروب.

ولما سمع أهل المدينة بجيش مُؤْتَة قادمين، تلقّوهم بالجُرْف، فجعل الناس يُحْثُون في وجوههم الترابَ ويقولون: يا فُرَّار! أفَررتم في سبيل الله؟ فيقول رسول الله ﷺ: «ليسوا بفُرّار، ولكنّهم كُرَّار إن شاء الله»[1].

وهكذا ضحّى زيد بروحه رخيصة في سبيل الله مُقبلاً غير مُدبر، رافعاً لواء الإسلام عالياً، لم يعفِّره بالتراب في حياته، فلما استُشهد لم يُعفَّر بالتراب المجبول بدم الشهيد، بل رفعه فوراً للقائد الجديد.

الإنسان

استُشهد زيد في مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان الهجريّة[2] (٦٢٩ م)، وكان النبيّ ﷺ أكبر من زيد بعشر سنين[3]، أي أنّ زيداً ولد سنة (٥٨١ م)، لأنّ النبيّ ﷺ ولد عام الفيل وهو سنة (٥٧١ م)، ومعنى ذلك أنّ زيداً عاش ثماني وأربعين سنة شمسيّة ونحو خمسين سنة قمريّة[4].

ولكن هناك نصوص على أنّه استُشهد وله من العمر خمس وخمسون سنة[5]، والرواية الأولى أرجح، لأنّها المعتمدة عند أكثر المؤرخين المعتمدين.

وكان زيد رجلاً قصيراً، آدم شديد الأدمة، في أنفه فطس[6]، وفي

---

(١) طبقات ابن سعد(٢/١٢٨ ـ ١٣٠)، وانظر مغازي الواقدي (٢/ ٧٥٥ ـ ٧٦٩).
(٢) تهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٥٧).
(٣) الاستيعاب (٢/٥٤٣)، وتهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٥٧)، وأنساب الأشراف (١/ ٤٧٠).
(٤) أنساب الأشراف (١/ ٤٧٣).
(٥) الإصابة (٣/ ٢٦)، وتهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٦١).
(٦) أنساب الأشراف (١/ ٤٧٠)، وتهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٥٧)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٤٤).

رواية: أنّه كان أبيضَ أحمرَ[1]، والتناقض بين الروايتين واضح، والرواية الأولى هي الصحيحة، لاعتمادها من أكثر المؤرخين الثقاة.

ولما أتى رسول الله ﷺ خبر قتل جعفر وزيد بكى وقال: «أخواي ومؤنساي ومحدِّثاي»، وشهد له رسول الله ﷺ بالشّهادة.

ولما أصيب زيد، أتى النبيّ ﷺ أهله، فجهشت زينب بنت زيد في وجهه، فبكى رسول الله ﷺ حتى انتحب، فقال له سعد بن عُبادة: «يا رسول الله! ما هذا؟»، قال: «هذا شوق الحبيب إلى حبيبه»[2]، ولا عجب في ذلك، فقد كان زيد حِبّ رسول الله ومولاه[3].

وقد دعا النبيّ ﷺ لزيد وجعفر وابن رَواحة بعد استشهادهم، فقال: «اللّهم اغفر لزيد، اللّهم اغفر لزيد، اللّهم اغفر لزيد، اللّهم اغفر لجعفر وعبد الله بن رَواحة»[4].

وقال حسّان بن ثابت يرثي زيداً:

عَيْنِ جودي بدمعك المَنْزُورِ ... واذكُري في الرَّخاءِ أهلَ القُبورِ[5]
واذكري مُؤْتَةَ وما كانَ فيها ... يومَ راحُوا في وقْعَةِ التَّغْوِير[6]
حين راحوا وغادروا ثَمَّ زَيْداً ... نِعْمَ مأوَى الضَّرِيكِ والمأسور[7]
حِبَّ خير الأنام طرًّا جميعاً ... سيِّدِ الناسِ حبُّه في الصُّدور
ذاكمو وأحمدُ الذي لا سِواهُ ... ذاكَ حُزْنِي له معاً وسروري
إنّ زيداً قد كان مِنَّا بأَمْرٍ ... ليس أَمْرَ المكَذَّبِ المغرور

---

(١) أسد الغابة (٢/ ٢٢٧).
(٢) أنساب الأشراف (١/ ٤٥٣).
(٣) تهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٥٤).
(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٦).
(٥) المنزور: القليل، وذلك لأنه بكى حتى فرغ دمعه.
(٦) التغوير: الإسراع، يريد الانهزام.
(٧) الضريك: الفقير.

ثم جودي للخزرجيِّ بدمعٍ سيِّداً كان ثَمَّ غيرَ نَزُورِ[1]
قد أتانا من قتلهم ما كفانا فَبِحُزْنٍ نَبِيتُ غيرَ سرورِ[2]

وقد كان لزيد صلة مباشرة متينة بالنبيّ ﷺ، فقد آثره زيد على أهله، كما ذكرنا في قصّة محاولة فدائه، فتبنّاه رسول الله ﷺ، قال عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زيد: «ما كنّا ندعوه إلاّ زيد بن محمّد، حتى نزلت: ﴿ادْعُوهُم لآبائِهِم﴾[3]، فدُعِي: زيد بن حارثة[4]، ودُعي الأدعياء إلى آبائهم، فدعي المِقداد بن عمرو، وكان يقال له قبل ذلك المِقداد بن الأسود، لأنّ الأسود بن عبد يَغوث كان قد تبنّاه[5].

وكان زيد يسمى: زيد الحِبّ، لأنّه حبّ رسول الله ﷺ[6]، وأبو حِبّه[7] أُسَامة بن زيد الذي فرض له عمر في العطاء أكثر مما فَرض لابنه عبد الله بن عمر، وعلّل ذلك عمر لابنه: «إنّه كان أحبّ إلى رسول الله منك، وإنّ أباه كان أحبّ إلى رسول الله من أبيك»[8].

وقال رسول الله ﷺ: «يا زيد! أنت مولايَ ومني وإليّ وأحبّ القوم إليّ»[9]، وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا»، وقال: «أنت مولائي، ومني، وأحبّ القوم إليّ»[10].

وكانت عائشة أم المؤمنين تقول: «ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن

---

(١) أراد بالخزرجيّ: عبد الله بن رواحة، والنزور: القليل العطاء.
(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ٤٤٦)، وتهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٦٢).
(٣) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣: ٥).
(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٣)، وأسد الغابة (٢/ ٢٢٦)، والإصابة (٣/ ٢٥).
(٥) الاستيعاب (٢/ ٥٤٥).
(٦) أنساب الأشراف (١/ ٤٦٩).
(٧) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٢).
(٨) تهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٦١).
(٩) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤).
(١٠) أنساب الأشراف (١/ ٤٧٠).

حارثة في جيش قط إلاّ أمّره عليهم، ولو بقي بعده استخلفه»[١].

وكان النبيّ ﷺ إذا لم يَغْزُ لم يعطِ سلاحه إلاّ لعليّ أو لزيد[٢].

ذلك مبلغ حبّ النبيّ ﷺ لزيد وتقديره له، ولن يكون هذا الحبّ وهذا التقدير إلاّ لشخصيّة لها سجاياها المتميِّزة وإخلاصها النّادر وإيمانها العميق.

وزوّج النبيّ ﷺ ابنة عمّته زينب بنت جَحْش زيداً، وهي التي تزوّجها رسول الله ﷺ بعد زيد[٣]، فتكلّم المنافقون والمشركون وقالوا: «محمّد يحرِّم نساء الولد، وقد تزوّج امرأة ابنه»، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ما كانَ محمّدٌ أبا أَحَدٍ من رِجَالِكُمْ ولكنْ رسولَ اللّهِ وخَاتَمَ النَّبِيِّيْنَ، وكانَ اللّهُ بكلِّ شَيءٍ عَلِيْماً﴾[٤]، ونزلت: ﴿ادْعُوْهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عند اللّهِ، فإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فإِخْوانُكُمْ في الدِّيْنِ وَمَوَالِيْكُمْ﴾[٥]، فدعي يومئذٍ زيد بن حارثة، ونُسب كلّ مَنْ تبنّاه رجل من قريش إلى أبيه[٦].

وكانت عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها تقول: «لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية: ﴿وإِذْ تَقُوْلُ للَّذِي أَنْعَمَ اللّهُ عليهِ وأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ: أَمْسِكْ عليكَ زَوْجَكَ واتَّقِ اللّهَ، وتُخْفِيْ في نَفْسِكَ ما اللّهُ مُبْدِيْهِ، وتَخْشَى النَّاسَ واللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ، فلمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُوْنَ على المُؤْمِنِيْنَ حَرَجٌ في أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِم إذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً، وكانَ أَمْرُ اللّهِ مَفْعُولاً﴾[٧]، فإنّ رسول الله ﷺ لما

(١) طبقات ابن سعد (٣/٤٦).
(٢) تهذيب ابن عساكر (٥/٤٥٩).
(٣) أسد الغابة (٢/٢٢٦).
(٤) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣: ٤٠).
(٥) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣: ٥).
(٦) أنساب الأشراف (١/٤٦٩).
(٧) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣: ٣٧).

تزوّجها ـ يعني زينب بنت جحش ـ قالوا: «إنّه تزوّج حليلة ابنه»[1]، فإنّ العرب إذا تبنّت غلاماً أنزلته منزلة الولد حتى في الإرث وتحريم نكاح زوجته، وكان من سُنّة النبيّ ﷺ وطريقته، إذا نسخ الله شيئاً من أمرِ الجاهليّة أن يُسرع ﷺ إلى الفعل، ليقتدي به، فلما زوّج زينب بنت جحش من زيد، وأذن الله بنسخ عادة الجاهليّة، أمر الله أن يطلّقها زيد ويتزوّجها رسول الله ﷺ ليبطل عادة الجاهلية بالفعل، للعلّة التي ذكرها الله في كتابه العزيز: ﴿لِكَيْ لا يَكُوْنَ على المؤمنينَ حَرَجٌ في أزواجِ أدعيائهم﴾[2].

وروي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «أحبُّ النّاس إليّ مَنْ أنْعَمَ الله عليه وأنعمتُ عليه» ـ يعني زيد بن حارثة ـ أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالعِتْق[3].

ومن الواضح، أنّ النبيّ ﷺ زوّج زيداً زينب بنت جحش، وهي ابنة عمّته، ليبطل عادة جاهليّة في الترفُّع على الموالي وعدم تزويجهم الحرائر وبنات الأشراف، وكان زواجها بزيد شديداً على نفسها، قالت زينب رضي الله عنها: «خطبني عدّة من قريش، فأرسلت أختي حَمْنَة إلى رسول الله ﷺ أستشيره، فقال: أين هي ممّن يعلّمها كتاب الله وسنّة نبيِّها؟ قالت: ومَنْ هو يا رسول الله؟ قال: زيد! فغضبت حمنة غضباً شديداً وقالت: يا رسول الله! أتزوّج ابنة عمّتك مولاك!! فجاءت فأخبرت زينب، فغضبت أشدّ من غضب أختها وقالت أشدّ من قولها، فأنزل الله تعالى: ﴿ما كانَ لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أنْ يكونَ لَهُمُ الخِيَرَة من أمْرِهم﴾[4]، فأرسلت زينب إلى رسول الله ﷺ تقول: زوِّجني مَنْ شئت، فزوَّجني من زيد»[5].

---

(١) أسد الغابة (٢/ ٢٢٦).
(٢) تهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩).
(٣) الاستيعاب (٢/ ٤٥٦).
(٤) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣: ٣٦).
(٥) تهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٥٨).

لقد أبطل النبيّ ﷺ تقاليد الترفّع عن تزويج الموالي بالحرائر من بنات الأشراف وتقاليد تحريم الزواج بامرأة الابن بالتبني، وأعتقد أنّه لو لم يطبّق إبطال تلك التقاليد عملياً بنفسه وعلى نفسه لصعب تطبيقها على غيره، وهي تقاليد جاهليّة بالية أبطلها الإسلام، فجعل التفاضل بالتقوى لا بالأحساب وبالتمسك بالدين لا بالتمسّك بالأنساب.

ولست أنسى حديثاً سمعته في المدينة المنورة من شيخ معروف من الشيوخ المسلمين، يستنكر فيه إقدام شخصيات من عوائل عريقة في المدينة على تزويج قسم من بناتهم الشريفات برجالٍ قدّمهم علمهم ومناصبهم الحكومية وأخّرهم نسبهم وحسبهم، وقد مضى على الإسلام خمسة عشر قرناً، وذهبت تقاليد الجاهلية إلى غير رجعة، وهذا يدل على مبلغ التضحية التي أقدم عليها النبيّ ﷺ وعظم الشجاعة التي حقّقها بإقدامه على زواج زينب من مولاه، وزواجها بعد أن طلّقها مولاه.

إنّ التضحية والشجاعة المعنويتين اللتين تحمّلهما الرسول الأعظم عليه أفضل الصّلاة والسّلام في قصّة زينب بنت جحش رضي الله عنها لا تقلّان عن أيِّ تضحية وشجاعة ماديتين إن لم تكونا أعظم أثراً وأبلغ تأثيراً، فكان القدوة الحسنة والمثال الشخصيّ في تطبيق أصعب تشريعات الإسلام على نفسه قبل غيره، فاجتثّ بذلك تقاليد جاهلية بالية، ولكن لا تزال آثارها باقية بين العرب المسلمين حتى اليوم وهناك مَنْ لا يتحمّل تطبيق اجتثاثها على نفسه من العرب المسلمين غير المؤمنين حقاً من الطيبين الأخيار.

وما دمنا قد تطرّقنا إلى زواج زيد بالسيدة زينب، فلا بد من إكمال الحديث عن زواجه بنسائه الأُخريات.

فقد زوّجه النبيّ ﷺ مولاته أم أيمَن، فولدت له أُسامة بن زيد[١]

(١) أسد الغابة (٢/ ٢٢٦)، والاستيعاب (٢/ ٥٤٦)، والإصابة (٣/ ٢٥).

حِبّ رسول الله وابن حِبّه، وهي حاضنة رسول الله ﷺ ومولاته، وكان اسم أم أيمن: بَرَكة، كانت قد تزوّجت بمكّة في الجاهليّة عُبَيْد بن عمرو بن بلال بن أبي الحرباء بن قيس بن مالك بن ثعلبة بن جَشَم بن مالك بن سالم بن غَنْم بن عوف بن الخزرج، فولدت له: أَيْمَن بن عُبَيْد، فكنِّيت به. واستُشهد أيمن يوم حُنَيْن، ومات عُبَيْد عن أم أيمن، فكانت فارغةً لا زوج لها، فزوّجها رسول الله ﷺ زيداً[1].

وتزوّج زيد أمّ كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيْط[2]، فقد أقبلت أمّ كلثوم بنت عُقْبَة بن أبي مُعَيْط، وأمّها أَرْوَى بنت كُرَيْز بن ربيعة، وأمّ أروى هي أم حكيم البيضاء بنت عبد المُطَّلِب - مهاجرة إلى النبيّ ﷺ - فخطبها الزُّبير بن العوّام، وزيد بن حارثة، وعبد الرحمن بن عَوْف، وعمرو بن العاص، فاستشارت أخاها لأمّها عثمان بن عفّان، فأشار عليها أن تأتيَ النبيّ ﷺ، فأتته، فأشار عليها بزيد بن حارثة، فتزوّجته، فولدت له زيداً ورُقَيّة، فهلك زيد وهو صغير، وماتت رُقيّة في حجر عثمان. وطلّق زيد أمّ كلثوم، فخلف عليها عبد الرحمن بن عوف، ثمّ الزبير، ثمّ عمرو بن العاص[3]. وتزوّج هند بنت العوّام أخت الزُّبير[4]، وكان قد تزوّج قبلها دُرّة بنت أبي لَهب ثم طلّقها[5].

وتسلسل زوجات زيد بحسب الأقدميّة: أم أيمن مولاة النبيّ ﷺ وحاضنته، ثم زينب بنت جحش، ولما طلّق زينب زوّجه أمّ كلثوم بنت عُقْبَة، ثم طلّق أمّ كلثوم وتزوّج دُرَّة بنت أبي لَهَب بن عبد المطّلب، ثم طلّقها وتزوّج هند بنت العوّام أخت الزُّبير[6]، وهكذا سعى النبيّ ﷺ أن

---

(١) أنساب الأشراف (١/ ٤٧١).
(٢) المحبّر (٤٤٦)، وجمهرة أنساب العرب (١١١).
(٣) أنساب الأشراف (١/ ٤٧١)، وانظر المحبّر (٤٤٦).
(٤) الإصابة (٣/ ٢٥).
(٥) أنساب الأشراف (١/ ٤٧١).
(٦) الإصابة (٣/ ٢٦).

يزوِّج زيداً كرائم النساء وأقربهنّ نسباً به، لأنّه حِبّه ومؤتمنه وموضع ثقته، ولكي يجتث تقاليد جاهلية عريقة بالية في الزّواج، ولكنّ بعض المسلمين عادوا إلى تلك التقاليد الجاهلية البالية، فعادت إلى الحياة من جديد.

وقد استخلف النبيّ ﷺ زيداً على المدينة المنوّرة مرتين: المرة الأولى في خروجه إلى غزوة (بُواط)[1] في شهر ربيع الأول سنة اثنتين الهجريّة[2]. والمرة الثانية في غزوة بني المُصْطَلِق من خُزاعة في (المُرَيْسِيْع)[3] قرب مكة[4] التي كانت في شهر شعبان سنة خمس الهجرية[5]، وهذا دليل على اعتماد النبيّ ﷺ على كفاية زيد الإداريّة.

وأوفده النبيّ ﷺ من المدينة إلى مكّة مع أبي رافع مولاه، فحملا سَوْدة بنت زَمْعَة، وفاطمة بنت النبيّ ﷺ، وأمّ كلثوم ابنة النبيّ ﷺ، فقدم زيد وأبو رافع بزوج النبيّ ﷺ وابنتيه المدينةَ والمسجد يُبْنى[6]. وأوفده مع رجل من الأنصار إلى مكّة لحمل زينب ابنة النبيّ ﷺ إلى المدينة، وقال لهما: «كونا ببطن (يَأْجِج)[7] حتى تمرّ بكما زينب، فتصحباها حتى تأتياني بها»، فخرجا إلى مكّة بعد غزوة بدر الكبرى بشهر أو قريب منه، فاستلمها زيدٌ وصاحبه، وقدما بها على رسول الله ﷺ[8]، وهذا دليل على ثقته العالية بأمانة زيد وحسن تصرّفه ورجاحة عقله.

(١) بواط: جبل من جبال جهينة بناحية رضوى، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/ ٢٩٧).
(٢) أنساب الأشراف (١/ ٢٨٧).
(٣) المريسيع: اسم ماء من ناحية قديد، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ٤١).
(٤) أنساب الأشراف (١/ ٣٤٢)، وتهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٥٩).
(٥) أنساب الأشراف (١/ ٣٤١).
(٦) أنساب الأشراف (١/ ٤١٤).
(٧) يأجج: اسم مكان على ثمانية أميال من مكّة.
(٨) انظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٩٧ ـ ٢٩٩)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨)، وابن الأثير (٢/ ١٣٤).

ولم يُسَمِّ الله سبحانه وتعالى أحداً من أصحاب النبيّ ﷺ وأصحاب غيره من الأنبياء إلا زيد بن حارثة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا﴾[1].

روى أربعة أحاديث عن النبيّ ﷺ[2]، وفي رواية أخرى أنه روى حديثين[3] فقط.

ومضى أبو أسامة حِبّ رسول الله ﷺ وأبو حِبّه إلى جوار ربّه بعد أن عاش خمسين سنة قمرية. كان فيها منذ عَقِل إلى جوار رسول الله ﷺ المولى والأخ والحبيب، فأدّى ما عليه من واجبات جسام كأحسن ما يكون الأداء، فاستحق تقدير النبيّ ﷺ وحبه ورضاه، وتقدير المسلمين وحبّهم ورضاهم في الماضي والحاضر والمستقبل، وكان ولا يزال وسيبقى أسوة حسنة للمؤمنين المخلصين الصّادقين.

وقد ترك زيد آثاره الباقية في حياة النبيّ ﷺ وأهل بيته، كما ترك آثاره الباقية في خدمة الدين الحنيف داعياً ومجاهداً، وكان مع النبيّ ﷺ في السرّاء والضرّاء وفي السّلام والحرب، رضي الله عنه وأرضاه.

القـائـد

بعد عودة النبيّ ﷺ من حَجَّة الوَداع، أقام بالمدينة بقيّة ذي الحجّة والمحرّم وصفر من السنة الحادية عشرة الهجريّة (٦٣٢ م)، فأمر بتجهيز جيش كبير فيه أبو بكر الصدِّيق وعمر الفاروق وسعد بن أبي وقّاص وأبو عُبَيْدَة بن الجَرَّاح رضي الله عنهم، وجعل هذا الجيش بأمرة أُسامة بن زيد، فتجهّز الناس، وأوعب[4] مع أُسامة المهاجرون الأولون[5]، وأمر

(١) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣: ٣٧).
(٢) أسماء الصحابة الرواة (٢٩١).
(٣) أسد الغابة (٢/ ٢٢٧)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٢).
(٤) أوعبوا معه: أي خرجوا جميعهم للغزو.
(٥) سيرة ابن هشام (٤/ ٣١٩)، وطبقات ابن سعد (٢/ ١٩٠).

رسول الله ﷺ أُسامة أن يوطىء الخيل تخوم البَلْقاء، والدَّاروم[1] من أرض فلسطين.

وتأخّر تجهيز هذا الجيش لمرض النبيّ ﷺ، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، ثم قال: «أيّها النّاس! انفذوا بعث أُسامة، فلعمري لئن قلتم في إمارته، لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله، وإنه لخليق للإمارة، وإنْ كان أبوه لخليقاً لها»[2]، وفي رواية الإمام البخاري، أنّ النبيّ ﷺ بعث بعثاً وأمَّرَ عليهم أُسامة بن زيد، فطعن بعض النّاس في إمارته، فقال النبيّ ﷺ: «أَنْ تَطْعُنُوا في إمارته، فقد كنتم تَطْعُنُون في إمارة أبيه من قبلُ. وايْمُ اللَّهِ، إنْ كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ، وإنَّ هذا لمن أحبّ النّاس إليّ بعده»[3]، وهذا تقويم لكفاية زيد القيادية وكفاية ابنه أسامة القيادية أيضاً، يفوق كلّ تقويم، لأنّه تقويم النبيّ ﷺ الذي لا يعادله ولا يقاربه أيّ تقويم آخر.

وقد كانت عائشة أمّ المؤمنين أقرب المقرّبين للنبيّ ﷺ وأعرفهم به تقول: «ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قطّ إلاّ أمّره عليهم»[4]، وتقول: «ما بعث رسول الله ﷺ زيدَ بن حارثة في جيش قطّ إلاّ أمّره عليهم، ولو بقي بعده لاستخلفه»[5].

ذلك هو مبلغ تقدير النبيّ ﷺ لكفاية زيد القياديّة وثقته الكاملة به واعتماده المطلق عليه، وهو تقدير عظيم وثقة بالغة واعتماد هائل، استحقّه زيد بمزاياه القياديّة أولاً وقبل كلّ شيء، فما كان النبيّ ﷺ يولي ثقته

(١) الدَّاروم: قلعة بعد مدينة غزّة للقاصد إلى مصر، الواقف فيها يرى البحر، إلاّ أنّ بينها وبين البحر مقدار فرسخ، انظر معجم البلدان (٤/ ١٣).
(٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٦٨).
(٣) فتح الباري بشرح البخاري (٧/ ٦٩)، وانظر الإصابة (٣/ ٢٦)، وتهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٦٠).
(٤) رواه النسائي، انظر فتح الباري بشرح البخاري (٧/ ٦٩).
(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٦) وتهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٦١).

الكاملة إلاّ لمن يستحقّها بجدارة، وكان يبني الإنسان المسلم بالعقيدة الرّاسخة، والأُسوة الحسنة التي يضربها للمسلمين كافة بشخصه الكريم، وبتولية الرجل المناسب للعمل المناسب ليقود الأمة أفضل رجالها عقيدةً واقتداراً بالنسبة للواجبات والمسؤوليات التي يتقلّدونها.

فما الذي يستطيع القادة أن يتعلّموه من سجايا زيد القياديّة؟.

كان من الرُّماة المعدودين المذكورين[١] من بين أصحاب النبي ﷺ، أي أنّه كان هدّافاً من الهدّافين كما نطلق على أمثاله في المصطلحات العسكرية الحديثة، وقد استغلّ هذه المزية في غزوة بدر الكبرى، فقتل أحد أبرز سادات قريش ممن ذكرهم المؤرخون، وقتل غيره ممن أغفل التاريخ ذكرهم. كما استغلّ هذه المزيّة في الغزوات التي شهدها مع النبيّ ﷺ وهي غزوة بدر والخندق والحُدَيْبِيّة وخَيْبَر[٢] وغيرها، كما استغلّها في السّرايا التي قادها بأمر النبيّ ﷺ، وهي تسع سرايا[٣]، ورد ذكرها في هذا البحث.

وكان من الفرسان الماهرين، تدرّب على الفروسيّة كأيّ عربيّ آخر في محيطه، فبرع بها وأتقنها إتقاناً متميّزاً.

ومن دراسة السرايا التي قادها زيد، تظهر لنا بوضوح أنّها (غارات) لها تأثير معنوي على الأعداء بالدرجة الأولى، وكان النبيّ ﷺ يتوخّى من تلك السرايا إثبات قوّة المسلمين عمليّاً، حتى يحول دون مهاجمة المسلمين من أولئك الأعداء، وكان بهذه السّرايا يطبّق الفكرة السوقيّة المعروفة: «الهجوم أنجع وسائل الدِّفاع»[٤].

لقد كان واجب زيد في سراياه، هو خوض معركة معنويات بالدّرجة

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٠٢) وتهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٥٩) وطبقات ابن سعد (٣/ ٤٥).

(٢) تهذيب ابن عساكر (٥/ ٤٥٩).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٥)، وتهذيب ابن عساكر (٤٥٩).

(٤) انظر الكتب العسكرية الرسميّة حول القضايا السَّوْقِيّة والتعبوية.

الأولى، تعتمد على المباغتة والاندفاع والحرب الخاطفة، ومثل هذا الواجب بحاجة إلى قائد يتميّز بالشّجاعة الخارقة التي تضمن الإقدام والاندفاع، ويتميّز بالعقيدة الرّاسخة التي تستهين بالأخطار. ويتميّز بالعقليّة الرّاجحة التي تتبصّر بالعواقب، وتتميّز بعد كلّ ذلك بالفتوّة التي تتحمّل المشاق ولا تبالي بالأهوال.

وقد لمسنا شجاعة زيد في الغزوات التي شهدها مع النبيّ ﷺ وفي سراياه التي قادها، ولمسنا شجاعتَه في الواجبات الأخرى التي ألقاها على عاتقه النبيّ ﷺ في استصحاب بناته وزوجته في الهجرة، في وسط يعجّ بالأعداء والحاقدين والموتورين من المشركين.

وقد نشأ زيد في بيت النبيّ ﷺ، فآمن أوّل مَنْ آمن أو مع أوّل من آمن، وأصبح مستعداً للتضحية بكل شيءٍ في سبيل عقيدته التي آمن بها.

أما عقليته الرّاجحة، فقد ظهرت بوادرها منذ نعومة أظفاره، وما تفضيله النبيّ ﷺ على أبيه وإخوته وعمّه وآل بيته، إلاّ نموذجٌ من نماذج عقليته الرّاجحة الحصيفة، وطالما استشاره النبيّ ﷺ في معضلات الحرب والسّلام.

أما شبابه وفتوته، فيكفي أن نذكر أنّه مات في الخمسين من عمره، وهو في أوج قوّته وعطائه.

وما أشبه سماته القيادية تلك، بسمات قيادة ابنه أسامة بن زيد(١)، حِبّ رسول الله ﷺ وابن حِبّه.

لقد قضى الإسلام ـ مع ما قضى عليه من تقاليد الجاهليّة، على الأنفة من تأمير مَنْ لم تُقَدِّمه السِنّ، والاستمساك بعُرى التّفاضل بالأنساب والأحساب والعشائر والقبائل.. إنّ التّفاضل في الإسلام يخضع للتقوى وصالح الأعمال، بالإضافة إلى الكفايات المناسبة للعمل المناسب.

---

(١) انظر سيرته المفصّلة في كتابنا: قادة فتح الشام ومصر (٣٣ ـ ٥١).

وقد رفعت مزايا زيد القياديّة وإيمانه الرّاسخ العميق إلى الإمارة.

لقد كان لزيد قابلية فذّة لإعطاء قرار سريع صحيح في الوقت والمكان المناسبين، وكانت كلّ سراياه بحاجة ماسّة إلى إصدار قرارات سريعة وصحيحة، وحين وجد العدو في سريّة مُؤْتَة قد حشد له ما لا قِبَل للمسلمين به، عزم أن يتريّث في قبول المعركة غير المتكافئة ويستشير النبيّ ﷺ في الموقف الجديد، ولكنّ المتحمِّسين من المجاهدين الذين خرجوا للجهاد طلباً للشهادة وعلى رأسهم عبد الله بن رَواحة، أرادوا لقاء العدو مهما تكن نتائج هذا اللِّقاء، فانصاع زيد لنداء العاطفة، ويبدو أنّ الأحداث تطوّرت بسرعة عظيمة فاضطرّت المسلمين إلى قبول المعركة، فكانت سرية مُؤْتة إخفاقاً تعبوياً ولكنّها كانت نصراً سَوْقيّاً، جعلت الرّوم جيران المسلمين في الشمال، يلمسون عملياً بأنّ العرب بالإسلام أصبحوا خلقاً جديداً، فأصبحت حربهم ليست حرباً عابرة، بل هي حرب لها ما بعدها كأيّة حرب نظاميّة تتميّز بإرادة القتال وبالنظام والتنظيم والاستمراريّة.

وكان زيد ذا إرادة قويّة ثابتة، استطاع أن يتغلّب بسهولة ويسرٍ على كثير من المصاعب والعقبات في سراياه، التي كان أكثرها يَتَّسِمُ بالمغامرة والمشاق، فنجح بفضل إرادته على ما صادفه من معضلات ومشاق.

وكان من أولئك القادة الذين يتحملون المسؤولية ويتقبّلونها قبولاً حسناً، ولا يتملّصون منها بإلقائها على عواتق الآخرين.

وكان ذا نفسيّة ثابتة لا تتبدّل: لا يطربها النصر فيؤدي بها إلى مزالق الشّطط، ولا يقلقها الاندحار فيحملها إلى مهاوي الانهيار، والشّطط والانهيار تلحق الكوارث بالقائد ورجاله.

وما دام المرء لا يعمل لنفسه، بل يعمل للمصلحة العامة، وتكون نيته خالصة لوجه الله، فإنّ نفسيته تكون ثابتة لا تتغيّر.

وكان عارفاً بنفسيات رجاله وقابلياتهم، لأنّه نشأ بينهم وعمل معهم، وعايشهم طويلاً في حالتي الحرب والسّلام، إلى جانب النبيّ ﷺ وأصحابه المقرّبين وآل بيته الطّاهرين، فكان يكلّف كلّ فرد منهم بما يناسب نفسيّته وقابليّته.

وكان يثق برجاله ثقة مطلقة، ويثق به رجاله ثقة مطلقة، والثقة الأساس القويّ للتعاون بين القائد وجنوده، ولا تعاون بدون ثقة متبادلة.

وكان يحبّ رجاله حبّ الأخ لأخيه، ويحبّه رجاله حبّاً لا مزيد عليه، والحبّ المتبادل هو العامل الحيوي لإرساء أسس التّعاون الوثيق الذي يقود إلى النصر.

وكان يتمتّع بشخصيّة قويّة نافذة، جعلت النبيّ ﷺ يوليه السرايا التي فيها أمثال أبي بكر الصدِّيق وعمر بن الخطّاب وسعد بن أبي وقّاص وأبي عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنهم، ويوليه إمرة المدينة المنوّرة في بعض غزواته، مما يدلّ على شخصيّته القويّة النّافذة.

وكانت له قابلية بدنيّة فائقة، ساعدته على قطع المسافات الشاسعة بسرعة، وتحمّل أعباء السّفر والقتال، دون كلل ولا ملل ولا تعب ولا إنهاك.

وكان له ماضٍ ناصعٌ مجيد في خدمة الإسلام والمسلمين، وخدمة النبيّ ﷺ.

وكان يساوي بينه وبين رجاله، لا يستأثر دونهم بالخير، ويترك لهم المتاعب، بل يؤثرهم بالأمن والدّعة والاطمئنان، ويستأثر دونهم بالأخطار والمصاعب والمشاق.

وكان يستشير أصحابه، وبخاصة ذوي الرأي منهم، ويأخذ بآرائهم ويضمها في حيِّز التطبيق العملي.

واستناداً إلى مبادىء الحرب، فقد كان زيد يختار مقصده ويديمه، ويفكِّر في أقوم وسيلة للوصول إليه، ثم يقرِّر الخطّة المناسبة للحصول عليه.

وكانت سرايا زيد كلّها تعرضيّة، تشيع فيها روح المباغتة، وكانت جميع سراياه عدا سرية مُؤْتَة مباغتة كاملة لأعداء المسلمين، لذلك استطاع الانتصار عليهم بالرغم من قلّة قوّاته بالنسبة إلى كثرة قوّاتهم، وبالرغم من وجودهم في بلادهم بينما كانت خطوط مواصلات زيد بعيدة عن المدينة قاعدة عمليات المسلمين الرئيسة.

كما أنّ زيداً كان يحشد قوّاته قبل الإقدام على خوض المعركة، وكان يديم معنويات تلك القوات، ويمكن اعتبار سراياه في هدفها الرئيس سرايا معنويات بالدرجة الأولى كما ذكرنا من قبل.

وكان يطبّق مبدأ الأمن، فلم يستطع العدو مباغتة سرايا زيد في أيّة معركة خاضها، وحتى سرية مُؤْتَة لم يُبَاغَت بتفوّق القوات المعادية على قوّات المسلمين عَدَداً وعُدَداً، ولكنّه اختار لنفسه الشّهادة، فكان له ما أراد.

وكانت سرايا زيد تتحلّى بالطّاعة المطلقة، وهي ما نسميه اليوم: الضبط المتين، كما امتازت سراياه بالشّجاعة والإقدام والجلد والصبر والمصابرة وتحمّل المشاق، وهي الصِّفات المعنوية الباقية على الزمان لكل جيش متماسك في كل زمان ومكان.

وكان زيد يتحلّى بنفس مزايا جيشه المعنويّة، وكان مثالاً شخصيّاً رائعاً لسراياه في كلِّ تلك المزايا والصفات.

لقد كان زيد قائداً متميِّزاً حقّاً.

زيد في التاريخ

يذكر التاريخ لزيد، أنّه أصابه سِباء في الجاهليّة، فطوّحت به الأقدار بعيداً عن أهله ليصبح في كنف النبيّ ﷺ قبل مبعثه.

وأنّ أباه وعمّه وإخوته أرادوا فداءه، فاختار النبيّ ﷺ على أبيه وعمِّه وإخوته، فارتبط مصيره بالإسلام والمسلمين.

وأنّه كان أوّل مَنْ أسلم، أو من أوّل مَنْ أسلم، فكان أوّل مَن أسلم من الموالي بدون خلاف.

وأنّه رافق النبيّ ﷺ إلى مدينة الطّائف لدعوة بني ثقيف إلى الإسلام، فشهد أقسى ما لاقاه النبيّ ﷺ من ثقيف في رحلته الصّعبة الشاقّة.

وأنّه هاجر إلى المدينة المنوّرة، وحمل معه قسماً من بنات النبيّ ﷺ وزوجاته.

وأنّه شهد بدراً وأُحُداً والخندق وغيرها من غزوات النبيّ ﷺ، وأبلى فيها أعظم البلاء.

وأنّه تولى قيادة تسع سرايا من سرايا النبيّ ﷺ، فكان أكثر قادة النبيّ ﷺ في قيادة سراياه.

وأنّه الوحيد الذي ذكر بالاسم من بين صحابة النبيّ ﷺ وأصحاب النبيين والمرسلين في القرآن الكريم.

وأنّه كان حِبّ رسول الله ﷺ وأبا حِبّه أسامة بن زيد الكلبي.

وأنّه توّج حياته الحافلة بالجهاد المتواصل بالشّهادة، فضحّى بنفسه فداءً لعقيدته، ولم يُضَحِّ بعقيدته فداءً لنفسه.

رضي الله عن الصحابي الجليل، القائد الشهيد، الإداري الحازم، حِبّ رسول الله زيد بن حارثة الكلبيّ.

عبد الله بن أُنَيْس الجُهَنِيّ الأنصاريّ
القائد الفدائي

نسبه وأيامه

هو عبد الله بن أُنَيْس بن أَسْعَد بن حَرَام بن حبيب[(١)] بن مالِك بن غَنْم بن كَعْب بن تَيْم بن نُفَاثة بن إياس بن يَرْبوع بن البَرْك بن وَبَرة[(٢)]، أخي كلب بن وَبَرَة، والبَرْك بن وَبَرَة دخل في جُهَيْنَة[(٣)]، وأصل ولد البَرْك بن وَبَرَة من قُضَاعة[(٤)]، لأنّه البَرْك بن وَبَرَة بن تَغلِب بن حُلْوان بن عِمْران بن الحافي بن قُضَاعة[(٥)].

وعبد الله هو حليف بني سَلِمَة من الأنصار[(٦)] من بني الخزرج[(٧)]، وحليف بني سواد من سَلِمَة[(٨)] على الأخص، وبنو سواد هم الذين ينتسبون إلى سواد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمَة بن سعد[(٩)] من الخزرج.

(١) في الإصابة (٤/ ٣٦): خبيب، بالخاء المعجمة، وكذا في أسد الغابة (٣/ ١١٩).
(٢) جمهرة أنساب العرب (٤٥٢)، والاستيعاب (٣/ ٨٧٠)، والإصابة (٤/ ٣٧)، وأسد الغابة (٣/ ١١٩ ـ ١٢٠).
(٣) الاستيعاب (١٣/ ٨٧٠)، وأسد الغابة (٣/ ١٢٠)، والإصابة (٤/ ٣٧).
(٤) الإصابة (٤/ ٣٧)، وأسد الغابة (٣/ ١٢٠).
(٥) جمهرة أنساب العرب (٤٥٢).
(٦) الإصابة (٤/ ٣٧)، وأسد الغابة (٣/ ١١٩).
(٧) الاستبصار (١٣٦).
(٨) الاستيعاب (٣/ ٨٧٠).
(٩) الاستبصار (١٦٠).

شهد بيعة العَقَبة[1]، فأسلم وحسن إسلامه، وكان أحد ثلاثة كسروا آلهة بني سَلِمَة[2]، وكان أحد أفراد سريّة مؤلّفة من خمسة رجال من مسلمي الخزرج، لقتل سَلاَّم بن أبي الحُقَيْق أحد أعداء النبيّ ﷺ والمسلمين، فقصدوه في (خَيْبَر) وقتلوه هناك، وكان عبد الله هو الذي تولى قتله[3]، وسَلاَّم هذا هو أبو رافع[4].

وكان أحد أفراد سريّة عبد الله بن رَوَاحَة لقتل اليُسَيْر بن رِزَام الذي كان بخَيْبَر يجمع غَطفان لغزو رسول الله ﷺ، وكان عبد الله هو الذي تولّى قتله[5].

وكان سَلاَّم بن أبي الحُقَيْق واليُسَيْر بن رِزام يهوديين من يهود خَيْبَر، ومن أعدى أعداء النبيّ ﷺ والمسلمين كافة.

سريّته إلى الهُذَلِيّ

خرج عبد الله من المدينة يوم الاثنين لخمس ليال خلون من شهر المحرّم، على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة، أي من السنة الرابعة الهجرية، فغاب عنها ثماني عشرة ليلة، وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرّم[6]، بعد أن أدّى واجبه الذي أمره به النبيّ ﷺ.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٧١)، وجوامع السيرة (٨٣).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٤٧).
(٣) سيرة ابن هشام (٣/ ٣١٤ ـ ٣١٦)، وجوامع السيرة (١٩٨ ـ ٢٠٠).
(٤) جوامع السيرة (١٩٨)، ومغازي الواقدي (١/ ٣٩١).
(٥) انظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (٤/٢٩٢ ـ ٢٩٣)، وفي مغازي الواقدي (٢/٥٦٦): أن اسمه: أُسَيْر بن رازِم وليس اليُسير بن رزام الذي أخذنا به لشهرته، وانظر تفاصيل هذه الغزوة في معاني الواقدي (٢/ ٥٦٦ ـ ٥٦٨).
(٦) مغازي الواقدي (١/ ٣)، وفي (١/ ٤)، أنها كانت سنة ست الهجرية في شهر المحرّم، وفي طبقات ابن سعد (٢/ ٥٠) أنها في السنة الرابعة الهجريّة، كما جاء في مغازي الواقدي (١/ ٣)، فأخذنا بذلك.

فقد بعثه النبيّ ﷺ في سرية مؤلّفة منه وحده إلى خالد بن سُفيان بن نُبَيْح الهُذَلِيّ الذي كان بِعُرَنَة[1] يجمع الجموع لرسول الله ﷺ ليغزوه، فقتله عبد الله وعاد برأسه إلى المدينة المنوّرة.

قال عبد الله: «دعاني رسول الله ﷺ، فقال: إنّه قد بلغني أنّ ابن سفيان بن نُبَيْح الهُذَلِيّ يجمع لي الناس ليغزوني، وهو بنَخْلَةَ[2] أو بعُرَنَة، فأْتِه فاقتله. قلت: يا رسول الله! انْعَتْه لي حتى أعرفه، فقال: إنّك إذا رأيته أذكرك الشيطانَ، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدتَ له قُشَعْرِيْرَة»[3].

«وخرجت متوشحاً سيفي، حتى دفعت إليه وهو في ظُعُن[4] يرتاد[5] لهنّ منزلاً[6]، وحيث كان وقت العصر، فلما رأيته وجدتُ ما قال لي رسول الله ﷺ من القُشَعْرِيْرَة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن تكون بيني وبينه مجاولة تشغلني عن الصّلاة، فصلّيت وأنا أمشي نحوه أومِىءُ برأسي، فلما انتهيت إليه قال: مَنْ الرّجل؟ قلت: رجل من العَرَب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك لذلك، قال: أَجَلْ[7] إني لفي ذلك.

فمشيت معه شيئاً، حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف، فقتلته، ثمّ خرجت وتركت ظعائنه مُنْكَبّاتٍ عليه، فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني

---

(١) عُرَنَة: موضع بقرب جبل عرفة موضع الحجيج، انظر شرح الزرقاني على المواهب اللدنيّة (٢/٧٦)، وعرنة: وادٍ بحذاء عرفات، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/١٥٩).

(٢) نخلة: موضع بالحجاز قريب من مكة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ٢٧٥).

(٣) القشعريرة: بزنة الطمأنينة، رعدة وارتعاش كارتعاش المحموم.

(٤) الظعن: جمع ظعينة، هي المرأة.

(٥) يرتاد: يطلب.

(٦) المنزل: موضع النزول.

(٧) أجل: كلمة جواب، مثل نعم.

قال: «افْلَحَ الوجهُ»، قلت: قد قتلته يا رسول الله[1]، ووضعت رأسه بين يديه، وأخبرته خبري»[2].

وهكذا استطاع عبد الله وحده، ببطولته الفذّة، وإقدامه النّادر، أن يقضي على فتنة الهذلي التي كان يُعِدّها ويستعدّ لها، وينهي خططه في حرب الإسلام والمسلمين.

وبهذا تغدّى عبد الله بالهذلي قبل أن يتعشى الهذليّ بالمسلمين، فيجمع لهم الجموع ويخوض ضدّهم الحروب ويكبّدهم الخسائر بالأرواح والأموال.

الإنســان والقائــد

١ ــ لما التحق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى، قال عبد الله في رثائه:

تطَاوَلَ لَيْلِـيْ وَاعْتَـرَتْنـي القَـوَارِع[3] وخَطْـبٌ جَلِيْـلٌ للبَلِيّـةِ جـامِـعُ!
غَـداةَ نَعَـى النَّـاعِـي إلَيْنَـا مُحَمَّـداً وتلك التي تَسْتَكُّ[4] مِنْهَا المَسَامِعُ
فَلَـوْ رَدَّ مَيْتـاً قَتْـلُ نَفْسِـيْ قَتَلْتُهـا! ولكنَّـهُ لا يَـدْفَـعُ المَـوْتَ دَافِـعُ
فَـآلَيْـتُ لا أُثْني علـى هُلْـكِ هَـالِـكٍ من النّاس، ما أَوْفَى ثَبِيْرٌ[5] وفَارِعُ[6]
وَلَكِنَّنـــي بَـــاكٍ عَلَيْـــهِ ومُتْبِـــعٌ مُصِيْبَتَـهُ، إنـي إلـى اللّـهِ راجِـعُ!

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٥٠ ـ ٥١)، وسيرة ابن هشام (٤/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤)، ومغازي الواقدي (٢/ ٥٣١ ـ ٥٣٣).
(٢) مغازي الواقدي (٢/ ٥٣٣).
(٣) القوارع: جمع قارعة. والقارعة: القيامة، والمصيبة، يقال: قرعتهم قوارع الدّهر.
(٤) تستك: تصغر أذنه وتلزق برأسه ويقلّ إشرافها. ويصاب بالصّمم.
(٥) ثبير: من أعظم جبال مكّة بينها وبين عرفة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ٦ ـ ٨).
(٦) فارع: اسم أُطم، وهو حصن بالمدينة المنوّرة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ٣٢٧).

وقــد قَبــضَ اللَّـــهُ النَّبِيّيْـــنِ قَبْلَـــهُ ... وعـادٌ أُصِيبَـتْ بـالـرُّزَى والتَّـتَـابِـعُ[1]
فَيَا لَيْتَ شِعْرِيَ! مَنْ يَقُوْمُ بأَمْرِنا؟ ... وهـل فـي قُـريـشٍ مـن إمـامٍ يُنَـازِعُ؟
عَلِـيٌّ أو الصـدِّيـقُ أو عُمَـرٌ لَهَـا ... وليـس لهـا بعـد الثَّـلاثَـةِ رَابِـعُ!
فـإن قـال مِنَّـا قـائـل غَيْـرُ هـذِهِ ... أَبَيْنَـا وقُلْنَـا اللَّـهُ رَاءٍ وسَـامِـعُ
فَيَـا لَقُـرَيْـشٍ! قَلِّـدُوا الأمـرَ بَعْضَهُـمْ ... فـإنَّ صَحِيْـحَ القَـوْلِ للنّـاس نَـافِـعُ
ولا تُبْطِئُـوا عَنْهَـا فُـوَاقـاً[2] فـإنّهـا ... إذا قُطِعَتْ لمْ يُمْنَ فيها المطامع[3]

لقد كان عبد الله شاعراً مجيداً، وقد قال في سريّته وقتل الهُذَلِيّ:

تـركـتُ ابـن ثَـوْرٍ كـالحُـوار وحـولَـه ... نـوائـح تَفْـرِي كـلَّ جَيْـبٍ مُقَـدَّدِ[4]
تنـاولتُـهُ والظُّعْـن خَلْفـي وخَلْفَـهُ ... بـأبيـضَ مـن مـاءِ الحـديـد مُهَنَّـدِ[5]
عَجُـومٍ لِهَـامِ الـدَّارِعِيـنَ كـأَنَّـه ... شِهـابُ غَضـاً مـن مُلْهَـبٍ مُتَـوَقِّـدِ[6]
أقـول لـه والسَّيْـفُ يَعْجُـمُ رأسَـه ... أنـا ابـنُ أُنَيْـسٍ فـارسـاً غيـرَ قُعْـدَدِ[7]
أنا ابنُ الذي لم يُنْزِلِ الدَّهرُ قِدْرَهُ ... رَحِيْـبُ فِنَـاءِ الـدَّار غيـرُ مُـزَنَّـدِ[8]

وقـد شهـد عبـد الله العقبـة ومـا بعـدهـا[9]: شهـد بـدراً وأُحُـداً

(١) التتابع: جمع تُبَّع، وهو لقب أعاظم ملوك اليمن، وتجمع على تبابعة أيضاً.
(٢) الفواق: الراحة والتمهّل.
(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ٣٢٠ ـ ٣٢١).
(٤) الحُوار: بزنة غراب، ولد الناقة إذا كان صغيراً. وتفري: تقطع.
(٥) بأبيض: يريد به سيفًا. والمهنّد: السيف المنسوب إلى الهند، ويقولون: سيف هندي، وهندواني، ومهنّد.
(٦) عجوم: هو من صفات الأبيض، وهذه صيغة مبالغة من العجم وهو العضّ وزناً ومعنى. والهام: ههنا، الرءوس. والشِّهاب: بزنة كتاب، القطعة من النار. والغضا: شجر يشتدّ التهاب النار فيه. والملهب: اسم مفعول من ألهبته، إذا أوقدت فيه النار.
(٧) القعدد: اللّئيم الدّنيء القاعد عن الحرب والمكارم.
(٨) رحيب: متّسع، وأصله من الرحب، وهو الفضاء. والمزند: الضيّق البخيل.
(٩) الإصابة (٤/ ٣٨).

وما بعدهما[١] في رواية، وفي رواية أخرى أنّه شهد أُحُداً وما بعدها[٢]، والرواية الثانية هي الصواب، فقد أبطأ عن رسول الله ﷺ قوم من أصحابه، إذ لم يحسبوا أنّهم سيحاربون، فلم يشهدوا بدراً، وكان منهم عبد الله[٣].

وفي طريق عودة النبيّ ﷺ من غزوة بدرٍ إلى المدينة، لقيه عبد الله بـ(تُرْبان)[٤]، فقال: «يا رسول الله! الحمد لله على سلامتك وما ظفّرك! كنتُ يا رسول الله ليالي خرجتَ موروداً[٥]، فلم يفارقني حتى كان بالأمس، فأقبلتُ إليك»، فقال: «آجرك الله»[٦].

لقد كان عبد الله مهاجريّاً أنصارياً عَقبياً[٧]، ومِن جلّة الصّحابة رضي الله عنهم[٨]، وكان ممن صلّى إلى القبلتين. وبعد التحاق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى، شهد عبد الله فتوح بلاد الشام، ودخل مصر وخرج إلى إفْرِيْقِيَّة[٩]، وبذلك نال عبد الله الذي كان يكنى: أبا يحيى شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد عليه الصّلاة والسّلام، وشرف الجهاد في الفتح الإسلاميّ العظيم.

روى عن النبيّ ﷺ أربعة وعشرين حديثاً[١٠]، وكان من أصحاب الفُتْيا

(١) أسد الغابة (٣/ ١٢٠).
(٢) الاستيعاب (٣/ ٨٧٠)، وأنساب الأشراف (١/ ٢٤٩).
(٣) أنساب الأشراف (١/ ٢٨٨).
(٤) تربان: قرية على ليلة من المدينة على طريق بدر ـ المدينة، انظر معجم البلدان (٢/ ٣٧٤).
(٥) قال الجوهري: الورد يوم الحمى، إذا أخذت صاحبها لوقت، تقول: وردته الحمى، فهو مورود.
(٦) مغازي الواقدي (١/ ١١٧).
(٧) الاستيعاب (٣/ ٨٧٠) وأسد الغابة (٣/ ١٢٠) وجمهرة أنساب العرب (٤٥٢).
(٨) جمهرة أنساب العرب (٤٥٢).
(٩) الإصابة (٤/ ٣٩).
(١٠) أسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة (٢٨٢).

من الصحابة[1]، وروى عنه أولاده عطيّة وعمرو وضَمْرة وعبد الله، وروى عنه جابر بن عبد الله وبِسْر بن سعيد، وهو الذي سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر، وقال: «إني شاسع الدار، فمرني بليلة أنزل لها من رمضان»، فقال: «أنزل ليلة ثلاث وعشرين»[2].

وروى عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «أكبر الكبائر الإشراك بالله وعُقوق الوالدين واليمين الغَمُوْس[3]، والذي نفسي بيده لا يحلف أحدٌ ولو على مثل جناح بعوضة إلاّ كانت وَكْتَةَ[4] في قلبه إلى يوم القيامة»[5].

ورحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أُنَيْس في (غَزّة) مسيرة شهر ليأخذ عنه حديثاً في القصاص[6].

ولا نعرف سنة مولده، وقد توفي بالشام سنة أربع وخمسين الهجرية[7] (٦٧٣ م) في خلافة معاوية بن أبي سفيان[8].

٢ ـ أما سمات قيادته التي تبدو واضحة للعيان، فهي الشجاعة الخارقة، والإقدام النادر؛ «وكنت لا أهاب الرجال»[9]، كما قال عن

(١) أصحاب الفتيا من الصحابة ـ ملحق بجوامع السيرة (٣٢٠).
(٢) أسد الغابة (١/ ٦٢٠)، وانظر التفاصيل في تهذيب التهذيب (٥/ ١٥٠).
(٣) الغموس: اليمين الغموس: الكاذبة تغمس صاحبها في الإثم، وفي الحديث: «اليمين الغموس تذر الديار بلاقع».
(٤) الوكتة: الأثر اليسير في الشيء من غير لونه، ونقطة حمراء في بياض العين، أو نقطة بيضاء في سوادها.
(٥) أسد الغابة (٣/ ١٢٠)، وانظر رواته في مادة (غموس) في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (٥/ ٢).
(٦) الإصابة (٤/ ٣٨)، وتهذيب التهذيب (٥/ ١٥٠)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦٠).
(٧) الإصابة (٤/ ٣٨)، والاستيعاب (٣/ ٨٧٠)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦١).
(٨) تهذيب التهذيب (٥/ ١٥٠)، وانظر الاستبصار (١٦٨)، أما ما جاء في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦١)، وأسد الغابة (٣/ ١٢٠): أنه توفي سنة أربع وسبعين الهجرية، فلا صحة له، لأنه توفي في أيام معاوية الذي توفي سنة ستين الهجرية.
(٩) مغازي الواقدي (٢/ ٥٣٢).

نفسه، ويكفي دلالة على ذلك اندفاعه إلى مشارف مكّة وقتل الهذلي بين قومه وأنصاره وحشده، دون أن يكون معه أحد من الناس، بل كان وحده، ليس معه غير سيفه.

كما أنّه قتل غير الهذلي من أعداء النبيّ ﷺ والمسلمين، فكان هو الذي يتولى قتل أولئك الأعداء من بين رجال سريته. وإذا كان أفراد السريّة من المختارين شجاعة وإقداماً، فعبد الله أشجع الرجال المختارين من بين المهاجرين والأنصار والمسلمين كافة في حينه ومن أكثرهم إقداماً ومغامرة ورجولة.

لقد كان عبد الله قائداً بطلاً.

ابـن أُنيـس فـي التاريخ

يذكر التاريخ لابن أنيس أنّه كان من المسلمين الأولين السابقين إلى الإسلام، وأنّه كان مهاجريّاً أنصاريّاً عَقْبيّاً.

ويذكر له، أنّه أكثر المسلمين قتلاً لأعداء النبيّ ﷺ والمسلمين والدين الحنيف.

ويذكر له، أنّه جاهد تحت لواء الرسول القائد عليه الصّلاة والسّلام، وتحت ألوية قادة الفتح الإسلامي العظيم.

ويذكر له، أنّه كان بطل الأبطال ورجل الرجال وقمّة الفدائيين والمجاهدين الصادقين.

ويذكر له، أنّه كان محدِّثاً ومن أصحاب الفُتيا من صحابة النبيّ ﷺ.

رضي الله عن البطل المغوار، القائد المقدام، الصحابيّ الجليل، عبد الله بن أُنيس الجُهَنيّ القُضاعيّ الأنصاري المهاجريّ العقبيّ.

مواضع
بعض الغزوات
الشمال
تبوك
تيماء
الحجر «مدائن صالح»
خيبر
حرات خيبر
فدك
جبل احد
مجمع الاسيال
المدينة المنورة
ذو القصه
حرة المدينة
بدر
الجار
الابواء
رابغ
الجحفه
ذات عرق
خليص
عسفان
قديد
جدة
مكة
الحديبية
الجعرانه
الطائف

عبد الله بن جُبَيْر الأنصاري الأَوْسِي
القائد الشّهيد

نسبه وأيامه الأولى

هو عبد الله بن جُبَيْر بن النُّعْمان بن أُمَيّة بن امرىء القَيْس بن ثعلبة بن عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس، ولقب امرىء القيس البُرَك وبه يعرف[1].

وهو من بني ثعلبة بن عمرو بن عوف[2]، وأمّه من بني عبد الله بن غَطَفَان[3]، ولم يُذكر اسمها، وهو أخو خَوّات بن جُبَيْر لأبيه وأمّه[4]، وعمّهما الحارث بن النُّعمان بن أُميّة، شهد بدراً[5] أيضاً.

يكنى عبد الله بن جُبَيْر: أبا المُنْذِر[6]، أسلم قديماً، وشهد بيعة العَقَبة الثانية مع مسلمي الأوس والخزرج الذين شهدوها هناك[7].

ولما هاجر النبيّ ﷺ من مكّة إلى المدينة، وآخى بين المهاجرين

(١) الاستبصار (٣٢٢)، والاستيعاب (٣/ ٨٧٧)، وأسد الغابة (٣/ ١٣٠)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٤٧٥)، وانظر جمهرة أنساب العرب (٣٣٦).

(٢) أسد الغابة (٣/ ١٣٠).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٧٥).

(٤) الاستيعاب (٣/ ٨٧٧).

(٥) جمهرة أنساب العرب (٣٣٦).

(٦) أنساب الأشراف (١/ ٢٤١).

(٧) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٥)، وأنساب الأشراف (١/ ٢٤١)، والدرر (٧٦)، وجوامع السيرة (١٢٨).

والأنصار في المدينة، آخى بينه وبين الحُصَيْن بن الحارث[1].

وكان هو وسُهَيْل بن حُنَيْف يكسران أصنام المشركين في المدينة ويأتيان بها المسلمين ليستوقدوا بها[2]، مما يدلّ على شدّة إخلاصه للإسلام والمسلمين.

جـهــاده

١ ـ في غزوة بدر الكبرى:

شهد عبد الله بن جُبَيْر غزوة بدر الكبرى[3]، وأسر يومئذ أبا العاص بن الربيع[4]، وهو زوج زينب بنت النبيّ ﷺ.

ولما بعث أهل مكّة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء زوجها أبي العاص بن الرَّبيع، وبعثت فيه بقِلادة لها كانت لخديجة أمّ المؤمنين، يقال: إنّها من جَزْع[5] ظَفار[6] كانت خديجة بنت خُوَيْلد أدخلتها بها على أبي العاص حين بَنَى بها. فلما رأى رسول الله ﷺ القِلادة عرفها ورقّ لها وذكر خديجة وترحّم عليها، وقال: «إنْ رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها، وتردّوا إليها مَتَاعها فعلتم»، فقالوا: «نعم يا رسول الله!»، فأطلقوا أبا العاص بن الرَّبيع وردّوا إلى زينب متاعها، وأخذ النبيّ ﷺ على أبي العاص أن يُخلي سبيل زينب ابنته، فوعده ذلك. وقدم في فدائه عمرو بن الرّبيع أخوه، وكان أبو العاص أسير عبد الله بن

(١) الدرر (٩٩).

(٢) أنساب الأشراف (١/ ٢٦٥).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٧٥)، والاستبصار (٣٢٣)، وأسد الغابة (٣/ ١٣٠)، والمحبّر (٢٧٩)، والاستيعاب (٣/ ٨٧٧)، والإصابة (٤/ ٤٦).

(٤) مغازي الواقدي (١/ ١٣١)، والاستبصار (٣٢٣).

(٥) الجزع: ضرب من العقيق يعرف بخطوط متوازية مستديرة مختلفة الألوان، والحجر في جملته بلون الظُّفر.

(٦) ظَفار: ظفار باليمن قرب صنعاء، إليه ينسب الجزع، انظر القاموس المحيط (٢/ ٨١).

جُبَيْر[1] الذي أطلقه بدون فداء إكراماً لرسول الله ﷺ.

٢ ـ في غزوة أُحُد:

شهد عبد الله بن جُبَيْر غزوة أُحُد[2]، فولاّه النبيّ ﷺ على الرُّماة، وعددهم خمسون رجلاً، وجعل موضعهم على جبل (عَيْنَيْن)[3]، وجعل النبيّ ﷺ أُحُداً خلف ظهره، واستقبل المدينة[4].

وأوعز النبيّ ﷺ إلى الرُّماة، فقال: «قوموا على مَصَّافكُم[5] هذا، فاحموا ظهورنا، فإنْ رأيتم قد غنمنا فلا تشركونا، وإنْ رأيتم نُقْتَل فلا تنصرونا»[6].

ولما بدأت معركة أُحُد، جعل الرماة يرشقون المشركين، فما يقع سهم من سهامهم إلاّ في رجل أو فرس[7]، وكان النبيّ ﷺ قد رتّب الرّماة خلف جيش المسلمين، وأمر عبد الله بن جُبَيْر أن يَنْضَح[8] المشركين بالنَّبْل لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم[9].

وجعلت قريش على ميمنتهم في الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرتهم في الخيل عِكْرِمة بن أبي جَهْل[10]، وكان عكرمة وخالد يتربّصان بالمسلمين دون جدوى، لأنّ الرماة يحمون ظهور المسلمين حماية كاملة

---

(١) مغازي الواقدي (١/ ١٣٠ ـ ١٣١).
(٢) الإصابة (٤/ ٤٦)، وأسد الغابة (٣/ ١٣٠)، والاستيعاب (٣/ ٤٧٧)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٤٧٥).
(٣) عينان: جبل بأُحُد، انظر معجم ما استعجم (٦٨٨).
(٤) مغازي الواقدي (١/ ٢٢٠).
(٥) المصاف: جمع المَصَفّ، وهو موضع الصف في الحرب، تقف فيه الصفوف.
(٦) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٧٥).
(٧) أنساب الأشراف (١/ ٣١٧).
(٨) ينضح: يرمي.
(٩) الدرر (١٥٥).
(١٠) جوامع السيرة (١٥٩)، وانظر سيرة ابن هشام (٣/ ١١).

من جهة ويكبِّدون قريشاً خسائر فادحة في الأرواح من جهة أخرى.

واستمرّ القتل في أصحاب لواء المشركين، ورأى النساء برجالهنّ أمراً عظيماً، حتى وَلْوَلْنَ وتركن ما كنَّ فيه، فانهزم المشركون حتى انهزمت هند بنت عُتْبَة وصواحبها متحيّرات ما دونهنّ دافع ولا مانع، وحتى لو يشاء المسلمون لأخذوهن[1]، وقاتل المسلمون يومئذ قتالاً شديداً[2]، ببصائر ثابتة، فانهزمت قريش واستمرّت الهزيمة عليهم[3].

وتبعهم المسلمون يضعون فيهم السِّلاح حيث شاءوا، حتى أجهضوهم ووقعوا ينتهبون العسكر، ويأخذون ما فيه من الغنائم[4].

٣ ــ الشّهيد:

ولما انهزم المشركون، وتبعهم المسلمون يضعون السِّلاح فيهم حيث شاءوا وينهبون عسكرهم ويأخذون الغنائم. قال بعض الرُّماة لبعضٍ: «ما تُقيمون ههنا في غير شيءٍ، فقد هزم الله العدو، فاغنموا مع إخوانكم». وقال بعضهم: «ألم تعلموا أنّ رسول الله ﷺ قال لكم: احموا ظهورنا؟ فلا تبرحوا مكانكم»، فقال الآخرون: «لم يرد رسول الله ﷺ هذا، وقد أذلّ الله العدو وهزمهم».

وخطبهم أميرهم عبد الله بن جُبَيْر، وكان يومئذٍ مُعْلَماً بثياب بيض، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثمّ أمر بطاعة الله وطاعة رسوله، وأن لا يُخالف لرسول الله أمرٌ، فعصوا، وانطلقوا، فلم يبق من الرماة مع عبد الله ابن جُبَير إلاّ نُفَيْرٌ ما يبلغون العشرة، فيهم الحارث بن أنس بن رافع من بني عبد الأشهل الأوس يقول: «يا قوم! اذكروا عهد نبيّكم إليكم، وأطيعوا أميركم»، فأبوا، وذهبوا إلى عسكر المشركين ينتهبون، وخلّوا الجبل[5].

---

(١) أنساب الأشراف (١/ ٣١٧ ـ ٣١٨)، وانظر سيرة ابن هشام (٣/ ٣٤).

(٢) جوامع السيرة (١٦٠).

(٣) الدرر (١٥٦).

(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ٤١).

(٥) مغازي الواقدي (١/ ٢٣٠)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦).

فلما انصرف الرّماة، وبقي مَنْ بقي، نظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلّة أهله، فكرّ بالخيل، وتبعه عِكْرِمة بالخيل، فانطلقا إلى موضع الرّماة، فحملوا على مَن بقي منهم، فرماهم القوم حتى أُصيبوا.

ورامى عبدالله بن جُبير حتى فَنِيَت نَبْلُه، ثم طاعن بالرُّمح حتى انكسر، ثم كسر جفن سيفه، فقاتلهم حتى قُتِل[1]. فلما وقع جَرّدوه، ومَثّلوا به أقْبَح المَثَل، وكانت الرماح قد شُرعت في بطنه حتى خرقت ما بين سُرَّته إلى خاصرته إلى عَانَتِهِ، فكانت حُشْوَته قد خرجت منها.

وحمله أخوه خَوّات ودفنه[2].

وقد قَتَل عبد الله بن جُبَيْر يوم أُحد عِكْرِمةُ بن أبي جَهْل[3].

وما قصّر عبد الله بن جبير في طاعته المطلقة، وفي نصح أصحابه الرّماة، وفي استقتاله دفاعاً عن موضع الرُّماة والباقين منهم، وعن الإسلام والمسلمين، مما يدعو إلى أعمق التقدير والإعجاب.

وكان من نتيجة مخالفة الرّماة، خسارة غزوة أُحُد بالنسبة للمسلمين[4].

وقد استُشهد عبد الله بن جُبَيْر يوم أُحُد وليس له عقب[5]، فرحل عن الدنيا دون أن يترك درهماً ولا ديناراً، ولا داراً ولا عقاراً، ولا ولداً من ذكر أو أنثى، ولكنه ربح عقيدته ولم يخسرها في المعركة، فنزل فيه ومن ثبت

(١) مغازي الواقدي (١/ ٢٣٢)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٤٧٦)، وانظر الاستبصار (٣٢٣).

(٢) مغازي الواقدي (١/ ٢٨٤)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٤٧٦).

(٣) مغازي الواقدي (١/ ٣٠١ ـ ٣٠٢)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٣٠)، وانظر سيرة ابن هشام (٣/ ٧٨).

(٤) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٢٤ ـ ٢٥)، وجوامع السيرة (١٦٠)، والدرر (١٥٦)، وابن الأثير (٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤).

(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٧٦).

معه من الرماة: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾[١].

الإنسان والقائد

١ ــ ليس له رواية عن النبيّ ﷺ[٢]، ولكنّ حديثهُ في أهل المدينة الذين نقلوا قصّته في غزوة أُحُد كما في رواية الإمام البخاري[٣] في صحيحه، وقد ثبت ذكره في حديث البَراء بن عازب في الصحيح، وفيه: أنّ المشركين لما انهزموا ذهب الرماة ليأخذوا من الغنيمة، فنهاهم عبد الله بن جُبَيْر، فمضوا وتركوه[٤].

ومن الواضح أنّه لم تكن له رواية عن النبيّ ﷺ، لأنّه استُشهد مبكراً في أُحُد، فلم يبق مع النبيّ ﷺ مدّة كافية ليتلقّى عنه ويروي عنه، ويبدو أنّ المدة القليلة التي بقيها في صحبة النبيّ ﷺ كانت عامرة بالجهاد، فشغلته عن التلقّي والرواية.

يكفي أنّه نال شرف الصُّحبة، وشرف الجهاد تحت لواء النبيّ ﷺ، وبذل نفسه في سبيل دينه رخيصة وأدّى واجبه في الجهاد حقّ الأداء.

ولم يذكر مؤرخو سيرته موعد مولده، ولكنه استشهد في شهر شوّال من السنة الثالثة الهجريّة، (٦٢٤ م)، لأنّه استُشهد في غزوة أُحُد التي جرت في هذا الشهر وهذه السنة[٥].

ويمكن تقدير سنة مولده بشكل قريب من الصواب لا بشكل جازم، فقد ورد أنّه كان أسنّ من أخيه خَوّات بن جُبَيْر[٦]، وهو أخو خَوّات لأبيه

---

(١) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣: ١٥٢)، انظر مغازي الواقدي (١/ ٣٢٤).
(٢) الاستيعاب (٣/ ٨٧٧).
(٣) الإصابة (٤/ ٤٦).
(٤) الإصابة (٤/ ٤٦).
(٥) العبر (٤/ ٥).
(٦) أنساب الأشراف (١/ ٢٤١).

وأمّه[1]، وأنّ خَوّات مات بالمدينة سنة أربعين الهجرية (٦٦٠ م) وهو ابن أربع وسبعين سنة[2]، أي أنّه ولد سنة أربع وثلاثين قبل الهجرة.

وقد كانت الهجرة سنة (٦٢٢ م) كما هو معروف، فإذا كان قد ولد قبل الهجرة بأربع وثلاثين سنة قمرية، لأنّهم كانوا يسجّلون الأعمار بالسنوات القمرية لا بالسنوات الشمسية، فهي أربع وثلاثون سنة قمرية وثلاث وثلاثون سنة شمسية، أي أنّ خَوّات بن جُبَيْر ولد سنة (٥٨٩ م).

فإذا كان عبد الله أسنّ من خَوّات، وهو أخوه لأمّه وأبيه، فمن المحتمل أن يكون أكبر منه سنتين على الأقل.

أي أنّه ولد سنة (٥٨٧ م)، واستُشهد سنة (٦٢٤ م)، فعاش سبعاً وثلاثين سنة شمسية وثمانٍ وثلاثين سنة قمريّة تقريباً لا على الجزم.

لقد كان مؤمناً قويّ الإيمان، راسخ العقيدة، كثير التقوى، شديد الورع، مخلصاً للإسلام والمسلمين، محبّاً لله ورسوله، شهماً غيوراً كريماً، فكان جماع سَجايا العربي الأصيل والمسلم الحق، كانت تلك السجايا تمثّلت فيه رجلاً سويّاً يمشي على الأرض، فعاش من أجل تلك السجايا، ومات من أجلها عليه رحمة الله.

٢ ــ أما سجاياه القيادية التي أهّلته لتولي قيادة الرّماة في أخطر غزوة من غزوات النبيّ ﷺ، والذي يتوقّف على جهوده وجهود رجاله النّصر أو الهزيمة، كما حدث في التّطبيق العملي لسير الحوادث في القتال، فيُمكن تلخيصها بثلاث سجايا بارزة، هي: مهارته في الرمي، أولاً؛ وشجاعته وإقدامه ثانياً؛ وطاعته المطلقة وشدّة ضبطه ثالثاً وأخيراً.

لقد كان الرّماة الماهرون معروفين في صفوف المسلمين بأسمائهم وكفايتهم المتميِّزة بالرمي، وهم الذين نطلق عليهم اليوم بموجب

(١) الاستيعاب (٣/ ٨٧٧).
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨)، وأنساب الأشراف (١/ ٢٤١).

المصطلحات العسكرية الحديثة وصف: الهدّافين، جمع هدّاف، وهو الرّامي الماهر بالرّمي.

وكان اعتماد النبيّ ﷺ، في غزواته ـ وبخاصة غزواته الأولى ـ على الرّماة الماهرين عظيماً جداً، لأنّ المسلمين حينذاك كانوا يفتقرون إلى الخيول، بعكس المشركين الذين كانوا أغنياء بخيولهم، فكان المسلمون يعوِّضون بدقّة الرمي عن نقص الخيول في صفوفهم، فلا بدّ أن يكون عبد الله بن جبير ماهراً بالرّمي ليتولى قيادة الرّماة في تلك الغزوة، ليكون قدوة لرجاله، ولكي يستطيع قيادتهم بكفايته المتميِّزة على كفايتهم في الرّمي.

ولكن القول بأنّه كان من الرّماة الماهرين لا يغني عن كلِّ قول، فلا بد أن يكون متميِّزاً بشجاعته وإقدامه، ليضرب لرجاله في هذا المجال أروع الأمثال.

ولعلّ أكبر دليل على شجاعته وإقدامه، ثباته العنيد مع عشرة من رجاله فقط، تجاه هجوم فرسان المشركين المؤلّف من مائتي فارس بقيادة خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل، فقد كانت المعركة بين عشرة من المشاة من جهة، ومائتي فارس من جهة ثانية معركة غير متكافئة، لأنّ التفوق كمِيّة ونوعيّة بجانب المشركين على المسلمين، فكانت المعركة معروفة النتائج سلفاً: الشّهادة بالنسبة للرّماة العشرة المسلمين، ولكنّه ثبت ثبات الراسيات، وقاتل قتال الأبطال، واستقتل في الدفاع عن عقيدته، فربح شرف المعركة وشرف الثبات، وخسر نفسه، ولا تعدّ خسارته هذه شيئاً مذكوراً تجاه ثباته وشجاعته وإقدامه.

أما سجّيته الثالثة، فهي طاعته المطلقة وشدّة ضبطه المتين، مما كان ولا يزال وسيبقى مثالاً رائعاً للطّاعة المطلقة والضبط المتين لكل عسكري يعتدّ بشرفه العسكري قائداً وضابطاً وضابط صف وجندياً.

تلك هي مزايا عبد الله بن جُبَيْر القيادية، وهي ثمرة من ثمرات عقيدته الراسخة وإيمانه العميق.

عبد الله بن جُبَيْر في التاريخ

يذكر التاريخ لعبد الله بن جُبَيْر، أنّه كان من المسلمين الأولين السّابقين إلى الإسلام من الأنصار، وأنّه بايع النبيّ ﷺ في بيعة العَقَبَة الثانية، فوفى بما بايع عليه أعظم الوفاء.

ويذكر له، أنّ قيادته المتميِّزة للرّماة في أُحُد جعلت المسلمين ينتصرون على المشركين في الصفحة الأولى من صفحات القتال، فلما خالف الرماة خسر المسلمون المعركة.

ويذكر له، أنّه ثبت ثبات الأبطال بعد مخالفة الرماة، فقاتل لآخر سهم وآخر رمق، حتى استُشهد في ساحة القتال.

ويذكر له أنّ طاعته المطلقة لرؤسائه مثال يجب أن يحتذى به في كل زمان ومكان لكل عسكري في كل جيش ـ ما دامت طاعته في طاعة الله ورسوله ـ وأن مخالفة قسم من الرماة مثال يجب أن نتجنبه في الحرب والسلام.

رضي الله عن الصحابي الجليل، القائد الشهيد، البطل الصنديد، عبد الله بن جُبَيْر الأنصاري الأوسي.

أبو سَلَمَة بن عبد الأَسد المَخْزُومِيّ
القائد الشّهيد

نسبه وأيامه الأولى

هو عبد الله أبو سَلَمَة بن عبد الأَسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم بن يَقَظَة بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ القُرَشِيّ[1].

أمّه: بَرَّة بنت عبد المطّلب بن هاشم[2]، فهو ابن عمّة النبيّ ﷺ[3]، وأخوه في الرضاعة، أرضعت ثُوَيْبَة مولاة أبي لهب حمزة بن عبد المطّلب، ثم رسول الله ﷺ، ثمّ أبا سَلَمة، وثُوَيْبَة أول مَنْ أرضع للنبيّ ﷺ وأرضعَت حمزة وأبا سَلَمة[4].

ويبدو أنّه كان أصغر سناً من النبيّ ﷺ بقليل، ولا ذكر لسنة مولده، ولكن يمكن استنتاج سنة مولده من أنّ ثُويبة أرضعته بعد النبيّ ﷺ، فإذا كان النبيّ ﷺ قد ولد عام الفيل (٥٧١ م)، فإن سنة مولد أبي سلمة في هذه السنة أو سنة (٥٧٢ م)، أي أنّه أصغر سناً من النبيّ ﷺ بسنة واحدة.

أسلم بعد أبي عُبَيْدَة بن الجرّاح، وقبل الأَرْقَم بن أبي الأَرْقَم[5]، فقد

---

(١) نسب قريش :(٣٣٧)، وجمهرة أنساب العرب (١٤١ ـ ١٤٣)، وأنساب الأشراف (١/ ٢٥٧)، والاستيعاب (٣/ ٩٣٩).
(٢) نسب قريش (٣٣٧)، والمحبّر (١٧٣).
(٣) أسد الغابة (٥/ ٢١٨).
(٤) ابن الأثير (١/ ٤٥٩)، وأسد الغابة (٣/ ١٩٥)، وأنساب الأشراف (١/ ٩٤).
(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٩)، وانظر جوامع السيرة (٤٦).

أسلم قبل دخول النبيّ ﷺ والمسلمون الأولون السّابقون إلى الإسلام دار الأرقم بن أبي الأرقم[1]: أسلم بعد عشرة أنفس، فكان الحادي عشر من المسلمين[2].

ولما رأى النبيّ ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإنّ بها ملكاً لا يُظْلَمُ عنده أحد، وهي أرض صِدْق حتى يجعل الله لكم فَرَجاً ممّا أنتم فيه»، فخرج عند ذلك المسلمون إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أوّل هجرة في الإسلام[3]، وكان أبو سلمة ومعه امرأته أم سَلَمَة بنت أُميّة بن المُغِيْرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم مع أوّل مَنْ هاجر من المسلمين إلى الحبشة[4].

وبلغ أصحاب النبيّ ﷺ الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكّة، فعادوا إليها، حتى إذا دَنَوْا من مكّة علموا أنّ ما بلغهم باطل[5]، وكان أبو سلمة وامرأته أم سلمة من العائدين إلى مكة[6]، مع ثلاثة وثلاثين رجلاً من صحابة رسول الله ﷺ[7].

ودخل أبو سَلَمة مكّة بجوار خاله أبي طالب، فمشى إلى أبي طالب رجال من بني مَخْزوم. فقالوا: «يا أبا طالب! ما هذا؟ منعتَ منّا ابن أخيك محمّداً، فما لك ولصاحبنا تمنعه منّا؟!»، فقال: «إنّه استجار بي، وهو ابن أُختي، وإنْ أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي»، فقام أبو لَهَب فقال: «يا معشر قريش! والله لقد أكثرتُم على هذا الشّيخ، ما تزالون تتواثبون عليه

(١) أنساب الأشراف (١/ ١٧٦).
(٢) الاستيعاب (٣/ ٩٣٩).
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٣).
(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٤) و (١/ ٣٤٩).
(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٨).
(٦) سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٠).
(٧) سيرة ابن هشام (١/ ٣٩١)، وانظر الدرر (٦١).

في جواره من بين قومه، والله لَتَنْتَهُنَّ عنه أو لَنَقُوْمَنَّ معه في كلِّ ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد»، فقالوا: «بل ننصرف عمَّا تكره يا أبا عُتْبَة»، وكان لهم وليّاً وناصراً على رسول الله ﷺ، فأبقوا على ولائه لهم[1].

وكان أبو سلمة أوّل مَنْ هاجَر إلى الحبشة[2] من المسلمين، وقد هاجر إلى أرض الحبشة مرتين ومعه امرأته أمّ سلمة واسمها هند، فولدت له بالحبشة زينب بنت أبي سلمة[3] وعمر بن أبي سَلْمَى[4].

وكانت قريش قد عَدَت على مَنْ أسلم منهم فأوثقوهم وآذوهم، واشتدّ البلاء عليهم وعظمت الفتنة فيهم، فاحتمى أبو سلمة بأبي طالب، فمنعه[5] وحماه وأسبغ عليه رعايته وحمايته.

وفي أبي سلمة وعثمان بن مَظْعُون نزلت هذه الآية: ﴿والذينَ هَاجَروا في اللَّهِ من بَعْدِ ما ظُلِمُوا، لَنُبَوِّئَنَّهُمْ في الدُّنْيا حَسَنَةً ولأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانوا يَعْلَمُون. الذين صَبَرُوا وعَلى ربِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[6]، كما ذكروا[7].

لقد أدّى أبو سلمة واجبه في خدمة دينه. والصبر على الأذى والغربة، وحسن إسلامه، فاستحقّ مثل هذا الذِّكر والثناء العظيمين.

الهجـرة إلـى المدينـة

لما شخص السبعون من يثْرِب الذين بايعوا النبيّ ﷺ عند العَقَبة، اشتدّ ذلك على قريش، ورأوا أنّه صارت لرسول الله ﷺ منعة ودار هجرة.

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٣).
(٢) الاستيعاب (٣/ ٩٤٠).
(٣) أنساب الأشراف (١/ ٢٠٧).
(٤) أسد الغابة (٣/ ١٩٦)، وفي أنساب الأشراف (١/ ٣٣٧): أنّ اسمها هو (رَمْلَة) لا (هند).
(٥) أسد الغابة (٣/ ١٩٦).
(٦) الآيتان الكريمتان من سورة النحل (١٦: ٤١ ـ ٤٢).
(٧) أنساب الأشراف (١/ ١٥٩).

فَضَيَّقُوا على المسلمين وآذوهم، ونالوا منهم من الشّتم والتناول ما لم يكونوا ينالونه. وشكى المسلمون ذلك إلى رسول الله ﷺ، وسألوه الهجرة. فقال: «إنّه لم يُؤذَن لي في ذلك بعد». ثمّ إنّه خرج عليهم بعد ذلك مسروراً، فقال: «قد أخبرتُ أنّ دار هجرتكم يَثْرِب، فمن أراد الخروج فليخرج، فإنّ البلاد قريبة، وأنتم بها عارفون، وهي طريق عِيركم إلى الشّام». فجعلوا يتجهّزون إلى المدينة بكتمان وستر، ويتسلّلون، فيقال: إنّه كان بين أولهم وآخرهم في الهجرة أكثر من سنة. وجعلوا يترادفون بالمال والظهر، ويترافقون. وبلغ مَنْ بالحبشة من المسلمين هجرة إخوانهم، فقدم مَنْ قدم منهم مكة للهجرة[1] مع النبيّ ﷺ، وكان ممن قدِم مكّة أبو سَلَمَة. ثم هاجر إلى المدينة، فكان الثالث بعد مُصْعَب بن عُمَيْر وابن أمّ مكتوم. وكان مصعب أوّل مَن قدم المدينة، ثم تلاه ابن أُمِّ مَكْتُوم، وهناك مَنْ يذكر أنّ أبا سلمة هاجر قبل ابن أمّ مكتوم، والخبر الأول أثبت[2].

وكان أوّل مَنْ قدم المدينة مهاجراً أبو سلمة[3]، ولا خلاف بين الروايتين، فقد بعث النبيّ ﷺ مُصْعَب بن عمير ليفقّه مسلمي المدينة في الدين، وكان ذلك قبل الإذن بالهجرة إلى المدينة، فلما أذن النبيّ ﷺ بالهجرة، كان أوّل مهاجر إلى المدينة أبو سلمة[4]، أي أنّ هجرته بعد مُصْعَب.

وقد قدم أبو سلمة المدينة لعشر خلون من المحرّم، وقدم رسول الله ﷺ المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، فكان بين أوّل مَنْ قَدِم من المهاجرين فنزلوا في بني عمرو بن عَوْف، وبين هجرة النبيّ ﷺ شهران[5].

---

(١) أنساب الأشراف (١/ ٢٥٧).
(٢) أنساب الأشراف (١/ ٢٥٩).
(٣) أنساب الأشراف (١/ ١٥٩)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٢٣٩)، وجوامع السيرة (٨٦)، وأسد الغابة (٣/ ١٩٦).
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٧٧)، والدرر (٨١).
(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٤٠).

وفي رواية أخرى: أنّ أبا سلمة أوّل من هاجر من مكّة إلى المدينة، هاجر إليها قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قَدِم على رسول الله ﷺ مكّة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش وبَلَغه إسلام مَنْ أسلم من الأنصار، خرج إلى المدينة مهاجراً[1].

ونزل أبو سلمة في (قُبَاء)[2] على مُبَشِّر بن عبد المُنْذِر[3] من بني عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس[4].

وكانت أمّ سلَمَة زوج أبي سلمة أوّل ظعينة وردت المدينة، وكان زوجها أبو سلمة لما أراد الهجرة رَحَل لها بعيره وحملها عليه، وفي حجرها ابنها سلمة، فلما رآه رجال بني المغيرة قالوا: «هذه نفسُك غلبتنا عليها، فما بال صاحبتنا!؟ لا ندعك تسير فيها في البلاد»، ثمّ انتزعوا خطام البعير من يده وأخذوها إليهم. وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد من هِلال، وقالوا: «والله لا نترك ابنها عندكم إذا نزعتموها من يد صاحبنا»، يعنون أبا سلمة، وتجاذبوا سلمة بينهم، حتى خلعوا يده، فكانت مخلوعة حتى مات، ثمّ انطلقوا به، وكانت أمُّ سلمة وهي عند أهلها من بني المغيرة، تخرج فتقعد على (الصَّفَا) ثم تقول:

يـا رخُـم الجـوِّ ألا استقلِّـي   وفـي بنـي عبـد الأسـد فحُلِّـي
ثم هلالاً وبنيه فُلِّي

ثم تدعو عليهم أن تأكل الرخم لحومهم، فروي عنها أنها قالت: «فكنت أخرج كلّ غداة فأجلس بـ(الأَبْطَح)، فما أزال أبكي حتى أُمسي،

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٧٧)، وجوامع السيرة (٨٦).

(٢) قباء: أصله اسم بئر عرفت القرية بها، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار، وهي قرية على ميلين من المدينة المنورة، على يسار القاصد إلى مكّة، وهناك مسجد التقوى، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/ ٢٠ ـ ٢٢).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٤٠).

(٤) الاستبصار (٢٧٦ ـ ٢٧٨).

حتى مرّ بي رجل من بني عَمِّي أحد بني المغيرة، فرأى ما بي، فرحمني، وكلّم بني المغيرة فيَّ وقال: ألا ترون ما بهذه المسكينة من الجهد لتفريقكم بينها وبين زوجها وولدها، فقالوا لي: الحقي بزوجك إنْ شئتِ، وردّ عليّ بنو عبد الأسد ابني، فرحلت بعيري، ووضعت ابني في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله، فقلت: أتبلّغ بمن لقيت حتى أَقْدَمَ على زوجي، حتى إذا كنت بـ(التَّنْعِيم)[1] لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدّار، فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أُمَيَّة؟ فقلت: أريد زوجي بالمدينة! قال: أَوَمَا مَعَكِ أَحَد؟ فقلت: لا والله إلاّ الله وبُنَيّ هذا! قال: والله مالكِ من مَتْرَك! فأخذ بخطام البعير، فانطلق بي يَهْوي بي، فوالله ما صَحِبْتُ رجلاً من العرب قطُّ أُرَى أنّه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثمّ استأخر عني، حتى إذا نزلت عنه استأخر ببعيري فحطّ عنه ثم قيَّدهُ في الشجرة، ثم تنحّى إلى الشجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرَّواحُ قام إلى بعيري فقدّمه فرَحَلَهُ، ثم استأخر عني فقال: اركبي! فإذا ركبتُ فاستويتُ على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقاد بي حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عَمْرو بن عَوْف بقُباء، قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة بها نازلاً، فَادْخُلِيْها على بركة الله. ثمّ انصرف راجعاً إلى مكّة، والله ما أعلم أهل بيتٍ في الإسلام، أصابهم ما أصابت آلَ أبي سَلَمة، وما رأيتُ صاحباً قطُّ أكرم من عثمان بن طلحة[2]، وقد كان عثمان بن طلحة حين شيَّع أمّ سلمة من مكّة إلى المدينة كافراً[3].

---

(١) التنعيم: موضع بمكة في الحِلّ، وهو بين مكّة وسرف على فرسخين من مكة، وقيل: على أربعة، وسُمّي بذلك لأنّ جبلاً عن يمينه، يقال له نعيم وآخر عن شماله يقال له ناعم، والوادي نعمان، منه يحرم المكيون بالعمرة، انظر معجم البلدان (٢/٤١٦ ـ ٤١٧).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٧٧ ـ ٧٨)، وأنساب الأشراف (١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٣) جوامع السيرة (٨٦).

وكان مَنْ تقدّم رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد أبي سلمة، ومَن نزلوا عليه بقُباء، بنوا مسجداً يصلّون فيه، والصّلاة يومئذ إلى بيت المقدس، فجعلوا قبلته إلى ناحية بيت المقدس. فلما قدم رسول الله ﷺ صلّى بهم فيه، وكان سالم مولى أبي حُذَيْفة يؤمّ المهاجرين من مكّة إلى المدينة، ثمّ أمّهم بالمدينة لأنّه أقرؤهم، وإنّ فيهم لعمر بن الخطّاب، وذلك قبل قدوم النبيّ ﷺ[1].

وآخى النبيّ ﷺ بعد بنائه المسجد بين الأنصار والمهاجرين، وقيل: إنّ المؤاخاة كانت والمسجد يُبْنَى، بين المهاجرين والأنصار على المواساة والحق، فكانوا يتوارثون بذلك دون القرابات. حتى نزلت: ﴿**وأولُو الأرْحامِ بعضُهم أوْلَى بِبَعْضٍ في كِتَابِ اللَّهِ**﴾[2]، فآخى بين أبي سلمة وسعد بن خَيْثَمة[3].

وفي شهر جمادى الآخرة من السنة الثانية الهجرية، خرج النبيّ ﷺ إلى غزوة (ذي العُشَيْرة)[4]، فاستخلف على المدينة أبا سَلَمَة[5].

وشهد أبو سلمة غزوة (بدر) الكبرى[6]، وشهد غزوة (أُحُد)، فجُرح في هذه الغزوة، وكان الذي جرحَه أبو أُسامة الجُشَمِيّ، رماه بمَعْبَلَة[7] في عَضُده، فمكث شهراً يداويه، فبَرأ فيما يُرى، وقد اندمل الجرح على بَغْيٍ

---

(١) أنساب الأشراف (١/ ٢٦٤).

(٢) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨: ٧٥).

(٣) الدرر (٩٦ ـ ٩٧)، وأنساب الأشراف (١/ ٢٧٠ ـ ٢٧١)، والمحبّر (٧٣)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٤٧٠).

(٤) ذو العشيرة: موضع من ناحية ينبع بين مكة والمدينة، انظر معجم البلدان (٦/ ١٨١).

(٥) طبقات ابن سعد (٢/ ٩)، وأنساب الأشراف (١/ ٢٨٧)، والدرر (١٠٦)، وجمهرة أنساب العرب (١٤٣).

(٦) نسب قريش (٣٣٧).

(٧) معبلة: نصل طويل عريض.

لا يعرفه، فانتقض به الجرح فاشتكى، ثم مات[1]، كما سيرد تفصيله في الحديث عن أبي سلمة إنساناً.

وهكذا صدق أبو سلمة ما عاهد الله عليه، فتحمّل الأهوال في هجرته، وأعان النبيّ ﷺ في حربه جندياً وقائداً، وفي سلمه إدارياً.

سريته إلى قَطَن[2]

شهد أبو سلمة (أُحُداً)، وكان نازلاً في بني أُميّة بن زيد بالعالية إحدى ضواحي المدينة، بعد أن تحوّل من قُبَاء، ومعه زوجته أم سلمة بنت أبي أُميّة، فجُرح جرحاً في عضده، فرجع إلى منزله.

وجاءه الخبر أنّ رسول الله ﷺ سار إلى (حَمْراء الأسد)[3]، فركب حماراً وخرج يعارض رسول الله ﷺ، حتى لقيه حين هبط من (العَصْبَة)[4] بالعَقيق، فسار مع النبيّ ﷺ إلى حَمْراء الأسد.

ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، انصرف أبو سلمة مع المسلمين، فعاد من موضع العَصْبَة إلى داره، حيث استقرّ فيها شهراً يداوي جرحه.

فلما كان هلال المحرّم على رأس خمس وثلاثين شهراً من الهجرة، أي في السنة الرابعة الهجريّة، دعاه رسول الله ﷺ فقال: «اخرج في هذه السريّة، فقد استعملتك عليها»، وعقد له لواءً، وقال: «سِرْ حتى تَرِدَ أرض بني أسَد، فأغِرْ عليهم قبل أن تَلاقَى عليك جُموعهم»، وأوصاه بتقوى الله

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٤).

(٢) قطن: جبل بناحية فَيد، به ماء لبني أسد بن خزيمة، انظر طبقات ابن سعد (٢/ ٥٠)، وانظر معجم البلدان (٧/ ١٢٥ ـ ١٢٧).

(٣) حمراء الأسد: موضع على ثمانية أميال من المدينة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ٣٣٧).

(٤) العصبة: منزل بني جحجبي غربيّ مسجد قباء، انظر وفاء الوفا (٢/ ٣٤٦).

وبِمَنْ معه من المسلمين خيراً، فخرج معه في تلك السريّة خمسون ومائة، منهم: أبو سَبْرَة بن أبي رُهْم[1]، وهو أخو أبي سَلَمة لأمّه، وأَرْقَم بن أبي الأَرْقَم، وأبو عُبَيْدَة بن الجرَّاح[2]، وسعد بن أبي وَقَّاص[3]، وغيرهم[4].

والحافز المباشر لهذه السّرية أنّ رجلاً من طيّىء هو الوليد بن زُهير بن طَرِيْف الطّائي عمّ زينب الطائيّة، وكانت تحت طُلَيْب بن عُمَيْر القُرَشي العبديّ، قدم المدينة لزيارة ابنة أخيه الطائيّة، فنزل على صهره الذي هو من أصحاب رسول الله ﷺ، فأخبره أنّ طُلَيْحَة وسَلَمَة ابني خُوَيْلِد تركهما قد سارا في قومهما ومَنْ أطاعهما بدَعْوَتهما إلى حرب رسول الله ﷺ يريدون أن يدنوا للمدينة، وقالوا: «نَسير إلى محمّد في عُقْرِ داره، ونُصِيْب من أطرافه، فإنّ لهم سَرْحاً يرعى جوانب المدينة، ونخرج على متون الخيل، فقد أرْبَعْنا ـ رعاها في الرّبيع ـ خيلَنا، ونخرج على النّجائب المَخْبُورَة، فإنْ أصبنا نَهْباً لم نُدْرَك، وإن لاقينا جمعهم كنّا قد أخذنا للحرب عُدَّتها: معنا خيل ولا خيلَ معهم، ومعنا نجائب أمثال الخيل، والقوم منكوبون، قد أوقعت بهم قُريش حديثاً، فهم لا يستبلّون دهراً، ولا يثوب لهم جَمْعٌ».

وقام فيهم رجل منهم يقال له قيس بن الحارث بن عُمَيْر، فقال: «يا قوم! والله ما هذا برأي! ما لنا قِبَلَهم وِتْرٌ وما هم نُهْبَة لمُنْتَهِب. إنّ دارنا لبعيدة من يَثْرِب، وما لنا جَمْع كجمع قريش، مكثت قريش دهراً تسير في العرب تستنصرها، ولهم وِتْرٌ يطلبونه، ثمّ ساروا وقد امتطوا الإبل وقادوا الخيل وحملوا السِّلاح مع العدد الكثير ـ ثلاثة آلاف مقاتل سوى أتباعهم ـ وإنما جهدكم أن تخرجوا في ثلاثمائة رجل إن كمُلوا، فتُغرُّون بأنفسكم

---

(١) انظر سيرته المفصلة في كتابنا: قادة فتح بلاد فارس (١٥٥ ـ ١٦٠).
(٢) انظر سيرته المفصلة في كتابنا: قادة فتح الشام ومصر (٥٤ ـ ٨١).
(٣) انظر سيرته المفصلة من كتابنا: قادة فتح العراق والجزيرة (٢٤٨ ـ ٢٩٦).
(٤) انظر التفاصيل في مغازي الواقدي (١/ ٣٤١)، والنجائب المخبورة: المجرّبة.

وتخرجون من بلدكم، ولا آمن أن تكون الدّائرة عليكم».

وكاد كلام هذا الرّجل الحصيف أن يشكّك بني أسد في المسير إلى المسلمين، وهم على ما هم عليه بعدُ، لم يخرجوا خطتهم إلى حيِّز التنفيذ.

وخرج طُلَيْب بن عُمَيْر صاحب رسول الله ﷺ، بالوليد بن زُهير بن طريف الطّائي، الذي نقل له خبر نيّات بني أسد العدوانيّة على المسلمين، إلى النبيّ ﷺ وأخبره ما أخبر به الرجلُ الطائيّ.

وبعث النبيّ ﷺ، أبا سَلَمَة، فخرج في أصحابه، وخرج معه الطائيّ دليلاً، فأغذّوا(١) السير، ونكّب بهم عن سَنَن الطّريق، وعارض الطريق، وسار بهم ليلاً ونهاراً، فسبقوا الأخبار، وانتهوا إلى أدنى قَطَن ـ ماء من مياه بني أسد ـ وهو الذي كان عليه جَمْعُهم، فوجد المسلمون سَرْحاً، فأغاروا على السَّرْح فضمّوه، وأخذوا رِعاءً لهم مماليك ثلاثة، وأفلت سائرهم، فجاءوا جَمْعَهم فخبّروهم الخبر وحذّروهم جَمْعَ أبي سَلَمَة، وكثّروه عندهم، فتفرّق الجمع في كلِّ وجه.

وورد أبو سلمة الماءَ، فوجد جمعَ بني أسد قد تفرّق، فعسكر وفرّق أصحابه في طلب النَّعَم والشاء، فجعلهم ثلاث فِرَقٍ: فرقة أقامت معه، وفرقتان أغارتا في ناحيتين شتى، وأوعز إليها ألاّ يمنعوا في طلب، وألاّ يبيتوا إلاّ عنده إنْ سَلِموا، وأمرهم ألاّ يفترقوا، واستعمل على كلِّ فرقة قائداً منهم.

وعادت الفرقتان إلى أبي سلمة جميعاً سالمين، قد أصابوا إبلاً وشاءً، ولم يلقوا أحداً.

وانحدر أبو سلمة بذلك كلّه إلى المدينة راجعاً، ورجع معه الطّائيّ، فلما ساروا ليلة قال أبو سلمة: «اقتسموا غنائمكم»، وأعطى أبو سلمة الدّليل

---

(١) أغذوا: أسرعوا. والإغذاذ: الإسراع.

رضاه من المَغْنَم، ثم أخرج صَفياً لرسول الله ﷺ عبداً، ثمّ أخرج الخُمُس، ثمّ قسم ما بقي بين أصحابه، فعرفوا سُهمانهم، ثم أقبلوا بالنَّعَم والشّاء يسوقونها حتى دخلوا المدينة[1].

وفي رواية أخرى: أنّ الطّائي رجع مع أبي سَلَمة دليلاً، وكان خِرِّيتاً[2]، فسار بهم أربعاً إلى قَطَن، وسلك بهم غير الطريق، حتى يُعمّي الخبر على القوم، فجاءوا القوم وهم غارّون على صِرْمة[3]، فوجدوا الصِّرَم قد نَذِروا[4] بهم وخافوهم فهم مُعِدّون، فاقتتلوا، فتساقط الجرحى بين الجانبين، ثم افترقوا[5].

وفي رواية ثالثة: أنّ سرية أبي سلمة كانوا يسيرون ليلاً ويكمنون نهاراً، حتى وردوا قَطَن، فوجدوا القوم قد جمعوا جمعاً، فأحاط بهم أبو سلمة في عَماية الصّبح، وقد وعظ القومَ وأمرهم بتقوى الله، ورغّبهم بالجهاد وحضّهم عليه، وأوعز إليهم في الإمعان بالطّلب، وألّف بين كلّ رجلين. وانتبه بنو أسد قبل حملة المسلمين عليهم، فتهيّئوا وأخذوا السِّلاح، أو مَنْ أخذه منهم، وصفّوا للقتال، وحمل سعد بن أبي وقّاص على رجل منهم، فضربه فأبانَ رجله، ثم قتله. وحمل رجل من الأعراب على مسعود بن عُرْوَة بالرُّمح وقتله، فخاف المسلمون على صاحبهم أن يُسْلَب من ثيابه، فحازوه إليهم.

وصاح سعد: «ما يُنْتَظر؟»، فحمل أبو سَلَمَة، فانكشف المشركون على حاميتهم، وتبعهم المسلمون. وتفرّق المشركون في كلّ وجه، وأمسك

---

(١) مغازي الواقدي (١/ ٣٤٠ ـ ٣٤٣)، وانظر طبقات ابن سعد (٢/ ٥٠)، وعيون الأثر (٢/ ٣٨ ـ ٣٩).

(٢) الخِرِّيت: الماهر الذي يهتدي لأخرات المفازة، وهي طرقها الخفية ومضايقها، وقيل: إنه يهتدي لمثل خرت الإبرة في الطريق، انظر النهاية (١/ ٢٨٦).

(٣) الصرمة: القطعة من الإبل نحو الثلاثين.

(٤) نذر القوم بالعدو: إذا علموا.

(٥) مغازي الواقدي (١/ ٣٤٤).

أبو سلمة عن الطّلب، وواروا صاحبهم، وأخذوا ما خَفّ لهم من متاعٍ، ثم انصرفوا راجعين إلى المدينة. حتى إذا كانوا من ماء قَطَن على مسيرة ليلة أخطأوا الطريق، فوجدوا نَعماً لبني أسد فهجموا عليه، فاستاقوا النَّعَم واستاقوا الرِّعاء، فكانت غنائمهم سبعة أبعرة[1].

ومن الواضح أنّ الرواية الأولى هي الصحيحة، لإجماع المؤرّخين الثقاة عليها، ولأنّها أقرب إلى المنطق والعقل، فقد باغت أبو سَلَمة المشركين من بني أسد، فهربوا خوفاً من إبادتهم، وخلّفوا وراءهم إبلهم ومواشيهم، فغنمها المسلمون.

وقد كان هدف النبيّ ﷺ من هذه السريّة، هو تشتيت حشود بني أسد، وتفريق شملهم، وتحطيم معنوياتهم، حتى لا يهاجموا المسلمين في المدينة، والهجوم أنجع وسائل الدفاع كما هو معلوم، فحقّق أبو سلمة هدف النبيّ ﷺ تحقيقاً كاملاً، وعاد إلى المدينة على رأس سريّته سالماً غانماً.

الإنسان والقائد

١ ــ ولد أبو سَلْمَة: سَلمَة وعُمَر، ودُرّة، وزينب. وأمّهم: أم سَلَمَة التي أصبحت زوج النبيّ ﷺ، خلّف عليها بعد أبي سَلمة، وقد روى عمر بن أبي سلمة عن النبيّ ﷺ، وزوّج النبيّ ﷺ سَلَمَة بن أبي سَلَمَة بنتَ حمزة بن عبد المطّلب، وكانت زينب بنت أبي سَلَمَة عند عبد الله بن زَمْعَة بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العُزّى، فولدت له. وليس لسلمة ولا لدُرّة ابني أبي سلمة عَقِب، ولعمر وَزينب ابني ابن سَلْمَة عَقِب[2].

وولد عبد الأسد والد أبي سلمة: أبا سلمة، وسُفيان بن عبد الأسد،

---

(١) مغازي الواقدي (١/ ٣٤٥).

(٢) أنساب الأشراف (١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨)، وفي سيرة ابن هشام (٤/ ٥٢٢)، أن اسم درّة هي رُقَيّة.

والأسود بن عبد الأسد الذي قُتل كافراً يوم بدرٍ، قتله حمزة بن عبد المطّلب، وكان قد حلف يوم بدر ليكسِرَنَّ حوض النبيّ ﷺ، فقاتل حتى وصل إلى الحوض، فأدركه حمزة، وهو يكسر الحوض، فقتله، واختلط دمه بالماء، وأمّ سفيان بن عبد الأسد والأسود بن عبد الأسد من كِنْدَة[1].

وشهد غزوة بدر أبو سلمة، وهو والد زينب بنت أبي سلمة وعمّها أبو سَبْرَة بن أبي رهم وهو أخو أبي سلمة لأمّه مع النبيّ ﷺ، وشهدها عمّها الآخر الأسود بن عبد الأسد مع المشركين، وشهدها خالها حمزة بن عبد المطلب مع النبيّ ﷺ، وخالها مسعود بن أميّة بن المغيرة مع المشركين[2].

وكان أبو سلمة من البدريين الذين كانوا يدخلون على صَفِيّة بنت عبد المطّلب عمّة النبيّ ﷺ، لأنّه كان لها محرماً، لأنّ أمّ أبي سَلَمة برّة بنت عبد المطلب أخت صَفِيّة بنت عبد المطّلب[3].

روى أبو سَلَمَة عن النبيّ ﷺ حديثاً في الاسترجاع عند المصيبة[4]، فقد جاء أبو سلمة إلى أُمّ سلمة فقال: «لقد سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً أحبّ إليّ من كذا وكذا، سمعته يقول: لا يصيب أحداً مصيبة فيسترجع عند الله ثمّ يقول: اللّهم عندك احتسبت مصيبتي هذه، اللّهمّ، اخلفني فيها، إلّا أعطاه الله»[5]، واسترجع، أي قال: لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

وروت عنه أُمّ سلمة[6]، وكان من أصحاب الفُتْيَا من

(١) أنساب الأشراف (١/ ٣٣٧).
(٢) المحبّر (٤٠٣).
(٣) المحبّر (١٧٢ ـ ١٧٣).
(٤) تهذيب التهذيب (٥/ ٢٨٧).
(٥) الإصابة (٤/ ٩٥).
(٦) تهذيب التهذيب (٥/ ٢٨٧).

الصّحابة[1]، وكان على جانب عظيم من التقوى والورع والإيمان، ونزل فيه قوله تعالى: **﴿فأمّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِيْنِهِ فيقول هَاؤُم اقْرَؤُا كِتَابِيَهْ﴾**[2]. . . الآيات[3]، وفي حديث ابن عبّاس: «أوّل مَنْ يُعطى كتابه بيمينه أبو سلمة بن عبد الأسود، وأوّل مَن يُعطى كتابه بشماله أخوه سُفيان بن عبد الأسد»[4].

وحين عاد أبو سلمة من سريته إلى قطن بعد غيابه عن المدينة المنوّرة بضع عشرة ليلة، انتقض به جرحه فاشتكى، وكان قد أصيب بهذا الجرح يوم أُحُد، فمات لثلاث ليالٍ مضين من جمادى الآخرة سنة أربع الهجريّة (٦٢٥ م)، فغُسّل في (اليُسَيْرَة) بئر بني أُميّة بن زيد بالعالية، غُسل بين قرني البئر، وكان اسمها في الجاهليّة: (العَبِيْر)، فسمّاها رسول الله ﷺ: (اليُسَيْرَة)، ثم حُمل من بني أميّة بن زيد، فدُفن بالمدينة[5].

وأتى النبيّ ﷺ أبا سلمة يعوده، فوافق دخوله عليه خروج نفسه، فبسط النبيّ ﷺ كفّيه على عيني أبي سلمة فأغمضهما.

وقالت النساء عند موت أبي سَلَمَة، فقال النبيّ ﷺ: «مَهْ! لا تدْعون على أنفسكنّ إلا بخير، فإنّ الملائكة تحضُر المَيِّت ـ أو قال أهل الميّت ـ فيؤمِّنون على دعائهم، فلا تدعوَنَّ على أنفسكنّ إلاّ بخير»، ثم قال: «اللّهم افْسَحْ له في قبره، وأضىء له فيه، وعظِّم نوره، واغفر ذنبه. اللَّهم ارفع درجته في المهديين، واخلفه في تركته في الغابرين، واغفر لنا وله يا ربَّ العالمين»[6].

---

(١) أصحاب الفتيا ـ ملحق بجوامع السيرة (٣٢٢).
(٢) الآية الكريمة من سورة الحاقة (٦٩: ١٩).
(٣) أسد الغابة (٣/ ١٩٦).
(٤) الإصابة (٤/ ٩٥).
(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٤١)، وأنساب الأشراف (١/ ٤٢٩).
(٦) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٤١ ـ ٢٤٢).

وهكذا مات أبو سَلَمَة شهيداً من شهداء أُحُد للجُرح الذي جُـرح يوم أُحُد ثمّ انتقض به[1]، فاستراح الرّاحة الأبديّة، بعد أن أتعب أهله، وأتعب نفسه في خدمة الإسلام والمسلمين، وصدقت أم سَلَمَة في ما ذكرته: «والله ما أعلم آل بيت في الإسلام، أصابهم ما أصاب آل أبي سَلَمَة»[2].

وكان النبيّ ﷺ أقطع الدور بالمدينة. جعل لأبي سَلَمَة موضع داره عند دار بني عبد العزيز الزهريين، فباعوه بعد وتحوّلوا إلى بني كعب في المدينة[3]، ويبدو أنّه تحوّل بعد ذلك إلى منطقة أميّة بن زيد بالعالية قرب بئر اليُسَيْر، حيث مات هناك[4]، دون أن يترك درهماً ولا ديناراً ولا داراً، وترك أكبر من كلّ ذلك: أثره الباقي في خدمة الإسلام والمسلمين، ومثاله الشخصيّ الذي يمكن أن يكون أسوة حسنة لغيره من المسلمين، والشّهادة في سبيل الله.

٢ ــ أما سمات قيادته، فتحمّل المشاق، والكتمان الشديد، وتطبيق المباغتة الكاملة بالزّمان.

وبالرغم من أنّه قاد سرية واحدة من سرايا النبيّ ﷺ لمرّة واحدة فقط، ثم انتهت حياته وذهب إلى جوار الله، إلاّ أنّ أفراد سريته كانوا من أبرز المسلمين ومن قادة النبيّ ﷺ في حياته، وقادة الفتح الإسلاميّ بعد التحاق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى، مما يدلّ على قوّة شخصيته وتميّزه في سماته القياديّة.

ولم يكن أبو سلمة قائداً متميّزاً من قادة النبيّ ﷺ حسب، بل كان إدارياً متميِّزاً أيضاً من إداريِّي النبيّ ﷺ الذين كان يستخلفهم على المدينة

(١) مغازي الواقدي (١/ ٣٤٤).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٧٨)، وأنساب الأشراف (١/ ٢٥٩).
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٤٠).
(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٤١).

المنوّرة حين كان يغادرها للجهاد.

لقد كان أبو سَلَمَة إنساناً مثالياً وإدارياً متميِّزاً وقائداً فذّاً.

أبو سَلَمَة في التاريخ

يذكر التاريخ لأبي سَلْمَة، أنّه كان من أوائل المسلمين الأولين، الذين اعتنقوا الإسلام ودافعوا عن الإسلام والمسلمين.

ويذكر له، أنّه كان أوّل مَنْ هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين الأولين، وأنّه من أوائل مَنْ هاجر إلى المدينة المنوّرة من المهاجرين.

ويذكر له، أنّه تحمّل أذى قريش والمشركين صابراً محتسباً، وما أصاب آل بيت في الإسلام ما أصاب آل أبي سَلَمَة، في سبيل الدين الحنيف.

ويذكر له، أنّه كان قائداً لامعاً، وإدارياً حازماً، وإنساناً عظيماً.

ويذكر له، أنّه ختم حياته بالشّهادة، فكان من أقدم لَبِنَات صرح الإسلام منذ كان الإسلام.

رضي الله عن الصحابي الجليل، الإداريّ الحازم، القائد الفذّ، الشهيد البطل، أبي سَلَمَة بن عبد الأسد المخزوميّ القُرَشِيّ.

المُنْذِر بن عمرو السَّاعدي الخَزْرَجِي الأنصاريّ
القـائـد الشّهيـد

نسبـه وأيامـه الأولـى

هـو المُنْـذِر بن عَمْـرو بن خُنَيْس بن لَوْذَان بـن عَبْـدِ وُدّ بـن زيـد بن ثَعْلَبَـة بن الخَزْرَج بـن ساعدة[1].

أُمّه: هند بنت المنذر بن الجَموح بن زيد بن حَرام بن كَعْب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة[2] من بني الخزرج[3] أيضاً من بني حَرَام الخَزْرَجيّة الأَنْصَارِيّة، وكانت من النساء المبايعات لرسول الله ﷺ[4].

ولا ذكر للمنذر قبل الإسلام، ولا نعلم عن أخباره شيئاً في الجاهليّة، ولكن اسمه لمع بعد إسلامه، فقد شهد البيعة الثانية الكبرى بالعَقَبَة، في ثلاث وسبعين رجلاً وامرأتين من الأنصار[5]، فاختاره النبيّ ﷺ نقيباً من بني اثني عشر نقيباً[6]، فهو عَقْبي نقيب[7].

---

(١) جمهرة أنساب العرب (٣٦٦)، وفيه: ابن طريف بن الخزرج، والاستبصار (١٠١)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٥٥٥)، وأسد الغابة (٤/ ٤١٨)، والإصابة (٦/ ١٤٠).

(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٥٥)، والمحبّر (٤٢٦).

(٣) انظر بني سلمة في الاستبصار (١٤٢).

(٤) المحبّر (٤٢٦).

(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ٤٩).

(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٢)، والمحبّر (٢٦٩ ـ ٢٧٠)، والاستبصار (١٠١)، وأنساب الأشراف (١/ ٢٥٢).

(٧) الإصابة (٦/ ١٤٠)، وأسد الغابة (٤/ ٤١٨).

ولما علمت قريش بأخبار بيعة العقبة الثانية، خرجوا في طلب الذين بايعوا النبيّ ﷺ، فأدركوا سعد بن عُبادة بـ (أَذاخِر)[1]، والمنذر بن عمرو، وكلاهما كان نقيباً، فأما المنذر ففاتهم. ولما ظفر المشركون بسعد بن عبادة سألوه: أنت على دين محمّد؟ فقال: «نعم»، فأوثقوه رباطاً، حتى خلّصه مُطْعِم بن عَدِي، وكان له صديقاً، وكان المنذر أشرف أن يؤخذ، فقال ضِرار بن الخطّاب الفِهْري:

تَـدَارَكْـتُ سَعْـداً عَنْـوَةً فَـأَخَـذْتُـهُ وكـانَ شِفَـاءً لَـوْ تَـدَارَكْـتُ مُنْـذِرا

ولـو نِلْتُـهُ طُلَّـتْ هُنَـاكَ جِـرَاحُـهُ وكَـانَ حَـرِيّـاً أَنْ يُهَـانَ ويُهْـدَرا

فأجابه حسّان بن ثابت شاعر النبيّ ﷺ يردّ عليه[2]، فقال:

وَلَسْـتَ إلـى سَعْدٍ ولا المَرْءِ مُنْذِرٍ إذا ما مَطَايَا القَوْمِ أَصْبَحْنَ ضُمَّرا[3]

فلـولا أبـو وَهْـبٍ لَمُـرَّتْ قَصَـائِـدٌ على شَرَفِ البَرْقَاءِ يَهْوِيْنَ حُسَّرا[4]

أَتَفْخَـرُ بـالكَتَّـان لَمَّـا لَبِسْتَـهُ وقـد تَلْبَسُ الأَنْبَاطُ رَيْطاً مُقَصَّـرا[5]

فـلا تَـكُ كـالْـوَسْنَـانِ يَحْلُـمُ أَنَّـهُ بِقَـرْيَـةِ كِسْـرى أَوْ بِقَـرْيَـةِ قَيْصَـرا[6]

---

(١) أذاخر: اسم موضع قريب من مكّة، وفي حديث فتح مكّة: «لما وصل رسول الله ﷺ عام الفتح، دخل من أذاخر، حتى نزل بأعلى مكّة، وضربت هناك قبّته».

(٢) انظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (٢/٥٨ ـ ٦١)، وأنساب الأشراف (١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥)، وانظر الدرر (٧٥ و ٧٨)، وجوامع السيرة (٧٦).

(٣) ضمّرا: جمع ضامر، وكان العرب يضمرون الخيل للسباق أو الركض إلى العدو، وكانوا إذا فعلوا ذلك أمنوا عليها البهر الشديد والإعياء إذا حضروها، وقد كنى بذلك حسّان عن التهيؤ للحرب والاستعداد له.

(٤) حسّرا: جمع حاسرة، يريد لولا أبو وهب لكانت قصائدك قد انقطع بها السير في طريقها إلينا، لأنّها من سفساف القول ورديئه، لكنّه حملها إلينا فبلغتنا.

(٥) الكتان ـ بفتح أوله وتشديد ثانيه ـ: نوع من القماش معروف. والأنباط: جيل من الناس كانوا ينزلون سواد العراق. والريط ـ بفتح فسكون ـ: جمع ريطة، وهي الملحفة البيضاء.

(٦) الوسنان: النّائم.

وَلاَ تَـكُ كـالثَّكْلَى وكـانَـتْ بِمَعْـزِلٍ عـن الثُّكْـل لـو كـانَ الفـؤادُ تَفَكَّـرا[1]
وَلاَ تَـكُ كـالشَّـاةِ التـي كـان حَتْفُهـا بِحَفْـرِ ذِراعَيْهـا فلـم تَـرْضَ مَحْفَـرَا[2]
ولا تَـكُ كـالغَـاوِي فَـأَقْبَـلَ نَحْـرَهُ وَلاَ يَخْشَهُ سَهْماً من النَّبْلِ مُضْمَرا[3]
فـإِنَّـا وَمَـنْ يُهْـدِي القَصَـائِـدَ نَحْـوَنَـا كَمُسْتَبْضِـعٍ تَمْـراً إلـى أَهْـلِ خَيْبَـرا[4]

فلما قدم الذين بايعوا النبيّ ﷺ في العَقَبَة المدينة، أظهروا الإسلام بها[5].

ولما هاجر النبيّ ﷺ من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة، وصل إلى المدينة، تلقّاه المسلمون يعرضون عليه النزول عندهم، كلّ واحد منهم يتمنى أن يحلّ عنده، وكلّ جماعة من الأنصار تَتَمنَّى أن تنال هذا الشّرف العظيم، وكان المنذر من جملة الذين عرضوا على النبيّ ﷺ أن يحلّ بينهم، فقد مرّ النبيّ ﷺ على ناقته بدار بني ساعدة قوم المنذر من الخزرج، فاعترضه سعد بن عُبادة والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة، فقالوا: «يا رسول الله! هَلُمَّ إلينا إلى العَدَد والعُدَّة والمَنَعَة»، فقال: «خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة»[6]، يريد خلّوا سبيل ناقته القَصْواء فإنّها مأمورة.

وآخى النبيّ ﷺ بين طُلَيْب بن عُمَيْر بن وَهْب والمنذر بن

---

(١) الثّكلى: التي فقدت ولدها.
(٢) يشير إلى مَثَلٍ سببه: أنّ رجلاً وجد شاة بالفلاة وهو جائع، وليس معه ما يذبحها به، فلما أمسكها ظلّت تحفر الأرض بأرجلها حتى ظهرت مدية كانت مطمورة في الرّمل، فأخذها فذبحها بها، وفي ذلك يقول العرب: «سعى إلى حتفه بظلفه»، والحتف: الموت. ومحفرا: يكون مصدراً بمعنى الحفر، ويكون اسم مكان.
(٣) أقبل نحره السهم: جعل نحره قبالة السّهم.
(٤) يقول: نحن أهل الشّعر، والمقال مقالنا، فكيف تتعرّض لنا بالقول. وخيبر: إحدى البلاد الشهيرة بالتمر، ويقال أيضاً في الأمثال: كمستبضع التّمر إلى هَجَر، وكمستبضع التمر إلى البصرة.
(٥) انظر سيرة ابن هشام (٢/٥٩ ـ ٦١).
(٦) سيرة ابن هشام (٢/١١٢)، والدرر (٩٣).

عمرو[1]، وفي رواية: أنّه آخى بين أبي ذرّ الغِفاري والمنذر بن عمرو[2]، والرواية الأولى هي الصحيحة، وإنما آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه قبل غزوة بدرٍ الكبرى، وأبو ذَرّ يومئذٍ غائب عن المدينة، ولم يشهد بَدْراً ولا أُحُداً ولا الخَنْدَق، وإنّما قدم على رسول الله ﷺ المدينة بعد ذلك[3].

وبدأ الصِّراع الحاسم بين الإسلام والشِّرك وبين المسلمين والمشركين، فشهد المنذر غزوة بَدْر الكبرى[4].

كما شهد غزوة (أُحُد) وكان على مَيْسَرة المسلمين في هذه الغزوة[5].

وهكذا أدّى المنذر واجبه في الدّعوة إلى الإسلام، وفي الدفاع عنه، وفي الجهاد مجاهداً وقائداً مرءوساً، وكان من رؤساء الخزرج من الأنصار، ومن الذين جنّدوا رئاستهم لخدمة المسلمين جندياً وقائداً وداعية ومُرْشِداً.

سريّة بئر مَعُونة[6]

بعد غزوة (أُحُد)، أقام رسول الله ﷺ بالمدينة المنوّرة بقيّة شوّال وذا القَعْدَة وذا الحِجّة من السنة الثالثة الهجرية، والمُحَرَّم من السنة الرابعة الهجرية، ثمّ بعث أصحاب بئر مَعُوْنَة في تمام السنة الثالثة للهجرة وأوائل السنة الرابعة للهجرة على رأس أربعة أشهر من غزوة (أُحُد).

(١) المحبّر (٧٢)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٥٥٥)، وأسد الغابة (٤/ ٤١٦).
(٢) الدرر (٩٩)، وسيرة ابن هشام (٢/ ١٢٥)، وجوامع السيرة (٩٦).
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٥٥)، وأسد الغابة (٤/ ٤١٩)، والاستبصار (١٠١)، وعيون الأثر (١/ ٢٠١).
(٤) مغازي الواقدي (١/ ١٦٨)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٣٤٤)، والدرر (١٣١).
(٥) الاستبصار (١٠١).
(٦) بئر معونة: ماء من مياه بني سليم، بين أرض بلاد عامر وأرض بني سليم، كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حرّة بني أسلم أقرب.

وكان سبب ذلك، أنّ أبا بَراء الكِلَابي، من بني كِلاب بن ربيعة بن عامِر بن صَعْصَعَة، ويُعرف بمُلاعِبِ الأسِنّة[1]، واسمه عامِر بن مالك بن جعفر بن كِلاب بن ربيعة بن عامِر بن صَعْصَعَة، وفد على رسول الله ﷺ، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فلم يُسْلِم ولم يُبْعِد، وقال: «يا محمّد! لو بعثْتَ رجالاً من أصحابك إلى أهل نَجْدٍ فَدَعَوْهم إلى أمرك، لرجوت أن يستجيبوا لك»، فقال ﷺ: «إني أخشى عليهم أهل نَجْدٍ»، فقال أبو بَراء: «أنا جارٌ لهم».

وبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو، أحد بني ساعِدَة، وهو الذي يلقّب: «المُعْنِق[2] ليموت» لقب غلب عليه، والأكثر يقولون: «أعْنَق ليموت»، في أربعين من المسلمين، وقيل: في سبعين من خيار المسلمين، منهم: الحارث بن الصِّمَّة، وحَرام بن مِلْحان ـ أخو أمّ سُلَيْم[3]، وهو خال أَنَس بن مالك ـ وعُرْوَة بن أسماء بن الصَّلْت السُّلَمِيّ، ونافع بن بُدَيْل بن ورقاء الخُزَاعِيّ، وعامِر بن فُهَيْرَة مولى أبي بكر الصِّدِّيق، وغيرهم، فنهضوا ونزلوا بئر مَعُونة، وهي بين أرض بني عامِر وحَرَّة بني سُلَيْم، وهي إلى حَرَّة بني سُلَيْم أقرب ـ وأمّر النبيّ ﷺ على جميعهم المنذر بن عمرو.

وحين وصلت السرية إلى بئرِ مَعُونة، بعثوا منها حَرام بن مِلْحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطُّفَيْل، فلما أتاه لم ينظر في كتابه، ثمّ عدا عليه فقتله، ثمّ استنهض إلى قتال الباقين بني عامِر، فأبوا أن يُجيبوه،

---

(١) سمّي ملاعب الأسنة يوم سوبان، وهو يوم كانت فيه وقيعة (بالتصغير) في أيام العرب بين قيس وتميم، وقد فرّ عنه أخوه، فقال شاعر:

فررتَ وأسلمتَ ابن أمّك عامراً ... يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

انظر الروض الآنف (٢/ ١٧٤).

(٢) المعنق: المسرع، لقب به لمسارعته للشهادة. وأعنق ليموت: أي أنّ المنيّة أسرعت به وساقته إلى مصرعه. انظر النهاية (٣/ ١٣٣).

(٣) هي أمّ أنس بن مالك رضي الله عنه وأخت أم حرام التي هي زوجة عبادة بن الصّامت.

لأنّ أبا بَراء أجارهم، فاستغاث عليهم بني سُلَيْم، فنهضت معه عُصَيَّة ورِعْل وذَكْوان، وهم قبائل من بني سُلَيْم، فأحاطوا بهم، فقاتلوا، فقُتلوا كلُّهم رضوان الله عليهم، إلاّ كَعْب بن زيد أخا بني دينار بن النجّار، فإنّه تُرِك في القتلى وفيه رمق، فارتُثّ[1] من القتلى، فعاش حتى قُتل يوم الخندق رضوان الله عليه.

وكان عمرو بن أُمَيّة الضَّمْرِيّ في سرح المسلمين الذين كانوا في تلك السرية، ومعه المُنْذِر بن محمّد بن عُقْبَة بن أُحَيْحَة بن الجُلاح، فنظرا إلى الطّير تحوم على العسكر، وكانا في سَرْح المسلمين[2]، فنهضا إلى ناحية أصحابهم، فإذا الطّير تحوم على القتلى، والخيل التي أصابتهم لم تزل بعدُ، فقال المنذر بن محمّد لعمرو بن أُميّة: «فما ترى؟»، فقال: «أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر»، فقال الأنصاري: «ما كنتُ لأَرْغَبَ بنفسي عن موطنٍ قتل فيه المُنْذِر بن عمرو»، فقاتل حتى قُتِل، وأُخذ عمرو بن أُميّة أسيراً، فلما أخبرهم أنّه من مُضَر، جَزَّ ناصيته عامِر بن الطُّفَيْل، وأطلقه عن رقبة كانت على أُمّه، وذلك لعشرين بقين من صفر.

ورَجَع عمرو بن أُميّة، حتى إذا كان بـ (القَرْقَرَة)[3] من صدر (قناة)[4]، أقبل رجلان من بني عامِر، وقيل: من بني سُلَيْم، حتى نزلا معه في ظلٍّ هو فيه، وكان معهما عهد من رسول الله ﷺ لم يعلم به عمرو بن أُميّة. وكان قد سألهما حين نزلا: «ممن أنتما؟»، قالا: «من بني عامِر»، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما وهو يرى أنّه قد أصاب منهما ثأره من بني عامِر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ. فلما قدم عمرو بن أُميّة على رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، قال: «لقد قَتَلْتَ قتيلين

(١) ارتث: رفع وبه جراح، حمل من المعركة جريحاً.
(٢) السّرح: الرعاء.
(٣) القرقرة: هي قرقرة الكدر، على ثمانية برد من المدينة.
(٤) قناة: وادٍ يأتي من الطائف ويصبّ في قرقرة الكدر.

كان لهما مني جِوار، لأَدِيَنّهما[1]، هذا عمل أبي بَراء، قد كنتُ لهذا كارهاً متخوِّفاً».

ولم يَجِد رسول الله ﷺ على قَتْلى ما وَجَد على قَتْلَى بئر مَعُوْنَة.

وبلغ أبا بَرَاء ما صنَعَ عامِر بن الطُّفَيْل، فشقّ عليه إخفاءه إياه، ولا حركة به من الكِبَر والضعف، فقال: «أَحْضرني ابن أخي من بين بني عامِر».

وركب ربيعة بن أبي بَرَاء ولحق عامراً وهو على جملٍ له، فطعنه بالرّمح، فأخطأ مَقَاتله. وتصايح النّاس، فقال عامر بن الطُّفَيْل: «إنّها لم تضرّني! إنها لم تضرّني!». وقال: «قُضِيَت ذِمّة أبي بَرَاء»، وقال: «قد عفوت عن عمّي، هذا فعله»[2].

لقد كان أكثر أفراد هذه السرية شَبَبَة[3] يُسَمُّون القُرَّاء، كانوا إذا أمسوا أتوا ناحية من المدينة، فتدارسوا وصلّوا، حتى إذا جاء الصُّبح استعذبوا من الماء وحَطَبوا من الحَطَب، فجاءوا به إلى حُجَر رسول الله ﷺ، وكان أهلوهم يظنّون أنّهم في المسجد، وكان أهل المسجد يظنّون أنّهم في أهليهم، فبعثهم رسول الله ﷺ في تلك السرية، فخرجوا فأصيبوا في بئر مَعُوْنَة[4]، والقُرَّاء هم علماء الأُمّة، الذين نذروا أنفسهم للعلم وللعمل به، والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(١) أدينهما: أُؤَدي ديتهما.

(٢) مغازي الواقدي (١/ ٣٤٦ ـ ٣٥٣)، وسيرة ابن هشام (٣/ ١٨٤ ـ ١٩١)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٥١ ـ ٥٤)، والطبري (٢/ ٥٤٥ ـ ٥٤٩)، وابن الأثير (٢/ ١٧١ ـ ١٧٣)، وابن كثير (٤/ ٧١ ـ ٧٤)، والدر لابن عبد البر (١٧٠ ـ ١٧٣)، وجوامع السيرة لابن حزم (١٧٨ ـ ١٨٠)، والبخاري (٥/ ١٠٣)، وابن سيد الناس (٢/ ٤٣ ـ ٤٨)، والنويري (١٧ / ١٣٠)، وزاد المعاد (٢/ ٢٧٢)، والإمتاع (١٧٠)، والمواهب (١/ ١٣٣)، وتاريخ الخميس (١/ ٤٥١)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٧٥).

(٣) شببة: الشبان، واحدهم شاب، انظر النهاية (٢/ ٢٠١).

(٤) مغازي الواقدي (١/ ٣٤٧).

وعمل الخير، وكان على رأسهم أعلمهم بكتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ: المنذر بن عمرو.

وقد قُتل أصحاب المنذر، فعرض عليه المشركون أن يؤمِّنوه، ولكنّه قاتلهم حتى قُتل، فذلك قول رسول الله ﷺ فيه: «أَعْنَق ليموت»[1]، فَلُقِّب: «المُعْنِق ليموت» ـ كما ذكرنا ـ.

لقد كانت سرية بئر مَعُوْنة ملحمة من ملاحم المجاهدين في الله الذين يعتبرون الشهادة أُمنية من أغلى أمانيهم، فحين طعن المشرك جبّارُ بن سُلْمىٰ مولى أبي بكر الصِّدِّيق عامِرَ بن فُهَيْرَة سمعه القاتل يقول: «فُزْتُ واللَّهِ»[2]، فأعلن حينذاك القاتل إسلامه، لأنه رأى تضحية لا يمكن أن تكون إلا لله وحده.

وكان على رأس المجاهدين الصادقين، المنذر بن عمرو.

الإنسان والقائد

١ ـ وكما وَجَد النبيّ ﷺ على شهداء بئر مَعُوْنة وجداً عظيماً، كان وَجْد المسلمين عليهم عظيماً كذلك، فقال حسّان بن ثابت يبكي قتلى بئر مَعُوْنة ويخصّ بالذكر منهم المنذر بن عمرو:

على قَتْلَى مَعُوْنَة فاسْتَهِلِّي ... بدمع العَيْنِ سَحّاً غيرَ نَزْرِ[3]
على خَيْلِ الرَّسولِ غَدَاةَ لاَقَوْا ... ولاَقَتْهُمْ مَنَايَاهُم بِقَدْرِ
أَصَابَهُمُ الفَنَاء بِعَقْدِ قَوْمٍ ... تُخُوِّنُ عَقْدُ حَبْلِهِمُ بِغَدْرِ[4]
فيا لَهْفِي لمُنْذِرِ إذ تَوَلّى ... وأَعْنَقَ في منيَّتِهِ بِصَبْرِ[5]

(١) مغازي الواقدي (١/ ٣٤٨).
(٢) مغازي الواقدي (١/ ٣٤٩).
(٣) استهلي: أسيلي دموعك. والسحّ: الصبّ الكثير. والنزر: القليل.
(٤) تخوّن: انتقص، وهو مبني للمجهول، فهو بضم التاء والخاء وتشديد الواو مكسورة.
(٥) أعنق: أسرع، والعَنَق: بفتح العين والنون جميعاً، السَّيْر السّريع، وهذا الفعل=

وَكَـائِـنْ قـد أُصيـبَ غَـداةَ ذَاكُـم مِنَ ابيَضَ ماجِدٍ من سِرِّ[1] عمرو[2]

لقد كان المنذر من رجالات قومه، وحسبه أنّ النبيّ ﷺ اختاره لهم نقيباً، لأنّه كان أتقاهم ومن رؤسائهم.

ولم يكن وحده من آل بيته متميِّزاً بالتقوى، فقد كانت أخته مندوس بنت عمرو وهي أمُّ سلمة بن مُخَلَّد، وأخته سَلْمَى بنت عمرو من المبايعات رسول الله ﷺ[3] وكانت أمّه من المبايعات[4] أيضاً، فهو من بيت تقوى انتشر الإسلام فيه مبكِّراً، وأثَرُ المنذر في هذا البيت ظاهر العيان.

وفي المنذر قال النبيّ ﷺ: «أعْنَقَ ليموت»، أي مشى للموت، وهو يعرفه[5].

وكان المنذر يكتب في الجاهلية[6]، يوم كان الذين يكتبون قليلين، فهو من علماء المسلمين الأولين، وكانت الكتابة في العرب قليلاً[7].

وقد استُشهد أوّل سنة أربع الهجرية[8] (٦٢٥ م)، ولا عقب له[9]، وروى حديثاً واحداً عن النبيّ ﷺ[10].

= مأخوذ منه، وقوله لمنذر إما أن يكون قد حذف التنوين من العلم المذكّر لاضطراره إلى ذلك لإقامة الوزن، وإما أن يكون وصل همزة إذ، وهذا أولى عندنا، وهو الذي ضبطنا البيت عليه (قاله الشيخ محي الدين عبد الحميد رحمه الله)، انظر الهامش.

(١) «من سر عمرو» سر القوم: خالصهم ولبابهم. انظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٩٠).
(٢) من سيرة ابن هشام (٣/ ١٩٠).
(٣) المحبّر (٤٢٢ ـ ٤٢٣).
(٤) المحبّر (٤٢٦).
(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٥٥).
(٦) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٥٥)، وأسد الغابة (٤/ ٤١٨).
(٧) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٥٥).
(٨) أسد الغابة (٤/ ٤١٩)، والمحبّر (١١٨).
(٩) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٥٥).
(١٠) الإصابة (٦/ ١٤٠).

ولا نعلم سنة مولده، والأغلب أنّه استُشهد وهو في ريعان الشباب.

٢ ـ أما سمات المُنْذِر القيادية، فهو قائد من قادة العقيدة، اختاره النبيّ ﷺ نقيباً يدعو إلى الله، فعاش نقيباً واستُشهد نقيباً، وكان في سريته نقيباً، يضرب لهم في نفسه أروع الأمثال في البذل والتضحية والفداء.

ولعلّ قولة أحد رجاله: «ما كنت لأَرْغَب بنفسي عن موطنٍ قُتِل فيه المنذر بن عمرو!!»، خير دليل على تعلق رجاله به وتعلقه بهم، لأنّه أعلمهم بالدين وأتقاهم وأصبرهم وأكثرهم شجاعة وإقداماً، فأَعْنَقَ ليموت، كما وصفه النبيّ ﷺ، لأنّه أسرع إلى الموت مُقْبلاً غير مُدْبِر، فرحاً بلقاء الله، طالباً الشَّهادة، وقع على الموت، ولم يقع الموت عليه، فسقط شهيداً ولم يسقط السيف من يده.

لقد كان المنذر أحد اللَّبِنات القوية المتينة التي شُيِّد عليها صرح الإسلام القويّ المتين.

وليس كالشهداء من أجل عقيدتهم لَبِنات تشيّد عليها صروح العقيدة التي لا يمكن أن تُقهر أبداً.

المنـذر فـي التّاريـخ

يذكر التّاريخ، أنّ المنذر كان من السَّابقين الأوّلين إلى الإسلام من بني الخزرج الأنصار.

ويذكر له، أنّه كان نقيب قومه من بني ساعِدة الخزرج، اختاره النبيّ ﷺ ليقود ركب الدعوة في قومه بخاصة وفي الأنصار بعامة بالمدينة المنوّرة.

ويذكر له، أنّه بايع النبيّ ﷺ في بيعة العقبة الثانية قبل هجرة النبيّ ﷺ من مكة إلى المدينة، فكان من الذين مهّدوا لهجرة النبيّ ﷺ والمسلمين من مكّة إلى المدينة.

ويذكر له، أنّه نال شرف صحبة النبيّ ﷺ وشرف الجهاد تحت لوائه، فشهد بدراً مجاهداً، وشهد أُحُداً قائداً مرءوساً.

ويذكر له، أنّه قائد سرية الدُّعاة من الشّباب القُرَّاء، الذين استُشهدوا في سبيل الله.

ويذكر له، أنَّه تهيَّأت له في بئر مَعُوْنَة فرصة الحياة، فآثر الموت على الحياة، وما عند الله على ما عند الناس.

رضي الله عن الصحابي الجليل، العَقْبيّ النّقيب، البدريّ الشّهيد، القارىء الفقيه، المُعْنِق ليموت، المُنْذِر بن عمرو السَّاعِديّ الخزرجيّ الأنصاريّ.

مَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَوِيّ
القائد الشّهيد

نسبه وحياته

هو مَرْثَد بن أبي مَرْثَد، واسم أبي مَرْثد: كَنّاز بن حِصْن بن يَرْبُوع بن طَرِيف بن خَرَشَة بن عُبَيْدَة بن سَعْد بن عَوْف بن كَعْب بن مالِك بن جَلاَّن بن غَنْم بن عمرو، وهو غَنِيّ بن أَعْصُر بن سَعْد[1] بن قَيْس عَيْلاَن بن مُضَر[2].

أبوه: أبو مَرْثَد الغَنَوِيّ، وكان تِرْباً[3] لحمزة بن عبد المُطّلِب عمّ النبيّ ﷺ وحليفه، وكان رجلاً طُوالاً كثير شعر الرأس[4] ومن المهاجرين الأولين[5]، شهد بَدْراً وأُحُداً والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، ومات بالمدينة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة اثنتي عشرة الهجريّة وهو يومئذ ابن ست وستين سنة[6].

ولما هاجر أبو مَرْثَد الغَنَوِي وابنه مَرْثد بن أبي مَرْثِد من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة نزلا على كلثوم بن الهِدْم أخي بني عمرو بن عوف

(١) جمهرة أنساب العرب (٢٤٧)، وفي طبقات ابن سعد (٣/٤٧): خرشة بن عبيد، وكعب بن مالك بن جلاّن، وغنم بن يحيى بن يعصر.
(٢) طبقات ابن سعد (٣/٤٧)، وجمهرة أنساب العرب (٢٤٤).
(٣) ترباً: المماثل في السنِّ، وأكثر ما يستعمل في المؤنث، (ج): أتراباً.
(٤) طبقات ابن سعد (٣/٤٧).
(٥) جمهرة أنساب العرب (٢٤٧).
(٦) طبقات ابن سعد (٣/٤٧)، والاستيعاب (٤/١٧٥٥)، وأسد الغابة (٥/٢٩٤).

بـ (قُبَاء)[1]، ويقال: بل نزلا على سَعْد بن خَيْثَمَة[2].

وآخى النبيّ ﷺ بين أبي مَرْثَد الغَنَوِيّ وعُبَادة بن الصَّامِت وبين مَرْثَد بن أبي مَرْثَد وأوس بن الصّامت أخي عُبادة بن الصّامت[3]، وعبادة وأخوه أوس بن الصّامت بن قيس بن أصْرَم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن الخزرج من أنصار الخزرج[4].

وكان مرثد وأبوه في سرية حمزة بن عبد المطلب عمّ النبيّ ﷺ التي كانت في شهر رمضان من السنة الأولى الهجرية، فلم يلقوا كيداً[5].

وفي مرحلة مسير الاقتراب بين المدينة وموقع بَدْر، كانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ سبعين بعيراً، فاعتقبوها، فكان رسول الله ﷺ وعليّ بن أبي طالب ومَرْثد بن أبي مَرْثد الغَنَوِي يعتقبون بعيراً[6]، فكان إذا كانت عُقْبَة النبيّ ﷺ قالا: «اركب حتى نمشي عنك»، فيقول: «ما أنتما بأقوى على المشي مني، وما أنا أغنى عن الأجر منكما»[7].

وكان مع أصحاب النبيّ ﷺ في غزوة بدر الكبرى فرسان: فرس لمرثد بن أبي مَرْثَد، وفرس للمِقداد بن عمرو البَهْراني حليف بني زُهْرة، ويقال: فرس للزُّبير بن العوّام، ولم يكن إلاّ فرسان، ولا اختلاف أنّ

(١) قباء: أصله اسم بئر عرفت القرية بها، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار، قرية على ميلين من المدينة المنوّرة على يسار القاصد إلى مكّة، وهناك مسجد التقوى، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/ ٢٠ ـ ٢٢).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٩٠)، والدرر (٨٤).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٧ ـ ٤٨)، وأسد الغابة (٤/ ٣٤٥)، والاستيعاب (٣/ ١٣٨٣)، والمحبّر (٧١).

(٤) الاستبصار (١٨٨).

(٥) مغازي الواقدي (١/ ٩).

(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٥١)، والدرر (١١١)، وجوامع السيرة (١٠٨)، ومغازي الواقدي (١/ ٢٤).

(٧) طبقات ابن سعد (٢/ ٢١)، وعيون الأثر (١/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧).

المِقْداد له فرسٌ[1]، ويقال لفرس مَرْثَد: السَّبَل[2]. وقد ضرب رسول الله ﷺ بسهم للفرس وبسهم لصاحبه، وهناك مَنْ يقول: إن رسول الله ﷺ ضرب يومئذ للفرس بسهمين ولصاحبه بسهم[3].

وقد أبلى مَرْثَد في غزوة بدر بلاءً حسناً، وشارك في إحراز النّصر المؤزر للمسلمين على المشركين، وأسر مرثد في هذه الغزوة أبا ثور أحد المشركين، فافتداه جُبَيْر بن مُطْعِم[4].

وهكذا كان مَرْثَد أحد البدريين[5].

كما شهد مرثد غزوة (أُحُد) مع مَنْ شهدها من المسلمين[6].

وبذلك نال مَرْثَد شرف الصُّحْبة وشرف الجهاد تحت لواء الرّسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام.

سَرِيّة الرَّجِيْع[7]

قدم على رسول الله ﷺ بعد (أُحُد) في نِصْف صَفَر، في آخر تمام السنة الثالثة من الهجرة، والصواب أنّه في أوائل السنة الرابعة الهجرية، نفر من عَضَل والقارة، وهما من الهَوْن[8] بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة، أخي بني

(١) مغازي الواقدي (١/ ٢٧).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٢)، ويقال له: السَّيْل، انظر مغازي الواقدي (١/ ٢٧)، قال أبو ذر: «يروى السيل بالياء المنقوطة باثنتين من تحتها، والصواب فيه: السَّبَل بالباء المنقوطة بواحدة من تحتها، وهي اسم علم معرفة لا ينصرف»، انظر الهامش الرقم (١) في سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٢).

(٣) مغازي الواقدي (١/ ١٠٢ ـ ١٠٣).

(٤) أنساب الأشراف (١/ ٣٠٢).

(٥) مغازي الواقدي (١/ ١٥٣)، والدرر (١٢١)، وجوامع السيرة (١١٥).

(٦) الاستيعاب (٣/ ١٣٨٣)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٤٨).

(٧) الرّجيع: اسم ماء لهذيل، بين عسفان ومكة، قرب الهدأة بين مكة والطائف. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩).

(٨) ويقال: الهون بضم الهاء، انظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٦٠).

أَسَد بن خُزَيْمَة. فذكروا له ﷺ، أنّ فيهم إسلاماً، ورغبوا أن يبعث نفراً من المسلمين يفقهونَهُم في الدِّين. فبعث رسول الله ﷺ معهم ستّة[1] رجال من أصحابه، وقيل: عشرة[2]، وقيل: سبعة[3]، والصّحيح أنّهم عشرة، سبعة منهم معلومة أسماؤهم في كتب الأحاديث والسِّير، وثلاثة لم يكونوا من مشاهير القوم، والمذكورون من العشرة هم: مَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَوِيّ حليف حمزة بن عبد المطّلب، وخالد بن البُكَيْر اللَّيْثِيّ حليف بني عَدِي بن كَعْب، وعاصِم بن ثابت بن أبي الأَقْلح أخو بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وخُبَيْب بن عَدِيّ أخو بني جَحْجَبَى بن كُلْفَة بن عمرو بن عوف، وزيد بن الدَّثِنَّة بن معاوية أخو بني بَيَاضة بن عمرو بن زُرَيْق بن عبد حارثة بن مالك بن غُضْب بن جُشَم بن الخزرج، وعبد الله بن طارق حليف بني ظَفَر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، وأخوه لأُمّه مُعَتِّب بن عُبَيْد حليف بني ظَفَر، وأمّر عليهم رسول الله ﷺ مَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَوِيّ، ويقال أميرهم: عاصِم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح.

وخرجت السرية مع القادمين إلى رسول الله ﷺ من عَضَل والقَارة، حتى إذا صارت الرَّجِيْع بناحية الحجاز بـ (الهَدْأة)[4] غدروا بهم، واستصرخوا عليهم هُذَيْلاً. فلم يَرُع القومَ وهم في رحالهم إلاّ الرجال بأيديهم السيوف وقد غَشُوهم، فأخذ المسلمون سيوفهم ليقاتلوهم، فأَمّنوهم وأخبروهم أنّهم لا أَرَب لهم في قتلهم، وإنّما يريدون أن يصيبوا بهم فِداءً من أهل مَكّة.

فأما مَرْثَد، وخالد بن البُكَيْر، ومُعَتِّب بن عُبَيْد، وعاصم بن ثابت، فأبوا وقالوا: «والله لا قَبِلْنَا لمشركٍ عهداً أبداً»، فقاتلوهم حتى قُتِلوا.

---

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ١٦٠)، وجوامع السيرة (١٧٦).
(٢) صحيح البخاري (٥/١٠٣)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٥٥).
(٣) مغازي الواقدي (١/ ٣٥٥).
(٤) الهدأة: موضع بين عُسفان ومكّة، انظر معجم البلدان (٨/ ٤٤٨).

وكان عاصم يُكْنَى: أبا سليمان، فجعل يقاتلهم وهو يقول:

مــا عِلّتِــي وأَنَــا جَلْــدٌ نــابِــلُ   والقَــوْسُ فيهــا وَتَــرٌ عُنَــابِــلُ[1]
تَــزِلّ عــن صَفْحَتِهــا المَعَــابِــلُ   المــوتُ حــقٌّ والحيــاةُ بــاطِــلُ[2]
وكــلُّ مــا حَــمَّ الإِلَــهُ نــازِلُ   بــالمــرءِ والمــرءُ إليــه آئــلُ[3]
إن لم أُقَاتلكُمْ فأُمضي هَابِلُ[4]

فرماهم بالنَّبْلِ حتى فَنِيت نَبْلُه، ثمّ طاعنهم بالرّمح حتى كُسِر رمحه، فقاتل بالسَّيف حتى قُتل، وقد جَرَح رجلين من المشركين وقتل واحداً منهم.

ولما قُتل عاصم، أرادت هُـذَيْل أخذ رأسه ليبيعوه من سُلَافة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نَذَرَتْ ـ حين أصاب عاصم ابنيها في أُحُد ـ لئن قدرت على رأس عاصم لتشربَنَّ في قِحْفِهِ الخمر، فمنعته الدَّبْر[5]، فقالت هُذَيْل: «إذا جاء اللّيل ذهب الدَّبْر»، فأرسل الله تعالى سَيْلاً لم يُدْر سببه، فحمله قبل أن يقطعوا رأسه، فلم يَصِلوا إليه، وكان قد نذر ألاّ يَمَسَّ مشركاً أبداً، فأبَرَّ الله تعالى قَسَمَه بعد موته رضوان الله عليه.

وأما زيد بن الدَّثِنَة، وخُبَيْب بن عَدِيّ، وعبد الله بن طارق، فأَعْطَوْا بأيديهم[6] فأُسِروا، فخرجوا بهم إلى مكّة. فلما صاروا بـ(مَرّ الظَّهْران)[7]

(١) النابل: صاحب النبل، ويروى في مكانة (بازل)، ومعناه قويّ شديد. وعنابل: غليظ شديد.
(٢) المعابل: جمع معبلة، وهو نصل عريض طويل.
(٣) حمَ الإله: قدّره، وهو هنا مبني للمعلوم. وآئل: اسم فاعل: رجع يرجع.
(٤) هابل: فاقد وثاكل، تقول: هبلته أمّه، أي ثكلته وفقدته، يدعو على نفسه بالموت إن لم يقاتلهم.
(٥) الدبر: اسم لجماعة النحل.
(٦) أعطوا بأيديهم: انقادوا.
(٧) مرّ الظهران: موضع على مرحلة من مكّة للذاهب إلى المدينة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ٢١ ـ ٢٣).

انتزع عبد الله بن طارق يده من القِران، ثم أخذ سيفه. واستأخر عنه القوم، ورموه بالحجارة، حتى مات، رضوان الله عليه، فقبره بمَرِّ الظهران.

وحملوا خُبَيْب بن عَدِيّ وزيد بن الدَّثِنَة، فباعوهما بمكّة من قريش بأسيرين كانا بمكّة، فابتاع خُبَيْباً حُجَيْر بن أبي إهاب التَّميمي حليف نَوْفَل لعُتْبَة بن الحارث بن عامِر بن نَوْفل، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامِر لأمّه، ليقتله بأبيه.

وأما زيد بن الدَّثِنَّة، فابتاعه صَفْوان بن أُميّة ليقتله بأبيه أُميّة بن خلف، وبعث به صَفْوان بن أُمَيّة مع مولى له يقال له: نَسْطَاس إلى (التَّنْعِيم)[1]، وأخرجه من الحرم ليقتله.

واجتمع رهط من قريش منهم أبو سُفْيَان بن حَرْب، فقال أبو سفيان حين قُدِّم زيد ليُقْتَل: «أَنْشُدُكَ الله يا زيد! أَتُحِبُّ أنّ محمّداً عندنا الآن في مكان نضرب عنقه، وأنّك في أهلك؟»، فقال زيد: «والله ما أحبّ أنّ محمّداً الآن في مكانه الذي هو فيه، تُصِيْبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي»، فقال أبو سفيان: «ما رأيت من النّاس أحداً يحبّ أحداً كحبّ أصحاب محمّد محمّداً»، ثم قتله نَسْطَاس. يرحمه الله.

أما خُبَيْب بن عَدِي، فحدّثت ماوِيَّة[2] مولاة حُجَيْر بن أبي إهاب، أنّه قال لها حين حضره القتل: «ابعثي إليّ بحديدة أتطهّر بها للقتل، فأعطيتُ غلاماً من الحي الموسى، فقلت له: ادخل بها على هذا الرجل البيت، فوالله ما هو إلّا أن وَلّىَ الغلام بها إليه فقلت: ما صنعتُ؟ أصاب والله الرجل ثأره، يقتل هذا الغلام فيكون رجلاً برجل، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال: لَعَمرك ما خافت أُمُّك غَدْرِي حيث بعثتك بهذه

(١) التنعيم: موضع بين مكة وسرف على فرسخين من مكة، وقيل: على أربع فراسخ، انظر معجم البلدان (٢/ ٤١٠١).

(٢) ماويّة: بالواو والياء المشدّدة، وفي بعض الروايات في غير سيرة ابن هشام (٣/ ١٦٥): ماريّة، براء مهملة وبعدها ياء مثناة مخففة.

الحديدة إليّ!! ثم خلّى سبيله»، وكان الغلام ابنها.

ثم خرجوا بخُبَيْب، حتى إذا جاءوا إلى التَّنْعِيْم ليصلبوه، قال لهم: «إن رأيتم أن تَدَعُوني حتى أركع ركعتين، فافعلوا»، قالوا: دونك فارْكَعْ، فركع ركعتين أتمّهما وأحسنهما، ثمّ أقبل على القوم فقال: «أما والله لولا أن تظنّوا أني إنّما طوَّلْتُ جَزَعاً من القتل لاستكثرتُ من الصّلاة»، فكان خُبَيْب بن عَدِيّ أوّل مَنْ سَنَّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين.

ورفعوا خُبَيْباً على خشبة، فلما أوثقوه قال: «اللّهم إنّا قد بلَّغنا رسالة رسولك، فبلِّغْهُ الغداةَ ما يُصْنَع بنا»، ثمّ قال: «اللّهم أحْصِهِمْ عَدَداً، واقْتُلْهُمْ بِدَدَاً[1]، ولا تُغَادِرْ منهم أحداً»، ثمّ قتلوه رحمه الله[2].

وهكذا صدق مَرْثد ما عاهد الله عليه، فمضى شهيداً في معركة غير متكافئة، تكاثر فيها عليه وعلى رجاله المشركون المتفوِّقون على أفراد سريته عَدَداً وعُدَداً، فقاتل حتى استُشهد مُقبلاً غير مُدبر، لأنّه يدافع عن عقيدته فلا يبالي أن يُقْتَل أو يَقْتِل، ولكن يبالي أن يلحق بعقيدته العار، فما قصّر في إقدامه مدافعاً عن الإسلام والمسلمين، ففاز بالشهادة، وربحت تجارته.

الإنسان والقائد

كان المشركون من قريش يحتجزون المسلمين من قريش ومن غيرها، ليمنعوهم من الهجرة إلى المدينة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

---

(١) بِدَدا: بكسر الباء وفتح الدال، جمع بدة، بكسر الباء، وهي الفرقة، ويصحّ أن يكون بفتح الباء مصدراً، ومعناه التبدّد، أي التفرّق.

(٢) انظر الخبر عن بعث الرّجيع: سيرة ابن هشام (٣/ ١٦٠ ـ ١٨٣)، ومغازي الواقدي (١/ ٣٥٤ ـ ٣٦٣)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٥٥ ـ ٥٦)، والبخاري (٤/ ٦٧) و (٥/ ١٠٣)، والطبري (٢/ ٥٣٨ ـ ٥٤٢)، وابن الأثير (٢/ ١٦٧ ـ ١٦٨)، وابن كثير (٤/ ٦٢ ـ ٦٩)، وجوامع السيرة (١٧٦ ـ ١٧٨)، وسرح العيون (٢/ ٤٠ ـ ٤٣)، والدرر (١٦٨ ـ ١٧٣)، والنويري (١٧/ ١٣٣)، وأنساب الأشراف (٣٧٥ ـ ٣٧٦).

وكانوا يطلقون على هؤلاء المسلمين المحتجزين في مكة: الأسرى، وكان مَرْثد ممن يحملون الأسرى من مكّة إلى المدينة لشدّته وقوّته[1] وشجاعته وإقدامه، إذ كان المسلمون يحاولون بشتى الطرق والأساليب إنقاذ أولئك الأسرى، لإطلاقهم من الأسر، ومنحهم حريّتهم الدينيّة في كنف النبيّ ﷺ والمسلمين في المدينة المنورة.

وكان بمكّة بَغِيّ يقال لها: (عِناق)، وكانت صديقة له في الجاهليّة، وكان مَرْثد قد وعد رجلاً أسيراً من المسلمين بمكّة أن يحمله من مكّة حتى يأتيَ به المدينة، فجاء ذات ليلة حتى انتهى إلى حائط من حيطان مكّة في ليلة قمراء، فجاءت عناق وأبصرت سواد ظلّه بجانب الحائط، فلما انتهت إليه عرفته، فقالت: «مَرْثَد؟!»، فقال: «مَرْثَد!»، فقالت: «مرحباً وأهلاً! هَلُمَّ فبت عندنا اللّيلة!»، فقال: «يا عناق! إنّ الله حرّم الزنا!»، فصاحت بأعلى صوتها: «يا أهل مكّة! إنّ هذا يحمل الأسرى من مكّة!»، فتبعه ثمانية رجال، فسلك طريق (الخَنْدَمَة)[2]، حتى انتهى إلى كهف في الجبل ودخله، وجاء الرجال الثمانية، فوقفوا على باب الكهف، ولكنهم لم يقبضوا على مرثد، فعادوا أدراجهم إلى مكّة خائبين، ورجع مَرْثَد إلى صاحبه الأسير بعد عودة الذين طاردوه ولم يفلحوا بالقبض عليه، فحمله، وكان رجلاً ثقيلاً، حتى انتهى إلى (الأذاخِر)[3]، ففكّك عنه كَبْلَه[4]، ثم حمله إلى المدينة.

وفي المدينة أتى رسول الله ﷺ، فقال: «يا رسول الله! أنكح عناقاً؟»، فأمسك رسول الله ﷺ، فلم يردّ عليه شيئاً، حتى نزلت هذه الآية: ﴿الزَّانِي

---

(١) أسد الغابة (٤/٣٤٥)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/٨٦).

(٢) الخندمة: جبل بمكة المكرمة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ٤٧٠ ـ ٤٧١).

(٣) الأذاخر: موضع بالقرب من مكة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/١٥٨ ـ ١٥٩).

(٤) كبله: القيد من أي شيء كان. (ج): أَكْبُلٌ، وكُبُول، وأكبال.

لا يَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً، والزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ، وحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى المؤمنين﴾[1]، فقرأها رسول الله ﷺ على مَرْثَد وقال: (لا تنكحها)[2].

ونسيَ مرثد صديقته عناقاً إلى الأبد، فقد كان من المؤمنين الصادقين حقاً.

ومن حديث مَرْثَد الغَنَوِيّ عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إنْ سَرَّكُمْ أن تُقْبَلَ صلاتكم فليؤمّكم خياركم، فإنّهم وفدكم فيما بينكم وبين ربّكم»[3]، رواه يحيى بن يَعْلى الأَسْلَمِيّ[4].

وقد روى حديثه عمرو بن شُعَيْب عن أبيه عن جدّه[5].

واستُشهد مَرْثَد في سرية الرَّجيع التي خرجت في شهر صفر سنة أربع الهجريّة من المدينة[6]، فاستُشهد في أوائل هذه السنة (٦٢٥ م)[7]، وإذا كان أبو مَرْثَد الغَنوي قد توفي سنة اثنتي عشرة الهجرية، وعمره يومئذٍ ست وستون سنة، فمعنى ذلك أنّه كان في السنة الرابعة الهجريّة في الثامنة والخمسين من عمره، فلا بد أن يكون ابنه مرثد حين استُشهد في ريعان الشباب.

ولا نستطيع أن نتبيّن من سمات قيادته، إلاّ أنّه كان قائداً من قادة

(١) الآية الكريمة من سورة النور (٢٤: ٣).
(٢) الاستيعاب (٣/ ١٣٨٤ ـ ١٣٨٥)، وأسد الغابة (٤/ ٣٤٥).
(٣) رواه الطبراني في الكبير. انظر الجامع الصغير للمناوي (١/ ١٨٣)، والحديث ضعيف.
(٤) الاستيعاب (٣/ ١٣٨٤)، وأسد الغابة (٤/ ٣١٥).
(٥) تهذيب التهذيب (١٠/ ٨٢).
(٦) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨)، وأسد الغابة (٤/ ٣٤٤)، والإصابة (٦/ ٧٨)، والاستيعاب (٣/ ١٣٨٣).
(٧) الطبري (٢/ ٥٣٨)، وابن الأثير (٢/ ١٦٧)، وابن كثير (٤/ ٦٢).

العقيدة، داعياً في قيادته وقائداً في دعوته، قويّ البدن، يتحمّل المشاق ويصبر على المصاعب، يتحلّى بالضبط المتين والطّاعة المطلقة، شجاعاً مقداماً، لا يخشى الموت ويقدِّم حياته فداءً لعقيدته.

مَرْثـد فـي التاريـخ

يذكر التاريخ لمرثَد، أنّه أنقذ كثيراً من المسلمين الذين كانوا محتجزين في سجون ومعتقلات قريش بمكة المكرّمة.

ويذكر له، أنّه كان من الدُّعاة القادة، الذين يضحُّون بروحهم من أجل الدعوة وحمايتها والدفاع عنها وصيانة حريّة انتشارها.

ويذكر له، أنّه ضحّى بروحه من أجل عقيدته، ولم يُضَحِّ عقيدته من أجل روحه.

ويذكر له، أنّه نال شرف الصُّحْبَة، وشرف الجهاد تحت لواء الرَّسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام جندياً وقائداً وداعياً.

رضي الله عن الصَّحابيّ الجليل، المجاهد البطل، القائد الشّهيد، مَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَوِيّ.

عُكَّاشَة بن مِحْصَن الأَسَدِيّ
القـائـد الشّهيـد

نسبـه وأيّامـه

هو عُكَّاشَة بن مِحْصَن بن حُرْثان بن قَيْس بن مُرَّة بن كبير بن غَنْم بن دُوْدان بن أَسد بن خُزَيْمَة الأَسَدِيّ، ويُكْنَى: أبا مِحْصَن، حليف بني عبد شَمْس[١] من بني أُمية[٢]، كان من ساداتهم وفضلائهم[٣]، ومن السّابقين الأولين[٤] إلى الإسلام.

وهاجر عُكّاشة من مكّة إلى المدينة مع مَنْ هاجر من قومه بني غَنْم بن دُوْدان رجالاً ونساءً، وكانوا أهل إسلام[٥]، فاستقرّ في المدينة المنوّرة ليبدأ صفحة جديدة من صفحات خدمته للإسلام والمسلمين، وآخى النبيّ ﷺ بينه وبين المجذَّر بن ذِياد البَلَوِي حليف الأنصار[٦].

وكان أحد أفراد سريّة عبد الله بن جَحْش الأسدي[٧]، وكان في هذه

---

(١) أسد الغابة (٤/ ٢)، والإصابة (٤/ ٢٥٦)، وفيه: ابن مرة بن بكير، والاستيعاب (٣/ ١٠٨٠)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٥٢).
(٢) الاستيعاب (٣/ ١٠٨٠).
(٣) أسد الغابة (٤/ ٢ ـ ٣).
(٤) الإصابة (٤/ ٢٥٦).
(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ٨٠)، وانظر جوامع السيرة (٨٧).
(٦) الدرر (١٠٠).
(٧) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٩)، ومغازي الواقدي (١/ ١٩)، والدرر (١٠٧)، وجوامع السيرة (١٠٤).

السرية أوّل غنيمة غُنِمَت في الإسلام، وأوّل أسيرين أُسِرا من المشركين، وأوّل قتيل قُتل منهم[1].

وشهد عُكَّاشة غزوة بدرٍ الكُبرى الحاسمة، فأبلى فيها بلاءً حسناً، وانكسر في يده سيف، فأعطاه النبيّ ﷺ سيفاً جديداً، فقاتل به حتى انتصر المسلمون، ولم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ[2]، وقتل من المشركين يوم بدرٍ معاوية بن عبد قيس حليف عامرِ بن لؤي ثم من بني مالك بن حِسْل من قُرَيْش[3].

وشهد غزوة (أُحُد)[4]، فباشر النبيّ ﷺ القتال، فرمى بالنَّبْل حتى فنيت نبله وتكسّرت سِيَة[5] قوسه، وأخذ القوس عُكَّاشة يوتره للنبيّ ﷺ، فقال: «يا رسول الله! لا يبلغ الوتر»، فقال رسول الله ﷺ: «مُدّه يَبْلُغ»، ففعل عكّاشة وأعاد قوس النبيّ ﷺ إليه صالحاً للرّمي[6].

وشهد مع رسول الله ﷺ الخندق وسائر المشاهد[7]، وكان من الفرسان الذين شهدوا غزوة بني قُرَيْظَة من يهود[8]، وشهد غزوة ذي قَرَد على طريق المدينة ـ الشّام ناحية خَيْبَر فارساً[9] أيضاً وقتل أَوْثَار بن عمرو بن أَوْثار[10]، وقيل: بل قتل أوثار وعمرو بن

---

(١) انظر تفاصيل السرية في: سيرة ابن هشام (٢/٢٣٨)، ومغازي الواقدي (١/١٣)، وطبقات ابن سعد (٢/١٠)، وجوامع السيرة (١٠٤).

(٢) أسد الغابة (٤/٣)، وانظر سيرة ابن هشام (٢/٢٧٧ ـ ٢٧٨)، والدرر (١١٤)، وجوامع السيرة (١١٣)، وأنساب الأشراف (١/٣٠٨).

(٣) مغازي الواقدي (١/١٥٢)، وأنساب الأشراف (١/٣٠١).

(٤) أسد الغابة (٤/٣)، والاستيعاب (٣/١٠٨٠).

(٥) السِيَة من القوس: ما عُطف من طرفيها، وهما سِيَتَان.

(٦) مغازي الواقدي (١/٢٤٢).

(٧) تهذيب الأسماء واللغات (١/٣٣٨)، وأسد الغابة (٤/٣)، والاستيعاب (٣/١٠٨٠).

(٨) مغازي الواقدي (٢/٤٩٨).

(٩) مغازي الواقدي (٢/٥٤١).

(١٠) طبقات ابن سعد (٢/٨٠).

أوثار[1] من بني فزارة، وكان عُكّاشة من أوائل مَنْ جاء إلى النبيّ ﷺ ملبياً دعوته لمطاردة عُيَيْنَة بن حِصْن الفَزارِي وقومه الذين نهبوا لِقَاح[2] النبيّ ﷺ وبذل جهده لاستعادتها من المشركين[3].

وقد أحسن عُكّاشة غاية الإحسان في خدمة الإسلام والمسلمين أيام السّلام والحرب، وفي الجهادين الأكبر والأصغر، فبشّره النبيّ ﷺ أنّه ممّن يدخل الجنّة بغير حساب[4].

وهكذا نال عُكَّاشة شرف الصُّحبة، وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام.

سريّــة الغَمْــر

وجّه رسول الله ﷺ عُكَّاشة في أربعين رجلاً، إلى الغَمْر ـ غَمْر مرزوق، وهو ماء لبني أسد على ليلتين من (فَيْد)[5] طريق الأول إلى المدينة ـ منهم: ثابت بن أَقْرَم، وشُجاع بن وَهْب، ويزيد بن رُقَيْش، فخرج سريعاً يُغِذُّ السَّير.

ونَذِر به القوم، فهربوا من ديارهم ونزلوا علياءَ بلادهم.

وانتهى عكّاشة إلى ماء بني أسد، فوجد الدار خالية منهم، فبعث الطّلائع يطلبون خبراً أو يرون أثراً حديثاً، فرجع إليه شجاع بن وَهْب، وأخبره أنّه رأى أثر نَعَم قريباً، ثم أصابوا ربيئة لبني أسد قد رصد ليلته يسمع الصوت ويرى حركة السريّة، فلما أصبح نام، فأخذوه وهو نائم،

(١) مغازي الواقدي (٢/٥٤٦) و (٢/٥٤٩).
(٢) اللقاح: جمع لقحة، وهي الناقة ذات اللبن القريبة العهد بالولادة، أو هي الحامل ذات اللّبن.
(٣) الدرر (١٩٨ ـ ١٩٩).
(٤) أسد الغابة (٤/٣).
(٥) فيد: بليدة في نصف طريق مكّة من الكوفة. انظر معجم البلدان (٦/٤٠٨).

فسألوه عن أخبار بني أسد، فذكر أنّهم قد لحقوا بعلياء بلادهم ومعهم النَّعَم، فأمَّنه المسلمون فدَلَّهم على نَعَم لبني عَمٍّ له، فأغاروا عليها واستاقوا مائتي بعير، فأرسلوا الرّجل، وساقوا النَّعَم إلى المدينة، فقدموا على رسول الله ﷺ، ولم يلقوا كيداً.

وقد جرى ذلك في شهر ربيع الأول سنة ست الهجرية(١).

لقد أدّى عُكّاشة واجبه في قيادة هذه السرية على أحسن ما يرام، إذ عاد وسريته دون أن يتكبّدوا خسائر بالأرواح أو المعدّات، وغنموا من الأعراب عدداً كبيراً من الإبل، وأثّروا في معنوياتهم تأثيراً كبيراً، إذ هربوا منهم ولم يستطيعوا مجابهتهم، كما أثّروا في معنويات أعراب المنطقة كافة، وجعلوهم يخشون المسلمين.

سريّــة الجِنَـاب(٢)

بعث النبيّ ﷺ في ربيع الأول سنة تسع الهجرية سريّة بقيادة عُكّاشة إلى الجِنَاب أرض عُذْرَة(٣) وبَلِيّ(٤) من بني قُضَاعَة(٥).

ولا نعلم شيئاً عن عدد أفراد هذه السريّة ولا عن الهدف من إرسالها، ولا نتائج هذه السريّة، ويبدو أنّها سرية من سرايا الدّعوة، قصدت تلك

---

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٥٥٠ ـ ٥٥١)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٨٤ ـ ٨٥)، وانظر أنساب الأشراف (١/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧).

(٢) الجناب: موضع بعراض خَيبر وسَلَاح ووادي القرى، وقيل: هو من منازل مازن. والجناب من منازل فَزَارة بين المدينة وفَيْد، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ١٤٠ ـ ١٤١).

(٣) بنو عُذْرة بن سَعْد بن هُذَيم بن زيد بن ليث بن أَسْلُم بن الحافي بن قُضَاعة، منهم من بني قضاعة، انظر جمهرة أنساب العرب (٤٤٧ ـ ٤٤٨).

(٤) بنو بَلِيّ بن عمرو بن الحافي بن قُضَاعة في بني قُضَاعة، انظر جمهرة أنساب العرب (٤٤٢).

(٥) طبقات ابن سعد (٢/ ١٦٤).

المنطقة للدعوة إلى الإسلام، لأن الإِسلام في السنة التاسعة الهجرية كان قوياً في تلك المناطق، وكان أكثر سكّانها قد أسلموا وحسن إسلامهم قبل سنين، وربما بقيت جيوب في تلك المنطقة لم يُسْلِم أهلها، فكانت تلك السرية إحدى المحاولات لتطهير تلك الجيوب من الشّرك ونشر الإِسلام فيها.

الشّهيد

حين ارتدّ العرب بعد موت النبيّ ﷺ سنة إحدى عشرة الهجرية، فارتدّت كلّ قبيلة عامةً أو خاصةً إلاَّ قُريشاً وثَقِيْفاً، واستغلظ أمر طُلَيْحَة بن خُوَيْلد الأَسْدِيّ، واجتمع على طُلَيحة عوام طيّىء وأسد[1]، عقد أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه أحد عشر لواء، كان من بينها لواء خالد بن الوليد وأمره بطُليحة بن خُوَيْلد.

وكان أبو بكر بعث عَدِيّ بن حاتم الطائي إلى طيىء قبل خالد وأتبعه خالداً، وأمره أن يبدأ بطيىء ومنهم يسير إلى (بُزَاخَة)[2].

وقدم عَدِيّ على طيء، فدعاهم وخوّفَهم، فأجابوه، وقالوا له: استقبل الجيش، فأَخِّره عنّا حتى نستخرج مَنْ عند طُلحيـة منّا لئلا يقتلهم.

واستقبل عَدِيّ خالداً، وأخبره بالخبر، فتأخّر خالد، وأرسلت طيء إلى إخوانهم عند طليحة، فلحقوا بهم، فعادة طيِّىء إلى خالد بإِسلامهم.

ورحل خالد يريد جَدِيْلَة[3]، فاستمهله عَدِيّ عنهم، ولحق بهم عديّ يدعوهم إلى الإِسلام، فأجابوه، فعاد إلى خالد بإِسلامهم، ولحق

(١) ابن الأثير (٢/ ٢٤٢).

(٢) بزاخة: ماء لطيىء بأرض نجد، وقيل: ماء لبني أسد، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/ ١٦٠).

(٣) جديلة: هم بنو خارجة بن سعد بن قُطْرَة بن طَيّىء، بطن من بطون طَيِّىء، انظر التفاصيل في جمهرة أنساب العرب (٤٧١).

بالمسلمين ألف راكب منهم، فكان عَدِيّ خير مولود في أرض طيىء وأعظمه بركةً عليهم.

وأرسل خالدُ بن الوليد عُكَّاشة وثابت بن أَقْرَم[1] الأنصاري طليعةً، فلقيهما حبال أخو طُليحة فقتلاه، فبلغ خبره طليحة، فخرج هو وأخوه سَلَمَة، فقتل طُليحة عُكّاشة وقتل أخوه ثابتاً ورجعا[2].

فقد انفرد طُليحة بعكَّاشة وسَلَمَـة بثابت، وكان ثابت وعكّاشة فارسين، عُكَّاشة على فرس يقال له: الرّزام، وثابت على فرس يقال له: المحبَّر، فلم يلبث سَلَمَة أن قتل ثابت بن أقرم، فصرخ طليحة لسَلَمَة: «أعِنّي على الرَّجل، فإنه قاتلي»، فكرّ سَلَمَة على عُكَّاشة، فقتلاه جميعاً، فعـادا إلى مَنْ وراءهما من الناس، فأخبراهم الخبر، فسُرّ عُيَيْنَة بن حِصْن، وكان مع طُليحة، وقد كان خلّفه على عسكره، وقال: «هذا الظَّفَر».

وجاءت مقدمة خالد في مائتي فارس عليها زيد بن الخطّاب رضي الله عنه، فمرّت بعكّاشة وثابت قتيلين، فحزن المسلمون على قتلهما كثيراً.

وأقبل خالد ومعه المسلمون، فلم يَرُعْهم إلاّ ثابت بن أقرم قتيلاً، فعظم ذلك على المسلمين، ثم لم يسيروا إلاّ يسيراً حتى وجدوا عُكّاشة قتيلاً، فاجتاح المسلمين حزن عظيم.

وأمر خالد بحفر قبرين لهما، فدُفنا بدمائهما وثيابهما، وكانت بعكّاشة جراحات مُنْكَرَة[3]، فجزع لذلك المسلمون[4].

ولم يذهب دم عُكَّاشة وثابت هدراً، فقد انتصر المسلمون على طُلَيْحة

---

(١) ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عَدِيّ بن العَجْلان من بني طَيِّىء من قُضاعة.
(٢) ابن الأثير (٢/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧).
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٩٢ ـ ٩٣).
(٤) ابـن الأثيـر (٢/ ٣٤٧)، وانظـر أسـد الغـابـة (٤/ ٣)، والاستيعـاب (٣/ ١٠٨٠)، والإصابة (٤/ ٢٥٦)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٣٨).

يوم بُزَاخة، وكبّدوا جماعته أفدح الخسائر بالأرواح والأموال.

أما طُليحة فقد أعدّ فرساً له وراحلة لامرأته النَّوَّار، فلما دارت الدائرة على أصحابه، ركب فرسه وحمل امرأته، ثم نجا بها، فانهزم ولحق بالشّام، ثمّ نزل على بني كلب، وأسلم حين بلغه أنّ أسداً وغَطَفان قد أسلموا، ولم يزل مقيماً في بني كلب حتى مات أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه.

وكان خرج مُعْتَمِراً في خلافة أبي بكر الصدِّيق ومرّ بجنبات المدينة، فقيل لأبي بكر: هذا طُلَيْحَة! فقال: «ما أصنع به؟ قد أسلم!». ثم أتى عمر بن الخطّاب، فبايعه حين استُخلِف، فقال له: «أنت قاتل عُكَّاشة وثابت؟ والله لا أُحبُّك أبداً!»، فقال: «يا أمير المؤمنين! ما يهمّك من رجلين أكرمهما الله بيدي ولم يُهِنِّي بأيديهما!»، فبايعه عمر، ثم رجع إلى قومه فأقام عندهم حتى خرج إلى العراق مجاهداً[1].

وكان استشهاد عُكّاشة سنة إحدى عشرة الهجرية[2] (٦٣٢ م).

الإنسان والقائد

كان عكّاشة من سادات الصّحابة وفضلائهم[3] ومن السّابقين الأوّلين[4]، ووقع ذكره في الصّحيحين في حديث ابن عبّاس في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنّة بغير حساب، فقال عُكّاشة: «ادع الله أن يجعلني منهم»، قال: «أنت منهم»، فقام آخر فقال: «ادع الله أن يجعلني منهم»، فقال: «سبقك بها عُكَّاشة»، وقد ضُرب بها المثل، يقال للسبق بالأمر: «سبقك بها عُكَّاشة»[5].

(١) ابن الأثير (٢/ ٣٤٨).
(٢) العبر (١/ ١٣)، وتاريخ خليفة بن خياط (١/ ٦٧).
(٣) أسد الغابة (٤/ ٢ ـ ٣).
(٤) الإصابة (٤/ ٢٥٦).
(٥) الإصابة (٤/ ٢٥٦).

روى عنه من الصَّحابة أبو هُرَيْرَة، وابن عبَّاس. رُوي عن النبيّ ﷺ من وجوهٍ أنّه قال: «يدخل الجنّة من أُمّتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم»، فقال عُكَّاشة بن مِحْصَن: «يا رسول الله! ادْعُ الله أن يجعلني منهم»، فقال له: «أنت منهم»، ودعا له، فقام رجل آخر، فقال: «يا رسول الله! ادْعُ الله لي أن يجعلني منهم»، فقال: «سبقكَ بها عُكَّاشة»[1].

ورُوى عن ابن مسعود، أنّ رسول الله ﷺ قال: «عُرِضَت عليّ الأمم بالموسم، فراثت[2] عليّ أمّتي، ثمّ رأيتهم فأعجبتني كثرتهم، قد ملؤوا السّهل والجبل، فقال: يا محمّد! أرضيتَ؟ قلت: نعم يا رب! قال: فإنّ لك مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنّة بغير حساب: هم الذين لا يَسْتَرْقُون[3] ولا يَكْتَوُون، ولا يتطيّرون، وعلى ربّهم يتوكّلون»، فقال عُكَّاشة بن مِحْصَن: «يا رسول الله! ادْعُ اللهَ أن يجعلني منهم»، فقال: «أنت منهم»، فقام رجل آخر فقال: «يا رسول الله! ادْعُ الله أن يجعلني منهم»، فقال: «سبقك بها عُكَّاشة». قال بعض أهل العلم: إنّ ذلك الرَّجل كان منافقاً ـ وفيه نظر ـ فأجاب رسول الله ﷺ بمعاريض من القول، وكان ﷺ لا يكاد يمنع شيئاً يُسْأله إذا قدر عليه[4].

وكان عُكّاشة يوم انتقل النبيّ ﷺ إلى الرّفيق الأعلى ابن أربع وأربعين سنة، وقتل بعد ذلك بسنة[5]، ببُزاخة في خلافة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه سنة اثنتي عشرة الهجرية[6].

والصحيح أن عُكَّاشة استُشهد يوم بُزاخَة التي كانت سنة إحدى عشرة

(١) الاستيعاب (٣/ ١٠٨١).
(٢) راثت: أبطأت.
(٣) في النسخ الأخرى: لا يسرقون.
(٤) الاستيعاب (٣/ ١٠٨١).
(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٩٢)، والاستيعاب (٣/ ١٠٨٠).
(٦) طبقات ابن سعد (٣/ ٩٢).

الهجريّة كما أسلفنا، ولم يَكن يوم بُزاخة سنة اثنتي عشرة الهجريّة، فمات في نفس السنة التي تُوفي فيها النبيّ ﷺ، ولكنّه استُشهد بعد بضعة أشهر من وفاة النبيّ ﷺ، فكان عمره حين استشهد خمساً وأربعين سنة تقريباً.

وكان عكّاشة من أجمل الرِّجال[1]، ودعا له النبيّ ﷺ أن يدخله الله الجنّة ويجعل وجهه كالبدر، فكان يمشي عَنَقاً[2].

وكان النبيّ ﷺ يقول: «أسد خطباء العرب»، ويقول: «مِنّا خير فارس في العرب عبد الله بن جَحْش»، فقال عُكّاشة: «يا رسول الله! ذاك منّا»، فقال: «بل هو مِنّا»، يريد بذلك حلفه لبني عبد شمس[3] من أُميَّة.

نعرف من أهله أخاه أبا سِنَان بن مِحْصَن، شهد بدراً وأُحُداً والخندق، وتوفي والنبيّ ﷺ محاصرٌ بني قُرَيْظَة سنة خمس الهجريّة، ودفن في مقبرة بني قُرَيظة اليوم، وتوفي ابن أربعين سنة، وكان أسنّ من عُكّاشة بسنتين[4].

كما نعرف سِنَان بن أبي سِنَان بن مِحْصَن، وعكّاشة عمّه، وكان بين سنان وبين أبيه في السِنّ عشرون سنة، وشهد بدراً وأُحُداً والخندق والحُدَيْبِيّة، وكان أوّل مَنْ بايع النبيّ ﷺ بيعة الرضوان تحت الشّجرة يوم الحُدَيْبِيّة، وتُوفي سنة اثنتين وثلاثين الهجريّة[5].

كما نعرف أخت عُكَّاشة وهي أمّ قيس بنت مِحْصَن، وكانت من النساء المبايعات رسول الله ﷺ[6].

---

(١) أسد الغابة (٤/ ٣)، والاستيعاب (٣/ ١٠٨٠)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٩٢)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٣٨).

(٢) المحبّر (٨١)، والعَنَق: نوع من السّير فسيح سريع للإبل والخيل، وشُبِّه مشيه بالإبل والخيل.

(٣) المحبّر (٨٧).

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٩٣).

(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٩٤).

(٦) المحبّر (٤٠٨).

أما قيادته، فيمكن أن نتبيّن من سماتها، بأنّه شجاع مقدام، أبلى بلاءً حسناً في الغزوات التي شهدها تحت راية النبيّ ﷺ، وأنّ النبيّ ﷺ كرّمه بإهدائه سيفاً لشجاعته وإقدامه، وأنّه كان يسارع إلى تلبية صريخ النّجدة، فيندفع اندفاعاً شديداً إلى سعير المعركة غير هيّاب ولا وجل.

وأنّه كان من فرسان النبيّ ﷺ، ومن فرسان خالد بن الوليد بعد أن التحق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى، ولم يكن في المقدمة حسب، بل كان في طليعة المقدمة، يستطلع أخبار العدو، ويمنعه من استطلاع أخبار المسلمين، ويحمي المقدمة، ويواجه العدو قبل أي فرد من أفراد المسلمين، وهذا دليل على شجاعته وإقدامه، وفطنته وألمعيّته، لأنّ الذي يُكلّف بالاستطلاع، لا بدّ أن يكون ذكياً جداً، شديد الاندفاع، حاضر البديهة.

وكان من أولئك القادة الذين يعملون لخدمة عقيدتهم والمسلمين، فهو قائد من قادة العقيدة، بذل نفسه رخيصة من أجل عقيدته، وضحّى بروحه من أجل إعلاء كلمة الله.

عُكّاشة في التاريخ

يذكر التاريخ لعكاشة، بأنّه كان من السّابقين الأوّلين ومن سادات الصّحابة وفضلائهم وفرسانهم وشجعانهم.

ويذكر له، أنّه كان من قادة النبيّ ﷺ لسريتين من سراياه.

ويذكر له، أنّه كان شهيداً من شهداء الإسلام الأولين.

رضي الله عن الصحابيّ الجليل، الفارس الشهيد، القائد البطل، عُكّاشة بن مِحْصَن الأسديّ.

عبد الرَّحمن بن عَوْف الزُّهْرِيّ
حواري النبيّ ﷺ وقائد إحدى سراياه

نسبـه وأيامـه الأولـى

هو عبد الرَّحمن بن عَوْف بن عبد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهْرَة[١] بن كِلاب بن مُرَّة[٢] بن كعب بن لُؤيّ بن غالِب بن فِهْر بن مالك بن النّضر بن كِنَانة[٣] القُرَشِي الزُّهري، يُكْنَى: أبا محمّد، وكان اسمه في الجاهلية: عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة، فسمّاه رسول الله ﷺ: عبد الرحمن[٤].

وأمّه: الشِّفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة[٥] بن كِلاب بن مُرَّة، وقُتل أبوه عَوْف بالغُمَيْصَاء[٦]، قتله بنو جُذَيْمَة[٧].

يجتمع نسبه مع نسب رسول الله ﷺ في كلاب بن مُرّة، وينسب إلى زُهْرة بن كلاب، فيقال: القُرَشِيّ الزُّهريّ[٨]، وهو من أخوال النبيّ ﷺ،

(١) نسب قريش (٢٦٥)، وجمهرة أنساب العرب (١٣٠ ـ ١٣١).
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ١٢٤)، والرياض النضرة (٢/ ٣٧٦).
(٣) المعارف (٢٣٥).
(٤) أسد الغابة (٣/ ٣١٢)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٠٠).
(٥) الاستيعاب (٢/ ٨٤٤).
(٦) الغميصاء: موضع في بادية العرب قرب مكّة، كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ٣٠٧).
(٧) المعارف (٢٥٣).
(٨) الرياض النّضرة (٢/ ٣٧٦).

لأنّ بني زُهرة أخوال النبيّ ﷺ[1]، وآمِنَة بنت وَهْب بن عبد مَنَاف بن زُهْرَة هي أمّ النبيّ ﷺ من بني زُهْرَة[2].

ولد بعد عام الفيل بعشر سنين[3]، وكان عام الفيل سنة (٥٧١ م)[4]، وهو عام مولد النبيّ ﷺ[5]، أي أنّ مولد عبد الرّحمن بن عَوْف كان سنة (٥٨١ م)، فهو أصغر سنّاً من النبيّ ﷺ بعشر سنين.

أسلم قديماً على يدي أبي بكر[6] الصدِّيق رضي الله عنه قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم[7]، وكان أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام وأحد الخمسة الذين أسلموا على يدي أبي بكر[8] وهم: عُثمان بن عفّان، والزُّبير بن العوّام، وعبد الرحمن بن عوف، وسَعْد بن أبي وقّاص، وطلحة بن عُبَيْد الله[9]، وقد كان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه مُحَبَّباً سَهْلاً، وكان أنسب قُرَيش لقُريش، وأعلمَ قريش بها وبما كان فيها من خيرٍ وشرٍّ، وكان رجلاً تاجراً ذا خلقٍ ومعروفٍ، وكان رجال قريش يأتونه ويألفونه لغير واحدٍ من الأمر: لعلمه، وتجارته، وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام مَنْ وَثِقَ به من قومه ممَّن يَغْشَاه ويجلس إليه، فأسلم بدعائه أولئك الخمسة[10]، الذين أصبح لهم في الإسلام شأن

(١) المعارف (١٦٦).
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ١٦٩).
(٣) أسد الغابة (٣/ ٣١٣)، والاستيعاب (٢/ ٨٢٢).
(٤) انظر كتابنا: ومضات من نور المصطفى (١٥).
(٥) سيرة ابن هشام (١/ ١٧١).
(٦) البداية والنهاية (٧/ ١٦٢).
(٧) طبقات ابن سعد (٣/ ١٢٤).
(٨) أسد الغابة (٣/ ٣١٣).
(٩) انظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٨).
(١٠) سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٨)، وانظر الدرر (٤١)، وجوامع السيرة (٤٦)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٠٤).

أيّ شأن، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حتى استجابوا له، فأسلموا وصلّوا[1].

ولما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وأنّه لا يقدر على أن يمنعهم ممّا هم فيه من البلاء، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإنّ بها ملكاً لا يُظْلَمُ عنده أحدٌ، وهي أرض صِدْقٍ، حتى يجعل الله لكم فَرَجاً ممَّا أنتم فيه»، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أوّل هجرة في الإسلام، وكان من أول مَنْ خرج من المسلمين من بني زُهْرَة عبد الرحمن بن عوف[2]، وكان أحد العشرة الأوائل الذين هاجروا إلى أرض الحبشة من المسلمين[3].

وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ الذين هاجروا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكّة، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك، حتى إذا دنوا من مكّة، بلغهم أنّ ما كانوا تحدّثوا به من إسلام أهل مكّة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحدٌ إلاّ بِجوارٍ أو مُسْتَخْفِياً، فكان عبد الرحمن أحد العائدين من أرض الحبشة إلى مكّة[4].

وقد هاجر عبد الرحمن إلى أرض الحبشة من مكّة الهجرتين جميعاً[5]، وقال المِسْوَر بن مَخْرَمة: «بينما أنا أسير في ركْب بين عثمان بن عفّان وعبد الرّحمن بن عوف، وعبد الرّحمن قُدّامي عليه خَمِيْصَة[6] سوداء، فناداني عثمان: يا مِسْوَر! فقلت: لبّيك يا أمير المؤمنين! فقال:

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٨).
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤)، وانظر الدرر (٥١)، وجوامع السيرة (٥٦).
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٥).
(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩)، وانظر الدرر (٦١)، وجوامع السيرة (٦٥).
(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ١٢٥)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٠١).
(٦) المخمصة: ثوب أسود أو أحمر له أعلام، وفي الحديث: «جئت إليه وعليه خميصة».

«مَنْ زَعَمَ أنّه خير من خالك في الهجرة الأولى وفي الهجرة الآخرة، فقد كَذَب»[1]، ويقصد بالهجرة الأولى الهجرة إلى أرض الحبشة، وبالهجرة الآخرة الهجرة إلى المدينة المنوّرة.

وكان النبيّ ﷺ قد آخى بين أصحابه المهاجرين قبل الهجرة على الحق والمواساة وذلك بمكة، فآخى بين عثمان بن عفّان وعبد الرحمن بن عوف[2]، فقال عثمان: «إنّ لي حائطين فاختر أيّهما شئت»، فقال عبد الرحمن: «بارك الله لك في حائطيك، ما لهذا أسلمت، دلّني على السوق»، فدلّه عثمان، فكان يشتري السّمنة والأُقَيْطَة[3] والإهاب[4]، فجمع فتزوّج[5].

وأمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومَنْ معه بمكّة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللُّحوق بإخوانهم الأنصار، وقال: «إنّ الله عزّ وجلّ قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها»، فخرجوا أرْسالاً، وأقام رسول الله ﷺ بمكّة ينتظر أن يأذن له ربُّه في الخروج من مكّة والهجرة إلى المدينة[6].

وهاجر عبد الرحمن من مكّة إلى المدينة، فنزل في رجال من المهاجرين على سعد بن الرّبيع الخزرجي[7].

وبعد أن هاجر النبيّ ﷺ من مكّة إلى المدينة، آخى بين المهاجرين

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ١٢٥).
(٢) المحبّر (٧١)، وفي طبقات ابن سعد (٣/ ١٢٦): أنه آخي بينه وبين سعد بن أبي وقاص، وما أثبتناه أعلاه أصحّ، انظر الدرر (١٠٠)، وأنساب الأشراب (١/ ٧٠).
(٣) الأقيطة: تصغير الأقـط: وهو اللّبن المحمّض، يجمد حتى يستجمر ويُطبخ، أو يطبخ به.
(٤) الإهاب: الجلد غير المدبوغ.
(٥) أسد الغابة (٣/ ٣١٥)، والبداية والنهاية (٧/ ١١٣).
(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ٧٦).
(٧) سيرة ابن هشام (٢/ ٩١)، وجوامع السيرة (٨٩)، والدّرر (٨٤).

والأنصار بعد بنائه المسجد، وقيل: إنّ المؤاخاة كانت والمسجد يُبْنى، على المواساة والحق، فكانوا يتوارثون بذلك دون القرابات، حتى نزلت: ﴿وأُولو الأَرْحَام بعضُهم أَوْلَى ببعض في كتاب الله﴾[1]، فنسخت هذه الآية ما فرضته هذه المؤاخاة من التوارث، أما ما وراءها من الحق والمواساة، فقد ظلاَّ قائمين، فآخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخي بني الحارث بن الخزرج[2].

ومن الواضح أنّ النبيّ ﷺ آخى بين المهاجرين في مكّة قبل الهجرة إلى المدينة، وآخى بين المهاجرين والأنصار في المدينة بعد الهجرة إليها، وبالنسبة لعبد الرّحمن آخى بينه وبين عثمان بن عفّان في مكّة، وبينه وبين سعد بن الرّبيع الخزرجي في المدينة، ولا تناقض بين المؤاخاة المكيّة والمؤاخاة المدنيّة، كما توهّم قسم من المؤرخين وكُتّاب السِّير، فالأمر واضح لا لبس فيه.

لقد كان عبد الرحمن من المهاجرين الأوّلين إلى الحبشة وإلى المدينة[3].

ولما آخى النبيّ ﷺ بين عبد الرحمن وسعد بن الربيع الخزرجيّ الأنصاري قال سعد: «أخي! أنا أكثر أهل المدينة مالاً، فانظر شَطْرَ مالي فَخُذْهُ، وتحتي امرأتان، فانظر أيّتهما أعجب إليك حتى أُطلِّقها لك»، فقال عبد الرحمن: «بارك الله لك في أهلك ومالك، دُلّوني على السّوق»، فدلّوه على السّوق، فاشترى وباع فربحَ، فجاء بشيءٍ من أَقِطٍ[4] وسَمْن. ثمّ لبث ما شاء الله أن يلبث، فجاء وعليه رَدْعٌ[5] من زعفران، فلما سأله النبيّ ﷺ

(١) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨:/ ٧٥).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٢٥)، وجوامع السيرة (٩٦)، والدرر (٩٧).
(٣) أسد الغابة (٣/ ٣١٣).
(٤) أَقِط: لبن محمّض يجمد حتى يستحجر ويُطْبَخ، أو يُطْبَخ به.
(٥) ردع الزعفران، أثر الزّعفران، يقال: في الثّوب ردع من هذا: شيء يسير في مواضع شتى.

عن أثر الطيب فيه، قال: «يا رسول الله! تزوجت امرأة»، قال: «فما أَصْدَقْتَها؟»، قال: «وَزْنَ نواة من ذهب»، قال: «أَوْلِمْ ولو بشاةٍ»، قال عبد الرحمن: «فلقد رأيتُني ولو رفعتُ حَجَراً رجوتُ أن أُصيبَ تحته ذَهَباً أو فضّة»[1].

وكان رسول الله ﷺ خطّ الدّور بالمدينة، فخطّ لبني زُهْرَة في ناحية من مؤخّر المسجد، فكان لعبد الرحمن الحَشّ، والحَشّ نخل صغار لا يُسْقى[2].

كما تزوّج امرأة من الأنصار على ثلاثين ألف درهم[3].

وهكذا استقرّ المهاجر في بلد أمين، في منزل مريح، في أهل وولد، وفي تجارة رابحة، ليبدأ صفحة جديدة من حياته، هي صفحة الجهاد في سبيل الله.

جهـــاده

١ ــ في غزوة بدرٍ الكبرى:

خرج المسلمون من المدينة إلى موقع (بَدْرٍ) يوم السّبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من السنة الثانية الهجرية[4]، وكانت إبل المسلمين سبعين بعيراً، فكانوا يتعاقبون عليها: البعير بين الرجلين والثلاثة والأربعة، فكان بين أبي بكر وعمر وعبد الرحمن بعير يعتقبونه[5]. قال عبد الرحمن: «عَبَّأنا رسول الله ﷺ بليلٍ، فصنّفنا، فأصبحنا ونحن على

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ١٢٦)، وانظر أسد الغابة (٣/ ٣١٤)، والرياض النضرة (٢/ ٣٨٤).

(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ١٢٦).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ١٢٦).

(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ١٢).

(٥) مغازي الواقدي (١/ ٢٤)، والدرر (١١١)، وجوامع السيرة (١٠٨)، وابن الأثير (٢/ ١١٨).

صفوفنا[1]. وبينما أنا واقف في الصف يوم بدرٍ، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار، حديثة أسنانهما، فتمنّيت أن أكون بين أضلع منهما. فغمزني أحدهما فقال: يا عمّ! أتعرف أبا جَهْل؟ قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُنْبِئْتُ أنّه يسبّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لو رأيته لا يفارق سواده سواده[2] حتى يموت الأعجل منا. وغمزني الآخر، فقال مثلها، فلم ألبث أن نظرت إلى أبي جهل يجول في النّاس، فقلت: ألا تريان! هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، فابتدراه بأسيافهما، فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: أيّكما قتله؟ فقال كلّ واحد منهما: أنا قتلته، قال: هل مسحتما سيفيكما؟ قالا: لا. فنظر في السيفين، فقال: «كلاكما قتله»[3]، وقد استُشهد هذان البطلان الصغيران يوم بدرٍ، وهما ابنا عَفْراء: عَوْف بن الحارث الخزرجي الأنصاري[4] ومُعَوِّذ بن الحارث الخزرجيّ الأنصاري[5].

كما روى عبد الرحمن قصّة قتل أُميّة بن خلف فقال: «كان أُميّة بن خلف لي صديقاً بمكة، وكان اسمي: عَبْد عَمْرو، فتسمّيت حين أسلمت: عبد الرحمن، ونحن بمكّة، فكان يلقاني إذ نحن بمكّة فيقول: يا عَبْد عَمْرو، أرغبتَ عن اسم سمّاكه أبواك؟ فأقول: نعم، فيقول: فإني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف، فكان إذا دعاني يا عبدَ عَمْرو لم أُجبه! فقلت: يا أبا عليّ! اجعل ما شئت! قال: فأنت عبد الإله، قلت:

(١) مغازي الواقدي (١/ ٨٨).
(٢) السّواد: الشّخص أو الشّبح.
(٣) الاستبصار (١٥٦).
(٤) انظر تفاصيل سيرته في: طبقات ابن سعد (٧/ ٤٩٢)، والإصابة (٥/ ٤٢)، وأسد الغابة (٤/ ١٥٥)، والاستيعاب (٣/ ١٢٢٥).
(٥) انظر تفاصيل سيرته في: طبقات ابن سعد (٧/ ٤٩٢)، والإصابة (٦/ ١٢٩)، وأسد الغابة (٤/ ٤٠٢)، والاستيعاب (٤/ ١٤٤٢).

نعم! فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الإله، فأجيبه، فأتحدّث معه. حتى إذا كان يوم بدرٍ مررت به وهو واقف مع ابنه عليّ بن أُميّة آخذ بيده، ومعي أدراع لي قد استلبتها، فأنا أحملها. فلما رآني قال لي: يا عبد عمرو! فلم أجبه! فقال: يا عبد الإله! فقلت: نعم، قال: هل لكَ فِيَّ، فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك؟ فطرحت الأدراع من يدي، وأخذت بيده ويد ابنه وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط!!! أما لكم حاجة في اللَّبن [1]؟! وقال لي أُميّة بن خلف: يا عبدَ الإله! مَنْ الرَّجلُ المُعْلَمُ بريشة نعامة في صدره؟ قلت: ذاك حمزة بن عبد المطّلب! قال: ذاك الذي فعلٍ بنا الأفاعيل! فوالله إني لأقودهما، إذ رآه بِلالٌ معي، وكان هو الذي يُعَذِّب بلالاً بمكّة على ترك الإسلام، فيخرجه إلى رَمْضَاء [2] مكة إذا حميت، فَيُضْجعه على ظهره، ثمّ يأمر بالصّخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمّد، فيقول بلال: أحد، أَحَدٌ! فلما رآه قال: رأسُ الكفر أُميّة بن خلف، لا نجوتُ إنْ نجا! فقلت: أيْ بلال! أبأسِيْرِي؟ قال: لا نجوتُ إن نجا! ثمّ صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله! رأس الكفر أُميّة بن خَلَف، لا نجوتُ إن نجا، فأحاطوا بنا، حتى جعلونا كالمَسَكَة [3]، وأنا أَذبّ عنه، فأخلف رجل السَّيف [4]، فضرب رجل ابنه فوقع. وصاح أُميّة صيحة ما سمعتُ بمثلها قط، فقلت: انْجُ بنفسك ولا نجَاء بك، فوالله ما أُغني عنك شيئاً! فَهَبَرُوهما [5] بالسُّيوف حتى فرغوا منهما، فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بِلالاً! ذهبت أدراعي، وفَجَعَني بأسِيري [6].

(١) يريد باللّبن، أنّ مَنْ أسرني افتديت منه بإبلٍ كثيرة اللّبن، انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧٢).

(٢) الرمضاء: الرّمل الشديد الحرارة من الشّمس.

(٣) المسكة: السوار من عاج أو ذبل ، والذبل: جلدة السلحفاة البرية.

(٤) يقال: أخلف الرجل إلى سيفه: إذا ردّ يده إليه فسلّه من غمده.

(٥) هبروهما: قطعوا لحمهما. تقول: هبرت اللّحم: إذا قطعته قطعاً كباراً.

(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٣)، وانظر مغازي الواقدي (١/ ٨٢ ـ ٨٣)، وابن الأثير (٢/ ١٢٧).

وقد أسر السّائبَ بن أبي حُبَيْش الأسدي يوم بدر[1]، كما قتل السّائب بن أبي رفاعة من بني أُميّة بن المُغِيْرة من بني مَخْزوم[2].

لقد كان عبد الرحمن بدرياً[3] من البدريين الفاعلين: قاتل، وقَتَل، وأسر، وغنم، مما يدل على أثره البارز في هذه الغزوة الحاسمة.

٢ ـ في غزوة أُحُد:

وكانت هذه الغزوة في شهر شَوّال من سنة ثلاث الهجرية[4].

وثبت رسول الله ﷺ يوم أُحُد في عصابةٍ صبروا معه: أربعة عشر رجلًا، سبعة من المهاجرين، وسبعة من الأنصار، وكان عبد الرحمن أحد السبعة المهاجرين الذين ثبتوا يوم أُحُد مع رسول الله ﷺ[5]، فجُرح يومئذٍ إحدى وعشرين جُراحة، وجرح في رجله وسقطت ثنيتاه[6]، وجُرح في رجله فكان يعرج منها، وسقطت ثنيتاه فكان أَهْتَم[7]، وقتل أَسِيْد بن أبي طلحة[8]، وهو من بني عبد الدار من قريش، فكان مَنْ قُتل في هذا اليوم من بني عبد الدار عشرة نفرٍ ومولى لهم[9]، وقيل: إنّه قتل كلاب بن أبي طلحة أيضا من بني عبد الدار[10]،

(١) مغازي الواقدي (١/ ٧٩)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٠٢)، والسائب بن عبد العزى من بني أسد.
(٢) مغازي الواقدي (١/ ١٥٠)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٠٠).
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢٧)، ومغازي الواقدي (١/ ١٥٥)، وجوامع السيرة (١١٧)، والدرر (١٢٣)، وطبقات ابن سعد (٣/ ١٢٨).
(٤) جوامع السيرة (١٥٦)، والدرر (١٥٣).
(٥) مغازي الواقدي (١/ ٢٤٠)، وأنساب الأشراف (١/ ٣١٨).
(٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٠١).
(٧) أسد الغابة (٣/ ٣١٤).
(٨) المعارف (١٦١).
(٩) المعارف (١٦٠ ـ ١٦١)، والدرر (١٦٥).
(١٠) الدرر (١٦٥).

وعرج عبد الرحمن من جراحه برجله إلى أن مات[1].

لقد كان عبد الرحمن بحق أحد أبطال المسلمين في غزوة (أُحُد)، فقد استقتل في الدفاع عن النبيّ ﷺ، وثبت ثبات الرواسي في المعركة في موقف خطير للغاية، فأدّى واجبه في الدفاع عن النبيّ ﷺ وفي الثبات على أحسن ما يكون عليه الدفاع البطوليّ والثبات العنيد.

٥ ـ في الغزوات الجديدة:

أ ـ شهد غزوة الحُدَيْبِيّة التي كانت في ذي القعدة من السنة السّادسة الهجريّة، فساق قوم من أصحاب رسول الله ﷺ الهَدْي[2] من أهل الغنى، منهم عبد الرحمن[3]، وكان أحد شهود صلح الحُدَيْبِيَّة بين المسلمين وقريش[4]، ثم نحر بَدَنات له ساقها من المدينة[5]، وعاد مع النبيّ ﷺ إلى المدينة المنوّرة.

ب ـ وشهد غزوة خَيْبَر التي كانت في شهر المحرّم من السنة السابعة الهجريّة[6]، فوقع سهم عبد الرحمن مع قسم من الصحابة في (الشِّقّ)[7] من خيبر، وقد جعل على كلِّ مائة رأس من المسلمين رأس يُعْرَف يَقْسِم على أصحابه ما خرج من غلّتها، فكان عبد الرحمن أحد الرؤساء[8].

---

(١) الدرر (١٥٨)، وهكذا تركت عاهة مستدامة منه.
(٢) الهَدْي: ما يُهْدى إلى الحرم من النَّعَم، وفي التنزيل العزيز: ﴿ولا تَحْلِقُوا رُءوسَكُمْ حتى يَبْلغَ الهَدْيُ محلّه﴾.
(٣) مغازي الواقدي (٢/ ٥٧٢ ـ ٥٧٣).
(٤) مغازي الواقدي (٢/ ٦١٢)، وسيرة ابن هشام (٣/ ٣٦٨)، وابن الأثير (٢/ ٢٠٥).
(٥) مغازي الواقدي (٢/ ٦١٤)، والبدنات جمع بَدَنَة: ناقة أو بقرة تنحر بمكّة قرباناً، وكانوا يسمونها لذلك.
(٦) الدّرر (٢٠٩)، وجوامع السيرة (٢١١).
(٧) مغازي الواقدي (٢/ ٦٨٩)، وسيرة ابن هشام (٣/ ٤٠٤)، والدرر (٢١٧)، وجوامع السيرة (٢١٤).
(٨) مغازي الواقدي (٢/ ٦٨٩).

جـ ـ وشهد غزوة فتح مكّة التي كانت في شهر رمضان من السنة الثامنة الهجرية[1]، فلما طلعت كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء، ومرّ رسول الله ﷺ على ناقته القَصواء بين أبي بكر وأُسَيْد بن حُضَيْر وهو يحدِّثهما، فقال العباس لأبي سفيان بن حرب: «هذا رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار، فيها الرايات والألوية، مع كلّ بطن من الأنصار راية ولواء، في الحديد، لا يُرى منهم إلاّ الحَدَق»، ويقال كان في الكتيبة ألف دارع. وأعطى رسول الله ﷺ رايته سعد بن عُبادة وهو أمام الكتيبة، فلمّا مرّ سعد براية النبيّ ﷺ نادى: «يا أبا سفيان! اليوم يوم المَلْحَمَة[2]، اليوم تُسْتَحلّ الحُرمة! اليوم أذلّ الله قريشاً!»، فأقبل رسول الله ﷺ حتى إذا حاذى أبا سفيان ناداه: «يا رسول الله! أمرتَ بقَتْل قَوْمك؟! زعم سعد ومَنْ معه حين مرّ بنا قال: يا أبا سفيان! اليوم يوم المَلْحَمة! اليوم تُسْتَحَلُّ الحُرمة! اليوم أذلّ الله قريشاً! وإني أنشدك الله في قومك، فأنت أبرّ الناس، وأرحم الناس وأوصل الناس». قال عبد الرحمن ابن عوف وعُثمان بن عفّان: «يا رسول الله! ما نأمن سعداً أن يكون منه في قريش صولة»، فقال رسول الله ﷺ: «اليوم يوم المَرحمة! اليوم أعزّ الله فيه قريشاً»، وأرسل رسول الله ﷺ إلى سَعْدٍ فعزله، وجعل اللِّواء إلى قيس بن سعد بن عُبادة[3].

د ـ وبعد فتح مكّة بعث النبيّ ﷺ خالد بن الوليد على سرية داعياً لا مقاتلاً[4]، إلى بني جَذِيمة بن عامر بن عبد مَناة بن كِنَانة، فلما رآه القوم أخذوا السِّلاح، فقال خالد: «ضعوا السِّلاح فإن الناس قد أسلموا»[5].

---

(١) الدرر (٢٢٧).

(٢) الملحمة: الحرب الشديدة، وموضعها. (ج): ملاحِم.

(٣) مغازي الواقدي (٢/ ٨٢١ ـ ٨٢٢).

(٤) سيرة ابن هشام (٤/ ٥٣).

(٥) سيرة ابن هشام (٤/ ٥٣)، وطبقات ابن سعد (٢/ ١٤٧).

٣ ـ في الغزوات الأخرى:

شهد عبد الرحمن تحت لواء النبيّ ﷺ المشاهد كلّها[١]، فشهد غزوة بَني النَّضِير من يهود التي كانت في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة الهجرية[٢]، فأعطى له رسول الله ﷺ (سُؤَالَة) وهو الذي يقال له مال سُلَيْم[٣].

كما شهد غزوة الخندق[٤]، التي كانت في شهر شوّال من السنة الخامسة الهجرية[٥]، وشهد غزوة بني المُصْطَلِق (غزوة المُرَيْسِيع) التي كانت في شعبان من السنة الخامسة الهجرية، وكان فارساً[٦].

وشهد غزوة بني قُرَيْظَة من يهود التي كانت في شهر ذي القعدة من سنة خمس الهجرية، وكان فارساً[٧]، فأعطى النبيّ ﷺ يومئذٍ للفرس سهمين ولصاحبه سهماً واحداً[٨]. ولما سُبِيَ بنو قُرَيْظة، باع رسول الله ﷺ منهم من عثمان بن عفّان وعبد الرحمن بن عوف طائفةً[٩].

وشهد غزوة (ذي قَرَد)[١٠] التي كانت في شهر جمادى الأولى من السنة السّادسة الهجريّة[١١]؛ وكان لعبد الرحمن إبل ترعى في (الغابة)[١٢]،

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ١٢٨)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٠٠).
(٢) الدرر (١٧٤).
(٣) مغازي الواقدي (١/ ٣٧٩).
(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٠١).
(٥) الدرر (١٧٩).
(٦) مغازي الواقدي (١/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥).
(٧) مغازي الواقدي (٢/ ٤٩٦ ـ ٤٩٨).
(٨) مغازي الواقدي (٢/ ٥٢٢).
(٩) مغازي الواقدي (٢/ ٥١٣).
(١٠) ذو قرد: ماء على نحو بريد من المدينة مما يلي بلاد غطفان، وقيل: على مسافة يوم منها.
(١١) سيرة ابن هشام (٣/ ٣٢٣).
(١٢) الغابة: موضع شمالي المدينة.

كما كانت لرسول الله ﷺ لِقَاح[1] ترعى في الغابة أيضاً، فأغار عُيَيْنَة بن حِصْن في أربعين فارساً على سَرْح المدينة، فأخطأ مكان إبل عبد الرّحمن بن عوف واهتدى إلى لِقاح رسول الله ﷺ، فاستاقها، فطارده المسلمون[2] وهرب المشركون[3].

٤ ـ قائد سريّة دُومَة الجَنْدَل[4]:

كانت في شهر شعبان من سنة ست الهجرية، فقد دعا النبيّ ﷺ عبد الرّحمن بن عوف، فأقعده بين يديه وعمّمَه بيده، وقال: «اغزُ بسم الله وفي سبيل الله، فقاتل مَنْ كفر بالله، لا تَغُلْ، ولا تغدر، ولا تقتل وليداً».

وبعثه إلى بني كَلْبٍ بِدُوْمَة الجَنْدَل، فمكث ثلاثة أيّام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الأَصْبَغ بن عمرو الكلبيّ، وكان رأسهم، وأسلم معه ناس كثير من قومه، وأقام مَنْ أقام على إعطاء الجزية، وكان الأَصْبَغ نصرانياً.

وكان النبيّ ﷺ قد قال لعبد الرحمن: «إن استجابوا لك، فتزوّج ابنة ملكهم»، فتزوّج عبد الرحمن تُمَاضر بنت الأَصْبَغ، وقدم بها إلى المدينة، وهي أمّ أبي سَلَمَة بن عبد الرحمن بن عوف[5].

ولا نعلم شيئاً عن عدد أفراد هذه السريّة، وهي على كلٍّ حال من سرايا الدعوة، أدّى فيها عبد الرحمن واجبه أداءً كاملاً.

ولكن خالداً وجد السِّلاح على بني جَذِيمة، فسألهم: «ما أنتم؟»، قالوا: «مسلمون، قد صلينا، وصدّقنا بمحمّد، وبَنَيْنَا المساجد في ساحاتنا، وأَذَّنّا فيها»، قال: «فما بال السِّلاح عليكم!»، فقالوا: «إنّ بيننا وبين قوم

---

(١) اللقاح: الإبل الحوامل ذوات الألبان.
(٢) مغازي الواقدي (٢/ ٥٣٩).
(٣) انظر التفاصيل في الدرر (١٩٨ ـ ١٩٩)، وجوامع السيرة (٢٠١ ـ ٢٠٣).
(٤) دومة الجندل: حصن على سبع مراحل من دمشق، بينها وبين المدينة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/ ١٠٦ ـ ١٠٩).
(٥) طبقات ابن سعد (٢/ ٨٩)، وسيرة ابن هشام (٣/ ٣٢٧).

من العرب عداوةً، فخفنا أن تكونوا هم، فأخذنا السِّلاح!»، قال: «فضعوا السِّلاح!»، فوضعوه، فأسرهم وفرّقهم في أصحابه. فلما كان في السَّحَر نادى خالد: «مَنْ كان معه أسير، فَلْيُدافه»، والمدّافّة الإجهاز عليه بالسّيف، فأما بنو سُلَيْم فقتلوا مَنْ كان في أيديهم، وأما المهاجرون والأنصار، فأرسلوا أسراهم، فبلغ النبيّ ﷺ ما صنع خالد فقال: «اللّهمّ إنّي أبرأ إليك مما صنع خالد»، وبعث عليّ بن أبي طالب، فودى لهم قَتْلاهم وما ذهب منهم، ثمّ انصرف إلى رسول الله ﷺ فأخبره[1].

وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام في ذلك، فقال له عبد الرحمن: «عَمِلتَ بأمر الجاهليّة في الإسلام»، فقال: «إنما ثأَرْتُ بأبيك»، فقال عبد الرحمن: «كذبتَ، قد قتلتُ قاتل أبي، ولكنّك ثأرتَ بعمّك الفاكه بن المغيرة»، حتى كان بينهما شرٌّ. وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «مَهْلاً يا خالد! دَعْ عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أُحُدٌ ذهباً، ثمّ أنفقته في سبيل الله، ما أدركتَ غدوةَ رجلٍ من أصحابي ولا رَوْحَتهُ»[2].

وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وعوف بن عبد عوف، وعَفّان بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس قد خرجوا تجاراً إلى اليمن، ومع عفّان ابنه عثمان، ومع عوف ابنه عبد الرحمن، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بني جَذيمة بن عامر هلك باليمن إلى ورثته، فادّعاه رجل منهم يقال له: خالد بن هشام، ولقيهم بأرض بني جَذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت، فأَبَوْا عليه، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه، وقاتلوه، فقتل عوف بن عبد عوف، والفاكه بن المغيرة، ونجا عفّان بن أبي العاص وابنه عثمان، وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة، ومال عوف بن عبد عوف، فانطلقوا به، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتلَ أبيه. وهمّت قريش بغزو بني جَذيمة، فقالت

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨).
(٢) سيرة ابن هشام (٤/ ٥٦)، وانظر ايضاً في الواقدي (٣/ ٨٨٠ ـ ٨٨١).

بنو جذيمة: ما كان مصاب أصحابكم على مَلأٍ منّا، إنما عدا عليهم قوم بجهالة فأصابوهم، ولم نعلم، فنحن نَعْقِلُ[١] لكم ما كان لكم قِبَلنا من دم أو مال، فقبلت قريش ذلك ووضعوا الحرب[٢].

هـ ـ وشهد غزوة حُنَيْن التي كانت في شهر شوّال من السنة الثامنة الهجرية وحصار الطّائف التي كانت في شوّال من السنة الثامنة الهجريّة أيضاً، فنال عبد الرحمن امرأة من سبي هوازن[٣]، فلما أمر النبيّ ﷺ بإعادة السبي إلى هوازن أعاد عبد الرحمن المرأة التي كانت عنده إلى أهلها[٤].

و ـ وشهد غزوة تبوك التي كانت في شهر رجب من السنة التاسعة الهجريّة[٥]، فحض رسول الله ﷺ المسلمين على القتال والجهاد وأمرهم بالصدقة، فحمل عبد الرحمن من جملة مَن حمل إلى النبيّ ﷺ مالاً، مائتي أوقيّة[٦]، وهي أربعة آلاف درهم[٧] كما يبدو.

وفي طريق النبيّ ﷺ من المدينة إلى تبوك، صلّى رسول الله ﷺ خلفه في سفرة[٨] سافرها ركعة من صلاة الفجر[٩].

قال المغيرة بن شُعبة: «كنّا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ، فلما كان في السَّحَر ضربَ عُنُقَ راحلتي، فظننت أنّ له حاجة، فعدلت معه، فانطلقنا

(١) عقل القتيل: وَدَاه فعقل ديّته بالعُقُل في فناء ورثته، وكانت في الجاهلية من الإبل. والعقل: الديّة.
(٢) سيرة ابن هشام (٤/ ٥٦ ـ ٥٧).
(٣) مغازي الواقدي (٣/ ٩٤٣).
(٤) مغازي الواقدي (٣/ ٩٥٢).
(٥) طبقات ابن سعد (٢/ ١٦٥).
(٦) مغازي الواقدي (٣/ ٩٩١).
(٧) سيرة ابن هشام (٤/ ٢١٠).
(٨) أسد الغابة (٣/ ٣١٤)، والإصابة (٤/ ١٧٧).
(٩) الإصابة (٤/ ١٧٧)، والبداية والنهاية (٧/ ١٦٤).

حتى تبرّزنا عن الناس، فنزل عن راحلته ثمّ انطلق فتغيّب عني حتى ما أراه، فمكث طويلاً ثم جاء. فقال: حاجتك يا مُغِيْرَة! قلت: ما لي حاجة! قال: فهل معك ماء؟ قلت: نعم، فقمت إلى قربة أو قال سَطيحة[1] معلّقة في آخر الرّحل، فأتيته بها، فصَبَبْتُ عليه، فغسل يديه فأحسن غسلهما، وأشُكّ دَلَكَهُمَا، بتُراب أم لا، ثمّ غسل وجهه، ثمّ ذهب يحسر عن يديه وعليه جُبّة شاميّة ضيّقة الكم، فضاقت، فأخرج يديه من تحتها إخراجاً، فغسل وجهه ويديه، ثم مسح بناصيته ومسحَ على العمامة ومسح على الخُفَّين، ثم ركبنا، فأدركنا الناس وقد أقيمت الصّلاة، فتقدّمهم عبد الرحمن بن عَوْف، وقد صلّى ركعةً وهمّ في الثانية، فذهبت أُوذنه فنهاني، فصلّينا الركعة التي أدركنا، وقضينا التي سَبَقَتْنا»، وكان هذا في تبوك، وكان المغيرة يحمل وضوء رسول الله ﷺ، وقال النبيّ ﷺ، حين صلّى خلف عبد الرحمن بن عَوْف: «ما قُبض نبيّ قط، حتى يصلي خلف رجل صالح من أمّته»[2].

٦ ـ جهـاده بالمـال:

كان عبد الرحمن كثير الإنفاق في سبيل الله[3]، وقد تصدّق على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف درهم، ثم تصدّق بأربعين ألفاً من الدراهم، ثم تصدّق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة[4]، وكان كثير المال محظوظاً بالتجارة[5].

وحين حمل إلى النبيّ ﷺ أربعة آلاف درهم قال: «كان عندي ثمانية آلاف، فأمسكت أربعة آلاف لنفسي وعيالي، وأربعة آلاف أقرضها ربي عزّ وجلّ»، فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما

---

(١) السّطيحة: المزادة تكون من جلدين لا غير.

(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ١٢٨ ـ ١٢٩)، وانظر مغازي الواقدي (٣/ ١٠١٢).

(٣) أسد الغابة (٣/ ٣١٤)، وتهذيب الأسماء واللّغات (١/ ٣٠١).

(٤) أسد الغابة (٣/ ٣١٦)، والإصابة (٤/ ١٧٧).

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٠١).

أعطيت»[1]. فنزلت في عثمان بن عفّان وفي عبد الرحمن الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُوْنَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً ولا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُوْنَ﴾[2].

هذا هو مبلغ جهاد عبد الرحمن المُعْلَن بالمال الذي كان معروفاً في أيام النبيّ ﷺ، وهو مبلغ جسيم ولا شك، وبخاصة في تلك الأيام، ولا بدّ أن يكون له جهاد غير مُعْلَن بالمال، لا يعلمه غير الله.

لقد أدّى عبد الرحمن واجبه مجاهداً بالأموال والنفس.

المستشـار الأميـن

١ ــ مـع الشّيْخيـن:

أصبح عبد الرحمن بعد التحاق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى من أقرب المقرّبين إلى خليفتيه الشيخين: أبي بكر الصدِّيق وعمر بن الخطّاب رضي الله عنهما، والمستشار الأمين لهما.

ولما نزل بأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه الموتُ، دعا عبد الرحمن بن عَوْف، فقال: «أخبرني عن عمر»، فقال: «إنه أفضل من رأيت، إلاّ أنّه فيه غِلْظَة»، فقال أبو بكر: «ذلك لأنّه يراني رقيقاً، ولو أفضى الأمْرُ إليه، لترك كثيراً مما هو عليه، وقد رمّقْتُهُ فكنتُ إذا غضبتُ على رجل أراني الرضاء عنه، وإذا لِنْتُ له أراني الشدّة عليه». ودعا عثمان بن عفّان وقال له: «أخبرني عن عمر»، فقال: «سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله»، فقال أبو بكر لهما: «لا تذكرا ممّا قلتُ لكما شيئاً، ولو تركته ما عدوتُ عثمان، والخيرة له ألاّ يلي من أموركم شيئاً، ولوددت أني كنتُ من أموركم خِلْواً، وكنتُ فيمن مضى من سلفكم»[3].

(١) الرياض النضرة (٢/ ٣٧٩).
(٢) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢: ٢٦٢).
(٣) ابن الأثير (٢/ ٤٢٥).

واستشارة أبي بكر الصدِّيق عبد الرحمن في أخطر أمور الدولة، في تولية خليفته، دليل على ثقته البالغة به، وأنه كان المستشار الأمين له.

ولما تولى الخلافة عمرُ، حجّ عبد الرحمن معه، فسمع رجلاً بمِنًى يقول لعمر: «لو مات عمر لبايعتُ فلاناً»، فقال عمر: «إني لقائم العشيّة في النّاس، أحذِّرهم هؤلاء الرّهط الذين يريدون أن يغتصبوا الناس أمرهم»، فقال له عبد الرحمن: «يا أمير المؤمنين! إنّ الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، وهم الذين يغلبون على مجلسك، وأخاف أن تقول مقالة لا يَعُوها ولا يحفظوها ويطّيَّروا بها، ولكن أمهل حتى تقدم المدينة وتخلص بأصحاب رسول الله ﷺ، فتقول ما قلتَ، فَيَعُوا مقالتك»، فقال: «والله لأقومنّ بها أوّل مقام أقومه بالمدينة»[1]، وهكذا انصاع عمر لرأي عبد الرحمن الحصيف.

وحشد الفُرس حشوداً ضخمة لحرب المسلمين في العراق، فبلغ ذلك المُثَنّى بن حارثة الشيباني، فكتبوا إلى عمر بن الخطّاب، فقال: «والله لأضربنّ ملوك العجم بملوك العرب»، فلم يَدَعْ رئيساً ولا ذا رأي وذا شرف وبسطة ولا خطيباً ولا شاعراً إلاّ رماهم به، فرماهم بوجوه الناس وغُرَرهم[2].

ولما اجتمع الناس إلى عمر، خرج من المدينة حتى نزل ماء يدعى: (صِرَاراً)[3] فعكسر به ولا يدري الناس ما يريد: أيسير أم يُقيم! وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شيءٍ، رموه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عوف، فإن لم يقدر هذان على علم شيء مما يريد، ثلثوا بالعبّاس بن عبد المطلب. وسأله عثمان عن سبب حركته، فأحضر النّاس وأعلمهم الخبر، واستشارهم في

(١) ابن الأثير (٢/٣٢٦).
(٢) ابن الأثير (٢/٤٤٨).
(٣) الصرار: اسم ماء وموضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق، انظر معجم البلدان (٥/٣٤٦).

المسير إلى العراق، فقال العامّة: «سِرْ وسِرْ بنا معك»، فدخل معهم في رأيهم، وقال: «اغدوا واستعدّوا، فإني سائر، إلاّ أن يجيء رأي هو أمثل من هذا». ثم جمع عمر وجوه أصحاب رسول الله ﷺ، وأرسل إلى عليّ بن أبي طالب، وكان استخلفه على المدينة فأتاه، وإلى طَلْحَة وكان على المقدّمة، فرجع إليه، وإلى الزّبير وعبد الرحمن، وكانا على المجنبتين، فحضرا. ثم استشارهم، فأجمعوا على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، ويرميه بالجنود، فإن كان الذي يشتهي فهو الفتح، وإلاّ أعاد رجلاً وبعث آخر، وفي ذلك غيض العدو.

وجمع عمر الناس وقال لهم: «إني كنت عزمت على المسير، حتى صرفني ذوو الرأي منكم، وقد رأيتُ أن أُقيم وأبعث رجلاً، فأشيروا عليّ برجل».

وأشاروا عليه بسعد بن أبي وقاص، فقاد جيش المسلمين في معركة القادسية الحاسمة[1].

ولما أراد عمر وضع الديوان وفرض العطاء، في سنة خمس عشرة الهجريّة، قال له عليّ بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عَوْف: «ابدأ بنفسك»، قال: «لا، بل أبدأ بعمِّ رسول الله ﷺ، ثمّ الأقرب فالأقرب»، ففرض للعبّاس وبدأ به، ثمّ فرض لأهل بدرٍ خمسة آلاف خمسة آلاف، ثمّ فرض لمن بعد بدر إلى الحُدَيْبِيّة أربعة آلاف أربعة آلاف، ثمّ فرض لمن بعد الحديبيّة إلى أن أقلع أبو بكر من أهل الردّة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف، في ذلك مَنْ شهد الفتح وقاتل مع أبي بكر ومَنْ ولي الأيام قبل القادسيّة، كلّ هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف، ثمّ فرض لأهل القادسيّة وأهل الشّام ألفين ألفين، وفرض لأهل البلاء النازع منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة[2].

(١) ابن الأثير (٢/ ٤٥٠ ـ ٤٥١).
(٢) ابن الأثير (٢/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣).

وفي سنة ثمان عشرة الهجرية، قدم عمر الشّام، فلما كان بـ (سَرْغ)[1] لقيه أمراء الأجناد فيهم أبو عُبَيْدة بن الجَرَّاحِ، فأخبروه بالوباء وشدّته، وكان معه المهاجرون والأنصار، خرج غازياً، فجمع المهاجرين والأنصار فاستشارهم، فاختلفوا عليه، فمنهم القائل: خرجت لوجه الله، فلا يصدّك عنه هذا! ومنهم القائل: إنّه بلاء وفناء، فلا نرى أن تقدم عليه! فقال لهم: «قوموا»، ثمّ أحضر مهاجرة الفتح من قريش فاستشارهم، فلم يختلفوا عليه، وأشاروا عليه بالعود، فنادى عمر في الناس: «إني مصبح على ظهر»، فقال أبو عُبَيْدَة: «أفراراً من قدر الله!»، قال: «نعم، نفرّ من قدر الله إلى قدر الله! أرأيتَ لو كان لك إبل، فهبطت وادياً له عَدْوتان، إحداهما خِصْبَةٌ والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ فسمع بهم عبد الرحمن بن عوف، فقال: «إنّ النبيّ ﷺ قال: إذا سمعتم بهذا الوباء ببلدٍ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع ببلد وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه» ـ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ـ فانصرف عمر بالناس إلى المدينة[2].

وعن أنس رضي الله عنه، أن النبيّ ﷺ جلد في الخمر بالجريد والنعال، وجلد أبو بكر أربعين، فلما أن ولي عُمر قال: «إنّ الناس قد دنوا من الرِّيف، فما ترون في حدِّ الخمر؟»، فقال عبد الرّحمن بن عوف: «نرى أن نجعله كأخفِّ الحدود»، فجلد فيه ثمانين جلدة[3].

ورجع عمر إليه في أخذ الجزية من المجوس، رواه البخاري[4]،

---

(١) سرغ: أول الحجاز وآخر الشام، بين المغيثة وتبوك، وهي قرية، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/ ٧٠ ـ ٧١).

(٢) ابن الأثير (٢/ ٥٥٩ ـ ٥٦٠)، وانظر الإصابة (٤/ ١٧٧)، والرياض النضرة (٢/ ٣٨٢).

(٣) الرياض النضرة (٢/ ٣٨٢)، أخرجاه.

(٤) الإصابة (٤/ ١٧٧).

واستخلفهُ على الحج سنة ولي الخلافة، أي سنة ثلاث عشرة الهجريّة[١].

وفي سنة ست عشرة الهجريّة، حين قدم الخُمس على عمر من الفتوح قال: «والله لا يجنّه سقف حتى أقسمه»، فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن الأرقم يحرسانه في المسجد. فلما أصبح جاء عمر في الناس، فكشف عن أموال الخُمس، فلما نظر إلى ياقوته وزبرجدهِ وجوهرهِ بكى، فقال له عبد الرحمن: «ما يُبْكِيْكَ يا أمير المؤمنين؟ فوالله إنّ هذا لموطن شكر»، فقال عمر: «والله ما ذلك يُبْكيني، وبالله ما أعطى الله هذا قوماً إلاّ تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلاّ ألقى الله بأسهم بينهم»[٢].

وجاء عمر بن الخطّاب إلى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلي في بيته ليلاً، فقال له عبد الرحمن: «ما جاء بك في هذه السّاعة؟»، قال: «رفقةٌ نزلت في ناحية السوق خشيت عليهم سرّاق المدينة، فانطلق فلنحرسهم»، فأتيا السّوق، فقعدا على نشز من الأرض يتحدّثان[٣].

وأخيراً لما طُعن عمر، أخذ بيد عبد الرحمن، فقدّمه، فصلّوا الفجر يومئذٍ صلاة خفيفة[٤].

لقد كان عبد الرحمن موضع ثقة الشّيخين المطلقة إلى أبعد الحدود، كما كان موضع ثقة النبيّ ﷺ وثقة المسلمين كافة.

٢ ــ مع الشّورى:

استُشْهد أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي الله عنه لثلاثٍ بقين أو أربع من ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين الهجرية[٥]، فلما وجد عمر حرّ السّلاح سقط وأمر عبد الرحمن بن عوف فصلّى بالناس، وعمر طريح،

(١) الإصابة (٤/ ١٧٧)، وتاريخ خليفة بن خياط (١/ ١).
(٢) ابن الأثير (٢/ ٥٢٢).
(٣) ابن الأثير (٣/ ٥٧).
(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٣٧).
(٥) البداية والنهاية (٧/ ١٣٨)، والعبر (١/ ٢٧).

فاحتُمل فأُدخل بيته. ودعا عبد الرحمن، فقال له: «إني أريد أن أعهد إليك»، قال: «أتشير عليّ بذلك؟»، قال: «اللّهمّ لا»، فقال عبد الرحمن: «والله لا أدخل فيه أبداً»، قال: «فهبني صمتاً حتى أعهد إلى النّفر الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض»، ثمّ دعا عليّاً وعثمان والزبير وسعداً، فقال: «انتظروا أخاكم طلحة ثلاثاً، فإن جاء وإلاّ فاقضوا أمركم»[1]، ثم قال: «فإن أصابت سعداً فذاك، وإلاّ فأيّهم استخلف فَلْيَسْتَعِنْ به، فإني لم أعزله عن عجزٍ ولا خيانة»، وجعل عبد الله بن عمر معهم يشاورونه وليس له من الأمر شيء[2]، وهكذا كان عبد الرحمن أحد الستة الشورى[3]، فلما دُفن عمر، كان عبد الرحمن أحد الذين نزلوا في قبره[4].

ولما مات عمر وأُخرجت جنازته جمع المقداد بن الأسود أهل الشورى، وأمروا أبا طلحة الأنصاري أن يحجبهم.

وقال عبد الرحمن لزملائه: «أيُّكم يخرج منها نفسه ويتقلّدها على أن يوليها أفضلكم؟»، فلم يُجِبْهُ أحد، فقال: «فأنا أنخلع منها»، فقال عثمان: «أنا أوّل مَنْ رضي»، فقال القوم: «رضينا»، وعليّ ساكت. فقال: «ما تقول يا أبا الحسن؟»، قال: «أعطني موثقاً لتؤثرنّ الحقّ ولا تتّبع الهوى ولا تخصّ ذا رحمٍ، ولا تألـو الأمّة نُصحاً»، فقال: «أعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معي على مَنْ بدّل وغيّر، وأن ترضوا مَنْ اخترتُ لكم، وعليّ ميثاق الله أن لا أخصّ ذا رَحم لرحمه، ولا آلو المسلمين»، فأخذ منهم ميثاقاً وأعطاهم مثله[5].

---

(١) ابن الأثير (٣/ ٥٠).

(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٣٩).

(٣) أسد الغابة (٣/ ٣١٣)، والإصابة (٤/ ١٧٦)، وحلية الأولياء (١/ ٩٨)، وطبقات ابن سعد (٣/ ١٣٣)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٠٠)، والاستيعاب (٢/ ٤٨٥).

(٤) ابن الأثير (٣/ ٥٢).

(٥) انظر التفاصيل في ابن الأثير (٣/ ٦٥ ـ ٦٩).

وفي رواية أخرى، أنّ عبد الرحمن حين قال لأصحاب الشورى: «هل لكم إلى أن أختار لكم وأَتَقَصّى منها؟»، فقال عليّ: «نعم، أنت أمين في أهل السماء، وأمين في أهل الأرض»[1]، كما قال النبيّ ﷺ[2].

وبدأ بعليّ فقال له: «تقول إني أحق مَنْ حضر بهذا الأمرلقرابتك وسابقتك وحسن أَثرك في الدين، ولم تُبْعد. ولكن، أرأيت لو صُرف هذا الأمر عنك فلم تحضر، مَنْ كنت ترى من هؤلاء الرّهط أحقّ به؟»، قال: «عثمان».

وخلا بعثمان فقال: «تقول شيخ من بني عبد مناف، وصهر رسول الله ﷺ، وابن عمّه، ولي سابقة وفضل، فأين يُصرف هذا الأمر عني؟ ولكن، لو لم تحضر، أيّ هؤلاء الرّهط تراه أحقّ به؟»، قال: «علي».

ودار عبد الرحمن لياليه يلقي أصحاب رسول الله ﷺ، ومَنْ وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشراف الناس يشاورهم، حتى إذا كان الليلة التي صبيحتها تستكمل الأجل الذي حدّده عمر بن الخطّاب ثلاثة أيام، دعا الزبير وسعداً، وبدأ بالزبير فقال له: «خلِّ بني عبد مناف وهذا الأمر»، قال: «نصيبي لعليّ». وقال لسعد: «اجعل نصيبك لي»، فقال: «إن اخترت نفسك فنعم، وإن اخترت عثمان، فعليّ أحبّ إليّ. أيها الرّجل! بايع لنفسك وأرحنا وارفع رءوسنا»، فقال له: «قد خلعت نفسي على أن أختار، ولو لم أفعل لم أُردها».

واستدعى عليّاً، فناجاه طويلاً، ثم أرسل إلى عثمان، فتناجيا أيضاً.

ولما صلّوا الصبح، جمع الرّهط وبعث إلى مَنْ حضره من المهاجرين والأنصار وإلى أمراء الأجناد، فاجتمعوا حتى التحم المسجد بأهله، فقال: «أيها الناس! إنّ الناس قد أجمعوا أنّ يرجع أهل الأمصار إلى أمصارهم، فأشيروا عليّ».

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٤)، والإصابة (٤/ ١٧٧).

(٢) أسد الغابة (٣/ ٣١٥)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٠١).

فرشح جماعة عليّاً ورشح آخرون عثمان، وتعصبت كلّ جماعة لمرشّحها، فقال سعد بن أبي وقّاص: «يا عبد الرحمن! افرغ قبل أن يفتتن الناس»، فقال عبد الرحمن: «إني قد نظرت وشاورتُ، فلا تجعلُنَّ أيّها الرّهط على أنفسكم سبيلاً».

ودعا عليّاً وقال: «عليك عهد الله وميثاقه، لتعملنّ بكتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده»، قال: «أرجو أن أفعل، فأعمل بمبلغ علمي وطاقتي».

ودعا عثمان، فقال له مثل ما قال لعليّ، فقال: «نعم، نعمل»، فرفع رأسه إلى سقف المسجد، ويده في يد عثمان، فقال: «اللّهمّ اسمع واشهد، اللّهم إنّي قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان.

وبايع عثمان، وبايعه الناس[1].

لقد تمكّن عبد الرحمن بكياسته وأمانته واستقامته ونسيانه نفسه بالتخلّي عن الطّمع في الخلافة والزهد بأعلى منصب في الدولة، أن يجتاز هذه المحنة، ولا يزال الناس مختلفين حتى اليوم في: هل أصاب عبد الرحمن أم أخطأ، ولكن لا يختلف أحد بأنّه قاد رَكْبَ الشُّورى بمهارة وتجرّد، مما يستحق أعظم التقدير.

٣ ــ مع عثمان:

حجّ عثمان سنة تسع وعشرين الهجريّة، وضرب فسطاطه بمِنَى، وكان أوّل فسطاط ضربه عثمان بمنىً، وأتمَّ الصلاة بها وبِعرَفَة، فكان أوّل ما تكلّم به الناسُ في عثمان ظاهراً حين أتَمَّ الصّلاة بمِنًى، فعاب ذلك غير واحد من الصّحابة. قال له عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما حدث أمر ولا قدم عهد، ولقد عهدتَ النبيّ ﷺ، وأبا بكر، وعمر، يصلّون ركعتين، وأنت صدراً من خلافتك، فما أدري ما ترجع إليه؟»، فقال: «رأيٌ رأيته».

---

(١) انظر التفاصيل في ابن الأثير (٣/ ٦٩ ـ ٧٥).

وبلغ الخبر عبد الرحمن بن عوف، وكان معه في الحج، فجاءه وقال له: «ألم تُصَلِّ في هذا المكان مع رسول الله ﷺ وأبـي بكر وعمر ركعتين وصلّيتها أنت ركعتين؟»، قال عثمان: «بلى، ولكني أُخبرتُ أنّ بعض مَنْ حجّ من اليمن وجفاة الناس قالوا: إنّ الصّلاة للمقيم ركعتان، واحتجّوا بصلاتي، وقد اتّخذت بمكّة أهلاً، ولي بالطائف مال»، فقال عبد الرحمن: «ما في هذا عذر! أما قولك: اتّخذت بها أهلاً، فإنّ زوجك بالمدينة تخرج بها إذا شئت، وإنما تسكن بسكناك. وأمّا مالك بالطائف وبينك وبينه مسيرة ثلاث ليالٍ. وأما قولك عن حاج اليمن وغيرهم، فقد كان رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي والإسلام قليل. ثم أبو بكر وعمر، فصلّوا ركعتين، وقد ضرب الإسلام بِجِرانِهِ»[1]، فقال عثمان: «هذا رأيٌ رأيته».

وخرج عبد الرحمن، فلقي عبد الله بن مسعود فقال: «أبا محمّد! غُيِّرَ ما تعلم»، قال: «فما أصنع؟!»، قال: «اعمل بما ترى وتعلم»، فقال ابن مسعود: «الخلاف شرّ، وقد صلّيت بأصحابي أربعاً»، فقال عبد الرحمن: «قد صلّيت بأصحابي ركعتين، وأما الآن فسوف أصلّي أربعاً»[2].

لقد نصح عثمانَ، فلما أصرّ عثمان على رأيه، تابعه عبد الرحمن خوفاً من الفتنة، فما كانوا يحبّون الفتنة ولا يعملون لها، ويخشون الوقوع فيها أشدّ الخشية.

وكان عبد الرحمن صهر عثمان، فقد تزوّج عبد الرحمن أمّ كلثوم بنت عُقْبَة بن أبي مُعَيط، وهي أخت عثمان لأمه التي خلف عليها عُقْبَة بعد والد عثمان[3]. وقد بلغ عبد الرحمن أنّ عثمان وهب بعض إبل الصدقة لبعض

(١) الجران: باطن العنق من البعير وغيره. (ج): أجرنة، وجُرُن. وضرب الإسلام بجرانه: ثبت واستقرّ.
(٢) ابن الأثير (٣/ ١٠٤).
(٣) ابن الأثير (٣/ ٧٢).

بني الحكم، فأخذها منهم وقسّمها بين الناس وعثمان في الدار[1].

وعن عُرْوَة بن الزّبير، أنّ الزبير جاء إلى عثمان وقال: «إنّ عبد الرحمن بن عوف زعم أن النبيّ ﷺ أقطعه وعمر بن الخطّاب أرض كذا وكذا، وإني اشتريت نصيب آل عمر»، فقال عثمان: «عبد الرحمن بن عوف جائز الشّهادة له وعليه»، أخرجه الإمام أحمد بن حنبل[2].

وتزكية عثمان هذه لعبد الرحمن بهذا الشّكل وهذا الأسلوب، يدل على مبلغ ثقته به ثقة عظيمة بلا حدود.

الإنســـان

١ ـ عمــره:

ولد عبد الرحمن بعد عام الفيل بعشر سنين، أي أنّه وُلد سنة (٥٨١ م)، كما ذكرنا، وتوفي بالمدينة المنوّرة سنة اثنتين وثلاثين الهجرية[3] (٦٥٢ م)، وهو ابن خمس وسبعين سنة[4] قمريّة، وفي رواية: وهو ابن اثنتين وسبعين سنة[5] قمريّة.

وفي رواية: أنّه توفي سنة إحدى وثلاثين الهجرية، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين الهجرية، وهو ابن خمس وسبعين سنة[6] قمريّة.

وفي رواية: أنّه توفي سنة اثنتين وثلاثين الهجريّة أو سنة إحدى وثلاثين الهجرية، وعاش اثنتين وسبعين سنة[7] قمرية.

---

(١) ابن الأثير (٣/ ١٦٧).
(٢) الرياض النضرة (٢/ ٣٨٢).
(٣) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ١٤٣)، والعبر (١/ ٣٣)، وطبقات ابن سعد (٣/ ١٣٥).
(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٥).
(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٠٢).
(٦) الاستيعاب (٢/ ٨٥٥)، وأسد الغابة (٣/ ٣١٧).
(٧) الإصابة (٤/ ١٧٧).

ولا خلاف أنه ولد بعد عام الفيل بعشر سنين، والأكثر أنّه تُوفي سنة اثنتين وثلاثين الهجرية[1]، ومعنى ذلك، أنّه عاش إحدى وسبعين سنة شمسية (٥٨١ م ـ ٦٥٢ م)، وما يقرب من خمس وسبعين سنة قمريّة.

وشيّعه إلى مثواه الأخير في (البَقِيْع) سعد بن أبي وقّاص وهو يقول: «واجبلاه»، ووضع السّرير على كاهله[2].

وسُمع عليّ بن أبي طالب يقول يوم مات عبد الرحمن بن عوف: «اذْهَبْ ابنَ عوف! فقد أدركتَ صَفْوَهَا وسَبَقْتَ رَنْقَها»[3].

وقد دُفن بالبَقِيْع مدفن أهل المدينة ولا يزال البقيع كذلك، وصلّى عليه عثمان بن عفّان[4] رضي الله عنهم.

٢ ـ وصيّته وتركته:

أوصى عبد الرحمن بخمسين ألف دينار في سبيل الله، وألف فرس في سبيل الله، وأوصى لمن بقي ممن شهد بَدْراً لكلٍّ رجل أربعمائة دينار، وكانوا مائة فأخذوا وأخذها عثمان فيمن أخذوا، وخلّف مالاً عظيماً ـ وكان عامة ماله من التجارة ـ من ذهب قُطِعَ بالفؤوس حتى مَجِلَت[5] منه. وترك ألف بعير وثلاثة آلاف شاة بالبَقِيْع ومائة فرس ترعى بالبقيع، وكان يزرع بـ (الجُرْف)[6] على عشرين ناضحاً[7]، وكان يُدْخل قوتَ أهله من ذلك كل سنة.

---

(١) ابن الأثير (٣/ ١٣٦)، وتهذيب الأسماء (٦/ ٣٤٦).

(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٥).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٦).

(٤) الإصابة (٤/ ١٧٧).

(٥) مجلت يده: تقرّحت.

(٦) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، انظر معجم البلدان (٣/ ٨٧).

(٧) الناضح: الدابة يسقى عليها.

وقد أصاب تَمَاضر بنت الأَصْبَغ رُبْعَ الثُّمُن، فأُخرجت بمائة ألف، وهي إحدى أربع، وقد ترك ثلاث نسوة، فأصاب كلّ واحدة مما ترك ثمانون ألفاً ثمانون ألفاً[1].

فإذا بلغ ربع الثُّمْن من تركة عبد الرحمن مائة ألف درهم على أكثر تقدير وثمانين ألف درهم على أقلِّ تقدير، فإنّ تركته بلغت (٣٢٠٠٠٠٠) درهم على الأكثر (٢٥٦٠٠٠٠) درهم على الأقل، وهو مبلغ جسيم وبخاصة بالنسبة لتلك الأيام الخالية، يمكن أن تكون فيه مبالغةٌ واضحة، وبخاصة وأنّ عبد الرحمن كان كثير الإنفاق من أمواله، كما سنذكر ما سجّله له المؤرخون من إنفاق وشيكاً.

ومهما تكن المبالغة في ضخامة تركته، فإنّه كان غنيّاً ميسوراً، ولكنه لم يقصِّر أبداً في دفع الزكاة والصدقة، وكان مصدر ثروته حلالاً لا شك فيه.

٣ ـ إنفاقه:

ذكرنا نفقاته المعلنة للجهاد في عهد النبيّ ﷺ، أما غير المعلنة فلا يعرفها أحد من الناس.

وقد أعتق ثلاثين عبداً في يوم واحد[2]، وقد ذكروا أنّه أعتق ثلاثين ألف نسمة في حياته[3]، ومهما قيل في المبالغة بهذا العدد، فإنّه كان يعتق كثيراً.

وروت عائشة أمّ المؤمنين، أنّ النبيّ ﷺ قال: «إنَّ أمركُنَّ لَمِمَّا يهمني بعدي، ولن يصبر عليكنّ إلاّ الصَّابرون»، يخاطب زوجاته أمهات المؤمنين، ثم تقول عائشة لأبي سَلَمَة بن عبد الرحمن بن عوف: «سقى الله

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٦ ـ ١٣٧)، وانظر أسد الغابة (٣/ ٣١٧).
(٢) أسد الغابة (٣/ ٣١٤)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٠٠).
(٣) الأصابة (٤/ ١٧٧)، وحلية الأولياء (١/ ٩٩).

أباك سلسبيل الجنّة»، تريد عبد الرحمن بن عوف، وكان وصل أزواج النبيّ ﷺ بمال بيع بأربعين ألفاً، أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(١)].

وعزم أن يتنازل عن جميع ماله في أيام النبيّ ﷺ، ولكن النبيّ ﷺ أمره أن يضيِّف الضَّيْفَ ويطعِم المسكين، ويعطي السّائل، ويبدأ بمن يَعول، فإنه إذا فعل كان تزكية لماله[(٢)].

وقالت أم سَلَمَة زوج النبيّ ﷺ: «سمعت رسول الله ﷺ يقول لأزواجه: إنّ الذي يحافظ عليكنّ بعدي لهو الصّادق البار، اللّهم اسْقِ عبدَ الرحمن بن عوف من سَلْسَبيْلِ الجنّة»[(٣)].

وقد باع أمواله من (كَيْدَمَة)[(٤)]، وهو سهمه من بني النّضير، بأربعين ألف دينار، فقسمها على أزواج النبيّ ﷺ[(٥)]، وباع أرضاً له من عثمان بأربعين ألف دينار، فقسم ذلك في فقراء بني زُهرة وفي ذي الحاجة من الناس، وفي أمّهات المؤمنين، فلما تسلّمت عائشة نصيبها، قالت: «إنّ رسول الله ﷺ قال: لا يَحْنُو عَلَيْكُنَّ بعدي إلاّ الصابرون، سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة»[(٦)].

وتبرّع بمائة راحلة جاءته من مصر على فقراء المدينة في عهد النبيّ ﷺ[(٧)]، ثمّ وردت له قافلة من تجارة الشّام، فحملها إلى رسول الله ﷺ، فدعا له النبيّ ﷺ بالجنّة[(٨)].

(١) الرياض النضرة (٢/ ٣٨٤).
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٢).
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٢).
(٤) كيدمة: موضع بالمدينة، وهو سهم عبد الرحمن بن عوف من بني النضير، انظر معجم البلدان (٧/ ٣٠٥).
(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٢).
(٦) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٣).
(٧) حلية الأولياء (١/ ٩٩).
(٨) الرياض النضرة (٢/ ٣٨٥).

وكان أهل المدينة عيالاً على عبد الرحمن بن عوف: ثلث يقرضهم ماله، وثلث يقضي دينهم بماله، وثلث يَصِلهم[1].

ودخل يوماً على أُمِّ سَلَمَة أمِّ المؤمنين فقال: «يا أمَه! قد خفت أن يهلكني كثرة مالي»، فقالت: «يا بنيّ! أنْفِقْ»[2]، فأطلق يده في الإنفاق، كأنّه لا يخشى الفقر.

وقدمت عِيْرٌ لعبد الرحمن بن عوف، فكان لأهل المدينة يومئذ رُجَّة، فقالت عائشة أمّ المؤمنين: «ما هذا؟»، قيل لها: «هذه عِيْرُ عبد الرحمن بن عوف قدمت»، فقالت عائشة: «أَمَا إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: كأني بعبد الرحمن بن عوف على الصراط، يميل به مرّة ويستقيم أخرى، حتى يُفْلِتَ ولم يَكَدْ»، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف، فقال: «هي وما عليها صَدَقَة»، وما كان عليها أفضل منها، وهي يومئذٍ خمسمائة راحلة[3].

لقد كان عظيم التجارة، مجدوداً فيها، كثير المال[4]، ولكنّ مالَه كان في يده لا في قلبه، لذلك لم يجمع المال بوسائل غير مشروعة، وأعطى حقّ المال في الزكاة والصدقات، وفي ميدان الجهاد وميدان السّلام.

٤ ــ ورعــه:

كان إنفاق عبد الرحمن فيضاً متدفّقاً، وهو إن دلّ على شيءٍ، فإنّما يدلّ على ورعه وتقواه. وقد رآه أحد الصالحين يطوف بالبيت وهو يقول: «اللّهم قِنِي شُحَّ نفسي»[5].

(١) الرياض النضرة (٢/ ٣٨٥).
(٢) أسد الغابة (٣/ ٣١٥).
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٢)، وأسد الغابة (٣/ ٣١٥ ـ ٣١٦).
(٤) أسد الغابة (٣/ ٣١٥).
(٥) الاستيعاب (٢/ ٨٤٧).

ووصفه أحد المقرّبين إليه، فقال: «كان جليساً لنا ونِعْمَ الجليس، فانقلب بنا ذات يوم إلى منزله، فدخل، فاغتسل، ثمّ أتانا بقصعة فيها خبز وطعم، ثم بكى، فقلنا: ما يبكيك يا أبا محمّد! قال: مات رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهله من خبز الشّعير، ولا أرانا أُخِّرْنا لما هو خير لنا»[1].

وأُتِي بطعام وكان صائماً، فقال: «قُتل مُصْعَب بن عُمَير وهو خير مني، فكُفِّن في بردته إن غُطّي رأسه بدت رجلاه، وإنْ غُطّي رجلاه بدا رأسه، وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بسط لنا ما بسط، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا»، ثم جعل يبكي[2].

وكان إذا أتى مكّة، كره أن ينزل منزله الذي هاجر منه، وهو منزله الذي كان ينزله في الجاهلية[3]، ولا ينزله ورعاً بعد إسلامه.

وقد ذكر المِسْوَر بن مَخْرَمة بن نوفل بن عبد مناف بن زُهرة، وأمّه أخت عبد الرحمن بن عوف. وكان يُعْدل بالصحابة وليس منهم[4]، أنّ عبد الرحمن لما وَلِيَ الشورى، كان أحبّ الناس إلى المِسْوَر أن يليَ عبد الرحمن الخلافة، فإن تركها فسعد بن أبي وقّاص، قال: «فلحقني عمرو بن العاص، فقال: ما ظنّ خالك بالله إن ولي هذا الأمر أحداً وهو يعلم أنّه خير منه؟ فأتيتُ عبد الرحمن فذكرت له ذلك، فقال: مَنْ قال ذلك لك؟ فقلت: لا أخبرك! فقال: لئن لم تخبرني لا أكلِّمُك أبداً. فقلت: عمرو بن العاص، فقال: فوالله لأَنْ تُؤْخذ مُدْيَة فتوضع في حَلْقي، ثمّ يُنْفَذ بها إلى الجانب الآخر، أحبّ إليّ من ذلك»[5]، وما كان خوفه من تولي السلطة إلاّ ورعاً.

---

(١) الإصابة (٤/ ١٧٧)، وحلية الأولياء (١/ ٩٩ ـ ١٠٠).
(٢) أسد الغابة (٣/ ٣١٦)، وحلية الأولياء (١/ ١٠٠)، وانظر مغازي الواقدي (١/ ٣١١).
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣١).
(٤) انظر المعارف (٤٢٩).
(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤).

وكان يصلي قبل الظهر صلاة طويلة، فإذا سمع الأذان، شدّ عليه ثيابه وخرج[1] إلى المسجد للصّلاة.

وكان عبد الرحمن أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة[2]، وأحد الستة الذين جعل عمر الشورى فيهم وأخبر أنّ رسول الله ﷺ تُوفي وهو عنهم راض[3].

وصلّى رسول الله ﷺ خلفه في سفره[4]، وروي عنه ﷺ أنه قال: «عبد الرحمن بن عوف سيِّد من سادات المسلمين»، وروي عنه عليه السّلام أنّه قال: «عبد الرحمن بن عوف أمين في السماء وأمين في الأرض»[5].

وكان أمينَ النبيّ ﷺ على نسائه[6]، فكان يخرج بهنّ، ويحجّ معهنّ، ويجعل على هوادجهنّ الطيالسة، وينزل بهنّ في الشِّعب الذي ليس له منفذ[7]، وقد كان مع نساء النبيّ ﷺ في حجّة الوداع ومعه عثمان بن عفان[8]، وكانت سنة عشر الهجرية[9].

ولما استُخلِفَ عمر بن الخطّاب سنة ثلاث عشرة، بعث تلك السّنة على الحج عبد الرحمن بن عوف، فحجّ بالناس، وحجّ مع عمر أيضاً آخر حجّة حجّها عمر سنة ثلاث وعشرين، وأذن عمر تلك السنة لأزواج النبيّ ﷺ في الحج، فحُمِلْنَ في الهوادج، وبعث معهنّ عثمان بن

(١) الإصابة (٤/ ١٧٧).
(٢) الاستيعاب (٢/ ٨٤٦)، وأسد الغابة (٣/ ٣١٤)، والإصابة (٤/ ١٧٦)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٠٠).
(٣) الاستيعاب (٢/ ٨٤٦).
(٤) الاستيعاب (٢/ ٨٤٦)، وانظر الرياض النضرة (٢/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨).
(٥) الاستيعاب (٢/ ٨٤٦)، وانظر الرياض النضرة (٢/ ٣٧٨).
(٦) الرياض النضرة (٢/ ٣٧٨).
(٧) الإصابة (٤/ ١٧٧).
(٨) مغازي الواقدي (٣/ ١٠٩١).
(٩) العبر (١/ ١٢)، وتاريخ خليفة بن خياط (١/ ٥٨).

عفّان وعبد الرحمن بن عوف، فكان عثمان يسير على راحلته أمامهنّ فلا يدع أحداً يدنو منهنّ، وينزلن مع عمر كلّ منزل، فكان عثمان وعبد الرحمن ينزلان بهنّ في الشِّعاب، فيُقَبّلانهنّ الشِّعاب، وينزلان هما في أوّل الشِّعب، فلا يتركان أحداً يمرّ عليهنّ[١].

ويبدو أنّ عبد الرحمن كان كثير الحج، فقد حجّ سنة تسع الهجرية في أيام النبيّ ﷺ وكان على الحج أبو بكر الصدِّيق[٢] رضي الله عنه، وحجّ مع النبيّ ﷺ حجة الوداع سنة عشر الهجرية كما ذكرنا.

وحج سنة إحدى عشرة الهجرية بالنّاس، وقيل: حجّ بالناس عَتَّاب بن أَسِيْد[٣]، ومهما يكن من أمر فإذا كان أمير الحج أو لم يكن، فقد شهد موسم الحج هذه السنة، وكان ذلك على عهد أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه.

وفي سنة اثنتي عشرة الهجريّة، حجّ بالناس أبو بكر الصدِّيق واستخلف على المدينة عثمان بن عفّان، وقيل: حجّ بالناس عمر بن الخطّاب أو عبد الرحمن بن عوف[٤]، فهو قد شهد الموسم أميراً أو مأموراً على كلِّ حال.

ولما استُخلف عمر بن الخطّاب سنة ثلاث عشرة الهجريّة، بعث تلك السّنة على الحج عبد الرحمن بن عوف، فحجّ بالناس[٥].

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٤)، وانظر أنساب الأشراف (١/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦).

(٢) مغازي الواقدي (٣/ ١٠٧٧).

(٣) ابن الأثير (٢/ ٣٨٣)، وتاريخ خليفة بن خياط (١/ ٨٤)، وقيل: إن الذي أقام الحج هذه السنة هو عمر بن الخطاب. انظر تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٨٥).

(٤) ابن الأثير (٣/ ٤٠١)، وانظر تاريخ ابن خياط (١/ ٩١)، وفيه استخلف على المدينة قتادة بن النعمان الظفري من الأنصار.

(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٤)، وتاريخ خليفة بن خيّاط (١/ ٨٨) و (١/ ٩٤).

وفي سنة أربع عشرة الهجرية حجّ عبد الرحمن بن عوف بأزواج النبيّ ﷺ[١].

وأقام الحجّ سنة أربع عشرة الهجرية إلى سنة ثلاث وعشرين الهجريّة، عمر بن الخطّاب[٢] في أيام خلافته، وكان يعتبر موسم الحج مؤتمراً إسلامياً عاماً لمحاسبة الولاة والأمراء، والاتِّصال المباشر بالرعيّة القادمين من أقطار الإسلام البعيدة والقريبة.

ولما استُخلف عثمان بن عفّان سنة أربع وعشرين، بعث تلك السنة على الحج عبد الرحمن بن عوف، فحجّ بالناس[٣].

وكان ممّن حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية[٤]، وهو دليل على استعداده الطبيعي للخير قبل الإسلام.

وولّاه رسول الله ﷺ صدقات بني كَلْب، لأنّه لم يكن مع النبيّ ﷺ أحد منهم[٥]، وكان عليه الصّلاة والسّلام يفضِّل أن يولي أحد المسلمين من القبيلة صدقاتها، فهو أعرف بها من غيره، ومن الواضح أنّه لا يمكن تولية مثل هذا المركز غير المسلم الصّادق الأمين النزيه، فقد كان النبيّ ﷺ يثق بإيمان عبد الرحمن، ويوكله إلى إيمانه[٦].

لقد كان عبد الرحمن من حواري رسول الله ﷺ[٧]، فلا عجب أن يكون على جانب عظيم من الورع والتقوى، وقد دخل الفَضْل بن العبّاس

(١) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٩٨).
(٢) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٩٩).
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٤)، وتاريخ خليفة بن خياط (١/ ١٣٢)، وانظر ابن الأثير (٣/ ٨٠).
(٤) تهذيب التهذيب (٦/ ٢٤٦)، والإصابة (٤/ ١٧٧).
(٥) أنساب الأشراف (١/ ٥٣٠ ـ ٥٣١).
(٦) الرياض النضرة (٢/ ٣٨٠ ـ ٣٨١).
(٧) المحبّر (٤٧٤ ـ ٤٧٥).

وأسامة بن زيد، فتكلّم بعضهم، فدخل عبد الرحمن بن عوف[1] إذ أنّهم دخلوا قبر النبيّ ﷺ عند دفنه.

لقد كان بحق تعاليمَ الإسلام مجسّدة في إنسان يمشي على الأرض ويأكل الطعام ويمشي في الأسواق بشراً سويّاً، فانتقل ورعه إلى غيره من المسلمين بالمثال الشخصي والقدوة الحسنة، فكان خير مثال وخير قدوة لا للذين عايشوا حسب بل لأجيال المسلمين كافة.

٥ ـ علمـه:

في حجّة الوداع، قال النبيّ ﷺ لعمر بن الخطّاب: «إنك رجل قويٌّ، إنْ وجدتَ الرُكْن خالياً فاستَلِمْهُ، وإلاّ فلا تُزاحم النَّاس عليه فتُؤْذِيَ وتُـؤْذَى»، وقـال لعبـد الـرحمـن بـن عـوف: «وكيـف صنعـتَ بـالـرُّكْـنِ يا أبا محمّد؟»، قال: «استلمتُ وتركتُ»، قال: «أصبت»[2].

وفي رواية: أنّه ﷺ قال لعبد الرحمن: «كيف فعلتَ يا أبا محمّد في استلام الحَجَر؟»، فقال: «كلّ ذلك فعلتُ: استلمتُ وتركتُ»، فقال: «أَصَبْتَ»[3]، مما يدل على أنّه يجتهد بما ليس فيه نصّ من أمور الدين.

وأقبل رجل من المسلمين كان في المدينة، فلقي المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ إلاّ عبد الرحمن بن عوف الذي أُخبِر أنّه في (الجُرْف) في أرضه، فسار حتى إذا جاء عبد الرحمن وجده يحوِّل الماء بمسحاة في يده، وقد وضع رداءه، وهو يعمل في مزرعته. فلما رآه عبد الرحمن استحى فألقى المسحاة وأخذ رداءه، فوقف عليه الرّجل وسلّم، ثمّ قال: «جئتك لأمرٍ ثمّ رأيت أعجب منه: هل جاءكم إلاّ ما جاءنا؟ وهل

(١) أنساب الأشراف (١/ ٥٧٦ ـ ٥٧٧)، والثابت أنّه نزل في قبر النبيّ ﷺ: عليّ بن أبي طالب، والفضل بن العبّاس، وأسامة بن زيد، وشقران مولاه، وفي المعارف (١٦٦): وقالت بنو زُهرة: نحن أخواله، فأدخلوا منّا رجلاً، فأدخلوا عبد الرحمن بن عوف.

(٢) مغازي الواقدي (٣/ ١٠٩٨).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ١٢٥).

علمتم إلاّ ما علمنا؟»، قال عبد الرحمن: «ما جاءنا إلاّ ما جاءكم، وما علمنا إلاّ ما علمتم»، فقال الرّجل: «فما لنا نزهد في الدنيا وترغبون فيها، ونخفّ في الجهاد وتتثاقلون عنه، وأنتم خيارنا وسلفنا وأصحاب نبيّنا ﷺ؟»، فقال له عبد الرحمن: «إنّه لم يأتنا إلاّ ما جاءكم، ولم نعلم إلاّ ما قد علمتم، ولكننا ابتلينا بالضرّاء فصبرنا، وابتلينا بالسرّاء فلم نصبر»[1]، وهذا يدلّ على فهم عبد الرحمن للإسلام فهماً أصيلاً واقعياً، فهو دين للدنيا والآخرة، فلا بدّ للمرء أن يعمل لدنياه كما يعمل لآخرته، ضمن الحدود المشروعة التي نصّ عليها الدين الحنيف.

لذلك كان عبد الرحمن ممن يُفتي على عهد رسول الله ﷺ[2] قد رأينا كيف رجع عمر بن الخطّاب من سَرَغ إلى المدينة، استناداً إلى حديث رواه عبد الرحمن عن النبيّ ﷺ[3]، ورجوع عمر إلى رأي عبد الرحمن في جلد شارب الخمر[4]، وقد رخّص النبيّ ﷺ لعبد الرحمن في لبس الحرير من شَرىً كان به أو من حِكّة كان يجدها بجلده أو لأنه شكى إليه القُمّل[5]، فكانت رخصة للمسلمين الذين يعانون ما كان يعاني، وهي رخصة بسبب عبد الرحمن والزبير بن العوّام أيضاً[6].

رُوِي له عن رسول الله ﷺ خمسة وستون حديثاً اتفق البخاري ومسلم على حديثين وانفرد البخاري بخمسة أحاديث[7]، روى عن النبيّ ﷺ وعن

---

(١) الرياض النضرة (٢/ ٣٨٧)، وحلية الأولياء (١/ ١٠٠).
(٢) الإصابة (٤/ ١٧٧)، وأصحاب الفتيا من الصحابة ومَنْ بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا ـ ملحق بجوامع السيرة (٣٢٠).
(٣) انظر الرياض النضرة (٢/ ٣٨٢).
(٤) الرياض النضرة (٢/ ٣٨٢).
(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٠ ـ ١٣١).
(٦) الرياض النضرة (٢/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥) و (٢/ ٣٨٢)، وطبقات ابن سعد (٣/ ١٣١).
(٧) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٠١)، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٢٣٢)، وأسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة (٢٧٩).

عمر بن الخطّاب، وروى عنه أولاده: إبراهيم وحُمَيْد وعمر ومُصْعَب وأبو سَلَمَة وابن ابنه المِسْوَر بن إبراهيم وابن أخته المِسْوَر بن مَخْرَمة وعبد الله بن عبّاس وعبد الله بن عمر وجُبَيْر بن مُطْعِم وأنس ومالك بن أوس بن الحدثان وعبد الله بن عامر بن ربيعة ومُجَالد بن عبدة وآخرون. روى عنه عمر فقال: «فيه العدل والرضى»[١].

ومن الأحاديث التي رواها عن النبيّ ﷺ: «فضل العالم على العابد سبعين درجة، ما بين كلّ درجتين كما بين السّماء والأرض»[٢].

لقد كان عبد الرحمن فقيهاً في الدين من أصحاب الفُتيا محدِّثاً، فكان عالمًا بأمور الدين، عالماً بأمور الدنيا، لرأيه وزن ثقيل لدى الخليفة والمسلمين، فهو جائز الشّهادة له وعليه[٣].

٦ ــ صفتــه:

كان عبد الرحمن رجلاً طويلاً، حسن الوجه، رقيق البشرة، أبيض اللّون، مشرّباً بحُمْرة، لا يُغَيِّر لحيته ولا رأسه، ضخم الكفّين[٤]، غليظ الأصابع، أقنى[٥]، جعداً[٦]، له جُمّة[٧] من أسفل أذنيه، أعْنَق[٨]، ساقط الثنيتين، أعرج، أصيب يوم أُحُد فهتم[٩]، وجرح عشرين جراحة أو

(١) الإصابة (٤/ ١٧٦ ـ ١٧٧)، وانظر أسد الغابة (٣/ ٣١٦ ـ ٣١٧)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٤٥)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٠١)، وتهذيب تذهيب الكمال (٢٣٢).

(٢) أسد الغابة (٣/ ٣١٥)، رواه أبو يعلى في مسنده عن عبد الرحمن بن عوف. «انظر مختصر الجامع الصغير (٢/ ١٢٤)».

(٣) الرياض النضرة (٢/ ٣٨٢).

(٤) ضخم الكفّين: عظيمهما.

(٥) القنا: احديداب في الأنف، يقال: رجل أقنى الأنف، وامرأة قنواء بينة القنا.

(٦) جعد الشّعر: ضد السبط.

(٧) الجمّة من الإنسان: مجتمع شعر ناصيته، وما ترامى من شعر الرأس على المنكبين.

(٨) أعنق: طويل العنق، والمرأة بيِّنة العنق.

(٩) الهتم: كسر الثنايا من أصلها. يقول: ضربه فهتم فاه: إذا ألقى مقدم أسنانه، =

أكثر أصاب بعضها رجله فعرج[1]، أعْين، أهدب الأشفار، طويل النابين الأعليين، ربما أدمى شفتيه[2].

لقد كان لطيف المنظر كما كان لطيف المَخْبَر، يدلّ مظهره على الرجولة والنبل، وكانت مناقبه كثيرة[3].

٧ ــ أهلــه:

أ ــ كان لعبد الرحمن من الولد: سالم الأكبر، مات قبل الإسلام، وأمّه أُمّ كلثوم بنت عُتْبَة بن ربيعة بن عبد شمس.

وأمّ القاسم، ولدت أيضاً في الجاهليّة، وأمّها بنت شيبة بن ربيعة ابن عبد شمس.

ومحمّد، وبه كان يُكنَّى، وإبراهيم وحُمَيْد وإسماعيل وحَمِيْدة وأَمَة الرحمن، وأمّهم أُمّ كلثوم بنت عُقْبَة بن أبي مُعَيْط بن أبي عمرو بن أُميّة ابن عبد شمس.

ومَعَن، وعُمَر، وزيد، وأَمَة الرحمن الصغرى، وأمّهم سَهْلة بنت عاصم بن عَدِيّ بن الجَدّ بن العَجْلان من بَلِيّ من قُضَاعة، وهم من الأنصار.

وعُرْوَة الأكبر، قُتل يوم إفْرِيقِيّة، وأمّه بحريّة بنت هانىء بن قُبَيْصَة ابن هانىء بن مسعود بن أبي ربيعة من بني شيبان.

وسالم الأصغر، قُتل يوم فتح إفريقيّة، وأمّه سَهْلَة بنت سُهَيْل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامِر بن لؤيّ.

= ورجل أهتم بيِّن الهتم، والثرم بالتحريك: سقوط الثنيتين أيضاً يقول: ثرم الرجل بالكسر ثرماً وثرمته، أنا بالفتح.

(١) الرياض النضرة (٢/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧)، وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٣)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٠٢).

(٢) الاستيعاب (٢/ ٨٤٧).

(٣) نسب قريش (٢٦٥).

وأبو بكر، وأمّه أمّ حكيم بنت قارظ بن خالد بن عُبَيْد بن سُويد حليفهم من بني الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة.

وعبد الله بن عبد الرحمن، قُتل بإفريقيّة يوم فُتحت، وأمّه ابنة أبي الحيس بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل من الأوس الأنصار.

وأبو سَلَمَة، وهو عبد الله الأصغر، وأمّه تُماضر بنت الأَصْبَغ بن عمرو بن ثعلبة بن حِصْن بن ضَمْضَم بن عَدِيّ بن جَنَاب من كلب، وهي أوّل كلبيّة نكحها قرشيّ.

وعبد الرحمن بن عبد الرحمن، وأمّه أسماء بنت سَلامة بن مَخْرَمَة بن جَنْدَل بن نَهْشَل بن دارِم.

ومُصْعَب، وآمنة، ومريم، وأمّهم أمّ حُرَيث مِن سَبْيِ بَهْراء.

وسُهَيْل، وهو أبو الأَبْيَض، وأمّه مَجْد بنت يزيد بن سلامة ذي فائش الحِمْيَرِيَّة.

وعثمان، وأمّه غزال بنت كسرى أمّ وَلَد من سبي سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه يوم المدائن.

وعُرْوَة، ويحيى، وبلال، لأمهات أولاد.

وأمّ يحيى بنت عبد الرحمن، وأمّها زينب بنت الصَبَّاح بن ثعلبة بن عوف بن شبيب بن مازن من سَبي بَهْراء أيضاً.

وجُوَيْرة بنت عبد الرحمن، وأمّها بادية بنت غَيْلان بن سَلَمَة بن مُعْتَب الثَّقفِي[1]، وهي زوج المِسْوَر بن مَخْرَمَة[2] ابن أخت عبد الرحمن بن عوف[3].

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ١٢٧ ـ ١٢٨)، والاستيعاب (٢/ ٨٤٥ ـ ٨٤٦)، والرياض النضرة (٢/ ٢٨٦ ـ ٢٩٠).

(٢) الاستيعاب (٢/ ٨٤٦).

(٣) المعارف (٤٢٩).

فكان لعبد الرحمن من الذكور ثمانية وعشرون ذكراً، ومن الإناث ثماني بنات[1].

ومات عبد الرحمن وترك ثلاث نسوة، فأصاب كلّ واحدة مما ترك ثمانون ألفاً ثمانون ألفاً[2]، أما الرابعة وهي تُماضر بنت الأصبغ، فقد طلقها في مرض موته[3]، فصولحت بثمانين ألفاً في رواية وبمائة ألف في رواية أخرى[4].

وكان عبد الرحمن سالف رسول الله ﷺ من قبل سَوْدَة بنت زَمْعَة، إذ كانت عنده أم حَبِيبَة بنت زَمْعَة أخت سَوْدة[5]، وسالفه أيضاً مرة أخرى من قِبَل زينب بنت جحش، إذ كانت عنده أمّ حبيبة بنت جحش لم تلد[6]، فسالفه عبد الرحمن مرتين[7].

وكانت أمّ كلثوم بنت عُقْبَة بن أبي مُعَيْط زوج عبد الرحمن من المبايعات رسول الله ﷺ، بايعت في مكة قبل الهجرة، ثم هاجرت إلى المدينة وحدها في الهدنة، فتزوجها الزُّبير بن العوّام فطلّقها، ثمّ تزوجها بعده عبد الرحمن، فولدت له إبراهيم وحُميداً، ثمّ مات عنها[8].

وفي رواية: أنّ أمّ كلثوم هذه تزوجت زيد بن حارثة الكلبيّ مولى رسول الله ﷺ، ثم عبد الرحمن بن عوف، ثم الزبير بن العوّام، ثمّ عمرو بن العاص[9]، وهذا هو الأصح.

---

(١) الرياض النضرة (٢/ ٣٨٩).
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٧).
(٣) الرياض النضرة (٢/ ٣٨٩).
(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٦).
(٥) المحبّر (١٠١)، وأنساب الأشراف (١/ ٤٠٩).
(٦) المحبّر (١٠١).
(٧) المحبّر (١١٠).
(٨) المحبّر (٤٠٧ ـ ٤٠٨).
(٩) المحبّر (٤٤٦).

وخلف على أمّ حكيم بنت خالد بن قارظ بعد عبد الرحمن، عُبَيْد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب، ثمّ سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه[1].

وأصهار عبد الرحمن على بناته معروفون أيضاً[2].

ب ـ أما محمد بن عبد الرحمن، فكان شديد الغيرة، وولد عبد الواحد، وله عَقِب.

وأما إبراهيم بن عبد الرحمن[3]، فكان سيِّد القوم، وكان قصيراً، وتزوّج سُكَيْنَة بنت الحسين، فلم يرض بذلك بنو هاشم، فخلعت منه، وكان يكنى: أبا إسحٰق، ومات سنة ست وتسعين الهجريّة، وهو ابن خمس وسبعين سنة.

وأما حُمَيْد بن عبد الرحمن، فكان له مال وجاه، وحمل عنه الحديث، وكان يكنى: أبا عبد الرحمن.

وأما أبو سَلَمَة بن عبد الرحمن، فكان فقيهاً، يُحمل عنه الحديث، ومات أبو سلمة سنة أربع وتسعين الهجريّة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، ويقال: إنّه مات سنة أربع ومائة الهجريّة.

وأما مُصْعَب بن عبد الرحمن، فكان شجاعاً. قال عبد الملك بن مروان لرجل من أهل الشّام: «أيّ فارس لقيته قط أشد؟»، قال: «مُصْعَب».

وقتل مصعب مع عبد الله بن الزبير، وكان قبل ذلك مع مروان بن الحَكَم على شُرطته في المدينة، وفيه يقول ابن قيس الرقيّات:

حـــال دُون الهَـــوى ودُو ... ن سُـــرى اللّيـــل مُصْعَـــبُ
وسيــــاطٌ علـــى أكُـ ... ـــفّ رجـــالٍ تَقَلّـــبُ

---

(١) المحبّر (٤٥٣).
(٢) المحبّر (٦٧ ـ ٦٨).
(٣) انظر التفاصيل في المعارف (٢٣٧ ـ ٢٤٠)، ونسب قريش (٢٦٦ ـ ٢٧٠).

وقال الواقدي: «قتل مصعب بن عبد الرّحمن من أصحاب الحُصَين بن نُمير بيده خمسةً، ثمّ رجع وسيفه مُنْحَنٍ وهو يقول:

إنّا لنوردها بِيْضاً ونُصْدِرها　　حُمْراً وفيها انحناء بعد تقويم»

وكان الواقدي يذكر أنّه توفي ولم يُقْتل.

وأمّا سُهَيْل بن عبد الرحمن، فكان تزوّج الثُّريّا امرأة من بني أُميّة الصغرى، وهي التي يشبِّب بها عمر بن ربيعة فقال:

أيّها المُنْكِحُ الثُّريَّا سُهَيْلاً　　عَمْرَكَ الله كيف يَلْتَقِيَانِ

هي شامِيَّةٌ إذا ما اسْتَقَلَّت　　وسُهَيْلٌ إذا استَقَلّ يماني

ولسهيل عقب في المدينة.

وأما عمر بن عبد الرحمن، فكان من جُلداء قريش، وهو أحد مَن عَمل في أمر الحجّاج بن يوسف، حتى عزله عبد الملك عن المدينة.

وأما زيد بن عبد الرحمن، فلا عقب له.

وأما المِسْوَر بن عبد الرحمن، فقتل يوم الحَرّة.

وأما عثمان بن عَبد الرحمن، فله عقب في البصرة.

جـ ـ وإخوة عبد الرحمن بن عَوْف: الأسود بن عوف، هاجر قبل الفتح، وأُمهما: الشِّفاء بنت عوف بن الحارث بن زُهْرَة، وقد هاجرت.

وعبد الله بن عَوْف، لم يُهاجر ولم يدخل المدينة، وعاش في الجاهلية ستين سنة. وفي الإسلام ستين سنة، وأوصى ابن الزبير، وأمّه: زينب ابنة مقيس بن قيس بن عَدِيّ بن سَهْم[1] بن سروات قريش، وابنه طلحة بن عبد الله بن عوف، وله عَقِبٌ في المدينة[2].

(١) نسب قريش (٢٦٥ ـ ٢٦٦).

(٢) المعارف (٢٣٥).

هذا ما سجّله المؤرخون عن عائلة عبد الرحمن بن عوف، وكما بارك الله له في المال والتجارة، بارك له في الولد ذكوراً وإناثاً.

ولكن لم يكن أحد من أولاده مثله في فضائله وسجاياه، ولم يستطع أحدهم أن يملأ الفراغ الذي خلّفه بموته، فقد كان رجلاً في أمّة، وأمّة في رجل، وكان نسيج وحده.

٨ ــ مجمـل مزايـاه:

لقد كان عبد الرحمن مثال المسلم الحق في فهمه للإسلام، فقد كان لا يُعْرَف من بين عبيده[١] في أوقات الجد والعمل والعبادة، يعمل كما يعملون في أكثر جدية منهم، ويتعبّد كما يتعبدون في أكثر ورعاً وإيماناً منهم، ولكنه كان في أوقات الراحة وبين أهله وفي المناسبات يلبس البُرْد أو الحُلَّة تساوي خمسمائة درهم أو أربعمائة درهم[٢]، وهو يومئذٍ مبلغ ضخم، فقد كانت الشاة بنصف درهم.

وقد ارتحل عن هذه الحياة قبل الفتنة، فغبطه على رحيله عليّ بن أبي طالب الذي قال يوم مات عبد الرحمن: «اذْهَبْ ابنَ عوف! فقد أدركتَ صفـوها، وسَبَقْتَ رَنْقَها»[٣]، كما غبطه عمرو بن العاص الذي سُمِع يوم مات عبد الرحمن يقول: «أَذْهَبُ عَنْكَ ابنَ عوف، فقد ذهبتَ بِبِطْنَتِكَ ما تَغَضْغَض منها من شيءٍ»[٤]، فعصمه الله من الفتنة ومن معاناتها.

لقد كان أميناً نزيهاً، مالُه ليس ماله، بل يبذل للفقراء والمساكين ما وسعه البذل، عالماً في أمور الدين، عالماً في أمور الدنيا، ورعاً أشد الورع تقيّاً أعظم التقوى، متواضعاً غاية التواضع، عاقلاً مُتّزِناً حصيفاً،

(١) الرياض النضرة (٢/ ٣٨٣).
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣١).
(٣) الرَّنق: تراب في الماء من القذى ونحوه، والماء الكدر.
(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ١٣٥ ـ ١٣٦).

عفيفاً يعتمد على عمله، ويده دائماً هي العليا، ناسكاً في الليل بزّازاً[1] في النهار، يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً، ويعمل لأخراه كأنه يموت غداً.

إنه مثال للمسلم الحق في مزاياه، ولمزايا الإسلام في تطبيقها العملي: دنيا وآخرة، مادة وروح، عمل ومسجد، وليس دنيا وحدها ولا آخرة وحدها، ولا مادة بلا روح، ولا روحاً بلا مادة، ولا عملاً بلا مسجد، ولا مسجداً بلا عمل، وتلك هي مزايا الإسلام الخالدة، التي جعلته يصلح لكلِّ زمان ومكان.

القـائـد

أثبت عبد الرحمن بن عوف كفاية قتاليّة متميِّزة في كلِّ غزوة خاضها تحت لواء الرّسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام، فأسر في بعض تلك الغزوات أسرى من المشركين، وقتل منهم قتلى، وباشر القتال في الصفوف الأماميّة، وثبت مع عدد قليل من المسلمين ثبتوا إلى جانب الرسول ﷺ واستقتل في الدفاع عن النبيّ ﷺ حتى أصيب بأكثر من عشرين جرحاً، أحدها في ثَنِيَّتِيه فهُتم، وفي رجله فعرج كلّ حياته، فكان عَرَجُهُ بعد إصابته برجله يوم أُحُد شاهداً على ثباته العنيد ووساماً على شجاعته وبطولته.

لقد أبلى بلاءً حسناً في كلّ غزوة خاضها، وبخاصة غزوة أُحُد وأبدى شجاعة نادرة في تلك الغزوة وفي غيرها من الغزوات، حتى أصبح معدوداً من شجعان المسلمين المعدودين الذين يشار إليهم بالبَنان، ويرشّحون لقيادة السرايا على عهد النبيّ ﷺ وقيادة الجيوش بعد انتقاله عليه الصّلاة والسّلام إلى الرفيق الأعلى.

ولم يكن مجاهداً من الطراز الأول بنفسه حسب، بل كان مجاهداً من الطراز الأول بماله أيضاً، وقد ذكرنا جهاده بالمال نقداً وإبلاً وخيولاً، حتى

(١) المعارف (٥٧٥).

نزلت فيه وفي عثمان بن عفّان آية من آيات الذِّكر الحكيم كما ذكرنا ذلك في جهاده بالمال أيضاً.

لقد كان ذكياً ألمعيّ الذكاء، آلِفاً مألوفاً، يحبّ رجاله ويحبونه، ويثق بهم ويثقون به، ذا شخصيّة قوية متّزنة، ملتزماً بتعاليم الدين الحنيف في الحرب العادلة، فلا يغدر ولا يغلّ ولا ينقض عهداً ولا يقتل وليداً ولا امرأة ولا يعتدي على أحد، فكان يجاهد لإعلاء كلمة الله ولتكون كلمة الله هي العليا ولحماية الإسلام والمسلمين والدفاع عنهم وحماية حريّة نشر العقيدة.

وكان ذا إرادة قويّة ثابتة، يتحمّل المسؤولية ولا يلقيها على عواتق الآخرين أو يتهرّب منها، له نفسيّة لا تتبدّل في حالتي النصر والهزيمة، عارفاً بنفسيات رجاله وطاقاتهم وقدراتهم وكفاياتهم، له ماضٍ ناصع مجيد.

وكان عارفاً بمبادىء الحرب، مطبِّقاً لها، يختار مقصده اختياراً دقيقاً، وكان قائداً تعرّضياً، يطبّق مبدأ المباغتة على خصمه، ويحرمه من تطبيق هذا المبدأ على رجاله، يحشد قوّته قبل المعركة، ويقتصد بالمجهود ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ويحرص على أمن رجاله حرصاً بغير حدود، خططهُ مرنة، يتعاون تعاوناً وثيقاً مع القيادة من جهة ومع رجاله من جهة أخرى، ويديم معنويات قوّاته، ويؤمِّن لها أمورها الإداريّة.

يتحلّى بالطاعة والضبط المتين، ولا يخالف الأوامر التي تصدر إليه، ولا يحب الفتنة ولا يحبّ أهلها ولا يسعى إليها بسيفه أو يده أو لسانه أو بها جميعاً، فمصلحة المسلمين ووحدة كلمتهم وصفوفهم هي هدفه الأعلى الذي يسعى إلى تحقيقه بكلٍ ما يستطيع من قوّة وتصميم وعزم.

ولم يكن يحبّ الإمارة ولا يسعى إليها، ولكنّه لا يمتنع عن تولِّيها باعتبارها تكليفاً لا تشريفاً.

لقد كان من أولئك القادة الذين يعملون لعقيدتهم ولإخوانهم في العقيدة، ولا يعملون لأنفسهم ولذوي قرباهم، فمصلحته الخاصة لا شيء

بالنِّسبة للمصلحة العامّة للإسلام والمسلمين، وماله وروحه في خدمة الإسلام والمسلمين.

ولولا الإسلام لم يكن عبد الرحمن شيئاً مذكوراً، لذلك وهب كلّ شيء يملكه ويقدر عليه للإسلام.

عبد الرّحمن في التّاريخ

يذكر التاريخ لعبد الرحمن، أنّه كان أحد الثمانية الذين سبقوا للإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصدِّيق.

ويذكر له، أنّه كان من المهاجرين الأوّلين إلى الحبشة، وإلى المدينة المنوّرة.

ويذكر له، أنّه أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، وأحد الستّة أصحاب الشورى الذين جعل عمر بن الخطّاب الخلافة فيهم، وأخبر أنّ رسول الله ﷺ تُوفي وهو عنهم راضٍ.

ويذكر له، أنّ النبيّ ﷺ صلّى خلفه في غزوة تبوك.

ويذكر له، أنّه من القلائل الذين ثبتوا يوم أُحُد دفاعاً عن النبيّ ﷺ وعن الإسلام.

ويذكر له، أنّه قاد سريّة من سرايا النبيّ ﷺ إلى بني كَلْب في دُوْمَة الجَنْدَل، فنجح في مهمّته أعظم نجاح.

ويذكر له، أنّه أخرج نفسه من الخلافة، واختار للمسلمين خليفتهم الجديد.

ويذكر له، أنّه جاهد بماله جهاداً كبيراً، كما جاهد بنفسه في سبيل الله.

رضي الله عن الصحابي الجليل، القائد الشجاع، المحدِّث الفقيه، التقيّ النقي، الغنيّ المُنْفِق، عبد الرّحمن بن عوف الزُّهْرِيّ.

عبد اللّه بن عَتِيْك الأنصاري الخَزْرَجِيّ
القائـد الشهيـد

نسبـه وأيـامـه

هو عبد الله بن عَتِيْك بن قيس بن الأسود بن مريّ[1] بن كَعْب بن غَنْم بن سَلِمَة بن الخزرج الأنصاري[2]، من بني غَنْم بن سَلِمَة من الخزرج[3].

شهد أُحُداً وما بعدها من المشاهد لا اختلاف في ذلك[4]، والاختلاف في أنّه شهد بدراً، فقد بُنِيَ قولهم: إنّه شهدها على الظنّ[5]، عدا واحداً نصّ على أنّه شهد بدراً[6]. ولم أجد اسمه بين أسماء البدريين في المصادر كافة، ولو شهدها لورد اسمه بين تلك الأسماء، أسوة بغيره.

وعلى كلِّ حال، نال ابن عَتِيْك شرف الصّحبة وشرفَ الجهاد تحت لواء النبيّ ﷺ، وهو شرف عظيم.

كما تولّى قيادة سرية من سرايا النبيّ ﷺ[7]، فكان جندياً مجاهداً

(١) في الإصابة (٤/ ١٠١): الأسود بن بري، وهو تصحيف.
(٢) جمهرة أنساب العرب (٣٦١)، والإصابة (٤/ ١٠١)، وأسد الغابة (٣/ ٢٠٤)، والاستبصار (١٦٨).
(٣) جمهرة أنساب العرب (٣٦١)، والاستبصار (١٦٨).
(٤) الإصابة (٤/ ١٠١).
(٥) الإصابة (٤/ ١٠١)، وأسد الغابة (٣/ ٢٠٤)، والاستيعاب (٣/ ٩٤٧).
(٦) الاستبصار (١٦٨).
(٧) الاستبصار (١٦٩)، والإصابة (٤/ ١٠١)، وأسد الغابة (٣/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤)، =

وقائداً من قادة المسلمين في عهد النبيّ ﷺ.

واستشهد عبد الله بن عَتِيْك يوم (اليَمَامة)[1] التي كانت بين المسلمين في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه بقيادة خالد بن الوليد وبين المرتدين بقيادة مُسَيْلَمَة الكذّاب، في شهر ربيع الأوّل من سنة اثنتي عشرة الهجرية[2]، فاستشهد من الصّحابة أربعمائة وخمسون رجلاً، وقيل: استشهد من الصحابة ستمائة نَفْس[3]، وكان عبد الله بن عَتِيْك أحد الصّحابة الشهداء في هذه المعركة[4]، وكان من بين الصحابة الشهداء خمسون أو ثلاثون من حملة القرآن[5]. والواقع أنّ معركة اليمامة كانت سنة إحدى عشرة الهجرية[6] لا سنة اثنتي عشرة الهجرية.

وذُكر أنّه شهد معركة (صِفِّين) مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[7]، والصّحيح هو أنّه استُشهد يوم اليَمَامة في خلافة أبي بكر سنة اثنتي عشرة الهجرية[8]، لإجماع مؤرّخي سيرته على ذلك، واسمه ورد في قائمة الشهداء التفصيليّة في معركة اليمامة[9].

وعبد الله بن عَتِيك ليس أخا جبر بن عتيك، وقيل: جابر بن عتيك، لأنّ نسب جابر أو جَبْر ـ على الأصح ـ هو جبر بن عتيك بن الحارث بن

= والاستيعاب (٣/ ٩٤٦).

(١) اليمامة: قرية في نجد، بينها وبين البحرين عشرة أيام، وتسمى: جَوّاً والعَروض، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ٥١٥ ـ ٥١٦) وهي في منطقة الرياض حالياً.

(٢) العبر (١/ ١٣).

(٣) العبر (١/ ١٤).

(٤) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٨٠).

(٥) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٧٧).

(٦) الطبري (٣/ ٢٨١)، وابن الأثير (٢/ ٣٦٠).

(٧) أسد الغابة (٣/ ٢٠٤)، والاستيعاب (٣/ ٩٤٧)، والإصابة (٤/ ١٠١).

(٨) الإصابة (٤/ ١٠١).

(٩) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٧٧ ـ ٨٣).

قيس بن هبشة بن الحارث بن أُمَيّة بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف، بطن من بطون الأوس[1]، بينما عبد الله بن عتيك من الخزرج كما ذكرنا. ومما يقوي أنّه ليس بأخ له، أن الأوس قتلوا كعب بن الأشرف والخزرج قتلوا أبا رافع، لا يختلف أهل السِّير في ذلك[2].

روى عن معاوية بن أبي سفيان وعُبَادة بن الصّامِت. وروى عنه محمّد بن سِيْرِيْن. وذكره ابن حِبَّان في الثّقات. روى له النسائي وابن ماجه حديثاً واحداً في بيع الذّهب بالذّهب[3].

وكانت أمّ عبد الله بن عَتِيْك يهوديّة بخَيْبَر[4] أرضعته[5]، وكان يرطن باليهوديّة[6] (العِبْرِيّة)، وكان ضعيف البصر[7].

سـريّتُـه

وكانت في رمضان من سنة ست الهجرية[8].

انقضى شأن غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب، وانقضى شأن قُرَيْظَة، وكان أبو رافع سَلاَّم بن أبي الحُقَيْق ممَّن حزّب الأحزاب وألّب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل غزوة (أُحُد) قد قتلت اليهودي كَعْب بن

(١) الاستبصار (٣٠٢)، وانظر أسد الغابة (٣/ ٢٠٥).
(٢) أسد الغابة (٣/ ٢٠٥).
(٣) تهذيب التهذيب (٥/ ٣١٢)، وانظر خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٢٠٦)، وأسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة (٣٠٧).
(٤) خيبر: ناحية على ثمانية بُرُد من المدينة لمن يريد الشام، ويطلق هذا الاسم على الولاية. انظر معجم البلدان (٣/ ٤٩٥).
(٥) مغازي الواقدي (١/ ٣٩١).
(٦) مغازي الواقدي (١/ ٣٩٢)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٩١).
(٧) سيرة ابن هشام (٣/ ٣١٥)، والدرر (١٩٦).
(٨) طبقات ابن سعد (٢/ ٩١)، وفي ابن الأثير (٢/ ١٤٦) أنها كانت في جمادى الآخرة من السنة الثالثة الهجرية، وهذا وهمٌ. لأن هذه السرية كانت بعد غزوة الخندق.

الأشرف في عداوته رسول الله ﷺ[1]، وكانت الأوس والخزرج يتصاولان تصاول الفحول: لا تصنع الأَوس شيئاً فيه عن رسول الله ﷺ غَنَاء[2] إلاّ قالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فَضَلاً علينا عند رسول الله ﷺ في الإسلام، فلا يَنْتَهُونَ حتى يُوقعوا مثلها، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك.

ولما أصابت الأوس كَعْب بن الأشرف في عداوته رسول الله ﷺ، قالت الخزرج: والله لا تذهبون بها فضلاً علينا أبداً.

وتذاكر الخزرج: مَنْ رجلٌ لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبي الحُقَيْق، وهو بخَيْبَر، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله، فأذن لهم، فخرج إليه خمسة نفر من الخزرج، كلّهم من بني سَلِمَة، وهم: عبد الله بن عَتِيْك، وعبد الله بن أُنَيْس، وأبو قَتَادة الحارث بن رِبْعِيّ، ومَسْعود ابن سِنَان، وخَزَاعِيّ بن الأسوَد[3] حليف لهم من المسلمين من أَسْلَم.

وأمّر رسول الله ﷺ عليهم عبدَ الله بن عَتِيْك، ونهاهم عن قتل النّساء والصبيان، فنهضوا حتى أتوا خيبر ليلاً.

وكان سَلاّم ساكناً في دار في جماعة من يهود، فلم يَدَعُوا بيتاً في الدّار إلاّ أغلقوه على أهله، وكان سَلاَّم في عِلِّيَةٍ له إليها عَجَلَة[4]، فأسندوا فيها[5] حتى قاموا على بابه، فاستأذنوا عليه، فخرجت إليهم امرأته فقالت: «مَنْ أنتم؟»، قالوا: «ناس من العَرَب نلتمس المِيْرَة»، قالت: «ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه».

---

(١) الدرر (١٩٥).
(٢) غَناء: منفعة ودفع مكروه عنه، وجلب فائدة.
(٣) يسمى أيضاً الأسود بن الخزاعي، انظر الإمتاع وتاريخ الخميس.
(٤) له إليها عجلة: المراد بالعجلة هنا جذع النخلة، كانوا ينقرون في مواضع منه نقراً بعضها فوق بعض ثم يجعلونه كالسلّم يصعدون عليه إلى الغرف والأماكن العالية.
(٥) أسندوا فيها: علوا وارتفعوا. وتقول: أُسند فلان إلى الجبل، إذا علا فيه وارتفع.

فلما دخلوا أغلقوا الباب على أنفسهم تخوّفاً أن تكون دونه مُجَاولة[1] تحول بينهم وبينه، فصاحت امرأته فهمّوا بقتلها، ثمّ ذكروا نهي النبيّ ﷺ عن قتل النساء، فأمسكوا عنها، ثمّ تعاوروه بأسيافهم وهو راقد على فراشه، أبيض في سواد اللّيل كأنّه قُبْطِيّة[2] مُلْقَاة، ووضع عبد الله بن عَتِيْك سيفه في بطنه حتى أنفذه، كما تحامل عليه بالسيف عبد الله بن أُنيس في بطنه حتى أنفذه، وسلاّم يقول: قَطْنِي... قَطْنِي، أي حَسْبِي حَسْبِيْ.

وخرج أفراد السريّة من حجرة سَلاَّم، وكان عبد الله بن عَتِيك سَيِّىءَ البصر، فوقع من الدّرجة فَوُثِئَتْ[3] رجله وثئاً شديداً، فحمله أصحابه حتى أتوا مَنْهَراً من مناهِرِهم[4]، فدخلوا فيه واستتروا.

وخرج أهل الآطام، وأوقدوا النيران في كلِّ وجه، فلما يئسوا رجعوا إلى آطامهم.

وقال أفراد السريّة: «كيف لنا بأن نعلم بأنّ عدوّ الله قد مات؟»، فرجع أحدهم ودخل بين الناس، فوجد امرأته ورجالٌ يهود حوله، وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدِّثهم وتقول: «أما والله! لقد سمعت صوت ابن عَتِيْك، ثمّ أكذبتُ نفسي وقلت: أنّى ابن عَتِيك بهذه البلاد؟»، قال: «ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه، ثمّ قالت: فاظ[5] وإلَهِ يهود! فما سمعت من كلمة كانت ألذّ إلى نفسي منها»، وقد حدّث الذي ذهب يستطلع موت سَلاَّم أصحابه بحديثه هذا بعد عودته إليهم من مهمّته الاستطلاعية، فأيقنت السرية بهلاكه.

(١) المجاولة: الحركة تكون بينه وبينهم.
(٢) القبطيّة: ثوب يصنع بمصر أبيض من الكتان الرقيق، وهي منسوبة إلى القبط على غير قياس.
(٣) وثئت يده: شبه الفسخ في المفصل، أصاب العظم شيء ليس بالكسر. وقال بعض أهل اللغة: الوثء، تصدّع في اللّحم لا في العظم.
(٤) المنهر: مدخل الماء من خارج الحصن إلى داخله.
(٥) فاظ: مات، قال الرّاجز: «لا يَدْفِنون عنهم مَنْ فاظا».

واحتمل أفراد السريّة عبدَ الله بن عَتِيك، وقدموا على رسول الله ﷺ فأخبروه بقتل سَلاّم، واختلفوا عنده في قتله: كلّهم يدّعيه، فقال رسول الله ﷺ: «هاتوا أسيافكم»، فنظر إليها، فقال لسيف عبد الله بن أُنَيس: «هذا قتله، أرى فيه أثر الطّعام»[1].

قال حسّان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سَلاَّم بن أبي الحُقَيْق:

لِلَّــهِ دَرُّ عِصَــابَــة[2] لاقَيْتَهُــمْ ... يا ابنَ الحُقَيْقِ وأَنْتَ يا ابنَ الأَشْرَفِ
يَسْـرون بـالبيـضِ الخِفَـافِ إليكُـمُ ... مَرَحاً كـأُسدٍ في عَرِيْنٍ مُغْـرِفِ[3]
حتـى أتـوكُـم فـي مَحَـلِّ بـلادِكُـمْ ... فَسَقَـوْكُـمُ حَتْفـاً بِبِيْـضٍ ذُفَّـفِ[4]
مُسْتَنْصِـرِيـنَ لِنَصْـرِ دِيْـنِ نَبِيِّهِـم ... مُسْتَصْغِـريـن لكـلّ أمـرٍ مُجْحِـفِ[5]

وهكذا تخلص المسلمون من عدوٍّ لدود[6]، وكان إقدام عبد الله وإقدام سريته إقداماً فذّاً بكل معنى الكلمة.

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ٣١٤ ـ ٣١٦)، والدرر (١٩٥ ـ ١٩٦)، جوامع السيرة (١٩٨ ـ ٢٠٠)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٩٠ ـ ٩١)، وانظر مغازي الواقدي (١/ ٣٩١ ـ ٣٩٥)، وابن الأثير (٢/ ١٤٦ ـ ١٤٨).
(٢) العصابة: الجماعة.
(٣) يسرون: يسيرون ليلاً. والبيض الرقاق: السيوف. ومرحا: يروى بفتح الميم والراء جميعاً، وهو مصدر قولك: مرح فلان فهو مرح، أي نشط، والمرح: النشاط. ويروى بضمِّ الميم وسكون الراء، فهو جمع مَرِح بزنة كَتِف، وهو النّشيط. والأُسْدُ جمع أسد بفتحتين. والعرين: الغابة. وهي موضع الأسد. والمغرف: الذي التفّت أغصانه.
(٤) ذفف: بضم الذال وتشديد الفاء مفتوحة: السريعة القتل، تقول: ذففت على الجريح: إذا أسرعت في قتله ولم تمهله.
(٥) الأمر المجحف: الذي يذهب بالنفوس والأموال.
(٦) سيرة ابن هشام (٣/ ٣١٦ ـ ٣١٧).

الإنســـان والقائـــد

١ ـ لا نعرف شيئاً عن حياة عبد الله بن عتيك قبل الإسلام، ولا نعرف متى أسلم، ولا نشاطه في خدمة النبيّ ﷺ والإسلام والمسلمين.

كما لا نعرف شيئاً عن أهله وذريّته، وحسبنا أن نعلم أنّه كان صحابياً من الأنصار، وأنّه جاهد تحت لواء النبيّ ﷺ ما وسعه الجهاد.

أما تفاصيل حياته إنساناً، فلا نعلم عنها إلاّ القليل، واستشهد سنة إحدى عشرة الهجرية في معركة اليمامة[١].

٢ ـ ولكي نعرف أهميّة سرية عبد الله بن عَتِيك إلى أبي رافع سَلاَّم ابن أبي الحُقَيق، لا بد لنا من معرفة شيءٍ عن سلاّم بن أبي الحقيق.

كان من بني النَّضير اليهود، وحين قدم النبيّ ﷺ المدينة مهاجراً، نصبت أحبار يهود لرسول الله ﷺ العداوةَ بَغْياً وحَسَداً وضِغْناً، لما خصّ الله تعالى العربَ به من أخذه رسوله منهم، وأضاف إليهم[٢] رجال من الأوس والخزرج ممّن عَسَا على جاهليته[٣]، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشِّرك والتكذيب بالبعث، إلاّ أنّ الإسلام قهرهم بظهوره، واجتماع قومهم عليه، فَظَهَروا بالإسلام، واتّخذوه جُنَّة[٤] من القتل، ونافقوا في السرِّ، وكان هَوَاهم مع يهود، لتكذيبهم النبيّ ﷺ وجحودهم الإسلام، وكان أحبار يهود هم الذين يسألون رسول الله ﷺ ويتعنّتونه[٥] ويأتونه باللَّبْس لِيَلْبِسُوا الحقّ بالباطل، فكان القرآن ينزل فيهم وفيما يسألون

---

(١) الطبري (٣/ ٢٨١)، وابن الأثير (٢/ ٣٦٠).

(٢) أضاف إليهم: مال إليهم، يريد أنّه أخذ بما أخذوا به من الحسد والبغض والعداوة.

(٣) عسا على جاهليته: بقي عليها واشتدّ في الأخذ بها، من قولهم: عسا العود يعسو: إذا قوي واشتدّ.

(٤) جُنَّة: وقاية يجتنّون بها، أي يستترون.

(٥) يتعنتونه: أي يشقّون عليه، ويحاولون إنزال العنت به.

عنه، إلاّ قليلاً من المسائل في الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها، ومن أحبار يهود الذين نزل فيهم القرآن وكانوا يحقدون على النبيّ ﷺ ويتعنتونه: سَلاَّم بن أبي الحُقَيْق من يهود بني النّضير[١].

وحين حاصر النبيّ ﷺ بني النّضير وأجلاهم عن المدينة، كان سَلاَّم يهدِّد المسلمين قائلاً: «إنّ حلفائي بِخَيْبَر لعشرة آلاف مقاتِل»، فبلغ رسول الله ﷺ قوله، فتبسّم[٢]، ثم دارت الدائرة على بني النَّضِيْر، فاستسلموا للمسلمين.

وكان سلاّم من التجار الكبار الذين يتعاطون الرِّبا، وكان له على أُسَيْد بن حُضَير عشرون ومائة دينار إلى سنة، فلما أجلاهم النبيّ ﷺ صالحه سلاّم على أخذ رأس ماله ثمانين ديناراً، وأبطل ما فضل[٣] وصنع يهود المرابون صنيعه مُكْرَهين.

وأعطى النبيّ ﷺ سعد بن مُعَاذ سيف سلاّم بن أبي الحُقَيْق، وكان سيفاً له ذكر عندهم[٤]، وكان من جملة غنائم بني النَّضِيْر.

ولجأ سلاّم إلى خَيْبَر، فكان من يهود الذين حزّبوا الأحزاب من قريش وغَطَفان وبني قُرَيْظَة[٥]، فكانت غزوة الخندق ثمرة من ثمرات حقدهم وعملهم الدّائب على الإسلام، وقالوا: «إننا سنكون معكم حتى نستأصله»، وزعمت لقريش أنّ دين قريش خير من الإسلام[٦].

لقد كان سلاّم بن أبي الحُقَيْق من أخطر أعداء النبيّ ﷺ والإسلام والمسلمين، وكان لا بدّ من وضع حد لنشاطه المخرِّب، فقد كان لا يُريح

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٣٣ ـ ١٣٤).
(٢) مغازي الواقدي (١/ ٣٧٣).
(٣) مغازي الواقدي (١/ ٣٧٤).
(٤) مغازي الواقدي (١/ ٣٧٩).
(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٠).
(٦) سيرة ابن هشام (٣/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠).

ولا يَسْتَرِيح، ولكنّ القضاء عليه لم يكن سهلاً ميسوراً، وبخاصة وهو في حُصْنه الحصين، بين أهله وذويه الأقوياء، في وسط خَيْبَر المحصَّنَة ذات الحصون والقلاع، التي يحميها عشرة آلاف مقاتل[1]، والتي تستطيع إرسال ثلاثة آلاف مقاتل فوراً[2]، فلا بدّ من أن يوكل أمره إلى بطل مقدام، وكان هذا البطل هو عبد الله بن عَتِيْك.

والحديث عن شجاعته وإقدامه حديث مُعَادٌ، فهو الذي تطوّع لقتل سَلاَّم، فأمّره النبيّ ﷺ على سريته، فنهض بواجبه على أحسن وجه، وبشكل بطوليّ يدعو إلى فائق الإعجاب.

وقد كان التعاون بين أفراد السرية وثيقاً جداً، وأثر القائد في هذا التعاون لا يمكن إنكاره أو التّغاضي عنه.

وقد تولى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في شهر ربيع الأول من السنة التاسعة الهجرية قيادة سرية من سرايا النبيّ ﷺ، فولّى عبد الله بن عَتِيْك على الماشية والرِّثَّة[3] من الغنائم[4].

ولا يمكن أن يُوَلّي مثل هذا المنصب إلاَّ القويّ الأمين.

إنّه من أولئك القادة الذين يعملون لعقيدتهم لا لأنفسهم، فأكرمه الله بالشهادة، فسقط مضرّجاً بدمائه، دون أن يسقط من يده السيف.

ابن عَتِيك في التّاريخ

يذكر التاريخ لعبد الله بن عَتِيْك، أنّه نال شرف الصُّحْبة وشرف الجهاد تحت لواء الرّسول القائد عليه الصّلاة والسّلام.

---

(١) مغازي الواقدي (١/ ٣٧٣).
(٢) مغازي الواقدي (١/ ٣٩٣).
(٣) الرِّثَّة: رديء المتاع.
(٤) مغازي الواقدي (٣/ ٩٨٨).

ويذكر له، أنّه كان أحد قادة سرايا النبيّ ﷺ في حياته، وأنّه بقي مجاهداً بعد التحاقه بالرفيق الأعلى.

ويذكر له، أنّه حقّق أغلى أمانيه في حياته، فنال الشّهادة في ميدان القتال دفاعاً عن الإسلام.

ويذكر له، أنّه ضحّى بروحه من أجل عقيدته، ولم يُضَحِّ بعقيدته من أجل روحه.

ويذكر له، أنّه كان من وجوه الأوس والخزرج[1] من الأنصَار في المدينة المنورة، وأنّه تقدّم بعمله الدّائب في خدمة الإسلام والمسلمين.

رضي الله عن الصحابيّ الجليل، القويّ الأمين، القائد الشّجاع، عبد الله بن عَتِيْك الأنصاري الخزرجيّ.

---

(١) مغازي الواقدي (٣/ ٩٨٤).

عبد الله بن رَوَاحَة الأَنصاري الخزرجيّ
النّقيب الشّاعر القائد الشّهيد

نسبه وأيّامه الأولى

هو عبد الله بن رَوَاحَة بن ثَعْلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كَعب بن الخَزْرَج بن الحَارث بن الخَزْرَج[1].

وأمّه: كَبْشَة بنت واقِد بن عمرو بن الإِطنابة بن زيد مَنَاة بن مالك الأغر[2]، من الخزرج أيضاً، يلتقي نسبهما بمالك الأغرّ.

وكان ابن رواحة يكنى: أبا محمّد، وقيل: يكنى أبا رواحة[3]، ولعلّه كان يكنى بهما جميعاً[4]، وليس له عقب[5]، وهو خال النُّعمان بن بشير[6]، لأنَّ عَمْرَة بنت رواحة هي زوج بشير بن سعد وأم النُّعمان بن بشير[7].

وكان عبد الله بن رواحة يكتب في الجاهليّة، وكانت الكتابة في

---

(١) جمهرة أنساب العرب (٣٦٣)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٥٢٥).
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٢٥).
(٣) أسد الغابة (٣/ ١٥٦)، والإصابة (٤/ ٦٦).
(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٢٦).
(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٢٦)، وفيه أنه خال بشير بن سعد، والصحيح أن بشيراً زوج أخت عبد الله بن رواحة.
(٦) أسد الغابة (٣/ ١٥٧).
(٧) الاستبصار (١١٢).

العرب قليلة[1]، فكان من القلائل الذين يكتبون في الجاهليّة.

أسلم قديماً[2]، وشهد بيعة العَقَبَة الآخرة، وبايع رسول الله ﷺ بها، وكان الذين شهدوها من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين[3]، وقيل: كانوا سبعين وامرأتين[4]. واختار النبيّ ﷺ اثني عشر نقيباً، كان منهم عبد الله بن رواحة[5].

ولما هاجر النبيّ ﷺ من مكّة إلى المدينة، صلّى الجمعة في المسجد الذي في بطن الوادي في بني سالم بن عوف، فكانت أوّل جمعة صلاّها في المدينة، فأتاه رجال من بني سالم بن عَوْف، فقالوا: «يا رسول الله! أقم عندنا في العَدَد والعُدَّة والمَنْعَة؟»، فقال: «خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة» لناقته، فخلّوا سبيلها، فانطلقت، فمرت بدار الحارث بن الخزرج، فاعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة في رجال من بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: «يا رسول الله! هَلُمَّ إلينا إلى العَدَد والعُدَّة والمَنَعَة»، فقال: «خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة»[6].

وفي المدينة آخى النبيّ ﷺ بين عبد الله بن رواحة والمقداد بن عمرو[7]، فأصبح ابن رواحة أحد أفراد المجتمع الإسلامي الجديد في المدينة المنوّرة.

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٢٦)، وتهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩٠).
(٢) البداية والنهاية (٤/ ٢٥٦).
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٣) و (٢/ ٦٧).
(٤) الدرر (٧٥).
(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٧)، وأنساب الأشراف (١/ ٢٤٤)، والدرر (٧٥)، وجوامع السيرة (٧٦)، والمحبّر (٢٦٩).
(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ١١٢)، والدرر (٩٣)، وجوامع السيرة (٩٤).
(٧) الدرر (٩٩).

فـي الجهــاد

١ ــ مع النبيّ ﷺ:

في غزوة بدر الكبرى، خرج عُتْبَة بن ربيعة بين أخيه شَيْبَة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتْبَة، ودعوا إلى المبارزة، فخرج إليهم فتية من الأنصار ثلاثة، وهم: عَوْف ومعوِّذ ابنا عَفْراء، وعبد الله بن رواحة، فقالوا: «لستُم لنا بأكْفاء». وأبوا إلاّ قومهم، فخرج إليهم حمزة بن عبد المُطَّلب وعُبَيْد بن الحارث، وعليّ بن أبي طالب، فبارز عُبَيْدَةُ وكان أسنّ القوم عُتْبَة بن ربيعة، وبارز حمزةُ شَيْبَة بن ربيعة، وبارز عليٌّ الوليدَ بن عُتْبَة. وأما حمزة فلم يُمهل شيبة أن قتله، وأما عليّ فلم يُمهل الوليد أن قتله، وأما عبيدة وعتبة فقد اختلفا ضربتين، كلاهما جرح صاحبه، فكرّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عُتْبَة، فقتلاه واحتملا عُبَيْدة إلى أصحابه[١].

ولما انتصر المسلمون على المشركين في بدر، بعث النبيّ ﷺ عبدَ الله ابن رواحة بشيراً بالنَّصْر إلى أهل (العالية)[٢]، وبعث زيد بن حارثة الكَلْبِيّ إلى أهل (السّافلة)[٣]، فجعل عبد الله ينادي على راحلته: «يا معشر الأنصار! أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ، وقَتْلِ المشركين وأسرِهم! قُتل ابنا ربيعة، وابنا الحجّاج، وأبو جَهْل، وقتل زَمعة بن الأسود، وأُميّة بن خلف، وأُسر سُهَيْل بن عمرو ذو الأنياب في أسرى كثيرة»، قال عاصم بن عَدِيّ: «فقمت إليه، فنحوته، فقلت: أحقّاً ما تقول؟ قال: إي والله، وغداً يقدُم رسول الله ﷺ إن شاء الله ومعه الأسرى مقرّنين»، ثمّ اتّبع دور الأنصار بالعالية ـ العالية بنو عمرو بن عوف وخَطْمَة ووائل، منازلهم بها ـ فبشّرهم داراً داراً، والصبيان يشتدّون معه[٤].

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٥)، والدرر (١١٤)، وجوامع السيرة (١١٢ ـ ١١٣).

(٢) العالية: اسم لكل ما كان من جهة نجدٍ من المدينة من قراها وعمايرها إلى تِهامة فهي العالية، وما كان دون ذلـك من جهة تِهامة فهي السافلة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ١٠٠ ـ ١٠١).

(٣) انظر المادة (٢) في الهامش، وانظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥).

(٤) مغازي الواقدي (١/ ١١٤ ـ ١١٥).

وكانت غزوة بدر الكبرى في شهر رمضان من السنة الثانية الهجرية[1].

ب ـ وشهد عبد الله بن رواحة غزوة (أُحُد)[2]، فلما استُشهد حمزة ابن عبد المطّلب عمّ النبيّ ﷺ وعاد النبيّ أدراجه مع المسلمين إلى أهله، ساق عبد الله بن رواحة نساء بني الحارث بن الخزرج إلى قرب دار النبيّ ﷺ، فَنَدَبْنَ حمزةَ مع نساء الأنصار، فأمر النبيّ ﷺ أن يَعُدْنَ إلى منازلهن بعد أن دعا لهنّ ونهاهنّ الغد عن النّوح أشدّ النّهي[3].

وكانت غزوة (أُحُد) في شهر شوّال من السنة الثالثة الهجريّة[4].

جـ ـ وفي غزوة بدر الآخرة التي كانت في شهر شعبان[5] من السنة الرابعة الهجرية، استُخلف عبد الله بن رواحة على المدينة[6]، فأقام النبيّ ﷺ على ماء بدر ثمانية أيام، ولكنّ أبا سفيان بن حرب لم يحضر مع قريش لقتال المسلمين كما وعد، فعاد المسلمون إلى المدينة دون أن يلقوا كيداً[7].

د ـ وفي غزوة الخَنْدَق، وهي غزوة الأحزاب التي كانت في شهر شوال من سنة خمس الهجرية[8]، انضمّت يهود بني قُرَيْظَة إلى الأحزاب ونقضت عهدها. فلما علم النبيّ ﷺ بانتقاض قُرَيْظَة، بعث سعد بن مُعَاذ بن النُّعمان وهو يومئذ سيّد الأوس، وسعد بن عُبَادة بن دُلَيْم أحد بني ساعدة

(١) ابن الأثير (٢/ ١١٦)، وتاريخ خليفة بن خياط (١/ ١٥)، والعبر (١/ ٢).
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٢٦).
(٣) مغازي الواقدي (١/ ٣٨٧).
(٤) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٢٦)، والعبر (١/ ٥).
(٥) سيرة ابن هشام (٣/ ٢٢١).
(٦) مغازي الواقدي (١/ ٣٨٤).
(٧) سيرة ابن هشام (٣/ ٢٢١ ـ ٢٢٢).
(٨) سيرة ابن هشام (٣/ ٢٢٩).

ابن كَعب بن الخزرج وهو يومئذٍ سيِّد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رَواحة وخَوّات بن جُبَير أخو بني عمرو بن عوف، فقال: «انطلقوا حتى تنظروا أحقّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا، فإن كان حقّاً، فألحنوا لي لحناً أعرفه[1]، ولا تَفُتُّوا في أعضاد الناس[2]، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم، فاجهروا به للناس». وخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم. وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ، فسلّموا عليه، ثمّ قالوا: عَضَلٌ والقَارة، أي كغدر عَضَل والقارة بأصحاب الرَّجِيْع: خُبَيْب وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين»[3].

وانتهى الخبر حول نقض بني قُرَيْظَة العهد، فاشتدّ الخوف وعظم البلاء[4].

وبعثت عَمْرَة بنت رواحة ابنتها بجفنَة تمر عَجْوَة في ثوبها، وكان المسلمون قد أصابتهم مجاعة شديدة، وكان أهلوهم يبعثون إليهم بما قدروا عليه، وقالت عَمْرَة لابنتها: «يا بُنَيّة! اذهبي إلى أبيك بشير بن سعد، وخالك عبد الله بن رواحة، بغدائهما»، فانطلقت الجارية حتى أتت الخندق، فوجدت رسول الله ﷺ جالساً في أصحابه، فقال: «تعالي يا بُنَيّة، ما هذا معك؟»، فقالت: بعثتني أُمِّي إلى أبي وخالي بغدائهما، فقال رسول الله ﷺ: «هاتيه»، ثم أمر بثوب فبُسط له، وجاء بالتّمر فنثره عليه فوق الثّوب، ونادى أهل الخندق للغداء، فاجتمعوا عليه يأكلون منه[5].

---

(١) فالحنوا لي لحناً: اللّحن: أن يخالف ظاهر الكلام معناه، قال الشاعر:
ولقد لحنتُ لكم لكيما تفهموا　　　واللّحن يفهمه ذوو الألباب
(٢) يقال فتّ في عضده: إذا ضعفه وأوهنه.
(٣) سيرة ابن هشام (٣/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨)، وانظر مغازي الواقدي (٢/ ٤٢١).
(٤) مغازي الواقدي (٢/ ٤٥٩)، والدرر (١٨٣)، وجوامع السيرة (١٨٨).
(٥) مغازي الواقدي (٢/ ٤٧٦).

٢ ـ قائد السريّة:

كانت هذه السريّة في شوال سنة ست الهجرية إلى أُسَيْر بن رازِم اليهودي، فلما قُتل سَلاَّم بن أبي الحُقَيْق اليهودي، أَمَّرت يهود عليهم أُسَيْر بن رازِم، فسار في غَطَفَان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله ﷺ. وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فوجّه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر في شهر رمضان سرّاً، فسأل عن خبره وغِرّته، فأُخبر بذلك. وقدم على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فندب رسول الله ﷺ الناس، فانتدب له ثلاثون رجلاً، فبعث عليهم عبد الله بن رواحة.

وقدموا على أُسير فقالوا: «نحن آمِنون حتى نعرض عليك ما جئنا له؟»، قال: «نعم، ولي منكم مثل ذلك؟»، فقالوا: «نعم».

وقالوا لأُسير: «إن رسول الله ﷺ، بعثنا إليك لتخرج إليه، فيستعملك على خَيْبَر ويُحسِن إليك»، فطمع في ذلك، وخرج، وخرج معه ثلاثون رجلاً من يهود، مع كل رجل رديف من المسلمين، حتى إذا كانوا بـ (قَرْقَرة ثِبَار)[١]، ندم أُسير، وفكر بالخيانة. قال عبد الله بن أُنَيْس ـ وكان في السريّة ـ: «وأهوى بيده إلى سيفي، ففطنت له، ودفعت بعيري، وقلت: غدراً أيْ عدوَّ الله! فعل ذلك مرتين، فنزلت فَسُقْتُ بالقوم حتى انفرد لي أُسير، فضربته بالسيف فأندرتُ عامة فَخِذِه وساقه وسقط عن بعيره، وبيده مِخْرَش[٢] من شَوْحَط[٣] فضربني فشجّني، وملنا على أصحابه فقتلناهم كلّهم غير رجل واحد أعجزنا شدّاً، ولم يُصَبْ من المسلمين أحدٌ. ثم أقبلنا إلى رسول الله ﷺ فحدّثناه الحديث، فقال: «نجّاكم الله من القوم الظالمين»[٤].

---

(١) قرقرة ثبار: موضع على ستة أميال من خيبر باتجاه المدينة. انظر معجم البلدان (٣/ ٥).
(٢) المخرشة: عصا معوجّة الرأس كالصولجان.
(٣) شوحط: ضرب من شجر جبل السَّراة تتّخذ منه القِسِي. واحدته: شوحطة.
(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ٩٢ ـ ٩٣)، ومغازي الواقدي (٢/ ٥٦٦ ـ ٥٦٨)، وسيرة =

وهكذا أدّى عبد الله بن رواحة واجبه على أحسن الوجوه، دون أن يتكبّد المسلمون خسائر ماديّة بالأرواح والمواد.

٣ ـ قبل سريّة مُؤْتَة[١]:

أ ـ شهد عبد الله بن رواحة بعد عودته من سريته إلى خَيْبَر غزوة الحُدَيْبِيَة[٢] وغزوة خَيْبَر، وفي الطريق إلى خيبر، قال النبيّ ﷺ لعبد الله بن رواحة: «ألا تُحَرِّكُ بنا الرَّكْب؟»، فنزل عبد الله عن راحلته وقال:

والله لولا أنتَ ما اهتَدَينا ... ولا تَصَدَّقْنا ولا صَلَّيْنَا
فأَنْزِلَنْ سَكِينَةً علينا ... وثبِّتِ الأقدامَ إنْ لاقَينا
والمشركون قد بغوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ ارحمْهُ»، فقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: «وَجَبت يا رسول الله!»، فقُتل يوم مُؤتة شهيداً[٣].

ولما قسم النبيّ ﷺ خيبر على المسلمين كان سهم بني الحارث بن الخزرج، لكلِّ مائة رأس منهم رأس يُعْرَف يُقْسَم على أصحابه ما خرج من غلّتها، وكان رأس بني الحارث بن الخزرج عبد الله بن رواحة[٤].

وكان رسول الله ﷺ يبعث إلى أهل خيبر خَارِصاً[٥] بين المسلمين ويهود، فيَخْرِص عليهم، فإذا قالوا: تَعَدَّيتَ علينا، قال: «إن شئتم فلنا، وإن شئتم فلكم»، فتقول يهود: «بهذا قامت السموات والأرض»، وإنما

= ابن هشام (٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣)، وعيون الأثر (٢/ ١١١)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٧٨).

(١) مؤتة: قرية من قرى البلقاء في حدود الشّام على اثني عشر ميلاً من أذرح، انظر معجم البلدان (٨/ ١٩٠).

(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٢٦).

(٣) مغازي الواقدي (٢/ ٦٣٩)، وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ٥٢٦).

(٤) مغازي الواقدي (٢/ ٦٨٩ ـ ٦٩٢) و (٢/ ٧١٨).

(٥) الخارص: الذي يقدّر التمر وهو على أصوله قبل أن يجد، والخرص هنا هو: التقدير.

خرص عليهم ابن رواحة عاماً واحداً، ثم أُصيب بمؤتة[١].

ب ـ وشهد عُمْرَة القضاء[٢]، التي كانت في شهر ذي القعدة من سنة سبع الهجرية[٣]، وحين دخل رسول الله ﷺ مكّة في تلك العُمْرَة، دخلها عبد الله بن رواحة آخذاً بخطام ناقته يقول:

خلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عن سَبِيْلِهِ ... خلُّوا فكلُّ الخَيْرِ في رسولِه[٤]
يا ربِّ إنِّي مُؤمِنٌ بِقِيْلِهِ ... أعرفُ حقَّ اللَّهِ في قَبُولِه[٥]
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ على تأويلِه ... كما قتلناكم على تنزيلِه
ضَرْباً يُزِيلُ الهامَ عن مَقِيْلِهِ ... وَيُذْهِلُ الخليلَ عن خلِيْلِهِ[٦]

فقال عمر بن الخطّاب: «يا ابن رواحة! حرم الله وبين يدي رسول الله ﷺ وتقول هذا الشعر؟!»، فقال النبيّ ﷺ: «خَلِّ عنه يا عمر! فوالذي نفسي بيده لكلامه أشدّ عليهم من وقع النَّبْل»[٧].

٤ ـ في سَرِيَّة مُؤْتَة:

بعث النبيّ ﷺ في جمادى الأولى من سنة ثمانِ الهجريّة بعثه إلى الشّام في ثلاثة آلاف مجاهد، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: «إن

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ٤٠٩)، وانظر مغازي الواقدي (٢/ ٦٩١).
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٢٦).
(٣) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٤٨)، والعبر (١/ ٨).
(٤) سبيله: طريقه التي انتهجها له الله تعالى.
(٥) قيله: القيل بكسر القاف، والقول بفتح وسكون، والقال بالفتح وقلب الواو ألفاً، كلّ ذلك عند جماعة من أهل اللّغة بمعنى واحد، ويقال: القول هو المصدر، والقيل: الاسم.
(٦) الهام: جمع هامة، والمراد هنا الرأس، ومقيل الهام: الأعناق. ويذهل: يشغل، انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٤٢٥).
(٧) الإصابة (٤/ ٦٧)، وانظر مغازي الواقدي (٣/ ٧٣٦)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٥٢٧).

أُصيبَ زيدٌ فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس»، فتجهّز الناس ثم تهيَّئوا للخروج.

ولما أكملت السرية استحضاراتها للحركة، ودّع النّاس أمراءَ رسول الله ﷺ وسلّموا عليهم، فلما وُدِّع عبد الله بن رواحة مع مَنْ وُدِّع من أمراء رسول الله ﷺ بكى، فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: «أما والله ما بي حبُّ الدنيا ولا صَبَابة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية في كتاب الله عزّ وجلّ يذكر فيها النار: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إلاَّ وَارِدُها، كانَ على ربِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾[1]، فلست أدري كيف لي بالصُّدور بعد الوُرُود»، فقال المسلمون: صحبكم الله، ودفع عنكم، وردّكم إلينا صالحين، فقال عبد الله ابن رواحة:

لكنّني أسألُ الرحمنَ مغفرةً ... وَضَرْبَةً ذاتَ فَرْغٍ تَقْذِف الزَّبَدا[2]
أو طعنةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهَزةً ... بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأَحشاءَ والكَبِدا[3]
حتى يُقالَ إذا مَرُّوا على جَدَثي ... أَرْشَدَهُ اللّهُ من غازٍ وقد رَشَدا[4]

وخرج القوم، وخرج رسول الله ﷺ يشيّعهم، حتى إذا ودّعهم وانصرف، قال عبد الله بن رواحة:

خلَفَ السَّلامُ على امرِىءٍ وَدَّعْتُهُ ... في النَّخلِ خَيرِ مُشَيِّعٍ وخَليلِ

ثم مضوا حتى نزلوا (مُعَان)[5] من أرض الشّام، فبلغ الناس أنّ

---

(١) الآية الكريمة من سورة مريم (١٩: ٧١).
(٢) ذات فرغ: يريد واسعة. والزّبد: أصله ما يعلو الماء إذا غلا، وأراد هنا ما يعلو الدم الذي ينفجر من الطعنة.
(٣) مجهزة: سريعة القتل، تقول: أجهز على الجريح، إذا أسرع في قتله. وتنفذ الأحشاء: تخرقها وتصل إليه.
(٤) الجدث بفتح الجيم والدال المهملة وآخره ثاء مثلثة: القبر.
(٥) معان: بلد في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء. انظر معجم =

هِرَقْل ملك الرّوم قد نزل (مَآب)[1] من أرض (البَلْقَاء)[2] في مائة ألفٍ من الروم، وانضمّ إليهم من لَخْم وجُذَام وبَلْقَيْن وبَهْراء وبَلِيّ مائة ألف منهم، عليهم رجل من بَلِيّ ثم من أحد إرَاشَة يقال له: مالك بن زافلة، فلما بلغ ذلك المسلمين، أقاموا على مُعَان ليلتين يفكّرون في أمرهم، وقالوا: «نكتب إلى رسول الله ﷺ، ونخبر به بعَدَد عدوّنا، فإمّا أن يمدّنا بالرجال، وإمّا أن يأمرنا بأمره فنَمْضِي»، فشجّع الناسَ عبد الله بن رواحة، وقال: «يا قوم! والله إنّ التي تكرهونَ للتي خرجتم تطلبون: الشّهادة. وما نقاتل الناسَ بعَدَد ولا قُوَّة ولا كثرة، ولا نقاتلهم إلاّ بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإمّا هي إحدى الحُسْنَيَيْن: إما ظهور، وإما شهادة»، فقال الناس: «قد والله صَدَقَ ابنُ رواحة»، فمضى الناس، فقال عبدالله بن رواحة في مَحْبَسِهم ذلك:

جَلَبْنَا الخيلَ من آجَاءِ فَرْعٍ ... تُغَرُّ من الحشيشِ لها العُكُومُ[3]
حَذَوْنَاهُمْ من الصَّوَّانِ سِبْتاً ... أَزَلَّ كأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيْمُ[4]
أقامتْ ليلتين على مُعَانٍ ... فأُعْقِبَ بعد فَتْرَتِهَا جُمُومُ[5]
فَرُحْنَا والجِيَادُ مُسَوَّمَاتٌ ... تَنَفَّسَ في مناخرها السَّموم[6]

= البلدان (٨/ ٩٣)، وهي مدينة أردنية في الوقت الحاضر.

(١) مآب: مدينة في طرف الشّام من نواحي البلقاء، انظر معجم البلدان (٧/ ٣٤٩).

(٢) البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشّام ووادي القرى، قصبتها عمّان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، انظر معجم البلدان (٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧).

(٣) أجأ ـ بفتح الهمزة والجيم وآخره همزة ـ: أحد جبلي طيء والآخر سلمى. وفرع، يروى بالعين المهملة وبالعين المعجمة: اسم موضع. وتغر: تطعم شيئاً بعد شيءٍ، تقول: غررت الطائر: إذا أطعمته. والعكوم: الجنوب. وفي رواية: جلبنا الخيل من آجام قرح. وقرح: اسم موضع أيضاً.

(٤) حذوناهم: أي جعلنا لهما حذاء، والحذاء: النعل، والصَّوَّان: الحجارة الملس، واحدتها صوانة. والسِبت: بكسر السين: النعال التي تصنع من الجلد المدبوغ. وأزل: أملس ظاهر الصفحة. والأديم: الجلد.

(٥) الجموم: استراحة الفرس، وأراد هنا استعداده ونشاطه.

(٦) مسوّمات: مرسلات، أو معلمات. والسموم: الريح الحارة.

فــلا وأبــي (مَــآبَ) لَنَــأْتِيَنْهــا وإنْ كــانــت بهــا عَــرَبٌ ورومُ
فَعَبَّــأْنَــا أَعِنَّتَهــا فجــاءَتْ عــوابِـسَ والغُبَـارُ لهـا بَـرِيْـمُ[1]
بــذي لَجَــبٍ كــأَنَّ البَيْــضَ فيــه إذا بَــرَزَتْ قَــوانِسُهــا النُّجــومُ[2]
فَــرَاضِيَــةُ المَعِيْشَــةِ طَلَّقَتْهَــا أَسِنَّتُهــا فتَنكِــحُ أو تَئِيْــمُ[3]

ومضى الناس قُدُماً إلى هدفهم، وكان زيد بن أَرقم يتيماً لعبد الله بن رواحة في حِجْرِه، فخرج به في سفره ذلك وقد أردفه على حقيبة[4] رَحْلِه، فسمعه ينشد في ليلة من اللّيالي هذه الأبيات:

إذا أَدَّيْتَنــي وحَمَلْــتِ رَحْلِــي مَسِيْــرَةَ أربــعٍ بعــد الحِسَــاء[5]
فَشَــأْنُــكِ أَنْعُــمٌ وخَــلاكِ ذَمٌّ ولا أَرْجِــعْ إلــى أَهْلِــيْ ورائــي[6]
وجــاء المسلمــون وغَــادَرُوْنــي بــأَرضِ الشَّــأْمِ مُشْتَهِــيَ الثَّــواءِ[7]
وردَّكَ كــلُّ ذي نَسَــبٍ قَــرِيْــبٍ إلــى الــرحمــنِ مُنْقَطِــعَ الإخَــاء
هنــالــك لا أُبــالــي طَلْــعَ بَعْــلٍ ولا نَخْــلٍ أســافِلُهــا رِواءِ[8]

(١) بريم: هو في الأصل خيط تنظمه المرأة ثمّ تشدّه على وسطها، وأراد ههنا الحزام.

(٢) بذي لجب: اللجب: كثرة الأصوات واختلاطها، وذو اللجب: الجيش، والقوانس: جمع قونس: وهو أعلى البيضة. والنجوم خبر كأن، وجملة الشرط وجوابه المحذوف: معترضة.

(٣) تئيم: تبقى بلا زوج.

(٤) الحقيبة: ما يجعله الراكب وراءه إذا ركب.

(٥) الحساء: جمع حسيْ، والحِسَيْ: سهل من الأرض يستنقع فيه الماء، أو غَلِظٌ فوقه رمل يجمع ماء المطر، وكلما نزحت دلواً، جَمّتْ أخرىٰ.

(٦) ولا أرجع: جزم هذا الفعل على الدعاء، يدعو على نفسه بأن يستشهد في هذه السريّة ولا يرجع إلى أهله.

(٧) الثواء: بفتح الثاء المثلثة، الإقامة، وتقول: ثوى في المكان يثوي ـ من باب ضرب ـ إذا أقام.

(٨) البعل: الذي يشرب بعروقه من الأرض، والعذى: الذي يشرب من ماء السماء، وقوله: أسافلها رواء: أظهر ما فيه أنّه مبتدأ وخبر، ففي هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الرويّ.

فما سمعها زيد بن أرقم حتى بكى، فخفقه[1] عبد الله بن رواحة بالدُرّة وقال: «ما عليك يا لُكَعْ[2] أن يرزقني الله شهادة، وترجع بين شُعْبتي الرَّحْل[3]؟».

وقال زيد بن أرقم: «قال عبد الله بن رواحة في سفره ذلك وهو يرتجز»:

يــا زَيْــدُ زَيْــدُ اليَعْمَــلاتِ الــذُّبَّــل   تَطَــاوَلَ اللَّيْــلُ هُــدِيْــتَ فــانْــزِلِ[4]

ومضى الناس، حتى إذا كانوا بتُخوم[5] البَلْقاء، ثمّ دنا العدو، انحاز المسلمون إلى قرية مُؤْتَة، فالتقى الناس عندها.

وتعبأ لهم المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذْرَة يقال له: قُطْبَة بن قَتَادَة، وعلى مَيْسَرَتهم رجلاً من الأنصار يقال له: عُبَادَة بن مالك.

والتقى الناس، ونشب القتال بين الجانبين، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ، حتى شاطَ في رِماحِ القوم[6].

وأخذ الراية جعفر بن أبي طالب، فقاتل بها حتى إذا أَلْحَمَهُ القتال اقتحم[7] عن فرس له شقراء، فعقرها، ثمّ قاتل القوم حتى قُتِل، فكان جعفر أوّل رجل من المسلمين عُقِرَ في الإسلام.

(١) خفقني: ضربني. والدُرَّة: العصا.
(٢) لكع: اللئيم.
(٣) شعبتا الرّحل: طرفاه المقدّم والمؤخّر.
(٤) اليعملات: جمع يعملة، وهي النّاقة السريعة. والذبل: التي أضعفها السير فقلّ لحمها.
(٥) تخوم: حدود الأرضين التي تقع بين أرض وأرض، ويقال بفتح التاء أو ضمّها.
(٦) شاط في رماح القوم: أي هلك، تقول: شاط الرجل، إذا سال دمُه فهلك.
(٧) اقتحم عن فرس له: أي رمى بنفسه عنها، يريد أنّه كان فارساً فترجّل.

وكان جعفر يردِّد حين كان يقاتل:

يـا حبَّـذَا الجَنَّـةُ واقتـرابُهـا ... طيِّبَـةً وبـارداً شـرابُهـا
والـرُّوم رُومٌ قـد دنـا عـذابُهـا ... كـافِـرَةً بعيـدةً أنسـابُهـا
عَلَيَّ إذ لاقيتُها ضِرَابُها

وأخذ جعفر اللِّواء بيمينه، فقطعت، فأخذه بشماله، فقطعت، فاحتضَنَهُ بعَضُدَيه[1] حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، ويقال: إنّ رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه[2] نصفين.

وأخذ الرّاية عبد الله بن رواحة، فتقدّم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه ويتردّد بعض التردّد، ثم قال:

أَقْسَمْـتُ يـا نَفْـسُ لَتَنْـزِلِنَّـه ... لَتَنْـزِلِـنَّ أو لَتُكْـرَهِنَّـه
إنْ أَجْلَـبَ النّـاسُ وَشَدوا الـرَّنَّـهْ ... مـا لـي أراكِ تكْـرَهِيْـنَ الجَنّـهْ[3]
قـد طَـالَمـا مـذ كُنْـتِ مُطْمَئِنَّـهْ ... هَـلْ أنـتِ إلاّ نُطْفَـةٌ فـي شَنَّـهْ[4]

وقال أيضاً:

يـا نَفْـسُ إلاّ تُقْتَلِـيْ تَمُـوتِـي ... هـذا حِمَـامُ المـوتِ قـد صَلِيْـتِ
ومـا تَمَنَّيْـتِ فقـد أُعْطِيْـتِ ... إنْ تَفْعَلِـي فِعْلَهُمـا هُـدِيْـتِ

يريد: صاحبيه زيداً وجعفراً، ثمّ نزل.

وأتاه ابن عَمٍّ له بِعَرْقٍ[5] من لحمٍ، فقال: «شُدَّ بهذا صُلْبَكَ، فإنّك

(١) احتضنه: أخذه في حضنه، وحضن الرجل: ما تحت العضد إلى أسفل.
(٢) فقطعه: يروى في مكانه فقطّه ـ بتشديد الطاء ـ وقطّه وقطعه بمعنى واحد.
(٣) أجلب الناس: صاحوا واجتمعوا. والرنّة: صوت فيه ترجيع يشبه البكاء.
(٤) النطفة: الماء القليل الصافي. والشَّنَّة: القربة الفضة.
(٥) العرق: العظم الذي عليه بعض اللّحم.

قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت»، فأخذه من يده، ثمّ انْتَهَس[1] منه نَهْسَةً، ثمّ سمع الحَطَمَة[2] في ناحية الناس، فقال: «وأنتِ في الدنيا!!»، ثمّ أخذ سيفه وتقدّم، فقاتل حتى قُتِلَ.

ثمّ أخذ الراية ثابت بن أَرْقَم أخو بني العَجْلان، فقال: «يا معشر المسلمين! اصْطَلِحُوا على رجلٍ منكم»، قالوا: «أنت!»، قال: «ما أنا بفاعل»، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الرّاية دافع القومَ وحاشى بهم[3]، ثم انحاز وانحيز عنه، حتى انصرف بالناس، وأَقْبَلَ بهم قافلاً.

فلما دنوا من حول المدينة، تلقّاهم رسول الله ﷺ والمسلمون، ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابّة، فقال: «خذوا الصِّبيان فاحملوهم وأَعطوني ابن جعفر»، فأُتي بعبد الله، فأخذه فحمله بين يديه. وجعل الناس يَحْثُون على الجيش التراب ويقولون: يا فُرَّار! فَرَرْتُمْ في سبيل الله!! فيقول رسول الله ﷺ: «لَيْسُوا بالفُرّار، ولكنّهم الكُرَّار إن شاء الله تعالى»[4].

وأخيراً استراح الراحة الأبدية مَنْ كان لا يَستريح ولا يُريح، يجاهد بلسانه ويده وسيفه، وظلّ يجاهد بها جميعاً حتى اللّحظات الأخيرة من حياته، وهو يحمل لواء رسول الله ﷺ ويستقتل دفاعاً عنه وعن مُثله العليا،

---

(١) انتهس: أخذ بفمه منه يسيراً.
(٢) الحطمة: الكسرة.
(٣) قيل: هو بالحاء المهملة من المحاشاة، وقيل: هو بالخاء المعجمة، وأصله الخشية، أي أنّ فعله معهم كان فعل مَن يخشى.
(٤) انظر التفاصيل في: سيرة ابن هشام (٣/ ٤٢٧ ـ ٤٤٧)، ومغازي الواقدي (٢/ ٧٥٥ ـ ٧٦٩)، وجوامع السيرة (٢٢٠ ـ ٢٢٢)، وطبقات ابن سعد (٢/ ١٢٨ ـ ١٣٠)، والدرر (٢٢٢ ـ ٢٢٣)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٨٠)، والبداية والنهاية (٤/ ٢٤١ ـ ٢٥٣)، والبخاري (٣/ ١٤٣)، والطبري (٣/ ٣٦ ـ ٤٢)، وابن الأثير (٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٨).

فسقط ابن رواحة شهيداً مضرجاً بدمائه، دون أن يسقط لواء النبيّ ﷺ، فقد تلقّفه مجاهد جديد يسعى إلى الشّهادة دونه، فضحّى ابن رواحة بروحه من أجل دينه، ومات الذين حرصوا على الحياة، كما مات ابن رواحة، ولكن شتّان بين الميتتين.

الإنسـان

١ ـ الشّاعـر:

كان عبد الله بن رواحة أحد شعراء النبيّ ﷺ الذين يذبّون عن الإسلام بألسنتهم: كعب بن مالك الأَسْلَمِيّ، وعبد الله بن رواحة، وحسّان بن ثابت من بني النّجار، وكلّهم من الخزرج من الأنصار(١)، وكان من شعراء الصّحابة المشهورين(٢).

وقد كان النبيّ ﷺ يوم الخندق ينقل التراب، حتى وارى التراب شعر صدره، وهو يرتجز برجز ابن رواحة:

تـاللَّـهِ لـولا اللَّـهُ مـا اهتـدينـا ... ولا تصـدّقنـا ولا صلّينـا
فـأنْـزِلَـنَ سكينـةً علينـا ... وثَبِّـتِ الأقـدام إن لاقينـا
إنّ الأُلـىٰ قـد بغـوا علينـا ... وإن أرادوا فتنـةً أبينـا(٣)

وروى هشام بن عروة عن أبيه قال: «سمعت أبي يقول: ما سمعت أحداً أَجْرَأَ ولا أسرع شعراً من عبد الله بن رواحة، سمعت رسول الله ﷺ يقول له يوماً: قُلْ شعراً تقتضيه السّاعة وأنا أنظر إليك، فانبعث مكانه يقول:

إنـي تفـرّسـت فيـك الخيـر أعـرفُـه ... واللّـه يعلـم أَنْ مـا خـانني البصـرُ
أنـتَ النبـيُّ ومَـن يُحـرم شفـاعتـه ... يـومَ الحسـاب لقـد أَزْرَى بـه القَـدَرُ

---

(١) جوامع السيرة (٢٨).
(٢) البداية والنهاية (٤/ ٢٥٨).
(٣) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩٤).

فثبَّتَ اللَّـهُ مـا آتـاكَ مـن حسـن ... تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نُصروا

فقال رسول الله ﷺ: «وأنت فثبّتكَ اللَّهُ يا ابن رواحة». قال هشام بن عروة: «فثبّته الله عزّ وجلّ أحسن الثبات، فقُتل شهيداً، وفتحت له الجنّة، فدخلها».

وفي رواية ابن هشام:

إنّـي تفـرّسـتُ فيـك الخيـر نـافلـةً ... فـراسـة خـالفـت فيـك الـذي نظـروا

أنـتَ النبـيّ ومَـن يُحْـرم نـوافلـه ... والوجْهَ منك، فقد أزرى به القَدَرُ[1]

وتمام القصيدة هي:

إني تـوسّمـت فيـك الخيـر نـافلـةً ... واللّـه يعلـم أنْ مـا خـانني البَصـرُ[2]

فثبّـتَ اللّـه مـا آتـاك مـن حَسَـنٍ ... تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نُصِروا

يـا آل هـاشـم إنّ اللّـهَ فضّلكـم ... علـى البـريّـة فضـلاً مـا لـه غِيَـرُ

ولـو سـألـتَ أو استنصـرتَ بعضهـم ... فـي جُـلِّ أمـرك مـا آووا ولا نصـروا

فَخَبِّـرونِـيَ أثمـان العَبـاءِ متـى ... كنتـم بطـاريـق أو دانـتْ لكـم مُضَـرُ

نُجَالِدُ الناسَ عن عرضٍ فنأسرهم ... فينـا النبـيّ وفينـا تنـزل السّـور

وقـد علمتـم بـأنّـا ليـس يغلبنـا ... حيٌّ مـن النّاس إن عـزّوا وإن كثُروا

وروى أنّه لما قال: «فثبّت الله ما آتاك من حسن»، قال له النبيّ ﷺ: «وإياك يا سيّد الشعراء»[3].

وعن أبي هُرَيرة، أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ أخاً لكم لا يقول الرّفث ـ يعني ابن رواحة ـ وذلك لقوله:

---

(١) الاستيعاب (٣/ ٩٠٠)، والاستبصار (١٠٩ ـ ١١٠).

(٢) في تهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩٣): «والله يعلم أني ثابت البصر»، وما أثبتناه في أعلاه أصح، والسبب واضح.

(٣) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩٣)، وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ٥٢٨).

وفينـا رسـولُ اللّـه يتلـو كتـابَـه ... إذا انشقّ معروف من الفجر ساطعُ
أرانـا الهـدى بعـد العمـى فقلـوبنـا ... بـه مـوقنـات أنّ مـا قـال واقـع
يبيـتُ يُجـافـي جنبُـه عـن فـراشِـه ... إذا استثقلت بالكافرين المضاجع
وأعلـم علمـاً ليس بـالظـنّ أننـي ... إلـى الله محشـورٌ هنـاك وراجـع»[1]

وقال يبكي حمزة بن عبد المطّلب رضي الله عنه الذي استُشهد في غزوة أُحُد:

بكـتْ عَيْنِـي وحُـقَّ لهـا بُكـاهـا ... ومـا يُغْنِـي البُكـاءُ ولا العَـويْـلُ[2]
علـى أسـدِ الإلـهِ غَـداةَ قـالـوا: ... أَحمـزةُ ذاكُـمُ الـرجـل القتيـلُ
أصيـب المسلمـون بـه جميعـاً ... هنـاكَ وقـد أُصيـبَ بـه الـرَّسـولُ
أبـا يَعْلَـى لَـكَ الأركـانُ هُـدَّتْ ... وأنـت المـاجـدُ البَرُّ الـوَصـولُ[3]
عليـك سـلامُ ربِّـك فـي جِنَـانٍ ... مُخَـالطهـا نَعِيْـمٌ لا يَـزُول
ألا يـا هـاشـمَ الأخيـارِ صبـراً ... فكـلُّ فَعَـالِكُـمْ حَسَـنٌ جميـل
رسـول اللّـهِ مُصْطَبِـرٌ كـريـمٌ ... بـأمـر اللّـه ينطـقُ إذ يقـول
ألا مَـنْ مُبْلِـغٌ عنـي لُـؤَيّـاً ... فبعـدَ اليـومِ دائلـةٌ تـدول[4]
وقَبْـلَ اليـومِ مـا عَـرَفُـوا وذاقـوا ... وقـائعُنـا بهـا يُشْفَـى الغليـل[5]
نَسِيتُـمْ ضَـرْبَنَـا بقَلِيْـب بَـدْرٍ ... غـداةَ أتـاكُـمُ المـوتُ العَجِيْـلُ[6]

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩٥).
(٢) العويل: البكاء مع ارتفاع صوت.
(٣) أبو يعلى: هي كنية حمزة رضي الله عنه، وكان حمزة يكنى بابنه يعلى، ولم يعش لحمزة ولد غيره، وكان كذلك يكنى: أبا عمارة، وعمارة بنت له، والماجد: الشريف.
(٤) دائلة تدول: يريد دائرة الحرب.
(٥) الغليل: حرارة الجوف من عطش أو حزنٍ.
(٦) العجيل: العاجل السّريع.

غـداةَ ثَـوَى أبـو جَهْـلٍ صَـرِيْعـاً ... عليـه الطَّيْـرُ حـائمـةً تَجُـولُ[1]
وعُتْبَـةُ وابنُـهُ خَـرَّا جميعـاً ... وشَيْبَـةَ عَضَّـهُ السَّيْـفُ الصَّقِيْـلُ[2]
ومَتْـرَكُنَـا أُمَيَّـةَ مُجْلَعِبّـاً ... وفـي حَيْـزومِـهِ لَـدْنٌ نَبِيْـلُ[3]
وهـامَ بنـي رَبِيْعَـةَ سـائِلُـوهَـا ... ففـي أسيـافنـا منهـا فُلُـول
ألاَ يـا هِنْـد فـابْكَـي لا تَمَلِّـي ... فـأنـتِ الـوالِـهُ العَبْرى الهَبـول[4]
ألاَ يـا هِنْـدُ لا تُبْـدِي شَمَـاتـاً ... بحمـزة، إن عِـزَّكُـمُ ذليـل[5]

وقال يبكي نافع بن بُدَيْل بن وَرْقاء الذي استشهد في سرية بئر معونة:

رَحِـمَ اللَّـهُ نـافِـعَ بـنَ بُـدَيْـلِ ... رحمـةَ المُبْتَغِـي ثـوابَ الجِهـادِ
صـابِـرٌ صـادقٌ وفـيٌّ إذا مـا ... أكثـرَ القـومُ قـالَ قـولَ السَّـدادِ[6]

وقال في بدرِ الآخرة:

وَعَـدْنـا أبـا سُفْيَـانَ بَـدْراً فلـم نَجِـدْ ... لميعـاده صِـدْقـاً ومـا كـانَ وافِيَـا
فـأُقْسِـمُ لـو وافيتَنـا فَلَقِيْتَنـا ... لأُبْـتَ ذَمِيْمـاً وافْتَقَـدْتَ المَـوَالِيـا[7]
تـركْنَـا بـه أوصـالَ عُتْبَـةَ وابنِـهِ ... وعَمْـراً أبـا جَهْـلٍ تَـرَكنـاهُ ثـاوِيـا[8]

---

(١) حائمة: تدور حوله، تقول: حام الطائر حول الماء: إذا دار حوله. وتجول: تجيء وتذهب.
(٢) خرّا جميعاً: سقطا على الأرض.
(٣) مجلعباً: معناه أنه ممتد مع الأرض. والحيزوم: أسفل الصدر. واللّدن: الرمح اللّين. والنبيل: العظيم.
(٤) الواله: الشديد الحزن، أو هي: الفاقد. والعبرى: الكثيرة الدّمع. والهبول: التي فقدت عزيزها.
(٥) سيرة ابن هشام (٣/١٤٨ ـ ١٤٩)، وقال ابن هشام: «أنشد فيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك»، ولكن ابن إسحٰق نسبها لابن رواحة.
(٦) سيرة ابن هشام (٣/١٨٩).
(٧) افتقدت: فقدت. والموالي: جمع مولى، ولها معانٍ كثيرة، منها ابن العم، ومنها الناصر والمعين.
(٨) الثاوي: المقيم، تقول: ثوى بالمكان يثوي: إذا أقام به.

عَصَيْتُمْ رسولَ اللَّهِ أفٍّ لدينكُمُ وأمرِكُمُ السَّيْءُ الذي كان غاويا[1]

فإنّي وإنْ عَنَّفْتُموني لقائِلٌ فِدىً لرسولِ اللَّهِ أهلِي وماليا[2]

أطَعْنَاه لم نَعْدِلْهُ فينا بغيرِهِ شِهاباً لنا في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هادِيا[3]

لقد كان شاعراً مجيداً، حاضر البديهة، يرتجل الشعر القويّ الرصين، ويوظِّف شعره في خدمة الإسلام والمسلمين، فكان من شعراء الدعوة المعدودين.

٢ ــ العالم:

كان ابن رواحة يكتب في الجاهليّة، وكانت الكتابة في العرب قليلة[4] كما ذكرنا، وقد روى عن النبيّ ﷺ أنّه نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً[5]، وروى عنه أيضاً: «نهانا رسول الله ﷺ أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جُنُب»[6]، وقال: «توضّأ رسول الله ﷺ ومسح على الموقين (الخُفّين)»[7].

روى عن النبيّ ﷺ وعن بلال المؤذّن، وروى عنه ابن أخته النُّعمان بن بشير بن سعد وأبو هُريرة وابن عبّاس وأنس، وأرسل عنه عبد الرحمن بن أبي ليلى وقيس بن أبي حازم وعُرْوَة بن الزُّبَيْر وعَطاء بن يَسار

(١) أفٍ: كلمة تقال عند استقباح الشيء أو عند تعذّره. وقوله: وأمركم السَّيْء بفتح السين وسكون الياء وأصله بتشديد الياء فخفّفه، كما قالوا: هين، ولين، وميت، وقيل: والأصل في جميعها بتشديد الياء.

(٢) عنفتموني: لمتموني.

(٣) قوله: «لم نعدله» يريد: لم نعدل به، أي لم نجعله مع غيره سواءً؛ انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٢٢٣).

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٢٦)، وتهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩٠).

(٥) انظر مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (٢/ ٣٤٣)، حديث صحيح، وانظر تهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩٠).

(٦) أسند إليه الحافظ وإلى أسامة بن زيد عن بلال، انظر تهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩٠).

(٧) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩٠).

وزيد بن أسلم، وعِكرمة وأبو الحسن مولى بني نوفل وأبو سَلَمَة بن عبد الرحمن[١].

وحديثه في البخاري وسنن النسائي وسنن ابن ماجه، انفرد له البخاري بحديث موقوف[٢]، روى حديثاً واحداً عن النبيّ ﷺ[٣]، وكان من أصحاب الفُتْيَا من الصّحابة عليهم رضوان الله[٤]، وكان يكتب للنبيّ ﷺ[٥].

٣ ـ التّقيّ:

كان ابن رواحة أحد شعراء رسول الله ﷺ المحسنين، الذين كانوا ينافحون عن رسول الله ﷺ ويردّون الأذى عنه، وفيه وفي صاحبيه حسّان بن ثابت وكعب بن مالك نزلت: **﴿إلاّ الذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ، وذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً، وانْتَصروا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا﴾**[٦].

وروي عن أبي الدَّرْداء أنّه قال: «رأيتنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، في اليوم الحار الشديد الحر، حتى أنّ الرجل ليضع يده على رأسه من شدّة الحر، وما في القوم صائم إلاّ رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة»[٧].

وبكى يوماً ابن رواحة، فبكت امرأته، فقال: «ما يبكيك؟»، فقالت: «رأيتك بكيْتَ فبكيتُ»، فقال: «إني قد علمتُ أني وارد النّار، فلا أدري أخارج منها أم لا»[٨].

---

(١) تهذيب التهذيب (٥/ ٢١٢)، وانظر الاستيعاب (٣/ ٨٩٨).
(٢) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٩٧).
(٣) أسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة (٣١٠).
(٤) أصحاب الفتيا من الصحابة ـ ملحق بجوامع السيرة (٣٢٢).
(٥) الإصابة (٤/ ٦٦).
(٦) الآية الكريمة من سورة الشعراء (٢٦: ٢٢٧)، انظر الاستبصار (١٠٨)، والاستيعاب (٣/ ٨٩٨).
(٧) الاستيعاب (٣/ ٩٠٠)، والاستبصار (١١٠).
(٨) الاستبصار (١١٠).

وروى أبو هُرَيْرة، أن النبيّ ﷺ قال: «نِعْمَ عبد الله بن رواحة»، وعن عبد الله بن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال: «رحم الله ابن رواحة، كان أينما أدركته الصّلاة أناخ»[1].

وكان ابن رواحة، إذا دخل بيته صلّى، وإذا خرج صلّى[2].

وعن أنس بن مالك، قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ، فأصابنا مطر ورِدَاغ[3]، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نصلّي على ظهور رواحلنا، ففعلنا، ونزل ابن رواحة، فصلّى في الأرض، فسعى به رجل من القوم، فقال: يا رسول الله! أمرت الناس يصلّون على ظهور رواحلهم ففعلوا، ونزل ابن رواحة فصلّى في الأرض، فبعث إليه، فقال: ليأتينكم وقد لقى حجّته، فأتاه فقال له: «يا ابن رواحة! أمرتُ الناس أن يصلّوا على ظهور رواحلهم، فنزلت فصليت في الأرض»! فقال: يا رسول الله! لأنّك تسعى في رقبة قد فكّها الله، وإنما أنا نزلت لأسعى في رقبةٍ لم تُفَكّ! فقال رسول الله ﷺ: «ألم أقل لكم إنّه سيلقى حُجّته»، وفي رواية أخرى أنه قال: «يا رسول الله! أنا لستُ مثلك، أنت تسعى في عتق، ونحن نسعى في رق»، فلم يُعب عليه ما صنع[4].

وقال أبو الدَّرْدَاء: «أعوذ بالله أن يأتيَ يوم عليّ لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة، كان إذا لقيني مقبلاً ضرب بين ثديـيّ، وإذا لقيني مدبراً ضرب بين كتفيّ، ثم يقول: يا عُوَيْمر! اجلس فلنؤمن ساعة، فنجلس فنذكر الله ما شاء، ثم يقول: يا عويمر! هذه مجالس الإِيمان»[5].

وكان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول: «تعال

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩٠).
(٢) الاستبصار (١١٠).
(٣) رداغ: جمع رَدْغَة: الوحل الكثير.
(٤) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩٠ ـ ٣٩١).
(٥) أسد الغابة (٣/ ١٥٧).

نؤمن بربنا ساعة»، فقال ذات يوم لرجل، فغضب الرجل، فجاء النبيّ ﷺ فقال: «يا رسول الله! ألا ترى أنّ ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة»، فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله ابن رواحة، إنّه يحبّ المجالس التي تتباهى بها الملائكة»[1].

وأتى ابن رواحة النبيّ ﷺ وهو يخطب، فسمعه يقول: «اجلسوا»، فجلس مكانه خارجاً من المسجد، حتى فرغ النبيّ ﷺ من خطبته، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال: «زادك الله حرصاً على طواعيّة الله وطواعيّة رسوله»[2].

وتزوّج رجل امرأة عبد الله بن رواحة، فسألها عن صنيعه فقالت: «كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلّى ركعتين، وإذا دخل بيته صلّى ركعتين، لا يدع ذلك»[3].

ودُفع رسول الله ﷺ إلى نفرٍ من أصحابه فيهم عبد الله بن رواحة يذكّرهم الله، فلما رأى رسول الله ﷺ سكت، فقال له رسول الله ﷺ: «ذكِّرْ أصحابك؟»، فقال: «يا رسول الله! أنت أحقّ مني»، قال: «أما إنّكم الذي أمرني الله أن أصبر نفسي معهم»، ثم تلا عليهم: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مع الذين يَدْعونَ رَبَّهُمْ**﴾[4].. الآية إلى آخرها، ثم قال: «وما قعدَ عدّتكم يذكرون الله إلاّ قعد معهم عددهم من الملائكة، فإن حمدوا الله حمدوه، وإن سبحوا الله سبحوه، وإن كبّروا الله كبّروه، وإن استغفروا الله أمّنوا، ثم عرجوا على ربهم فسألهم وهو أعلم منهم، فقال: أين ومن أين؟ فقالوا: ربنا عبيد لك من أهل الأرض ذكروك فذكرناك، قال: ويقولون ماذا؟ قالوا: ربنا حمدوك، فقال: أوّل مَن عبد، وآخر مَنْ حمد، قالوا: وسبّحوك،

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩١)، وانظر الإصابة (٤/ ٦٦).
(٢) أسد الغابة (٣/ ١٥٧)، والإصابة (٤/ ٦٦)، وتهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩١).
(٣) الإصابة (٤/ ٦٦).
(٤) الآية الكريمة من سورة الكهف (١٨ : ٢٨).

قال: مدحي لا ينبغي لأحدٍ غيري، قالوا: ربّنا كبّروك، قال: لي الكبرياء في السموات والأرض، وأنا العزيز الحكيم، قالوا: ربنا استغفروك، قال: إني أُشهدكم أني قد غفرت لهم، قالوا: ربنا فيهم فلان وفلان، قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[1].

وقال ابن رواحة لصاحب له: «تعالَ حتى نؤمن ساعةً»، قال: «أولسنا بمؤمنين؟»، قال: «بلى، ولكنا نذكر الله فنزداد إيماناً»، وكان يأخذ بيد الرّجل من أصحابه فيقول: «قم بنا نؤمن ساعة، فنجلس في مجلس ذكر»[2].

وقد نزلت الآيات الكريمة: ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لِمَ تَقُوْلونَ مَا لاَ تَفْعَلُون. كَبُرَ مَقْتاً عندَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُون. إنّ اللَّهَ يُحِبُّ الذينَ يُقَاتِلونَ في سَبِيْلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوص﴾[3] في نفر من الأنصار، فيهم عبد الله بن رواحة، قالوا في مجلسٍ: «لو نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله تعالى لعملنا به حتى نموت»، فلما نزلت فيهم هذه الآيات قال ابن رواحة: «لا أزال حبيساً في سبيل الله حتى أموت»، فقُتل شهيداً[4].

وكانت له أَمَةٌ سوداء، فغضب عليها، فلطمها. ثم إنّه فزع فأتى النبيّ ﷺ، فأخبره خبرها، فقال له: «ما هي يا عبد الله؟»، فقال: «إنها تصوم وتصلي وتحسن الوضوء وتشهد أن لا إلَه إلّا الله، وأنّك رسوله»، فقال: «يا عبد الله! هذه مؤمنة»، فقال عبد الله: «فوالذي بعثك بالحق لأعتقنّها ولأتزوجنّها»، ففعل، فطعن عليه ناس من المشركين وقالوا: «نكح أَمَةً!»، وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين وينكحوهم رغبة في

(١) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩١ ـ ٣٩٢).
(٢) البداية والنهاية (٤/ ٢٥٨).
(٣) الآيات الكريمة من سورة الصف (٦١: ٢ ـ ٤).
(٤) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩٢).

أحسابهم، فأنزل الله فيهم: ﴿وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ ولو أَعْجَبَتْكُمْ﴾[١].

وبعث رسول الله ﷺ ابن رواحة في سريّة، فوافق ذلك يوم الجمعة، فقدّم أصحابه وقال لهم: «أتخلّف فأصلّي مع رسول الله ﷺ ثمّ ألحقكم»، فلما صلّى رسول الله ﷺ رآه، فقال: «ما منعك أن تغدو مع أصحابك؟!»، فقال: «أردتُ أن أصلّي معك الجمعة ثمّ ألحقهم»، فقال له رسول الله ﷺ: «لو أنفقت ما في الأرض ما أدركتَ غدوتهم»، وفي رواية قال: «لغدوة[٢] في سبيل الله أو روحة[٣]، خير من الدنيا وما فيها»، وكان ذلك في غزوة مُؤْتة، فراح عبد الله منطلقاً[٤].

لذلك كان ابن رواحة، أوّل خارج إلى الغزو وآخر قافل[٥]، فهو صاحب المناقب المذكورة في الإسلام والأيام المشهورة[٦]، وكان من المجتهدين في العبادة[٧].

لقد كان تَقِيّاً نَقِيّاً، صالحاً ورعاً، بذل قصارى جهده في تطبيق تعاليم الإسلام في العبادات فكان صوّاماً قوّاماً ذاكراً للّه شاكراً لأنْعُمه، وبذل قصارى جهده في تطبيق تعاليم الإسلام في الجهاد، فما تخلّف عن غزوة وكان أوّل خارج وآخر قافل، وأخيراً بذل روحه رخيصة دفاعاً عن الإسلام، فقضى شهيداً في معركة مؤتة، عليه رحمة الله.

---

(١) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢: ٢٢١)، وانظر ما ورد عن ذلك في تهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩٢).

(٢) الغدوة: الخروج صباحاً.

(٣) الروحة: الخروج مساءً.

(٤) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣)، والحديث الأخير رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد، انظر مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٠).

(٥) الاستيعاب (٣/ ٨٩٨)، وأسد الغابة (٣/ ١٥٧).

(٦) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩٠).

(٧) الاستبصار (١١٠).

الشَّهيـد

استُشهد عبد الله بن رواحة في سرية مُؤْتَة التي كانت في شهر جمادى الأولى من السنة الثامنة الهجريّة، كما ذكرنا.

ولم أجد في المصادر التي اطّلعت عليها سنة مولد عبد الله بن رواحة، كما لم أجد كثيراً عن أهله، سوى أنّ أُمّه كَبْشَة بنت واقِد الخزرجيّة وابنتها عَمْرَة بنت رَوَاحة الخزرجية كانتا من النساء المبايعات رسول الله ﷺ[1].

وعَمْرَة بنت رواحة، أخت عبد الله بن رواحة، هي زوجة بشير بن سعد، وأُمّ النُّعمان بن بشير، وهي التي ذكرها النُّعمان في حديثه قال: «نحلني[2] أبي نخلاً، فقالت أُمي عَمْرَة بنت رواحة: لا أرضى حتى يشهد عليَّ رسول الله ﷺ».

وعَمْرَة هذه هي التي كانت يشبِّب بها قيس بن الخطيم الأَوْسِيّ قبل الإسلام، وإياها عنى بقوله:

وعَمْـرَة مـن سَـرَواتِ النِّسـاء ... تَنَفَّـح بـالمِسْـك أَرْدَانُهـا[3]

فمـا رَوْضَـةٌ مـن ريـاض القَطـا ... كـأنّ المصـابيـح حَـوْذَانُهـا[4]

بـأَحْسَـنَ منهـا ولا مـزنَـةٌ ... دلـوح تكشَّـف أدجـانُهـا[5]

وروي أنّ النعمان بن بشير دخل مجلساً فيه رجل يغني بهذا الشعر،

(١) العبر (٤٢٠ ـ ٤٢١).

(٢) نحلني: أعطاني.

(٣) السروات: جمع سراة، وهم الأشراف من القوم، والأردان: جمع ردن، وهو الطرف الواسع من الكم. وتنفح: تفوح.

(٤) رياض القطا: موضع، والحوذان: نوع من الزهر بديع الألوان ينبت في البادية.

(٥) المزنة: السّحابة الممطرة. والدلوج: الواسعة الممتلئة. وأدجانها: ظلماتها.

فأسكتوه حين دخل النعمان، فقال النّعمان: «ما قال إلاّ حقاً، ولم يقل سوءاً»[1].

ولم يعقب ابن رواحة عليه رحمة الله[2]، وقد رثاه حسّان بن ثابت شاعر النبيّ ﷺ ورثى شهداء مُؤْتَة في قصيدة طويلة، منها:

تَأَوَّبَنِي لَيْلٌ بِيَثْرِبَ أَعْسَرُ ... وَهَمٌّ إذا ما نَوَّمَ النَاسُ مُسْهِرُ[3]
لِذِكْرَى حَبِيْبٍ هَيَّجَتْ لِيَ عَبْرَةً ... سفوحاً، وأسبابُ البُكَاءِ التذكّرُ
بَلَى إنَّ فُقْدانَ الحبيبِ بَلِيّةٌ ... وكَمْ من كريمٍ يُبْتَلى ثمَّ يَصْبِرُ
رأيتُ خِيَارَ المؤمنين تَوارَدُوا ... شَعُوب وخُلْفاً بعدهم يتأخّر[4]
فلا يُبْعِدَنَّ اللّهُ قَتْلَى تتابعوا ... بمؤتةَ منهم ذو الجناحين جعفرُ
وزيدٌ وعبدُ الله حين تتابعوا ... جميعاً وأسبابُ المَنِيَّةِ تَخْطُرُ

في قصيدة طويلة[5].

وقال حسّان بن ثابت يرثي عبد الله بن رواحة، وزيد بن حارثة الكَلْبِيّ:

عَيْنُ جُودِي بدمعِكِ المنْزُورِ ... واذْكُرِي في الرَّخاءِ أهلَ القُبورِ[6]
واذكُري مُؤْتَةَ وما كانَ فيها ... يومَ راحُوا في وَقْعَةِ التَّغْوِيرِ[7]
حين راحُوا وغادَرُوا ثَمَّ زَيْداً ... نِعْمَ مأْوَى الضَّرِيكِ والمأسور[8]

(١) الاستبصار (١١٢ ـ ١١٤)، وانظر المعارف (٢٩٤).
(٢) أسد الغابة (٣/١٥٩).
(٣) تأوبني: عادني ورجع إليّ، وأعسر: شديد العسر، ومسهر: داعٍ إلى السّهر ومانع من النوم.
(٤) الشعوب: المنية. وخلفاً: الذي يأتي بعدهم.
(٥) سيرة ابن هشام (٣/ ٤٤١)، والبداية والنهاية (٤/ ٢٦٠).
(٦) المنزور: القليل، وذلك لأنّه بكى حتى فرغ دمعه.
(٧) التغوير: الإسراع، يريد الانهزام.
(٨) الضريك: الفقير.

حِـبُّ خيـرِ الأنـام طُـرّاً جميعـاً		سيِّـدِ النـاسِ حُبُّـهُ فـي الصُّـدور
ذاكُــمُ أحْمَــدُ الــذي لا سِــواهُ		ذاكَ حُــزْنِــي لــه معــاً وسُــروري
إنَّ زيـداً قــد كــان مِنّــا بــأمْــرٍ		ليــس أمْــرَ المكــذَّبِ المَغْــرورِ
ثُــمَّ جُـوْدِي للخَـزْرَجِـيِّ بِـدَمْـعٍ		سيِّــداً كــان ثــمَّ غيــر نَــزُوْرِ[1]
قــد أتــانــا مــن قتلهــم مــا كفــانــا		فبحُــزْنِ نَبِيْــتُ غَيْــرَ سُــرُورِ[2]

وقال شاعر من المسلمين ممّن رجع من غزوة مؤتة:

كَفَـى حَـزَنـاً أنّـي رَجَعْـتُ وجَعْفَـرٌ		وَزَيْـدٌ وعبـدُ اللّـهِ فـي رَمْـس أَقْبُـرِ
قَضَـوْا نَحْبَهُـمْ لمَّـا مَضَـوْا لِسَبِيْلِهِـمْ		وخُلِّفْـتُ للبَلْـوَى مـع المُتَغَبِّـرِ[3]
ثـلاثـةُ رهـطٍ قُـدِّمـوا فتقـدّمـوا		إلى وِرْدِ مَكْروهِ من الموت أحمرِ[4]

والشعر في رثائه ورثاء شهداء مؤتة كثير.

ومضى عبد الله إلى رحاب الله، وبقي ذكره في بطون الكتب، ومثله يستحق الثناء المستطاب.

القـائـد

شهد ابن رواحة بيعة العَقَبَة الثانية، وكان ليلتئذٍ نقيب بني الحارث من الخزرج، وشهد بدراً وأُحُداً والخندق والحُدَيْبِيَة، وخَيْبَر وعُمْرَة القَضاء والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلاّ غزوة الفتح وما بعدها، فإنّه كان تُوفي قبلها يوم مُؤْتَة، وهو أحد الأمراء في مُؤْتَة، وكان أوّل خارج إلى الغزوات وآخر قادم[5].

---

(١) أراد بالخزرجي عبد الله بن رواحة، والنزور: القليل العطاء.
(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ٤٤٦).
(٣) قضوا نحبهم: يريد ماتوا، وأصل النَّحب: النذر، والمتغبر: الباقي.
(٤) سيرة ابن هشام (٣/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧).
(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦٥).

وقال ابن رواحة: «لا أزال حبيساً في سبيل الله حتى أموت»[1]، وكانت الشّهادة في سبيل الله من أعزِّ أمانيه[2].

لقد كان من هواة الجهاد، يحفزه إليه عقيدته الإسلاميّة، ورغبته الصّادقة في نيل أجر المجاهدين في سبيل الله، والشّهداء لإعلاء كلمة الله، فهو الذي شجّع المسلمين في سرية مؤتة على لقاء الكفّار، وكان المسلمون ثلاثة آلاف، والكفّار مائتي ألف[3]: مائة ألف من الروم بقيادة هِرَقْل قيصر الرّوم، ومائة ألف من العرب بقيادة رجل من بَلِيّ ثم أحد إراشَة يقال له: مالك بن زافلة، فلما بلغ ذلك المسلمين، أقاموا على مُعَان ليلتين يفكِّرون بأمرهم، فشجّع الناسَ عبد الله بن رواحة وقال: «يا قوم! والله إنّ التي تكرهون لَلَّتِي خرجتم تطلبون: الشّهادة، وما نقاتل النّاس بعَدَدٍ ولا قُوَّة ولا كثرة، ولا نقاتلهم إلاّ بهذا الدِّين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنّما هي إحدى الحُسْنَيين: إمّا ظهور، وإمّا شهادة»[4].

ومهما قيل في مبالغة الذين سجّلوا تَعداد الروم وحلفائهم، فإنّ الحقيقة تبقى واضحة للدارسين، بأنّ الروم وحلفاءهم كانوا أضعاف تعداد المسلمين، كما أنّهم يقاتلون في بلادهم دفاعاً عنها، بينما يقاتل المسلمون بعيداً عن قاعدتهم الرئيسة: المدينة، وبذلك تكون المزايا العسكرية في التفوّق العَدَدِيّ والعُدَدي ، وفي قرب قواعد الروم إلى قوّاتهم المقاتلة، هذه المزايا مع الروم على المسلمين بلا مراء.

وفي هذه الحالة، وبمثل هذا الموقف، وبموجب المقاييس الماديّة وحدها، فإنّ تشجيع المسلمين على اقتحام الروم وحلفائهم بالرغم من تفوّق الروم العَدَدي تفوقاً ساحقاً على المسلمين، وقرب قواعدهم من

(١) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩٢).
(٢) الاستيعاب (٣/ ٨٩٨).
(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦٥).
(٤) سيرة ابن هشام (٣/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠).

قوّاتهم المقاتلة، وخبرتهم الطويلة في فنون الحرب بشكل أفضل بكثير من خبرة أولئك المسلمين القادمين من أعماق الصحراء، يمكن اعتباره بموجب المقاييس الماديّة وحدها مجازفة من المجازفات الخطيرة التي تؤدي إلى التهلكة، ويمكن اعتباره خطأً فاحشاً من الأخطاء العسكرية الفاحشة أيضاً.

ولكنّ المقاييس الماديّة تطبّق على الذين يعتمدون الوسائل المادية وحدها في حروبهم، أما الذين يحاربون حرباً عقائديّة جهاداً في سبيل الله، ودفاعاً عن عقيدتهم وعن حريّة انتشارها، فلا تطبّق عليهم المقاييس الماديّة وحدها التي تطبّق على غيرهم في حروب استثماريّة أو توسعيّة أو من أجل أمجاد شخصيّة وأحقاد عنصريّة أو طائفيّة، وعلى ذلك فلا تُطبّق هذه المقاييس الماديّة على أمثال عبد الله بن رواحة، لأنّهم كانوا يخوضون حرباً عقائديّة لا دخل للمادة فيها من قريب أو بعيد، وإلاّ فماذا يمكن أن يقال في غزوة بدر الكبرى الحاسمة بالنسبة للمقاييس المادية وحدها، وكان تفوّق المشركين على المسلمين بنسبة ثلاثة على واحد في الأشخاص وبنسبة مائة على واحد بالخيل، والخيل أنجع سلاح في الحروب القديمة؟؟!!.

لقد حرّض عبد الله بن رواحة المسلمين على القتال لأغراض عقائديّة، فكان تحريضه خطأً بالنسبة للمقاييس المادية، ولكنه كان عين الصواب بالنسبة للجهاد والحرب العادلة التي كان يخوضها المسلمون حينذاك.

وتشجيع عبد الله بن رواحة المسلمين على قتال الروم وحلفائهم، واستجابة المسلمين لهذا التّشجيع، له دلالة لا يمكن أن يختلف فيها اثنان، هي أنّه كان يثق ثقة عالية برجاله، وأنّ رجاله كانوا يثقون به ثقة مطلقة، والثّقة المتبادلة بين القائد ورجاله من أهم مزايا القائد المتميّز.

ولا يمكن أن يثق الرجال بقائدهم ثقة مطلقة عفواً وبدون أسباب، كما أنّ النبيّ ﷺ كان لا يولي المراكز القياديّة إلا لأشخاص لهم مؤهلات

عالية ومزايا واضحة المعالم، فقد كان عليه الصّلاة والسّلام يحرصُ أعظم الحرص على تولي الرجل المناسب للعمل المناسب تطبيقاً لتعاليم الإسلام في الولاية، وثقة النبيّ ﷺ بعبد الله بن رواحة، وثقة رجال عبد الله بن رواحة به، أسبابها وحوافزها واحدة، هي تمتّع عبد الله بن رواحة بالإضافة إلى عمق إيمانه بمزايا قياديّة أهّلته لأنّ يكون أحد قادة النبيّ ﷺ، وأن يستحوذ على ثقة رجاله المطلقة.

ويمكن إيجاز مزاياه القيادية، بأنّه كان قادراً على إصدار القرار السريع الصحيح، فهو من القلّة النادرة التي تحسن القراءة والكتابة، في وقت كان لا يحسن فيه القراءة والكتابة في المجتمع السائد حينذاك إلاّ القلائل الذين يعدّون على الأصابع ويشار إليهم بالبنان، ما يدل على ذكائه الألمعي.

وكان شجاعاً مقداماً، أثبت جدارة في كلّ الغزوات التي خاضها تحت لواء النبيّ ﷺ، كما برزت شجاعته بوضوح في قيادة سريته إلى أحد أعداء الإسلام والمسلمين من يهود، فقد كانت مهمّة تلك السرية مهمة صعبة للغاية لا يقدر عليها غير الفدائيين المغاوير الشجعان.

وكان يتحلّى بإرادة قويّة ثابتة، وقد ظهرت إرادته التي لا تتزعزع قُبَيْل سرية مُؤْتة، إذ تتردّد الأكثرون ولم يتردد الأقلّون، وعلى رأسهم عبد الله بن رواحة، الذي أصرّ على مجابهة الرُّوم وحلفائهم، فكان له ما أراد.

وكان له نفسيّة لا تتبدّل في حالتي النصر والاندحار، يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم، يحبّ رجاله ويحبونه، له شخصيّة قويّة نافذة، وقابليّة بدنيّة فائقة، وماض ناصع مجيد حسباً ونسباً وفي خدمة الإسلام والمسلمين، يتحلّى بأعلى درجات الضّبط المتين والطّاعة.

وكان يعرف مبادىء الحرب ويطبّقها بفطرته التي لا تخطىء، فهو يطبّق مبدأ: اختبار المقصد وإدامته، لا يحيد عنه أبداً، ويسعى لتحقيقه بكل

ما يستطيع من قوّة وجهد وعزم، وكانت معاركه تعرضيّة كلّها، لم يدافع أبداً ولم يطبق الدفاع في القتال.

وكان يطبّق مبدأ المباغتة، وقد باغت اليهودي ومَنْ معه، فاستطاع التغلب عليهم، والقضاء على نشاطهم التخريبيّ.

وكان يطبّق مبدأ: الاقتصاد بالقوّة، فهو يعتقد بحق أنّه ينتصر على أعدائه بقوّة عقيدته وضعف عقيدتهم لا بعَدَد أو عُدَد.

وكان يطبّق مبدأ: الأمن، لذلك استطاع أن يباغت أعداءه، ولم يستطع أعداؤه أن يباغتوه.

وكان يديم المعنويات، بل كان بحق كتلة من المعنويات، يقاتل بشعره كما يقاتل بسيفه، ويرفع المعنويات بالعقيدة الرّاسخة والإيمان العميق.

وكان يساوي نفسه برجاله، ولا يتميّز عليهم بشيءٍ، ويستشيرهم في كلّ خطوة يخطوها أو عملية ينفِّذها.

تلك هي سماته القياديّة التي جعلت النبيّ ﷺ يوليه مركزاً قيادياً، وجعلت أصحابه يثقون به ويعتمدون عليه، وهو حريّ بالثقة والاعتماد.

ابن رَوَاحَة في التّاريخ

يذكر التّاريخ لابن رواحة، أنّه شهد بيعة العَقَبَة الثانية في ضواحي مكّة مع الذين أسلموا من الأوس والخزرج من أهل المدينة، وأنّه بايع النبيّ ﷺ في العقبة مع إخوانه المبايعين، وأنّ النبيّ ﷺ اختاره ليلتئذٍ نقيباً على بني الحارث بن الخزرج قومه من الخزرج.

ويذكر له، أنّه شهد بَدْراً وأُحُداً والخَنْدَق والحُدَيْبِيّة وخَيْبَر وعُمْرَة القَضَاء والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، إلاّ الفتح وما بعدها فإنّه تُوفِّي قبلها يوم مُؤْتة.

وأنّه كان قائد سرية من سرايا النبيّ ﷺ إلى أحد أعداء الإسلام والمسلمين اليهود، فاستطاع إزاحته عن طريق الإسلام والمسلمين.

وأنّه كان أحد الأمراء الثلاثة الذين سمّاهم النبيّ ﷺ في معركة مُؤْتَة، وأنّه استُشهد في تلك المعركة التي خاضَها المسلمون على الرُّوم وحلفائهم.

ويذكر له، أنّه كان أحد الشعراء المحسنين الذين يردّون الأذى عن رسول الله ﷺ والإسلام والمسلمين.

ويذكر له، أنّه كان صاحب مجالس الذِّكر، يشجِّع إخوانه على عقدها لتجديد حوافز الإيمان.

ويذكر له، أنّه كان من الصالحين الورعين التُّقاة الأبرار الصّحابة في علمه وعمله واجتهاده في العبادة.

رضي الله عن العَقَبِيّ النّقيب، الصحابيّ الجليل، القائد الشُّجاع، الشّاعر المجيد، البطل الشّهيد، عبد الله بن رواحة الأَنْصَارِيّ الخَزْرَجِيّ.

كُرْز بن جابر القُرَشِيّ الفِهْرِيّ
القائـد الشّهيـد

نسبـه وأيّامـه

هو كُرْز بن جابِر بن حِسْل[(١)] بن الأحبّ[(٢)] بن حَبِيْب بن عمرو بن شَيْبَان بن مُحَارِب بن فِهْر[(٣)] بن مالِك القُرَشِيّ الفِهْرِيّ[(٤)].

كان من رؤساء قريش قبل أن يُسْلِم، وأغار على سرح المدينة[(٥)] في شهر جمادى الآخرة من السّنة الثانية الهجرية[(٦)]، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه، واستعمل على المدينة المنوّرة زيد بن حارثة، حتى بلغ وادياً يقال له (سَفْوان)[(٧)] من ناحية بَدْرٍ، وفاته كرز، فلم يدركه، وهي غزوة بدرٍ الأولى[(٨)]، فعاد المسلمون إلى المدينة[(٩)].

---

(١) في أسد الغابة (٤/ ٢٣٧)، حسيل ويقال حسل، وكذلك في الاستيعاب (٣/ ١٣١٠).

(٢) في الإصابة (٥/ ٢٩٧): لاحب، وكذلك في الاستيعاب (٣/ ١٣١٠)، وأسد الغابة (٤/ ٣٢٧)، وفي جمهرة أنساب العرب (١٧٩): الأجَبّ.

(٣) نسب قريش (٤٤٨).

(٤) أسد الغابة (٤/ ٣٧)، والاستيعاب (٣/ ١٣١٠)، وانظر الإصابة (٥/ ٢٩٧).

(٥) الإصابة (٥/ ٢٩٧).

(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٨)، والدرر (١٠٦)، وجوامع السيرة (١٠٢)، وفي طبقات ابن سعد (٢/ ٩)، ومغازي الواقدي (١/ ١٢)، أنها في ربيع الأول.

(٧) سفوان: وادٍ من ناحية موقع بدر، انظر معجم البلدان (٥/ ٩٠).

(٨) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٨).

(٩) الدرر (١٠٦)، وجوامع السيرة (١٠٣).

أسلم بعد الهجرة[1]، وحسن إسلامه[2]، فولّاه النبيّ ﷺ قيادة سرية من سراياه[3]، وهذا دليل قاطع على ثقة النبيّ ﷺ بدينه وكفايته القياديّة.

قائـد السّريّـة

وكانت هذه السريّة في شهر شوال من السنة السّادسة الهجرية[4]، فقد قَدِم نفر من عُرَيْنَة[5] ثمانية على رسول الله ﷺ، فأسلموا، ومرضوا بالمدينة، فأمر بهم رسول الله ﷺ إلى لِقاحه[6]، وكانت ترعى بذي الجَدْر ناحية قُبَاء على ستة أميال من المدينة، فكانوا فيها حتى صَحُّوا وسمنوا، فغدوا على اللِّقاح واستاقوها. وأدركهم يسار مولى النبيّ ﷺ ومعه نفرٌ من المسلمين، فقاتلهم فقطعوا يده ورجله وغرزوا الشّوك في لسانه وعينيه حتى مات.

وبلغ رسول الله ﷺ الخبر، فبعث في أثرهم عشرين فارساً، واستعمل عليهم كُرْز بن جابر الفِهْرِيّ، فأدركوهم وأحاطوا بهم وأسروهم، وربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة، فعاقبهم بموجب الآية الكريمة: **﴿إِنَّما جَزَاءُ الَّذينَ يحاربون اللَّهَ ورسولَه ويَسْعَوْنَ في الأَرْضِ فَسَاداً أن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ، ذلكَ لَهُمْ خِزْيٌ في الدُّنْيَا وَلَهُمْ في الآخرةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**[7]، وكانت اللّقاح خمس عشرة لقحة غزاراً، فردّوها إلى المدينة، وفقد

---

(١) الاستيعاب (٣/ ١٣١٠).

(٢) أسد الغابة (٤/ ٢٣٧).

(٣) الإصابة (٥/ ٢٩٧).

(٤) مغازي الواقدي (٢/ ٥٦٨)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٩٣).

(٥) في أنساب الأشراف (١/ ٣٧٨)، ويقال من عُكَل، قبيلة عربية من هذيل، انظر جمهرة أنساب العرب (١٩٨)، أما عرينة فهم من بجيلة، انظر جمهرة أنساب العرب (٣٨٨).

(٦) اللِّقاح: الإبل ذوات اللبن، واحدها لقحة.

(٧) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ : ٣٣).

رسول الله ﷺ منها لقحةً واحدة، فسأل عنها فقيل: نحروها[1].

وهكذا، أدّى كرز واجبه على أحسن وجه في قيادة هذه السرية، واستعاد اللِّقاح من الذين نهبوها وأسر الذين غدروا وسلّمهم إلى النبيّ ﷺ، حيث أنزل بهم ما يستحقونه من عقاب عادل، ليكونوا عبرةً لغيرهم من الذين يطمعون في غزو المدينة أو مهاجمتها لسبب أو لآخر من الأسباب.

الشّهيد

شهد كرز مع النبيّ ﷺ غزوة فتح مكّة مع مَنْ شهدها من المسلمين في شهر رمضان من السنة الثامنة الهجرية[2]، فكان كرز مع رَتَل المسلمين بقيادة خالد بن الوليد الذي تقدّم لفتح مكة باتجاه (الخَنْدَمَة)[3]، وكان فيه صَفْوان بن أُميّة وعِكْرِمَة بن أبي جَهْل وسُهَيْل بن عمرو، وكانوا قد جمعوا ناساً من المشركين ليقاتلوا المسلمين. وناوشهم خالد مناوشة طفيفة، فقُتل كُرْز وخُنَيْس بن خالد بن ربيعة بن أَصْرَم حليف بني مُنْقِذ، وكانا في خيل خالد بن الوليد، فشذّا عنه، وسلكا طريقاً غير طريقه خطأً، فقُتلا جميعاً: قُتل خُنَيْس قبل كرز، فجعله كرز بين رجليه، ثمّ قاتل عنه حتى قُتل وهو يرتجز ويقول:

قد علمت صَفْراء من بني فِهْرْ ... نقيّة الوجه نقيّة الصَّدْرْ
لأضربنّ اليومَ عن أبي صَخْرْ

وكان خُنيس يكنى: أبا صَخْر، وخُنيس من خُزاعة[4].

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٩٣)، وانظر سيرة ابن هشام (٤/ ٣١٨ ـ ٣١٩)، ومغازي الواقدي (٢/ ٥٦٨ ـ ٥٧١)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩)، وأسد الغابة (٤/ ٢٣٧)، والاستيعاب (٤/ ١٣١٠).

(٢) أنساب الأشراف (١/ ٣٥٣)، وأسد الغابة (٤/ ٢٣٧)، والاستيعاب (٤/ ١٣١٠)، وتاريخ خليفة بن خياط (١/ ٥٠)، والعبر (١/ ٩).

(٣) الخندمة: جبل بمكة المكرمة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ٤٧٠ ـ ٤٧١).

(٤) سيرة ابن هشام (٤/ ٢٦ ـ ٢٧)، وأسد الغابة (٤/ ٢٣٧)، والاستيعاب (٤/ ١٣١٠ ـ =

والذي يبدو أنّ كرز بن جابر ثبت دفاعاً عن زميله خوفاً من أن يجهز المشركون عليه، ولكنّه قُتلَ وهو يدافع عن زميله الجريح، فقتلا معاً، دون أن يترك زميله يلاقي وحده مصيره المحتوم، بينما يتملّص هو من المعركة للنجاة بنفسه، مما يدلّ على شهامته العربية الإسلاميّة الأصيلة.

وقد وقع هو وزميله في فخ للمشركين، لم يكونا ليقعا فيه لو أنّهما سلكا الطريق الصحيح ولم ينحرفا عنه خطأً، وبهذا نال كرز شرف الصُّحبة وشرف قيادة إحدى سرايا النبيّ ﷺ، وشرف الجهاد تحت لوائه، وشرف الشّهادة في ساحات الجهاد.

الإنسان والقائد

١ ـ لا تفاصيل أخرى جديدة عن حياته يمكن إضافتها إلى ما سجّلناه عنه، فهذا القائد الشهيد الذي وهب أغلى ما يملك في هذه الدنيا دفاعاً عن الإسلام والمسلمين، بخل المؤرخون عليه، فلم يذكروا عنه ما يستحوذ الذكر. أما مؤرخو رجال الحديث، فلم يذكروه حتى ولو بكلمة واحدة، لأنّه لا حديث له يروونه وينسبونه إليه، وهكذا قوبل كرمه غير المحدود، بالبخل غير المحدود.

وقد استشهد في غزوة فتح مكة سنة ثمان الهجرية (٦٢٩ م).

٢ ـ أما مزايا قيادته، فبالإضافة إلى إيمانه العميق، يبدو أنه كان شجاعاً مقداماً، سريع الحركة، مندفعاً، يحسن التعرّض والمطاردة، من أولئك النفر من القادة العقديين الذين يكثرون في أيام الرسالة، ويقلّون في أيام المادة التي تطغى بها الناحية المادية على القيم الدينيّة.

= ١٣١١)، ومغازي الواقدي (٢/ ٨٢٨)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٥٥)، وعيون الأثر (٢/ ١٧٣)، وجوامع السيرة (٢٣١)، والدرر (٢٣٢)، والإصابة (٥/ ٢٩٨).

كرز في التاريخ

يذكر التاريخ لكرز، أنّه كان من رؤساء المشركين المعروفين في أيّام الجاهلية، ولولا إسلامه لما ذكرت له هذه الرئاسة أيضاً.

ويذكر له، أنّه استطاع أن يغير على سرح المدينة على عهد النبيّ ﷺ، واستطاع التملّص بغنائمه من المطاردة.

ويذكر له، أنّه أسلم فحسُن إسلامه، وأصبح موضع ثقة النبيّ ﷺ فولّاه قيادة إحدى سراياه.

ويذكر له، أنّه ختم حياته العامرة بالجهاد في سبيل الله بالشّهادة، فاستُشهد في موقف من مواقف الشّهامة بالحرب.

رضي الله عن الصحابي الجليل، البطل المقدام، القائد الشّهيد، كُرْز بن جابِر القُرَشِيّ الفِهْرِيّ.

عَمْرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِيّ الكِنانِيّ
القائـد السّفيـر

نسبـه وأيّامـه

هو عمرو بن أُمَيَّة بن خُوَيْلِد بن عبد الله بن إياس بن عبد بن ناشِرة بن كَعْب بن جُدَيّ بن ضَمْرَة[١] بن بَكْر بن عبد مَنَاة بن كِنَانة الكِنَانِيّ[٢]، أبو أُميّة[٣].

كان من أنجاد العرب ورجالها نجدةً وجُراءة[٤] وجوداً[٥].

وقد أسلم قديماً، وهو من مهاجرة الحبشة، ثمّ هاجر إلى المدينة[٦]، وفي رواية أخرى: أنّه شهد بَدْراً وأُحداً مع المشركين، وأسلَم حين انصرف المشركون من أُحُد[٧]، وهذا ما نرجِّحه، لأنّه لم يرد له ذكر في أسماء مهاجرة الحبشة، ولا في مهاجرة المدينة، ولا في المؤاخاة التي جرت بعد الهجرة إلى المدينة بين المهاجرين والأنصار كما هو معروف،

---

(١) جمهرة أنساب العرب (١٨٥)، وأسد الغابة (٤/ ٨٦)، والاستيعاب (٤/ ١١٦٢)، والإصابة (٤/ ٢٨٥)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٦).

(٢) أسد الغابة (٤/ ٨٦).

(٣) الإصابة (٤/ ٢٨٥)، والاستيعاب (٤/ ١١٦٢).

(٤) أسد الغابة (٤/ ٨٦).

(٥) الإصابة (٤/ ٢٨٥).

(٦) أسد الغابة (٤/ ٨٦)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٤٤).

(٧) أسد الغابة (٤/ ٨٦)، والإصابة (٤/ ٤٨٥).

كما لم يرد له ذكر في أيٍّ نشاط اجتماعي أو عَسكري للمسلمين بعد الهجرة، مما يدلّ على أنّه أسلم بعد أُحُد وهاجر إلى المدينة المنوّرة، فكانت أوّل مشاهده بئر مَعُونَةَ[1] كما سيرد ذلك بشيءٍ من التفصيل وشيكاً. .

وليس من المعقول أن يبقى عمرو بن أُميّة، وهو مَنْ هو مكانةً وشرفاً وسجايا، مجهول المكانة خامل الذكر في الأحداث الإسلاميّة الأولى، وهو قد أسلم قديماً، ومَعنى ذلك أنّه أسلم متأخّراً بعد غزوة أُحُد، فبدأ تسليط الأضواء على حياته في المجتمع الإسلامي الجديد بعد إسلامه.

ولما أسلم وحسن إسلامه، أصبح موضع ثقة النبيّ ﷺ، فأخذ يبعثه في أموره[2] العسكريّة والسياسيّة والإداريّة، فقد كان شجاعاً له إقدام[3] بالإضافة إلى سجاياه الفكريّة والبدنية الأخرى التي يرد ذكرها في تفصيل حياته قائداً وإنساناً.

في سرية بئر مَعُوْنَة[4]

وكانت هذه السرية في شهر صفر من السنة الرابعة الهجريّة[5] بقيادة

---

(١) أسد الغابة (٤/ ٨٦)، والإصابة (٤/ ٢٨٥)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٧٥)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٥٤)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٥)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٦)، وتاريخ خليفة بن خياط (١/ ٣٩)، وجوامع السيرة (١٧٩)، والدرر (١٧٢).

(٢) أسد الغابة (٤/ ٨٦)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٥).

(٣) تهذيب التهذيب (٨/ ٦)، وانظر الإصابة (٤/ ٢٨٥).

(٤) بئر معونة: ماء من مياه بني سُلَيْم، بين أرض بلاد عامر، وأرض بني سليم، كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حرّة بني سليم أقرب، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/ ٧).

(٥) جوامع السيرة (١٧٨)، والدرر (١٦٨)، وتاريخ خليفة بن خياط (١/ ٣٨)، وانظر ابن الأثير (٢/ ١٧١).

المُنْذِر بن عمرو السّاعدي الخزرجيّ الأنصاري[1]. وكان سبب إرسال هذه السريّة، أنّ أبا براء الكِلابيّ، ويعرف بملاعب الأسنّة[2] واسمه: عامِر بن مالك بن جعفر بن كِلاب بن ربيعة بن عامِر بن صَعْصَعَة، وفد على النبيّ ﷺ، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فلم يُسْلِم ولم يُبْعِدْ، وقال: «يا محمّد! لو بعثتَ رجالاً من أصحابك إلى أهل نَجْدٍ فَدَعَوْهُمْ إلى أمْرِك لرجوتُ أن يستجيبوا لك»، فقال ﷺ: «إني أخشى عليهم أهل نَجْدٍ»، فقال أبو بَراء: «أنا جارٌ لهم».

وبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو في أربعين من المسلمين، وقيل: في سبعين من خيار المسلمين، فنهضوا ونزلوا بئر مَعُوْنَة.

وحين وصلت السريّة إلى بئر معونة، بعثوا حَرَام بن مِلْحَان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطُّفَيْل، فلما أتاه لم ينظر في كتابه، ثم عدا عليه فقتله، ثم استنهض إلى قتال سرية المسلمين بني عامر، فأبوا أن يجيبوه، لأنّ أبا بَراء أجارهم، فاستغاث عليهم بني سُلَيْم، فنهضت معه عُصَيَّة ورِعْل وذَكْوَان، وهم قبائل من بني سُلَيْم، فأحاطوا بالمسلمين، فقاتلوا، فقُتلوا كلّهم رضوان الله عليهم، إلاّ كَعْب بن زيد أخا بني دينار بن النّجار، فإنه تُرِك في القتلى وفيه رمق، فارتثّ[3] من القتلى، فعاش حتى قُتل شهيداً يوم الخندق رضوان الله عليه.

وكان عمرو بن أُمَيّة الضَّمْريّ في سَرْح المسلمين، ومعه المُنْذِر بن محمّد بن عُقْبَة بن أُحَيْحَة بن الجُلَّاح، فنظرا إلى الطير تحوم على العسكر،

(١) انظر سيرته المفصّلة في كتاب: قادة النبيّ ﷺ.

(٢) وسمي ملاعب الأسنة يوم سوبان، وهو يوم كانت فيه وقيعة (بالتصغير) في أيام العرب بين قيس وتميم، وقد فرّ عنه أخوه فقال الشاعر:

فررت وأسلمت ابن أمّك عامراً ... يُلاعب أطراف الوشيج المزعزع

انظر الروض الآنف (٢/ ١٧٤).

(٣) ارتث: رفع وبه جراح، حمل من المعركة جريحاً.

وكانا في سرح المسلمين[1]، فنهضا إلى ناحية أصحابهم، فإذا الطير تحوم على القتلى، والخيل التي أصابتهم لم تزل بَعْدُ، فقال المنذر بن محمّد لعمرو بن أُميّة: «فما ترى؟»، فقال: «أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر»، فقال المنذر: «ما كنتُ لأرغب بنفسي عن موطِن قُتل فيه المنذر بن عمرو»، فقاتل حتى قُتل. وأُخذ عمرو بن أُميّة أسيراً، فلما أخبرهم أنه من مُضَر، جزّ ناصيَته عامرُ بن الطُّفَيْل وأطلقه عن رقبة كانت على أمِّه، وذلك لعشرين بقين من صَفَر.

ورجع عمرو بن أُميّة، حتى إذا كان في (القَرْقَرَة)[2] من صدر (قَناة)[3]، أقبل رجلان من بني عامِر، وقيل: من بني سُلَيْم حتى نزلا معه في ظلٍّ هو فيه، وكان معهما عهد من رسول الله ﷺ لم يعلم به عمرو بن أُميّة، وكان قد سألهما: «ممّن أنتما؟»، قالا: «من بني عامِر»، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما، وهو يرى أنّه قد أصاب منهما ثأره من بني عامِر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما قدم على رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، قال: «لقد قتلتَ قتيلين كان لهما مني جوار، لأَدِيَنّهُما هذا عمل أبي بَراء، قد كنتُ كارهاً متخوِّفاً»[4].

لقد كان قرار عمرو بن أُميّة بالرجوع إلى النبيّ ﷺ ليخبره بما حدث في بئر مَعُوْنَة لسرية المسلمين قراراً حكيماً وصائباً، فما كان الرجل جباناً،

---

(١) السرح: الرعاء.

(٢) القرقرة: هي قرقرة الكدر، على ثمانية برد من المدينة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/ ٥٦) و (٧/ ٢٢٤).

(٣) قناة: وادٍ يأتي من الطائف ويصب في قرقرة الكدر، بالقرب من قبور الشهداء بأُحُد، انظر معجم البلدان (٧/ ١٦٦).

(٤) مغازي الواقدي (١/ ٣٤٦ ـ ٣٥٣)، وسيرة ابن هشام (٣/ ١٨٤ ـ ١٩١)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٥١ ـ ٥٤)، والطبري (٢/ ٥٤٥ ـ ٥٤٩)، وابن الأثير (٢/ ١٧١ ـ ١٧٣)، وابن كثير (٤/ ٧١ ـ ٧٤)، والدرر (١٧٠ ـ ١٧٣)، وجوامع السيرة (١٧٨ ـ ١٨٠)، والبخاري (٥/ ١٠٣)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٧٥).

بل كان شجاعاً معروفاً بشجاعته، ولكنّه لا يستطيع أن يفعل شيئاً تجاه حشود القبائل الغادرة، والمتورطة في قتل سريّة المسلمين، وكلّ ما يمكن أن يحدث هو استشهاده الحتميّ في قتال غير متكافىء.

وكان قرار صاحبه الأنصاري في الإصرار على الاستشهاد، قراراً شجاعاً بطولياً، فما كان له أن يعود إلى مستقرِّه في المدينة، وهو يرى جثث إخوانه قتلى تملأ ساحة المعركة.

لقد كان قرار عمرو بن أُميّة قرار العقل، وقرار الأنصاري قرار العاطفة، وكان لكلٍّ من القرارين ما يسوِّغه حينذاك، وقد اجتهدا وللمجتهد أجره على كلٍّ حال.

في غزوة بني النَّضِيْر من يهود

وكانت في شهر ربيع الأول سنة أربع الهجريّة، وكانت منازل بني النَّضِير بناحية (الغَرْس)[1] وما والاها، فقد خرج رسول الله ﷺ يوم السبت، فصلّى في مسجد قُباء ضاحية المدينة، ومعه نفر من أصحابه المهاجرين والأنصار، ثمّ أتى بني النَّضِيْر فكلّمهم أن يُعِيْنوه في ديّة الكلابِيَيْن اللَّذين قتلهما عمرو بن أُمَيّة، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم ما أحببت!.

وخلا بنو النضير بعضهم مع بعض وهمّوا بالغدر بالنبيّ ﷺ، وذلك بطرح صخرة عليه من فوق أحد سطوح المنازل التي كان جالساً في جوارها.

ونهض النبيّ ﷺ سريعاً، وتوجّه إلى المدينة، فلحقه أصحابه هناك.

وبعث النبيّ ﷺ إلى بني النَّضِير محمّد بن مَسْلَمَة: «أن اخْرجوا من

---

(١) الغرس: منطقة بقُبا، من ضواحي المدينة المنورة، فيها بئر اسمه: بئر غرس، كان النبيّ ﷺ يستطيب ماءها، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧).

بلدي، فلا تساكنوني بها، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر، وقد أجّلتكم عشراً، فمن رُئي بعد ذلك ضربت عنقه»، فمكثوا على ذلك أيّاماً يتجهّزون، فأرسل إليهم عبد الله بن أُبيّ المنافق حليفهم: «لا تخرجوا من دياركم، وأقيموا في حصنكم، فإنّ معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم فيموتون عن آخرهم، وتمدّكم قُرَيْظَة وحلفاؤكم من غَطَفَان»؛ فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: «إنّا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك».

وأظهر رسول الله ﷺ التكبير، وكبّر المسلمون لتكبيره، وقال: «حاربت يهود».

وسار النبيّ ﷺ في أصحابه، فصلّى العصر بفضاء بني النَّضِير، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يحمل رايته، فلما رأوا رسول الله ﷺ قاموا على حصونهم معهم النُّبْلُ والحجارة، واعتزلتهم قُرَيْظَة فلم تُعِنْهُم وخذلهم ابن أُبيّ المنافق وحلفاؤهم من غَطَفَان، فأيِسوا من نصرهم.

وحاصرهم النبيّ ﷺ، وقطع نخلهم، فقالوا: نحن نخرج من بلادك، فقال: «لا أقبله اليوم، ولكن اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلاّ السِّلاح»، فنزلت يهود على ذلك، وكان حاصرهم خمسة عشر يوماً[(١)].

وكان عمرو هو الحافز المباشر لهذه الغزوة التي أنقذت المسلمين من عدوّ جاثم بين ظهرانيهم[(٢)].

قائد السَّرِيّة

بعث النبيّ ﷺ عمرو بن أُمَيّة إلى مكّة، بعد مقتل خُبَيْب بن عَدِيّ، وأمره أن يَقتل أبا سُفْيان بن حَرْب، وبعث معه جَبّار بن صخر الأنصاري[(٣)].

(١) طبقات ابن سعد (٢/٥٧ ـ ٥٩)، وانظر عيون الأثر (٢/٤٨ ـ ٥٢)، وأنساب الأشراف (١/٣٣٩).
(٢) انظر جوامع السيرة (١٨١)، والدرر (١٨٤)، وأنساب الأشراف (١/٣٣٩).
(٣) سيرة ابن هشام (٤/٣١٠).

وكان خُبيب أحد أفراد سرية (الرَّجيع)[1] التي كانت في صفر من السنة الرابعة الهجريّة في ستة رجال دعاة إلى الله، فغدر بهم المشركون، وقتلوا مَنْ قتلوا وأسروا خُبَيْباً وباعوه بمكّة، فصُلب خُبَيْب (بالتَّنْعِيْم)[2] وهو القائل حين قُدِّم ليُصْلب:

ولسـتُ أبـالـي حيـن أُقْتَـلُ مُسْلِمـاً ... على أيِّ جَنْبٍ كان في اللَّهِ مَصْرَعِي[3]

وذلــك فــي ذات الإلَــه وإن يشــأْ ... يبـارك علـى أوصـال شِلْـوٍ ممـزَّعِ[4]

وخُبَيْب أوّل من سَنَّ الركعتين عندالقتل. وقال له أبو سفيان بن حرب[5]: «أيسرُّك يا خُبَيْب أنّ محمداً عندنا بمكّة تُضْرَب عنقه وأنّك سالم في أهلك؟»، فقال: «والله ما يسرّني أني سالم في أهلي، وأنْ يصيب محمّداً شوكة تؤذيه»[6].

وقد بعث النبيّ ﷺ عمرو بن أُميّة وحده عيناً على قريش، فحمل خُبَيْب بن عَدِي من الخشبة التي صُلِب عليها[7]، وعاد بها إلى المدينة، ولكن كان ذلك في السنة الرابعة الهجرية، حيث كانت سرية الرَّجِيْع في تلك السنة، بينما كانت سرية عمرو إلى أبي سفيان هذه في السنة السّادسة الهجريّة.

أما السبب الحقيقي لإرسال سرية عمرو ومعه سَلَمَـة بن أَسْلَم بن حَرِيس[8] إلى أبي سفيان في مكّة، فهو أنّ أبا سفيان بن حرب قال لنفرٍ من

---

(١) الرجيع: ماء لهذيل قرب الطّائف، انظر معجم البلدان (٤/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩).

(٢) التنعيم: موضع خارج الحرم بالحل.

(٣) روى الشطر الثاني هكذا: على أي شق كان لله مصرعي. وروى: على أي حال كان في الله مضجعي.

(٤) أوصال: أعضاء. شلو ـ هنا: جسد.

(٥) وروى هذا الخبر بين أبي سفيان وزيد بن الدثنة.

(٦) الدّرر (١٦٨ ـ ١٦٩).

(٧) أسد الغابة (٤/ ٨٦)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٦).

(٨) ورد كذلك في طبقات ابن سعد (٢/ ٩٣)، أما في عيون الأثر (٢/ ١١٢)، فورد ابن حريش.

قريش: «ألا أحدٌ يغتال محمّداً فإنّه يمشي في الأسواق؟»، فأتاه رجل من الأعراب فقال: «قد وجدتَ أجمع الرِّجال قلباً، وأشدَّه بطشاً، وأسرعَه شدّاً، فإنْ أنتَ قوّيتني خرجتُ إليه حتى أغتاله، ومعي خَنْجرٌ مثل خافية النَّسر، فأسُورُه ثمّ آخُذُ في عيرٍ وأسبق القومِ عَدْواً، فإني هادٍ بالطريق خِرِّيت[1]!»، قال: «ائت صاحبنا»، فأعطاه بعيراً ونفقة وقال: «اطوِ أمركَ».

وخرج ليلاً، فسار على راحلته خمساً وصبّح (الحَرَّة)[2] صبح سادسةٍ، فأقبل يسأل عن رسول الله ﷺ حتى دُلّ عليه، فعقل راحلته ثمّ أقبل إلى رسول الله ﷺ وهو في مسجد بني عبد الأَشْهَل، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «إنّ هذا ليريد غَدْراً!»، وذهب الرجل ليجني على رسول الله ﷺ، فجذبه أُسَيْد بن حُضَير بداخلة إزاره، فإذا بالخنجر، فسقط في يديه وقال: «دمي.. دمي...»، فأخذ أُسَيْد بلَبَّته[3]، فدَعَتَهُ[4]، فقال رسول الله ﷺ: «اصدُقني ما أنت؟»، قال: «وأنا آمن؟»، قال: «نعم!»، فأخبره بأمره وما جعل له أبو سفيان، فخلّى عنه رسول الله ﷺ، فأسلم الرجل.

وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أُميّة وسَلَمَة بن أَسْلم إلى أبي سفيان بن حرب وقال: «إن أصبتما منه غِرّة، فاقتلاه!».

ودخلا مكّة، ومضى عمرو يطوف بالبيت ليلاً، فرآه معاوية بن أبي سفيان، فعرفه، فأخبر قريشاً بمكانه فخافوه وطلبوه، وكان فاتكاً في الجاهلية، وقالوا: «لم يأت عمرو لخيرٍ»، فحشد له أهل مكّة، وتجمّعوا،

(١) خرِّيت: الدليل الحاذق بالدلالة، ويقال: هو في هذا الأمر خريت: حاذق ماهر فيه. (ج): خراريت.

(٢) الحرّة: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أُحرقت بالنار. وحَرّة قُباء: قبلي المدينة لها ذكر في الحديث، انظر معجم البلدان (٣/ ٢٥٩).

(٣) اللبة: موضع القلادة من العنق.

(٤) دعته: ضغط على رقبته.

فهرب عمرو وسَلَمَة، فلقي عمرو عُبَيْدَ الله بن مالك التَّمِيْمِيّ، فقتله، وقتل آخر سمعه يغني ويقول:

ولستُ بِمُسْلِمٍ ما دمتُ حيّاً ولستُ أدينُ دينَ المسلمينا!

ولقي رسولين لقريش يتجسّسان فقتل أحدهما وأسر الآخر.

وقدم عمرو المدينة، فجعل يُخبر رسول الله ﷺ خبره، ورسول الله ﷺ يضحك[1].

وقد جعلت هذه السرية في تسلسل سرايا النبيّ ﷺ بين سرية كُرْز بن جابر الفِهْري التي جرت في شهر شوال من السنة السادسة الهجرية، وسرية عمر بن الخطّاب التي جرت في شهر شعبان من السنة السابعة الهجرية، ويبدو أنّها جرت في السنة السادسة الهجرية، إذ لم ينص مؤرخوها على موعد حدوثها عدا ما جاء في أنساب الأشراف من أنها كانت في صفر سنة ثمان الهجرية[2]، وهذا غير معقول، لأنّ المسلمين حينذاك كانوا في هدنة ضمن شروط صلح الحُدَيْبية كما هو معروف، والمسلمون يوفون بالعهود ولا ينقضونها أبداً.

ولم يحقّق عمرو هدفه كما ينبغي، لأنّ صاحبه الذي كان معه أصرّ على الصّلاة بالبيت والطواف حول الكعبة، فانكشف أمره، لأنّه كان معروفاً للغاية[3]، فضيّع الكتمان الضروري لمثل هذه العملية، ولكنه نجح بالفتك بغير أبي سفيان من المشركين: من المتعصبين على الإسلام، وعيون قريش وأرصادهم، ومن غيرهم من أعداء المسلمين.

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/٩٣ ـ ٩٤)، وعيون الأثر (٢/١١٢)، وانظر سيرة ابن هشام (٤/٣١٠ ـ ٣١٢)، وأنساب الأشراف (١/٣٧٩ ـ ٣٨٠).

(٢) أنساب الأشراف (١/٣٧٩).

(٣) سيرة ابن هشام (٤/٣١٠)، وابن الأثير (٢/١١٩).

فـي الغزوات والسرايا

١ ـ شهد عمرو غزوات النبيّ ﷺ وقسماً من سراياه بعد سرية بئر مَعُونَة[١]، وقد شهد حصار الطّائف الذي كان في شهر شوّال من السنة الثامنة الهجرية، وقد وصف عمرو دفاعات أهل الطائف من المشركين فقال: «لقد طلع علينا من نَبْلهم ساعةَ نزلنا شيءٌ الله به عليم، كأنّه رِجْلٌ[٢] من جراد ـ وترّسنا لهم ـ حتى أُصيب ناس من المسلمين بجِراحة. ودعا رسول الله ﷺ الحُباب بن المُنْذِر فقال: «انْظُرْ مكاناً مرتفعاً مستأخراً عن القوم». فخرج الحُباب حتى انتهى إلى موضع مسجد الطائف خارج من القرية، فجاء إلى النبيّ ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يتحوّلوا، إني لأنظر إلى أبي مِحْجَن يرمي من فوق الحصن بعِشْرَته[٣] بمَعَابِلَ[٤] كأنها الرِّماح، ما يسقط له سَهْمٌ[٥].

٢ ـ كما شهد سرية خالد بن الوليد إلى (دُومَة الجَنْدَل)[٦]، فاستطاع خالد أسر أُكَيْدِر بن عبد الملك ملك دُومة الجندل وقَتَلَ أخيه حسّان بن عبد الملك، وكان على حسّان قَبَاء ديباج مُخَوَّصٌ بالذَّهب، فغنمه خالد، وبعث به إلى رسول الله ﷺ مع عمرو بن أُميّة، فجعل المسلمون يتلمّسونه بأيديهم ويتعجّبون منه[٧].

وكان النبيّ ﷺ قد بعث سرية خالد إلى دُومة الجندل من غزوة تَبُوْك

---

(١) أسد الغابة (٤/ ٨٦).

(٢) الرِّجْل: الكثير، انظر النهاية (٢/ ٧٠).

(٣) العشرة: الصحبة، انظر النهاية (٣/ ٩٨).

(٤) المعابل: نصال عراض طوال، الواحدة: معبلة. انظر النهاية (٣/ ٦٣).

(٥) مغازي الواقدي (٣/ ٩٢٥ ـ ٩٢٦).

(٦) دومة الجندل: حصن على سبع مراحل من دمشق بينها وبين المدينة، انظر معجم البلدان (٤/ ١٠٦).

(٧) مغازي الواقدي (٣/ ١٠٢٦).

التي كانت في شهر رجب من السنة التاسعة الهجرية[1].

وكانت غزوة تَبوك آخر غزوات النبيّ ﷺ، فكانت هذه الغزوة إيذاناً بمولد الدولة الإسلاميّة.

السّفيــر

أرسل النبيّ ﷺ عمرو بن أُمَيّة سفيراً[2] إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام سنة ست الهجرية، وكتب إلى النجاشي كتاباً، فأسلم النجاشيّ، وأمره أن يزوِّجه أمّ حَبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ويرسلها ويرسل مَنْ عنده من المسلمين[3] من أرض الحبشة إلى المدينة المنوّرة.

فقد آمن النجاشي بالنبيّ ﷺ واتبعه، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب وأرسل إليه ابنه في ستين من الحبشة، فغرقوا في البحر[4]. وأرسل إليه رسول الله ﷺ ليزوجه أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت مهاجرة بالحبشة مع زوجها عُبَيْد الله بن جَحْش فتنصّر وتوفي بالحبشة، فخطبها النجاشي إلى رسول الله ﷺ، فوكّلت أمُّ حَبِيبَة خالد بن سعيد بن العاص بتزويجها. وكان وأخوه أقرب مَن بالحبشة إليها، فزوجها إيّاه[5]، ونَقَد النجاشيُّ عن النبيّ ﷺ مهر أمّ حبيبة أربع مائة دينار[6]، وبعث بكسوة إلى رسول الله ﷺ: قميص، وسراويل، وعمامة، وعِطاف[7] أُسْواني من قرية يقال لها: أُسْوَان، وهي آخر مدينة بمصر، وخفّين ساذجين[8].

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ١٦٥).

(٢) سيرة ابن هشام (٤/ ٢٧٩)، وجوامع السيرة (٢٩).

(٣) أسد الغابة (٤/ ٨٦).

(٤) ابن الأثير (٢/ ١١٣).

(٥) أنساب الأشراف (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠)، وابن الأثير (٢/ ١١٣).

(٦) أنساب الأشراف (١/ ٢٢٩)، وابن الأثير (٢/ ١١٣).

(٧) عِطاف: رداء.

(٨) وانظر عن (أسوان): معجم البلدان (١/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩)، وانظر طبقات ابن سعد (١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩) وفيه أنّ النبي ﷺ كتب إلى النجاشي مع عمرو بن أمية كتابين؛ يدعوه في أحدهما إلى الإسلام، ويأمره في الكتاب الآخر أن يزوّجه أم حبيبة بنت أبي سفيان.

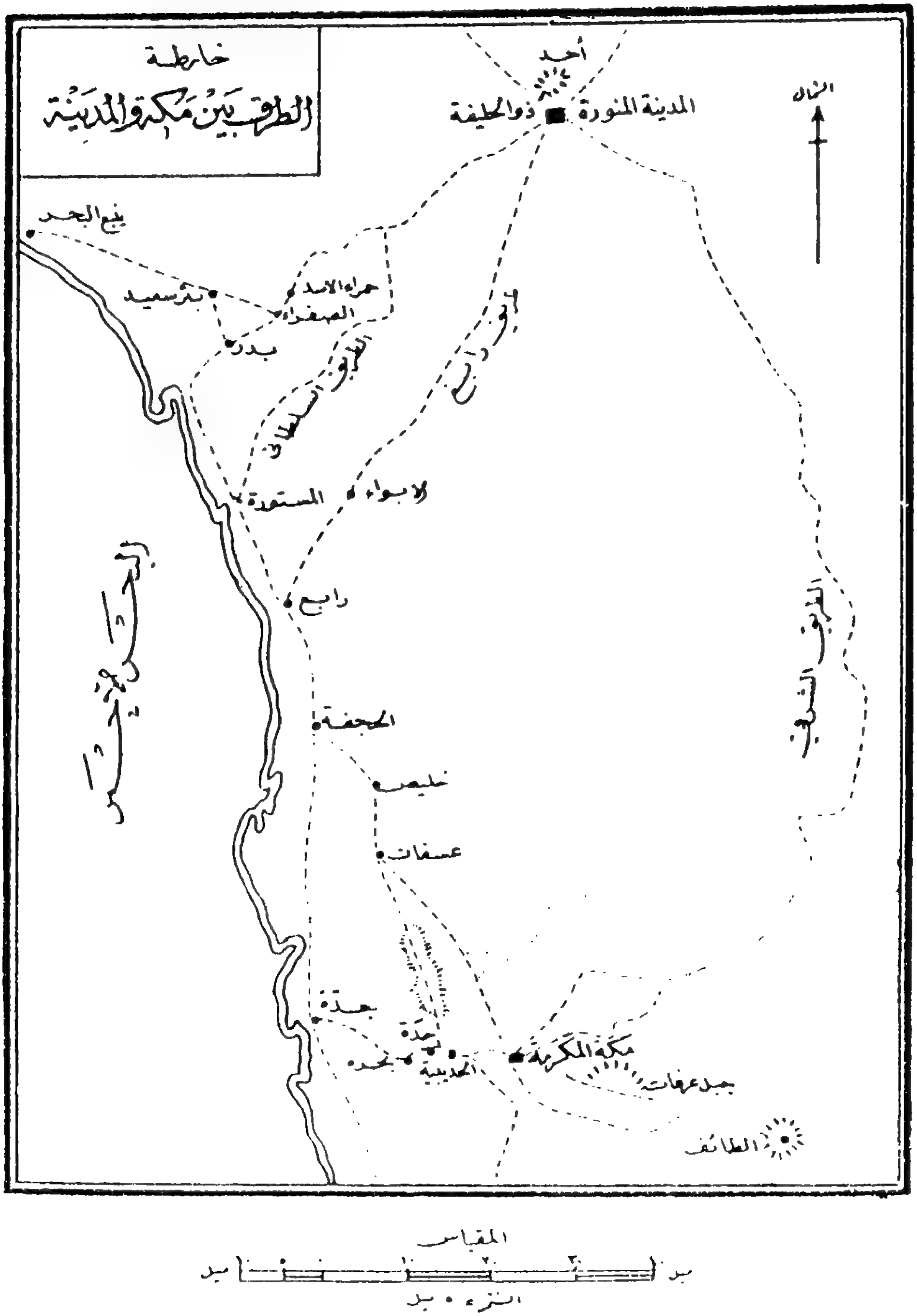
خارطة
الطرق بين مكة والمدينة
الشمال
أحد
المدينة المنورة
ذو الحليفة
ينبع البحر
بئر سعيد
حمراء الأسد
الصفراء
بدر
الطريق السلطاني
المستورة
الأبواء
رابغ
البحر الأحمر
الجحفة
خليص
عسفان
الطريق الشرقي
جدة
حدة
بحرة
الحديبية
مكة المكرمة
جبل عرفات
الطائف
المقياس
ميل

وأرسل النّجاشي إلى النَّوَاتي[1]، فقال: «انظروا ما يحتاج فيه هؤلاء القوم من السُّفن؟»، فقالوا: يحتاجون إلى سفينتين، فجهّزهم، وكلّم قوم النجاشي من الحبشة أسلموا، في أن يبعث بهم إلى رسول الله ﷺ يُسلِّموا عليه، وقالوا: نصاحب أصحابه هؤلاء، فنجذف بهم في البحر ونغنّيهم، فأذن لهم، فشخصوا مع عمرو بن أُميّة والمسلمين، وأمّر عليهم جعفر بن أبي طالب[2].

ويبدو أنّ النبيّ ﷺ أرسل عمرو بن أُميّة إلى النجاشي سنة ست الهجرية، فعاد من سفارته سنة سَبْع الهجرية، لأنّ مهاجري الحبشة، وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب، عادوا من الحبشة إلى المدينة في أعقاب غزوة خَيْبَر التي كانت في شهر محرم من سنة سبع الهجرية[3].

كما أنّ عمرو بن العاص الذي أوفدته قريش إلى النجاشي، قد غادر إلى أرض الحبشة بعد غزوة الحُدَيْبِيَّة، فقد ذكر أنّه لم يحضُر الحُدَيْبِيَّة ولا صلحها، فانصرف رسول الله ﷺ بالصلح ورجعت قريش إلى مكّة، فسافر إلى أرض الحبشة[4]، والحُدَيبيّة كانت في شهر ذي القَعْدة من السنة السّادسة الهجريّة، كما هو معروف.

لقد أوفد النبيّ ﷺ عمرو بن أميّة في أواخر السنة السّادسة الهجريّة إلى أرض الحبشة، وعاد منها في أوائل السنة السّابعة، ومن هنا حدث الاختلاف بين المؤرخين في سنة إيفاد عمرو بن أميّة، فمنهم مَن قال: سنة ست الهجرية[5]، ومنهم مَن قال: سنة سبع الهجرية.

---

(١) النواتي: مفردها نُوْتِيّ، وهو الملاّح الذي يدير السفينة في البحر.
(٢) أنساب الأشراف (١/ ٢٢٩).
(٣) جوامع السيرة (٢١١)، والدرر (٢١٨) عن قدوم جعفر من الحبشة إلى المدينة، وانظر أنساب الأشراف (١/ ٢٢٩).
(٤) مغازي الواقدي (٢/ ٧٤٢).
(٥) جوامع السيرة (٢٠٧).

وروى عمرو بن العاص قصّة لقائه بعمرو بن أُميّة في الحبشة فقال: «فأجمعوا لنا ما نهديه له ـ أي للنجاشي ـ وكان أحبّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأَدَم[1]، فجمعنا له أدماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنا لعنده إذْ جاءه عمرو بن أُميّة الضَّمْرِي، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جَعْفَر وأصحابه، فدخل عليه، ثمّ خرج من عنده، فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أُميّة الضَّمْرِي لو دخلت على النجاشي لسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أَجْزَأت عنها[2] حين قتلت رسول محمّد، فدخلت عليه، فسجدت له كما كنتُ أصنع، فقال: مَرْحباً بصديقي! أهْدَيْتَ إليّ من بلادك شيئاً؟ قلت: نعم أيّها الملك، قد أهديت إليك أَدَماً كثيراً، ثمّ قرّبته إليه، فأعجبه واشتهاه، ثمّ قلت: أيها الملك! إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنّه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا! فغضب، ثمّ مدّ يده فضرب بها أنفه ضربةً ظننتُ أنّه قد كسره[3]، فلو انشقّت لي الأرض لدخلت فيها فَرَقاً منه! ثمّ قلت: أيّها الملك! والله لو ظننت أنّك تكره هذا ما سألتُكَه، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله؟ قلت: أيّها الملك! أكذاك هو؟ فقال: ويحك يا عمرو! أطعني واتبعه، فإنّه والله لعلى الحق، وليظهرنّ على مَن خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده! قلت: أتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده، فبايعته على الإسلام، ثمّ خرجت إلى أصحابي وقد حال[4] رأيـي عما كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي»[5].

---

(١) الأدم: الجلود، والأديم: الجلد..

(٢) أجزأت عنها: قمت مقامها فيه وكفيتها شأنه.

(٣) وفي رواية مغازي الواقدي (٢/ ٧٤٢): «فرفع يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنه كسره».

(٤) حال رأيـي: تحوّل وتغيّر.

(٥) سيرة ابن هشام (٣/٣١٨ ـ ٣١٩)، وانظر مغازي الواقدي (٢/ ٧٤٢ ـ ٧٤٤)، والدرر (١٣٩ ـ ١٤٦).

وكان نص كتاب النبيّ ﷺ الذي حمله عمرو بن أُميّة الضَّمْرِي إلى النجاشي:

ـ ١ ـ

بسم الله الرحمن الرحيم:

من: محمّد رسول الله

إلى: النّجاشي الأصْحَم ملك الحبشة:

سِلْمٌ أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلّه إلاّ هو، الملكُ، القُدُّوس، السَّلام، المؤمن، المُهَيْمِنُ، وأشهد أنَّ عيسى ابن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريمَ البتول الطيِّبة الحصينة، فحملتْ بعيسى، فخلقه اللهُ من رُوْحِهِ ونَفْخِهِ، كما خلقَ آدمَ بيده ونَفْخِهِ.

وإنّي أدعوكَ إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتّبعني، وتؤمنَ بالذي جاءني، فإني رسول الله.

وقد بعثتُ إليكَ ابن عَمِّي جَعْفَراً ونفراً من المسلمين، فإذا جاءك فاقْرِهِمْ، وَدَعْ التَّجَبُّرَ، فإني أدعوك وجنودَك إلى الله، فقد بلَّغْتُ ونَصَحْتُ، فاقبلوا نُصْحي.

والسَّلام على مَنْ اتَّبَعَ الهُدَى(١).

الله

الختم: رسول

محمد

---

(١) انظر الطبري (٢/ ٦٥٢)، وصبح الأعشى للقلقشندي (٦/ ٣٧٩)، والمواهب اللدنية للقسطلاني (١/ ٢٩١ ـ ٢٩٢)، وزاد المعاد لابن القيِّم (٣/ ٦٠)، وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في مجموعة الوثائق السياسية ـ ط ٢ ـ (٤٣)، وقد ظفر د. م. دنلوب بأصل هذا الكتاب ونشر صورته الشمسية في مجلة الجمعية الملكية الآسيائية (JRAS) الإنكليزية في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٠، انظر مجموعة الوثائق السياسية (٤٤ ـ ٤٥).

ـ ٢ ـ
إلى النّجاشي أيضاً

هذا كتاب من محمّد النبيّ، إلى النّجاشي الأصحم عظيم الحبشة:

سلامٌ على مَنْ اتّبع الهدى وآمنَ بالله ورسوله، وأشهد أَنْ لا إلّه إلّا الله وحده لا شريك له، لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً، وأَنَّ محمّداً عبده ورسوله.

وأدعوك بدعاية الإِسلام، فإني رسول الله، فأَسْلِمْ تَسْلَمْ، ﴿يا أَهْلَ الكِتَاب تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُد إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ به شَيْئاً، وَلاَ يَتَّخِذَ بعضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً من دُوْنِ اللَّهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُوْلُوْا اشْهَدُوا بأَنَّا مُسْلِمُون﴾[١].

فإن أبيتَ فعليك إثم النَّصارى من قومك[٢].

الله
الختم: رسول
محمد

ولعلّ الأصحم مقحمٌ من الراوي حسب ما فهم، والصواب أنّ اسم النجاشي هو: أَصْحَمَة[٣].

---

(١) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣: ٦٤).

(٢) البداية والنهاية (٣/ ٨٣) نقلاً عن البيهقي في دلائل النبوّة، وانظر مجموعة الوثائق السياسية.

(٣) انظر البداية والنهاية (٣/ ٧٧).

وأرى أنّ الكتاب النبوي الرقم (١) أرسل مع جعفر بن أبي طالب لا مع عمرو بن أُميّة، كما ذكرنا في سيرة جعفر.

ـ ٣ ـ

جواب النّجاشي إلى النبيّ ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى: محمّد رسول الله.

من: النّجاشي الأصحم بن أبجر.

سلامٌ عليك يا نبيّ الله ورحمة الله وبركاته، من الله الذي لا إلّه إلاّ هو الذي هداني إلى الإسلام.

أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمرِ عيسى، فوربِّ السّماء والأرض، إنّ عيسى ما يزيد على ما ذكرتَ ثُفْرُوْقاً[1]، إنه كما قلتَ، وقد عرفنا ما بُعِثْتَ به إلينا، وقد قَرَيْنَـا ابن عمِّك وأصحابه، فأشهدُ أنّك رسول الله صادقاً مصدَّقاً، وقد بايعتك وبايعتُ ابن عمِّك وأسلمت على يديه لله ربّ العالمين، وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصحم بن أبجر، فإني لا أملك إلاّ نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أنّ ما تقول حقّ، والسّلام عليك يا رسول الله[2].

التوقيـع

قال ابن إسحاق: «وذُكر لي، أنّ النّجاشي بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة، فـإذ كانوا في وسط من البحر غرقت بهم سفينتهـم، فهلكوا»[3].

---

(١) يقال: ماله ثفروق، أيّ شيء، وأصله قمع التمر، أو ما يلتزق به قمعها.

(٢) الطبري (٢/ ٦٥٣)، وصبح الأعشى (٦/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧)، والبداية والنهاية (٣/ ٨٤)، وزاد المعاد (٣٠/ ٦٠ ـ ٦١)، وانظر تفاصيل المصادر والمراجع الأخرى في مجموعة الوثائق السياسية (٤٦).

(٣) الطبري (٢/ ٦٥٣).

ـ ٤ ـ

كتاب النجاشي إلى النبيّ ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى محمّد ﷺ

من: النجاشي أصحمة.

سلامٌ عليك يا رسول الله من الله ورحمةُ الله وبركاته. أما بعد: فإني قد زوّجتك امرأة من قومك وعلى دينك، وهي السيِّدة أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، وأهديتك هدية جامعة قميصاً وسراويل وعطافاً وخفين ساذجين.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[١].

التوقيـع

ـ ٥ ـ

كتاب آخر للنجاشيّ إلى النبيّ ﷺ

إلى: محمّد ﷺ

من: النجاشي أصحمة.

سلامٌ عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته، لا إلّه إلّا الذي هداني للإسلام.

أما بعد: فقد أرسلتُ إليك يا رسول الله مَنْ كان عندي من أصحابك المهاجرين من مكّة إلى بلادي. وها أنا أرسلتُ إليك ابني أُريحا في ستين رجلاً من أهل الحبشة، وإن شئتَ أن آتيكَ بنفسي فعلتُ يا رسول الله، فإني أشهد أنّ ما تقوله حقّ.

والسّلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته[٢].

---

(١) انظر تفاصيل المصادر والمراجع في مجموعة الوثائق السياسية (٤٨).

(٢) الطبري (٢/٦٥٣)، صبح الأعشى (٦/٤٦٦ ـ ٤٦٧)، والبداية والنهاية (٣/ ٨٤)، وزاد المعاد (٣/ ٦٠ ـ ٦١)، وانظر تفاصيل المصادر والمراجع الأخرى في مجموعة الوثائق السياسية (٤٦).

وكان أوّل رسول بعثه رسول الله ﷺ، عمرو بن أُميّة الضَّمْرِي إلى النّجاشيّ، وكتب إليه كتابين، يدعوه في أحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن، فأخذ كتاب رسول الله ﷺ فوضعه على عينيه، ونزل من سريره فجلس على الأرض تواضعاً، ثم أسلم وشهد بشهادة الحق، وقال: «لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته»، وكتب إلى رسول الله ﷺ بإجابته وتصديقه وإسلامه. وفي الكتاب الآخر يأمره أن يزوِّجه أمّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت قد هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها عُبَيْد الله بن جَحْش الأسدي، فتنصّر هناك ومات، وأمر رسول الله ﷺ أن يبعث إليه بمن قِبَلَه من أصحابه ويحملهم، ففعل، فزوَّجَه أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، وأصدقَ عنه أربعمائة دينار، وأمر بجهاز المسلمين وما يُصلحهم، وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أميّة الضَّمْرِيّ، ودعا بِحُقٍّ من عاج، فجعل فيه كتابي رسول الله ﷺ، وقال: «لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها»[1].

وقد مرّت بنا الكتب التي حفظتها لنا المصادر، وليس بينها كتابه عليه الصّلاة والسّلام إلى النّجاشي الذي يأمره به أن يزوِّجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، ويحمل إليه مَن عندَه من أصحابه[2].

ومن المحتمل أنّ هذا الكتاب قد فُقِد ولم يسجّل، ولكن النجاشي تسلّمه ونفّذ ما جاء فيه، وأجاب عليه، كما هو واضح في كتاب النجاشي رقم (٤) وكتابه الرقم (٥).

والذي يبدو لي، أنّ كتاب النبيّ ﷺ الرقم (١)، أرسله إلى النجاشي مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، حين هاجر من مكّة إلى أرض الحبشة، وما جاء في هذا الكتاب يدلّ على ذلك.

---

(١) طبقات ابن سعد (١/٢٥٨ ـ ٢٥٩)، وانظر الطبري (٢/٦٥٣).

(٢) شرح المواهب للزرقاني (٣/٣٤٦)، وإمتاع المؤانسة للمقريزي (١/٣٢٥)، وانظر مجموعة الوثائق السياسية (٤٧ ـ ٤٨).

أما الكتاب الرقم (٢)، فهو الذي حمله عمرو بن أُميّة الضَّمْرِيّ في سفارته إلى النجاشي، ولكن البيهقي في دلائل النبوّة ذكر هذا الكتاب بعد قصة هجرة الحبشة، وفي ذكره هنا نظر، فإنّ الظاهر أنّ هذا الكتاب إنما هو للنجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ قُبيل الفتح، كما كتب إلى هِرَقْل عظيم الروم قيصر الشّام، وإلى كسرى ملك الفُرس، وإلى صاحب مصر، وإلى النجاشي. قال الزهري: «كانت كتب النبيّ ﷺ إليهم واحدة ـ يعني نسخة واحدة ـ وكلّها فيها هذه الآية: ﴿يا أَهْلَ الكتاب تَعَالَوْا إلى كلمةٍ سَواء...﴾ الآية، وهي من سورة آل عمران، وهي مدنية بلا خلاف، وقد نزل ثلاث وثمانون آية من أولها في وفد نَجْران»[١].

واسم النجاشيّ الذي جاءه عمرو بن أُميّة (أَصْحَمَة)[٢] كما ذكرنا، وقد شكّك كثيرون بإسلام النجاشيّ، وبدأ التشكيك من الأجانب غير المسلمين، فقلّدهم المسلمون بنقل أقوالهم دون تدقيق ولا تمحيص. ولكنّ إسلام النجاشي ثابت، لأنّ النبيّ ﷺ صلّى عليه صلاة الغائب حين علم بموته، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري[٣] وصحيح مسلم[٤] والنسائي[٥] وغيرهم[٦]، ولا تُصلّى صلاة الغائب إلاّ على الموتى من المسلمين.

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ٨٣).

(٢) صحيح مسلم (٢/ ٣٣٧)، والبداية والنهاية (٣/ ٧٧)، والمحبّر (٧٦).

(٣) فتح الباري بشرح البخاري (٣/ ٩٢) و (٣/ ١٦٣)، في باب الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه، وباب التكبير على الجنازة أربعاً.

(٤) صحيح مسلم (٢/ ٣٣٧) في باب التكبير على الجنازة، وانظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتّفق عليه الشيخان (١٩٣ ـ ١٩٤).

(٥) النسائي (٤/ ٦٩) في باب التكبير على الجنازة.

(٦) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه. انظر تيسير الوصول (٢/ ٣١٢)، والمنتقى من أخبار المصطفى (٢/ ٨٢).

لقد حقّق عمرو بن أُميّة أهداف سفارته إلى النجاشي كافة: إسلام النجاشي أو تجديد إسلامه وإسلام غيره من الحبشة، واستقدام المسلمين المهاجرين في أرض الحبشة إلى المدينة، وزواج النبيّ ﷺ أم حبيبة رضي الله عنها. وقد يكون النجاشي الذي أسلم على يدي عمرو قد خلف النجاشي الذي أسلم على يدي جعفر بن أبي طالب، فيكون الخلف والسلف قد أسلما[1]، وأرجح ذلك.

وهكذا أثبت عمرو بن أُميّة أنه ليس مقاتلاً رهيباً حسب، بل مفاوضاً لامعاً أيضاً.

وتبقى قصّة سفارة عمرو بن أميّة إلى مُسَيْلَمَة الكذّاب، فقد قدم مسيلمة مع وفد بني حَنِيْفَة قومه المدينة المنوّرة، وكان منزله في دار ابنة الحارث امرأة من الأنصار، واجتمع برسول الله ﷺ، ثم عاد إلى اليَمَامة بِنَجْدٍ وتنبّأ وتكذّب لبني حنيفة وادّعى أنّه شريك رسول الله ﷺ في النبوّة، فاتّبعه بنو حَنِيفة، وكان قدوم بني حنيفة ومعهم مسيلمة في سنة عشرِ الهجرية[2]، وهي عام الوفود.

ويبدو أنّ أخبار رِدّة مسيلمة الكذّاب تسرَّبت إلى المسلمين، فكتب إليه رسول الله ﷺ مع عمرو بن أميّة الضَّمْرِي، يدعوه إلى الإسلام، فكتب مسيلمة إلى النبيّ ﷺ جواب كتابه، يذكر فيه أنّه نبيّ مثله، ويسأله أن يقاسمه الأرض، ويذكر أنّ قريشاً قومٌ لا يَعْدِلون[3]، وكان نص كتاب مسيلمة الكذّاب إلى النبيّ ﷺ: «من مسيلمة رسول الله.. إلى محمد رسول الله. أما بعد: فإني قد أُشركت معك في الأمر، وإنَّ لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكنّ قريشاً قوم يعتدون»، وبعث كتابه هذا إلى

(١) انظر البداية والنهاية (٣/ ٨٣): «فإنّ الظاهر أنّ هذا الكتاب إنّما هو للنجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر».

(٢) ابن الأثير (٢/ ٢٩٨).

(٣) طبقات ابن سعد (١/ ٢٣٧).

النبيّ ﷺ مع رسولين، فسألهما رسول الله ﷺ عنه، فصدّقاه، فقال لهما: «لولا أنّ الرُّسل لا تُقْتَل لقتلتكما».

وكتب النبيّ ﷺ إلى مسيلمة: «بسم الله الرحمن الرحيم. . من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذّاب، أما بعد، فالسّلام على مَنْ اتّبَع الهُدى، فإنّ الأرض لله، يورثها مَنْ يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين»[1]، وبعث بالكتاب مع السّائب بن العوّام أخي الزُّبير بن العوّام[2] رضي الله عنهما.

وقيل: إنّ دعوى مسيلمة وغيره النبوّة كانت بعد حجّة الوَداع ومرضته التي مات فيها، فلما سمع الناس بمرضه عليه الصّلاة والسّلام، وثب الأسود العَنْسِيّ باليمن، ومسيلمة باليمامة، وطُلَيْحَة الأسديّ في بني أسد[3].

ومعنى ذلك، أنّ عمرو بن أُميّة حمل رسالة النبيّ ﷺ إلى مسيلمة بموجب الرواية الأولى سنة عشرة الهجرة، وبموجب الرواية الثانية سنة إحدى عشرة الهجرية.

ومن الواضح أنّ سفارة عمرو كانت لمهمّة استطلاعية، هدفها التأكّد من رِدَّة مسيلمة وبني حنيفة ودرجة خطورة هذه الرِدّة على مستقبل الإسلام والمسلمين، فوجد أنّ أمر مسيلمة وبني حنيفة قد خرج عن الطّوق، وأنّ حافزهم هو النعرات القبلية التي جاء الإسلام لمحاربتها، ولا علاقة للدين في حافزهم ورِدّتهم، فلا مجال للعقل في معالجة الأمر، فنطق السيف حين سكت العقل.

وكان لعمرو بن أُميّة فضل مع غيره من الذين أطلقوا إشارات الإنذار المبكّر للمسلمين من أجل العمل لمكافحة المرتدين وإعادة الوحدة إلى

(١) ابن الأثير (٢/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠).
(٢) طبقات ابن سعد (١/ ٢٣٧).
(٣) ابن الأثير (٢/ ٣٠٠).

الصفوف تحت لواء الإسلام، فبدأت الاستعدادات لحرب أهل الرِدَّة، فلما التحق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى، وضع خليفته أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه خطة حرب الرِدَّة في موضع التنفيذ، فاستطاع خلال شهور معدودة إعادة الوحدة إلى الصفوف تحت لواء الإسلام من جديد.

وكان للاستعدادات المتّخذة لحرب الرِدّة، أثر حاسم في انتصار المسلمين بعددهم القليل، على المرتدين بعددهم الكثير، وكان لعمرو أحد الروّاد الذين استحثّوا على إنجاز تلك الاستعدادات وإبراز أخطار الردّة، فضل في استكمال تلك الاستعدادات بدقّة وسرعة في أحرج الظروف والأحوال.

الإنسان والقائد

١ ـ روى عمرو بن أُميّة عشرين حديثاً عن النبيّ ﷺ[١]، وروى له أصحاب الستّة الصحاح في الحديث[٢]، واتفق البخاري ومسلم على حديث واحد، وللبخاري حديث آخر انفرد به[٣].

وقد روى عنه بنوه الثلاثة: جعفر، وعبد الله، والفضل[٤]، وابن أخيه الزِّبْرِقان والشَّعبيّ، وأبو سَلَمَة بن عبد الرحمن بن عوف، وأبو قلابة الجرميّ وأبو المهاجر[٥].

وقد ذكر المحدِّثون، أنّ أولاده الثلاثة رووا له ما رواه من أحاديث رسول الله ﷺ، ولكنّ النسَّابة ذكروا ابنه جعفر بن عمرو بن أُميّة وحفيده

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٤)، وأسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة (٢٨٣)، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٢٨٧).
(٢) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٢٨٧).
(٣) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٥).
(٤) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٢٨٧).
(٥) تهذيب التهذيب (٨/ ٦).

الزِّبْرِقان بن عبد الله بن عمرو بن أميّة[1]، ويبدو أنّ هذين فقط اشتهرا من بين أولاده وأحفاده، فاستحقّا ذكر النّسّابة الذين لا يذكرون غالباً غير المشاهير. وعمرو معدود من أهل الحجاز[2]، فقد بقي في المدينة ومات فيها، ولم يرحل إلى الأمصار بعد الفتح.

ولا ندري سنة ميلاده، ولكنه توفي بالمدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان قبل سنة ستين الهجرية[3]، فكانت وفاته سنة خمسين الهجرية[4] (٦٧٠ م)، ويبدو أنّه كان من المعمَّرين، لأنّه كان مشهوراً بسجاياه في الجاهلية، فلا بدّ من أن يكون في الجاهلية قد بلغ من العمر ما جعله معروفاً مشهوراً بين الناس.

وقد انفرد ابن خياط في تاريخه بذكر أنّ النبيّ ﷺ بعث عمرو بن أُميّة بهديه إلى أبي سفيان[5]، وكان ذكر هذا الخبر في سياق تسمية رسل النبيّ ﷺ إلى الملوك والرؤساء، باعتبار أنّ أبا سفيان كان رئيساً لقريش، وانفرادُ مصدرٍ واحد ـ على شهرته ـ وعدم نقله من المصادر الأخرى، يدلّ على غرابة الخبر والشكّ في سلامته.

ومصدر الشك في هذا الخبر، هو أنّ قريشاً كانت في هدنة مع المسلمين بعد حروب طاحنة بين الجانبين، كما أنّ موقف أبي سفيان من الإسلام والمسلمين يختلف مع موقف سائر الملوك والرؤساء الآخرين، لأنّه كان العدو المباشر للإسلام والمسلمين، لهذا أشك في صحّة هذا الخبر.

لقد كان عمرو من أجواد العرب وشخصياتهم المعروفة، وكان

---

(١) جمهرة أنساب العرب (١٩٥).
(٢) تهذيب التهذيب (٨/ ٦).
(٣) أسد الغابة (٤/ ٨٦).
(٤) البداية والنهاية (٨/ ٤٦).
(٥) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٦٢).

شخصية مرموقة قبل الإسلام وبعده، وقد خدم الإسلام والمسلمين خدمات عظيمة جداً لاتُنسى.

٢ ـ لقد كان عمرو من رجال العرب نجدةً وجرأةً[١] وأحد أبطالهم[٢]، وكان شجاعاً[٣]، وكان سريع الحركة، يتملّص بسرعة إذا حاق به الخطر، فيعجز خصمه عن اللِّحاق به.

وكان حاضر البديهة، لأنّ مجابهة المواقف المتغيرة السريعة، والنّجاح في التملّص من أخطارها، دليل على حضور البديهة والذكاء.

وكان عاقلاً متّزناً، لذلك كان من مهماته التي نهض بها السّفارة إلى النجاشي داعياً وخاطباً ومفاوضاً.

ومن المهمات التي أنجزها، يبدو أنّه كان من المجاهدين الفدائيين المغاوير.

وربما تبدو مهمة استنقاذ جثّة خُبَيْب بعد صلبه من قريش مهمة سهلة أو لا أثر لها ولا تأثير ولا قيمة.

والواقع خلاف ذلك، فقد كانت الجثة محروسة حراسة قويّة، فاستطاع خطفها من بين حرّاسها المتربصين، كما أنّ خطفها رفع معنويات المسلمين من جهة، وأدّى إلى انهيار معنويات قريش من جهة أخرى.

فقد كان النبيّ ﷺ لا يتخلّى عن أصحابه أحياء وأمواتاً، وهذا مما يرفع معنوياتهم في السّلم والحرب.

وكان خطف الجثة ضربة شديدة على معنويات قريش، لأنّهم أيقنوا أنّ المسلمين يستطيعون تحقيق مآربهم حتى في عقر دار قريش على رغم

---

(١) تهذيب التهذيب (٨/٦).
(٢) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٢٨٧).
(٣) الإصابة (٤/ ٢٨٥).

اليقظة والحراسة، فأصبحوا غير آمنين على أنفسهم.

تلك هي أبرز سمات قيادة عمرو، تبدو واضحة للعيان من دراسة سيرته العطرة.

عمرو بن أُميّة في التاريخ

يذكر التاريخ لعمرو، أنّه كان من أبطال العرب وشجعانهم قبل الإسلام وبعد الإسلام.

وأنّه وظّف شجاعته وإقدامه لخدمة أهداف النبيّ ﷺ وخدمة الإسلام والمسلمين.

وأنّه كان مجاهداً صادقاً وقائداً متميِّزاً وسفيراً لامعاً.

وأنّه نال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء النبيّ ﷺ.

رضي الله عن الصحابيّ الجليل، القائد البطل، السفير الحصيف، عمرو بن أُميّة الضَّمْرِيّ.

بشير بن سَعْد الأنصاري الخزرجي
القائـد الشّهيـد

نسبه وأيامه الأولى

هو بشير بن سَعْد بن ثعلبة بن خَلَّاس[1] بن زيد بن مالِك الأغرّ بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج[2].

وأُمّه: أَنِيْسَة بنت خَلِيْفة بن عَدِيّ بن عمرو بن امرىء القيس بن مالك الأغرّ[3] من بني الخزرج أيضاً[4].

وكان لبشير من الولد: إبراهيم بن بشير، شاعر مُكْثِر، والنُّعمان بن بشير أوّل مولود ولد للأنصار بعد الهجرة[5]، وكان بشير يكنى بابنه النُّعمان، وأُبيَّة، وأمُّ النُّعمان وأُبيَّة عَمْرَة بنت رَوَاحة أخت عبد الله بن رَواحة، ولبشير عقب[6].

وكان بشير يكتب بالعربيّة في الجاهليّة، وكانت الكتابة في العربية

---

(١) في الإصابة (١/ ١٦٣)، وتهذيب التهذيب (١/ ٤٦٤)، وخلاصة تذهيب التهذيب (٥٠): وردت جلاس، بضم الجيم، وتخفيف اللام.

(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٣١)، والاستبصار (١٢١)، وتهذيب ابن عساكر (٣/ ٢٦٤)، وأسد الغابة (١/ ١٩٥)، والاستيعاب (١/ ١٧٢)، وانظر جمهرة أنساب العرب (٣٦٤)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٢٤).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٣١).

(٤) الاستبصار (١٠٨).

(٥) جمهرة أنساب العرب (٣٦٤).

(٦) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٣١).

قليلاً[1] في العرب[2].

شهد بيعة العَقَبة الثانية مع الأوس والخزرج المسلمين[3]، ويقال: إنّه أوّل مَنْ أسلم من الأنصار[4]، فهو من السّابقين الأولين إلى الإسلام من أهل المدينة الأنصار.

ولما هاجر النبيّ ﷺ والمهاجرون إلى المدينة، أصبح بشير عضواً فاعلاً في المجتمع الإسلامي الجديد: مجتمع المهاجرين والأنصار، في ظلّ المؤاخاة والتعاون الوثيق لخدمة الإسلام والمسلمين.

في سريّة فَدَك[5]

شهد بشير بدراً[6] وأُحُداً والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ[7]. وفي شهر شعبان من السّنة السّابعة الهجريّة، بعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد في ثلاثين رجلاً إلى بني مُرَّة بِفَدَك، فخرج يلقى رِعاء الشّاء، فسأل عن الناس، فقيل: في بواديهم، فاستاق النَّعَمَ والشّاءَ، وانحدر إلى المدينة.

وخرج الصَّرِيخ[8] فأخبرَ بني مُرَّة، فأدرك بشير بن سعد

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٣١)، وتهذيب التهذيب (١/ ٤٦٤).

(٢) تهذيب ابن عساكر (٣/ ٢٦٥).

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٧)، وجوامع السيرة (٨٠)، والدرر (٧٦).

(٤) البداية والنهاية (٦/ ٣٥٣).

(٥) فدك: قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة؛ انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ٣٤٢ ـ ٣٤٥).

(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٣٨)، ومغازي الواقدي (١/ ١٦٥)، وجوامع السيرة (١٣٠)، والدرر (١٢٩).

(٧) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٣١)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٢٤)، والاستبصار (١٢١)، والاستيعاب (١/ ١٧٢).

(٨) الصّريخ: الاستغاثة، والمستغيث، والمغيث، وفي التنزيل العزيز: ﴿فلا صَرِيخَ لهم ولا هُمْ يُنْقَذُون﴾.

الدَّهْم[1] منهم عند اللَّيل، فأتوا يرامونهم بالنَّبْل حتى فنيت نَبْل أصحاب بشير وأصبحوا، فحمل المُرِّيُّون عليهم، فأصابوا أصحاب بشير. وقاتل بشير حتى ارتُثّ[2] وضرب كعبُه، فقيل: قد مات.

ورجع بنو مُرّة بنَعمهم وشائهم.

وقدم عُلْبَة بن زيد الحارثي أحد المسلمين من سرية بشير بن سعد على رسول الله ﷺ بخبر السرية، ثم قدم من بعده بشير بن سعد[3].

في سرية يُمْن[4] وجُبَار[5]

لما بلغ النبيّ ﷺ أنّ جمعاً من غَطَفَان بـ(الجِنَاب)[6]، قد واعدهم عُيَيْنَة بن حِصْن ليكون معهم، ليزحفوا إلى رسول الله ﷺ، دعا رسول الله ﷺ بشير بن سعد، وعقد له لواءً، وبعث معه ثلاثمائة رجل، إلى يُمْن وجُبَار في شهر شوّال من السنة السابعة الهجرية.

وسار المسلمون اللّيلَ وكمنوا النهار، حتى أتوا إلى يُمْن وجُبَار، وهي نحو الجِنَاب، والجِنَاب يعارض (سَلاّح)[7] وخَيْبَر ووادي القُرى، فنزلوا بسَلاح، ثمّ دنوا من القوم، فأصابوا نَعَماً كثيراً، وتفرّق الرِّعاء، فحذّروا الجمع فتفرّقوا ولحقوا بعَلياء بلادهم.

---

(١) الدهم: جمع دهماء، وهم عامة الناس. والدّهم بفتح الدال وسكون الهاء، العدد الكثير، يقال: جاءهم دهم من الناس.
(٢) ارتث: ضرب في الحرب فأُثخن وحمل وبه رمق، ثم مات، فهو مرتثّ.
(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ١١٨ ـ ١١٩)، ومغازي الواقدي (٢/ ٧٢٣ ـ ٧٢٦)، وانظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٨٤).
(٤) يمن: ماء لغطفان بين المدينة وفَيْد، انظر معجم البلدان (٨/ ٥٢٤).
(٥) جبار: ماء لقضاعة بين المدينة وفَيْد، انظر معجم البلدان (٣/ ٤٣).
(٦) الجنَاب: من ديار فزارة بين المدينة وفَيْد، انظر معجم البلدان (٣/ ١٤١).
(٧) سَلَاح: موضع أسفل من خيبر، انظر معجم البلدان (٥/ ١٠١).

وخرج بشير بن سعد في أصحابه، حتى أتى محالّهم، فلم يجد فيها أحداً.

ورجع بشير بالنَّعَم، وأصاب من غَطَفان رجلين، فأسرهما وقدم بهما إلى رسول الله ﷺ، فأسلما، فأرسلهما النبيّ ﷺ[1].

وهكذا استطاع بشير أن يؤدي واجبه على أحسن وجه في هذه السريّة.

في قيادة تعبويّة

وفي غزوة عُمْرَة القضاء التي كانت في ذي القعدة من السّابعة الهجرية[2]، حمل رسول الله ﷺ السّلاح والبيض والدروع والرِّماح، وقاد مائة فرس عليها محمّد بن مَسْلَمَة، وقدّم السِّلاح واستعمل عليه بشير بن سعد، فقيل: يا رسول الله! حملت السِّلاح وقد شرطوا علينا ألاّ ندخل عليهم إلاّ بسلاح المسافر: السيوف في القُرُب! فقال رسول الله ﷺ: «إنا لا نُدْخلها عليهم الحَرم، ولكن تكون قريباً منّا».

وسار رسول الله ﷺ يُلَبِّي والمسلمون يُلَبُّون، ومضى محمد بن مَسْلَمَة بالخيل إلى (مَرّ الظَّهْران)[3]، فوجد نفراً من قريش، فسألوا محمّد بن مَسْلَمَة فقال: «هذا رسول الله يُصبِّح هذا المنزل غداً إن شاء الله»، فرأوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد، فخرجوا سريعاً حتى أتوا قريشاً فأخبروهم بالذي رأوا من الخيل والسِّلاح، ففزعت قريش وقالوا: واللّهِ ما أَحْدَثْنا حَدَثاً، ونحن على كتابنا ومدّتنا، ففيمَ يغزونا محمّد في أصحابه؟.

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ١٢٠)، ومغازي الواقدي (٢/ ٧٢٧ ـ ٧٣١)، وانظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٨٤).

(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ١٢٠).

(٣) مرّ الظهران: موضع على مرحلة من مكة، انظر معجم البلدان (٨/ ٢١).

ونزل رسول الله ﷺ مرّ الظّهْران، وقدّم السّلاح إلى بطن(يَأْجج)[1] حيث ينظر إلى أنصاب الحرم.

وبعثت قريش مِكْرَز بن حَفْص بن الأَخْنَف في نفرٍ من قريش، حتى قدموا بطن يَأْجج، ورسول الله ﷺ في أصحابه والهَدْي والسّلاح، قد تلاحقوا، فقالوا: يا محمّد! والله ما عُرِفْتَ صغيراً ولا كبيراً بالغَدْر! تدخل بالسّلاح الحَرَم على قومك؟! وقد شرطتَ ألاّ تدخل إلاّ بسلاح المسافر: السيوف في القُرُب! فقال رسول الله ﷺ: «لا ندخلها إلاّ كذلك»، فرجع مِكْرَز سريعاً بأصحابه إلى مكّة، فقال: «إنّ محمّداً لا يدخل بسلاح، وهو على الشّرط الذي شرط لكم»[2].

واستطاع بشير بقيادته التعبويّة هذه بإمرة النبيّ ﷺ، في غزوة من غزواته، أن يؤثّر في معنويات قريش، وأن يجعلها لا تفكّر بالغدر، لأنّ المسلمين مسلّحون، كما استطاع النبيّ ﷺ أن يطبق مبدأ: الأمن، وذلك بإعداد السّلاح لاستخدامه عند الحاجة، في حالة نقض قريش لعهودها، فكان عليه الصّلاة والسّلام كما هو معهود فيه متّسماً ببعد النّظر، فأدخل في حسابه أسوأ الاحتمالات، دون أن يغدر أو يفكّر بالغدر، لأنّ الوفاء بالعهود من المبادىء الإسلامية الثّابتة ومن تعاليم الإسلام المقرّرة المعروفة.

الإنســـان

١ ــ يُعَدّ بشير من أهل المدينة[3]، فهو الأنصاري الخزرجيّ المدني[4]، وقد روى عنه ابنه النُّعمان وجابر بن عبد الله[5]، ومن حديث

(١) يأجج: مكان من مكة على ثمانية أميال، انظر معجم البلدان (٨/ ٤٩٠).
(٢) مغازي الواقدي (٢/ ٧٣٣ ـ ٧٣٤).
(٣) الاستيعاب (١/ ١٧٣).
(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٢٤).
(٥) الاستبصار (١٢٢).

جابر قال: «سمعت عبد الله بن رَواحة يقول لبشير بن سعد: يا أبا النُّعمان»، في حديث ذَكَره[1]، وروى عنه مُرْسلاً عُرْوَة والشَّعْبِيّ لأنهما لم يدركاه[2]. كما روى عنه ابنه محمّد أيضاً، فتكون روايته عنه مرسلة لأنّه لم يدركه أيضاً[3]. وروى محمد بن إسحق عن الزُّهري عن حُمَيْد بن عبد الرحمن بن عوف عن النُّعمان بن بشير عن أبيه، أنّه أتى النبيّ ﷺ بابن له يحمله، فقال: «يا رسول الله! إني نحلت ابني هذا غلاماً، وأنا أحبّ أن تشهد»، قال: «لك ابن غيره؟»، قال: «نعم»، قال: «فكلّهم نحلت مثل ما نحلته؟»، قال: «لا»، قال: «لا أشهد على هذا». وقد روى عن الزُّهري نحوه، وقال عن النُّعمان: «إن أباه بشير بن سعد جاء بالنُّعمان ابنه إلى رسول الله ﷺ»، جعله في مسند النُّعمان، أخرجه الثلاثة[4]، وهو مذكور في المهذّب، وغيره في باب الهِبَة[5]، وله ذكر في صحيح مسلم وغيره في قصّة الهبة لولده، وحديثه في النسائي[6]. كما روى عنه محمّد بن كعب القُرَظِيّ. وروى النّعمان عن أبيه أنّ النبيّ ﷺ أنّه قال: «رحم الله عبداً سمع مقالتي فحفظها، فربّ حامل فقه وليس بفقيه، وربّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب مسلم: إخلاص العمل لله عزّ وجلّ، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين». وعن طريق الطبرانيّ عن بشير أنّ النبيّ ﷺ قال: «منزلة المؤمن من المؤمن منزلة الرأس من الجسد، متى اشتكى له الرأس اشتكى له الجسد»[7].

وهو الذي ثبت في الصحيح أنه قال: «يا رسول الله! أُمرنا أن نصلي

(١) الاستيعاب (١/ ١٧٣).
(٢) أسد الغابة (١/ ١٩٥).
(٣) تهذيب التهذيب (١/ ٤٦٤).
(٤) أسد الغابة (١/ ١٩٥).
(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٢٤).
(٦) الإصابة (١/ ١٦٢).
(٧) تهذيب ابن عساكر (٣/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥).

عليك، فكيف نصلي عليك؟»[1]، فسكت رسول الله ﷺ، حتى تمنينا أنّه لم يسأله، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: اللّهم صلِّ على محمّد وعلى آلِ محمّد، كما صلّيت على إبراهيم، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على إبراهيم، في العالمين، إنّك حميد مجيد. والسَّلام كما علمتم»[2].

لقد كانت له صحبة ورواية عن النبيّ ﷺ[3].

٢ ــ ويبدو أنّه كان شاعراً، وتنسب إليه القصيدة التالية، فإذا كان شاعراً حقّاً، فمن المحتمل أن أكثر شعره قد ضاع، أو كان شاعرا مُقِلاًّ.

والقصيدة التي تروى له طويلة، نذكر قسماً منها:

لِعَمْــرَةَ بــالبَطْحَــاء بيــن معــرَّفٍ ... وبيـن المطـاف مسكـنٌ ومحـاضِـرُ[4]
لعمــري لحــيٌّ بيــن دار مــزاحــمٍ ... وبين الجُثَا لا يجشم السَّيْر حاضِرُ[5]
وحَــيٌ حِــلالٌ لا يُــرَوَّع سَــرْبُهُــم ... لهـم مـن وراء القـاصيـات زوافِـرُ[6]
أحَــقّ بهــا مــن فتيــةٍ وركــائــبٍ ... يقطِّـع عنهـا الليـلَ عـوج ضـوامِـرُ[7]

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٢٤).
(٢) تهذيب ابن عساكر (١/ ٢٦٦).
(٣) تهذيب ابن عساكر (٣/ ٢٦٤).
(٤) البطحاء: بطحاء مكّة. والمعرّف: موضع الوقوف بعرفات. والمطاف: حيث يطوف الناس بالبيت.
(٥) الجثا: الحجارة التي توضع على حدود الحرم، أو هي الأنصاب التي كانت تذبح عليها الذبائح، واحدتها جثوة. وجثا أيضاً كربا: جبل من جبال أجأ مشرف على رمل طيىء. والجثوة أيضاً: حجارة من تراب متجمع كالبقر.
(٦) الحيّ الحلال: القوم المقيمون بأرضهم. والسرب: المال الراعي من الإبل، أو من جميع الماشية. والقاصيات: جمع قاصية، موضع، ولعلّه جمعه بما حوله، والزوافر: جمع زافرة، وهم الرهط والعشيرة والأنصار.
(٧) قبل هذا البيت في ديوان حسّان بن ثابت بيت آخر، وهو:
إذا قيل يوماً اظعنوا قد أتيتم ... أقاموا ولم تجلب إليهم أباعر =

تقول وتذري الدّمع عن حرِّ وجهها   لعلّك نفسي قبل نفسك باكر[١]
أباحَ لها بطريق فارس غائطاً   لها من ذُرى الجُوْلان بقل وزاهر[٢]
فقرَّبَها للرّحل وهي كأنّها   ظليم نعامٍ بالسّمَاوة نافِر
فأوردَها ماءً فما شرب به   سوى أنّه قد بُلَّ منها المشافِر[٣]
فباتت سُراها ليلة ثمّ عرَّست   بيثرب والأعراب بادٍ وحاضر[٤]

ولم يشكِّك ابن عساكر في نسبة القصيدة إلى بشير أبي النّعمان، بل جزم بذلك[٥]، ولكن القصيدة تنسب لغير بشير أيضاً[٦]، ولا يقلّل من قدر بشير أن تكون لغيره، ولا يزيد من قدره أن تكون له، وهي على كل حال مشكوك في نسبتها إليه، ولو كان شاعراً حقّاً لسمعنا صوته عالياً كما سمعنا أصوات شعراء النبيّ ﷺ، ولما بقي ساكتاً في موقف يحسن فيه الكلام.

= والعوج: جمع أعوج وعوجاء، وهو من الخيل والإبل ما كان في يديه عوج، وهو من الصفات المستحسنة فيها. والضوامر: جمع ضامر وضامرة، وهي القليلة اللّحم والشّحم.

(١) لعل الضمير في تقول إلى (عمرة) وهي زوجه. وتذرى: تسقط. وباكر: وصف من بكر إذا تقدم. تريد أنك مقدم على إهلاكي قبل أن تهلك نفسك بهذه الرحلة.

(٢) في تهذيب ابن عساكر: أناخ بها بطريق فارس عابطاً، والغائط: المكان المنخفض يزرع.

(٣) في تهذيب ابن عساكر: لذلك قد بللت منه المشافر.

(٤) في تهذيب ابن عساكر:

فنامت بمسراها وليلة عرّست   على الشِّرب والأعراب بادٍ وحاضر

انظر الأغاني (١٦/ ٤٤ ـ ٤٥)، وتهذيب ابن عساكر (٣/ ٢٦٥).

(٥) تهذيب ابن عساكر (٣/ ٢٦٥).

(٦) نسبت في معجم البلدان لبشير، ونسبها السكّري إلى حسّان بن ثابت وهي في ديوانه (ص ٤٢)، وتنسب أيضاً لسعد بن الحصين من بني الحارث بن الخزرج، ويبدو أنّ الأبيات المذكورة ملفقة من أقوال هؤلاء الشعراء، لأنّ المعنى غير متّسق فيها جميعاً، انظر الهامش الرقم (٥) من الأغاني (١٦/ ٤٣).

٤ ـ ولعلّ أعظم مواقف بشير في خدمة الإسلام والمسلمين، هو مبادرته لمبايعة أبي بكر الصدِّيق بعد انتقال النبيّ ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فكان أوّل مَن بايع أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه يوم السَّقِيْفة من الأنصار[١].

ولإبراز أهميّة مبادرة بشير في البيعة التي وضعت حدّاً للفتنة المحتملة بين المهاجرين والأنصار، لا بدّ من ذكر مختصر ما حدث في سقيفة بني ساعدة، فقد كانت بيعة أبي بكر فتنة، ولكنّ الله وقَى شرّها[٢]، كما وصفها عمر بن الخطّاب.

فقد اجتمعت الأنصار في سَقِيْفَة بني ساعدة[٣]، وأخرجوا سعد بن عُبادة ليولّوه الأمر، وكان مريضاً، وذلك لما قُبض النبيّ ﷺ.

وقال سعد بن عُبادة بعد أن حمد الله: «يا معشر الأنصار! لكم سابقة وفضيلة ليست لأحد من العرب، إنّ محمّداً ﷺ، لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم، فما آمن به إلّا القليل، ما كانوا يقدرون على منعه ولا على إعزاز دينه ولا على دفع ضيم، حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة ورزقكم الإيمان به وبرسوله والمنع له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه، فكنتم أشدّ النّاس على عدوّه، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً، وأعطى البعيدُ المقادة صاغراً، فدانت لرسوله

(١) أسد الغابة (١/ ١٩٥)، والاستيعاب (١/ ١٧٢ ـ ١٧٣)، والإصابة (١/ ١٦٣)، والاستبصار (١٢١)، وتهذيب ابن عساكر (٧/ ٢١٥)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٢٤)، وأنساب الأشراف (١/ ٥٨٠)، وطبقات ابن سعد (٣/ ١٨٢).
(٢) ابن الأثير (٢/ ٣٢٧)، والبداية والنهاية (٥/ ٢٤٥).
(٣) سقيفة بني ساعدة: بالمدينة، وهي ظلّة، كانوا يجلسون تحتها، بويع فيها أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه. والسقيفة: كلّ بناء سُقّف به صُفّة أو شبه صُفّة مما يكون بارزاً، ألزم هذا الاسم للتفرقة بين الأشياء. وأما بنو ساعدة الذين أُضيفت إليهم السقيفة، فهم حي من الأنصار، وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو، منهم سعد بن عُبادة، انظر معجم البلدان (٥/ ٩٥).

بأسيافكم العرب، وتوفّاه الله وهو عنكم راضٍ قرير العين. استَبِدّوا بهذا الأمر دون الناس، فإنّه لكم دونهم».

فأجابه الأنصار بأجمعهم: أن قد وفّقْتَ وأصبتَ الرأي، ونحن نوليك هذا الأمر، فإنّك مَقْنعٌ ورضاً للمؤمنين.

ثمّ إنّهم ترادّوا الكلام، فقالوا: وإن أبى المهاجرون من قريش، وقالوا: نحن المهاجرون، وأصحابه الأولون، وعشيرته وأولياؤه! فقالت طائفة منهم: نقول: منّا أمير ومنكم أمير، ولن نرضى بدون هذا أبداً، فقال سعد: «هذا أوّل الوهن».

وسمع عمر بن الخطّاب الخبر، فأتى منزل النبيّ ﷺ، وأبو بكر فيه، فأرسل إليه: أن اخرج إليّ، فأرسل إليه: «إني مشتغل»، فقال عمر: «قد حدث أمرٌ لا بدّ لك من حضوره»، فخرج إليه، فأعلمه الخبر. فمضيا مسرعين نحو سقيفة بني ساعدة ومعهما أبو عُبَيْدَة بن الجرّاح.

قال عمر: «فأتيناهم، وقد كنتُ زوّرت كلاماً أقوله لهم، فلما دنوت أقول، أسكتني أبو بكر، وتكلّم بكلّ ما أردتُ أن أقول، فحمد الله، وقال: «إنّ الله قد بعث فينا رسولاً شهيداً على أُمّته ليعبدوه ويوحّدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى من حجرٍ وخشب»، فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخص الله المهاجرين الأولين بتصديقه والمواساة له والصّبر معه على شدّة أذى قومهم لهم وتكذيبهم إياهم، وكل الناس لهم مخالفٌ زارٍ عليهم، فلم يستوحشوا لقلّة عَدَدهم وشَنَف[1] الناس لهم، فهم أوّل مَن عبد الله في هذه الأرض وآمن بالله وبالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده لا ينازعهم إلاّ ظالم. وأنتم يا معشر الأنصار مَن لا يُنكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم في الإسلام، رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله، وجعل إليكم هجرته، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم،

(١) الشنف: البغض والتنكّر.

فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا تفاوتون بمشورة، ولا تُقضى دونكم الأمور».

وقام الحُباب بن المُنْذِر بن الجَموح فقال: «يا معشر الأنصار! املكوا عليكم أمركم، فإنّ الناس في ظلّكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولا يصدروا إلاّ عن رأيكم. أنتم أهل العزّ وأولو العدد والمَنَعة وذوو البأس، وإنما ينظر الناس ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد عليكم أمركم، أبى هؤلاء إلاّ ما سمعتم، فمنّا أمير ومنكم أمير».

فقال عمر: «هيهات! لا يجتمع اثنان في قرن! والله لا ترضى العرب أن تؤمّركم ونبيّنا من غيركم، ولا تمتنع العرب أن تولي أمرها مَنْ كانت النبوّة فيهم، ولنا بذلك الحجّة الظّاهرة! مَنْ ينازعنا سلطان محمّد، ونحن أولياؤه وعشيرته!؟».

فقال الحُباب بن المنذر: «يا معشر الأنصار! املكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أَبَوْا عليكم فأجلوهم عن هذه البلاد وتولّوا عليهم الأمور، فأنتم والله أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيافكم دان الناس لهذا الدِّين، أنا جُذَيْلُها[1] المُحَكَّك، وعُذَيْقُها المُرَجّب[2]، أنا أبو شبل في عرينه الأسد، والله لو شئتم لنعيدنّها جَذَعَةً»[3].

فقال عمر: «إذاً ليقتلك الله»، فقال: «بل إيّاك يقتل».

فقال أبو عُبَيْدَة: «يا معشر الأنصار! إنكم أوّل مَنْ نصر، فلا تكونوا أوّل مَنْ بدّل وغيّر!».

---

(١) الجذيل: تصغير جذل، وهو عود يكون في وسط مبرك الإبل، تحتك به، وتستريح إليه، فيضرب به المثل في الرجل يشتفي برأيه.

(٢) العذيق: تصغير عذق، وهو النخلة نفسها. والمرجب: الذي تبنى إلى جانبه دعامة ترفده لكثرة حمله ولعزّه على أهله. فضرب به المثل في الرجل الشريف الذي يعظمه قومه.

(٣) لنعيدها جذعة: الجذعة هي الفتيّة.

وقام بشير بن سعد فقال: «يا معشر الأنصار! إنّا والله وإن كُنّا أُولي فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في الدين، ما أردنا به إلاّ رضى ربّنا وطاعة نبيِّنا والكَدْح لأنفسنا، فما ينبغي أن نستطيل على الناس بذلك، ولا نبتغي به الدنيا. ألا إنّ محمّداً ﷺ من قريش، وقومه أولى به، وايم الله! لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر، فاتّقوا الله ولا تخالفوهم».

فقال أبو بكر: «هذا عمر وأبو عبيدة، فإن شئتم فبايعوا»، فقالا: «والله لا نتولى هذا الأمر عليك، وأنت أفضل المهاجرين، وخليفة رسول الله ﷺ في الصّلاة، وهي أفضل دين المسلمين. ابسط يدك نبايعك»، فلما ذهبا يبايعانه، سبقهما بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحُباب بن المنذر: «عَقَتْكَ عَقَاقِ! أنَفِسْتَ على ابن عمّك الإمارة؟!»، فقال: «لا والله، ولكنني كرهت أن أُنازع القوم حقّهم».

ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد، وما تطلب الخزرج من تأمير سعد، قال بعضهم لبعض، وفيهم أُسَيْد بن حُضَيْر، وكان نقيباً: «والله لئن وليَتْها الخزرج مرّة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة. ولا جعلوا لكم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر»، فبايعوه، فانكسر سعد بن عُبَادة والخزرج وما أجمعوا عليه، وأقبل الناس يبايعون أبا بكر من كلّ جانب[1]، فبايعه المهاجرون، وبايعه الأنصار[2].

لقد كان موقف بشير في سقيفة بني ساعدة موقفاً رائعاً حقاً، فكان مفتاحاً لكلِّ خير، مغلاقاً لكل شر، قال قولة الحق في أحرج المواقف، ولم تؤثر فيه عصبية للخزرج ولا لابن عمه سعد بن عبادة.. بل كان خالصاً لله ولدينه، مما يستحق أعظم التقدير وأعمق الإعجاب.

---

(١) ابن الأثير (٢/ ٣٢٥ ـ ٣٣١)، وانظر الطبري (٣/ ٢٠٣ ـ ٢٠٦)، والبداية والنهاية (٥/ ٢٤٥ ـ ٢٤٧).

(٢) الطبري (٣/ ٢٠٦).

٥ ـ هاجر بشير إلى المدينة مع المهاجرين إليها، وكان نزل (وَدَّان)[١]، فهو من المهاجرين باعتباره هاجر من ودّان إلى المدينة، وهو من الأنصار باعتباره من الخزرج ومن الذين بايعوا بيعة العقبة الثانية كما ذكرنا.

ولا نعرف متى وُلد، ولكنه استشهد في معركة (عين التمر)[٢] تحت راية خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، فقد شهد بشير مع خالد حروبه[٣]، وكان استشهاده سنة اثنتي عشرة الهجرية[٤] (٦٣٣ م)، ودفن في عين التمر[٥].

وبشير هو أخو سِماك بن سعد من أمّه وأبيه، وكان سِماك بدرياً[٦] أيضاً.

وكان طويلاً فارع الطول، معدوداً من الذين إذا ركبوا الفرس تخطّ إبهاماه في الأرض[٧]، وصفاً له بالطول الفارع.

وهكذا انتهت حياة بشير، بعد أن قدّم كلّ ما يملك لإعلاء كلمة الله، حتى روحه قدّمها في خدمة الإسلام والمسلمين، دون أن يأخذ شيئاً جزاء ما قدّم أو يطالب بشيءٍ، فكان بحق من الذين يعملون لقلوبهم، لا من الذين يعملون لجيوبهم، ومن الذين يعملون لدينهم، لا من الذين يعملون

(١) ودّان: قرية جامعة من الجحفة على مرحلة، بينها وبين الأبواء، على طريق الحاج في غربيها ستة أميال، انظر معجم البلدان (٨/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦).
(٢) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة، بقربها موضع يقال له: شفاثا، على طرف البريّة، انظر معجم البلدان (٦/ ٢٥٣).
(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣٥٣).
(٤) أسد الغابة (١/ ١٩٥)، والإصابة (١/ ١٦٢)، وتهذيب ابن عساكر (٣/ ٢٦٥).
(٥) البداية والنهاية (٦/ ٣٥٣).
(٦) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٢٦).
(٧) المحبّر (٢٣٣).

لدنياهم، ومن الذين لا يضحّون بالآخرة من أجل الدنيا، ولا بما عند الله من أجل ما عند الناس.

القائـــد

قاد بشير سريتين مستقلتين من سرايا النبيّ ﷺ، أخفق في قيادة سريته الأولى حتى كاد يفقد حياته فيها، ونجح في قيادة سريته الثانية، فحقّق أهدافه تحقيقاً كاملاً.

وما كان إخفاقه في قيادة السريّة الأولى عن تقصير منه أو من أحد رجاله، فقد قاتل وقاتلوا بعناد وبسالة لا مزيد عليهما، حتى استُشهدوا وكاد، ولكن إخفاقه كان بسبب صراع بين قوّتين غير متكافئتين عَدَداً وعُدَداً، فقد كان المسلمون في ثلاثين مجاهداً، وكان المشركون في حشود ضخمة جداً، وما كان بمقدور المسلمين أن يفعلوا أكثر من الثباتِ والقتال إلى أن فنِيت نبالهم إلى آخر نبال وآخر رمق، وعلى رأسهم قائدهم الشجاع، وهذا ما فعلوه، فتغلّبت الكثرة الكثيرة على القلّة القليلة بعد ثبات عجيب وقتال شديد وتضحية فائقة.

أما نجاحه في قيادة سريته الثانية، فكان بتأثير المباغتة بالزمان للمشركين، فقد كان المسلمون يسرون[1] ليلاً ويكمنون نهاراً، فباغتوا أعداءهم، واستطاعوا تحقيق أهداف سريتهم كاملة.

ولو كان إخفاق بشير في قيادة سريته الأولى نتيجة لنقصٍ في كفايته القيادية، لما ولّاه النبيّ ﷺ قيادة إحدى سراياه من جديد. بل إنّ النبيّ ﷺ ولّاه إحدى قَدَماته التعبويّة في إحدى غزواته كما ذكرنا، وهذا دليل على أنّ إخفاق بشير في قيادة سريته الأولى لم يكن لتقصيره أو عجزه، بل لأنّ ظروفه الراهنة جعلته في موقف عصيب للغاية، وليس أمامه إلاّ الشّهادة أو

---

(١) السُّرى: سير عامة الليل (يذكّر ويؤنّث). وفي المثل: «عند الصباح يَحْمَد القوم السُّرى»، يضرب في احتمال المشقّة والحثّ على الصبر، حين تحمد العاقبة.

الهزيمة، فاختار الشّهادة دون تردّد، وهذا دليل على شجاعته الفائقة.

وكان نجاح بشير في قيادة القَدَمة التعبويّة التي تولاّها في غزوة من غزوات النبيّ ﷺ لا يقلّ عن نجاحه في قيادة سريته الثانية. وكان دليلاً على ثقة النبيّ ﷺ بكفايته القياديّة ورضاه عنها.

ومن طبيعة السّريتين التي تولى قيادتها، يبدو طابع (الغارة) عليهما، للتأثير المعنوي على المشركين بالدرجة الأولى، والغارة تحتاج إلى قائد سريع القرار صائبه، سريع الحركة والتنقل، يتحمّل المشاق بسهولة ويسر، يتمتّع بمرونة خططه القتالية، ذكيّ حاضر البديهة.

كما أنّ طبيعة قيادته القَدَمَة التعبويّة في غزوة من غزوات النبيّ ﷺ التي كانت تتّسم بالتأثير المعنوي في المشركين، هي بحاجة إلى قائد سريع القرار صائبه، سريع الحركة والتنقل أيضاً، يتميّز بالشجاعة والإقدام.

لقد كان بشير قائداً عقائدياً، ذا إرادة قويّة ثابتة، ونفسية رصينة لا تتبدّل في حالتي الاندحار والنصر، يتحمل المسؤولية ولا يتهرّب منها ولا يلقيها على عواتق الآخرين، يتمتّع بمزية سبق النظر الدّالة على الذكاء والاتزان، يعرف نفسيات رجاله وخواصهم ويكلّف كلّ فرد منهم بما يطيق النهوض به، يثق برجاله ويثقون به وتثق به القيادة العليا، ويحبّ رجاله ويحبّونه، له شخصية قويّة مسيطرة، وقابلية بدنية متميزة، وماضٍ ناصع مجيد.

وهذه المزايا القيادية هي نتيجة من نتائج عقيدته الرّاسخة وإيمانه العميق، التي جعلت منه قائداً جيداً ومجاهداً صادقاً.

وعند تطبيق مزاياه القيادية على مبادىء الحرب المعروفة، نجد أنّه يطبّق مبدأ اختيار المقصد وإدامته، وكان قائداً تعرّضياً يؤمن بأنّ أنجع وسائل الدفاع هو التعرّض، يطبق مبدأ المباغتة أهمّ مبادىء الحرب على الإطلاق، كما فعل في سريته الثانية، حيث طبّق مبدأ المباغتة بالزمان بشكل رائع

حقاً، وكان يطبّق مبدأ المرونة ومبدأ التعاون، كما يطبّق مبدأ إدامة المعنويات.

وكان يتحلّى بمزية الطّاعة المطلقة، وهو الضبط المتين الذي يميز القائد الجيد والجندي الجيد عن القائد الرديء والجندي الرديء.

وكان يستشير رجاله ولا يستبدّ دونهم في تصريف الأمور، ويساويهم بنفسه في الأمور كافة ولا يرضى أن يتميّز عليهم بشيءٍ استغلالاً لمنصبه القياديّ.

لقد كان أحد خريجي مدرسة النبيّ ﷺ في العقيدة القيادية، وكان أحد قادة خير القرون في التوحيد من أجل الجهاد، والجهاد من أجل التوحيد.

بشير في التاريخ

يذكر التاريخ لبشير أنّه كان أوّل الأنصار إسلاماً، وأحد السابقين الأولين للإسلام، وأحد الذين شهدوا بيعة العقبة الثانية.

ويذكر له أنّه كان من البدريين وشهد غزوات النبيّ ﷺ كافة وجاهد تحت لوائه جنديّاً وقائداً ومرءوساً.

ويذكر له، أنّه قاد سريتين من سرايا النبيّ ﷺ وقدمة تعبوية في إحدى غزواته عليه الصّلاة والسّلام.

ويذكر له، أنه جاهد المرتدين بعد أن التحق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى، وكان ذلك في عهد أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه تحت لواء خالد بن الوليد، فاستُشهِد في معركة عين التّمر.

ويذكر له، أنّه أوّل أنصاريّ من الخزرج بايع أبي بكر الصدِّيق بالخلافة بعد التحاق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى، فقضى ببيعته على اختلاف محتمل بين المهاجرين من جهة، والأنصار من جهة ثانية.

رضي الله عن الصحابيّ الجليل، القائد الشّهيد، بشير بن سعد الأنصاريّ الخزرجيّ.

غالِب بن عبد الله اللَّيْثِيّ
القائـد الأميـر

نسبه وأيّامه الأولى

هو غالب بن عبد الله بن مُسْعِر بن جَعْفَر بن كَلْب[1] بن عامِر بن لَيْث بن بُكَيْر[2] بن عبد مَنَاة بن كِنَانة الكِنانِيّ اللَّيْثِيّ[3]، ويقال: غالب بن عبيد الله[4]، والصّواب: غالب بن عبد الله بن مُسْعِر[5].

ونسبه قسم إلى كَلْب، فقال: الكَلْبِيّ، ونسبه قسم آخر إلى لَيْث فقال: اللَّيْثِيّ، ولا فرق بينهما، فإنّ كلباً بطن من ليث، وسِياق النّسب يدلّ عليه[6]، كما نسبه قسم ثالث إلى كِنَانَة، فقال: الكِنانيّ[7] فهو غالب بن عبد الله الكلبيّ اللَّيْثِيّ الكِنانِي[8]، ولا خلاف بين انتسابه هذا في الواقع، لأنه انتساب إلى أحد آبائه المذكورين في نسبه.

وهناك غالب بن فضَالة الكِناني، ذُكر في قسم من كتب علم

(١) في الإصابة (٥/ ١٨٦): كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث.
(٢) في الإصابة (٥/ ١٨٦): بكر لا بكير.
(٣) أسد الغابة (٤/ ١٦٨).
(٤) الاستيعاب (٣/ ١٢٥٢)، وأسد الغابة (٤/ ١٦٨).
(٥) الاستيعاب (٣/ ١٢٥٢)، وأسد الغابة (٤/ ١٦٨).
(٦) أسد الغابة (٤/ ١٦٨).
(٧) الإصابة (٥/ ١٨٦).
(٨) أسد الغابة (٤/ ١٦٨)، والإصابة (٥/ ١٨٦)، والاستيعاب (٣/ ١٢٥٢)، وانظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٨١).

الرجال[1]، ولم يذكر في قسم آخر[2]، ومَنْ ذكره نسب إليه قيادة سريّة (فَدَك) التي قادها غالب بن عبد الله الكِناني والتي سيرد ذكرها وشيكاً، مما يدلّ على خطأ المؤرّخ في اسم أبيه فضالة[3]، ويحتمل أن يكون هو غالب بن عبد الله الكناني[4]، وما يقال عن غالب بن فَضالة الكناني يقال عن غالب بن عبد الله بن فضالة، فهو غالب بن عبدالله الكناني أيضاً[5]، إذ لم يَقد سرية فَدَك غير غالب بن عبدالله الكِنانِي اللَّيْثِيّ كما هو معروف وبإجماع مؤرخي المغازي والسِّير.

ولا نعرف متى وكيف وأين أسلم غالب، وأوّل ما ورد ذكره كان في قيادة السرايا، ولم يكن النبيّ ﷺ يولي قيادة السرايا إلّا لمن حسن إسلامه أولاً ولمن يتحلّى بالمزايا القيادية المتميّزة ثانياً، ولذوي الخبرة العملية في ميادين القتال ثالثاً وأخيراً؛ فلا بدّ وأنّ إسلام غالب كان قديماً، وأثبت وجوده عملياً في ميادين الجهاد، لكي يوليه النبيّ ﷺ المراكز القياديّة في سراياه عليه الصّلاة والسّلام.

ومهما يكن من أمرٍ، فقد نال غالب شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد عليه الصّلاة والسّلام.

في سرّيته إلى المَيْفَعَة[6]

وهي سرية غالب إلى المَيْفَعة في شهر رمضان من السنة السابعة

(١) أسد الغابة (٤/ ١٦٨)، والإصابة (٥/ ١٨٧).
(٢) الاستيعاب (٣/ ١٢٥٢).
(٣) أسد الغابة (٤/ ١٦٩).
(٤) الإصابة (٥/ ١٨٧).
(٥) الإصابة (٥/ ١٨٧). وفدك: قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة المنوّرة يومان، وقيل: ثلاثة أيام، وفيها عين فوّارة، وقد صالحت النبيّ ﷺ على النصف من ثمارها، فهي مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ٣٤٢ ـ ٣٤٥).
(٦) الميفعة: موضع وراء بطن نخل إلى النَّقْرة قليلاً، بناحية نجد، وبينها وبين المدينة ثمانية برد، انظر طبقات ابن سعد (٢/ ١١٩).

الهجرية، بعثها رسول الله ﷺ بقيادة غالب بن عبد الله إلى بني عُوال وبني عبد بن ثعلبة وهم بالمَيْفَعة، بعثه في مائة وثلاثين رجلاً ودليلهم يَسار مولى رسول الله ﷺ. وهجم المسلمون على المشركين ووقعوا وسط محالِّهم، فقتلوا مَنْ تصدّى لهم، واستاقوا نَعَماً وشاءً، فحدروه إلى المدينة، ولم يأسروا أحداً.

وفي هذه السرية، قتل أسامةُ بن زيد الرجلَ الذي قال: «لا إلّه إلاّ الله»، فقال النبيّ ﷺ: «ألا شققتَ قلبه فتعلم صادق هو أم كاذب؟»، فقال أسامة: «لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إلّه إلاّ الله»[١].

وكان الذي قتله أسامة هو مِرْدَاس بن نَهِيْك، قال أسامة: «أدركته أنا ورجل من الأنصار، فلما شَهَرْنا عليه السِّلاح قال: أشهد أن لا إلّه إلاّ الله، فلم ننزع عنه حتى قتلناه. فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبره، فقال: «يا أُسامة! مَنْ لك بلا إلّه إلاّ الله؟»، قلت: يا رسول الله! إنّما قالها تَعَوُّذاً بها من القتل. قال: «فَمَنْ لَكَ بها يا أُسامة؟»، فوالذي بعثه بالحق، ما زال يردِّدها عليَّ حتى لوددت أنّ ما مضى من إسلامي لم يكن، وأني كنتُ أسلمتُ يومئذٍ، وأني لم أقتله! قلت: أَنْظِرْني يا رسول اللّه! إني أعاهد الله أن لا أقتل رجلاً يقول: لا إلّه إلاّ الله أبداً. قال: «تقول بعدي يا أُسامة؟ قلت: بَعْدَك»[٢]، فنزل قوله تعالى: **﴿وَلاَ تَقُوْلُوْا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً، تَبْتَغُوْنَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيا، فَعِنْدَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرة﴾**[٣].. الآية[٤].

وهكذا باغت غالب بسريته المشركين مباغتة كاملة، فأثّر في

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/١١٩)، وانظر مغازي الواقدي (٢/٧٢٦ ـ ٧٢٧)، وعيون الأثر (٢/١٤٧)، والطبري (٢/٤٨٣)، وابن الأثير (٢/١٣٩).

(٢) سيرة ابن هشام (٤/٢٩٨)، وانظر البدء والتاريخ (٤/٢٢٨).

(٣) الآية الكريمة من سورة النساء (٤: ٩٤).

(٤) البدء والتاريخ (٤/٢٢٨).

معنوياتهم تأثيراً حاسماً، مما أدّى إلى هزيمتهم بعد تكبيدهم خسائر بالأرواح والمواد، وعاد إلى المدينة بالغنائم منتصراً، فأدّى واجبه في هذه السريّة على أحسن وجه.

في سرّيته إلى الكَدِيْد[1]

وهي سريّة غالب إلى بني المُلَوِّح بالكَدِيد في شهر صَفَر من السَّنة الثَّامنة الهجريّة، بعثها رسول الله ﷺ بقيادة غالب، مؤلّفة من بضعة عشر رجلاً، وأمرهم أن يشنّوا الغارة على بني المُلَوِّح بالكَدِيْد، وهم من بني لَيْث. وخرجت السرية، فلما كانت بـ(قُدَيْد)[2] لقي غالبُ الحارث بن البَرْصَاء اللَّيْثِيّ، فأخذته السريّة، فقال: «إنما جئتُ أريد الإسلام، وإنّما خرجتُ إلى رسول الله ﷺ»، فقال له غالب: «إن تكن مسلماً لم يضررك رباطنا يوماً وليلة، وإن تكن على غير ذلك نَسْتَوْثِقْ منك»، فشدّوه وثاقاً، وخلّفوا عليه رُوَيْجِلاً منهم أسود، قال له غالب: «إنْ نازَعكَ فاحتزّ رأسه».

وسارت السرية حتى جاءت الكَدِيْد عند غروب الشّمس، فكمنت في ناحية الوادي: وبعث غالب رجلاً من السرية هو جُنْدَب بن مَكِيْث الجُهَنِيّ ربيئة[3] للسرية، فخرج حتى أتى تلاًّ مشرفاً على الحاضِر[4] يطلعه عليهم، حتى إذا أسند عليهم في التلّ علا على رأس التلّ ثم اضطجع عليه، قال: «فإني لأنظر إذ خرج رجل منهم من خباءٍ له، فقال لامرأته: إني أرى على هذا الجبل سواداً ما رأيته أوّل من يومي هذا، فانظري إلى أوعِيَتِك لا تكون الكلاب جرّت منها شيئاً! فنظرت فقالت: والله ما أفْقِد من أوعيتي شيئاً، فقال: فناوليني قوسي ونَبلي، فناولته قوسه وسهمين معها، فأرسل سهماً

---

(١) الكديد: موضع بالحجاز على اثنين وأربعين ميلاً من مكة، بين المدينة ومكة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/ ٢٢٤).

(٢) قُدَيد: اسم موضع قرب مكة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/ ٣٨).

(٣) الربيئة: الطليعة، انظر الصحاح (٥٢).

(٤) الحاضر: القوم المقيمون بمحلهم، انظر السيرة الحلبية (٢/ ٣١٢).

فوالله ما أخطأ بين عينيّ! فانتزعته، وثَبَتُّ مكاني. ثم أرسل آخر، فوضعه في منكبي، فانتزعته فوضعته وثبتّ مكاني، فقال لامرأته: والله لو كانت ربيئة لقد تحرّكت بعد! والله لقد خالطَها سَهمايَ لا أبا لَكِ! فإذا أصبحتِ فانظريهما لا تمضغهما الكلاب، ثم دخل».

وراحت الماشية من إبلهم وأغنامهم، فلما احتلبوا وعَطَّنوا[1] واطمأنّوا فناموا، شنّ المسلمون عليهم الغارة، واستاقوا النّعَم.

وخرج صريخ القوم في قومهم، فجاء ما لا قِبَل بالسريّة به من المشركين عَدَداً وعُدَداً، ولكنّهم خرجوا بالنَّعَم وانحدروا بها حتى مرّوا بابن البَرْصَاء، فاحتملوه. وأدركهم القوم، واقتربوا منهم، وأصبح ليس بين السرية والمشركين غير الوادي، فجاء سيل عَرِم ملأ جنبتيه ماءً، فلا يستطيع أحد أن يجوزه، فلم يستطع المشركون طلب السريّة، فأسرع المسلمون باتّجاه المدينة، ومعهم النّعم من الغنائم، وراجزهم يرتجز:

أَبَى أبو القاسِمِ أن تَعَزَّ بي[2] ... في خَضِلٍ نباتُهُ مُغْلَوْلِبِ[3]

صُفْرٍ أعاليهِ كَلَوْنِ المُذْهَبِ ... وذاك قَوْلُ صَادِقٍ لم يَكْذِبِ

وكان شعار السرية يومئذ: أَمِتْ... أَمِتْ[4]...

لقد استطاع غالب بحذره ويقظته واستطلاعه، الحصول على

---

(١) عطنت الإبل: إذا سقيت وبركت عند الحياض لتعاد إلى الشرب مرة أخرى، انظر النهاية (٣/ ١٠٧).

(٢) تعزّ بي: تُقيمي. يقال: تعزّيت الإبل في المرعى: إذا أقامت فيه. انظر شرح أبي ذر (٤٥٠).

(٣) المغلولب: الكثير الذي يغلب على الماشية حين ترعاه. والخضل: النبات الأخضر المبتل، انظر شرح أبي ذر (٤٥٠ ـ ٤٥١).

(٤) مغازي الواقدي (٢/ ٧٥٠ ـ ٧٥٢)، وطبقات ابن سعد (٢/ ١٢٤ ـ ١٢٥)، وعيون الأثر (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١)، وابن الأثير (٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠)، وانظر البدء والتاريخ (٤/ ٢٣٠)، والمحبر (١١٩)، وسيرة ابن هشام (٤/ ٢٨١).

المعلومات الكافية عن عدوِّه، فباغتهم بالهجوم اللّيلي مباغتة كاملة بالأسلوب، إذ لم يكن المشركون يتوقّعون هجوماً ليلياً عليهم، كما باغتهم بالزمان، إذ لم يكن المشركون يتوقّعون الهجوم عليهم ليلاً، بل اطمأنوا وأمنوا، كما استطاع غالب بسرعة الحركة من الابتعاد عن المشركين والخلاص من مطاردتهم له، فأدّى غالب واجبه في هذه السرية أداءً رائعاً حقاً، وحقّق أهدافه كافة منها.

في سريته إلى فَدَك

وهي سريّة غالب إلى مُصَاب أصحاب بشير بن سعد بِفَدَك في شهر صَفَر من السنة الثامنة الهجريّة، بعثها رسول الله ﷺ بقيادة غالب بن عبد الله. وكان عليه الصّلاة والسّلام قد هيّأ الزُّبير بن العَوَّام وقال له: «سِرْ حتى تنتهي إلى مُصَاب أصحاب بشير بن سعد، فإن أظفركَ الله بهم، فلا تُبْقِ فيهم»، وهيّأ مع الزُّبير مائتي رجل وعقد له لواءً[1].

وكان بشير بن سعد قد بعثه النبيّ ﷺ في ثلاثين رجلاً إلى بني مُرَّة بفَدَك، فقتل المُرِيّون أصحاب بشير وأصابوا بشيراً بجروح بليغة، وكان ذلك في شهر شعبان من السنة السّابعة الهجريّة[2].

وقَدِم غالب من سريته إلى الكَدِيْد مُنْتَصِراً، فقال رسول الله ﷺ للزّبير: «اجلسْ!»، وبعث غالب بن عبد الله في مائتي رجل، وخرج أُسامة بن زيد فيها، حتى انتهى إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد، وخرج معه عُلْبَة بن زيد[3] فيها، فأصابوا منهم نَعَماً وقتلوا منهم قتلى.

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ١٢٦)، وانظر مغازي الواقدي (٢/ ٧٢٣).

(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ١١٨ ـ ١١٩)، ومغازي الواقدي (٢/ ٧٢٣)، وعيون الأثر (٢/ ١٤٦ ـ ١٤٧).

(٣) هو علبة بن زيد الحارثي الذي قدم بمصاب سرية بشير بن سعد إلى النبيّ ﷺ وأخبره بخبرهم، انظر طبقات ابن سعد (٢/ ١١٩).

وقبل الاشتباك بالمشركين، آخى غالب بين أفراد سريته، وجعل كلّ رجلين من السرية أخوين، وأمرهم ألاّ يفترقوا، وقال: «لا تعصوني، فإنّ رسول الله ﷺ قال: مَنْ أطاع أميري فقد أطاعني، ومَنْ عصاه فقد عصاني، وإنكم متى تعصوني فإنكم تعصون نبيّكم»، فأغارت السريّة على بني مُرَّة في فَدَك صباحاً، وانتصروا عليهم، وكبّدوهم خسائر فادحة بالأرواح والمواد[1].

وهكذا حقّق غالب هدف هذه السرية تحقيقاً كاملاً، فلم تضع دماء أصحاب بشير بن سعد هدراً دون مطالب، بل لقّن الذين أصابوهم من بني مُرّة درساً قاسياً، وأثّر في معنويات المعتدين فانهارت بعد هزيمتهم، بينما استعاد المسلمون معنوياتهم العالية بعد إحراز النصر، وبعد تيقّنهم من أنّ هناك مَنْ يدافع عن حقوقهم ولا يسكت عمّن يُلحق بهم الضرر مادياً أو معنوياً.

في غزوة فتح مكّة

وكانت في السنة الثامنة الهجرية في رمضان المبارك، وكان غالب على مقدمة النبيّ ﷺ يوم الفتح[2].

قال غالب: «بعثني النبيّ ﷺ عام الفتح بين يديه، لأسهِّل له الطريق ولأكون له عيناً، فلقيني في الطريق لِقَاح[3] بني كِنانة، وكانت نحواً من ستّة آلاف لَقْحَة، وإنّ النبيّ ﷺ نزل، فحلبت له، فجعل يدعو الناس إلى الشَّراب، فمن قال: إني صائم، قال: «هؤلاء العاصون»[4]، وكان

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ١٢٦)، ومغازي الواقدي (٢/ ٧٢٣ ـ ٧٢٦)، وعيون الأثر (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١)، والمحبّر (١٢٠)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٧٩).
(٢) الإصابة (٥/ ١٨٧).
(٣) اللقاح: جمع لقحة، وهي الناقة الحلوب غزيرة اللّبن.
(٤) الإصابة (٥/ ١٨٧)، وانظر أسد الغابة (٤/ ١٦٨).

النبيّ ﷺ قد سار إلى فتح مكة في رمضان فصام وصام أصحابه، حتى إذا كان بالكَدِيْد بين (عُسْفَان)[1] و (أَمَج)[2] أفْطَرَ[3] بعد صلاة العصر. وشرب على راحلته علانية ليراه الناس، وأمر بالفطر، فبلغه ﷺ أنّ قوماً تَمَادَوْا على الصِّيام، فقال: «أولئك العُصَاة»، إباحة للإفطار في السّفر[4].

وهكذا ولّى النبيّ ﷺ غالب بن عبد الله قيادة مقدّمته في غزوة فتح مكة، ثقة به وتقديراً لمزاياه القيادية، فحقّق للنبيّ ﷺ هدفه، ونهض بواجبه في قيادة المقدّمة على أحسن وجه.

في حرب العراق

بعد التحاق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى، شهد غالب فتوح العراق، فشهد معركة (البُوَيْب)[5] سنة ثلاث عشرة الهجرية على عهد عمر بن الخطّاب بقيادة المُثنَّى بن حارثة الشّيباني، وأبلى في هذه المعركة بلاءً حسناً للغاية، فكان أحد أبطال المسلمين الذين قتلوا تسعة من الفرس في هذه المعركة، وكان من أصحاب التسعة المعدودين[6]، فانتصر المسلمون انتصاراً كاسحاً على الفرس[7] في تلك المعركة.

وقُبَيْل معركة القادسية التي كانت سنة أربع عشرة الهجرية بقيادة سعد، أغارت سرية من المسلمين على الحِيْرَة، فإذا أخت مرزبانها الفارسيّ تزفّ إلى أحد أشراف العجم، ومعها في الحاشية ثلاثون من الدهاقين ومائة

---

(١) عُسفان: قرية على مرحلتين من مكة، بين مكّة والمدينة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ١٧٣ ـ ١٧٤).

(٢) أمج: بلد من أعراض المدينة، انظر معجم البلدان (١/ ٣٣٠ ـ ٣٣١).

(٣) جوامع السيرة (٢٢٦)، ومعجم البلدان (٧/ ٢٢٤).

(٤) جوامع السيرة (٢٢٧).

(٥) البويب: نهر بالعراق موضع الكوفة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/ ٣١٠ ـ ٣١١).

(٦) ابن الأثير (٢/ ٤٤٤).

(٧) انظر تفاصيل المعركة في الطبري (٣/ ٤٦٠ ـ ٤٧٢).

من التوابع ومعهم ما لا يُدْرى قيمته، فغنمت السرية العروس وما معها من رجال وأثقال ومتاع، فترك سعد بن أبي وقاص هذه الغنائم من الأشخاص في (العُذَيْب)[1]، وقسم الغنائم على مستحقيها، وجعل على أولئك الأسرى من الأشخاص خيلاً تحولها، وأمّر عليها غالب بن عبد الله[2].

وشهد غالب معركة القادسية الحاسمة، فأرسله مع نفرٍ من ذوي الرأي والنجدة وأمرهم بتحريض الناس على القتال، فخطب الناس وحرّضهم على القتال[3]، واشتبك مع الفُرس برفقة أمثاله من أهل النجدات[4]، وهو الذي قتل هرمز ملك (الباب) التي تسمى اليوم (دربند) على بحر الخزر، وكان هرمز على رأس رجاله مع الفُرس في معركة القادسيّة الحاسمة[5].

ولا نعرف بالضبط المعارك التي خاضها بعد التحاق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى في حروب أهل الرِدَّة وقبل القادسية وبعدها من معارك الفتوح شرقاً وغرباً، فمن الصعب على المؤرخين تسجيل دور كل مجاهد في كلّ معركة خاضها، لكثرة المجاهدين وتعدّد المعارك، وحسبنا أن نسجِّل ما ذكره المؤرخون لغالب في هذا المجال، وهو يدلّ دلالة واضحة على أنّه كان من الشخصيات البارزة في الفتوح، وأنّه كان من أصحاب الأيام المعدودين.

(١) العذيب ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال، انظر معجم البلدان (٦/ ١٣١).
(٢) الطبري (٣/ ٤٩٤)، وابن الأثير (٢/ ٤٥٤).
(٣) ابن الأثير (٢/ ٤٧٠).
(٤) ابن الأثير (٢/ ٤٨٠).
(٥) الإصابة (٥/ ١٨٧).

الإنسـان والقائـد

١ ـ لغالب بن عبد الله رواية، فقد أخرج البخاري في تاريخه والبغوي، وروى عنه قطن بن عبد الله[١] اللّيثي، وذكره في مسند أحمد وأبي نعيم من طريق أحمد بن محمد بن أيّوب عن إبراهيم بن سعد، وأخرجه أبو داود[٢]، وحديثه قليل وذكره قليل أيضاً، والاختلاف في نسبه قائم.

وكان من عمّال النبيّ ﷺ، فقد استخلفه على المدينة في بعض غزواته[٣]، مما يدلّ على ثقة النبيّ ﷺ بحسن إدارته.

وقد تولّى خُراسان زمن معاوية بن أبي سفيان، ولاّه زياد بن أبي سفيان[٤] وكان ذلك سنة ثمان وأربعين الهجرية[٥]، فقدم (مَرُو)[٦] عاصمة خُراسان[٧].

ولا نعلم شيئاً عن أعماله في خراسان، ولا متى عُزل وكم بقي والياً عليها، كما لا نعرف شيئاً عن تاريخ مولده وتاريخ وفاته، وقد تُوفي بعد سنة ثمان وأربعين الهجرية على كلِّ حال.

وقد ذُكرت ولاية خُراسان لغالب بن عبد الله الكِناني اللّيثي في الإصابة ولم تذكر هذه الولاية لغالب بن عبد الله بن فَضَالة ولا لغالب بن فضالة الكناني، لأنّ الأسماء الثلاثة لشخصية واحدة هي غالب بن عبد الله

---

(١) الإصابة (٥/ ١٨٧)، وانظر الاستيعاب (٣/ ١٢٥٢)، وفيه: قطن بن عبيد الله، وهو خطأ، والصواب ما ذكر في الإصابة.
(٢) الإصابة (٥/ ١٨٧).
(٣) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٦١).
(٤) الإصابة (٥/ ١٨٧).
(٥) الطبري (٥/ ٢٣١)، وابن الأثير (٣/ ٤٥٧)، وذكرا أنه غالب بن فَضَالة، ولكن صاحب الإصابة في (٥/ ١٨٧)، ذكر أنه نسبه: غالب بن عبد الله أصح.
(٦) مرو: أشهر مدن خراسان، وهي مرو الشَاهِجان، انظر معجم البلدان (٨/ ٣٣).
(٧) الأصابة (٥/ ١٨٧).

الكِنانِيّ اللَّيْثِيّ، والاختلاف بالنسب فقط، ورواية الكلبي في سياق نسبه أصحّ من سياق نسبه عند غيره الذين خالفوه[1]، لذلك اقتصر قسم من المؤرخين، وبخاصة القدامى منهم، على ذكر غالب بن عبد الله بسياق نسب ابن الكلبي، ولم يذكروه بسياق آخر.

وما دام الأمر كذلك، فقد روى غالب عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿ما أَفَاءَ اللَّهُ على رَسُوْلِهِ من أَهْلِ القُرَى، فللَّه وللرّسول﴾[2].. الآية. قال: قُرَيْظَة والنَّضِيْر وخَيْبَر وفَدَك. أمّا قريظة والنَّضير، فهما بالمدينة، وأمّا فدَك، فإنها على رأس ثلاثة أميال من المدينة، بعث النبيّ ﷺ جيشاً عليهم غالب بن فَضَالة من بني كِنَانة، فأخذوها عَنْوَةً[3]، ولا يبعد فإنّ ابن الكلبي ذكر أنّ رسول الله ﷺ بعث غالب بن عبد الله إلى بني مُرّة بفدَك، ويكون قولهم في اسم أبيه فَضَالة إما من غلط من الكاتب وإما اختلاف فيه[4]، ولم ينفرد ابن الكلبي بذكر سرية غالب بن عبد الله إلى فدَك، بل ذكر هذه السرية كثير من المؤرخين والنسّابة غير ابن الكلبي كما هو معروف.

وعِداد غالب في أهل الحجاز[5]، وعدّه قسم في أهل خُراسان[6]، ويبدو أنّه أصبح في أهل خُراسان لأنّه قضى ردحاً من الزمن والياً عليها، وعِداده أصلاً في أهل الحجاز.

ونستطيع استنتاج مزاياه إنساناً، باعتباره أحد قادة النبيّ ﷺ وعماله، بأنّه كان على جانب عظيم من الإيمان والتقوى والأمانة والاستقامة، وأنه

---

(١) الإصابة (٥/١٨٧).
(٢) الآية الكريمة من سورة الحشر (٥٩ : ٧).
(٣) أسد الغابة (٤/١٦٨ ـ ١٦٩)، والإصابة (٥/١٨٧).
(٤) أسد الغابة (٤/١٦٧).
(٥) أسد الغابة (٤/١٦٨).
(٦) طبقات خليفة بن خياط (٣٢٢).

كان يتحلّى بمزايا قياديّة ومزايا إداريّة، فهو قائد قدير وإداريّ حازم، وأنّه كان على خُلق رفيع.

٢ ـ أما السِّمات القياديّة لغالب فواضحة كلّ الوضوح، لأنّه قاد ثلاث سرايا من سرايا النبيّ ﷺ في حياته المباركة، كما قاد مقدّمة المسلمين في غزوة فتح مكّة ، فلما التحق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى ، استمرّ على نشاطه في الجهاد، فكان من أصحاب الأيام في حرب العراق وفارس.

ولعلّ من تلك السمات الحذر واليقظة، فلم يصدِّق الأسير الذي ادّعى الإسلام وأنّه في طريقه إلى النبيّ ﷺ لإعلان إسلامه؛ بل شدّ وثاقه وجعل عليه حارساً مزوداً بأوامر واضحة جليّة؛ أن يحزّ رأسه إذا حاول الهروب من الأسر، حتى يحول دون اتصال هذا الأسير بقومه وكشف نيات المسلمين مبكراً، مما يؤدي إلى استعداد المشركين للقاء المسلمين.

وكان الأسير من بني ليث، وغالب من بني ليث أيضاً، ولكنّه لم يُراع ابن عمّه كما كان يفعل في أيام الجاهلية، بل عامله كأي عدوٍّ آخر بصرف النظر عن قرابته، مما يدلّ على تغلغل تعاليم الإسلام فيه من جهة، واجتثاث عنعنات الجاهليّة وتقاليدها من جذورها في نفسه من جهة أخرى.

ومن دلائل يقظته وحذره، إرساله الربايا الاستطلاعيّة، ليستطيع إعداد خطّته على هدى وبيّنة وبشكل يؤدي إلى النصر.

وكان يحرّض رجاله على القتال، ويحثّهم على الجهاد، ويؤاخي بين أصحابه، ليكون التعاون وثيقاً بينهم قبل المعركة وفي أثنائها وبعدها، كما يأمر بالطّاعة المطلقة والالتزام بتنفيذ أوامره نصّاً وروحاً، والابتعاد عن الخلاف والفتنة، إذ لا نصر مع الخلاف ولا هزيمة مع الطّاعة.

وقد كان قائداً تعرّضياً، يطبّق مبدأ المباغتة، بالزمان فيتعرّض بوقت لا يتوقّعه العدو، والمكان باتّجاه لا يتوقّعه العدو، وبالأسلوب في التعرض

السّريع الخاطف والانسحاب السريع الخاطف، قبل أن يعود إلى العدو رشده الذي فقده جرّاء المباغتة.

ويبدو أنّ من سماته القيادية، سرعة الحركة: التقدم بسرعة إلى ساحة المعركة، والانسحاب بسرعة مع الغنائم، فكأنه أحد رواد الحرب الخاطفة التي بحاجة إلى قابلية الحركة وسرعتها.

وكان من القادة الذين يطبّقون مبدأ: إدامة المعنويات، فكان من أهدافه رفع معنويات رجاله من جهة، وهدم معنويات أعدائه من جهة أخرى.

وكان سريع القرار صائبه، يثق برجاله ويثقون به، ويبادلهم حباً بحب، يعرف مزايا أصحابه وخواصّهم ويكلّف كلّ واحد منهم ما يناسب كفايته من واجبات، له شخصيّة قويّة نافذة، يتحمّل المسؤولية كاملة ولا يتهرّب منها ولا يلقيها على عواتق الآخرين، يتمتّع بمزيّة سبق النظر ويحسب لكلِّ أمرٍ حسابه ويعدّله ما ينبغي لمعالجته وحسمه بسرعة قبل فوات الأوان، له قابلية بدنية جيدة، وماض ناصع مجيد.

ولعلّ من أبرز سماته القياديّة، شجاعته الشخصية الفائقة، فلما أصيبت سرية بشير بن سعد، أعدّ النبيّ ﷺ الزُّبير بن العوّام رضي الله عنه، وهو مَن هو شجاعة وإقداماً، لتأديب بني مُرَّة الذين أصابوا تلك السريّة وألحقوا بها أفدح الأضرار بالأرواح، ولكنّ النبيّ ﷺ آثر غالب بن عبد الله للقيام بمهمة تأديب بني مُرَّة، وهذا دليل على أنّه كان له في ميزان الشجاعة والإقدام وزن ثقيل.

لقد كان غالب من قادة النبيّ ﷺ المتميِّزين.

غالب في التاريخ

يذكر التاريخ لغالب، أنّه قاد ثلاث سرايا من سرايا النبيّ ﷺ إلى النصر.

ويذكر له، أنّه قاد مقدمة المسلمين في غزوة فتح مكّة، أهم غزوات النبيّ ﷺ.

ويذكر له، أنّه نال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرّسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام.

ويذكر له، أنّه لم يغمد سيفه بعد التحاق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى، فكان من أصحاب الأيام في الفتوح.

ويذكر له، أنّه كان عاملاً من عمّال النبيّ ﷺ، وعاملاً من عمّال المسلمين من بعده.

رضي الله عن الصحابيّ الجليل، القائد الفاتح، الإداريّ الحازم، غالب بن عبد الله اللّيثيّ.

ابن أبي العَوْجاء السُّلَمِيّ
القائد الشّهيد

نسبه وأيّامه

هو ابن أبي العَوْجاء السُّلَمِيّ من بني سُلَيْم[1]، وهو أبو العَوْجاء السُّلَمِيّ من بني سُلَيْم[2]، والأوّل أشهر، لأنّ أكثر المؤرّخين الثّقاة أخذوا به.

وبنو سُلَيْم، نسبة إلى سُلَيْم بن فَهْم بن غَنْم بن دَوْس بن عُدْثَان بن عبد الله بن زَهْران بن كَعْب بن الحارث بن كَعْب بن عبد الله بن مالِك بن نَصْر بن الأزْد[3].

ولا نعرف اسم ابن أبي العوجاء، ولا شيئاً عن حياته الأولى قبل الإسلام، وقد أسلم قبل فتح مكة، واسمه في قائمة الصّحابة الذين أسلموا قبل فتح مكة[4].

وأخبار ابن أبي العَوْجاء السُّلَمِي قليلة جداً، ولولا سريته التي قادها لما كان له ذكر.

على كلٍّ حال، فقد نال شرف الصُّحبة وشرف الجِهاد تحت لواء النبيّ ﷺ.

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٧٥)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٧٩)، ومغازي الواقدي (٢/ ٧٤١)، وعيون الأثر (٢/ ١٤٩)، وجوامع السيرة (١٨).

(٢) سيرة ابن هشام (٤/ ٢٨٤)، والمحبّر (١٢٢)، وأسد الغابة (٥/ ٢٦٦).

(٣) انظر التفاصيل في جمهرة أنساب العرب (٣٧٦ ـ ٣٨١).

(٤) انظر تفاصيل القائمة في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٨٩ ـ ٣٩٢).

قائـد السريّـة

كانت سرية ابن أبي العوجاء السُّلمِيّ إلى بني سُلَيْم في شهر ذي الحجّة من السنة السَّابعة الهجريّة[١]، بعد عودة النبيّ ﷺ من عُمْرَة القضاء إلى المدينة من مكّة[٢].

فقد بعث رسول الله ﷺ ابن أبي العَوْجاء السُّلَمِيّ في خمسين رجلاً إلى بني سُلَيْم، فخرج إليهم.

وكان عَيْنٌ لبني سُلَيْم مع سرية ابن أبي العَوْجاء، دون أن يدري، فلما فَصَل من المدينة، خرج العَيْن إلى قومه فحذّرهم وأخبرهم بسرية ابن أبي العَوْجاء المتوجِّهة إليهم[٣].

واستعدّ بنو سُلَيْم لمواجهة سرية ابن أبي العَوْجاء قبل وصولها إليهم، فجاءهم وهم مُعدّون له.

فلما رآهم أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا جمعهم، دعوهم إلى الإسلام، فقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتمونا إليه.

وتراموا بالنَّبْل ساعة، وجعلت الأَمداد تأتي إلى بني سُلَيْم، حتى أحدقوا بالمسلمين من كلِّ ناحية.

وقاتل المسلمون قتالاً شديداً، حتى قُتِل عامّتهم، وأُصيب ابن أبي العَوْجاء جريحاً مع القتلى، ثمّ تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ، فقدموا المدينة في أوّل يوم من شهر صَفَر سنة ثمانِ الهجريّة[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ١٢٣)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٧٩).

(٢) مغازي الواقدي (٢/ ٧٤١).

(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ١٢٣)، ومغازي الواقدي (٢/ ٧٤١)، وعيون الأثر (٢/ ١٤٩)، وانظر أسد الغابة (٥/ ٢٦٦).

(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ١٢٣) و (٤/ ٢٧٥)، ومغازي الواقدي (٢/ ٧٤١)، وعيون الأثر (٢/ ١٥٠).

وفي رواية أخرى، أن ابن أبي العَوْجاء السُّلَمِيّ أُصيب هو وأصحابه[1] وقتلوا جميعاً[2]، فاستُشهد ابن أبي العَوْجاء السُّلَمِيّ[3] مع مَنْ استُشهد من أصحابه.

وأرجِّح الرواية الثانية، وهي استشهاد ابن أبي العَوْجاء، لأنّ أخباره انتهت بعد هذه السرية، فلم يعد له ذكر بين الصّحابة في غزوات النبيّ ﷺ وسراياه، مما يؤيِّد استشهاده.

ويبدو أنّ هذه السرية كانت من السرايا الدعوة، فرفض بنو سُلَيْم قبولها، وتكاثروا على المسلمين، فأصبحت القوتان غير متكافئتين، وكان التفوق عَدَداً وعُدَداً مع المشركين على المسلمين، كما أنّ المشركين كانوا في بلادهم، يستنـدون على قاعدتهم، بينما كان المسلمون بعيدين عن قاعدتهم، وكانت خطوط مواصلاتهم طويلة، مما سهّل تموين المشركين وصعب تموين المسلمين.

وهذا التفوق الكبير الذي كان مع المشركين، أدّى إلى اندحار المسلمين دون أن يقصِّروا في أداء واجبهم، فما ضعفوا ولا استكانوا ولا استسلموا، بل قاتلوا قتال الأبطال حتى تساقطوا جميعاً شهداء في ساحة الجهاد. كما أن العين الذي كان للمشركين بين المسلمين، نقل أخبار المسلمين إلى المشركين وكشف نيات المسلمين للمشركين مبكّراً، فأعان المشركين على إحراز النصر من جهة وأدى إلى هزيمة المسلمين من جهة أخرى، وكان من الصّعب أن يحول المسلمون دون تسرّب العيون إلى المدينة فقد كان أولئك العيون يتظاهرون بالإسلام ويختلطون بالمجتمع الإسلامي، فمن الصعب الكشف عنهم في تلك الظروف والأحوال السائدة حينذاك.

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٤٨).

(٢) أسد الغابة (٥/ ٢٦٦)، وانظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٨٤).

(٣) المحبّر (١٢٢).

وكان ابن أبي العوجاء أسوة لرجاله في القتال حتى الرمق الأخير، فلم يبق عليه عتب ولا لوم، وحسبه أنّه استُشهد دفاعاً عن عقيدته ولم يتخلّ عنها خوفاً على روحه، فمات ميتة الأبطال .

الإنسـان والقائـد

ذكرنا أن أخبار ابن أبي العَوْجاء السُّلَمِيّ قليلة للغاية، فظهر فجأة وقاد سريته فقضى شهيداً في أواخر سنة سبع الهجريّة، ولا معلومات إضافية عنه إنساناً.

ويبدو أنّه كان على جانب عظيم من الإيمان والورع والتقوى، لكي يوليه النبيّ ﷺ قيادة قسم من أصحابه إلى بني سُلَيم قوم ابن أبي العَوْجاء، مما يدل على أنّ إيمانه العميق اقتلع ما في نفسه من تقاليد الجاهلية في التعصب الأعمى للقبيلة، وحلّ محلّه الدفاع عن الإسلام والمسلمين.

كما يبدو أنّه كان على جانب كبير من الذكاء والاتّزان وحسن التصرّف وقوّة الشخصية والثقة بالنفس، لكي يستطيع قيادة أصحابه كما ينبغي، فليست القيادة سهلة التكاليف يستطيع تحمّل أعبائها كلّ إنسان، كما أنّ النبيّ ﷺ لا يولي القيادة إلاّ الرجل المناسب الذي يستطيع تحمّل أعبائها بإيمانه وكفاياته القيادية لا بنسبه أو حسبه أو أمر من أمور الدنيا الأخرى المتعارف عليها عند حكّام الدنيا وحدهم، ولا مكان لهما في مقاييس النبيّ ﷺ والحكّام الذين يقتفون آثاره ويهتدون بهديه في تولية الرجل المناسب للعمل المناسب.

إنّ ابن أبي العَوْجاء من القادة العقائديين الذين عملوا لعقيدتهم لا لأنفسهم، فضحّوا بأرواحهم من أجل عقيدتهم، ولم يضحّوا بعقيدتهم من أجل أرواحهم.

ابن أبي العَوْجاء في التاريخ

يذكر التاريخ لابن أبي العَوجاء، أنّه أسلم قبل فتح مكّة المكرمة، فنال شرف الصّحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرّسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام.

ويذكر له، أنّه استُشهد دفاعاً عن عقيدته مُقبلاً غير مُدبر، فأصبح في عِداد الشهداء السابقين الأولين.

رضي الله عن الصحابي الجليل، القائد الشهيد، ابن أبي العَوْجاء السُّلَمِيّ.

شُجَاع بن وَهْب الأَسَدِيّ
السَّفير القائد الشّهيد

نسبه وأيّامه الأولى

هو شُجَاع بن وَهْب[(١)] بن ربيعة بن أَسَد بن صُهَيْب بن مالِك بن كثير[(٢)] بن غنم بن دُوْدَان بن خُزَيْمَة الأَسَدِيّ[(٣)]، حليف لبني عَبْد شَمْس من قُرَيش، يُكْنَى: أبا وَهب[(٤)].

أسلم قديماً، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، وعاد إلى مكّة لمّا بلغ المهاجرين أن أهـل مكّة قد أسلموا[(٥)]، فكان من السّابقين الأولين[(٦)] إلى الإسلام.

ولما أَذِنَ النبيّ ﷺ للمسلمين بالهجرة من مكّة إلى المدينة، كان شجاع من أوائل مَنْ هاجر إلى المدينة من المسلمين[(٧)]، فقد قدم المهاجرون من مكّة إلى المدينة أَرْسالاً، وكان بنو غَنْم بن دُوْدَان أهل

(١) الإصابة (٣/ ١٩٤)، وأسد الغابة (٢/ ٣٨٦)، والاستيعاب (٢/ ٧٠٧).

(٢) في طبقات ابن سعد (٣/ ٩٤): ابن كبير.

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٩٤)، والإصابة (٣/ ١٩٤)، وأسد الغابة (٢/ ٣٨٦)، والاستيعاب (٢/ ٧٠٧).

(٤) أسد الغابة (٢/ ٣٨٦)، والاستيعاب (٢/ ٧٠٧).

(٥) أسد الغابة (٢/ ٣٨٦).

(٦) الأصابة (٣/ ١٩٤).

(٧) سيرة ابن هشام (٢/ ٨٠)، وانظر الدرر (٨١)، وجوامع السيرة (٨٧).

إسلام، وقد أوعبوا مع رسول الله ﷺ هجرةً رجالهم ونساؤهم[1].

وفي المدينة آخى النبيّ ﷺ بين شجاع وأوس بن خَوْلِي[2]، وهو أوس بن خَوْلِي بن عبد الله بن الحارث من بني عَوْف بن الخَزْرَج[3].

وهكذا استقرّ شجاع بعد طول ترحاله في قاعدة المسلمين الأَمِيْنة، المدينة المنوّرة، فأصبح له فيها أخوة في الله يتعاونون معه في السرّاء والضرّاء، ويعينونه ويعينهم على تحمّل أعباء الحياة، وأصبح له مستقرّ فيها يأوي إليه ويلجأ إلى حماه، فأصبح جاهزاً للدفاع عن نفسه وإخوته في الدين وعن الإسلام والمسلمين.

المجاهـد

شهد شجاع غزوة (بَدْرٍ)[4] الحاسمة هو وأخوه عُقْبَة بن وَهْب الأسديّ[5]، وكانت غزوة بدرٍ في شهر رمضان المبارك من السنة الثانية الهجريّة.

وشهد سرية عُكَّاشة بن مِحْصَن[6] إلى (الغَمْر)[7] التي كانت في شهر ربيع الأول من السّنة السّادسة الهجريّة، فغنمت السريّة وعادت أدراجها سالمة إلى المدينة المنوّرة[8].

---

(١) انظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (٢/ ٨٠ ـ ٨٣).
(٢) المحبّر (٧٢)، وانظر أسد الغابة (٢/ ٣٨٦)، والاستيعاب (٧٠٧)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٩٤)، والاستبصار (١٨٦).
(٣) الاستبصار (١٨٤ ـ ١٨٥).
(٤) مغازي الواقدي (١/ ١٥٤)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٣٢٦)، وجوامع السيرة (١١٦)، والدرر (١٢٢).
(٥) أنساب الأشراف (١/ ٢٠٠)، وجوامع السيرة (١١٦)، والاستيعاب (٢/ ٧٠٧)، وأسد الغابة (٢/ ٣٨٦).
(٦) انظر سيرته المفصّلة في كتابنا: قادة النبيّ ﷺ.
(٧) الغمر: هو ماء لبني أسد، على ليلتين من (فيد)، انظر طبقات ابن سعد (٢/ ٦١).
(٨) مغازي الواقدي (٢/ ٥٥٠)، وانظر تفاصيل هذه السرية في سيرة عكّاشة بن محصن.

كما شهد شجاع، المشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ[1]، لم يتخلّف عن مشهد من مشاهده، وأدّى واجبه في الجهاد في غزوات النبيّ ﷺ وفي السرايا التي شهدها على أحسن وجه يؤديه المجاهدون الصّادقون.

قائد السرية

يبدو أنّ شجاعاً أبدى كفايةً عالية في تلك الغزوات والسّرايا التي شهدها، فأمّره النبيّ ﷺ على سرية مؤلّفة من أربعة وعشرين رجلاً، في شهر ربيع الأوّل من سنة ثمانٍ الهجريّة، وجّهها عليه الصّلاة والسّلام إلى جمعٍ من بني هَوَازِن بـ(السِّيّ)[2] من أرض بني عامِر من ناحية (رُكْبَة)[3] من وراء (المَعْدِن)[4]، وهي من المدينة المنوّرة على خمس ليالٍ، وأمره النبيّ ﷺ أن يُغير عليهم.

وخرج شجاع من المدينة المنوّرة على رأس سريّته، فكان يسير اللّيل ويكمُن النّهار، حتى صبّحهم وهم غارون، وكان قد أمر أصحابه قبل ذلك ألاّ يُمْعِنُوا في الطّلب، فأصابوا نَعَماً كثيراً وشاءً، فاستاقوا ما غنموا حتى قدموا بالغنائم المدينة المنوّرة.

واقتسم رجال شجاع الغنيمة، فكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً لكلّ رجل، وعدّلوا البعير بعشرة من الغنم.

---

(١) الاستيعاب (٢/ ٧٠٧)، وأسد الغابة (٢/ ٣٨٦).

(٢) السِّيّ: موضع من أرض بني عامر من ناحية (ركبة) من وراء (المعدن)، وهي على خمس ليالٍ من المدينة المنوّرة، انظر طبقات ابن سعد (٢/ ١٢٧)، وانظر معجم البلدان (٥/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

(٣) ركبة: ماء بين (غمرة) و(ذات عرق) بناحية (السِّيّ)، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

(٤) المعدن: قرية بين مكّة والطّائف، يقال لها: معدن البُرْم، كثيرة النخيل والزرع، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ٩٤).

وغابت السرية في مهمّتها خمس عشرة ليلة[1]، منذ غادرت المدينة حتى عادت إليها منتصرة غانمة سالمة.

وأصابت السريّة في الحاضر[2] نُسوة، فاستاقوهنّ، حتى قدم وفد بني هَوَازِن مُسلمين، فكلّموا رسول الله ﷺ في السَّبْيِ، فكلّم النبيّ ﷺ شجاعاً ورجاله في ردِّهنّ إلى ذويهنّ، إلاّ جارية وضيئة كان شجاع قد أخذها لنفسه بثمن، فأصابها. فلما قدم وفد بني هوازن، خيّرها شجاع بين المقام معه والرّحيل مع أهلها، فاختارت المقام عند شجاع، فلقد قُتِل يوم (اليَمَامة) وهي عنده، ولم يكن له منها وَلَد[3]، وكان يوم اليمامة في السنة الحادية عشرة الهجرية بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وبين المرتدين بقيادة مُسَيْلَمَة الكذّاب، وذلك في صدر خلافة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وبعد التحاق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى[4].

لقد أدّى شجاع في قيادة هذه السرية واجبه بشكل متميّز، فسلم وغنم وانتصر على عدوِّه وأثّر في معنويات هوازِن أثراً بالغاً.

وقد أسلم قسم من هوازِن، وقصدوا النبيّ ﷺ، وأعلنوا إسلامهم على يديه.

السَّفيـر إلى الغَسَاسنة

بعث النبيّ ﷺ قبل الفتح - فتح مكّة وبعد الحُدَيْبِيَة رسله إلى الملوك[5] والرؤساء، وذلك في شهر ذي الحجّة سنة ست

---

(١) مغازي الواقدي (٢/٧٥٣ - ٧٥٤)، وطبقات ابن سعد (٢/١٢٧)، وأنساب الأشراف (١/٣٨٠)، وعيون الأثر (٢/١٥٢).

(٢) الحاضر: القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون، والحَيّ إذا حضروا الدار التي بها مجتمعهم، والمقيم في الحضر.

(٣) مغازي الواقدي (٢/٧٥٦).

(٤) انظر التفاصيل في ابن الأثير (٢/٣٦٠ - ٣٦٧).

(٥) طبقات ابن سعد (١/٢٥٨)، وجوامع السيرة (٢٩).

الهجرية[1]، فبعث من جملة مَنْ بعث إليهم شجاع بن وَهْب الأسديّ إلى الحارث بن أبي شَمِر الغَسّانيّ يدعوهم إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً.

قال شجاع: «فأتيتُ إليه وهو بـ(غُوْطَة) دِمشق، وهو مشغول بتهيئة الإنزال والألطاف لقيصر (هِرَقل) وهو جاءٍ من حِمْص إلى إيْلِيَاء (القُدس)، فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة، فقلت لحاجبه: إني رسول رسول الله ﷺ إليه، فقال: لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا، وجعل حاجبُه، وكان رومياً اسمه مُرَىّ يسألني عن رسول الله ﷺ، فكنت أحدِّثه عن صفة رسول الله ﷺ وما يدعو إليه، فيرقّ حتى يغلبه البكاء ويقول: إني قد قرأت الإنجيل، فأجد صفة هذا النبيّ ﷺ بعينه، فأنا أؤمن به وأصدِّقه وأخاف من الحارث أن يقتلني، وكان يكرمني ويحسن ضيافتي.

«وخرج الحارث يوماً، فجلس ووضع التاج على رأسه، فأذن لي عليه، فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ، فقرأه، ثمّ رمى به، وقال: مَنْ ينتزع مني ملكي؟ أنا سائر إليه ولو كان باليَمَن جئته، عليّ بالناس! فلم يزل يفرض حتى قام، وأمر بالخيول تنعل، ثمّ قال: أخبر صاحبك ما ترى!».

«وكتب إلى قيصر يخبره خبري وما عزم عليه، فكتب إليه قيصر: ألاّ تسير إليه، والْه عنه ووافني بإيلياء. فلما جاءه جواب كتابه، دعاني فقال: متى تريد أن تخرج إلى صاحبك؟ فقلت: غداً! فأمر لي بمائة مثقال ذهب، ووصلني مُرَيّ وأمر لي بنفقة وكسوة وقال: أقرِئْ رسول الله ﷺ مني السّلام، فقدمت على النبيّ ﷺ، فأخبرته، فقال: بادَ ملكه! وأقرأته من مُرَيّ السّلام وأخبرته بما قال، فقال رسول الله ﷺ: صَدَقَ»، ومات الحارث بن شمر عام الفتح[2].

---

(١) طبقات ابن سعد (١/ ٢٥٨)، والطبري (٢/ ٦٤٤)، وانظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٧٨).

(٢) طبقات ابن سعد (١/ ٢٦١)، وانظر ابن الأثير (٢/ ٢١٣)، وانظر البداية والنهاية (٤/ ٢٦٨)، وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ٩٤ ـ ٩٥)، وتاريخ خليفة بن خياط (١/ ٦٣).

وفي رواية ثانية، أنّ شجاع بن وهب قد بعثه النبيّ ﷺ إلى الحارث بن شَمِر الغَسّاني وابن عمّه جَبَلَة بن الأَيْهَم ملكي (البَلْقَاء)[1] من أعمال دمشق[2]، وكانوا بغُوطة دمشق[3].

وفي رواية ثالثة، أنّ النبيّ ﷺ بعث شجاعاً إلى جَبَلة بن الأَيْهَم الغَسَّانِيّ[4].

والرواية الأولى أصحّ، لأنّ الحارث بن أبي شَمِر، هو الذي كان على الغساسنة حينذاك، وكان ابن عمّه جَبَلَة من أبرز شخصيات العائلة الحاكمة، ولكنّه لم يكن ملك الغساسنة.

وكما أنّ الحارث لم يُسْلم، كذلك لم يُسْلم جبلة يومئذ، وقد تولى الملك بعد موت ابن عمّه الحارث، فكان جبلة آخر ملوك غَسَّان. وقد أسلم في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، ثمّ ارتدّ وتنصّر بعد ذلك ولحق بالرُّوم. وكان سبب تنصّره أنّه مرّ في سوق دمشق، فأوطأ رجلاً فرسَه، فوثب الرّجل فلطمه، فأخذه الغسّانيون وأدخلوه على أبي عُبَيْدَة بن الجرّاح رضي الله عنه[5]، فقالوا: «هذا لطم سيّدنا!»، فقال أبو عُبَيْدَة: «البيّنة أنّ هذا لطمك؟»، فقال جبلة: «وما تصنع بالبيّنة!»، فقال: «إن كان لطمك، لطمته بلطمتك»، قال: «ولا يُقْتَل؟!»، قال: «لا!»، قال: «ولا تُقطع يده؟!»، قال: «لا، إنّما أمر الله بالقصاص، فهي لطمة بلطمة»، فخرج جبلة، ولحق بأرض الرّوم وتنصّر، ولم يزل هناك إلى أن هلك[6].

---

(١) البلقاء: كورة من أعمال دمشق، بين الشّام ووادي القرى، عاصمتها: عَمَّان، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧).

(٢) جوامع السيرة (٢٩ ـ ٣٠)، وانظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٧٩)، والمحبّر (٧٦)، وابن الأثير (٢/ ٢١٠).

(٣) ابن الأثير (٢/ ٢١٣).

(٤) سيرة ابن هشام (٤/ ٣٧٩).

(٥) انظر سيرته المفصّلة في كتابنا: قادة فتح الشام ومصر (٥٤ ـ ٨١).

(٦) المعارف (٦٤٤)، وقد ورد في بعض المصادر أنّه ارتد في المدينة المنوّرة،=

وكان نصّ رسالة النبيّ ﷺ إلى الحارث:

بسم الله الرحمن الرحيم

من: محمّد رسول الله

إلى: الحارث بن أبي شَمِر

سلام على مَنْ اتّبع الهدى وآمنَ بالله وصَدَّق. فإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحدَه لا شريك له يَبقى مُلكك[1].

الله

علامة الختم رسول

محمد

فقدم عليه شجاع بن وَهْب، فقرأه عليه، فقال: «ومَنْ ينتزع ملكي؟! إني سأسير إليه»[2].

لقد استطاع شجاع، أن يصل إلى ملك الغساسنة، الحارث بن أبي شَمِر، في ظروف صعبة للغاية، إذ كان في شغل شاغل باستقبال قيصر الرّوم، في طريقه إلى القدس، شكراً لله على نصره المؤزر على الفُرس في معارك طاحنة، فقدّم شجاع رسالة النبيّ ﷺ إلى ملك الغساسنة، ودعاه إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فبلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونجح في التأثير في حاشية الملك، فأسلم حاجبه الذي كان من أقرب المقربين إليه، وأعلن إسلامه برسالته الشفهية إلى النبيّ ﷺ، التي نقلها شجاع، ولا بدّ أنّ شجاعاً بأسلوبه الحصيف داعياً إلى الله قد آثر في غير هذا الحاجب الذي أعلن إسلامه.

= ولا خلاف في أنّه ارتدّ وعاد إلى النّصرانية، وكان الغساسنة قبل أن يسلم منهم من أسلم على دين النّصارى.

(١) البداية والنهاية (٤/٢٦٨)، وانظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (٦٢ ـ ٦٣)، للاطلاع على مصادر ومراجع نصِّ الرسالة النبوية فيها.

(٢) البداية والنهاية (٤/٢٦٨).

أما الملك، فلم يستجب للدعوة يومئذ خوفاً على مُلكه، وخوفاً من الرّوم النصارى الذين كانوا يحتلّون بلاد الشّام حينذاك، وكان الغساسنة من رعاياهم الذين يدينون لهم بالطّاعة والولاء.

الإنســان

كان شجـاع رجلاً نحيفاً طُوالاً أَجْنأ[1] ، ولا رواية له عن النبيّ ﷺ في كتب الحديث النبويّ الشريف[2]، وأخباره رواها غيره من الصحابة[3].

وأخباره إنساناً قليلة جداً، وقد استُشهد شجاع يوم اليَمَامة[4] بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه من جهة، وبين المرتدين بقيادة مُسَيْلَمَة الكذّاب من جهة أخرى سنة اثنتي عشرة الهجرية، وهو ابن بضع وأربعين سنة[5].

والصواب، هو أنّ معركة اليمامة، كانت سنة إحدى عشرة الهجرية (٦٣٢ م) لا سنة اثنتي عشرة الهجريّة.

لقد كان على جانب عظيم من التقوى والورع والإيمان، نجح في قيادته كما نجح في سفارته، مما يدلّ على اتزان عقليته وذكائه وحسن تصرّفه ودماثة أخلاقه.

---

(١) أخبأ: أشرف كاهله على صدره، وانظر صفته في طبقات ابن سعد (٣/ ٩٤)، والاستيعاب (٢/ ٧٠٧).

(٢) الاستيعاب (٢/ ٧٠٧).

(٣) أسد الغابة (٢/ ٣٨٦).

(٤) اليمامة: موضع في نجد، بينها وبين البحرين عشرة أيام، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ٥١٥ ـ ٥٢٥).

(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٩٥)، وانظر البداية والنهاية (٦/ ٣٣٧)، والإصابة (٣/ ١٩٤)، وأسد الغابة (٢/ ٣٨٦)، والاستيعاب (٢/ ٧٠٧).

ولم يبخل بروحه على عقيدته، فسقط شهيداً في قتال المرتدين، فكان استشهاده واستشهاد غيره من المسلمين، هو الذي جعل المسلمين يحرزون النّصر على أعدائهم المتفوقين عليهم عَدَداً وعُدَداً.

وبأمثال شجاع بن وهب، يستنزل النّصر، وبتضحيته وتضحية أمثاله في سبيل عقيدتهم، أحرز المسلمون النصر، وارتفعت رايات الإسلام والمسلمين شرقاً وغرباً.

القـائـد

على الرّغم من تفوّق بني هَوَازن بالعَدَد والعُدَد على سريّة شجاع تفوّقاً ساحقاً، إلاّ أنّ شجاعاً استطاع مباغتة عدوّه، بالزمان الذي لم يكونوا يتوقّعون أن يُهاجموا فيه، وبالأسلوب الذي كان سريعاً صاعقاً، فشلّ بذلك إرادة العدو على القتال، وشلّ بذلك تفكيره الصائب، وتركه يتخبط في فوضى الارتباك والتردّد، وبذلك استطاع أن يكبّده خسائر فادحة بالأرواح والأموال والسّبي، في وقت خاطف قصير جداً.

والمباغتة، أهمّ مبدأ من مبادىء الحرب كما هو معروف.

ولم يقتصر شجاع على تطبيق مبدأ المباغتة، بل طبّق أكثر مبادىء الحرب الأخرى وأهمّها، فقد طبّق مبدأ اختيار المقصد وإدامته، وكان مقصده حسب نص أمر النبيّ ﷺ الذي أصدره إليه، هو الغارة على بني هَوَازن، فنفّذ شجاع هذا المقصد الواضح الجليّ، وأمر رجاله بألاّ يطاردوا العدو، حتى لا يتورّط رجاله في مواقف ليست في الحسبان وليست في صالحهم.

كما طبّق مبدأ: التعرّض، وكان قائداً تعرّضيّاً من الدرجة الأولى، بعيداً عن اتّخاذ أسلوب الدفاع في عملياته القتالية.

وقد طبّق مبدأ: الأمن، فلم يستطع العدو أن يباغت سريته قبل القتال

وفي أثنائه وبعده، واستطاع هو أن يباغت عدوّه في الزمان والأسلوب كما ذكرنا.

وطبّق مبدأ: الاقتصاد بالمجهود، فأمر بعدم مطاردة العدو، حتى لا يبذِّر في قوّاته أو يتكبّد خسائر في الأرواح دون مسوِّغ.

وطبّق مبدأ: الأمور الإدارية، فأمّن لرجاله كلّ ما يحتاجون إليه من مواد إداريّة، بموجب خطّة إداريّة بسيطة مرنة، قابلة للتطبيق بسهولة ويُسر، لخلوّها من التّعقيد.

وطبّق مبدأ: إدامة المعنويات، تطبيقاً رائعاً حقاً، وما كان الهدف من سريته، إلاّ لإدامة معنويات رجالها بخاصة والمسلمين بعامة، وإضعاف معنويات بني هوازن بخاصة والمشركين بعامة.

وكان صاحب قرار سريع صحيح، وذا شجاعة شخصية نادرة، وإرادة قوية نافذة، ونفسيّة لا تتبدّل في حالتي النّصر والاندحار. وكان يعرف نفسيات رجاله ومزاياهم وقابلياتهم، يثق بهم، ويثقون به، ويحبّهم ويحبّونه، وكان موضع ثقة النبيّ ﷺ وتقديره واعتزازه. وكان ذا شخصيّة قوية مسيطرة، وقابلية بدنية جيدة لأنّه كان شاباً، وكان من ذوي الماضي المجيد.

وكان قائداً عقائدياً، يؤمن بالله إيماناً راسخاً ويتوكّل عليه توكّلاً مطلقاً، مجاهداً من الطراز الأوّل، من أعز أمانيه نيل الشهادة، لا يبالي أوقع على الموت أو وقع الموت عليه، ما دام عمله خالصاً في سبيل الله ومن أجل إعلاء كلمة الله.

لقد كان شجاع، قائداً متميِّزاً حقاً.

السّفير

كان شجاع يتّصف بخمس صفات حميدة، أهّلته لتولي منصب السّفارة النبويّة، إلى ملك الغساسنة الذي كان متّصلاً بالرّوم اتِّصالاً وثيقاً،

ويعمل في ظل حكمهم على بلاد الشّام، وكان أقرب إلى الحضارة منه إلى البداوة من جرّاء هذا الاتصال المباشر الوثيق بالرّوم.

وأول هذه الصفات، هي الانتماء للإسلام الذي أنساه انتماءه إلى قبيلته بني أسد، فأصبح ولاؤه الخالص للإسلام وحده دون سواه. والإيمان بتعاليم هذا الدين إيماناً عميقاً راسخاً، جعله يضحي بروحه من أجل عقيدته ولا يضحي بعقيدته من أجل روحه، وهذا هو الإيمان الرّاسخ العميق.

لقد كان انتماء شجاع وإيمانه بالإسلام واضحاً كلّ الوضوح، فهو من السّابقين إلى الإسلام، ومن الذين هاجروا الهجرتين: إلى أرض الحبشة، وإلى المدينة المنوّرة، ومن البدريين عليهم رضوان الله، ومن قادة النبيّ ﷺ وسفرائه، فلا غبار على انتمائه وإيمانه، ولا شك في إخلاصه العظيم لهذا الانتماء والإيمان.

أما الصفة الثانية، فهي الفصَاحة، والعلم، وحسن الخلق. ومن المعروف أنّ بني أسد يعدّون من فصحاء العرب وخطبائهم، ويبدو أنّه كان قارئاً كاتباً، فقد ورد في بعض المصادر المعتمدة، أنّه هو الذي قرأ كتاب النبيّ ﷺ على الحارث ملك الغساسنة، مع أنّ الذين يحسنون القراءة والكتابة من العرب حينذاك قليلون.

أما حسن خلقه، فمن الأدلة عليه خيـاره من الفتاة الهوازنية على أهلها وذويها، ولو كان فظّاً غليظ القلب لما اختارته على أهلها.

كما أنّه عقد صداقات وثيقة مع أقرب المقربين إلى ملك الغساسنة، فرعاه وأكرمه وأكساه، وصدّقه، مما يدلّ على دماثة أخلاقه، وأنّه كان آلفاً مألوفاً.

والصفة الثالثة، هي الصبر والحكمة، فقد صبر صبراً جميلاً، حتى سنحت له الفرصة للقاء ملك الغساسنة، وكان حكيماً في تصرفه عند لقائه بالملك، بلّغ الرسالة، وحمل جواب الملك ومَنْ معه إلى رسول الله ﷺ.

والصفة الرّابعة، هي سعة الحيلة، فقد استطاع أن يربح حاجب الملك إلى جانبه، ومن المعلوم أنّ من السّهل لقاء الملك، ولكن من الصّعب لقاء حاجبه، ولكنه استطاع أن يعقد صداقة وثيقة خالصة بينه وبين ذلك الحاجب، الذي رفض في أوّل الأمر أن يعين شجاعاً على لقاء الملك، ولكنه أصبح بعد ذلك عوناً له في هذا اللقاء، مما يدلّ على مبلغ سعة حيلة شجاع وألمعيّة ذكائه.

والصفة الخامسة والأخيرة، هي رواء المظهر، فقد كان نحيفاً طويل القامة، وهي علامات على رواء مظهره.

ولكن لا توجد نصوص على رواء مظهره، إلاّ أنّ تعلّق الفتاة الهوازنية به تعلّقاً شديداً جعلها تُؤثر البقاء إلى جانبه على الرحيل مع أهلها إلى وطنها، دليل على أنّ مظهره كان مقبولاً إن لم يكن رائعاً.

تلك هي مجمل صفاته سفيراً، وطالما تمنّيت على الله أن يطبّق هذه الصّفات في السفراء العرب والمسلمين اليوم، مَن بيدهم اختيار السفراء، ليريحوا ويستريحوا، فهذه الصفات وحدها تجعل من وجود السّفير في البلاد الأجنبية من مصلحة الصديق لا من مصلحة العدو، ولا أزيد.

شجاع في التاريخ

يذكر التاريخ لشجاع، أنّه كان من المسلمين الأولين السابقين إلى الإسلام.

ويذكر له، أنّه ممن هاجر الهجرتين: إلى أرض الحبشة، وإلى المدينة المنوّرة.

ويذكر له، أنّه كان من الصّحابة البدريين، عليهم رضوان الله، وأنّه شهد المشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ.

ويذكر له، أنّه كان أحد قادة النبيّ ﷺ، وأنّه قاد سرية من سراياه إلى النّصر.

ويذكر له، أنّه كان أحد سفراء النبيّ ﷺ إلى الملوك والرؤساء المعروفين في حينه.

ويذكر له، أنّه نال شرف الصحبة، وشرف الجهاد، تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام.

ويذكر له، أنّه كلّل حياته المباركة بالشهادة، فمات في ساحات الوغى وبيده السيف، دفاعاً عن الإسلام والمسلمين، فحقّق بالشهادة أمنية من أعزّ أمانيه وأغلاها.

رضي الله عن الصحابيّ الجليل، المجاهد البطل، البدريّ الشهيد، القائد المنتصر، السفير الألمعيّ، شجاع بن وَهْب الأَسَدِيّ.

كَعْب بن عُمَيْر الغِفارِيّ
القائـد الشهيـد

حياتــه

المعلومات التي سجّلها المؤرخون عن حياة كعب بن عُمَيْر الغِفاري قليلة جداً، فلا نعرف متى أسلم، ولا عن نشاطه في الإِسلام شيئاً مذكوراً، كما لا نعرف عن تاريخ ولادته ولا عن تفاصيل نسبه ما يستحق الذِّكر.

ولكن الذين ذكروه باختصار شديد، وصفوه بأنّه من كبار الصّحابة[1]، وهي منزلة عظيمة تدلّ على أنّه من السابقين إلى الإِسلام، وأنّه كان على درجة عظيمة من الإِيمان والتقوى والورع، وأنّه جاهد تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام جهاداً صادقاً مثمراً، فاستحق أن يتولى قيادة إحدى سراياه عليه الصّلاة والسّلام.

وقد استُشهد في السنة الثامنة الهجرية[2] كما سيرد تفصيل ذلك وشيكاً، فانتهت حياته المباركة بالشّهادة في سبيل الدفاع عن الإِسلام والمسلمين في ميدان الجهاد.

جهـاده

بعثه النبيّ ﷺ مرّة بعد مرّة أميراً على السّرايا[3]، ولكن لم يسجِّل له

---

(١) الإصابة (٥/ ٣٠٧)، والاستيعاب (٣/ ١٣٢٣)، وأسد الغابة (٤/ ٢٤٦).
(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ١٢٨)، ومغازي الواقدي (٢/ ٧٥٢)، وعيون الأثر (٢/ ١٥٢).
(٣) أسد الغابة (٤/ ٢٤٦)، والاستيعاب (٣/ ١٣٢٣).

أصحاب السِّير والمؤرخون غير سرية واحدة فقط.

فقد بعث رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول من السنة الثامنة الهجرية كعب بن عُمَير الغِفَاري، في خمسة عشرَ رجلاً حتى انتهوا إلى (ذات أَطْلَاح)[1] من أرض الشّام، فوجدوا جمعاً كثيراً من قُضَاعَة[2]، فدعوهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنَّبْل. فلما رأى ذلك أصحاب النبيّ ﷺ، قاتلوهم أشدّ القتال حتى قُتِلوا، فأفلت منهم جريح في القَتْلى، فلما بَرَدَ عليه اللَّيل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فشقّ ذلك على رسول الله ﷺ، وهَمَّ بالبَعْث إليهم، فبلغه أنّهم قد ساروا إلى موضع آخر، فتركهم[3].

وكان كعب في صفحة مسير الاقتراب من المدينة إلى ذات أطلاح، يكمن النّهار ويسير اللّيل، حتى دنا من قُضَاعة، فرآه عَيْنٌ لهم، فأخبرهم بقِلّة أصحاب النبيّ ﷺ، فجاءوا على الخيول وقتلوهم[4]، وكانت قُضَاعة هي التي قتلتهم[5].

وفي رواية، أنّ كعب بن عُمَير جُرِح، فتحامل حتى بلغ المدينة[6]، وما تحامل كعب بل تحامل أحد رجاله، والإجماع على أنّه قتل في هذه السرية[7].

لقد حاول كعب أن يباغت قضاعة، فكمن نهاراً، وسار ليلاً، فأدّى الذي عليه من واجب الكتمان لمباغته عدوّه، وتحقيق هدفه

---

(١) ذات أطلاح: موضع من وراء وادي القرى إلى المدينة، انظر معجم البلدان (١/ ٢٨٧).

(٢) انظر الاستيعاب (٣/ ١٣٢٣).

(٣) مغازي الواقدي (٢/ ٧٥٢ ـ ٧٥٣)، وطبقات ابن سعد (٢/ ١٢٧ ـ ١٢٨)، وعيون الأثر (٢/ ١٥٢)، وانظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٩٦).

(٤) مغازي الواقدي (٢/ ٧٥٣).

(٥) أسد الغابة (٤/ ٢٤٦)، والاستيعاب (٣/ ١٣٢٣).

(٦) الإصابة (٥/ ٣٠٧).

(٧) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٤١)، والمحبّر (١٢٠)، والإصابة (٥/ ٣٠٧)، والاستيعاب (٣/ ١٣٢٣)، وأسد الغابة (٤/ ٢٤٦).

بالمباغتة، ولكن أحد عيون قضاعة رأى سرية كعب واكتشف أنّها قليلة العدد، بعيدة المدد، فأنذر قومه بالذي رآه واكتشفه، فتكاثر العدد على السريّة القليلة، التي استماتت في القتال، حتى استُشهد أفرادها وعلى رأسهم قائدها.

وكان من الصَّعب أن يحول كعب بين أحد عيون قضاعة، وبين الذي حدث، في بيداء شاسعة، وسط مجتمع يتشابه أفراده لغة وشكلاً وثياباً، في ظروف غير اعتيادية هي ظروف الحرب بين المسلمين من جهة والمشركين من جهة أخرى، فاستطاعت الفئة المتفوّقة عَدَداً وعُدَداً، أن تبيد الفئة القليلة، لأنَّ الصراع كان بين فئتين غير متكافئتين، ولأنّ التفوق العُدَدي وبالسِّلاح والخيل كان إلى جانب العدو، ولأنّ العدو كان يقاتل في بلده مستنداً على قاعدته، بينما كان يقاتل المسلمون بعيداً عن المدينة قاعدتهم، فكانت المزايا العسكرية كلّها تقريباً إلى جانب المشركين، فانتصروا على المسلمين الذين اعتمدوا المباغتة لإحراز النصر، ففقدوا تلك المباغتة بانكشاف أمرهم في نيّتهم وفي عَدَدهم، فلم يبق أمامهم إلاّ أن ينالوا الشّهادة، إذ خسروا إحدى الحُسْنَيَيْن: النّصر، فلم يبق أمامهم إلاّ إحدى الحسنيين التي لا تقلّ أهميّة عن الأولى: الشّهادة.

فضحّوا بأرواحهم جميعاً دفاعاً عن عقيدتهم، وآثروا الشهادة على الحياة.

وكان استشهاد كعب في السنة الثامنة الهجرية (٦٢٩ م).

كعـب في التاريخ

يذكر التاريخ لكعب، أنّه كان من كبار الصحابة، فنال شرف الصحبة، وشرف الجهاد تحت لواء النبيّ ﷺ.

ويذكر له، أنّه أحد السابقين الأولين إلى الاستشهاد في سبيل الله، ولإعلاء كلمة الله، دفاعاً عن الإسلام والمسلمين.

رضي الله عن الصحابي الجليل، القائد الشّهيد، كَعْب بن عُمَيْر الغِفَاريّ.

جَعْفَر بن أَبي طالب القُرَشِيّ الهاشِميّ
أوّل سفير في الإِسلام والقائد الشّهيد

نسبه وأيامه الأولى

هو جعفر بن أبي طالب، واسم أبي طالب: عبد مَنَاف، بن عبد المُطَّلِب بن هاشِم بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ القُرَشِيّ الهاشِمِيّ، وهو ابن عَمّ رسول الله ﷺ، وأخو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لأبويه(١)، يكنى: أبا عبد الله بابنه عبد الله(٢).

أُمُّه: فاطمة بنت أسد بن هاشِم بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ(٣)، وكان جعفر الثالث من أولاد أبيه أبي طالب، وكان طالِب أكبرهم سِنّاً، ويليه عَقِيْل، ويلي عَقِيلاً جعفر، ويلي جعفراً عَلِيٌّ، وكلّ واحد منهم أكبر من شقيقه بعشر سنين، وعَلِيّ أصغرهم سِنّاً، وأُمُّهم جميعاً: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ(٤)، وفاطمة أُمّهم أوّل هاشميّة تزوّجها هاشِميّ، وقد أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وتُوفِّيت في زمن النبيّ ﷺ، ونزل عليه الصّلاة والسّلام في قبرها، وكان يكرمها(٥).

---

(١) أسد الغابة (١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧)، والإصابة (١/ ٢٤٨)، والاستيعاب (١/ ٢٤٢)، وانظر نسب قريش (١٧)، وجمهرة أنساب العرب (١٤ ـ ١٥).
(٢) الاستيعاب (١/ ٢٤٢)، والإصابة (١/ ٢٤٨)، وطبقات ابن سعد (٤/ ٣٤).
(٣) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٤)، ومقاتل الطالبيين (٥).
(٤) مقاتل الطالبيين (٥)، وانظر أسد الغابة (١/ ٢٨٧).
(٥) تهذيب الأسماء واللّغات (١/ ١٤٩).

أسلم جعفر قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم يدعو إلى الإسلام فيها[1]، وقد أسلم بعد إسلام شقيقه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بقليل، وروي أنّ أبا طالب رأى النبيّ ﷺ وعَلِيًّا رضي الله عنه يصَلِّيان، وعليّ على يمينه، فقال لجعفر: «صِلْ جناح ابن عمِّك، وصَلِّ على يَساره»، وقيل: أسلم بعد واحد وثلاثين إنساناً، وكان هو الثاني والثلاثين[2].

لقد كان جعفر من السّابقين الأولين إلى الإسلام[3].

المهاجر السّفير

١ ـ لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، وأنّه لا يقدر على أن يمنعهم ممّا هم فيه من البلاء، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإنّ بها ملكاً لا يُظْلَم عنده أحد، وهي أرض صِدْقٍ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه»[4]، وكان بالحبشة مَلِك صالح يقال له النّجاشِيّ، لا يُظْلَم أحد بأرضه، وكان يُثْنَى عليه وفيه صلاح[5]، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة[6]، وكان ذلك في السنة الخامسة من النبوّة[7]، أي في السنة الثامنة قبل الهجرة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت هذه الهجرة أوّل هجرة في الإسلام[8]، وهي الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة[9].

(١) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٤).
(٢) أسد الغابة (١/ ٢٨٧)، وانظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٥ ـ ٢٧١)، وجوامع السيرة (٤٤ ـ ٤٨)، والدرر (٣٩ ـ ٤١).
(٣) الإصابة (١/ ٢٤٨).
(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٣)، وانظر جوامع السيرة (٥٥)، والدّرر (٥٠).
(٥) الطبري (٢/ ٣٢٨).
(٦) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٣).
(٧) الطبري (٢/ ٣٢٩).
(٨) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٣).
(٩) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٣).

وكما كان جعفرأحد السّابقين الأولين إلى الإسلام[١]، كان أحد المهاجرين الأولين إلى الحبشة[٢]، فقد هاجر إليها ومعه امرأته أسماء بنت عُمَيْس بن النُّعْمان بن كَعْب بن مالِك بن قُحَافَة بن خَثْعَم الخَثْعَمِيَّة[٣]، فولدت له هناك: عبد الله، وعَوْناً، ومحمّداً[٤].

وبعث النبيّ ﷺ كتاباً إلى النّجاشي مع جعفر هذا نصّه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من: محمّد رسول الله

إلى: النّجاشي الأصحم[٥] ملك الحبشة:

سِلْمٌ أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلَه إلاّ هو، الملك، القُدّوس، السّلام، المؤمن، المُهَيْمِن، وأشهد أنّ عيسى ابن مريم روح الله وكلمتُه، ألقاها إلى مريمَ البتُولِ الطيّبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونَفْخِهِ، كما خلق آدمَ بيده ونَفْخِهِ.

وإني أدعوك إلى اللهِ وحده لا شريك له، والموالاة له على طاعته، وأن تَتّبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله.

وقد بعثتُ إليك ابن عمِّي جعفراً، ونفراً معه من المسلمين، فإذا جاءك، فأقْرِهم، ودَعْ التّجبّر، فإني أدعوك وجنودَك إلى الله، فقد بلَّغتُ ونصحتُ، فاقبلوا نُصحي.

والسّلام على من اتّبَعَ الهُدَى»[٦].

---

(١) الإصابة (١/ ٢٤٨).

(٢) أسد الغابة (١/ ٢٨٧)، والإصابة (١/ ٢٤٨)، والاستيعاب (١/ ٢٤٢).

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٥).

(٤) جوامع السيرة (٥٧)، والدّرر (٥١).

(٥) اسم النجاشي: أَصْحَمَة وليس الأصحم، انظر البداية والنهاية (٣/ ٧٧).

(٦) الطبري (٢/ ٦٥٢)، وصبح الأعشى (٦/ ٣٧٩)، وانظر تفاصيل المراجع والمصادر في: مجموعة الوثائق السياسية (٤٣ ـ ٤٤) في الوثيقة رقم (٢١).

وقد أعطى النبيّ ﷺ ابن عمّه جعفراً هذا الكتاب إلى النّجاشي وقت هجرة جعفر إلى الحبشة، طالباً من النّجاشي العادل الاعتناءَ بحال اللّاجئين الغرباء في بلاده[1] من المسلمين، وهم المهاجرون الأولون من المسلمين إلى أرض الحبشة، كما دعاه النبيّ ﷺ إلى الإسلام.

وذكر العبارة: «... وقد بعثت إليك ابنَ عمي جعفراً ونفراً معه من المسلمين، فإذا جاءك، فأقْرِهِمْ...»، لا يمكن أن تتعلّق بالكتاب المرسَل في السنة السّادسة الهجريّة مع عمرو بن أُميّة الضَّمْرِيّ، حيث كان قد مضى خمس عشرة سنة على هجرة جعفر إلى الحبشة، وكان على وشك الرّجوع إلى دار الإسلام.

والمصادر التي لم تذكر هذه العبارة في متن الكتاب النبوي متأخِّرة عن الطبري الذي ذكرها، فليس ذكرها سهواً من الطبري، بل عدم ذكرها سهو من المتأخرين.

٢ ــ ولما رأت قريش أنّ أصحاب رسول الله ﷺ قد أَمِنوا واطمأنّوا بأرض الحبشة، وأنّهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتمروا أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جليدين إلى النّجاشي فيردّهم عليهم، ليفتنوهم في دينهم، ويخرجونهم من دارهم التي اطمأنّوا بها وأمنوا فيها، فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما الهدايا للنجاشي وبطارقته[2]، ثمّ بعثوهما إليه فيهم، وأمروهما أن يدفعا إلى كلّ بطريق هديّته قبل أن يُكلّما النجاشي في المسلمين المهاجرين إلى أرض الحبشة.

وخرجا حتى قدما على النجاشيّ، فلم يبق من بطارقته بطريق إلّا دفعا إليه هديته قبل أن يُكلِّما النجاشي، وقالا لكلِّ بطريق منهم: «إنه قد

(١) مجموعة الوثائق السياسية (٣).

(٢) البطارقة: فسّره أبو ذر بالوزراء.

ضَوَى[1] إلى بلد الملك منّا غِلْمَان سُفَهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مُبْتَدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردّهم إليهم، فإذا كلّمنا الملكَ فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا، ولا يُكلِّمهم، فإنّ قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم»، فقالوا لهما: «نعم»[2].

وكان أمير المؤمنين على المهاجرين إلى الحبشة جعفر بن أبي طالب.

وقدّم عمرو بن العاص وصاحبه هداياهما إلى النجاشيّ[3]، فقبلها منهما، فكلّماه في المسلمين الذين هاجروا إلى بلاده ليردّهم إلى قريش، فأرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فلما جاءوا، وقد دعا النجاشي أساقفته[4]، فنشروا مصاحفهم حوله، فسألهم وقال لهم: «ما هذا الدِّين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟»، فأجابه جعفر عن المسلمين المهاجرين فقال له: «أيها الملك! كنّا أهل جاهليّة، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، وقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منّا الضعيف، فكنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحِّده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصِدْق الحديث وأداءِ الأمانة، وصِلة الرَّحِم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقَذْفِ المُحْصَنَةِ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نُشرك به شيئاً، وأمرنا بالصّلاة والزّكاة والصّيام ـ وعَدَّد عليه أمور الإسلام ـ فصدّقناه وآمنّا به واتَّبَعْناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده لم نُشرك به شيئاً،

(١) ضوىٰ: أوى ولجأ ولصق.
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٦ ـ ٣٥٨).
(٣) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٤).
(٤) الأساقفة: جمع أسقف، وهو العالم في النصرانية.

وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذّبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحلّ ما كنّا نستحلّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على مَنْ سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألاّ نُظْلَم عندك أيها الملك»، فقال له النجاشي: «هل معك مما جاء به عن الله من شيءٍ؟»، فقرأ عليه صدراً من: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[1]، فبكى النجاشي حتى اخْضَلَّت[2] لحيته، وبكت أساقفته حتى أخْضَلُوا مصاحِفهم حين سمعوا ما تلا عليهم[3].

ثم قال النجاشي: «إنّ هذا والذي جاء به عيسى لَيَخْرُجُ من مشكاة[4] واحدة، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يُكادون».

ولما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: «والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم»[5]، فقال عبد الله بن أبي ربيعة، وكان أتقى الرَّجلين: «لا تفعل، فإنّ لهم أرحاماً، وإنْ كانوا قد خالفونا»، فقال: «والله لأخبرنّه أنّهم يزعمون أنّ عيسى بن مريم عبد».

وغدا على النجاشي من الغد، فقال: «أيّها الملك! إنّهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأَرْسِل إليهم فَسَلْهُم عَمَّا يقولون فيه».

وأرسل النّجاشي إلى المسلمين المهاجرين ليسألهم عن عيسى، فلما دخلوا عليه قال لهم: «ماذا تقولون في عيسى بن مريم؟»، فقال جعفر:

---

(١) هي سورة مريم ـ مكيّة إلاّ آيتي ٥٨ و ٦١ فمدنيتان، وآياتها ٩٨، نزلت بعد سورة فاطر ـ ١٩.

(٢) أخضلت: ابتلّت. وفي بعض النسخ: (أخضل لحيته)، كما هو كذلك في النهاية لابن الأثير، فأخضل على هذا مثل أكرم، ومعناه: بلّها، ولحيته على هذا مفعول، مثل قوله: أخضلوا مصاحفهم، تقول: أخضل المطر الأرض: إذا بلّها.

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩).

(٤) المشكاة: الثقب الذي يوضع فيه الفتيل والمصباح، وهي الكوّة غير النافذة.

(٥) استأصل به خضراءهم: يعني جماعتهم ومعظمهم.

«نقول فيه الذي جاءنا به نبيّنا ﷺ هو: عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول»، فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: «والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا[1] العودَ. اذهبوا فأنتم الآمنون، مَنْ سبّكم غرم، ما أحبّ أنّ لي جبلاً من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم.. ردّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها»، فخرجا ـ عمرو بن العاص وصاحبه ـ من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقام المسلمون في أرض الحبشة عند النجاشي في خير دار مع خير جار[2].

وهكذا أدّى جعفر واجبه في الدفاع عن المسلمين المهاجرين إلى أرض الحبشة وفي شرح تعاليم الإسلام للنجاشي ورجاله، فنجح في إخفاق عمرو بن العاص وصاحبه في مهمته إلى أرض الحبشة، فعادا أدراجهما خائِبَيْن.

٣ ــ ولما هاجر النبيّ ﷺ من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة، وأذن للمسلمين بالهجرة إليها، وبدأ بوضع أسس المجتمع الإسلامي بالمؤاخاة، آخى بين جعفر ومُعَاذ بن جَبَل من بني سَلِمَة الأنصار، وكان جعفر غائباً بالحبشة[3].

وأكثر الذين أرّخوا لجعفر لم يذكروا هذه المؤاخاة بينه وبين مُعَاذ بن جَبل، فقد كانت المؤاخاة بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة وقبل غزوة بدر الكبرى، فلما كان يوم بدر نزلت آية الميراث وانقطعت المؤاخاة، وجعفر غائب يومئذٍ بأرض الحبشة[4].

---

(١) قال أبو ذر: «تقديره: ما جاوز مقدار هذا العود أو قدر هذا العود» اهـ.
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٠ ـ ٣٦١)، وحلية الأولياء (١/ ١١٤ ـ ١١٦)، وانظر عيون الأثر (١/ ١١٨ ـ ١١٩).
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ١٢٤)، والدرر (٩٩)، وجوامع السيرة (٩٦)، والإصابة (١/ ٢٤٨).
(٤) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٥).

وأرسل النبيّ ﷺ عمرو بن أُمَيّة الضَّمْرِي سفيراً إلى النجاشي[1] يدعوه إلى الإسلام سنة ست الهجريّة، وكتب إلى النّجاشي، فأسلم النجاشي، وأمره أن يزوِّجه أمّ حَبِيْبَة بنت أبي سُفْيَان بن حَرْب ويرسلها ويرسل مَنْ عنده من المسلمين[2].

فقد آمن النجاشي بالنبيّ ﷺ واتّبعه، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب، وأرسل إليه ابنه في ستين من الحبشة، فغرقوا في البحر[3]، وبعث النجاشي بكسوة إلى رسول الله ﷺ[4].

وأرسل النّجاشي إلى النَّوَاتِيّ[5] فقال: «انظروا ما يحتاج فيه هؤلاء القوم من السُّفن؟»، فقالوا: يحتاجون إلى سفينتين، فجهّزهم.

وكلّم قوم النّجاشيّ من الحبشة أسلموا، في أن يبعث بهم إلى رسول الله ﷺ يُسَلِّموا عليه، وقالوا: نصاحب هؤلاء، فنجذف بهم في البحر، ونُغَنِّيهم، فأذن لهم، فشخصوا مع عمرو بن أُميّة، وأمّر عليهم جعفر بن أبي طالب[6].

ويبدو أنّ النبيّ ﷺ، أرسل عمرو بن أُميّة إلى النّجاشي في أواخر سنة ست الهجريّة، فعاد من سفارته في أوائل سنة سبع الهجريّة، لأنّ مهاجري الحبشة وعلى رأسهم جعفر، عادوا من أرض الحبشة إلى المدينة المنوّرة، في أعقاب غزوة خَيْبَر التي كانت في شهر محرّم من سنة سبع الهجريّة[7].

وقدم جعفر في جماعة من المسلمين من أرض الحبشة بإثر فتح

(١) سيرة ابن هشام (٤/ ٢٧٩)، وجوامع السيرة (٢٩).
(٢) أسد الغابة (٤/ ٨٦).
(٣) ابن الأثير (٢/ ١١٣).
(٤) المحبّر (٧٦).
(٥) النّواتي: مفردها نوتيّ، وهو الملاّح الذي يدير السفينة في البحر.
(٦) أنساب الأشراف (١/ ٢٢٩).
(٧) جوامع السِّيرة (٢١١)، والدّرر (٢١٧).

خَيْبَر[١]، فالتزمه رسول الله ﷺ وقَبَّلَ ما بين عينيه واعتنقه[٢]، وقال: «والله ما أدري بأيِّهما أنا أَسَرّ! أبقدوم جعفر، أم بفتح خيبر»[٣] أو قال: «والله ما أدري أبقدوم جعفر أنا أُسَرّ وأفرح، أم بفتح خيبر»[٤]. وأنزله رسول الله ﷺ إلى جنب المسجد[٥]، وقسم له من غنائم خيبر[٦]، واختطّ له إلى جنب المسجد[٧].

وهكذا كانت لجعفر هجرتان: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة[٨]، وقد استقرّ في المدينة المنوّرة قاعدة المسلمين الرئيسة، بعد أن طال غيابه عن وطنه ردحاً طويلاً من الزّمن، استمرّ أكثر من أربع عشرة سنة في بلاد الحبشة، من السنة الثامنة قبل الهجرة إلى أوائل السّنة السّابعة الهجرية، كان خلالها المسؤول الأول عن المسلمين المهاجرين إلى أرض الحبشة، فأسلم على يديه النّجاشي وغيره من الحبشة، كما أسلم غير النّجاشي وغير الذين أسلموا على يدي جعفر من الأحباش على أيدي غيره من المسلمين المهاجرين.

ولا مجال للشكّ في إسلام النّجاشي، ولا مجال للتّشكيك في إسلامه، ولا يقبل الشك في إسلامه ولا التّشكيك فيه مسلم حقّ، لأنّ إسـلام النّجاشي ثابت، فقد صلّى عليه النبيّ ﷺ صلاة الغائب حين بلغه موته، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري[٩] ومسلم[١٠]

---

(١) الدّرر (٢١٨).
(٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٥).
(٣) سيرة ابن هشام (٣/ ٤١٤).
(٤) الدّرر (٢١٨)، وفي طبقات ابن سعد (٤/ ٣٥): ما أدري بأيّهما أنا أفرح، بقدوم جعفر أم بفتح خيبر.
(٥) أسد الغابة (١/ ٢٨٧).
(٦) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٥).
(٧) الاستيعاب (١/ ٢٤٢).
(٨) أسد الغابة (١/ ٢٨٧).
(٩) فتح الباري بشرح البخاري (٣/ ٩٢) و(٣/ ١٦٤) في باب الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه، وباب التكبير على الجنازة أربعاً.
(١٠) صحيح مسلم (٣/ ٥٤) في باب التكبير على الجنازة.

والنسائي[1] وفي جميع مصادر الحديث الشّريف والفقه الإسلامي[2]، ولا تُصلّي صلاة الغائب إلّا على المسلمين حسب، وكان اسم النّجاشي الذي أسلم وصلّى عليه النبيّ ﷺ صلاة الغائب: أَصْحَمَة[3].

في سَرِيّة مُؤْتَـة[4]

بعث النبيّ ﷺ سرية مُؤْتَة في جمادى الأولى من سنة ثمانٍ الهجرية، وكان سبب بعث هذه السريّة أنّ النبيّ ﷺ بعث الحارث بن عُمَيْر الأَزْدِيّ أحد بني لِهْبٍ إلى ملك بُصْرَى[5] بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، فلما نزل مُؤْتَة عرض له شُرَحْبِيْل بن عمرو الغَسّاني فقتله، ولم يُقْتَل لرسول الله ﷺ، رسولٌ غيره، فاشتدّ ذلك عليه، وندب النّاس، فأسرعوا، وعسكروا خارج المدينة المنوّرة بالجُرْف[6]، وهم ثلاثة آلاف، فقال رسول الله ﷺ: «أمير النّاس زيد بن حارثة، فإن قُتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قُتِل فعبد الله بن رَوَاحَة، فإن قُتِل فَلْيَرْتَضِ المسلمون بينهم رجلاً، فيجعلوه عليهم».

وعقد رسول الله ﷺ، لواءً أبيض دفعه إلى زيد بن حارثة، وأوصاهم رسول الله ﷺ أن يأتوا مقتل الحارث بن عُمَيْر، وأن يدعوا مَنْ هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلّا استعانوا عليهم الله وقاتلوهم. وخرج عليه الصّلاة والسّلام مشيّعاً لهم حتى بلغ (ثَنِيّة الوَداع)[7]، فوقف وودّعهم، فلما ساروا

---

(١) النسائي (٢/ ٣٣٧) في باب التكبير على الجنازة.

(٢) انظر التفاصيل في بحث إسلام النجاشي في هذا الكتاب.

(٣) المحبّر (٧٦)، والبداية والنهاية (٣/ ٧٧).

(٤) مؤتة: قرية من قرى البلقاء (الأُردن) في حدود الشّام، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ١٩٠)، وهي بأدنى البلقاء دون دمشق، انظر طبقات ابن سعد (٢/ ١٢٥).

(٥) بصرى: مدينة من أعمال دمشق، وهي قصبة حوران، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/ ٢٠٨).

(٦) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشّام، انظر معجم البلدان (٣/ ٨٧).

(٧) ثنية الوداع: ثنية مشرفة على المدينة، سميت لتوديع المسافرين منها، انظر معجم =

من معسكرهم نادى المسلمون: دفع الله عنكم، وردّكم صالحين غانمين!.

فقال عبد الله بن رواحة:

لكنّني أسأل الرحمن مغفرةً وضربة ذات فرعٍ تقذف الزَّبدا[١]

ولما فصل المسلمون من المدينة، سمع العدو بمسيرهم، فجمعوا لهم، وقام فيهم شَرْحَبِيْل بن عمرو، فجمع أكثر من مائة ألف، وقدّم الطّلائع أمامه.

ونزل المسلمون (مُعَان)[٢] من أرض الشّام، وبلغ الناس أنّ هِرَقْل قد نزل (مَآب)[٣] من أرض البَلْقَاء في مائة ألف من بَهْراء ووائِل وبَكْر ولَخْم وجُذَام.

وأقام المسلمون في مُعَان ليلتين لينظروا في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ، فنخبره الخبر.... ولكنّ عبد الله بن رَوَاحة شجّع المسلمين على المُضِيّ قُدُماً إلى هدفهم تنفيذاً لأوامر النبيّ ﷺ، فمضوا إلى مُؤْتة.

ولما وصل المسلمون إلى (مُؤْتَة)، وافاهم المشركون هناك، فجاءهم ما لا قِبَل لأحدٍ به من العَدَد والسِّلاح والكُراع والديباج والحرير والذّهب، فالتقى المسلمون بالمشركين، وقاتل الأمراء يومئذٍ على أرجُلهم.

وأخذ اللِّواء زيد بن حارثة، فقاتل، وقاتل المسلمون معه على صفوفهم، حتى قُتل طعناً بالرِّماح رحمه الله.

وأخذ اللِّواء، جعفر بن أبي طالب، فترجّل عن فرس له شقراء،

= البلدان (٣/ ٢٥).

(١) ذات فرع: أي ذات سعة.

(٢) معان: مدينة بطرف بادية الشام تلقاء الحجاز، انظر معجم البلدان (٨/ ٩٣).

(٣) مآب: مدينة في طرف الشام بنواحي البلقاء، انظر معجم البلدان (٧/ ٢٤٩).

فعرقبها[1]، فكانت أوّل فرسٍ عُرْقِبَت في الإسلام، وقاتل حتى استُشهد رضي الله عنه، ضربه رجلٍ من الروم، فقطعه نصفين، فوجد في أحد نصفيه بضعة وثلاثون جرحاً، ووجد فيما أقبل من بَدَن جعفر ما بين منكبيه تسعون ضربة بين طعنة برمح وضربة بسيف، وفي رواية أخرى: اثنتان وسبعون ضربة بسيف وطعنة برمحٍ[2].

وأخذ اللِّواء عبد الله بن رَوَاحة، فقاتل حتى قتل رضي الله عنه، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فسحب قوّات المسلمين من ساحة المعركة وحمى بالسّاقة انسحابهم، وعاد بهم إلى المدينة[3].

وهكذا مضى جعفر إلى ربِّه شهيداً، مقبلاً غير مُدبر، يقاتل الرّوم وحلفاءهم من الغساسنة وهو يقول:

يـــا حَبَّـــذَا الجَنّـــةُ واقْتـــرابُهـــا   طَيِّبَـــةً وبـــارداً شَـــرَابُهـــا
والـــرُّوم رُوْمٌ قـــد دَنـــا عَـــذابُهـــا   كـــافـــرةٌ بَعِيْـــدَةٌ أَنْسَـــابُهـــا
عَلَـــيَّ إذْ لاَقَيْتُهَـــا ضِـــرابُهـــا

فأخذ جعفر اللِّواء بيمينه فَقُطِعَتْ، فأخذه بشماله فقطعت، فاحْتَضَنَهُ[4] بعَضُدَيه حتى قُتل[5]، فسقط مضرجاً بدمائه دون أن يسقط اللِّواء، فقد رفعه أحد المسلمين عالياً.

وتلك شجاعة فذّة، وبطولة نادرة، وإقدام لا يتكرّر إلاّ قليلاً.

---

(١) عرقبها: قطع عرقوبها، وعرقوب الدّابة في رجلها.
(٢) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٤/٣٨ ـ ٣٩).
(٣) طبقات ابن سعد (٢/١٢٨ ـ ١٣٠)، وانظر مغازي الواقدي (٢/٧٥٥ ـ ٧٦٩)، وسيرة ابن هشام (٣/٤٢٧ ـ ٤٤٧)، وجوامع السيرة (٢٢٠ ـ ٢٢٣)، والدرر (٢٢٢ ـ ٢٢٣)، وابن الأثير (٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٨)، وعيون الأثر (٢/ ١٥٣ ـ ١٥٦).
(٤) احتضنه: أخذه في حضنه. وحضن الرجل: ما تحت العضد إلى أسفل.
(٥) سيرة ابن هشام (٣/ ٤٣٤).

الإنســان

كانت سنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوم أسلم إحدى عشرة سنة على أصحّ ما ورد من الأخبار في إسلامه، وقيل: ثلاث عشرة، وقيل: سبع سنين، والثابت إحدى عشرة سنة، لأنّ رسول الله ﷺ بُعث وهذه سُنُوُّه، فأقام معه بمكة ثلاث عشرة سنة[1]، أي أن علياً كان في الرّابعة والعشرين من عمره حين هاجر النبيّ ﷺ من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنورة.

وكان جعفر أكبر من عليّ بن أبي طالب بعشر سنين[2]، أي أنّ جعفراً كان في الرابعة والثلاثين من عمره حين هاجر النبيّ ﷺ من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة.

وقد استُشهد جعفر بمُؤْتَة من أرض الشام مُقْبلاً غير مُدْبِرٍ مجاهِداً للروم في حياة النبيّ ﷺ في شهر جمادى الأولى من سنة ثمان الهجرية[3] (٦٢٩ م)، أي أنّه استشهد وكان له من العمر اثنان وأربعون سنة[4].

وولدَ جعفرُ: عبدَ الله، ومحمّداً، وعَوْناً، أمُّهم: أسماء بنتُ عُمَيْس الخَثْعَمِيّة[5]، ولما هاجر جعفر إلى أرض الحبشة، حمل امرأته أسماء بنت عُمَيْس، فولدت له هناك: عبد الله، ومحمّداً وعَوْناً. ثمّ وُلد للنجاشي بعدما ولدت أسماء بنت عُمَيْس ابنها عبد الله بأيام، فأرسل إلى جعفر: «ما سمّيتَ ابنك؟»، قال: «عبد الله». فسمى النجاشي ابنه عبد الله، فأخذته أسماء

(١) مقاتل الطالبيين (١٧).

(٢) أسد الغابة (١/ ٢٨٧)، والاستيعاب (١/ ٢٤٢)، والإصابة (١/ ٢٤٨).

(٣) الإصابة (١/ ٢٤٨)، وانظر تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٤٩)، والعبر (١/ ٩)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٩٨).

(٤) في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٩)، وكان لجعفر يوم توفي إحدى وأربعين سنة. أما في سيرة ابن هشام (٣/ ٤٣٦) فقد جاء: أنه قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

(٥) انظر نسبها في نسب قريش (٨٠ ـ ٨١)، وجمهرة أنساب العرب (٣٩٠ ـ ٣٩١).

وأرضعته حتى فطمته بلَبن عبد الله بن جعفر، ونزلت بذلك عندهم منزلةً، فكان مَنْ أسلم بالحبشة يأتي أسماء بَعْدُ، تخبُرُ خَبَرَهُم. فلما ركب جعفر بن أبي طالب مع أصحاب السفينتين، مُنْصَرَفهم من عند النجاشي، حمل معه أسماء بنت عُمَيْس وَوَلَده الذين وَلدوا هناك: عبدَ الله، ومحمّداً، وعوْناً، حتى قدم بهم المدينة، فلم يزالوا بها حتى وجّه النبيّ ﷺ جعفراً إلى مُؤْتَة، فمات بها شهيداً[1].

ولجعفر ثلاثة أبناء من أسماء بنت عُمَيْس، انقرض عقب محمّد من قِبَل ابنه القاسم، ولم يكن له غيره، ولعَوْن عقب غير مشهور، وولد عبد الله بن جعفر، وأولهم عليّ بن عبد الله بن جعفر، وفيه الكثرة والعدد، وأمّه زينب بنت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه من فاطمة بنت رسول الله ﷺ[2].

ولما استُشهد حمزة بن عبد المطّلب، خلّف ابنة واحدة، فرآها عليّ بن أبي طالب تطوف حول الكعبة بين الرجال، فأخذ بيدها وألقاها إلى فاطمة في هَوْدَجها. واختصم فيها عليّ بن أبي طالب، وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة حتى ارتفعت أصواتهم، فأيقظوا النبيّ ﷺ من نومه، فقال: «هَلُمّوا أَقْضِي بينكم فيها وفي غيرها»، فقال عليّ: «ابنة عمِّي، وأنا أخرجتها، وأنا أحقّ بها»، وقال جعفر: «ابنة عَمِّي، وخالتها عندي»، وقال زيد: «ابنة أخي»[3]، فقال في كلِّ واحدٍ قولاً رضيه، فقضى بها لجعفر، وقال: «الخالة والدة»، فقام جعفر فحجل[4] حول النبيّ ﷺ، دار عليه،

---

(١) نسب قريش (٨١).

(٢) انظر التفاصيل في جمهرة أنساب العرب (٦٨ ـ ٦٩)، ونسب قريش (٨٠ ـ ٨٣)، وانظر تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٩).

(٣) آخى النبيّ ﷺ بين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة في مؤاخاة مكّة، انظر المحبّر (٧٠).

(٤) حجل ـ حَجْلاً وحَجَلاناً: مشى على رجلٍ، رافعاً الأخرى. ويقال: مرَّ بحجل في مشيته: إذا تبختر.

فقال النبيّ عليه الصّلاة والسّلام: «ما هذا؟»، قال: «شيء رأيتُ الحبشةَ يصنعونه بملوكهم»، وخالة بنت حمزة أسماء بنت عُمَيس، وأمّها سَلْمَى بنت عُمَيْس[(١)].

وقال النبيّ ﷺ لجعفر حين تنازع هو وعليٌّ وزيد في ابنة حمزة: «أَشْبَهَ خَلْقُكَ خَلْقِيْ، وخُلُقُك خُلُقِيْ»، وفي رواية أخرى: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وخُلُقِي»، وفي رواية ثالثة: «إنّك شَبِيْهُ خَلْقِي وخُلُقِي»[(٢)]، فهو أحد المعدودين من المشبّهين بالنبيّ ﷺ[(٣)].

وكان اسم ابنة حمزة رضي الله عنه: أُمَامَة، زوّجها رسول الله ﷺ سَلْمَةَ ابن أبي سَلْمَة، وكان يقول: «هل جزيت سَلْمَةَ؟»، يعني حين زوّجه بنت حمزة بتزويجه إياه أمّه أمّ سَلَمَة[(٤)].

وقد تزوّج أسماء بنت عُمَيْس بعد جعفر أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، ثم تزوّجها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[(٥)].

ولما أتى رسول الله ﷺ قتلُ جعفر كما روت عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها، فقالت: «عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن»[(٦)]، ثم أمهل عليه الصّلاة والسّلام آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم، ثم أتاهم فقال: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم»، ثم قال: «ائتوني ببني أخي»، فجيء بنا كأننا أفراخ، فقال: «ادْعوا إليّ الحلاّق»، فدُعيَ، فحلق رؤوسنا، ثمّ قال: «اللّهم اخْلُف جعْفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه» ثلاث

(١) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٥ ـ ٣٦)، وانظر جمهرة أنساب العرب (٣٩٠) حول نسب أسماء وسلمى ابنتي عُمَيْس.
(٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٦).
(٣) انظر أسماءهم في المحبّر (٤٦ ـ ٤٧).
(٤) المحبّر (١٠٧).
(٥) المحبّر (٤٤٢ ـ ٤٤٣).
(٦) الإصابة (١/ ٢٤٩).

مرّات، فجاءت أسماء وذكرت يُتْم أولادها، فقال: «آلْعَيْلَةَ تخافين عليهم، وأنا وليُّهم في الدنيا والآخرة؟»[1].

وصلّى النبيّ ﷺ على جعفر، ودعا له، ثمّ قال: «استغفروا لأخيكم جعفر، فإنّه شهيد، وقد دخل الجنّة، وهو يطير فيها بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنّة»[2].

وذُكر عن عبد الله بن جعفر أنّه قال: «أَنا أَحْفَظُ حين دخل رسول الله ﷺ على أُمِّي، فنعى لها أبي، فأَنْظُرُ إليه، يمسح على رأسي، وعيناه تهرقان بالدموع، حتى تقطر لحْيَتُهُ، ثمّ قال: «اللَّهُمَّ إنَّ جعفراً قدم إليّ أحسن الثّواب، فاخلفْه في ذريّته بأحسن ما خلفتَ أحداً من عبادك في ذُرِّيَّته»، ثم قال: «يا أَسْماءُ! أَلا أَسُرُّكِ؟»، قالت: «بَلَى، بأبي أَنتَ وأُمِّي»، قال: «إنّ الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنّة»، قالت: «بأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله، فأَعْلم الناسَ ذلك»، فقام رسول الله ﷺ، وأخذ بيدي حتى رَقِيَ المِنبَر، وأجلسني أمامه على الدَّرجة السُّفلى، والحُزْنُ يُعْرَف عليه، فتكلّم، فقال: «إنّ المرءَ كثير بأخيه وابن عمّه، ألاَ إنّ جعفراً قد استُشْهدَ، وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنّة»، ثمّ نزل رسول الله ﷺ، فدخل بيته، وأدخلني معه، وأمر بطعام فصُنع لأهلي، وأرسل إلى أخي، فتغدّينا عنده، والله غداءً طيّباً مباركاً: عمدَتْ سَلْمَى خادمُه إلى شعيرٍ، فطحنته، ثمّ نسفته، فأنضَجَتْه، وأَدَمَتْهُ بزيتٍ، وجعلت عليه فُلْفُلاَ، فتغدّيت أنا وأخي معه، فأقمنا ثلاثة أيام في بيته، ندور معه كلّما صار في بيت إحدى نسائه، ثمّ رجعنا إلى بيتنا»[3].

وفي صحيح البخاري أنّ عبد الله بن عمر بن الخطّاب كان إذا سلّم

---

(1) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٧).
(2) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٨).
(3) نسب قريش (٨١ ـ ٨٢).

على ابن جعفر قال: «السّلام عليك يا ابن ذي الجناحين»[1]، لأنّه قاتل في مُؤْتَة فقُطعت يداه والراية معه لم يُلقها، فقال رسول الله ﷺ «أبدله الله جناحين يطير بهما في الجنّة»[2].

ولما نعى رسول الله ﷺ جعفراً إلى زوجه أسماء بنت عُمَيس، قامت وصاحت وجمعت النساء، فدخلت عليها فاطمة بنت النبيّ ﷺ وهي تبكي وتقول: «واعمّاه!»، فقال رسول الله ﷺ: «على مثل جعفر فَلْتَبْكِ البواكي»، ودخله من ذلك همّ شديد. ولما رجع عليه الصّلاة والسّلام إلى أهله قال: «لا تغفلوا آل جعفر، فإنهم قد شُغلوا»[3]، فأعدوا لآل جعفر طعاماً، وأوصى أسماء زوج جعفر بقوله: «لا تقولي هُجْراً، ولا تضربي صدراً»[4].

وكان ممّا بُكِيَ به شهداء مُؤْتَة من أصحاب رسول الله ﷺ، قول حسّان بن ثابت:

تَـأَوَّبَنِـي لَيْـلٌ بِيَثْـرِبَ أَعْسَـرُ ... وَهَـمٌّ إذا مـا نَـوَّمَ النَّـاسُ مُسْهِـرُ[5]
لِـذِكـرى حَبِيْـبٍ هَيَّجَـتْ لِـيَ عَبْـرَةً ... سَفُـوحـاً وأَسْبَـابُ البُكَـاءِ التَّـذَكُّـرُ[6]
بَلَـى إنَّ فُقْـدَانَ الحَبِيْـبِ بَلِيَّـةٌ ... وَكَـمْ مِـنْ كَـرِيْـمٍ يُبْتَلَـى ثُـمّ يَصْبِـرُ
رَأَيْـتُ خِيَـارَ المُـؤْمِنِيْـنَ تَـوَارَدُوا ... شَعُـوبَ وَخَلْفـاً بَعْـدَهُـم يَتَـأَخَّـرُ[7]
فـلا يُبْعِـدَنّ اللّـهُ قَتْلَـى تَتَـابَعُـوا ... بِمُـؤْتَـة مِنْهُـمْ ذو الجنـاحَيْـنِ جَعْفَـرُ

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٩)، والإصابة (١/ ٢٤٩).
(٢) أسد الغابة (١/ ٢٨٨). (٣) أسد الغابة (١/ ٢٨٩).
(٤) أنساب الأشراف (١/ ٣٨٠).
(٥) تأوبني: عادني ورجع إليّ، وأصله آب يؤوب: رجع. وأعسر: شديد العسر. ومسهر: داع إلى السّهر، ومانع من النوم.
(٦) العبرة: الدمعة. والسفوح: السائلة أو الشديدة السّيلان.
(٧) شعوب: تروى بضم الشين فهي جمع شعب، وهو القبيلة، ويقال: هو أكبر منها، ويجب حينئذ نصبها منوّنة، وتروى بفتح الشين، فهي المنية فعول بمعنى فاعل، سميت بذلك لأنها تشعب الأحباب، أي تُفرِّقهم، وخَلْفاً: تُروى بالفاء، ومعناه: الذي يأتي بعدهم؛ وتُروىٰ بالقاف، وهو ظاهر المعنىٰ.

وَزَيْـدٌ وَعَبْـدُ اللَّـهِ حِيْـنَ تَتَـابَعُـوا ... جميعـاً وأسبـابُ المَنِيَّـةِ تَخْطِـرُ[1]
غَـداةَ مَضَـوا بـالمـؤمنيـنَ يَقُـوْدُهُـمْ ... إلـى المَـوْتِ مَيْمُـوْنُ النَّقِيْبَـةِ أَزْهَـرُ[2]
أَغَـرُّ كضَـوْءِ البَـدْرِ مـن آلِ هـاشِـمٍ ... أَبِـيٌّ إذا سِيْـمَ الظُّـلَامَـةَ مِجْسَـرُ[3]
فَطَـاعَـنَ حتـى مـالَ غيـرَ مُـوَسَّـدٍ ... بِمُعْتَـرَكٍ فيـه قَنـاً مُتَكَسِّـرُ[4]
فصـارَ مـع المُسْتَشْهـديـنَ ثَـوابُـهُ ... جِنَـانٌ ومُلْتَـفُّ الحـدائـق أخْضَـرُ[5]
وكُنَّـا نَـرَى فـي جَعْفَـرٍ مـن مُحَمَّـدٍ ... وَفَـاءً وأمْـراً حـازِمـاً حيـنَ يَـأْمُـرُ
وما زال في الإسلامِ من آل هاشِمٍ ... دَعَـائُـمُ عِـزٍّ لا يَـزُلْـنَ ومَفْخَـرُ
هُـمْ جَبَلُ الإسـلامِ والنّـاس حَـوْلَهُـمْ ... رِضَـامٌ إلـى طَـوْدٍ يَـرُوْقُ وَيَبْهَـرُ[6]
بَهَـالِيْـلُ مِنْهُـم جَعْفَـرٌ وابـنُ أُمِّـهِ ... عَلِـيٌّ ومنهـم أحْمَـدُ المُتَخَيَّـرُ[7]
وحَمْـزَةُ والعَبَّـاسُ مِنْهُـمْ ومنهـمُ ... عَقِيْلٌ ومـاء العُـوْدِ مـن حيثُ يُعْصَرُ
بِهِـمْ تُفْـرَجُ الـلأْوَاءُ فـي كـلِّ مَـأْزِقٍ ... عَمَاسٍ إذا ما ضاق بالنّاس مَصْدَرُ[8]
هُـمُ أوليـاءُ اللَّـهِ أَنْـزَلَ حُكْمَـهُ ... عليهـم وفيهـم ذا الكتـاب المُطَهَّـرُ

وقال كعب بن مالك يرثي جعفر بن أبي طالب:

هَـدَتِ العيـون ودَمْـعُ عَيْنـك يَهْمُـلُ ... سَحًا كَمَا وَكَفَ الطِّبَابُ المُخْضِلُ[9]

---

(١) تخطر: تقول: خطر فلان في مشيته: إذا اختال فيها وتبختر وتحرّك واهتزْ.
(٢) ميمون النّقيبة: يريد أنه مسعود منجح فيما يطلبه. وأزهر: أبيض.
(٣) الأبيّ: العزيز الذي يأبى الضّيم، أي يمتنع من قبوله. سيم: كلف المجسر؛ الشديد الحسارة.
(٤) المعترك: موضع الحرب.
(٥) الحدائق: جمع حديقة، وهي الجنّة.
(٦) الرضام: جمع رضم، وهو الحجارة يجعل بعضها فوق بعض. والطود: الجبل. ويروق: يعجب.
(٧) البهاليل: جمع بهلول، وهو السيِّد.
(٨) اللأواء: الشدّة. والمأزق: المكان الضيّق. والعماس: المظلم، يريد عند ارتفاع الغبار فيه.
(٩) يهمل: يسيل، تقول: همل الدّمع: إذا سال. وسحا: صبا. ووكف: قطر. =

فــي لَيْلَــةٍ وَرَدَتْ عَلَــيَّ هُمُــومُهــا ... طَــوْراً أَخــنُّ وتَــارَةً أَتَمَلْمَــلُ[1]
وَاعْتَــادَنِــي حَــزَنٌ فَبِــتُّ كَــأَنَّنــي ... بِبَنَــاتِ نَعْـشٍ والسِّمَــاكُ مُـوَكَّــلُ[2]
وكــأَنَّمَــا بيــنَ الجَــوانِــحِ والحَشَــا ... ممّــا تــأَوَّبَنِــي شِهَــابٌ مُـدْخَــلُ[3]
وَجْـداً علـى النَّفَـرِ الـذيـنَ تتَـابَعُـوا ... يــومــاً بمُــؤْتَــةَ أُسْنِـدُوا لـم يُنْقَلـوا
صَلَّــى الإلَــهُ عليهــمُ مــن فِتْيَــةٍ ... وسَقَى عِظَامَهُمُ الغَمَـامُ المُسْبِلُ[4]
صَبَـروا بمُـؤْتَـةَ لـلإلَـهِ نفـوسَهُـمْ ... حَـذَرَ الـرَّدَى وَمَخَـافَـةً أَنْ يَنْكُلـوا[5]
فَمَضَـوْا أَمَـامَ المسلميـن كـأَنَّهـم ... فَنَـقٌ عليْهِـنَّ الحَـدِيـدُ المُـرْفَـلُ[6]
إذْ يَهْتَــدونَ بجعفــرٍ ولــوائِــهِ ... قُــدَّامَ أَوَّلِهــم فَنِعْــمَ الأَوَّلُ
حتـى تفَـرَّجَـتِ الصُّفـوفُ وجعفـرٌ ... حيث الْتَقَى وَعْثَ الصُّفوف مُجَدَّلُ[7]
فتَغَيَّــرَ القَمَــرُ المنيــرُ لفَقْــدِهِ ... والشَّمْسُ قد كُسِفَتْ وكادَتْ تَأْفِلُ[8]
قَــرْمٌ عَــلاَ بُنْيَــانُــهُ مــن هــاشِــمٍ ... فَـرْعـاً أَشَـمَّ وسُـؤْدَداً مـا يُنْقَـلُ[9]

= والطباب: ثقب في خرز المزادة التي يجعل فيها الماء. والمخضل: اسم فاعل من أخضل: إذا تندى.

(١) في البداية والنهاية (٤/ ٢٦١): أتمهّل، وورد كذلك في سيرة ابن هشام (٣/ ٤٤٣): كما في أعلاه. وأخن: مضارع من الخنّة، وهي صوت يخرج من الأنف مع بكاء. وأتململ: أتقلّب.

(٢) بنات نعش: من النجوم المعروفة.

(٣) الجوانح: عظام أسفل الصدر. والشهاب: القطعة من النار. ومدخل: اسم مفعول من أدخل.

(٤) المسبل: الممطر، ويقال للمطر: سبل.

(٥) ينكلوا: يرجعوا عن عدوِّهم هائبين له.

(٦) فنق: جمع فنيق، وهو الفحل من الإبل والمرفل الذي تجرّ أطرافه على الأرض.

(٧) الوعث: الرمل الذي تغيب فيه الأرجل. ومجدّل: مطروح على الجدالة، وهي الأرض.

(٨) تأفل: تغيب.

(٩) القرم: أصله الفحل من الإبل، وأراد منه ههنا: السيِّد، وقوله: ما ينقل: يروى بالقاف، ومعناه ظاهر، ويروى بالفاء، ومعناه: لا يحجر.

قَــوْمٌ بهــمْ عَصَــمَ الإلَــهُ عِبَــادَهُ وعليهـــمُ نَـــزَلَ الكتـــابُ المُنْـــزَلُ
فَضَلُـوا المُعَـاشِـرَ عِـزَّةً وتكَـرُّمـاً وتَغَمَّـدَتْ أَحْـلامُهُـمْ مَـنْ يَجْهَـلُ[1]
لا يُطْلِقُـوْنَ إلـى السَّفَـاهِ حُبَـاهُـمُ وتَــرى خَطِيْبَهُــمُ بِحَــقٍّ يَفْصِــلُ[2]
بِيْضُ الـوجـوهِ تَـرى بُطُـونَ أَكُفِّهِـمْ تَنْدَى إذا اعْتَذَرَ الزَّمانُ المُمْحِـلُ[3]
وبِهَـدْيِهِـمْ رَضِـيَ الإلَـهُ لخَلْقِـهِ وبِجَـدِّهـم نُصِـرَ النَّبِـيُّ المُـرْسَـلُ[4]

وقال حَسّان بن ثابت يبكي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

ولقـد بَكَيْـتُ وعَـزَّ مَهْلِـكُ جَعْفَـرٍ حِـبُّ النبـيِّ علـى البَـرِيّـة كُلِّهـا
ولَقد جزعْتُ وقلتُ حين نُعِيْتَ لي مَـنْ للجِـلادِ لَـدَى العُقَابِ وظِلِّهـا[5]
بـالبِيْـضِ حيـن تُسَـلُّ مـن أَغْمـادِهـا ضَـرْبـاً وإنْهَـالِ الـرِّمـاحِ وعَلِّهـا[6]
بعـدَ ابـن فـاطِمـةَ المبـارك جَعْفَـرٍ خيـرِ البَـرِيَّـة كلِّهـا وأجلِّهـا[7]
رُزْءاً وأكْـرمِهـا جميعـاً مَحْتِـداً وأَعَــزِّهـــا مُتَظَلِّمـــاً وأذَلِّهـــا
للحــق حيــن ينــوبُ غيــرَ تَنَحُّلِ كــذِبــاً وأنــداهــا يَـداً وأقلِّهـا[8]

---

(١) تغمّدت أحلامهم مَنْ يجهل: أي سترت أهل الجهل.
(٢) الحبى: بضم الحاء مقصوراً، جمع حبوة، مثل خطوة وخطى، والحبوة: أن يشبك المرء أصابع يديه بعضها في بعض ويجعلها في ركبتيه إذا جلس، وربما احتبى الناس بحمائل السيف ونحوها.
(٣) الممحل: هو من المحل، وهو الشدّة والقحط وكُلْب الزّمان والجدب.
(٤) بجدّهم: يروى الحاء المهملة، والجيم مكسورة، فأما مَنْ رواه بالمهملة، فقد أراد به أقدامهم وشجاعتهم وجرأتهم في أوقات النزال. وأما مَنْ رواه بالجيم المكسورة، فهو الاجتهاد.
(٥) العقاب في هذا المكان: الراية.
(٦) الإنهال: أن تسقى الناس بعد الشراب الأول، وهو معطوف على قوله: الجلاد في البيت السابق. والعل: الشرب الثاني.
(٧) فاطمة ههنا: هي أم جعفر وعلي وعقيل أبناء أبي طالب، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي.
(٨) التنحّل: الانتحال، والتنحّل: الكذب أيضاً.

فُحْشـاً وأكثرِهـا إذا مـا يُجْتَـدىٰ   فَضْـلاً وأنـداهـا يـداً وأبلِّهـا[1]
بـالعُـرْفِ غيـرَ مُحَمَّـدٍ لا مِثْلُـهُ   حَـيٌّ مِـن احيـاءِ البَـرِيَّـةِ كلِّهـا[2]

والشِّعر في رثائه كثير، اكتفينا بجزء منه.

لقد كانت لجعفر مواقف مشهورة، ومقامات محمودة، وأجوبة سديدة، وأحوال رشيدة، وقال فيه أبو هُريرة: «ما احتذى النِّعال ولا انتعل، ولا ركب المطايا، ولا لبس الثياب من رجل بعد رسول الله ﷺ، أفضل من جعفر بن أبي طالب»، وكأنّه إنّما يفضِّله في الكرم، فأما في الفضيلة الدينيّة، فمعلوم أنّ الصدِّيق والفاروق بل وعثمان بن عفّان أفضل منه. وأما أخوه عليّ بن أبي طالب فالظّاهر أنّهما متكافئان أو عليٌّ أفضل منه، وإنّما أراد أبو هريرة تفضيله بالكرم، بدليل ما رواه البخاري عن أبي هُريرة: «كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج إلينا العُكَّة[3] التي ليس فيها شيء، فنشقّها، فنلعق ما فيها». تفرّد به البخاري[4]، فهو الجواد أبو الجواد[5] بحق. وكان أبو هريرة كما روى البغوي يقول: «كان جعفر يحب المساكين ويجلس إليهم ويخدمهم ويخدمونه (يحدِّثهم ويحدِّثونه)، فكان رسول الله ﷺ يكنيه: أبا المساكين»[6].

ولما عاد جعفر من أرض الحبشة مهاجراً إلى المدينة، وقدم مع المسلمين في السفينتين على رسول الله ﷺ في خَيْبَر، أسهم لهم من غنائم

(١) يُجْتَدىٰ: تطلب جدواه، والجدوى بفتح الجيم: المنحة والعطية.
(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ٤٤٠ ـ ٤٤٥)، وانظر البداية والنهاية (٤/ ٢٥٧) و (٤/ ٢٦٠ ـ ٢٦٢)، ومقاتل الطالبيين (١٠ ـ ١١).
(٣) العُكّة: زق صغير للسّمن، جمعها: عُكَكٌ، وعِكاك.
(٤) البداية والنهاية (٤/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧).
(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٨)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٩١).
(٦) الإصابة (١/ ٢٤٨).

خيبر ولم يسهم لمن لم يحضرها غير أهل السفينتين[1]، فكانت حصة جعفر خمسين وسقاً من تمرٍ في كلِّ سنة[2].

وقد ورد ذكر جعفر في (المختصر)، وفي مواضع من (المهذّب)، منها: باب التكبير في العيد، والتعزية، والشّرط في الطلاق، والحضانة[3]. روى عن النبيّ ﷺ، وروى عنه ابنه عبد الله وبعض أهله وأمّ سَلَمَة وعمرو بن العاص وابن مسعود، وروى له النسائي في اليوم والليلة حديثاً واحداً من رواية ابنه عبد الله عنه في كلمات الفرج والمحفوظ عن عبد الله بن جعفر عن عليّ بن أبي طالب[4].

وكان عبد الله بن جعفر يقول: «ما سألت عليّاً فامتنع، فقلت له: بحق جعفر، إلاّ أعطاني»[5].

وكان عليّ بن أبي طالب يقول: «قال رسول الله ﷺ: لم يكن قبلي نبيّ إلاّ قد أُعطي سبعة رفقاء نجباء وزراء، وإني أُعطيت أربعة عشرة»، وعدّد أسماءهم ومنهم جعفر[6].

وكان أحد حواري رسول الله ﷺ وهم: أبو بكر، وعمر، وعليّ، وحمزة، وجعفر، وأبو عُبَيْدَة بن الجرّاح، وعثمان بن عفّان، وعثمان بن مَظْعُون، وعبد الرحمن بن عَوْف، وسعد بن أبي وقّاص، وطلحة بن عُبَيْد الله، والزبير بن العوّام رضي الله عنهم، وقيل: الزبير بن العَوّام وحده[7] حواري رسول الله ﷺ.

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٤٨).
(٢) طبقات ابن سعد (٤/٤١).
(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٤٨).
(٤) تهذيب التهذيب (٢/٩٨)، وانظر خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٦٣).
(٥) الإصابة (١/٢٤٨)، والاستيعاب (١/٢٤٤)، وأسد الغابة (١/٢٨٩).
(٦) أسد الغابة (١/٢٨٧ ـ ٢٨٨).
(٧) المحبّر (٤٧٤).

وصدقَت زوجه أسماء بنت عُمَيْس حيث وصفته بعد موته قائلة: «ما رأيتُ شاباً من العرب كان خيراً من جعفر، ولا رأيت كهلاً خيراً من أبي بكر»[1].

وصدقت في رثائه حين قالت:

فـآليـتُ لا تَنْفَـكُّ نفسـي حـزينـةً عليـك ولا ينفـكّ جلـدي أغْبَـرا
فللّـه عَيْنـاً مَـنْ رأى مثلـه فتـىً أكـرَّ وأحمـى فـي الهيـاج وأصبـرا[2]

ومناقب جعفر كثيرة مشهورة[3].

القـائـد

عاد جعفر إلى المدينة المنوّرة مهاجراً إليها من هجرته إلى أرض الحبشة في أعقاب غزوة خَيْبَر التي كانت في شهر محرّم من سنة سبع الهجريّة، كما ذكرنا من قبل.

وكانت غزوة مُؤْتَة في شهر جمادى الأولى من السنة الثامنة الهجرية، فمكث مع النبيّ ﷺ سنة وثلاثة أشهر، لم يكن فيها من الأحداث المهمّة غير عُمْرَة القضاء التي كانت في شهر ذي القعدة من السنة السّابعة الهجريّة التي شهدها النبيّ ﷺ وغير بعض السرايا التي قادها أصحاب النبيّ ﷺ.

ثم جاءت سريّة مُؤْتَة، وهي من أهمّ سرايا النبيّ ﷺ، لأنّها كانت على الرُّوم في أرض الشّام وحلفائهم من العرب الغساسنة النصارى وحلفاء الغساسنة من العرب النصارى والمشركين، فكانت أوّل سريّة تتعرّض بالدولة البيزنطية وهي أكبر دولتين في العالم حينذاك: الرّوم والفُرْس، كما كانت أوّل سريّة تنهض بتعرّض خارجيّ على نطاق دولي لا على نطاق

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/ ٤١).
(٢) البداية والنهاية (٤/ ٢٥٣).
(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٤٩).

محليّ قَبَلِيّ، لذلك احتفل النبيّ بهذه الغزوة، وحشد لها ثلاثة آلاف مجاهد من المسلمين ووَلّى قيادتها أكفأ قادته: زيد بن حارثة الكلبي، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رَوَاحة.

وبالرغم من قِصَر المدّة التي بقي فيها جعفر إلى جانب النبيّ ﷺ، إلاّ أنّه شارك في سريّة مُؤْتَة قائداً، فخاض معركة مهمّة جداً من معارك المسلمين على الرّوم وحلفائهم، وهي المعركة التمهيديّة الحقيقيّة لفتح بلاد الشّام التي حملت المسلمين على تأسيس أوّل ركن لدولة الإسلام خارج شبه الجزيرة العربيّة، على شواطىء البحر الأبيض المتوسط الشرقيّة. ذلك أنّ الرسول ﷺ إلى جانب تبليغه الدّعوة الإسلامية إلى قادة العالم في وقته، كان قائداً ماهراً يقظاً لا يغضّ الطّرف عن أي مظهر عدواني قد يحطّ من شأن دعوته أو يعمل على النّيل منها، فلم يقف ساكتاً إزاء استشهاد رسوله الذي بعثه إلى أمير الغساسنة في بُصْرَى، فأرسل سرية مُؤْتَة للأخذ بثأر رسوله الشهيد وهناك عند مُؤْتَة على حدود البَلْقاء إلى الشرق من الطرف الجنوبي للبحر الميت، التقى المسلمون بقوّات الرُّوم.

ومهما تكن الخاتمة التي لقيتها سرية مُؤتَة، فإنّ نتائجها وآثارها كانت بعيدة المدى، فبينما رأى الرّوم تلك السريّة (غارة) من الغارات التي اعتاد البدو شنّها للنّهب والسّلْب، كانت تلك السريّة في الواقع ومعركتها من نوع جديد لم تقدِّر دولة الرُّوم أهميّتها، فهي حرب منظّمة كانت لها مهمّة خاصة، جعلت المسلمين يتطلّعون جدِّيّاً لفتح أرض الشّام.

وفي العام التّالي، أي في السنة التّاسعة الهجرية (٦٣٠ م)، قاد النبيّ ﷺ بنفسه غزوة (تبوك)، فأظهر قوّة المسلمين، وعاد إلى المدينة منتصراً.

لقد قدّر الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام بعمق ودقّة أهمية سريّة مُؤْتَة وأهمية المعركة التي تخوضها، وخطورتها على حاضر المسلمين

ومستقبلهم، لذلك جعل على تلك السريّة ثلاثة قادة من أبرز قادته وألمعهم، إذا سقط الأول شهيداً، تولّى القيادة الثاني، فإذا استُشهد الثاني تولّاها الثّالث، فإذا استُشهد اصطلح المسلمون على قائد يختارونه. وما ولّى النبيّ ﷺ قبل سرية مؤتة ولا ولّى بعدها ثلاثة قادة أو قائدين على سرية واحدة، ولكن بُعْدَ نظره عليه الصّلاة والسّلام، وتقديره لأهمية هذه السرية وخطورتها هو الذي جعله يولي ثلاثة قادة على سرية واحدة، مرّة واحدة فقط في حياته العسكريّة كلِّها، وقد صدقت الأحداث ما توقّعه، فانهزمت السرية تعبوياً ولكنّها انتصرت سَوْقياً، وأثرت في معنويات الرّوم تأثيراً عظيماً.

والهزيمة التعبويّة لا تُعَدُّ شيئاً بالنسبة للانتصار السَّوْقِي كما هو معلوم.

وتولية جعفر القيادة في سرية مُؤْتَة على أهميتها وخطورتها، دليل على كفايته القيادية وأنّه قائد من طراز فريد.

وليس من الصعب اكتشاف سمات جعفر القياديّة، فقد كان من أولئك القادة ذوي العقيدة الراسخة، الذين يضحّون أرواحهم من أجل عقيدتهم، ويعتبرون الشّهادة فوزاً عظيماً.

وحين رفع اللِّواءَ جعفر بعد استشهاد سلفه زيد بن حارثة، كان يعلم بالتأكيد أنّه يسلك طريق الشهادة، فأقبل على مصيره المرتقب مُقْبلاً غير مدبر بإصرار وعناد واستقتال، وهذا دليل على شجاعته النادرة التي لا تتكرّر إلّا في المجاهدين الصّادقين المحتسبين من ذوي العقيدة الرّاسخة والإيمان العميق.

وكان يتمتّع بعقل سديد ومنطق صائب وذكاء وقّاد، مما يؤدي إلى أن تكون قراراته سريعة صحيحة.

وكان ذا إرادة قويّة ثابتة، يتحمّل المسؤوليّة ويحبّها ولا يتهرّب منها أو يلقيها على عواتق الآخرين.

وكان ذا نفسية لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار، ثابتة على

الخطوب والأحداث، والإيمان بالقضاء والقدر يقوِّي هذا الاتِّجاه.

وكان يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم، ويكلِّف كلّ فرد منهم ما يستطيع أن يؤديه بكفاية وإتقان.

وكان يثق برجاله ويثقون به، وكان موضع ثقة النبيّ ﷺ وثقة أصحابه الكاملة، وكان يحبّ رجاله ويحبونه، ويعتمد عليهم ويعتمدون عليه.

وكان ذا شخصية قويّة نافذة، يضبط رجاله ويسيطر عليهم، ويتحلّى بالطّاعة التي هي الضبط المتين في أجلى مظاهره.

وكان ذا ماضٍ ناصع مجيد نسباً وفي خدمة الدِّين الحنيف.

وكان غارقاً بمبادىء الحرب: يختار مقصده ويُديمه، يتّخذ مبدأ التعرّض سبيلاً لمعركته، يحشد قوّته، ويقتصد بمجهوده، ويطبّق مبدأ الأمن على قوّته، ويديم معنوياتها، ويرعى قضاياها الإدارية.

ولم يطبق مبدأ المباغتة في هذه السريّة، فقد كان من الصعب إخفاء حركتها في تلك الظروف التي كان العدو يتوقّع أن يهاجمهم المسلمون بعد مقتل رسول رسول الله ﷺ إلى أمير الغساسنة، إذ من الصّعب السكوت عن قتله أو إهماله، وهو رسول من رُسل الدعوة والرُّسل لا تُقْتَل أبداً، بل تُكرّم بموجب العُرْف السائد حينذاك حتى بين القبائل العربية التي تسكن الصحراء البعيدة عن مَعالم الحضارة.

لقد كان قائداً متميِّزاً، وحسبه أن يكون من خريجي مدرسة الرسول القائد العظيمة عليه الصّلاة والسّلام في القيادة والعقيدة.

السّفيـــر

كانت مزايا جعفر سفيراً واضحة المعالم، أهّلته للنهوض بواجبه في تبليغ رسالة النبيّ ﷺ للنّجاشي ملك الحبشة على أحسن وجه، وأهّلته للنهوض بواجب الدعوة إلى الله في أرض الحبشة، فآمن على يديه النّجاشي

وكثير من بني قومه، وأهّلته للدِّفاع عن المسلمين المهاجرين إلى أرض الحبشة تجاه مكايد سفيري مشركي قُريش اللذين كانا أثيرين لدى النّجاشي ولدى المقرّبين إليه من رجال الدين والسُّلطة، ولديهما الهدايا والمال الذي يغرون به النجاشي ورجاله المقرّبين، بينما لم يكن لدى جعفر ما يتقرّب به من الهدايا والمال للنّجاشي وغيره من أصحاب السلطان، وكان يعاني الفقر والعوز والحرمان.

كما أهّلته تلك المزايا لقيادة المسلمين المهاجرين الذين قدموا معه أرض الحبشة من مكّة، وقيادة المسلمين الجُدُد من الأحباش الذين اعتنقوا الإسلام على يديه وعلى أيدي إخوانه المهاجرين الآخرين، فقد كان جعفر أمير المؤمنين على المسلمين المهاجرين إلى الحبشة وعلى المسلمين في أرض الحبشة كافةً، ما دام مهاجراً في أرض الحبشة حتى التحق بالنبيّ ﷺ بالمدينة المنوّرة، فكان جعفر نِعْمَ السفير القويّ الأمين، ونِعْمَ الداعية الحصيف الحكيم، ونِعم المدافع الجريء البليغ، ونِعْم القائد الحازم المقتدر.

أوّل هذه المزايا، الانتماء والإيمان، فقد كان انتماؤه للإسلام حاسماً جازماً، وكان من الذين سارعوا إلى اعتناق هذا الدين، فكان من السّابقين الأولين، ولعلّ الدليل القاطع على إيمانه العميق هجرته إلى أرض الحبشة، مخلِّفاً أهله وماله وبلده من أجل عقيدته، وصبره الجميل على الغربة سنين طويلة في ظروف معاشية قاسية أو غير مريحة على أقلّ تقدير. وانتماؤه وإيمانه، هو الذي حفّزه لرعاية إخوانه في الدِّين، فكانت رعايته لهم لا تقلّ في حال من الأحوال عن رعاية أهله وزوجه وبنيه، وأدّى إلى الانسجام معهم في حياتهم الجديدة انسجاماً خفّف عليهم معضلات الغُربة في ديار الغُربة، ذلك لأنّ الثقة الكاملة كانت متبادلة بين جعفر والمسلمين المهاجرين، وبين المسلمين المهاجرين وجعفر، فكان بحقّ الأب والأخ والقائد والأمير للمسلمين المهاجرين وللمسلمين غير المهاجرين من الأحباش أيضاً.

كما أنّ الانتماء المطلق للإسلام والعقيدة الراسخة بتعاليمه، أشاع الانسجام الفكري بين المجتمع أفراداً وجماعات، وهذا يؤدي إلى التعاون المثمر بغير حدود.

وكان جعفر يتميّز، بالفصاحة، فهو رجل من قريش أفصح العرب، ومن بني هاشم أفصح قريش، وعرضُه قضيّة المسلمين المهاجرين أمام النّجاشي وبحضور عمرو بن العاص وصاحبه، خير دليل على فصاحته المتميِّزة ومنطقه الواضح السليم.

لقد كان أسلوبه البياني ذلك السّهل الممتنع، الذي لا يشق فهمه على أحد، ولكن يشقّ الإتيان بمثله على كلّ أحد إلاّ نادراً.

وكان عالماً في الدِّين، يحفظ ما نزل من القرآن الكريم، ويتلوه على أسماع الآخرين دليلاً على شرح الإسلام، وجواباً على اعتراض المعترضين وتساؤل المتسائلين.

وكان على جانب عظيم من حسن الخُلُق، فقد كان أخير الناس للمسكين[١]، وما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا ركب الكَوْر[٢] بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر[٣]، وقال عليه الصّلاة والسّلام: «أما أنت يا جعفر، فأشبهت خَلقي وخُلقي»[٤]، وحسبه بذلك دليلاً على أنّه كان على خُلق عظيم.

ولا شيء كالخُلق الكريم يؤدي إلى نجاح السّفير في سفارته، لأنّه يستقطب القلوب حوله، ويشدّ الناس إليه، ويجعله موضع ثقتهم، فيحقِّق ما يصبو إليه من أهداف دون عناء.

---

(١) أسد الغابة (١/ ٢٨٨).

(٢) الكور: الجماعة الكثيرة من الإبل.

(٣) أسد الغابة (١/ ٢٨٧).

(٤) مقاتل الطالبيين (١٢)، وأسد الغابة (١/ ٢٨٧).

لقد كان جعفر ومَنْ معه من المسلمين المهاجرين إلى أرض الحبشة لاجئين، فلما تأكّد النجاشي أنّهم على حقّ، وأنّهم أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلاّ أن يقولوا ربنا الله، بسط حمايته عليهم ومنعهم من أعدائهم مشركي قريش، وبالتدريج تطوّر حال جعفر من حال إلى حال، حتى أصبح النّجاشي رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، وانتهى الأمر بالمسلمين المهاجرين أن عادوا إلى وطنهم مكرّمين معزّزين برعاية النّجاشي الكاملة وحمايته، ولم يكن هذا التطور من حسن إلى أحسن إلاّ ثمرة من ثمرات الخُلق الكريم لجعفر بخاصة وللمسلمين المهاجرين بعامة.

وكان جعفر يتميّز بالصبر والحكمة، وقد برز صبره الجميل في تحمّل أخطار الهجرة من مكة إلى أرض الحبشة، والتّسلل من مجتمع مشركي قريش الذين كانوا يناصبون أشدّ العداء للإسلام والمسلمين، ويحرصون على بقاء المسلمين في مكة، ليتصرّف كلّ مشرك بما يشاء حين يشاء في إلحاق الأذى بالمسلمين القادرين على إلحاق الأذى بهم والذين لا يقدرون على الدفاع عن أنفسهم، وحتى لا ينجو المسلمون من أذى مشركي قريش ورقابتهم. وكان مشركو قريش يطاردون المسلمين المهاجرين، ويمنعونهم بشتى الوسائل من الهجرة، والذين يلقون القبض عليهم من المسلمين المهاجرين، لا يفلتون من العقاب الصارم.

وبرز صبره الجميل في غربته الطويلة التي امتدّت أكثر من أربع عشرة سنة، بعيداً عن أهله وقومه ووطنه.

كما برز صبره الجميل في مصاولة سفيري المشركين من قريش: عمرو بن العاص وصاحبه، ومصاولة أشياعهما الأحباش المقربين من النّجاشي، والذين كان هواهم مع المشركين على المسلمين.

لقد كان في محنة طاحنة متّصلة، تغلّب عليها بالصبر الجميل، واجتازها بنجاح يدعو إلى الإعجاب، ولكن بعناء شديد.

أما حكمته فتتجلّى في مناقشة عمرو بن العاص وصاحبه بحضور النّجاشي ورجالاته، وعمرو من دهاة العرب المعدودين، وقد ضمن بهداياه وأمواله حاشية النّجاشي إلى جانبه، ولكن حكمة جعفر ومنطقه السّديد، فوّت الفرصة على عمرو وصاحبه، وجعل كيدهما ومَنْ معهما من حاشية النّجاشي هباءً تذروه الرياح، فحاق المكر السيِّىء بأهله، وانتصر الحقّ على الباطل، وجاء الحق وزهق الباطل، إنّ الباطل كان زهوقاً.

ولم يكن موقف جعفر في مناقشته الرائعة سهلاً على كلّ حال.

وكان جعفر ألمعيّ الذكاء، لذلك كان واسع الحيلة، وطالما صادفته المشاكل والعراقيل، منذ هاجر إلى الحبشة إلى أن هاجر إلى المدينة، ولكنّه كان يجد لمشاكله ومعضلاته حلاًّ مناسباً ومخرجاً ملائماً.

وكان يتحلّى برواء المظهر، فكان يملأ الأعين قَدْراً وجلالاً، وقد قال فيه النبيّ ﷺ: «أَشْبَهَ خَلْقُكَ خَلْقِيْ، وخُلُقُكَ خُلُقِي»، وفي رواية أخرى: «أَشْبَهْتَ خَلْقِيْ وخُلُقِيْ»، وفي رواية ثالثة: «إنّك شَبِيْهُ خَلْقِيْ وخُلُقِيْ»(١)، فهو أحد المعدودين من المشبّهين بالنبيّ ﷺ(٢).

ومن المعروف أنّ النبيّ ﷺ، كان متميّزاً برواء مظهره، لا اختلاف في ذلك.

وما أصدق وصف زوجه أسماء بنت عُمَيْس له حين قالت: «ما رأيت شاباً من العرب كان خيراً من جعفر»(٣)، وقد قالت ما قالت بعد استشهاده، وبعد أن تزوّجت غيره وكانت في عصمة زوجها الجديد.

لقد كان جعفر يتحلّى بمزايا السّفير النبويّ: الانتماء المطلق والإيمان العميق، والفصاحة العالية والعلم المتين وحسن الخلق، والصبر الجميل

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٦).
(٢) انظر أسماءهم في المحبّر (٤٦ ـ ٤٧).
(٣) طبقات ابن سعد (٤/ ٤١).

والحكمة النّادرة، وسعة الحيلة التي تستسهل الصعب وتحلّ المعضلات، ورواء المظهر الذي يخلب العقول والقلوب معاً.

لذلك نجح في مهمته سفيراً نجاحاً باهراً، كما نجح في مهماته الأخرى التي لا تقلّ أهميّة عن سفارته .

جعفر في التّاريخ

يذكر التاريخ لجعفر، أنّه كان من السّابقين الأولين إلى الإسلام، وأنّه أسلم قبل أن يدخل الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم.

ويذكر له، أنّه هاجر الهجرتين: إلى أرض الحبشة، من مكّة في الهجرة الأولى، وإلى المدينة من أرض الحبشة.

ويذكر له، أنّه كان من أوائل المهاجرين إلى أرض الحبشة، ومن أواخر مَنْ عاد منها إلى المدينة من المهاجرين.

ويذكر له، أنّه كان أمير المؤمنين لمهاجري الحبشة منذ هجرته إليها من مكة، إلى عودته منها إلى المدينة.

ويذكر له، أنّه كان أوّل سفير نبويّ في الإسلام، وأنّه أوّل مَنْ حمل رسالة من رسائل النبيّ ﷺ إلى ملوك العصر وحكامه.

ويذكر له، أنّ النّجاشي ملك الحبشة، أسلم على يديه، كما أسلم على يديه قسم من الأحباش.

ويذكر له، أنّه دافع عن الإسلام والمسلمين أمام النّجاشي دفاعاً منطقياً مُقْنِعاً، فجعل النّجاشي مع المسلمين على أعدائهم المشركين.

ويذكر له، أنّه كان أشبه الناس خَلْقاً وخُلُقاً برسول الله ﷺ، ومن أحبّ الناس إليه وأقربهم إلى قلبه.

ويذكر له، أنّه كان جواداً من أجواد العرب المشهورين، وأنّه كان خير الناس للمساكين من فقراء المسلمين.

ويذكر له، أنّه كان من قادة النبيّ ﷺ، وأنّه قاد سرية مُؤْتَة في موقف حرج عصيب، فاستقبل السيوف والرِّماح مقبلاً غير مُدْبِرٍ، يتقدم باللِّواء الذي يحمله إلى أمام.

ويذكر له، أنّه سقط شهيداً في ساحة المعركة، دون أن يسقط لواء النبيّ ﷺ الذي رفعه بأسنانه بعد أن قطعت يداه.

رضي الله عن السفير الخطير، الصحابي الجليل، القائد الشهيد، جعفر الطيّار بن أبي طالب الهاشمِيّ القُرَشِيّ.

أبو قَتَادَة بن رِبْعِيّ الأنصاري الخَزْرَجيّ
فارس رسول الله ﷺ وأحد قادة سراياه

نسبه وأيامه الأولى

هو أبو قَتَادَة بن رِبْعِيّ بن بَلْدُمَة بن خُنَاس بن سِنَان[(١)] بن عُبَيْد بن عَدِيّ بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمَة[(٢)] بن سَعْد بن عَلِيّ بن راشِد بن سَارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج[(٣)].

اسمه الحارث، وقيل: النُّعمان، وقيل: عمرو[(٤)]، والمشهور أنّ اسمه الحارث[(٥)]، وهو مشهور بكنيته[(٦)].

وأمُّه: كَبْشَة بنت مُطَهَّر بن حرام بن سواد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمَة[(٧)]، فهي خزرجية من بنات عمِّ أبيه.

وقد اختلف في شهوده بدراً، فقال بعضهم كان بدريّاً، ولم يذكره بعضهم في البدريين[(٨)]، ولا وجود لاسمه في قائمة الذين شهدوا بَدْراً في المصادر المعتمدة، واختلاف المؤرخين في شهوده بدراً يدلّ على أنّه أسلم

---

(١) الاستبصار (١٤٦).
(٢) جمهرة أنساب العرب (٣٦٠).
(٣) أسد الغابة (١/ ٣٢٧).
(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ١٥).
(٥) الإصابة (٧/ ١٥٥).
(٦) أسد الغابة (١/ ٣٢٧).
(٧) الاستيعاب (٤/ ١٧٣١)، والإصابة (٧/ ١٥٥).
(٨) أسد الغابة (٥/ ٢٧٤).

قديماً، فهو من المسلمين الأولين من الأنصار.

وحسبه أنّه نال شرف الصحبة، وشرف الجهاد تحت لواء النبيّ ﷺ وشرف قيادة قسم من سراياه عليه الصّلاة والسّلام.

جهــاده

١ ـ في السّرايا والغزوات:

أ ـ شهد أبو قتادة غزوة أُحُد[١] التي كانت في شهر شوّال من السنة الثالثة الهجريّة[٢]. ولما قُتِل حَمْزَة بن عبد المطّلب عم رسول الله ﷺ ومُثِّل به حزن عليه النبيّ ﷺ. فجعل أبو قَتادَة يريد أن ينال من قريش لِمَا رأى من غمِّ رسول الله ﷺ في قتل حمزة وما مُثِّل به، وكان النبيّ ﷺ يشير إلى أبي قتادة: أن اجلس ثلاثاً، وكان قائماً، فقال رسول الله ﷺ: «أحتسبُك عند الله»، وقال: «يا أبا قتادة! إنّ قريشاً أهل أمانة، مَن بغاهم العَواثر[٣] كبَّهُ الله لِفِيْهِ، وعسى إنْ طالت بك مدّة أن تحقِر عملك مع أعمالهم وفَعالك مع فَعالهم، لولا أن تَبْطَرُ قريش لأَخبرتُها بما لها عند الله». فقال أبو قَتادة: «والله يا رسول الله! ما غضبتُ إلاّ لله ولرسوله حين نالوا منه ما نالوا»، فقال رسول الله ﷺ: «صدقتَ، بئس القومُ كانوا لنبيِّهم»[٤].

ب ـ وشهد غزوة (حَمْراء الأَسَد)[٥]، وكانت يوم الأحد لثمانٍ من شوال من السنة الثالثة الهجرية، وقد عاد النبيّ ﷺ بالمسلمين إلى المدينة يوم الجمعة بعد أن غاب عنها خمسة أيام.

فقد صلّى الصبح يوم الأحد، فلما انصرف من الصبح أمر بِلالاً أن

---

(١) الاستيعاب (٤/ ١٧٣١)، وأسد الغابة (٥/ ٢٧٤).

(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦)، والدرر (١٥٣)، وجوامع السيرة (١٥٦).

(٣) العَواثر: جمع عاثِر، والعاثر حِبالة الصّائد.

(٤) مغازي الواقدي (١/ ٢٩٠ ـ ٢٩١).

(٥) حمراء الأسد: على ثمانية أميال، وقيل: عشرة، من المدينة، على يسار الطريق إذا أردت ذي الحليفة. انظر شرح المواهب اللدنية (٢/ ٧٠).

ينادي: إنّ رسول الله يأمركم بطلب عدوِّكم، ولا يخرج معنا إلاّ مَنْ شَهد القتال بالأمسِ.

وخرج رؤساء الأوس والخزرج والمهاجرين يأمرون رجالهم بالمسير، والجراح في الناس فاشية.

وجاء أبو قَتَادة بني سَلِمَة وهم يداوون الجِرَاح، فقال: «هذا منادي رسول الله ﷺ يأمركم بطلب عدوِّكم»، فوثبوا إلى سلاحهم وما عرّجوا على جراحاتهم، فخرج من بني سَلِمَة أربعون جريحاً، حتى وافوا النبيّ ﷺ عليهم السِّلاح، قد صفّوا لرسول الله ﷺ، فلما نظر رسول الله ﷺ إليهم والجراح فيهم فاشية قال: «اللّهم ارْحَمْ بني سَلِمَة»[(١)].

جـ ـ وشهد سرية أبي سَلَمَة بن عبد الأسد إلى (قَطَن)[(٢)] التي كانت في شهر المحرّم من السنة الرابعة الهجرية[(٣)]، ففرّقت السرية شمل المشركين وغنموا إبلاً وشاءً[(٤)].

د ـ وشهد غزوة (بَدْر) الموعد التي كانت في شهر شعبان من السنة الرابعة الهجريّة، فأخلفت قريش موعدها خوفاً من لقاء المسلمين[(٥)]. وكان أبو قتادة في تلك الغزوة فارساً[(٦)].

هـ ـ وشهد سرية عبد الله بن عَتِيْك لقتل اليهوديّ أبي رافع سَلاَّم بن أبي الحُقَيْق النَّضْرِيّ[(٧)]، وكانت في شهر رمضان من السنة السّادسة

(١) مغازي الواقدي (١/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥).
(٢) قطن: جبل بناحية فيد، به ماء لبني أسد بن خزيمة، انظر طبقات ابن سعد (٢/ ٥٠).
(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٥٠).
(٤) انظر التفاصيل في مغازي الواقدي (١/ ٣٤٠ ـ ٣٤٦).
(٥) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٢/ ٥٩ ـ ٦٠).
(٦) مغازي الواقدي (١/ ٣٨٧).
(٧) مغازي الواقدي (١/ ٣٩١).

الهجرية، فقتلوا أبا رافع لأنّه كان يحرِّض المشركين على المسلمين[١].
ونسي أبو قَتادة قوسه، فذكرها بعدما نزل، فقال له أصحابه: «دع القوس»، فأَبى، فرجع وأخذ قوسه وعاد إلى أصحابه[٢]، دون أن يخشى حشود يهود الذين تجمّعوا لمقتل أبي رافع.

و ــ وشهد غزوة (المُرَيْسِيع)[٣] فارساً من فرسان المسلمين[٤] التي كانت في شعبان من السنة الخامسة الهجريّة[٥].

وكان يحمل لواء المشركين في هذه الغزوة صَفْوان ذو الشُّقْر، فشدّ عليه، فكان الفتح، وكان شعار المسلمين في تلك الغزوة: «يا منصور، أَمِتْ أَمِتْ»[٦].

ز ــ وشهد غزوة بني قُرَيْظَة فارساً[٧] التي كانت في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة الهجرية[٨].

ح ــ كما شهد غزوة ذي (قَرَد)[٩] فارساً، وكانت في شهر ربيع الأول من السنة السّادسة الهجريّة[١٠]، فقتل مَسْعَدة بن حَكَمَة بن مالك بن حُذَيفة الفِزَاري وحبيب بن عُيَيْنَة بن حِصْن، وفي هذه الغزوة نودي: «يا خيل الله اركبي»، ولم يُقل ذلك قبلها[١١].

---

(١) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٢/ ٩١ ـ ٩٢).
(٢) مغازي الواقدي (١/ ٣٩٣).
(٣) المريسيع: ماء لخزاعة، بينه وبين الفرع نحو يوم، انظر وفاء الوفا (٢/ ٣٧٣).
(٤) مغازي الواقدي (١/ ٤٠٥).
(٥) طبقات ابن سعد (٢/ ٦٢).
(٦) مغازي الواقدي (١/ ٤٠٧).
(٧) مغازي الواقدي (٢/ ٤٩٨).
(٨) طبقات ابن سعد (٢/ ٧٤).
(٩) ذو قرد: على نحو يوم من المدينة مما يلي غطفان، ويقال: هو بين المدينة وخيبر على يومين من المدينة، انظر وفاء الوفا (٢/ ٣٦٠).
(١٠) طبقات ابن سعد (٢/ ٨٠).
(١١) أنساب الأشراف (١/ ٣٤٩)، وانظر سيرة ابن هشام (٣/ ٣٢٦)، والدرر (١٩٨)، ومغازي الواقدي (٢/ ٥٤٠)، وجوامع السيرة (٢٠٢).

قال أبو قتادة: «إني لأغسل رأسي، قد غسلت أحد شِقَّيه، إذ سمعت فرسي جَرْوَة تصهل وتبحث بحافرها، فقلت: هذه حرب قد حَضَرت! فقمت ولم أغسل شِقّ رأسي الآخر، فركبتُ وعليّ بردة لي، فإذا رسول الله ﷺ يصيح: الفَزَعَ! الفَزَعَ! قال: وأُدركُ المِقْداد بن عمرو، فسايرته ساعة، ثمّ تقدّمه فرسي وكان أجود من فرسه، وقد أخبرني المِقْداد ـ وكان سبقني ـ بقتل مَسْعَدَة مُحْرِزاً، فقلت للمقداد: أنا أموت أو أقتل قاتل مُحْرِز». ولحقهم أبو قتادة، فوقف له مَسْعَدة، فحمل عليه أبو قتادة بالقَنَاة، فدقّ صُلبه وهو يقول: «خذها وأنا الخَزْرَجِيّ!»، فوقع مَسْعَدَة ميّتاً، ونزل أبو قتادة، فسجّاه ببردته، وجَنَّبَ فرسه معه، وخرج يُحْضِر في أثر القوم، حتى تلاحق الناس. ولما مرّ الناس ونظروا إلى بُرْدَة أبي قَتَادة، عرفوها، فقالوا: هذا أبو قتادة قتيل! واسترجع أحدهم، فقال رسول الله ﷺ: «لا، ولكنه قتيل أبي قتادة، وجعل عليه بُرْدَته لتعرفوا أنّه قتيله، فخلُّوا بين أبي قتادة وبين قتيله وسَلبه وفرسه»، فأخذه كلّه[1]. وقال أبو قتادة: «لما أدركني النبيّ ﷺ يومئذ ونظر إليّ قال: اللّهم بارك في شَعْرِه وبَشَرِه. وقال: أفلح وجهك! قلت: ووجهك يا رسول الله! قال: قتلت مَسْعَدَة؟ قلت: نعم، فأعطاني يومئذ فرس مسعدة وسلاحه وقال: بارك الله لك فيه»[2].

ومُحْرِز الذي قتله مَسْعَدَة، هو مُحْرِز بن نَضْلَة من بني أسد بن خُزَيْمَة، وكان حليفاً لبني عبد شمس[3].

وقال النبيّ ﷺ يوم ذي قَرَد: «خير فرساننا أبو قتادة»[4]، ومن يومها أصبح فارس النبيّ ﷺ[5].

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٥٤٤)، وانظر الاستبصار (٣٣٠).
(٢) مغازي الواقدي (٢/ ٥٤٥).
(٣) مغازي الواقدي (٢/ ٥٤٩)، والاستيعاب (٣/ ١٣٦٤).
(٤) الاستبصار (١٤٦).
(٥) جوامع السيرة (٢٨)، وانظر طبقات ابن سعد (٢/ ٨٤).

ط ـ وشهد غزوة الحُدَيْبِيَّة فارساً[1] وكانت في شهر ذي القعدة من السنة السّادسة الهجريّة[2].

قال أبو قتادة: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في عُمَرَة الحُدَيْبِيّة، ومنّا المُحِلّ والمُحْرِم، حتى إذا كنّا بالأَبْواء[3]، وأنا مُحِلٌّ، رأيتُ حِماراً وحشياً، فأسرجتُ فرسي، فركبتُ، فقلت لبعضهم: ناوِلْني سَوْطِيْ! فأبى أن يناولني، فقلتُ: ناولني رُمْحِي! فأبى، فنزلت فأخذت سوطي ورمحي، ثم ركبت فرسي، فحملت على الحمار، فقتلته، فجئت به أصحابي المُحْرِمِيْن والمُحِلِّين، فشكّ المحرمون في أكله، حتى أدركنا رسول الله ﷺ، وكان تقدّمنا بقليل، فأدركناه فسألناه عنه، فقال: أمعكم منه شيء؟ قال: فأعطيته الذِّراع، فأكلها حتى أتى على آخرها وهو مُحْرِم»، فقيل لأبي قتادة: «وما خلّفكم عن رسول الله ﷺ؟»، فقال: «طبخنا الحمار، فلما نَضِجَ لحقناه وأدركناه»[4].

وقد صاول أبو قتادة المنافقين من قومه في هذه الغزوة مصاولة لا هوادة فيها، قال: «لما نزلنا الحُدَيْبِيّة، والماء قليل، سمعت الجَدّ بن قيس[5] يقول: ما كان خروجنا إلى هؤلاء القوم بشيءٍ! نموت من العطش عن آخرنا! فقلت: لا تَقُل هذا يا أبا عبد الله، فلِمَ خرجت؟ قال: خرجت مع قومي. قلت: فلِمَ خرجتَ تخرج مُعْتَمِراً؟ قال: لا واللّهِ، ما أَحْرَمتُ. قال أبو قتادة: ولا نَويتَ العُمْرَة، قال: لا!. فلما دعا رسول الله ﷺ الرجل فنزل بالسَّهم، وتوضّأ رسول الله ﷺ في الـدَّلْو ومجّ فاه فيه، ثمّ ردّه في

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٥٧٤).
(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ٩٥).
(٣) الأبواء: قرية من أعمال الفُرْع من المدينة، بينها وبين الجُحْفَة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً. انظر معجم البلدان (١/ ٩٢).
(٤) مغازي الواقدي (٢/ ٥٧٦).
(٥) كان الجد بن قيس منافقاً، انظر ما جاء عنه في الاستبصار (١٤٥).

البئر، فجاشت البئر بالرَّواء، فرأيت الجَدَّ ماداً رجليه على شفير البئر في الماء، فقلت: أبا عبد الله! أين ما قلتَ؟ قال: إنما كنت أمرح معك، لا تذكر لمحمّد مما قلتُ شيئاً. قال أبو قتادة: وقد كنت ذكرته قبل ذلك للنبيّ ﷺ، قال: فغضب الجَدّ، وقال: بقينا مع صبيانٍ من قومنا لا يعرفون لنا شرفاً ولا سِنّاً، لبَطْنُ الأرض اليومَ خير من ظهرها! قال أبو قتادة: وقد كنت ذكرت قوله للنبيّ ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: ابنه خير منه[1]! قال أبو قتادة: فلقيني نفر من قومي، فجعلوا يؤنبونني ويلومونني حين رفعت مقالته إلى رسول الله ﷺ، فقلت لهم: بئس القوم أنتم! ويحكم! عن الجدِّ بن قيس تذبّون؟ قالوا: نعم، كبيرنا وسيِّدنا. فقلت: قد واللّهِ طَرَح رسول الله ﷺ سؤدده عن بني سَلِمَة، وسوّد علينا بِشْر بن البَراء بن مَعْرور[2]، وهدمنا المنامات التي كانت على باب الجَدّ وبنيناها على باب بِشْر بن البَراء، فهو سيِّدنا إلى يوم القيامة. فلما دعا رسول الله ﷺ إلى البيعة، فرّ الجدّ بن قيس، فدخل تحت بطن البعير، فخرجت أعدو وأخذت بيد رجلٍ كان يُكلِّمني فأخرجناه من تحت بطن البعير، فقلت: ويحك! ما أدخلك ههنا؟ أفراراً مما نزل به روح القُدُس؟ قال: لا، ولكني رُعِبْتُ وسمعتُ الهَيْعَة[3]. قال أبو قتادة: لا نضحت[4] عنك أبداً، وما فيك خير».

ولما مرض الجَدّ بن قيس ونزل به الموت، لزم أبو قَتَادة بيته فلم يخرج حتى مات ودُفِن، فقيل له في ذلك، فقال: «والله ما كنتُ لأُصَلِّيَ عليه وقد سمعته يقول يوم الحُدَيْبِيَة كذا وكذا، وقال في غزوة (تَبُوْك): كذا وكذا[5]، واستحييت من قومي يرونني خارجاً ولا أشهده»، ويقال: خرج

---

(١) ابنه عبد الله بن الجَدّ بن صخر بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان، شهد بدراً وأحداً، انظر التفاصيل في الاستبصار (١٤٥).

(٢) انظر سيرته في الاستبصار (١٤٢).

(٣) الهيعة: الصوت تفزع منه وتخافه من عدو، انظر النهاية (٤/ ٢٦١).

(٤) نضح عنه: ذبّ ودفع، انظر القاموس المحيط (١/ ٢٥٣).

(٥) قال للنبيّ ﷺ في تبوك: «لا تفتني ببنات الأصفر»، وكان يبغي الانصراف عن القتال، انظر هامش الاستبصار (١٤٥) الرقم (٥٣٣) نقلاً عن جمهرة الكلبي.

أبو قتادة إلى ماله بالوادِيَيْن، فكان فيه حتى دُفن الجَدّ، ومات الجَدّ في خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنه[1].

ي ـ وشهد مع النبيّ ﷺ غزوة القَضِيّة[2] التي كانت في شهر ذي القعدة من السنة السّابعة الهجريّة[3]، وقال: «سلكنا في عُمْرَة القَضِيّة على (الفُرْع)[4] وقد أحرم أصحابي غيري، فرأيت حماراً وحشياً فشددت عليه فعقرته، فأتيت به أصحابي، فمنهم الآكل والتارك، فسألت النبيّ ﷺ فقال: «كُلْ!»، قال أبو قتادة: «ثمّ حجّ حجّة الوداع، فأحرم من (البَيْدَاء)[5]، وهذه العُمْرة من المسجد، لأنّ طريقه ليس على البَيداء»[6].

ك ـ وشهد سرية مُؤْتَة[7]، التي كانت في شهر جمادى الأولى من السنة الثامنة الهجرية[8]، ويبدو أنّه أبلى في هذه السريّة بلاءً حسناً، فأثنى عليه النبيّ ﷺ. كما روى أبو هُرَيرة فقال: «خير الفرسان أبو قَتَادة، وخير الرَّجّالة سَلَمَة بن الأكوع»[9].

وهكذا لم يدّخر أبو قتادة وسعاً في الجهاد، وكان له مواقف محمودة في الغزوات والسّرايا.

والذي يتّبع سير الحوادث في هذه الغزوات والسّرايا وتواريخ نشوبها،

---

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٥٩٠ ـ ٥٩١).
(٢) مغازي الواقدي (٢/ ٧٣٣).
(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ١٢٠).
(٤) الفرع: قرية من نواحي الرّبذة عن يسار السُّقْيا، بينها وبين المدينة ثمانية بُرُد على طريق مكة، وقيل: أربع ليالٍ، وبين الفرع والمريسيع ساعة من نهار، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ٣٦٣).
(٥) اسم البيداء: اسم لأرض ملساء بين مكّة والمدينة، وهي إلى مكّة أقرب، تعدّ من الشرف أمام ذي الحليفة، انظر معجم البلدان (٢/ ٣٢٦).
(٦) مغازي الواقدي (٢/ ٧٣٣ ـ ٧٣٤).
(٧) مغازي الواقدي (٢/ ٧٦٢).
(٨) طبقات ابن سعد (٢/ ١٢٨).
(٩) مغازي الواقدي (٢/ ٧٦٢).

يجد أنّ أبا قَتَادة قضى معظم وقته في الجهاد دفاعاً عن الإسلام والمسلمين، فكأنّه لم يأخذ لنفسه قسطاً من الراحة.

٢ ـ قائد السريَّتَيْن:

أ ـ سَرِيّة خَضِرَة[١]:

وكانت في شهر شعبان من السنة الثامنة الهجريّة، إلى خَضِرَة، وهي أرض مُحَارب بنجدٍ، وكانت السريّة مؤلفة من خمسة عشر رجلاً بقيادة أبي قتادة، إلى غَطَفان، وأمره ﷺ أن يسيروا الليل، ويكمنوا النّهار، ويشنّوا الغارة، ولا يقتلوا النساء والصبيان.

وخطب أبو قتادة رجاله، فأوصاهم بتقوى الله عزّ وجلّ، وألّف بين كلِّ رجلين وقال: «لا يُفارق كلّ رجلٍ زميله حتى يُقتل أو يرجع إليّ فيخبرني خبره، ولا يأتني رجلٌ فأسأل عن صاحبه فيقول: لا علم لي به! وإذا كبّرتُ فكبِّروا، وإذا حملت فاحملوا، ولا تُمعنوا في الطلب».

وهجمت السرية على الحاضر، فأحاطت بالمشركين، فصرخ رجل منهم: يا خَضِرَة! وقاتل منهم رجال، فقَتلوا مَنْ أشْرَف لهم، واستاقوا النَّعَم، فكانت الإبل مائتي بعير والغَنَم ألفي شاة، وسَبوا سبياً كثيراً. وجمعوا الغنائم، فأخرجوا الخمس فعزلوه، وقسموا ما بقي على أهل السريّة، فأصاب كلّ رجل منهم اثنا عشر بعيراً، فعُدل البعير بعشر من الغَنَم. وصارت في سهم أبي قتادة جارية وضيئة، فجاء مَحْمِيَة بن جَزْء الزُّبيدي فقال: «يا رسول الله! إنّ أبا قَتَادة قد أصاب في وجهه هذا جارية وضيئة، وقد كنتَ وعدتَني جاريةً من أوّل فَيْءٍ يُفِيُ الله عليك»، فاستوهبها من أبي قتادة رسولُ الله ﷺ، فوهبها له، فوهبها رسولُ الله ﷺ لمَحْمِيَة بن جَزْء.

---

(١) خضرة: أرض مُحَارِب بنجد، انظر طبقات ابن سعد (٢/ ١٣٢)، ومعجم البلدان (٣/ ٤٤٧).

وغابوا في هذه السريّة خمس عشرة ليلة[١].

لقد أحرز أبو قتادة في هذه الغزوة انتصاراً رائعاً. وكان من أهم عوامل انتصاره، مباغتة المشركين مباغتة كاملة بالزّمان، إذ لم يكونوا يتوقّعون هجوم المسلمين عليهم في ذلك الوقت، فلاذوا بالفرار.

ب ـ سريّة بطنِ إِضَم[٢]:

وكانت في أول شهر رمضان من السنة الثامنة الهجرية إلى بطن إِضَم بقيادة أبي قتَادة في سرية مؤلفة من ثمانية رجال.

فلما هَمَّ رسول الله ﷺ، بغزو أهل مكّة، بعث أبا قتادة في ثمانية نفرٍ سريةً إلى بطن أُضَم، وهي فيما بين (ذي خُشُب)[٣] و (ذي المَرْوَة)[٤]، وبينها وبين المدينة ثلاثة بُرُد، ليظنّ ظانٌّ أنّ رسول الله ﷺ، توجّه إلى تلك الناحية، ولأن تَذْهَبَ بذلك الأخبارُ.

وكان في تلك السريّة مُحَلِّم بن جَثَّامَة اللَّيْثِيّ، فمرّ عامِر بن الأَضْبَط الأَشْجَعِيّ، فسلّم بتحيّة الإسلام، فأمسك عنه القومُ، وحمل عليه مُحَلِّم بن جَثَّامة فقتله وسلبه بعيره ومتاعه ووَطْبَ[٥] لَبَن كان معه. فلما لحقوا بالنبيّ ﷺ، نزل فيهم القرآن: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ في سَبِيْلِ اللَّهِ فتبَيَّنُوا، وَلاَ تَقُوْلُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُم السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً، تَبْتَغُوْنَ عَرَضَ الحَيَاةِ

---

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٧٧٧ ـ ٧٨٠)، وطبقات ابن سعد (٢/ ١٣٢ ـ ١٣٣)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٨١)، وعيون الأثر (٢/ ١٦١)، وانظر ابن الأثير (٢/ ٢٣٣).

(٢) إضم: الوادي الذي فيه المدينة المنوّرة، وهو وادٍ يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر، وأعلا إضم التي تمرّ دُوَين المدينة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/ ٢٨١)، وأرى أنه الوادي في قسمه الذي يمرّ شمالي المدينة، لأن الغَرض من إرسال هذه السرية هو التعمية على غزوة فتح مكة.

(٣) ذو خشب: وادٍ على ليلة من المدينة، انظر وفاء الوفا (٢/ ٢٩٩).

(٤) ذو المـروة: قرية بوادي القـرى، وقيل: بين ذي خشـب ووادي القـرى، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ٣٩).

(٥) الوطب: سقاء اللّبن خاصة، انظر الصحاح (٢٣٢).

الدُّنيا، ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾[1].

وانصرف القوم ولم يلقوا جمعاً، حتى انتهوا إلى ذي خُشُب، فبلغهم أنّ رسول الله ﷺ توجّه إلى مكّة، فأخذوا على (بِيْن)[2] حتى لحقوا النبيّ ﷺ بـ (السُّقْيا)[3]، فشهدوا معه فتح مكّة[4].

٣ ــ في الغزوات والسّرايا ثانية:

أ ــ شهد أبو قتادة بعد غزوة فتح مكة غزوة حُنَيْن[5] التي كانت في شهر شوّال من السنة الثامنة الهجريّة[6].

وكان أبو قتادة يحدِّث قال: «لما التقينا كانت للمسلمين جَولة، فرأيت رجلين يقتتلان: مسلماً ومشركاً، وقد علاه المشرك، فاستدرتُ حتى أتيته من ورائه، فضربته على حَبْل عاتقه، وأقبل عليّ فضمّني ضمّة وجدت منها ريح الموت، وكاد أن يَقتلني لولا أنّ الدم نزفه، فسقط وذفَّفتُ عليه ومضيت وتركت عليه سَلَبَه. ولحقت عمر بن الخطّاب فقلت: «ما بال الناس؟! قال: أَمْرُ الله. ثمّ إنّ النّاس رجعوا، وقال رسول الله ﷺ: مَنْ قتل قتيلاً له عليه بيِّنة فله سَلَبه. فقمت فقلت: مَنْ يشهد لي؟ ثم جلست، ثم قال: مَنْ قتل قتيلاً عليه بيِّنة فله سَلَبه، فقمت فقلت: مَنْ يشهد لي؟ ثم جلست، فقال رسول الله ﷺ: مَنْ قتل قتيلاً له عليه بيِّنة فله سَلَبُه، فقام عبد الله بن أُنَيْس فشهد لي، ثمّ لقيت الأسود بن الخُزاعِيّ فشهد لي، وإذا صاحبي الذي أخذ السّلَب لا يُنْكر أني قتلته، وقد قصصت على النبيّ ﷺ

(١) الآية الكريمة من سورة النساء (٤: ٩٤).

(٢) بين: وادٍ قرب المدينة، انظر معجم البلدان (٢/ ٣٤٣).

(٣) السُّقيا: قرية جامعة من عمل الفُرع بينهما مما يلي الجحفة تسعة عشر ميلاً، انظر معجم البلدان (٥/ ٩٤).

(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ١٣٣)، ومغازي الواقدي (٢/ ٧٩٦ ـ ٧٩٧)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٨٥)، والمحبّر (١٢٢ ـ ١٢٣).

(٥) مغازي الواقدي (٣/ ٩٠٨).

(٦) طبقات ابن سعد (٢/ ١٤٩).

القصّة، فقال: يا رسول الله! سَلَبُ ذلك القتيل عندي، فأَرضِهِ عنّي! فقال أبو بكر الصدِّيق: لا والله لا يرضيه منك تَعْمدُ إلى أَسَدٍ من أسد الله، يقاتل عن دين الله، تقاسمه سَلَبه! ارْدُد عليه سَلَب قتيله! فقال رسول الله ﷺ: صَدَق، فأعطِه إيّاه! فأعطانيه، فقال لي حاطب بن أبي بَلْتَعَة: يا أبا قَتَادة! أتبيع السِّلاح؟ فبعته منه بسبع أواقٍ، فأتيت المدينة، فاشتريت به مَخْرَفاً[1] في بني سَلِمَة يقال له الرُّدَيْنِيّ، فإنّه لأَوّل مال لي نِلْته في الإسلام، فلم نزل نعيش منه إلى يومنا هذا»[2].

ب ـ وشهد سرية عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفُلْس[3] التي كانت في شهر ربيع الآخر من سنة تسع الهجريّة.

وقد بعثه قائد السرية مع الحُبَاب بن المُنْذِر وأبي نائلة، فخرجوا على متون خيل لهم يطوفون حول المعسكر، يتقصّون ما حولهم، فأصابوا غلاماً أسود فقالوا: ما أنت؟ قال: «أطلب بُغيَتي»، فأتوا به عليّاً، فقال: «ما أنت؟»، فقال: «باغ!»، فلما هدّدوه قال: «أنا غلام لرجل من طيء من بني نَبْهَان، أمروني بهذا الموضع، وقالوا: إن رأيت خيل محمّد فَطِرْ إلينا فأخبرنا، وأنا لا أُدرك أَسْراً، فلما رأيتكم أردت الذّهاب إليهم، ثمّ قلت: لا أَعجَلُ حتى آتي أصحابي بخبر بيِّن من عددكم وعدد خيلكم وركابكم، ولا أخشى ما أصابني، فلكأني كنتُ مُقَيّداً حتى أخذتني طلائعكم»، قال عليّ: «أصدِقْنا ما وراءَك؟»، قال: «أوائل الحيّ على مسيرة ليلة طَرّادَة[4]، تُصبِّحهم الخيل ومغارُها حين غَدَوا».

(١) المخرف: الحائط من النخل، انظر النهاية (١/ ٨٩).
(٢) مغازي الواقدي (٣/ ٩٠٨ ـ ٩٠٩)، وسيرة ابن هشام (٤/ ٧٨ ـ ٧٩)، والاستبصار (١٤٧).
(٣) الفلس: في ابن الكلبي بفتح الفاء، وفي طبقات ابن سعد (٢/ ١٦٤)، ومغازي الواقدي (٣/ ٩٨٤) بضمّها: صنم لطيء، وكان آنفاً أحمر في وسط جبلهم الذي يقال له: أجأ، أسود كأنه تمثال إنسان، كانوا يعبدونه ويهدون إليه، ولا يأتيه خائف إلاّ أمن عنده، انظر كتاب: الأصنام لابن الكلبي (٥٩).
(٤) طرّادة: طويلة، انظر القاموس المحيط (١٠/ ٣٤٠).

واستشار عليّ بن أبي طالب أصحابه، فقال جَبَّار بن صَخْر: «نرى أن ننطلق على متون الخيل ليلتنا حتى نصبِّح القوم وهم غارّون، فنغير عليهم، ونخرج بالعَبْد الأسود ليلاً ونُخلِّف حُرَيثاً[1] مع العسكر حتى يلحقوا إن شاء الله»، فوافق عليٌّ على هذا الرأي.

وخرجوا بالعبد الأسود، والخيل تُعادىٰ، وهو رِدْف بعضهم عُقْبَةً[2]، ثمّ ينزل فيُردف آخر عُقْبَة، وهو مكتوف، فلما انهار اللَّيل كذب العبد وقال: «قد أَخطأْتُ الطريق وتركتُها ورائي»، فقال عليّ: «فارجع إلى حيث أخطأت!»، فرجع ميلاً أو أكثر، ثمّ قال: «أنا على خطأ»، فقال عليٌّ: «إنّا منك على خُدْعة، ما تريد إلاّ أن تثنينا عن الحيّ، قدِّموه! لتصْدُقنا أو لنضربنّ عنقك»، فقُدِّم العبد وسُلَّ السيف على رأسه، فلما رأى الشرّ قال: «أرأيت إنْ صدّقتُكم، أينفعني؟»، قالوا: نعم، فقال: «فإني صنعتُ ما رأيتم، إنّه أدركني ما يُدرك الناسَ من الحياءِ، فقلت: أقبلتُ بالقوم أدلُّهم على الحيِّ من غير مِحْنَةٍ ولاحقٍ فآمنهم، فلما رأيت منكم ما رأيتُ وخفتُ أن تقتلوني كان لي عُذْر، فأنا أحملكم على الطريق»، قالوا: «اصدُقْنَا»، قال: «الحيّ منكم قريب».

وخرج منهم حتى انتهى إلى أَدنى الحيّ، فسمعوا نُباح الكلاب وحركة النَّعَم في المَرَاح والشاء، فقال: «هذه الأصرام[3]، وهي على فرسخ، فينظر بعضهم إلى بعض»، فقالوا: «فأين آل حاتَم؟»[4]، قال: «هم متوسِّطو الأَصرام».

وأغارت خيل المسلمين على المشركين فجراً، فقتلوا مَنْ قتلوا وأسروا مَنْ أسروا، واستاقوا الذرِّيَّة، والنِّساء، وجمعوا النَّعَم والشاء.

---

(١) اسم دليل السرية إلى موقع الفلس.
(٢) العقبة: النوبة، انظر الصحاح (١٨٥).
(٣) الأصرام: جمع الصرمة، وهي الجماعة، انظر قاموس المحيط (٤/ ١٣٩).
(٤) يريد: كريم العرب حاتم طيء.

وقالت جارية من الحي وهي ترى العبد الأسود ـ وكان اسمه أَسْلَم ـ وهو مُوْثَق: «ما لَه هَبِل! هذا عمل رسولكم أَسْلَم، لا سَلِم، وهو جلبهم عليكم ودلّهم على عَوْرَتكم!»، فأجابها العبد الأسود: «أَقْصِري يا ابنة الأَكارم، ما دللتهم حتى قُدِّمتُ ليُضْرَب عنقي!».

وعسكر المسلمون، وعزلوا الأسرى، وهم قليل، وعزلوا الذُّرِّيَّة، وأصابوا من آلَ حاتم أخت عَدِيّ بن حاتم ونُسَيّاتٍ معها، فعزلوهنّ على حِدَّة، فقال أسلم لعليّ بن أبي طالب: «ما تنتظر بإطلاقي؟»، فعرض عليه الإسلام، فقال: «أنا على دين قومي هؤلاء الأسرى، ما صنعوا صنعتُ!»، فقال: «ألا تراهم مُوثَّقين، فنجعلك معهم في رِباطك؟»، فقال: «نعم، أنا مع هؤلاء مُوثَّقاً، أحبُّ إليّ من أن أكون مع غيرهم مُطْلَقاً، يصيبني ما أصابهم»، فأُوثِق وطرح مع الأسرى، فقال: «أنا معهم حتى تَرَوْن منهم ما أنتم راءون»، فقائل يقول له: مرحباً بك وأهـلاً، ما كان عليك أكثر مما صنعت! لو أصابنا الذي أصابك لفعلنا الذي فعلت وأشدّ منه، ثم آسَيْتَ بنفسك! وقائل يقول له: لا مرحباً بك، أنت جئتنا بهم!.

وجاء العسكر واجتمعوا، فقرّبوا الأسرى، وعرضوا عليهم الإسلام، فمن أسلم تُرِك، ومَن أبى ضربت عُنُقه، حتى أتوا على الأسود، فعرضوا عليه الإسلام، فقال: «واللّهِ إنّ الجزَع من السّيْفِ لَلُؤْم، وما من خلود»، فقال له رجل من الحي ممن أسلم: «يا عجباً منك! ألا كان هذا حين أُخذتَ! فلما قُتل مَنْ قُتل، وسُبي مَن سُبي منا، وأسلم منا مَن أسلم راغباً في الإسلام تقول ما تقول! ويحـك أسلِم واتّبع دين محمّد»، فأسلم وتُرِك، حتى كانت الرِّدَّة، فشهد مع خالد بن الوليد اليَمَامة، فأبلى بلاءً حسناً[1].

وقصّة العبد الأسود طويلة، نقلتها دون أن تكون لها صلة بسيرة أبي قَتَادة، ولكنّها تحمل في طيّاتها عبرةً لمن يعتبر بالتزام حتى العبيد قبل

(١) مغازي الواقدي (٣/ ٩٨٥ ـ ٩٨٨).

الإسلام بالخلق الكريم، فقلت لنفسي: «ليت الأحرار المسلمين يلتزمون بمثل هذا الخُلق في هذه الأيام!».

وفي الحديث الصحيح: «خياركم في الجاهلية، خياركم في الإسلام إذا فَقُهُوا»[1].

ولا فائدة للتاريخ، إذا لم يكن عبرة للحاضر والمستقبل، فهو ليس للتسلية ولا لقضاء الوقت سدى.

وهدمت السرية الفُلْس وخرّبوه، فوُجد في خزانة الفُلْس ثلاثة أسياف: رَسُوب، والمِخْذَم وسيف يقال له اليماني، وثلاثة أدراع. واستعمل عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه على السَّبْي أبا قتادة، واستعمل على الماشية والرِّثّة[2] عبد الله بن عَتِيْك السُّلَمي، فلما نزلوا (رَكَكَ)[3] اقتسموا الغنائم، وعزل للنبيّ ﷺ صفيّاً رسوباً والمِخْذَم، ثم صار له بعد السيف الآخر، وعزل الخمس وعزل آل حاتم فلم يقسمهم حتى قدم بهم المدينة[4].

وكان في السَّبْي أخت عَدِي بن حاتم لم تُقْسَم، فأُنزلت دار رَمْلَة بنت الحارث، وكان عَدِيّ بن حاتم قد سمع بحركة عليٍّ رضي الله عنه، وكان له عينٌ بالمدينة محذّره فخرج إلى الشّام، وكانت أُخت عَدِي إذا مرّ النبيّ ﷺ تقول: «يا رسول الله! هَلَكَ الوالد، وغاب الوافد، فامنُنْ علينا مَنَّ اللَّهُ عليك»، كلّ ذلك يسألها رسول الله ﷺ: «مَنْ وافِدك؟»، فتقول: «عَدِيّ بن حاتِم!»، فيقول: «الفار من الله ورسوله؟!»، حتى يَئِست.

فلما كان اليوم الرابع، مرّ النبيّ ﷺ فلم تكلّم، فأشار إليها رجل: قومي فكلّميه! فكلّمته فأَذن لها ووصلها.

---

(١) الجامع الصغير للمناوي (٢/ ١٠).
(٢) الرثّة: رديء المتاع، انظر المعجم الوسيط (١/ ٣٢٨).
(٣) ركك: محلة من محال سلمى، أحد جبلي طيء، انظر معجم البلدان (٤/ ٢٧٩).
(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ١٦٤)، ومغازي الواقدي (٣/ ٩٨٨).

وسألت عن الرّجل الذي أشار إليها، فقيل: عَلِيٌّ، وهو الذي سباكم، أما تعرفينه؟! فقالت: «لا والله، ما زِلْتُ مُدْنِيَةً طَرَف ثوبي على وجهي وطَرَف ردائي على بُرْقعي من يوم أُسِرت حتى دخلت هذه الدار، ولا رأيت وجهه ولا وجه أحدٍ من أصحابه»[١].

وهذه عبرة جديدة من التاريخ للعربيات المسلمات، يتعلّمنها من فتاة جاهلية لم تسلم ولكنّها ملتزمة بأهداب الشّرف الرّفيع.

جـ ـ وشهد غزوة (تَبوك)[٢] التي كانت في شهر رجب من السنة التاسعة الهجرية[٣].

وقد تخلّف نفر من المسلمين، أبطأت بهم النّيّةُ عن رسول الله ﷺ حتى تخلّفوا عنه من غير شك ولا ارتياب منهم: كعب بن مالك. وذكره رسول الله ﷺ حين بلغ تَبوك، فقال وهو جالس في القوم: «ما فعل كعب بن مالك؟»، فقال رجل من بني سَلِمَة: «يا رسول الله! حبسه بُرداه والنّظر في عِطْفَيْه!»، فقال مُعَاذ بن جَبَل: «بئسما قلتَ! والله يا رسول الله، ما علمنا عليه إلّا خيراً»، والقائل عبد الله بن أُنيس، ويقال: الذي ردّ عليه أبو قَتادة، ومُعاذ بن جَبَل أثبتهما عندنا[٤].

واشتهى الذين شهدوا غزوة تَبوك من المسلمين اللّحم، فانطلق عشرة من الأنصار على خيولهم منهم أبو قتادة إلى الصَّيد، وكان صاحب طَرْد بالرّمح، فقتل أبو قتادة خمسة أَحْمِرَة بالرّمح على فرسه، واصطاد أصحابه الظِباء، وعادوا بالصّيد إلى العسكر مساء، وفرّقوه على أصحاب النبيّ ﷺ[٥].

(١) مغازي الواقدي (٣/ ٩٨٨ ـ ٩٨٩).
(٢) مغازي الواقدي (٣/ ٩٩٧).
(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ١٦٥).
(٤) مغازي الواقدي (٣/ ٩٩٧).
(٥) مغازي الواقدي (٣/ ١٠٣٥ ـ ١٠٣٦).

وفي طريق عودة المسلمين من تَبوك إلى المدينة، كان أبو قتادة يسير قريباً من النبيّ ﷺ، فَخَفق النبيّ ﷺ خَفْقَةً وهو على راحلته، فمال على شِقِّه، فدنا منه أبو قتادة ودَعَمَه[1]، فانتبه، فقال: «مَنْ هذا؟»، فقال: «أبو قتادة يا رسول الله! خِفت أن تسقط فدعمتك»، فقال: «حَفِظَك الله كما حفظتَ رسول الله!»، ثمّ سار غير كثير، ثمّ فعل مثلها، فدعمه أبو قَتادة أيضاً، فانتبه، فقال: «يا أبا قتادة! هل لك في التّعريس[2]؟»، فقال: «ما شئت يا رسول الله!»، فقال: «انظر مَنْ خلفك!»، ، فنظر فإذا رجلان أو ثلاثة، فقال: «ادعُهم!»، فدعاهم، فعرّسوا وهم خمسة رجال[3].

ولما عاد النبيّ ﷺ، جاءه كعب بن مالك وهو جالس في المسجد، قال كعب: «فسلّمت عليه، فلما سلّمت عليه تَبسَّم تَبسّم المُغْضَب، ثم قال لي: تعال! فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلَّفك؟ ألم تكن ابتعتَ ظَهْرَك؟ فقلت: يا رسول الله! لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيتُ أنِّي سأخرج من سَخَطه بعُذْرٍ، لقد أُعطيتُ جَدَلاً، ولكن والله لقد علمت لئن حدّثتك اليوم حديثاً كاذباً لِتَرْضَى عنِّي لَيوشكنّ الله عزّ وجلّ أن يسخط عليّ، ولئن حدّثتك اليوم حديثاً صادقاً تَجِد[4] عليّ فيه، إنِّي لأرجو عُقْبى الله فيه. ولا والله ما كان لي عذر، والله ما كُنْتَ أقوى ولا أَيسرَ مني حين تخلَّفتُ عنك! فقال رسول الله ﷺ: أما أنت فقد صَدَقتَ، فقُمْ حتى يقضي الله عزّ وجلّ فيك! فقمت وقام معي رجال من بني سَلِمَة فقالوا لي: والله ما علمناك كنتَ أذنبتَ ذنباً قبل هذا! وقد عجزت أَلاَّ تكون اعتذرتَ إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المُخَلَّفون، فقد كان كافيك ذَنْبَك استغفار رسول الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا بي يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى

---

(١) دعمته: أي أسندته، انظر النهاية (٢/ ٢٣).
(٢) التعريس: نزول المسافر آخر الليل نزلة للنوم والاستراحة، انظر النهاية (٣/ ٨٠).
(٣) انظر التفاصيل في مغازي الواقدي (٣/ ١٠٤٠ ـ ١٠٤١).
(٤) تجد: تغضب، انظر النهاية (٤/ ١٩٦).

رسول الله ﷺ فأُكذِّب نفسي، فلقيت مُعاذ بن جَبَل وأبا قَتَادة، فقالا لي: لا تُطعْ أصحابك وأَقِمْ على الصِّدق، فإنّ الله سيجعل لك فرجاً ومَخْرَجاً إن شاء الله. فأما هؤلاء المعذِّرون، فإن يكونوا صادقين فسيرضى الله ذلك ويعلمه نبيَّه، وإن كانوا على غير ذلك يذُمّهم أقبح الذمّ ويكذِّب حديثَهم، فقلت لهم: هل لقي هذا غيري؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثلَ مقالتك وقيل لهم مثل ما قيل لك، قلت: مَنْ هما؟ قالوا: مُرارة بنِ الرَّبيع وهِلال بن أُميَّة الواقِفيّ، فذكروا لي رَجُلَيْن صالحين فيهما أُسْوَةٌ وقُدْوَة. ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيّها الثلاثة من بين مَنْ تخلّف عنه، فاجتنبنا النّاسُ وتغيّروا لنا، حتى تنكّرتْ لي نفسي، والأرض فما هي الأرض التي كنتُ أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فأمّا صاحباي فاستكانا فقعدا في بيوتهما، وأما أنا فكنتُ أشدَّ القوم وأجلدَهم، وكنت أخرج وأشهد الصّلوات مع المسلمين وأطوف بالأسواق، فلا يكلِّمني أحد، حتى آتي رسول الله ﷺ وهو في مجلسه بعد الصّلاة، فأُسلِّم عليه فأقول في نفسي: هل حرّك شفتيه بردِّ السّلام عليّ أم لا، ثمّ أُصلي قريباً منه فأُسارقه النّظر، فإذا أقبلتُ على صلاتي نظر إليّ، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك عليّ من جَفْوَة المسلمين، مشيتُ حتى تسوّرت حائط أبي قَتَادة ـ وهو ابن عمي وأحبّ الناس إليّ ـ فسلّمتُ عليه، فوالله ما ردّ عليّ السّلام، فقلت له: يا أبـا قَتَادة، أنشدُك الله! هل تَعلَمني أُحبّ الله ورسولَه؟ فسكت، فعدتُ فقلت له: يا أبا قتادة، أنشدك الله! هل تعلمني أُحبّ الله ورسولَه؟ فسكت. فعدتُ فنشدته الثالثة، فقال: الله ورسوله أعلم! ففاضت عيناي، فوثبتُ فتسوّرت الجدار، ثمّ غدوت إلى السّوق، فبينا أنا أمشي بالسّوق فإذا نَبَطيّ من نَبَطِ الشّام ممن قدم بالطّعام يبيعه بالسّوق يسأل عني يقول: مَنْ يدُلّني على كعب بن مالك؟ فجعل النّاس يشيرون له، فدفع إليّ كتاباً من الحارث بن أبي شَمِر ملك غَسّان، أو قال من جَبَلة بن الأَيْهَم ـ في سَرَقَةٍ[١]

(١) السرقة: الشقة من الحرير، وقال بعضهم: السرق أحسن الحرير وأجوده، انظر شرح أبي ذر (٤٢٦).

من حرير، فإذا في كتابه: «أمّا بعد، فقد بلغني أنّ صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله في دار هَوانٍ ولا مَضْيَعَةٍ، فالحقْ بنا نُواسِك!». . فقلت حين قرأته: وهذا من البلاء أيضاً، قد بلغ مني ما وقعتُ فيه أن طَمِعَ فِيَّ رجال من أهل الشر! فذهبت بها إلى تَنُّورٍ فَسَجَرْتَه[1] بها، وأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أُطلِّقُها أم ماذا؟ قال: بل اعتزِلْها فلا تَقْرَبها. فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ماهو قاضٍ. وأمّا هِلال بن أُميّة فكان رجلاً صالحاً، فبكى حتى إن كان يُرى أنّه هالكٌ من البكاء، وامتنع من الطّعام، فإن كان يُواصل اليومين والثلاثة من الصّوم ما يذوق طعاماً، إلّا أن يشرب الشَّربة من الماء أو من اللّبن. ويُصلّي الليلَ ويجلس في بيته لا يخرج، لأنّ أحداً لا يكلِّمه، حتى إن كان الوِلْدانُ لَيَهْجُرونه لطاعة رسول الله ﷺ، فجاءت امرأته إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إنّ هِلال بن أُمَيّة شيخ كبير ضائع، لا خادم له، وأنا أرفق به من غيري، فإن رأيت أن تَدَعني أن أخدُمه فعلت. قال: نعم، ولكن لا تدعيه يصل إليك، فقالت: يا رسول الله! ما به من حَرَكَةٍ إليّ! والله، ما زال يبكي منذ يوم كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، وإنّ لِحْيَتَه لتَقْطُر دموعاً اللَّيْل والنَّهار، ولقد ظهر البياض على عينيه، حتى تخوّفت أن يذهب بصرُه. قال كعب: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ لامرأتك، فقد أذن لامرأة هِلال بن أُميّة أن تخدمه. فقلت: والله لا أستأْذنه فيها، ما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ في ذلك إذا استأْذنته، وأنا رجلٌ شابٌّ، فوالله لا أَستأْذنه. ثمّ لبثنا بعد ذلك عشر ليالٍ، وكملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، ثمّ صلّيت الصُّبح على ظهر بيت من بيوتنا على الحال التي ذكر الله عزّ وجلّ، وقد ضاقت عليّ الأرض بما رَحُبَت، وضاقت عليّ

(١) سجرته: أي ألهبت التنور بها، يعني أنه حرقها، انظر شرح أبي ذر (٤٢٦).

نفسي، وقد كنتُ ابتنيتُ خيمة في ظهر (سَلْع)[1] فكنت فيه، إذ سمعتُ صارخاً أوفىٰ على سَلْعٍ يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك! أَبْشِرْ! قال: فخررت ساجداً وعرفتُ أن قد جاء الفَرَج، فآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلّى الصُّبْح. قال كعب: فلما سمعت صوته نزعت ثَوْبَيَّ فكسوتهما إياه لبشارته، والله ما أملك يومئذٍ غيرهما! ثمّ استعرتُ ثوبين من أبي قَتَادة فلبستهما، ثمّ انطلقت أتيمّم رسول الله ﷺ، وتلقّاني الناس يهنئونني بالتَّوْبة يقولون: لِيَهْنِكَ تَوْبَة الله عليك! حتى دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليّ طَلحة بن أبي طلحة فحيّاني وهنّأني، ما قام إليّ من المهاجرين غيره. فلما سلّمت على رسول الله ﷺ قال لي ووجهه يبرق من السرور: أَبْشِر بخير يوم مرَّ عليك منذ وَلَدَتْكَ أُمُّك! قلت: أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ فقال: من عند الله عزّ وجلّ، قال: وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ يستنير حتى كأنّ وجهه فِلْقَة القمر، وكان يُعْرَف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله! إنّ من تَوْبَتي إلى الله وإلى رسوله أن أنْخَلع من مالي إلى الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: أمسك عليك بعض مالك، هو خير لك! قلت: إني ممسك بسَهْمي الذي بخَيْبَر! قال رسول الله ﷺ: لا! قلت: النِّصْف! قال: لا! قلت: فالثُّلُث! قال: نعم! قال: إني يا رسول الله أحبس سَهْمِي الذي بخَيْبَر. قال كعب: قلت: يا رسول الله! إنّ الله عزّ وجلّ أنجاني بالصِّدْق، فإن توبتي إلى الله ألاّ أُحدِّث إلاّ صِدْقاً ما حييتُ». قال كعب: «والله ما أعلم أحداً من الناس أبلاه الله في صِدْق الحديث منذ ذكرتُ لرسول الله ﷺ أفضل مما أبلاني، والله ما تعمّدت من كَذْبَةٍ منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله عزّ وجلّ فيما بقى».

وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ والمُهَاجِرينَ والأَنْصَار الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُ في سَاعَةِ العُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ ما كَادَ يَزِيْغُ قُلُوْبُ فَرِيْقٍ مِنْهُم، ثُمَّ**

(١) سلع: جبل بسوق المدينة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/١٠٧ ؛ ١٠٨).

تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رءوفٌ رَحِيْمٌ. وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِيْنَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوْبُوْا. إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ﴾[1]، قال كعب: «فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمةٍ قطُّ إذ هداني للإسلام كانت أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ، ألّا أكون كذبتُه يومئذٍ، فأهلك كما هلك الذين كذبوه حين أنزل عليه الوحي: ﴿سَيَحْلِفُوْنَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ، فَأَعْرِضُوْا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُوْن. يَحْلِفُوْنَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ، فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِيْنَ﴾[2]، وكنّا خُلِّفنا أيُّها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قَبِلَ منهم رسول الله ﷺ أمرَنا حتى قضى اللّهُ فيه ما قضى، ليس عن الغزوة، ولكن بتخليفه إيانا، وإرجائه أمرنا عمّن حَلَفَ له، واعتذر إليه، فقبل منه»[3].

تلك جزء من قصّة الثلاثة الذين خُلِّفوا، ورد فيها شيء من ذكر أبي قتادة، كان من الممكن أن أسلِّط الضوء على ما يخصّ أبا قتادة، ولكنني آثرت نقل ما نقلته ليكون عبرة، ففيه عقاب المتخلِّفين في الدنيا عن الجهاد، وفيه تصوير للمجتمع الإسلاميّ في تماسكه وضبطه، وفيه عبر كثيرة أخرى، لعلّ من الأفضل ألّا أَدُلّ عليها، لأترك للدارس فرصة اكتشافها والاستمتاع بلذّة الاكتشاف.

وكان أبو قتادة بغزوة تبوك حَرَس النبيّ ﷺ[4].

٤ ــ بعد النبيّ ﷺ:

أ ــ حين فرغ خالد بن الوليد من طُلَيْحَة الأسدي ومَن معه، سار

(١) الآيتان الكريمتان من سورة التوبة (٩/ ١١٧ ـ ١١٨).
(٢) الآيتان الكريمتان من سورة التوبة (٩: ٩٥ ـ ٩٦).
(٣) مغازي الواقدي (٣/ ١٠٥٠ ـ ١٠٥٦).
(٤) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٦٤).

يريد مالك بن نُوَيْرَة في (البُطَاح)[1]، ولكنّ الأنصار في قوّات خالد تخلّفوا عنه وقالوا: ما هذا بعهد الخليفة إلينا! إذ الخليفة عهد إلينا إنْ نحن فرغنا من (بُزاخة)[2] واستبرأنا بلاد القوم، أنّ نُقيم حتى يَكتب إلينا.

فقال خالد: «إنْ يَكُ عهد إليكم هذا، فقد عهد إليَّ أن أمضي، وأنا الأمير، وإليّ تنتهي الأخبار! ولو أنّه لم يأتني له كتاب ولا أمر، ثمّ رأيتُ فرصة، فكنت إن أعلمته فاتتني، لم أُعلمه حتى أنتهزها. كذلك لو ابتُلينا بأمرٍ ليس فيه منه عهد، لم نَـدَعْ أفضل ما يحضرنا، ثمّ نعمل به، فأنا قاصد إلى مالك ومَنْ معي، ولست أُكْرِهكم.

ومضى خالد، وندمت الأنصار، وقالوا: إن أصاب القومُ خيراً حرمتوه، وإن أُصيبوا ليجتنبنّكم الناس»، فلحقوه.

ووصل خالد إلى البُطاح، فلم يجد أحداً، لأنّ مالك بن نُويْرَة فرّق رجاله ونهاهم عن الاجتماع، فبثّ خالد السّرايا وأمرهم بداعية الإسلام وأن يأتوه بكلِّ مَنْ لم يُجِبْ داعي الحق، فإذا امتنع قتلوه. وكان أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه قد أوصاهم: «أن يُؤَذِّنوا إذا نزلوا منزلاً، فإنْ أَذَّنَ القومُ فَكُفُّوا عنهم، فإنْ لم يؤذِّنوا فاقتلوا وانهبوا، فإذا أجابوكم إلى داعية الإسلام، فسائلوهم عن الزّكاة، فإن أقرّوا فاقبلوا منهم، وإن أبوا فقاتلوهم».

وجاءته الخيل بمالك بن نُوَيْرَة في نفرٍ من بني ثَعْلَبَة بن يَرْبُوع، واختلفت السريّة فيهم، وكان أبو قَتَادة فيمن شهدوا أنّهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا، فلما اختلفوا فيهم، أمر خالد بهم فحُبسوا في ليلة باردة، وأمر خالد منادياً فنادى: «أَدفئوا أسراكم»، وهي في لغة كِنَانة: القتل، فظنّ القوم أنّه أراد القتل ولم يرد الدفء، فقتلوهم، وقتل ضِرارُ بن الأزور

(١) البطاح: ماء في ديار بني خزيمة في نجد، انظر معجم البلدان (٣/ ٢١٤).
(٢) بزاخة: ماء لطيء في نجد، وقيل ماء لبني أسد، انظر معجم البلدان (٢/ ١٦١).

مالك بن نويرة. وسمع خالد الواعية[1]، فخرج وقد فرغوا منهم، فقال: «إذا أراد الله أمراً أصابه»، وتزوّج خالد أمّ تَمِيْم امرأة مالك بن نُوَيْرَة[2].

وفي رواية أنّ خالداً بثّ السرايا في بني تميم، وكان منها سرية عليها ضرار بن الأَزور الأسدي، فلقي ضرار مالكاً، فاقتتلوا، وأُسر وجماعة معه، فأُتي بهم خـالد، فأمر بهم فضُربت أعناقهم، وتولّى ضِرار ضرب عنق مالك[3].

وفي رواية: أنّ السريّة عندما جاءت بمالك وصحبه قال لخالد: «أنا آتي الصّلاة دون الزّكاة..!»، فقال خالد: «أما علمتَ أنّ الصّلاة والزّكاة معاً، لا تُقبل الواحدة دون الأخرى؟!»، فقال مالك: «قد كان صاحبكم يقول ذلك!»، فقال خالد: «أوَ ما تراه لك صاحباً؟ والله لقد هممت أن أضرب عنقك»... ثم تجادلا في الكلام، فقال خالد: «إني قاتلك»، فقال مالك: «أوَبذلك أمر صاحبك؟!»، فقال: «وهذه بعد تلك؟!»، ثمّ أمر بقتله»[4].

ومضى أبو قتادة حتى أتى أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه، فأخبره بمقتل مالك وأصحابه، فجزع من ذلك جزعاً شديداً[5]. كما قصّ عليه زواج خالد من ليلى زوج مالك، وأضاف أنّه أقسم ألاّ يقاتل تحت لواء خالد أبداً. ولكنّ أبا بكر غضب على أبي قتادة حتى كلّمه عمر بن الخطّاب، فلم يرض إلاّ أن يرجع أبو قتادة إلى خالد، فرجع إليه حتى قدم معه المدينة[6].

---

(١) الواعية: الجلبة والصراخ على الميت ونعيه.
(٢) ابن الأثير (٢/٣٥٨)، والطبري (٣/٢٧٨).
(٣) البلاذري (١٣٧).
(٤) الطبري (٣/ ٢٨٠)، وتاريخ أبي الفداء (١/ ١٥٧ ـ ١٥٨).
(٥) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٧٠).
(٦) الطبري (٣/٢٧٨).

وكان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه من بين الذين اقتنعوا بوجهة نظر أبي قتادة، فاستدعى أبو بكر خالداً، فأقبل خالد من ساحة القتال إلى المدينة ومعه أبو قتادة، وقدّم عذره لأبي بكر، فعذره أبو بكر وتجاوز عنه وَوَدى مالكاً وأمر بردِّ السَّبْي والمال[1].

وما زاد خالد على أن يكون تأوّل فأخطأ[2] ـ كما قال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، لذلك تجاوز عنه خليفة رسول الله ﷺ.

ولكنّ أبا قتادة وقف موقفاً صلباً، وحسبه أن يجاهر بالحق ويبدي رأيه بصراحة وصدق وأمانة وقوّة، وألّا يسكت عن قول الحقّ ولو كان مُرّاً.

وهذا دليل على استقامته المطلقة، وأنّه يغضب للحق ولا يغضب من الحق، وأنّه لا تأخذه في الحق لومة لائم.

وكانت معركة البُطاح وقتل مالك بن نُوَيْرة سنة إحدى عشرة الهجرية[3] (٦٣٢ م).

الإنسان

روى أبو قتادة مائة وسبعين حديثاً عن النبيّ ﷺ[4]، اتفق الإمامان البخاري ومُسْلِم على أحد عشر حديثاً، وانفرد الإمام البخاري بحديثين والإمام مُسْلِم بثمانية أحاديث، وأحاديثه في الصِّحاح الستّة[5].

روى عن النبيّ ﷺ وعن مُعَاذ بن جَبَل وعمر بن الخطّاب رضي الله عنهما، وروى عنه ولداه ثابت وعبد الله ومولاه أبو محمّد نافع بن عبّاس بن

(١) الطبري (٣/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩)، وانظر التفاصيل في كتابنا: خالد بن الوليد المخزومي (٩٧ ـ ١٠٣).
(٢) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٧٠).
(٣) العبر (١/ ١٣).
(٤) أسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم (٢٧٧).
(٥) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٤٥٧).

الأقرع وأنس بن مالِك وجابِر بن عبد الله وعبد الله بن رَباح الأنصاريّ ومَعْبَد بن كَعْب بن مالِك وأبو سَلَمَة بن عبد الرحمن بن عوف وعمرو بن سَلِيْم الزَّرْقِيّ وعبد الرحمن بن مَعْبَد الزَّمانِيّ ومحمّد بن سِيْرِين ونَبْهَان مولى التُّوْءَمَة وكَبْشَة بنت كعب بن مالِك وعطاء بن يَسَار وآخرون[١].

وكان أبو قتادة من أصحاب الفُتْيا من صحابة رسول الله ﷺ، وكان من المُقِلِّين في الفتيا[٢].

وهكذا كان لأبي قتادة نشاط مرموق في ميدان العلم، كما كان له نشاط مرموق في ميدان الجهاد.

وفي أيام الفتنة الكبرى بين عليّ بن أبي طالب ومُعاوية بن أبي سفيان، شهد مع عليّ رضي الله عنه مشاهده كلّها[٣]، وكان على الرجّالة في حرب عليّ للخوارج سنة سبع وثلاثين الهجريّة[٤].

كما ولّى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أبا قتادة مكّة المكرّمة مدّة من الزمن ولكنّه عزله وولى قُثَم بن العبّاس بن عبد المطلب، فلم يزل والياً عليها حتى قتل عليّ بن أبي طالب[٥] سنة أربعين الهجريّة[٦].

وقد مات بالمدينة المنوّرة سنة أربع وخمسين الهجرية[٧] (٦٧٣ م)، وعمره سبعون سنة[٨]، ولا أعلم في علمائنا اختلافاً في ذلك[٩]. ومما

---

(١) تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٠٤).
(٢) أصحاب الفتيا ـ ملحق بجوامع السيرة (٣٢٣).
(٣) أسد الغابة (٥/ ٢٧٥)، وانظر ابن الأثير (٣/ ٢٢١).
(٤) ابن الأثير (٣/ ٣٤٥).
(٥) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ١٨٥).
(٦) ابن الأثير (٣/ ٣٨٧)، والعبر (١/ ٤٦).
(٧) الاستيعاب (٤/ ١٧٣٢)، والاستبصار (١٤٨)، وطبقات ابن سعد (٦/ ١٥)، وتاريخ خليفة بن خياط (١/ ٢١١).
(٨) ابن الأثير (٣/ ٥٠٠).
(٩) الإصابة (٧/ ١٥٦).

يؤيِّد ذلك أن البخاري ذكره في الأوسط في فصل: مَنْ مات بعد الخمسين إلى الستين، ثمّ روى بإسناده إلى مروان بن الحكم قال: «لما كان والياً على المدينة من قبل معاوية، أرسل إلى أبي قتادة، ليريه مواقف النبيّ ﷺ وأصحابه، وأجمع المؤرخون على أن أبا قتادة بقي إلى بعد الخمسين[1]. ويدلّ على تأخره أيضاً، أنّ معاوية بن أبي سفيان لما قدم المدينة تلقّاه الناس، فقال لأبي قتادة: «تلقّاني النّاس كلّهم غيركم يا معشر الأنصار»[2].

وقيل: إنّه كان قد نزل الكوفة ومات بها وعليّ بها وهو صلّى عليه[3]، وقد مات سنة أربعين الهجرية[4]، فصلىٰ عليه عليّ وكبّر سبعاً، وقيل: ستّاً[5].

وموت أبي قتادة سنة أربع وخمسين الهجرية وله من العمر سبعون سنة هو الأصح، لإجماع العلماء والمؤرخين على ذلك[6]، ولأنّ الشواهد التاريخية التي سبق ذكرها تثبت ذلك.

وهكذا انتهت حياته الحافلة بجلائل الأعمال.

القائد

شهد أبو قتادة غزوة (أُحُد) وما بعدها من الغزوات تحت لواء النبيّ ﷺ[7]، كما شهد كثيراً من سرايا النبيّ ﷺ، وقاد سريتين من سراياه.

كما شهد حروب الرِدَّة تحت لواء خالد بن الوليد رضي الله عنه،

---

(١) تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٠٥).
(٢) الإصابة (٧/ ١٥٦).
(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ١٥).
(٤) الإصابة (٧/ ١٥٦).
(٥) أسد الغابة (٥/ ٢٧٥).
(٦) الإصابة (٧/ ١٥٦).
(٧) الإصابة (٧/ ١٥٥)، وأسد الغابة (٥/ ٢٧٤)، والاستيعاب (٤/ ١٧٣١)، والاستبصار (١٤٦).

وشهد مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه مشاهده كلّها في خلافته[1].

ومن دراسة سيرته المفصّلة، نجد أنّ حياته في الجهاد اقتطعت الجانب الأكبر من سنيِّ حياته، وبقي الجانب الأقل منها لشؤونه الحياتية الأخرى، مما يدلّ على أنّ أبا قتادة كانت له تجربة عملية في الجهاد قائداً وجندياً.

كما أنّ العربي، كان يحرص على تعلّم الفنون العسكرية النظريّة والتدريب على القضايا العسكرية العملية كالرماية والطّعن بالرمح والمبارزة بالسيف، فهو قد أحرز المزية الأخرى من مزايا القائد، وهي: العلم المكتسب.

ولا نستطيع أن نثبت من دراسة تاريخه العسكري، أنّه كان ذا طبع موهوب في القيادة، لأنّه لم يَخُضْ معارك كبرى ولا حقّق نصراً حاسماً على أعداء المسلمين خارج شبه الجزيرة العربية في الفتح أو في استعادة الفتح، كما فعل غيره من القادة، لذلك يمكن أن نقرِّر باطمئنان أنّه حاز على مزيتين من مزايا القيادة الرئيسية: التجربة العمليّة، والعلم المكتسب، وليس بالإمكان إثبات إحرازه المزية الأولى من مزايا القيادة، وهي: الطَّبع الموهوب.

والذي يحاول أن يتلمّس في أبي قتادة مزية معرفة مبادىء الحرب، يجد أنّه طبّق مبدأ: اختيار المقصد وإدامته على أحسن وجه، فهو يعرف مقصده ويحرص على تحقيقه بخطّة مُدبّرة بعيدة عن الارتجال.

كما أنّه كان قائداً تعرّضياً، لم يعرف الدفاع في حياته العسكريّة جندياً ولا قائداً إلاّ في غزوة الأحزاب، التي كانت غزوة دفاعيّة ولكنها تمهيد لاستئناف التعرّض.

كما أنّه كان يطبّق مبدأ: المباغتة، تطبيقاً رائعاً، وما السريتان اللّتان

---

(١) الاستيعاب (٤/ ١٧٣٢)، والإصابة (٧/ ١٥٦).

قادهما إلا تطبيق لهذا المبدأ بشكل مثاليّ يدعو إلى الإعجاب.

وكان يطبّق مبدأ: حشد القوّة في الزمان والمكان المناسبين، دون أن ينسى مبدأ: الاقتصاد بالمجهود.

كما كان يطبّق مبدأ: الأمن، فقد استطاع مباغتة أعدائه، ولم يستطع أعداؤه مباغتة رجاله.

وكانت خطّته: مرنة تصلح للتطبيق عند تبدّل الظروف والأحوال، دون أن يؤثر ذلك في جوهر الخطّة الأصليّة.

وكان يطبّق مبدأ: التعاون بين أفراد رجاله، وبين القيادة وأصحابه، وبين قوّته وقوّات المسلمين.

وكان يديم معنويات رجاله، ويحرص على ذلك، وسبيله إلى إدامتها: العقيدة الراسخة، والقيادة الحكيمة، وإحراز النصر، وفرض النظام، وغرس الطّاعة.

وكان يحرص على: القضايا الإداريّة لرجاله قبل المعركة، وفي أثنائها، وبعدها في تقسيم الغنائم بالسويّة وإيصال الحقوق إلى أصحابها.

تلك هي مجمل مزية معرفة مبادىء الحرب من أبي قتادة، وبالإضافة إلى هذه المزية حرصه على القضايا التنظيمية في قوّته، المؤاخاة بين كل رجلين من رجاله، وفرض الارتباط الوثيق بينهما من جهة وبينهما وبين قوّته من جهة ثانية، وتوضيح كيفيّة تأمين الاتصال الوثيق بين كلِّ رجلين من جهة وبين أفراد القوّة من جهة أخرى.

كما أنّه كان واضح الأوامر، من أجل المحافظة على رجاله أولاً، وتأمين السيطرة عليهم، وفرض الطّاعة والضبط عليهم، وقيادتهم للنصر.

ومزيّتا: التنظيم، ووضوح الأوامر، يكاد يتميّز بهما أبو قتادة على غيره من القادة الآخرين.

أما مزاياه القيادية الأخرى، فمشابهة لمزايا إخوته من القادة الآخرين، ولا عجب في ذلك، فهم خريجو مدرسة واحدة في القيادة هي مدرسة الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام، وهم نشأوا في بيئة واحدة، هي البيئة العربية الإسلامية الأصيلة، ومن أصل واحد هو العرب.

فقد كان ذكياً حاضر البديهة، يسعى إلى الحصول على المعلومات عن العدو وعن الأرض التي يقاتل عليها، لذلك كانت قراراته سريعة على أسس سليمة.

كما كان شجاعاً مقداماً من غير تهوّر، والقاعدة في العربي الشجاعة والإقدام والاستثناء الجبن والإحجام.

وكان ذا إرادة قويّة، هي إرادة القتال التي يغرسها الدين الحنيف، تلك الإرادة التي يتمثّل تطبيقها العملي في هدفين لا ثالث لهما: النّصر، أو الشّهادة.

وكان ذا نفسية ثابتة لا تتبدّل في حالتي النصر والاندحار، ما دام الإيمان بالقضاء والقدر هو المسيطر على النفس المؤمنة المطمئنة.

وكان يتمتّع بمزيّة سبق النظر، فيُعدّ لكل أمرٍ عدّته، ويدخل في حساباته أسوأ الاحتمالات، لئلا يؤخذ على حين غرّة.

وكان عارفاً بنفسيات رجاله وقابلياتهم معرفة دقيقة، فيكلِّف كلّ فرد ما يناسبه من واجبات وأعمال يستطيع إنجازها كما ينبغي بكفاية واقتدار.

وكان يثق برجاله ويثقون به، كما كان موضع ثقة القيادة العليا للمسلمين، وكان يحبّ رجاله ويبادلونه حبّاً بحبٍّ وتقديراً بتقدير.

وكان ذا شخصية قويّة نافذة متّزنة، يهابه رجاله ولا يخافونه، ويلتزمون بتنفيذ أوامره طوعاً لا كرهاً.

وكان يتمتّع بقابليّة بدنية متميِّزة، تعينه على تحمّل المشاق العسكرية وعلى النهوض بأعباء الجهاد.

وكان ذا ماضٍ ناصع مجيد، في خدمة الإسلام والمسلمين، وفي الإخلاص لله ولرسوله.

وروح كلّ هذه المزايا، هي إيمانه الرّاسخ، واستعداده للتضحية بروحه وماله لإعلاء كلمة الله، وما كان التاريخ ليذكره وما عرفه الناس في أيامه وبعد موته وحتى اليوم لولا إيمانه الرّاسخ العميق، الذي رفع ذكره وأعلى قَدْرَه وجعله مجاهداً صادقاً وقائداً متميِّزاً.

أبو قَتَادة في التّاريخ

يذكر التّاريخ لأبي قتادة، أنّه شهد غزوة أُحُد وما بعدها من غزوات النبيّ ﷺ.

ويذكر له، أنّه شهد ثماني غزوات من غزوات النبيّ ﷺ وثلاث سرايا من سراياه، قبل أن يتولّى قيادة سريتين من سرايا النبيّ ﷺ.

ويذكر له، أنّه تولى قيادة سريتين من سرايا النبيّ ﷺ، وأبلى في قيادتهما أعظم البلاء.

ويذكر له، أنّه شهد غزوتين من غزوات النبيّ ﷺ وسرية من سراياه عليه الصلاة والسّلام، بعد توليه قيادة السريتين.

ويذكر له، أنّه لم يتخلّف عن غزوة من غزوات النبيّ ﷺ، ولا عن سريّة من سراياه، وأبلى أحسن البلاء في عشر غزوات وثلاث سرايا مجاهداً صادقاً بالإضافة إلى السريتين اللّتين قادهما من سرايا النبيّ ﷺ قائداً متميِّزاً منتصراً.

ويذكر له، أنّه قضى حياته على عهد النبيّ ﷺ في الغزوات والسرايا لا يستريح ولا يُريح مجاهداً من أجل التوحيد، وموحِّداً من أجل الجهاد.

ويذكر له، أنّه شهد حرب الرِدّة بعد التحاق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى

تحت لواء خالد بن الوليد، فقاتل المرتدين قتال الأبطال.

ويذكر له، أنّه كان مع عليّ مجاهداً تارة، وقائداً تارة أخرى، ووالياً تارة على مكّة المكرّمة ومستشاراً مقرباً في جميع الأوقات.

ويذكر له، أنّه كان لا يخشى في الحق لومة لائم، وكان دائماً مع المظلوم على الظالم.

رضي الله عن الصحابيّ الجليل، القائد البطل، أبي قتادة بن رِبْعي الأنصاري الخزرجيّ، فارس رسول الله ﷺ.

سَعْد بن زَيْد الأنصاريّ الأوسيّ الأَشْهَلِيّ
القائد العَقْبِيّ البَدْرِيّ

نسبه وأيامه الأولى

هو سَعْد بن زَيْد بن مالك بن عَبْد[1] بن كعب بن عبد الأَشْهَل[2] بن جُشَم بن الخَزْرَج بن عمرو بن مالِك بن الأوس بن حارثة[3].

وأمّه: عَمْرَة بنت مَسْعُود بن قَيس بن عَمرو بن زيد مَنَاة بن عَدِيّ بن عَمرو بن مالك بن النّجار من الخزرج، وكانت من المبايعات[4]، كما كانت أخته أمّ نيّار بنت زيد بن مالك من المبايعات[5] أيضاً.

وقد شهد بيعة العَقَبَة الثانية مع السبعين من الأنصار[6]، وهي البيعة التي بايعوا رسول الله ﷺ عند العَقَبة أن يمنعوه ما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأُزُرَهم، وأن يرحل هو إليهم وأصحابه[7]، وحضر تلك البيعة العبّاسُ بن عبد المطلب متوثّقاً لرسول الله ﷺ، والعبّاس على دين قومه بعدُ

---

(١) في الاستيعاب (٢/ ٥٩٢)، والاستبصار (٢٢٦)، وجمهرة أنساب العرب (٣٣٩): عبيد.

(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٣٩)، وأسد الغابة (٢/ ٢٧٩)، والإصابة (٢/ ٧٨).

(٣) جمهرة أنساب العرب (٣٣٩)، والاستبصار (٢٠٥)، وفيه: جشم بن الحارث بن الخزرج.

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٣٩).

(٥) المحبّر (٤١٧).

(٦) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٣٩).

(٧) جوامع السيرة (٧٤)، والدرر (٧٤).

لم يُسْلم، ولم تذكره بعض المصادر فيمن شهد العَقَبَة[1].

ولما أُذن بالهجرة للنبيّ ﷺ وأصحابه وهاجروا إليها، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عمرو بن سُراقة[2].

لقد أسلم سعد قديماً، فأصبح عضواً في المجتمع الإسلامي الجديد في قاعدة الإسلام الرئيسة الأولى: المدينة المنورة، ولا نعلم عن حياته الأولى غير الذي ذكرناه.

جهـــاده

١ ـ في الغزوات والسّرايا:

أ ـ شهد سعد بَدْراً[3] التي كانت في شهر رمضان من السنة الثانية الهجريّة[4]، وفي مسيرة الاقتراب من المدينة المنوّرة إلى موقع بَدْر، وكان سعد يعتقب على ناضِح[5] له هو وسَلَمَة: سَلامة وعَبَّاد بن بِشْر ورافع بن يزيد والحارث بن خَزَمَة، وما تزوّد سعد إلاّ صاعاً من تمر[6]، وكان زاده وزاد مَنْ معه من أصحابه.

ويبدو أنّ سعداً كان ميسور الحال بالنسبة لأقرانه، فحملهم على بعيره إلى ساحة المعركة، وأمّن له ولهم ما يسدّون به رمقهم.

ب ـ وشهد غزوة أُحُد التي كانت في شهر شوّال من السّنة الثالثة الهجرية[7]، فسلك رسول الله ﷺ بالمسلمين من المدينة إلى ساحة المعركة

---

(١) جوامع السيرة (٧٨ ـ ٨٥)، والدرر (٧٦ ـ ٧٩).
(٢) الاستيعاب (٢/ ٥٩٢)، وأسد الغابة (٢/ ٢٨٠).
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٣٣)، وأسد الغابة (٢/ ٢٨٠)، والإصابة (٢/ ٧٨)، والاستيعاب (٢/ ٥٩٢)، وجوامع السيرة (١٢٣)، والدرر (١٢٥).
(٤) الدرر (١١٠)، وجوامع السيرة (١٠٧).
(٥) الناضح: الدابة يستقى عليها، (ج): نواضِح.
(٦) مغازي الواقدي (١/ ٢٤).
(٧) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦).

في (أُحُد) طريق حَرّة بني حارثة، وقال: «مَنْ يخرج بنا على القوم من كَثَب؟»، فقال أبو خَيْثَمة أحد بني حارثة: «أنا يا رسول الله!»، فسلك به بين أموال بني حارثة، حتى سلك في مالٍ لمِرْبَع بن قَيْظِيّ، وكان منافقاً ضرير البَصر، فقام الفاسق يحثو التراب في وجوه المسلمين، فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البَصر»، وضربه سعد بقوسه، فشجّه في رأسه[١]، فنزل الدم[٢]، وذلك قبل نهي رسول الله ﷺ عنه[٣].

جـ ـ وشهد غزوة (المُرَيْسِيْع)[٤] فارساً من فرسان المسلمين[٥]، وكانت هذه الغزوة في شهر شعبان من السنة الخامسة الهجريّة[٦].

د ـ وشهد غزوة بني قُرَيْظَة من يهود التي كانت في شهر ذي القعدة من الخامسة الهجرية[٧]، وكان فارساً من فرسان المسلمين[٨].

هـ ـ وشهد غزوة ذي (قَرَد)[٩] التي كانت في شهر ربيع الأول من السنة السّادسة الهجرية[١٠]، فارساً من فرسان المسلمين، فأمّره النبيّ ﷺ على الفرسان[١١]، وكان اسم فرسه: (لاحِق)[١٢]، فاستطاع استرجاع قسم

---

(١) جوامع السيرة (١٥٨)، والدرر (١٥٤ ـ ١٥٥).
(٢) مغازي الواقدي (١/ ٢١٨).
(٣) الاستبصار (٢٢٦)، وانظر أنساب الأشراف (١/ ٣١٥).
(٤) المريسيع: ماء لخزاعة بينه وبين الفرع نحو يوم، انظر وفاء الوفا (٢/ ٣٧٣).
(٥) مغازي الواقدي (١/ ٤٠٥).
(٦) طبقات ابن سعد (٢/ ٦٣).
(٧) طبقات ابن سعد (٢/ ٧٤).
(٨) مغازي الواقدي (٢/ ٤٩٨).
(٩) ذو قرد: ماء على نحو بريد من المدينة مما يلي بلاد غطفان، وقيل: على مسافة يوم منها.
(١٠) طبقات ابن سعد (٢/ ٨٠).
(١١) مغازي الواقدي (٢/ ٥٤١)، والدرر (١٩٨).
(١٢) جوامع السيرة (٢٠٢).

من لقاح المسلمين التي نهبها المشركون، وولى المشركون منهزمين[1].

وقال حسّان بن ثابت شاعر النبيّ ﷺ في ذلك اليوم:

هــل ســرَّ أولاد اللَّقيطــة أننــا سلــم غــداة فــوارس المِقْــدادِ

فعاتبه سعد بن زيد الأشهليّ، لأنّه كان الرئيس يومئذٍ: «كيف نسبت الفوارس للمقداد ولم تنسبها إليّ؟!»، فاعتذر بالقافية، وأراد باللّقيطة أم حِصْن[2]، وهو أبو عُيَيْنَة بن حصن الذي قام بالغارة على سرح المسلمين في المدينة المنوّرة.

وذكر سعد قصّة توليته قيادة الفرسان في غزوة ذي قَرَد، فقال: «لمّا كان يوم السَّرْح أتانا الصّريخ، فأنا في بني عبد الأَشْهَل، فألبسُ دِرعي وأخذتُ سلاحي وأستوي على فرس لي جامٍّ حصانٍ، يقال له: النَّجْلُ، فأنتهي إلى رسول الله ﷺ وعليه الدِّرع والمِغْفَر لا أَرى إلاّ عَيْنَيْه، والخيل تعدو قِبَلَ (قَنَاة)[3]، فالتفت إليّ رسول الله ﷺ فقال: «يا سعد! امضِ، قد استعملتك على الخيل حتى ألحقَك إن شاء الله فقرَّبْتُ ساعة ثم خلَّيته، ممرّ يُحضر[4]، فأمرّ بفرس حسير، فقلت: ما هذا؟ وأمرّ بمَسْعَدَة[5] قتيل أبي قَتَادة، وأمرّ بمُحْرِز قتيلاً فساءني، وألحق المِقْداد بن عمرو ومُعاذ بن ماعِص، فأحضرنا ونحن ننظر إلى رَهْج[6] القوم، وأبو قَتَادة في أثرهم، وأنظر إلى ابن الأكْوَع[7] يسبق الخيل أمام القوم يرشُقهم بالنّبل، فوقفوا

(١) الدرر (١٩٨ ـ ١٩٩).
(٢) الإصابة (٢/ ٧٨)، وانظر مغازي الواقدي (٢/ ٥٤٨).
(٣) قناة: وادٍ بالمدينة المنورة، وهي أحد أوديتها الثلاثة، عليه حرث ومال، وقد يسمى: وادي قناة، انظر معجم البلدان (٧/ ١٦٦).
(٤) يحضر الفرس: يثب في عدوه.
(٥) هو مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر الفزاري، ومحرز هو محرز بن نضلة.
(٦) الرَّهج: الغبار.
(٧) هو سَلَمَة بن الأكوع الأنصاري.

وقفة، ونلحق بهم فتناوشنا ساعة، وأحمل على حَبِيْب بن عُيَيْنَة بن حِصْن فأقطع منكِبَه الأيسر، وخلَّى العِنَان، وتتابع فرسه، فيقع لوجهه، وأقتحم عليه فقتلته، وأخذتُ فرسه، وكان شعارنا: (أَمِتْ! أَمِتْ!)»، وهناك في قتل حُبَيْب بن عُيَيْنَة وجه آخر[١].

وكان سعد قد أخذ سلب مَسْعَدَة، فقال النبيّ ﷺ: «لا والله! أبو قَتَادة قتله، ادفعه إليه»[٢].

د ـ وشهد سرية كُرْز بن جابِر الفهري التي كانت في شهر شوال من السنة السّادسة الهجرية لمطاردة الذين خانوا الأمانة وكانوا رعاة للمسلمين، فانطلقوا بالسَّرْح وقتلوا مولى النبيّ ﷺ وقطعوا يده ورجله، وكان سعد فارساً، فاستطاعت السرية استعادة السّرح وأَسْرَ الذين خانوا الأمانة[٣].

هـ ـ وشهد غزوة الحُدَيْبِيَّة التي كانت في شهر ذي القعدة من السنة السادسة الهجرية، وكان سعد فارساً، ويقال: كان سعد أميراً على الفرسان الذين قدّمهم النبيّ ﷺ أمامه طليعة في خيل المسلمين، وكانوا عشرين فارساً[٤].

٢ ـ قائد السرية إلى مَنَاة[٥]:

بعث النبيّ ﷺ حين فتح مكّة سعد بن زيد الأَشْهَلِيّ إلى مَنَاة في رمضان من السنة الثامنة الهجريّة، قائداً لسرية مؤلفة من عشرين فارساً من

---

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٥٤٥ ـ ٥٤٦).
(٢) مغازي الواقدي (٢/ ٥٤٤).
(٣) انظر التفاصيل في مغازي الواقدي (٢/ ٥٦٨ ـ ٥٧١).
(٤) مغازي الواقدي (٢/ ٥٧٤).
(٥) مناة: أقدم الأصنام كلِّها، وكانت العرب تسمي: عبد مناة، وزيد مناة، وكان منصوباً على ساحل البحرِ الأحمر من ناحية المشلّل بقديد بين المدينة ومكّة، وكانت العرب جميعاً تعظِّمه وتذبح حوله، وكانت الأوس والخزرج ومَن ينزل المدينة ومكّة، وما قارب من المواضع يعظِّمونه ويذبحون له ويهدون له، ولم يكن أحد أشدّ إعظاماً له من الأوس والخزرج، انظر كتاب الأصنام للكلبي (١٣).

فرسان المسلمين، وكانت مَنَاة بالمُشَلَّل[1] للأوس والخزرج وغَسّان. فلما كان يوم الفتح بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأشْهَلِيّ يهدمها. وخرج سعد على رأس سريته حتى انتهى إليها وعليها سادن، فقال السّادن: «ما تريد؟»، قال: «هَدْمَ مَنَاة!»، قال: «أنت وذاك!».

وأقبل سعد يمشي إليها، فخرجت إليه امرأة عُريانة سوداء ثائرة الرَّأس تدعو بالويل وتضرب صدرها، فقال السَّادن: «مَنَاة دونَك بَعْض غَضَبَاتِك!»، فضربها سعد وقتلها.

وأقبل سعد ومعه أصحابه إلى الصَّنَم، فهدموه ولم يجدوا في خزانتها شيئاً، فانصرف راجعاً إلى رسول الله ﷺ، وكان ذلك لستٍّ بقين من شهر رمضان[2].

٣ ـ المجاهد الصّادق:

لقد شهد سعد بَدْراً وأُحُداً والخندق والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ[3]، كما شهد قسماً من سرايا النبيّ ﷺ جندياً مرة وقائداً مرة أخرى مع اختلاف في قيادته، كما قاد سرية من سرايا النبيّ ﷺ في هدم مَنَاة صَنَم الأوس والخزرج، وغَسَّان وغيرها من قبائل العرب، فأدّى واجبه في الجهاد العملي جندياً وقائداً بشكل مثاليّ يدعو إلى أعمق التقدير.

لقد كان سعد مجاهداً صادقاً بحق.

الإنسان والقائد

١ ـ لا نعرف متى ولد سعد ومتى تُوفي، وأخباره إنساناً قليلة جداً، مع أنّه أحد قادة سرايا النبيّ ﷺ وأحد البدريين، وأخبار البدريين بصورة

(١) المشلل: جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر، انظر معجم البلدان (٨/ ٦٧).
(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ١٤٦ ـ ١٤٧)، وعيون الأثر (٢/ ١٨٥)، وانظر مغازي الواقدي (٢/ ٨٧٠)، وابن الأثير (٢/ ٢٦٠)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٨١).
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٣٩)، والاستيعاب (٢/ ٥٩٢)، والاستبصار (٢٢٦).

عامة كثيرة، لأنّ فضلهم على الإسلام والمسلمين كان عظيماً.

وكل أخبار سعد، تدل على رسوخ عقيدته، فلما تزوّج النبيّ ﷺ مَيْمونة جاءه حُوَيْطب بن عبد العُزَّى بن أبي قيس[1] فقال: «يا محمّد! إنّ أجلك قد مضى، فاخرج من بلادنا»، فقال له سعد: «كذبت! إنها ليست بلادك، ولكنها بلاده وبلاد آبائه»، فقال له ﷺ: «مهلاً يا سعد! لا تسفَّه على زوّارنا، ما عليك يا حويطب أن نقيم فيكم فنأكل وتأكلون؟»[2].

وسعد بن زيد هذا، هو الذي بعثه رسول الله ﷺ بسبايا من سبايا بني قُرَيظة إلى نَجْد، فابتاع للمسلمين بها خيلاً وسلاحاً[3].

وأهدى سعد إلى رسول الله ﷺ سيفاً من نَجْران، فأعطاه محمّد بن مَسْلَمَة وقال: «جاهد بهذا في سبيل الله، فإذا اختلف النّاس فاضرب به الحجر ثمّ ادخل بيتك»[4]، فهو الذي روى حديث القعود في الفتنة[5].

كما روي أنّ النبيّ ﷺ لما نُعيت إليه نفسه، خرج متلفِّعاً في أخلاق ثياب عليه حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيّها الناس! احفظوني في هذا الحيّ من الأنصار، فإنهما كَرِشي[6] وعَيْبَتِي[7]، فاقبلوا من مُحْسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»، رواه أبو نعيم وحده[8] ورواه الثلاثة لسعد والد زيد غير منسوب[9]، وسعد بن زيد بن مالك الأشهلي هو سعد بن زيد بن سعد الأشهلي والاختلاف في الجد: الأول مالك، والثاني

(١) انظر نسبه في جمهرة أنساب العرب (١٦٧ ـ ١٦٩).
(٢) المحبّر (٩١ ـ ٩٢).
(٣) الاستيعاب (٢/ ٥٩٢)، وأسد الغابة (٢/ ٢٨٠)، والاستبصار (٢٢٦).
(٤) أسد الغابة (٢/ ٢٧٩).
(٥) أسد الغابة (٢/ ٢٨٠).
(٦) كرش الرجل: بطانته وخاصّته.
(٧) عيبتي: موضع سري.
(٨) أسد الغابة (٢/ ٢٨٠).
(٩) انظر ترجمته في أسد الغابة (٢/ ٢٨٠).

سعد، وهما واحد كما في نسبه الذي ذكرناه أولاً: سعد بن زيد بن مالك الأشهلي[1].

يكنى: أبا عبد الله، وله عقب[2].

ويبدو أنّ أخباره قليلة، لأنّه قليل الرواية عن النبيّ ﷺ، فأغفله المحدِّثون الذين يهتمّون عادة بالسِّمات التي تميِّزه إنساناً، أما المؤرخون فسلّطوا الضوء على جهاده.

وأخباره القليلة مضطربة، لأنّها وزِّعت على أكثر من سعد واحد، وربما كان أقل أهل بدر أخباراً لهذين السببين.

ولكن يكفيه شرفاً أنه عقبيّ بدريّ، نال شرفَ الصّحبة، وشرف الجهاد تحت لواء النبيّ ﷺ، وكان يتميّز بحبّه العظيم لله ولرسوله.

٢ ــ شهد سعد غزوات النبيّ ﷺ كافة، لم يتخلّف عن غزوة من غزواته عليه الصّلاة والسّلام.

وبرز دوره في خمس غزوات منها، ذكره المؤرخون فيها ذكراً طيِّباً، كما ذكروه في سريّة من سرايا النبيّ ﷺ جندياً، وفي سرية من سراياه قائداً.

لقد قضى حياته كلها بعد إسلامه مجاهداً من أجل التوحيد، فأبلى في الجهاد بلاءً حسناً، وكان بلاؤه حسنة من حسنات عقيدته الراسخة وإيمانه العميق، فلولا الإسلام لم يكن سعد شيئاً مذكوراً، وبقي مغموراً لا يعرفه أحد، أسوة بالآخرين من أمثاله قبل الإسلام، أو الذين تخلفوا عن الإسلام.

ومزاياه القيادية، لا تختلف عن مزايا أقرانه من قادة النبيّ ﷺ، فهم من خريجي مدرسةٍ قياديةٍ واحدةٍ، وعاشوا في بيئة واحدة، وكانوا من أصل واحد.

---

(١) أسد الغابة (٢/ ٢٧٩).

(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٣٩).

ومن المعروف أنّ النبيّ ﷺ لم يُوَلِّ المناصب القياديّة في السرايا جميع أصحابه؛ بل اختار منهم الذين يتميزون بمزايا قياديّة معيّنة، أما الصحابة الآخرون فولّى كلّ واحد منهم ما يناسب كفايته من أعمال، فقد كان عليه الصّلاة والسّلام ملتزماً إلى أبعد الحدود بمبدأ: «استخدام الرجل المناسب في المنصب المناسب»، لا يحيد عن هذا المبدأ أبداً، وبذلك استطاع أن يبني الإنسان المسلم على ثلاثة أسس قويمة: العقيدة الراسخة وهو الإسلام، والقدوة الحسنة في سيرته المباركة عليه الصّلاة والسّلام، واستخدام الرجل المناسب في المنصب المناسب، ليؤدي واجبه بكفاية واقتدار.

ونعود إلى مزايا قيادة سعد الرئيسة، فقد كانت له تجربة عملية في الجهاد، وكان كأبناء قومه الآخرين مدرّباً على فنون القتال النظرية والعملية، وبذلك حاز على شرطين أساسيين من مزايا القائد الرئيسة: التجربة العملية، والعلم المكتسب.

أما الطبع الموهوب، فلا نستطيع أن نجزم به إيجاباً أو سلباً، لأنّه لم يَتولَّ القيادات التي تؤهِّله لإظهار مواهبه القياديّة على عهد النبيّ ﷺ أو بعد التحاقه بالرفيق الأعلى.

أما مزاياه الفرعية، فيمكن أن نتلمّس منها، أنّه كان ذكيّاً حاضر البديهة، لذلك كانت قرارته سريعة صائبة، شجاعاً مقداماً، ذا إرادة قوية ثابتة، يتحمّل المسؤولية ويحبّها، ولا يتهرّب منها أو يلقيها على عواتق الآخرين، ذا نفسية لا تتبدّل في حالتي النصر والاندحار، يتمتّع بمزيّة سبق النّظر، عارفاً بنفسيات رجاله وقابلياتهم، يثق برجاله ويثقون به ويحبّهم ويحبّونه، ذا شخصية قوية نافذة، له قابليّة بدنية متميِّزة، وماضٍ ناصع مجيد في خدمة الإسلام والمسلمين، عارفاً لمبادىء الحرب، مطبِّقاً لها بكفاية وحزم، يساوي نفسه برجاله ولا يحبّ أن يتميّز عليهم، ويؤثرهم بالأمن ويستأثر دونهم بالأخطار.

سعد في التاريخ

يذكر التاريخ لسعد، أنّه شهد غزوات النبيّ ﷺ وكثيراً من سراياه.

ويذكر له، أنّه قاد سرية من سرايا النبيّ ﷺ التي حطّمت مَنَاة صنم الأوس والخزرج وغَسَّان والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم.

رضي الله عن الصحابي الجليل، القائد الشجاع، سعد بن زيد الأنصاري الأوسي الأَشهَلِيّ.

الطُّفَيْل بن عَمْرو الدَّوْسِيّ الأَزْدِيّ
القائد الشّهيد

نسبه وأيامه الأولى

هو الطُّفَيْل بن عمرو بن طَرِيْف بن العاص بن ثَعْلَبَة بن سُلَيْم بن فَهْم بن غَنْم بن دَوْس بن عُدْثَان بن عبد الله بن زَهْران بن كَعْب بن الحارث بن كَعْب بن عبد الله بن مالك بن نَصْر بن الأَزْد[١].

أسلم وصدّق النبيّ ﷺ بمكّة[٢]، وكان الطُّفَيل رجلاً شريفاً شاعراً مليئاً كثير الضِّيافة، فقدم مكّة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش فقالوا: يا طفيل! إنّك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أَعْضَلَ بنا[٣] وفرّق جماعتنا وشتّت أمرنا، وإنما قوله كالسِّحر يفرِّق به بين الرَّجل وبين أبيه، وبين الرَّجل وبين أخيه، وبين الرَّجل وبين زوجته! إنا نَخْشى عليك وعلى قومك مثل ما دخل علينا منه، فلا تُكلِّمه ولا تُسمع منه[٤].

ويبدو أنّ الطُّفَيل تأثر بمزاعم المشركين من قريش تأثّراً بالغاً، فوصف تأثير مزاعمهم فيه بقوله: «فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ ألاّ أسمعَ منه

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/٢٣٧)، وأسد الغابة (٣/٥٤)، وانظر الإصابة (٣/٢٨٦)، والاستيعاب (٢/٧٥٧).

(٢) الاستيعاب (٢/٧٥٧).

(٣) أعضل بنا: أي اشتدّ أمره، يقال: أعضل الأمر: إذا اشتدّ ولم يوجد له وجه.

(٤) طبقات ابن سعد (٤/٢٣٧).

شيئاً ولا أُكلِّمه، حتى حشوتُ في أُذُنيَّ حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفاً[1] فَرَقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه، فَغَدَوْتُ إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يُصلِّي عند الكعبة، فقمتُ قريباً منه، فأبى الله إلّا أن يُسْمِعَني بعضَ قوله، فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسي: «واثُكْلَ أُمّي! واللَّهِ إني لرجل لبيبٌ شاعر ما يَخْفى عليَّ الحَسَنُ من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرّجل ما يقول؟ فإذا كان الذي يأتي به حَسَناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته»[2].

وقال الطفيل يصف قصّة إسلامه: «فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، ثمّ اتّبعتهُ حتى إذا دخل بيته دخلت معه، فقلت: يا محمّد! إنّ قومك قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا لي، فوالله ما تركوني يخوِّفوني أمرك حتى سددتُ أُذُنيّ بكُرْسُفٍ لأن لا أسمع قولك، ثمّ إنّ الله أبى إلاّ أن يُسْمِعَنِيْه، فسمعتُ قولاً حسناً، فاعرض عليّ أمرك»[3].

وعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عليه القرآن[4]: سورة الإخلاص والمعوِّذتين، فأسلم في الحال، وعاد إلى قومه[5]، بعد أن قال للنبيّ ﷺ: «لا والله، ما سمعتُ قولاً قطّ أحسن من هذا، ولا أمراً أعدل منه»[6].

وكان إسلام الطّفيل في مكّة بعد رجوع النبيّ ﷺ من الطّائف بعد دعوة ثقيف إلى الإسلام ورفضهم الإيمان برسالته[7]، وكان ذلك في السنة

(١) الكرسف: القطن.
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨).
(٣) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٣٨)، وسيرة ابن هشام (١/ ٤٠٨)، وأسد الغابة (٣/ ٥٤)، والاستيعاب (٢/ ٧٦٠).
(٤) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٣٨)، وسيرة ابن هشام (١/ ٤٠٨).
(٥) الإصابة (٣/ ٢٨٦).
(٦) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٣٨)، وسيرة ابن هشام (١/ ٤٠٨).
(٧) الدرر (٦٨)، وجوامع السيرة (٦٧).

العاشرة من بعثته عليه الصّلاة والسّلام[1].

وأمره رسول الله ﷺ بدعاء قومه إلى الإسلام، فقال: «يا رسول الله! اجْعَلْ لي آية تكون لي عَوْناً»، فدعا له رسول الله ﷺ، فجعل الله في وجهه نوراً، فقال: «يا رسول الله! إني أخاف أن يجعلوها مُثْلَة»، فدعا له رسول الله ﷺ ، فصار النّور في سَوْطه، فهو معروف بذي النور[2].

وخرج الطُّفيل إلى قومه، فلما جاءهم ونزل أتاه أبوه، وكان شيخاً كبيراً، فقال لأبيه: «إِلَيْكَ عني يا أبتِ، فلستُ منك ولستَ مني»، فقال أبوه: «لِمَ يا بُنَيَّ!»، فقال: «أسلمتُ وتابعتُ دين محمّد ﷺ»، فقال أبوه: «أيْ بنيَّ! فديني دينُك»، فقال: «فاذهب فاغتسِل وطهِّر ثيابك، ثم تعال حتى أُعلِّمك ما عُلِّمْتُ»، فذهب فاغْتَسَلَ وطهّر ثيابه، ثمّ عرض الطُّفيل الإسلام على أبيه فأسلم[3].

ثم أتت صاحبة الطُّفيل، فقال لها: «إليك عني، فلستُ منك ولستِ مني!»، فقالت: «ولِمَ بأبي أنتَ وأُمّي!»، فقال: «فرّق بيني وبينك الإسلام، وتابعت دينَ محمّد ﷺ»، فقالت: «فديني دينك»، فقال: «فاذهبي إلى حِسْي[4] ذي الشَّرى[5] فتطهّري منه»، فذهبت واغتسلت، ثم جاءت فعرض عليها الطفيل الإسلام، فأسلمت[6].

ولكنّ أُمّ الطُّفيل لم تُسْلم، ودعا قومه فأجابه أبو هُرَيْرَة رضي الله عنه وحده[7].

---

(١) انظر كتابنا: ومضات من نور المصطفى (١٨) ـ ط ٢.

(٢) الدرر (٦٨)، وجوامع السيرة (٦٧)، وانظر سيرة ابن هشام (١/٤٠٨)، وطبقات ابن سعد (٤/٢٣٨)، وأسد الغابة (٣/ ٥٤)، والاستيعاب (٢/ ٧٦٠ ـ ٧٦١).

(٣) سيرة ابن هشام (١/٤٠٨ ـ ٤٠٩)، وطبقات ابن سعد (٤/٢٣٨).

(٤) الحسي: السهل من الأرض يستنقع فيه الماء، والرمل تحته صلابة فيه ماء.

(٥) ذو الشرى: صنم دَوْس.

(٦) سيرة ابن هشام (١/٤٠٩)، وطبقات ابن سعد (٤/٢٣٨).

(٧) الإصابة (٧/ ٢٨٧).

وأبت دَوْس وتعاصت على الطُّفَيل، فقدم على رسول الله ﷺ مكّة قبل أن يهاجر إلى المدينة، ومعه أبو هُرَيْرة، فقال: «يا رسول الله! غلبَ على دَوْس الزِّنا، والرِّبا، فادْع الله عليهم»[1]. قال أبو هريرة: «قدم الطُّفيل بن عمرو الدَّوسِي على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! إنّ دَوْساً قد عصت فادْعُ الله عليهم»[2]، فخشي الصحابة أن يهلك الله دَوْساً بدعوة النبيّ ﷺ[3]. قال: «اللّهم اهْدِ دَوْساً وأْتِ بها»، ثم قال للطُّفيل: «اخرج إلى قومك فادْعُهم وارفق بهم»[4].

وخرج الطُّفيل إلى قومه، فلم يزل بأرض دَوْس يدعوها حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة. ومضى يوم بَدْرٍ وأُحُد والخَنْدق. والطّفيل بأرض قومه يدعوهم إلى الإسلام، حتى قدم على رسول الله ﷺ بمن أسلم من قومه، ورسول الله ﷺ بغزوة خَيْبَر[5]، حتى نزل المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دَوْس[6] أو تسعين أهل بيت من دَوْس[7]، ثم لحقوا برسول الله ﷺ بخَيْبَر، فأسهم لهم مع المسلمين[8]، فقد قدم أبو هرَيرة والطُّفيل وأصحابهم الدَّوسيون، فكلّم رسول الله ﷺ أصحابه فيهم أن يشركوهم في الغنيمة، ففعلوا[9].

---

(١) الاستيعاب (٢/ ٧٦١).
(٢) الإصابة (٣/ ٢٨٧).
(٣) الاستيعاب (٢/ ٧٥٨).
(٤) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٣٩).
(٥) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٣٩)، وسيرة ابن هشام (١/ ٤٠٩ ـ ٤١٠)، وأسد الغابة (٣/ ٥٥).
(٦) سيرة ابن هشام (٤/ ٤٤٠)، وطبقات ابن سعد (٤/ ٢٣٩)، وأسد الغابة (٣/ ٥٥)، وجوامع السيرة (٦٧).
(٧) الاستيعاب (٢/ ٧٦١)، والبداية والنهاية (٦/ ٣٣٧).
(٨) أسد الغابة (٣/ ٥٥).
(٩) مغازي الواقدي (٢/ ١٨٣).

وهكذا هدى الله مَنْ هدى إلى الإسلام من دَوْس على يدي الطُّفيل[١]، وعلى يدي جُنْدُب بن عمرو بن حُمَمَة الدَّوْسِيّ، فحين دعا النبيّ ﷺ لدَوْس قال له الطُّفيل: «ما كنت أحبّ هذا»، فقال له النبيّ ﷺ: «إنّ فيهم مثلك كثيراً»، وكان جُنْدُب هذا يقول في الجاهليّة: «إنْ للخلق خالقاً، لكن لا أدري مَنْ هو!»، فلما سمع بخبر النبيّ ﷺ، خرج ومعه خمسة وسبعون رجلاً من قومه، فأسلم وأسلموا، وكان يقدِّمهم لرسول الله ﷺ رجلاً رجلاً، وكان أبوه عمرو بن حَمَمَة حاكماً على دَوْس ردحاً طويلاً[٢].

قائد السريّة

شهد الطّفيل بعد خَيْبَر التي كانت في شهر المحرّم من السنة السّابعة الهجريّة، عُمْرَة القضاء التي كانت في ذي القعدة من السنة السّابعة الهجرية، وشهد غزوة فتح مكة التي كانت في شهر رمضان من السنة الثامنة الهجرية[٣].

ولما افتتح رسول الله ﷺ حُنَيناً التي كانت في شهر شوّال من السنة الثامنة الهجرية، وأراد المسير إلى الطّائف، بعث الطُّفيل إلى ذي الكَفَّيْن[٤] ـ صنم عمرو بن حَمَمَة ـ يهدمه، وأمره أن يستمدّ قومه ويوافيه بالطائف. فقال الطُّفيل: «يا رسول الله! أوْصِني»، قال: «أفشِ السَّلام، وابذُل الطعام، واسْتَحْي من الله كما يستحي الرّجل ذو الهَيْئَة من أهله، إذا أسأْتَ فأحسن ﴿إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئات، ذلكَ ذِكْرَى للذَّاكِرين﴾[٥]»، فخرج الطُّفيل سريعاً إلى قومه[٦]، وكان ذلك في شهر شوّال من السنة الثامنة الهجريّة.

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٣٧).
(٢) الإصابة (٣/ ٢٨٧).
(٣) الإصابة (٣/ ٢٨٧).
(٤) ذو الكفين: صنم لدوس ثم لبني مُنهِّب، انظر كتاب الأصنام للكلبي (٣٧).
(٥) الآية الكريمة من سورة هود (١١: ١١٤).
(٦) مغازي الواقدي (٣/ ٩٢٢ ـ ٩٢٣).

وهدم الطُّفيل ذا الكَفّين وجعل يَحشو النار في جوفه ويقول:

يـا ذا الكَفّيـن لسـتُ مـن عُبّـادِكـا ميـلادنـا أقْـدَمُ مـن ميـلادِكـا

إني حَشَوْتُ النَّار في فؤادِكا

وأسرع معه قومه، فانحدر منهم أربعمائة، فوافوا النبيّ ﷺ[1] بالطّائف بعد مُقامِه بأربعة أيام، فقدم بدَبّابةٍ ومَنْجنيق[2]، واستعملهما في حصار الطائف.

وكان الصّنم ذو الكفين من خشب[3]، فلما أحرقه الطّفيل بانَ لمن بقِي ممّن تمسّك به أنّه ليس على شيء، فأسلموا جميعاً[4]، وانتهى أمر الشِّرك في دَوْس إلى الأبد.

الشّهيـد

عاد الطّفيل مع النبيّ ﷺ من غزوة الطّائف إلى المدينة المنوّرة، فكان معه بالمدينة حتى قُبض عليه الصّلاة والسّلام.

فلما ارتدّت العرب خرج مع المسلمين، فجاهدَ حتى فرغوا من طُلَيْحَة الأَسَدِيّ وأرض نجدٍ كلّها.

ثم سار إلى اليمامة، فاستُشهد في تلك المعركة، وكان معه ابنه عمرو بن الطُّفَيل الذي قُطعت يده[5] في تلك المعركة، وكان ذلك سنة إحدى عشرة الهجرية، وكانت معركة اليمامة بين المسلمين من جهة ومُسَيْلَمَة الكذاب من جهة ثانية، وكان المسلمون بقيادة خالد بن الوليد

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ١٥٧)، ومغازي الواقدي (٣/ ٩٢٣)، وسيرة ابن هشام (١/ ٤١٠)، وعيون الأثر (٢/ ٢٠٠)، وانظر أنساب الأشراف (١/ ٣٨٢).

(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ١٥٧)، ومغازي الواقدي (٣/ ٩٢٣).

(٣) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٣٩).

(٤) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٤٠).

(٥) طبقات ابن سعد (٤/ ٣٤٠).

رضي الله عنه، وقد جرت المعركة في عهد أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه[١].

واستَبَلّ عمرو بن الطّفيل وصحّت يده، فبينما هو عند عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، إذ أُتي بطعام، فتنحّى عنه، فقال عمر: «ما لك! لعلّك تَنَحّيتَ لمكان يدك؟»، قال: «أجل!»، قال: «والله لا أذوقه حتى تَسوطه بيدك، فوالله ما في القوم بَعْضُه في الجنّة غيرك». ثم خرج عمرو بن الطّفيل عام اليرموك في خلافة عمر بن الخطّاب، فقُتل شهيداً[٢].

ولعلّ من الطّريف، أن نذكر أنّ الطُّفيل ـ كما ذكرت معظم المصادر الموثوقة التي تحدّثت عنه، رأى رؤيا وهو متوجِّهٌ إلى اليمامة، فقال لأصحابه: «إني قد رأيت رؤيا فاعْبُروها لي[٣]: رأيت أنّ رأسِيَ حُلِقَ، وأنّه خَرَجَ من فمي طائر، وأنّه لقيتني امرأة فأدخلتني في فرجها، وكأنّ ابني يطلبني حَثِيْثاً، فَحِيْلَ بيني وبينه»، فقالوا: خيراً، فقال: «أما أنا والله فقد أَوَّلْتُها: أما حلق رأسي فقطْعُه، وأما الطّائر الذي خرج من فمي فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها، فالأرض تُحْفَر لي وأُدفَنُ فيها، فقد رَجَوْت أن أُقْتل شهيداً. وأما طلب ابني إياي فلا أراه إلّا سيغدو في طلب الشّهادة، ولا أراه يلحق بي في سفرنا هذا»، فقُتل الطُّفيل شهيداً يوم اليمامة، وجرح ابنه، ثم قتل ابنه باليرموك بعد ذلك في زمن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه شهيداً[٤].

وقد نقلت هذه الرؤيا لطرافتها، وللمرء أن يصدِّقها أو يكذبها، فهو

---

(١) انظر التفاصيل في تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٧٢ ـ ٨٣)، وابن الأثير (٢/ ٣٦٠ ـ ٣٦٧).

(٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٤٠).

(٣) عبر الرؤيا يعبرها ـ من باب نصر: فسّرها، وفي التنزيل: ﴿إِنْ كُنتُمْ للرؤيا تعبرون﴾.

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٤١١)، والاستيعاب (٢/ ٧٦٢)، وأسد الغابة (٣/ ٥٥)، والبداية والنهاية (٦/ ٣٣٧).

حر في اختياره، ولكنّ الرؤيا الصادقة حقيقة مجرّبة، ولا أستطيع إلاّ أن أصدِّق ما جرّبته بنفسي وجرّبه غيري.

الإنسان والقائد

١ ـ أسلم الطُّفيل قديماً قبل الهجرة، فذهب إلى قومه فدعاهم إلى الله فهداهم الله على يديه[١]، وكان شريفاً شاعراً لبيباً[٢] مليئاً كثير الضيافة[٣] سيِّداً في قومه مطاعاً[٤].

ومن شعره يخاطب قُريشاً، وكانوا هدّدوه لما أسْلَم:

ألا أَبْلِغْ لديكَ بني لُؤَيٍّ ... على الشَنآن والغَضَب المُرَدِّ
بأنَّ اللهَ ربُّ النّاس فردٌ ... تعالى جدّه عن كلِّ جدّ
وأنّ محمّداً عَبْدٌ رسولٌ ... دليل هدى وموضح كلّ رشد
وأن اللَّهَ جَلَّلَهُ بهاءَ ... وأعلى جدّه عن كل جد[٥]

ولا نعرف كثيراً من شعره، فإما أن يكون شاعراً مُقِلاًّ، أو ضاع شعره كما ضاع كثير من شعر غيره.

ولا نعرف متى ولد، ولا رواية له عن النبيّ ﷺ[٦]، وحسبه أنه نال شرف الصُّحبة، وشرف الجهاد تحت لواء الرسول ﷺ.

٢ ـ كان رؤساء القبائل يتولّون قيادتها في الجاهلية، فلما جاء

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٣٧).
(٢) أسد الغابة (٣/ ٥٤).
(٣) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٣٧).
(٤) الاستيعاب (٢/ ٧٥٩).
(٥) الإصابة (٣/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨)، وتهذيب ابن عساكر (٧/ ٦٢).
(٦) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٦٣).

الإسلام أبقى هذا التقليد إذا أسلم رئيس القبيلة وحسن إسلامه وكان ذا كفاية قياديّة لا غبار عليها.

وقد كان الطُّفيل رئيساً من رؤساء دَوْس، كما أنّه مبعوث النبيّ ﷺ إليها، فاهتدى على يديه بين سبعين عائلة وتسعين عائلة من عوائلهم حتى غزوة خَيْبَر، فهاجر بهم إلى المدينة المنوّرة، وبعد فتح مكة بادر الطُّفيل بالمطالبة بتوليته إحراق صنم دَوْس بالخشبيّ لتعلم أنّه لا يضرّ ولا ينفع، فولّاه النبيّ ﷺ سرية من سراياه استطاعت إحراق هذا الصنم، فلم يبق أحد في دَوْس إلّا وأعلن إسلامه وانخرط في جيش المسلمين، فقاد الطّفيل دَوْساً في حصار الطائف وفي حروب الرِدَّة، حتى استُشهد رضي الله عنه.

وهو بدون شكّ له تجربة عمليّة في الحرب، وعلومه العسكرية المكتسبة لا غبار عليها، ولا يمكن تقدير: هل كان قائداً موهوباً أم لا؟ لأنّه لم يَقُد معارك حاسمة تثبت موهبته العسكرية.

وصفاته القياديّة لا تختلف كثيراً عن غيره من قادة النبيّ ﷺ، لأنّه خريج مدرسة النبوّة القياديّة وله نفس المزايا والخصال التي تميّز غيره، وعاش في نفس البيئة العربية الإسلامية في نفس المنطقة العربية، منطقة شبه الجزيرة العربية، وهو وهم من أصل واحد: العرب.

وحسبه أن يكون أحد قادة سرايا النبيّ ﷺ وأحد شهداء المسلمين الأولين.

الطُّفيل في التاريخ

يذكر التاريخ للطُّفَيْل، أنّه كان من المسلمين الأولين، الذين أسلموا قبل هجرة النبيّ ﷺ من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة.

ويذكر له، أنّه كان مبعوث النبيّ ﷺ إلى قومه، فهداهم الله على يديه إلى الإسلام.

ويذكر له، أنّه أحرق صنم قبيلته، فأسلمت بعد إحراقه ولحقت بالمسلمين.

ويذكر له، أنّه استُشهد دفاعاً عن عقيدته في حروب الرِدّة، فكان من أسباب عودة العرب إلى الإسلام وعودة الوحدة تحت لواء الإسلام إلى العرب في شبه الجزيرة العربية.

رضي الله عن الصحابيّ الجليل، القائد الشّهيد، الطُّفَيْل بن عمرو الدَّوْسِيّ الأَزْدِيّ.

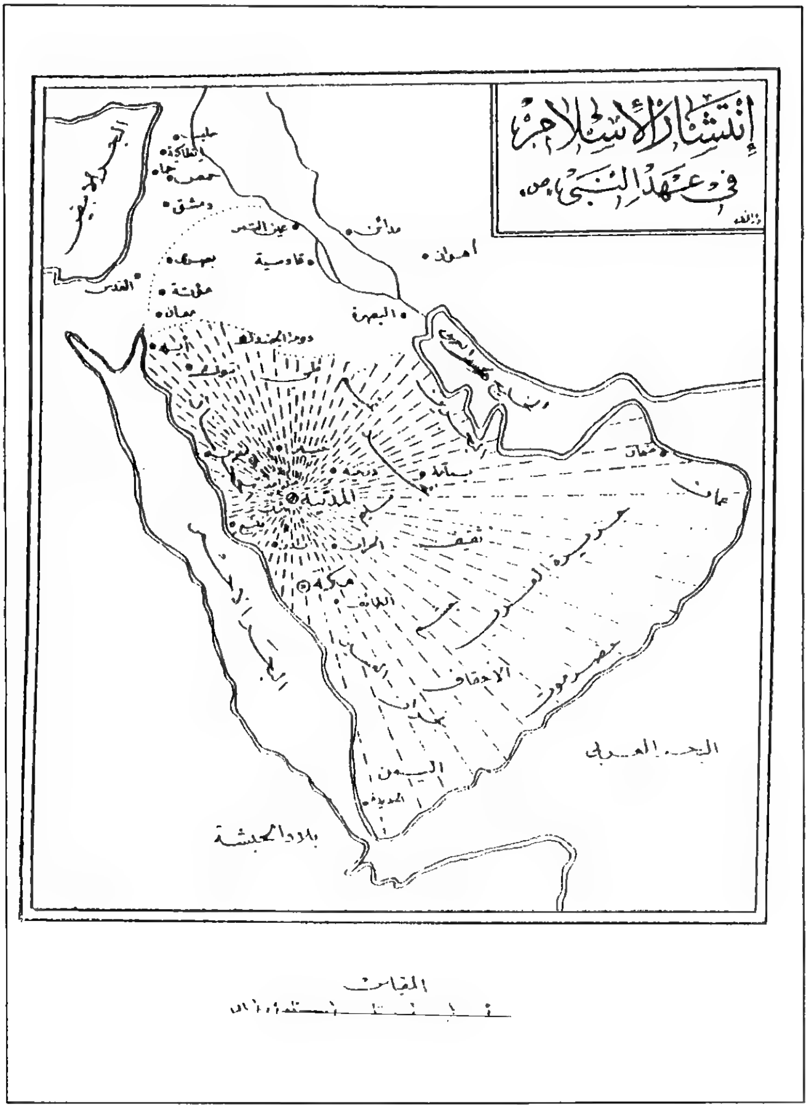
انتشار الإسلام
في عهد النبي ص.
حلب
اللاذقية
حماه
حمص
دمشق
عين التمر
مدائن
قادسية
الأهواز
بصرى
القدس
مؤتة
عمان
البصرة
دومة الجندل
أيلة
تبوك
المدينة
مكة
الطائف
الأحقاف
حضرموت
اليمن
عمان
البحر العربي
بلاد الحبشة
المقياس

عُيَيْنَة بن حِصْن الفَزَارِيّ
الأَعْرابيّ القائد

قبل الإسلام

١ ـ نسبه:

هو عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيْفَة بن بَدْر بن عمرو بن جُوَيَّة[١] بن لُوْذَان بن ثعلبة بن عدِيّ بن فزارة بن فَزارة بن ذُبْيان بن بَغِيْض بن رَيْث بن غَطَفَان بن سَعْد بن قَيْس عَيْلان بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عَدْنان[٢]، وكان اسمه: حُذَيْفَة، فأصابته لَقْوَة[٣]، فجحظت عينُه، فسمي: أبا عُيَيْنَة[٤]، ويكُنى أبا مالك[٥].

وبنو بَدْر بن عمرو بن جُوَيَّة بن لُوْذان بن ثعلبة بن عَدِيّ بن فَزارة، هم بيت فَزَارة وعَدَدُهُم، ومن ولده حُذَيْفَة الذي يقال له: ربّ مَعَدّ[٦]، وهو سيِّد غَطَفَان[٧]، وكذلك ابنه حِصْن الذي قاد بني أسد وغَطَفَان، وقتل

(١) وردت كذلك في جمهرة أنساب العرب (٢٥٦)، ووردت: جويريّة في أسد الغابة (٤/ ١٦٧)، ووردت: جرية في الإصابة (٥/ ٥٥).

(٢) جمهرة أنساب العرب (٢٥٥ ـ ٢٥٦)، وأسد الغابة (٤/ ١٦٧)، والإصابة (٥/ ٥٥)، وانظر الاستيعاب (٣/ ١٢٤٥)، والمعارف (٣٠٢).

(٣) لقوة: داء يكون في الوجه، يعوجّ منه الشدق.

(٤) المعارف (٣٠٢).

(٥) أسد الغابة (٤/ ١٦٧)، والإصابة (٥/ ٥٥)، والاستيعاب (٣/ ١٢٤٥).

(٦) جمهرة أنساب العرب (٢٥٦).

(٧) المعارف (٣٠٢).

بنو عَبْس حُذَيْفة جدّ عُيَيْنَة، وقتل بنو عُقَيْل حِصْناً والد حُذَيْفَة[1].

٢ ـ في أيام العرب:

أ ـ كان حِصْن بن حُذَيْفة بن بدر بن عمرو، قد قاد أَسَد وغَطَفان كلّها، فأتى عُيَيْنَة سوق عُكاظ[2]، فرأى الناس يتبايعون، فقال: «أرى هؤلاء مجتمعين بلا عهد ولا عقد، ولئن بقيت إلى قابل ليَعلمنّ»، فغزاهم من قابل، وأغار عليهم، فهذا هو سبب حرب الفِجَار الثاني، وكانت الحرب فيه بين كِنَانة وقيس، والدائرة على قيس عيلان[3].

ب ـ وكانت الوقعة المعروفة بحاطِب، وهو حاطِب بن قيس من بني أُميّة بن زيد بن مالك بن عَوْف الأوسي.

وكان سبب هذه الحرب، أنّ حاطباً كان رجلاً شريفاً سيِّداً، فأتاه رجل من بني ثعلبة بن سعد بن ذُبْيان، فنزل عليه. ثمّ إنّه غدا يوماً إلى سوق بني قَيْنُقاع (يهود)، فرآه يزيد بن الحارث المعروف بابن فُسْحُم، وهي أُمُّه، وهو من بني الحارث بن الخزرج، فقال يزيد لرجل من يهود: «لك ردائي إنْ كسعتَ[4] هذا الثَّعْلَبِيّ»، فأخذ رداءه وكسعه كسعة سمعها مَنْ بالسوق. ونادى الثَّعلبي: «يا آل حاطب! كُسعَ ضيفُكَ وفُضِح!»، فأُخبر حاطِب بذلك فجاء إليه، فسأله: «مَنْ كسعه؟»، فأشار إلى اليهودي، فضربه حاطب بالسيف ففلق هامته. وأُخبر ابن فُسْحُم الخبر، وقيل له: «قتل اليهودي، قتله حاطب»، فأسرع خلف حاطب فأدركه وقد دخل بيوت أهله،

(١) المعارف (٣٠٢).

(٢) سوق عكاظ: سوق مِن أسواق العرب في الجاهلية، وعكاظ نخل في وادٍ بينه وبين الطائف ليلة، وبينه وبين مكة ثلاث ليال، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢٠٢).

(٣) المعارف (٦٠٣ ـ ٦٠٤)، وانظر تفاصيل حرب الفجار الأول والثاني في ابن الأثير (١/٥٨٨ ـ ٥٩٥).

(٤) كسع فلاناً: ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه، ويقال: كسع القوم بالسَّيف: اتّبع أدبارهم فضربهم به.

فلقي رجلاً من الأوس فقتله، فثارت الحرب بين الأوس والخزرج.

وسار إليهم عُيينة وخيار بن مالك بن حماد الفَزاري، فقدما المدينةَ وتحدّثا مع الأوس والخزرج في الصلح وضمِنا أن يتحمَّلا كلّ ما يَدَّعِيْ بعضهم على بعض، فأبوا. ووقعت الحرب، وشهدها عيينة وخيار، فشاهدا من قتالهم وشدّتها ما أيِسَا معه من الإصلاح بينهم، فكان الظفر يومئذ للخزرج، وهذا اليوم من أشهر أيامهم[1].

٣ ـ موادعة المسلمين:

أجدبت بلاد بني بدر بن عمرو من فَزارة، حتى ما أبقت لهم من مالهم إلاّ الشّريد، فذُكرت لهم سحابة وقعت بـ(تَغْلَمِيْن)[2] إلى (بَطْن نَخْل)[3]، فسار عُيينة في آل بدر حتى أشرف على بطن نخل، ثمّ هاب النبيّ ﷺ وأصحابه، فورد المدينة، فأتى النبيّ ﷺ، فدعاه إلى الإسلام، فلم يُبْعد، ولم يدخل فيه، وقال: «إني أريد أن أدنو من جِوارك، فوادعني»، فوادعه ثلاثة أشهر. فلما انقضت المدة انصرف هو وقومه إلى بلادهم، وقد أسمنوا وألبنوا، وسمن الحافر من الصِّلِّيان، وأعجبهم مرآة البلد[4].

ويبدو أنّ هذه الموادعة كانت في السنة الخامسة الهجرية، لأنّ النبيّ ﷺ كان في شهر شوّال من هذه السنة في غزوة بني المُصْطَلق في

(١) ابن الأثير (٢/ ٦٧١ ـ ٦٧٢).

(٢) تغلمان: موضع في شعر كثيّر، قال:

ورسوم الديار تعرف منها بالمَلاَيين تَغْلَمِيْن فريم

وهي متصلة بتقيّدة، انظر معجم البلدان (٢/ ٣٩٥)، وتقيّدة: ماء لبني ذهل بن ثعلبة، انظر معجم البلدان (٢/ ٣٩٨). ويبدو أنّه موضع قريب من المدينة المنوّرة.

(٣) بطن نخل: قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة، بينهما الطرَف على الطريق للقاصد إلى مكة، انظر معجم البلدان (٢/ ٢٢١).

(٤) المعارف (٣٠٣)، والصليان: نبت له سنمة عظيمة كأنها رأس القصبة إذا خرجت أذنابها تجذبها الإبل، والعرب تسميه: خبرة الإبل.

(المُرَيْسِيْع)[1]، فأمر النبيّ ﷺ بالرحيل إلى المدينة تداركاً لفتنة أراد إشعالَها بين المهاجرين والأنصار عبد الله بن أُبَيّ أحد المنافقين، فانطلق بالناس طيلة يومهم حتى أمسوا، وطيلة ليلتهم حتى أصبحوا، وصدر يومهم الثاني حتى آذتهم الشّمس، فلما نزل الناس لم يلبثوا حتى مسّت جنوبهم الأرض أن ناموا من فرط تعبهم. فخاف المسلمون أن يكون سبب هذا الرحيل السّريع الشّاق أن يكون عُيينة بن حِصْن خالف إلى المدينة، وفيها الذراري والصبيان، وكانت بين النبيّ ﷺ وبين عُيينة مُدَّة، فكان ذلك حين انقضائها، فدخل المسلمين أشدُّ الخوف، فبلغ رسول الله ﷺ خوفُهم، فقال رسول الله ﷺ: «ليس عليكم بأس منها» وطمأنهم إلى أنّ المدينة في أمان[2].

٢ ـ مع الأحزاب:

كانت غزوة الخَنْدق وهي غزوة الأحزاب في شهر شوّال من السنة الخامسة الهجرية. وكان سببها أنّ نفراً من يهود، حزّبوا الأحزاب، وألّبوا وجمعوا، فأتوا مكّة ودعوا قريشاً إلى حرب رسول الله ﷺ، ووعدوهم من أنفسهم بِعَوْن مَنْ انتدب إلى ذلك، فأجابهم أهل مكة إلى ما طلبوا، ثم خرج يهود إلى غَطَفَان، فدعوهم إلى مثل ذلك، فأجابوهم.

وخرجت قريش يقودهم أبو سُفْيان بن حَرْب، وخرجت غَطَفان يقودهم عُيينة على فَزَارة والحارث بن عوف المُرِّي على مُرَّة ومسعود بن رُخَيْلَة على أشْجَع[3]. وكان عُيَينة أسرع غَطفان إلى إجابة أولئك النّفر من

(١) المريسيع: اسم ماء في ناحية قديد، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ٤١)، بين المريسيع وبين الفُرْع نحو يوم، وبين الفرع والمدينة نحو ثمانية برد، انظر طبقات ابن سعد (٢/ ٦٣).

(٢) مغازي الواقدي (٢/ ٤١٢).

(٣) مغازي الواقدي (٢/ ٤٤٣)، والدرر (١٧٩)، وفي جوامع السيرة (١٨٦)، وسيرة ابن هشام (٣/ ٢٣٠): مُسْعر بن رخيلة.

يهود[1]، فنزل قول الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾[2]، يريد عُيينة بن حصن وغَطَفَان ﴿ومِنْ أَسْفَلَ منكم﴾[3]، يريد أبا سفيان في قريش[4].

وباشر عيينة القتال، فهاجم المسلمين في خيل غَطَفَان فرماهم بالحجارة والنَّبل دون جدوى[5].

وأجمع رؤساء الأحزاب أن يعبروا الخندق إلى المسلمين، ومنهم عُيينة، ولكن محاولتهم باءت بالإخفاق[6].

وبعث رسول الله ﷺ إلى عُيينة، فعرض عليه ثلث ثمر نخل المدينة على أن يخذّل الأحزاب ويرجع بالناس، فأبى إلاّ النِّصف، فاستشار النبيّ ﷺ سعد بن مُعَاذ وسعد بن عُبادة، فقالا: «إنْ كنتَ أُمرتَ بشيءٍ فامْض له، وإلاّ فإنّا لا نرضى أن نعطيهم إلاّ السّيف»، قال: «فنعم إذاً»[7].

لقد كان دور عُيينة في حرب المسلمين خلال غزوة الخندق دوراً بالغ العداوة للإسلام والمسلمين: استجاب للنفر المحرِّضين من يهود، وكان أسرع قومه استجابةً وحشد أكبر عدد من بني قومه، وباشر القتال، وأبدى طمعه في الغنائم، ولكنّه لم يُفلح في مسعاه، فعاد مع غيره من الأحزاب عن المدينة وعن المسلمين خائباً.

---

(١) أنساب الأشراف (١/٣٤٣).
(٢) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣: ٢٥).
(٣) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣: ٢٥).
(٤) أنساب الأشراف (١/٣٤٤).
(٥) مغازي الواقدي (٢/٤٦٧).
(٦) أنساب الأشراف (١/٤٧٠).
(٧) انظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (٣/٢٣٩ ـ ٢٤٠)، وأنساب الأشراف (١/٣٤٦)، ومغازي الواقدي (٢/٤٧٧ ـ ٤٨٠)، والدرر (١٨٤)، وجوامع السيرة (١٨٨ ـ ١٨٩).

٥ ـ في غَزوة ذي قَرَد[١]:

وكانت في السنة السَّادسة الهجرية في شهر ربيع الأول، فقد أغار عُيَيْنَة في أربعين فارساً على لِقَاح[٢] رسول الله ﷺ بالغابة[٣]، وفيها رجل من بني غِفار وامرأته، فقتلوا الرجل، واحتملوا المرأة في اللِّقاح[٤]، وكان عدد اللِّقاح التي أغار عليها عُيينة بالغابة عشرين لِقْحَة[٥]، فاستنقذها المسلمون من بين أيدي عُيَيْنَة ورجاله[٦]، وهرب المُغِيرون[٧]، وكان النبيّ ﷺ قد وادع عُيينة ثلاثة أشهر، أسمن خلالها قومه وألبنوا، فأغار عُيينة بالخيل التي أسمنها على لِقاح النبيّ ﷺ التي كانت بالغابة، فقال له الحارث بن عَوْف: «بئس ما جزيت به محمّداً! أسمنت في بلاده، ثمّ غزوته»، قال: «هو ما ترى!»[٨].

٦ ـ مع يهود خَيْبَر:

كانت غزوة خَيْبَر بين المسلمين من جهة ويهود من جهة أخرى في شهر المحرّم من السنة السّابعة الهجريّة، فأقبل عُيَيْنَة مَدَداً ليهود على رأس غَطَفَان، فلم يدخلوا حصناً من حصون خَيْبر، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عُيَيْنَة وهو رأس غطفان وقائدهم، أن ارجع بمن معك، ولك نصف تمرِ خيبر هذه السَّنة، فقال عيينة: «لستُ بمُسْلم حُلفائي وجيراني»[٩].

(١) ذو قرد: على نحو يوم من المدينة مما يلي غطفان، ويقال على يومين من المدينة، انظر وفاء الوفا (٢/ ٣٦٠).
(٢) اللِّقاح: جمع لقحة، وهي الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.
(٣) الغابة: موضع قرب المدينة من ناحية الشام.
(٤) سيرة ابن هشام (٣/ ٣٢٣)، ومغازي الواقدي (٢/ ٥٣٩)، وجوامع السيرة (٢٠١)، والدرر (١٩٨)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٤٨).
(٥) المعارف (١٤٩).
(٦) جوامع السيرة (٢٠٣).
(٧) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٢/ ٨٠ ـ ٨٤)، وعيون الأثر (٢/ ٨٤ ـ ٨٨).
(٨) المعارف (٣٠٣).
(٩) مغازي الواقدي (٢/ ٦٥٠).

وفي رواية ثانية: إنّه لما سار كِنَانة بن أبي الحُقَيْق اليهودي إلى غطفان، حلفوا معه، وارتأسهم عيينة بن حصن وهم أربعة آلاف من غَطَفَان، فدخلوا مع يهود في حصون النَّطَاة[1] قبل قدوم رسول الله ﷺ بثلاثة أيام، فلما قدم رسول الله ﷺ خَيْبَر، أرسل إليهم سعد بن عُبادة وهم في الحصن، فلما انتهى سعد إلى الحصن ناداهم: «إني أريد أن أُكلِّم عُيينة بن حِصْن»، فأراد عيينة أن يدخله الحصنَ، فقال مَرْحب اليهودي: «لا تُدْخِلْهُ فيرى خَلَل حِصْنِنا ويعرف نواحيه التي يُؤْتَى منها، ولكن نخرج إليه»، فقال عيينة: «لقد أحببت أن يدخل فيرى حصانته ويرى عدداً كثيراً»، فأبى مَرْحَب أن يُدْخله، فخرج عيينة إلى باب الحصن، فقال سعد: «إنّ رسول الله أرسلني إليك يقول: إنّ الله قد وعَدَني خَيْبَر، فارجعوا وكُفُّوا، فإن ظهرنا عليها، فلكم تمر خيبر سنةً»، فقال عُيَيْنَة: «إنَّا واللَّهِ ما كنّا لنُسلمَ حلفاءنا لشيءٍ، وإنّا لنعلم مالك ولمن معك بما ها هنا طاقة، هؤلاء قوم أهل حصون منيعة، ورجال عددهم كثير، وسلاح، إنْ أقمتَ هلكتَ ومَنْ معك، وإن أردت القتال عجلوا عليك بالرجال والسِّلاح، ولا والله ما هؤلاء كقُريش، قوم ساروا إليك، إن أصابوا غِرَّة منك فذاك الذي أرادوا، وإلاّ انصرفوا، وهؤلاء يُماكرونك الحرب ويُطاولونك حتى تَمَلَّهم»، فقال سعد: «أشهدُ ليحضرنَّك في حصنك هذا حتى تطلبَ الذي كنّا عرضنا عليك، فلا نُعطيك إلاَّ السَّيف. وقد رأيتَ يا عُيَيْنَة مَن قد حللنا بساحته من يهود يَثْرِب كيف مُزِّقوا كلّ مُمَزَّق!»، وعاد سعد إلى رسول الله ﷺ، فأخبره بما حدث وقال: يا رسول الله! إنّ الله مُنْجِزٌ لك ما وعدك ومُظْهِرٌ دينَه، فلا تُعْطِ هذا الأَعرابيَّ تمرةً واحدةً. يا رسول الله! لئن أخذه السَّيف ليُسلمنَّهم وليهربنّ إلى بلاده كما فعل ذلك قبل اليوم في الخَنْدَق».

وأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يوجّهوا إلى حصنهم الذي فيه غطفان،

---

(١) النطاة: اسم لأرض خيبر، ونطاة اسم حصن بخيبر، واسم عين بخيبر. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ٢٩٧).

وذلك عشيّة، فنادى منادي رسول الله ﷺ: «أن أصبحوا عند راياتكم عند حصن ناعِم الذي فيه غَطَفَان!»، فَرُعبوا من ذلك يومَهم وليلتَهم، فلمّا كان الهجوم على حصنهم الذي هم فيه كان هجوماً شديداً، فخرجت غطفان على الصّعب والذّلول، فأُخبر كِنانة بن أبي الحُقَيْق بانصرافهم، فسُقط في يديه، وذلّ وأيقن بالهَلَكَة.

وقال كِنَانة: «كنّا مع هؤلاء الأعراب في باطل، إنّا سِرْنا فيهم فوعدونا النّصر وغَرُّونا، ولَعَمْرِي لولا ما وعدونا من نصرهم ما نابذنا محمّداً بالحرب، ولم نَحْفَظ كلام سَلاَّم بن أبي الحُقَيْق إذ قال: لا تستنصروا بهؤلاء الأعراب أبداً، فإنّا قد بلوناهم وجَلَبهم لنصر بني قُرَيْظَة ثمّ غرّوهم فلم نَرَ عندهم وفاءً لنا. وقد سار فيهم حُيَيّ بن أَخْطَب وجعلوا يطلبون الصلح من محمّد. ثمّ زحف محمّد إلى بني قُرَيْظَة وانكشفت غَطَفَان راجعةً إلى أهلها».

ولما انتهى الغطفانيون إلى أهلهم بـ (حَيْفَاء)[1] وجدوا أهلهم على حالهم، فقال لهم أهلهم: ظنّنا أنّكم قد غنِمْتُم، فما نرى معكم غنيمة ولا خبراً!!.

وأقام عُيينة أياماً في أهله، ثمّ دعا أحد أصحابه للخروج ثانية إلى نصر يهود، فجاءه الحارث بن عَوْف فقال: «يا عُيَيْنَة! أطِعْني وأَقِمْ في منزلك ودَعْ نصر يهود، مع أني لا أراك ترجع إلى خَيْبَر إلاّ وقد فتحها محمّد ولا آمنُ عليك»، فأبى عيينة أن يقبل قولَه وقال: «لا، لا أُسلمُ حُلَفَائي لشيءٍ».

ولما ولّى عُيَيْنَة عائداً إلى أهله، هجم رسول الله ﷺ على الحصون حِصْناً حِصْناً[2].

(١) حيفاء: موضع بالمدينة منه أجرى النبيّ ﷺ الخيل في المسابقة، انظر معجم البلدان (٣/ ٣٨١).

(٢) مغازي الواقدي (٢/ ٦٥٠ ـ ٦٥٢).

واستسلمت حصون خيبر للمسلمين، فوجدوا فيها من الأطعمة والأقمشة والمتاع كميات ضخمة من الشعير، والتمر، والسّمن، والعَسَل، والزَّيت، والوَدَك، والبُرِّ، والآنية، وخوابي السكّر، وغَنَم، وبقَرٍ حُمُر، وآلات الحرب كالمنجنيقات والدبابات والعُدَد المختلفة. وكان في حصن الصّعب بن مُعَاذ من البَزِّ عشرون عِكْماً[1] مخرومة من غليظ متاع اليمن، وألف وخمسمائة قطيفة، وخَوابي السكّر، وزقاق خَمْـر فأُهريقت، ومن الطعام كميات هائلة، جعل المسلمون يأكلون مقامهم شهراً وأكثر من ذلك الحصن، ويعلفون دوابهم، وأُخرج من البُزوز شيء كثير.

ونظر عيينة إلى حصن الصَّعب بن مُعَاذ، والمسلمون ينقلون منه الطعام والعلف والبَزّ، فقال: «ما أحدٌ يعلِف، لنا دوّابّنا ويطعمنا من هذا الطعام الضائع، فقد كان أهله عليه كِراماً!»، فشتمه المسلمون[2].

وكان عُيينَة قد عاد بأصحابه من غطفان إلى خَيْبَر، فلما قدم خيبر وجد رسول الله ﷺ قد فتح خيبر وغنم المسلمون ما فيها، فقال عيينة: «أَعطِني يا محمّد مما غنمتَ من حلفائي، فإني انصرفتُ عنك وعن قتالك وخذلت حلفائي ولم أكثر عليك، ورجعت عنك بأربعة آلاف مقاتل»، فلم يعطه النبيّ ﷺ من الغنائم شيئاً.

وجعل عيينة يتدّسس إلى يهود ويقول: «ما رأيت كاليوم أمراً! والله ما كنت أرى أحداً يُصيب محمّداً غيركم. قلت: أهل الحصون والعُدَّة والثروة، أعطيتم بأيديكم وأنتم في هذه الحصون المَنِيْعة، وهذا الطعام الكثير ما يوجد له آكل، والماء الواتِن[3]!»، قالوا: قد أردنا الامتناع في قلعة

(١) العكم: ثوب يبسط ويجعل فيه المتاع ويشدّ، انظر تاج العروس (٨/ ٤٠٤).
(٢) مغازي الواقدي (٢/ ٦٦٤ ـ ٦٦٥).
(٣) الواتن: الشيء الثابت الدائم في مكانه، والماء المعين الدائم الذي لا يذهب. (ج): وُتُن.

الزبير[1]، ولكن الدُّبول[2] قُطعت عنّا، وكان الحَرّ، فلم يكن لنا بقاء على العطش!.

قال: «قد ولَّيْتُم من حصون ناعِم منهزمين، حتى صرتم إلى حصن قلعة الزُّبير!»، وجعل يسأل عمّن قُتل منهم فيُخْبَر، فقال: «قتل والله أهل الحِدّ والجَلَد، لا نظام ليهود بالحجاز أبداً!».

وسمع كلامه ثعلبة بن سَلَّام بن أبي الحُقَيْق، وكانوا يقولونه: إنّه ضعيف العقل مُخْتَلِط، فقال: «يا عُيَيْنَة! أنت غررتهم وخذلتهم وتركتهم وقتال محمّد، وقبل ذلك ما صنعتَ ببني قُرَيْظَة!».

وقال رجل من غَطَفان لعُيَيْنَة: «لا أنت نصرتَ حلفاءك فلم يعدّوا عليك حِلْفَنا! ولا أنت حيث ولّيتَ - كنتَ أخذتَ تمر خيبر من محمّد سنة»، فانصرف عيينة إلى أهله يَفْتِلُ يديه[3]! ما فاد حليفاً ولا ضرّ عدوّاً!!.

٧ - حشد غَطَفان على المسلمين:

قدم رجل من أَشْجَعَ يقال له: حُسَيْل بن نُوَيْرَة، وقد كان دليل النبيّ ﷺ إلى خَيْبَر، فقال له رسول الله ﷺ: «من أين يا حُسَيْل؟»، قال: «قدمت من (الجنَاب)[4]»، فقال رسول الله ﷺ: «ما وراءك؟»، قال: «تركتُ جمعاً من غَطَفان بالجِنَاب، بعثَ إليهم عُيَيْنَة يقول لهم: إما تسيروا إلينا وإما نسير إليكم، فأرسلوا إليه: أن سِرْ إلينا حتى نَزْحَف إلى محمّد جميعاً، وهم يريدونك أو بعض أطرافك».

ودعا النبيّ ﷺ أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما، فذكر لهما ذلك، فقالا جميعاً: «ابعث بشير بن سعد!»، فدعا رسول الله ﷺ بشيراً، فعقد له

---

(١) قلعة الزبير: حصن من حصون خيبر.
(٢) الدبول: يبدو أنها عين من عيون خيبر، ولا ذكر لها في معجم البلدان.
(٣) انظر التفاصيل في مغازي الواقدي (٢/ ٦٧٥ - ٦٧٧).
(٤) الجناب: من أرض غطفان، وذكره أيضاً الحازمي وقال: من بلاد فَزَارة، انظر عيون الأثر (٢/ ١٤٨).

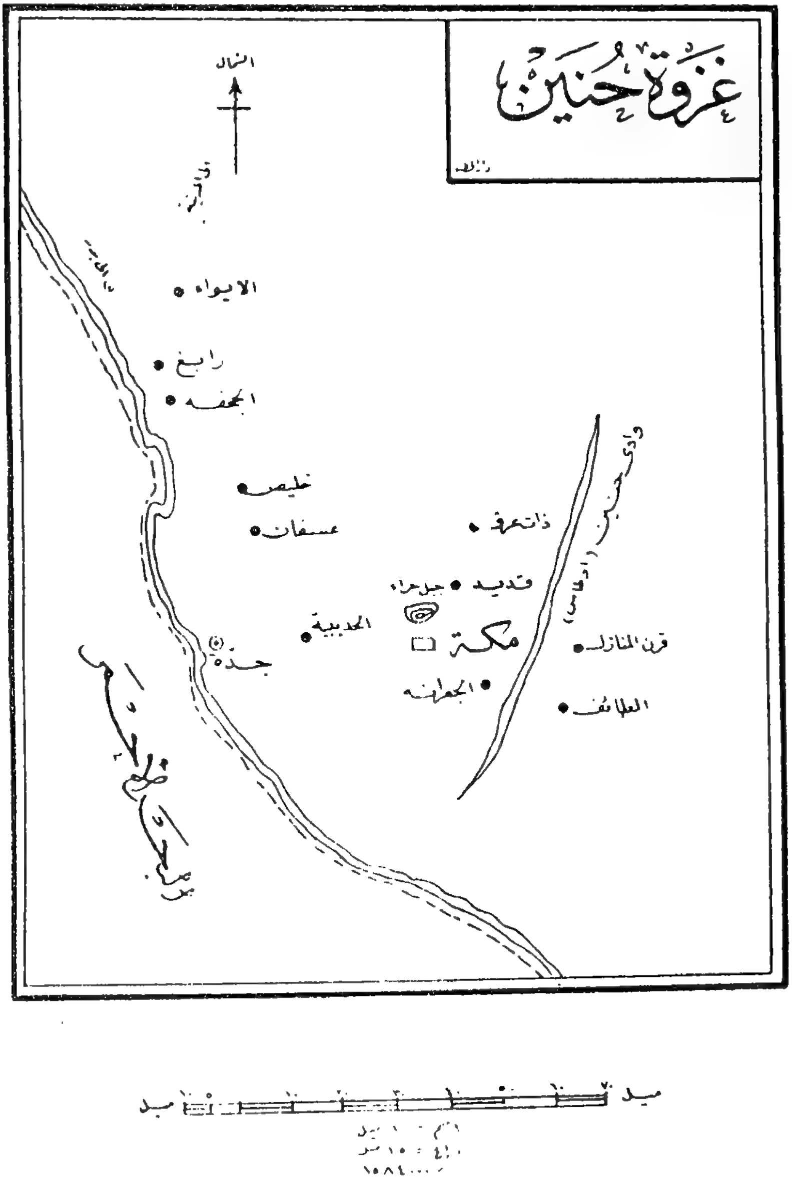

غزوة حنين
الشمال
الابواء
رابغ
الجحفه
خليص
عسفان
ذات عرق
قديد
جبل حراء
الحديبية
مكة
جدة
الجعرانه
قرن المنازل
الطائف

لواءً، وبعث معه ثلاثمائة رجل، وأمرهم أن يسيروا اللّيل ويكمُنوا النّهار، وخرج معهم حُسَيْل بن نُوَيْرَة دليلاً[1]، وكان ذلك في شهر شوّال من السنة السّابعة الهجرية[2].

وسار بشير اللّيل بالمسلمين وكمن النهار حتى أتوا أسفل خَيْبَر، فنزلوا بـ (سَلَاح)[3] ثمّ خرجوا من سلاح حتى دَنَوا من القوم، فقال لهم الدليل: «بينكم وبين القوم ثلثا نهارٍ أو نصفه، فإن أحببتم كمنتِم وخرجتُ طليعةً لكم حتى آتيكم بالخبر، وإن أحببتم سرنا جميعاً»، فقدّموه طليعة، فغاب عنهم ساعةً ثم كرّ عليهم فقال: «هذا أوائل سَرْحهم، فهل لكم أن تُغيروا عليهم؟».

واختلف أصحاب رسول الله ﷺ، فقال بعضهم: إنْ أَغرنا الآن حَذِرَنا الرجال والعَطَن[4]، وقال آخرون: نغنم ما ظهر لنا ثمّ نطلب القوم، فأغاروا على النَّعَم، وأصابوا نَعَماً كثيراً ملأوا منه أيديَهم، وتفرّق الرِّعاء وخرجوا سراعاً، ثم حذِروا الجمع فتفرّق الجمع وحذروا ولحقوا بعلياء بلادهم.

وخرج بشير بأصحابه حتى أتى محالّهم، فلم يجد فيها أحداً، فرجع بالنَّعَم، حتى إذا كانوا بسَلاح راجعين، لقوا عيناً لعُيينة فقتلوه، ثم لقوا جمع عُيينة، وعُيينة لا يشعر بهم، فناوشوهم، فانكشف جمع عُيينة، وتبعهم أصحاب النبيّ ﷺ، فأصابوا منهم رجلاً أو رجلين فأسروهما أسراً، وقدموا بهما على النبيّ ﷺ، فأسلما، فأرسلهما النبيّ ﷺ[5].

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٧٢٧ ـ ٧٢٨).
(٢) طبقات ابن سعد (٢/ ١٢٠)، وعيون الأثر (٢/ ١٤٧).
(٣) سلاح: موضع أسفل من خيبر، انظر معجم البلدان (٥/ ١٠١)، ويقال له أيضاً: سلاج بالجيم، انظر وفاء الوفا (٢/ ٣٢٣).
(٤) العطن: مبرك الإبل ومربض الغنم عند الماء، (ج): أعطان.
(٥) مغازي الواقدي (٢/ ٧٢٨)، وانظر طبقات ابن سعد (٢/ ١٢٠)، وعيون الأثر (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٧٩).

وكان الحارث بن عَوْف المُرِّي حليفاً لعُيينة، ولقيه مُنهزماً على فرس له عتيق يعدو به عدواً سريعاً، فاستوقفه الحارث، فقال: «لا، ما أَقدر! الطّلب خلفي! أصحاب محمّد!»، وهو يركض.

فقال الحارث: «أما لك بَعْدُ أن تُبصر ما أنت عليه؟ إنّ محمداً قد وطىء البلاد وأما مُوْضِعٌ في غير شيء!!». قال الحارث: «فتنحَّيت عن سَنَن خيل محمّد حتى أراهم ولا يروني، فأقمتُ من حين زالت الشّمس إلى اللّيل، ما أرى أحداً ـ وما طلبوه إلاّ الرعب الذي دخله فلقيتُه بعد ذلك، فقلت له: لقد أقمتُ في موضعٍ حتى اللّيل، ما رأيتُ من طلب»، فقال عُيينة: «هو ذاك، إني خفتُ الإِسار، وكان أثري عند محمّد ما تعلم في غير موطن»، فقال الحارث: «قد رأيتُ ورأيتَ معنا أمراً بيِّناً في بني النَّضِيْر ويوم الخَنْدق وقُرَيْظَة، وقبل ذلك قَيْنُقَاع وفي خَيْبَر...»، فقال عيينة: «هو والله ذاك، ولكنّ نفسي لا تُقرّني»، فقال الحارث: «فادخلْ مع محمّد»، قال: «أصِيْرُ تابعاً! قد سبق قوم إليه، فهم يُزرون بمن جاءَ بعدهم، يقولون: شهدنا بَدْراً وغيرها»، فقال الحارث: «وإنما هو على ما ترى، فلو تقدّمنا إليه لكنّا من عِلية أصحابه، قد بقي قومه بعدهم منه في مُوادَعة، وهو مُوْقِعٌ بهم وقعةً ما وَطِىءَ له الأَمرُ»، فقال عُيينة: «أرى والله».

واتَّعدا يريدان الهجرة والقدوم على النبيّ ﷺ، إلى أن مرّ بهما فَرْوَة ابن هُبَيْرَة القُشَيْرِيّ يريد العُمْرَة وهما يتقاولان، فأخبراه بما كانا فيه وما يريدان، فقال فَرْوَة: «لو استأنيتم حتى تنظروا ما يصنع قومه في هذه المدّة التي هم فيها وآتيكم بخبرهم»، فأخّروا القدوم على رسول الله ﷺ.

ومضى فَرْوَة حتى قدم مكّة واتّصل برؤساء القبائل وسادة قريش، فوجد أنّه ليس عند القوم شيء يضرّ ضرراً مؤثّراً حقيقياً في المسلمين.

ورجع فرْوَة ولقي الحارث وعُيينة فأخبرهم وقال لهم: «قارِبوا الرَّجل

وتدبّروا الأمر»، يريد مقاربة النبيّ ﷺ، فقدّموا رِجْلاً وأَخّروا أُخرى[1]، وبقيا مترددين لا يثبتون على قرار.

بعد الإسلام

١ ـ إسلامه:

أسلم عُيينة بعد فتح مكّة، وقيل: قبل الفتح، وشهد الفتح مُسْلماً[2]، ونصّ ابن حجر العَسْقلاني على أنّه: أسلم قبل الفتح وشهدها وشهد حُنَيناً والطّائف[3]، وهو ما أرجّحه، لأنّه جزم في ذكر إسلامه، بينما لم يجزم غيره ورَوى أنّه أسلم قبل الفتح أو بعده، دون أن يبتّ في الأمر، كما أرجحه للسبب الذي سأذكره وشيكاً أيضاً[4].

ولكننا لا نعلم متى أسلم، إلاّ أنّه كان مشركاً حتى السنة السّابعة الهجرية، فيبدو أنّه أسلم في أواخر السنة السّابعة الهجريّة أو أوائل السنة الثامنة الهجريّة، فشهد مع النبيّ ﷺ فتح مكة المكرّمة التي كانت في رمضان من تلك السّنة.

٢ ـ في غزوة الفتح:

كان عُيَيْنَة في أهله بِنَجْدٍ، فأتاه الخبر أنّ رسول الله ﷺ يريده وجْهاً، وقد تجمّعت العرب إليه، فخرج في نفرٍ من قومه حتى قدم المدينة، فوجد رسول الله ﷺ قد خرج قبله بيومين، فسلك عن ركوبه فسبق إلى (العَرْج)[5]، فوجده رسول الله ﷺ بالعَرْج. ولما نزل رسول الله ﷺ العَرْج

(١) مغازي الواقدي (١/ ٧٢٧ ـ ٧٣١).
(٢) الاستيعاب (٣/ ١٤٤٩)، وأسد الغابة (٤/ ١٦٧)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٤٩).
(٣) الإصابة (٥/ ٥٥).
(٤) انظر ذلك في قصة فتح مكة، وكيف شهدها عيينة.
(٥) العرج: عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج، تذكر مع السُّقْيا، انظر معجم البلدان (٦/ ١٤١).

أتاه عُيينة فقال: «يا رسول الله! بلغني خروجك ومَنْ يجتمع إليك، فأقبلتُ سريعاً ولم أشعر فأجمع قومي فيكون لنا جَلَبَة كثيرة، ولستُ أرى هيأة حرب، لا أرى ألوية ولا رايات! فالعُمْرَة تريد؟ فلا أرى هيأة الإحرام! فأين وجهك يا رسول الله؟»، قال: «حيث يشاء الله».

وسار مع النبيّ ﷺ، ووجد الأَقْرَع بن حابِس بـ(السُّقْيا)[1] قد وافاه في عشرة نفرٍ من قومه، فساروا معه.

ولما نزل النبيّ ﷺ (قُدَيْداً)[2]، عقد الألوية وجعل الرّايات، فلما رأى عُيينة القبائل تأخذ الرايات والألوية عضّ على أنامله، فقال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: «عَلاَمَ تندم؟!»، قال: «على قومي ألاّ يكونوا نفروا مع محمّد، فأين يريد محمّد يا أبا بكر؟»، قال: «حيث يشاء الله!»، فدخل رسول الله ﷺ مكّة بين الأَقْرَع بن حابس وعُيينة[3].

وقد كان فتح مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة الهجرية[4].

وفي قُدَيد، لقيت النبيّ ﷺ (سُلَيْم)، وهم تسعمائة على الخيول جميعاً، مع كلّ رجل رمحه وسلاحه، ومعهما الرّسولان اللّذان كانا أرسلهما رسول الله ﷺ إليهم، فذكرا أنّهم أسرعوا إلى رسول الله ﷺ حيث نزلا عليهم وحشدوا[5]. قال عبّاس بن مِرْدَاس السُّلَميّ: «لقيتُه - يريد رسول الله ﷺ - وهو يسير، حتى هبط من (المُشَلَّل)[6] في آلة الحربِ،

(١) السُّقْيا: قرية جامعة من عمل الفُرْع بينهما مما يلي الجحفة تسعة عشر ميلاً، انظر معجم البلدان (٥/ ٩٤).
(٢) قُديد: اسم موضع قرب مكة، انظر معجم البلدان (٧/ ٣٨).
(٣) مغازي الواقدي (٢/ ٨٠٣ - ٨٠٤).
(٤) انظر طبقات ابن سعد (٢/ ١٣٤)، وعيون الأثر (٢/ ١٦٣)، والدرر (٢٢٧)، وجوامع السيرة (٢٢٦).
(٥) مغازي الواقدي (٢/ ٨١٢ - ٨١٣).
(٦) المشلّل: جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر - بحر الأحمر - انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ٦٧).

والحديد ظاهر علينا، والخيل تنازعنا الأَعِنَّة، فصففنا لرسول الله ﷺ، وإلى جنبه أبو بكر وعمر، فنادى عُيينة من خلفه: أنا عُيَيْنَة! هذه بنو سُلَيْم، قد حضرت بما ترى من العُدَّة والعَدَد والسِّلاح: وإنّهم لأَحْلاس[1] الخيل، ورجال الحرب، ورعاة الحَدَق[2]! فقلت: اقْض أيّها الرّجل! فوالله إنّك لتعلم لنحن أفرس على متون الخيل، وأطعن بالقَنا، وأَضرب بالمَشْرَف[3] منك ومن قومك! فقال عُيينة: كذبتَ ولؤُمت! لنحن أولى بما ذكرتَ منك. قد عرفتْه لنا العرب قاطِبة، فأومأ إليهما النبيّ ﷺ بيده حتى سكتا»[4].

٣ ـ في غزوة حُنَيْن[5]:

وكانت في شهر شَوّال من السنة الثامنة الهجريّة، وقد شهدها عيينة مع المسلمين[6].

وصلّى رسول الله ﷺ الظُّهر يوماً بحُنَيْن، ثمّ تنحّى إلى شجرة فجلس إليها، فقام إليه عُيينة يطلب بدم عامر بن الأَضْبَط الأَشْجَعِيّ، ومعه الأَقْرَع بن حابس يدفع عن مُحَلِّم بن جَثَّامة لمكانه من خِنْدف، فاختصما بين يدي النبيّ ﷺ وعُيينة يقول: «يا رسول الله! لا والله لا أدعه حتى أُدخل على نسائه من الحَرَب[7] والحزن ما أدخل على نسائي»، فقال رسول الله ﷺ: «تأخذ الدِّيَة؟»، ويأبى عيينة، وارتفعت الأصوات وكثر اللّغط إلى أن قام رجل من بني ليث يقال له مُكَيْتَل، قصير، مجتمع عليه،

---

(١) الأحلاس: جمع حلس، وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب، انظر النهاية (١/٢٤٩)، ويريد: لزوم لظهور الخيل.

(٢) الحدق: جمع حدقة، وهي سواد العين، والمعنى هنا، أنهم يصيبون العين إذا رموا.

(٣) السيوف المشرفية: تنسب إلى مشارف الشام، انظر القاموس المحيط (٣/١٥٨).

(٤) مغازي الواقدي (٢/٨١٣ ـ ٨١٤).

(٥) حنين: وادٍ قبل الطّائف بينه وبين مكة ثلاث ليالٍ، انظر معجم البلدان (٣/ ٣٥٤).

(٦) أسد الغابة (٤/١٦٧)، والاستيعاب (٣/١٢٤٩)، والإصابة (٥/٥٥)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/٤٩).

(٧) الحرب: الويل والهلاك.

شكّـة[1] كاملة ودَرَقَةٌ في يده، فقال: «يا رسول الله! إني لم أجد لما فعل هذا شبهاً في غُرَّة الإسلام[2] إلاّ غنماً وَرَدَتْ فَرُمِيَتْ أُولاها، فَنَفَرَتْ أُخراها، فاسْنُن[3] اليوم وغَيِّر غداً، فرفع رسول الله ﷺ يده فقال: «تقبلون الديّة خمسين في فورنا هذا وخمسين إذا رجعنا المدينة!».

ولم يزل رسول الله ﷺ بالقوم حتى قبلوها.

وكان مُحَلِّم بن جَثَّامة القاتل في طرف الناس، فلم يزالوا يقولون له: ايتِ رسول الله ﷺ يستغفر لك، فقام، وكان طويلاً آدَم[4] عليه حُلَّة، قد كان تهيّأ فيها للقتل للقِصاص، حتى جلس بين يدي النبيّ ﷺ وعيناه تدمعان، فقال: «يا رسول الله! قد كان من الأمر الذي بلغكم، فإني أتوب إلى الله تعالى، فاستغفِرْ لي، فقال رسول الله ﷺ: «ما اسمك؟»، قال: «مُحَلِّم بن جَثَّامة»، قال: «قتلته بسلاحك في غُرّة الإسلام! اللّهم لا تغفر لمُحَلِّم!» بصوت عالٍ يتفقّد به الناس. فقال: «يا رسول الله! قد كان الذي بلغك، وإني أتوب إلى الله تعالى، فاستغفرْ لي»، فعاد رسول الله ﷺ بصوت عالٍ يتفقّد به الناس: «اللّهم لا تغفر لمُحَلِّم»، حتى كانت الثالثة، فعاد رسول الله ﷺ لمقالته، ثمّ قال له رسول الله ﷺ: «قُمْ!»، فقام من بين يَدي رسول الله ﷺ وهو يتلقّى دمعه بفضْل ردائه، وكان ضَمْرَة السُّلَميّ يُحدِّث ـ وكان قد حضر ذلك اليوم، قال: «كنّا نتحدّث بيننا أنّ رسول الله ﷺ حرّك شفتيه باستغفار له، ولكنّه أراد أن يُعلِم قدرَ الدم عند الله»[5].

---

(١) الشكّة: السلاح.

(٢) غرّة الإسلام: أوّله، انظر النهاية (٢/ ١٥٥).

(٣) أي: اعمل بسنّتك التي سننتها في القصاص، ثم بعد ذلك إذا شئت أن تغيِّر فغيِّر، انظر النهاية (٢/ ١٨٦).

(٤) آدم من الناس: أسمر.

(٥) مغازي الواقدي (٣/ ٩١٩ ـ ٩٢١).

وكان مُحَلِّم بن جَثَّامَة اللَّيْثي في سرية أبي قتادة بن رِبْعِي الأنصاري إلى بطن إضَم[1]، فمرّ بهم عامر بن الأَضْبَط الأشْجَعِيّ فسلّم على سرية أبي قَتادة بتحيّة الإسلام، فأمسك عنه أفراد السرية عدا مُحَلِّم بن جَثَّامَة الذي حمل عليه فقتله وسلبه بعيراً له ومتاعاً ووَطْباً[2] من لبن كان معه، فلما لحقت السرية بالنبيّ ﷺ نزل الآية الكريمة: ﴿**يا أَيُّها الَّذين آمَنُوا إذا ضَرَبْتُمْ في سَبِيْلِ اللَّهِ فتبَيَّنُوا، ولا تَقُوْلُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً، تَبْتَغُوْنَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيا**﴾[3]... الآية، فانصرف القوم ولم يلقوا جمعاً حتى انتهوا إلى (ذِيْ خُشُب)[4]، فبلغهم أنّ رسول الله ﷺ قد توجّه إلى مكّة، فلحقوا بالنبيّ ﷺ بالسُّقْيا[5].

أما لماذا طالب عُيَينة بدم عامِر بن الأَضْبَط الأشجعي، فلأنّ بني أشجع من غَطَفان: أشجع بن رَيْث بن غَطَفَان[6]، وعُيَيْنَة سيِّد غَطَفَان.

أما لماذا دافع الأقرع بن حابس التَّمِيْمي عن مُحَلِّم بن جُثّامَة اللَّيْثِيّ، لأنّ بني ليث بن بكر بن عبْد مَناة بن كِنَانة[7]، وبني تَميم بن مُرّ بن أُدّ طابخة بن إلياس بن مُضَر[8]، وكِنَانة بن إلياس بن مُضَر، وبني ليث وبني تميم أولاد أعمام ومن مضر وكان الأقرع بن حابس سيد تَمِيْم.

ولجاج عيينة والأقرع أثر من آثار الجاهلية، فوضع النبيّ ﷺ حلاًّ جذرياً لهذا اللِّجاج الذي كان يمكن أن يتطوّر، وكان حلّه عليه الصّلاة والسّلام حلاًّ رائعاً حقاً.

---

(١) بطن إضم: ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة عند السمينة، انظر معجم البلدان (١/ ٢٨١).
(٢) الوطب: سقاء اللّبن خاصة.
(٣) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٩٤).
(٤) ذو خشب: وادٍ على ليلة من المدينة، انظر وفاء الوفا (٢/ ٢٩٩).
(٥) مغازي الواقدي (٢/ ٧٩٧).
(٦) جمهرة أنساب العرب (٢٤٩).
(٧) جمهرة أنساب العرب (١٨٠).
(٨) جمهرة أنساب العرب (١٩٨).

٤ ــ في غزوة حصار الطّائف:

وكانت في شهر شوّال من السنة الثامنة الهجرية[١]، وقد شهدها عيينة مع المسلمين[٢].

وهناك روايات تدلّ على أنّه كان مع المسلمين في الظّاهر ومع أهل الطّائف في الباطن، وأنّه كان يتمنّى للمسلمين الهزيمة، وللمشركين النصر، ولكن تلك الروايات لا ترقى إلى درجة اليقين، فهي أشبه بقصص الأسماء منها بحقائق التاريخ، لذلك لم نجد مسوِّغاً لذكرها.

وانصرف رسول الله ﷺ عن الطّائف حتى نزل (الجِعْرانة)[٣] فيمن معه من الناس، ومعه من هَوَازِن سَبْيٌ كثير: ستة آلاف من الذَّراري والنسائي، ومن الإبل والشّاء ما لا يُدْرى عِدَّته.

وأتاه وفد هوازن وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله! إنّا أَصْلٌ وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يَخْفَ عليك، فامْنُنْ علينا مَنّ الله عليك.

ثمّ قام رجل من هوازن، أحد بني سعد بن بكر، يقال له زهير، يكنى أبا صُرَد، فقال: «يا رسول الله! إنّما في الحَظائر[٤] عَمّاتُك وخالاتك وحواضنك[٥] اللاّتي كُنَّ يَكْفُلْنَك، ولو أنّا مَلَحْنا[٦] للحارث بن أبي شمر أو للنُّعْمان بن المنذر، ثمّ نزل منّا بمثل الذي نزلتَ به رَجَوْنا عَطْفَهُ

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/١٥٨).

(٢) أسد الغابة (٤/١٦٧)، والإصابة (٥/٥٥)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/٤٩).

(٣) الجعرانة: هي ماء بين الطّائف ومكّة، وهي إلى مكّة أقرب، انظر معجم البلدان (٣/١٠٩).

(٤) الحظائر: جمع حظيرة، وأصلها ما يُصْنع للإبل والغنم ليكفّها ويمنعها الانفلات.

(٥) حواضنك: النساء اللاتي أرضعنك لأنّ حاضنة رسول الله ﷺ من بني سعد وهم من هوازن.

(٦) ملحنا: أرضعنا، والملح: الرضاع.

وعائدته[1] علينا، وأنت خير المكفولين»، فقال رسول الله ﷺ: «أبناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم؟»، فقالوا: «يا رسول الله! خيّرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل تردّ إلينا نساءنا وأبناءنا، فهو أحبّ إلينا».

وقال لهم النبيّ ﷺ: «أما ما كان لي ولبني عبد المطّلب فهو لكم، وإذا ما أنا صليتُ الظهرَ بالناس، فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله [ﷺ] إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله [ﷺ] في أبنائنا ونسائنا، فسأُعطيكم عند ذلك وأسأل لكم».

فلما صلّى رسول الله ﷺ الظهر بالناس قاموا فتكلّموا بالذي أمرهم به رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أما ما كان لي ولبني عبد المطّلب فهو لكم»، فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، فقال الأقرع بن حابِس: «أما أنا وبنو تَمِيْم فلا»، وقال عُيينة: «أما أنا وبنو فَزَارة فلا»، وقال عباس بن مِرْداس: «أما أنا وبنو سُلَيْم فلا»، فقالت بنو سُلَيْم: بلى! ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

وقال رسول الله ﷺ: «أما مَنْ تَمسَّكَ منكم بحقِّه من هذا السَّبي، فله بكل إنسان ست فرائض من أوّل سَبْي أُصيبه»، فردّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم[2].

وأعطى رسول الله ﷺ المُؤَلَّفَةَ قلوبهم، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس، يتألّفهم ويتألّف بهم قومهم، فأعطى رجالاً من رؤساء قريش ومن رؤساء القبائل، فكان ممن أعطاهم من رؤساء القبائل: الأَقرع بن حابس التَّميمي مائة بعير، ومالك بن عَوْف النَّصْري مائة بعير، وعُيينة بن حِصْن مائة بعير، وأعطى عبّاس بن مِرْداس أباعِرَ قليلة[3]، فتسخَّطَها وقال في ذلك:

---

(١) عائدته: فضله.

(٢) سيرة ابن هشام (٤/ ١٣٤ ـ ١٣٦)، وجوامع السيرة (٢٤٤ ـ ٢٤٥)، والدرر (٢٤٥)، وانظر مغازي الواقدي (٣/ ٩٤٩ ـ ٩٥٥).

(٣) سيرة ابن هشام (٤/ ١٣٩ ـ ١٤٠)، والدرر (٢٤٦ ـ ٢٤٧)، وجوامع السيرة =

كانَتْ نِهَاباً تَلافَيْتُها ... بِكَرِّي على المُهْرِ في الأَجْرَعِ[1]
وإيقاظِيَ القومَ أن يَرْقُدوا ... إذا هَجَعَ النَاسُ لم أَهْجَعِ[2]
فأصبح نَهْبِيْ ونَهْبُ العُبَيْـ ... ـدِ ابن عُيينة والأَقرعِ[3]
وقد كنتُ في الحرب ذَا تَدْراءٍ ... فلم أُعْطَ شيئاً ولم أُمْنَعِ[4]
إلَّا أفائِلَ أُعْطِيْتُهَا ... عَدِيدَ قوائِمِها الأَرْبَعِ[5]
وما كان حِصْنٌ ولا حابسٌ ... يَفُوْقَانِ شَيْخِيَ في المَجْمَعِ[6]
وما كنت دونَ امْرِئٍ منهما ... ومَنْ تَضَعِ اليومَ لا يُرْفَعِ

ويروى البيت الأخير:

فما كان حِصْنٌ ولا حابِسٌ ... يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ في المَجْمَعِ

فقال رسول الله ﷺ: «اذهبوا به، فاقطعوا عنى لِسَانَه»، فأعطوه حتى رضي، فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به رسول الله ﷺ[7].

والحق أنّ عُيينة والأقرع ليسا كعبّاس، فهما مسيطران على قبائلهما وهو ليس بمسيطر، وفَزَارة تطيع عُيينة ولا تعصي له أمراً، وتَميم تطيع الأقرع ولا تعصي له أمراً كما رأينا، وسُلَيْم لا تطيع العبّاس وتعصي أمره،

= (٢٤٦). انظر مغازي الواقدي (٣/ ٩٤٦).

(١) الضمير المستتر في (كانت) يعود إلى الإبل والماشية. والنهاب: جمع نهب، وهو ما يُنهب ويُغنم، والأجرع: المكان السهل.

(٢) هجع: نام.

(٣) العبيد: اسم فرس العباس بن مرداس.

(٤) تدرأ: بضم فسكون ففتح ـ يريد ذا دفع وصد لغارات الأعداء، من قولك: درأه: إذا دفعه ومنعه.

(٥) أفائل: جمع أفيل، وهو الصغير من الأبل.

(٦) حصن: أبو عيينة، وحابس: أبو الأقرع، وشيخه: أراد به أباه.

(٧) سيرة ابن هشام (٤/ ١٤٠ ـ ١٤١)، والدرر (٢٤٧)، وانظر مغازي الواقدي (٣/ ٩٤٦ ـ ٩٤٧).

فما ينبغي أن يكون ما يُعطى لعيينة والأقرع كما يعطى لعباس، وهكذا فعل عليه الصّلاة والسّلام.

وكان لشباب الأنصار في تقسيم الغنائم كلام لم يَرْض به أشياخهم ولا خيارهم، فذكّرهم رسول الله ﷺ بنعمة الله تعالى عليهم بالإسلام، وبه عليه الصّلاة والسّلام، وأنّه إنّما أعطى قوماً حديثي عهد بالإسلام يتألّفُهم على الإسلام، فرضوا رضوان الله عليهم[1].

وقال قائل لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله! أعطيتَ عيينة بن حِصْن والأقرع بن حابس مائة مائة، وتركت جُعَيْل بن سُراقَة الضَّمْرِيّ!»، فقال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفس محمّد بيده، لَجُعَيْلُ بن سُرَاقَة خير من طلَاع[2] الأرض كلُّهم مثل عُيينة بن حِصْنٍ والأَقرعِ بن حابِس، ولكنني تأَلَّفْتُهما لِيُسْلِما، ووَكَلْتُ جُعَيْل بن سُرَاقة إلى إسلامه»[3].

٥ ــ قائد السريّة إلى بني تَمِيْم:

لما رجع رسول الله ﷺ من الجِعْرانة، قدم المدينة يوم الجمعة لثلاث ليالٍ بقين من ذي القعدة، فأقام بقيّة ذي القعدة وذي الحجّة، فلما رأى هلال المحرّم بعث المصدِّقين، وبعث بُسْر بن سُفيان الكَعْبِيّ إلى بني كَعْب، فخرج بُسْر على صدقات بني كَعْب، ويقال: إنّما سعى عليهم نُعَيْم بن عبد الله النَّحّام العَدَوِيّ، فجاءَ وقد حلّ بنواحيهم بنو جُهَيْم من بني تَمِيم، وبنو عمرو بن جُنْدُب بن العُتَيْر بن عمرو بن تَميم على غدير لهم بـ (ذات الأَشْطَاط)[4]، ويقال: وجدهم على (عُسْفَان)[5]. وأمر بُسْر بجمع مواشي

(١) جوامع السيرة (٢٤٧)، وانظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (٤/١٤٦ ـ ١٤٨)، ومغازي الواقدي (٣/٩٥٦ ـ ٩٥٨).

(٢) طلاع الأرض: ملؤها، أو ما يملؤها حتى يطلع عنها.

(٣) سيرة ابن هشام (٤/١٤٣ ـ ١٤٤)، وجوامع السيرة (٢٤٧ ـ ٢٤٧).

(٤) ذات الأشطاط: موضع تلقاء الحديبية، انظر معجم ما استعجم (١٢٨).

(٥) عسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة، على مرحلتين من مكة، وهي حد تهامة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/١٧٣ ـ ١٧٤).

خُزاعة ليأخذ منها الصَّدَقة، فحشرت خُزاعة الصّدَقة من كلِّ ناحية، واستنكرت ذلك بنو تميم وقالوا: ما هذا؟ تؤخذ أموالكم منكم بالباطل!! وتجيَّشوا وتقلَّدوا القِسِيّ وشهروا السيوف، فقال الخُزاعيّون: نحن قوم نَدين بدين الإسلام، وهذا من ديننا، وقال التَّميميّون: والله لا يصل إلى بَعيرٍ منها أبداً.

ولما رآهم المُصدِّق، هرب منهم وانطلق مؤلِّياً وهو يخافهم، والإسلام يومئذ لم يعمّ العرب، وقد بقيت بقايا من العرب. وقد كان رسول الله ﷺ قد أمر مصدِّقيه أن يأخذوا العَفْوَ منهم ويتوقّوا كرائم أموالهم، فقدم المصدِّق على النبيّ ﷺ فأخبره الخبر، وقال: «يا رسول الله! إنما كنتُ في ثلاثة نفرٍ، فوثبت خُزاعة على التّميميّين فأخرجُوهم من مَحالِّهم، وقالوا: لولا قرابتكم ما وصلتم إلى بلادكم، ليدخلنّ علينا بلاءٌ من عَداوة محمّد ﷺ وعلى أنفسكم حيث تعرِضون لرُسُل رسول الله ﷺ، تردّونهم عن صدقات أموالنا، فخرجوا راجعين إلى بلادهم».

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ لهؤلاء القوم الذين فعلوا ما فعلوا؟»، فانتدب أوّل الناس عيينة، فقال: «أنا والله لهم، أتبع آثارهم ولو بلغوا (يَبْرِين)[١] حتى آتيك بهم إن شاء الله، فترى فيهم رأيك أو يُسْلِموا»[٢].

وبعث النبيّ ﷺ في المحرّم سنة تسع الهجرية عُيَيْنَة قائداً لسرية في خمسين فارساً من العرب، ليس فيهم مُهاجريّ ولا أنصاري إلى بني تَمِيْم الذي كانوا فيما بين السُّقيا وأرض بني تميم، فكان يسير اللّيل ويكمن النهار وهجم عليهم، فلما رأوا الجمّع ولّوا الأدبار، وأخذ منهم أحد عشر رجلاً وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيّاً، فجلبهم عُيينة إلى المدينة، فأمر بهم رسول الله ﷺ فحبسوا في دار رَمْلَة بنت الحارث.

---

(١) يبرين: رمل معروف في ديار بني سعد من تميم، انظر معجم ما استعجم ص (٨٤٩).

(٢) مغازي الواقدي (٣/ ٩٧٣ ـ ٩٧٥).

وقدم في السّبْي عدّة من رؤساء تميم، منهم عطارد بن حاجب والزِّبْرقان بن بَدْر وقيس بن عاصِم والأقرع بن حابِس وقيس بن الحارث ونُعَيْم بن سعد وعمرو بن الأَهْتَم ورَباح بن الحارث بن مُجاشِع. فلما رأوهم بكى إليهم النِّساء والذّراري فعجلوا، وجاءوا إلى باب النبيّ ﷺ، فنادوا: يا محمّد! اخْرج إلينا!.

وخرج رسول الله ﷺ، وأقام بِلال الصّلاة، وتعلّقوا برسول الله ﷺ يكلِّمونه، فوقف معهم، ثمّ مضى فصلّى الظّهر. وقُضيت الصّلاة، فجلس عليه الصّلاة والسّلام في صَحْن المسجد، فقدّم وفدُ تميم عُطاردَ بن حاجب فتكلّم وخطب، فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شمّاس، فأجابهم[1]. ثم قدّم الوفد شاعرهم الزِّبْرِقان بن بَدْر، فأمر رسول الله ﷺ حَسّان بن ثابت فأجابهم أيضاً[2].

ونزل في وفد بني تميم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُم لا يَعْقِلُونَ﴾[3]، فردّ عليهم رسول الله ﷺ الأسرى والسّبْي[4].

لقد استطاع عُيَيْنة أن يؤدِّيَ واجبه في قيادة هذه السرية، فكان عند حسن ظن النبيّ ﷺ والمسلمين به، فلقّنَ بني تَمِيْم الذين لم يستجيبوا للمتصدِّق الذي بعثه النبيّ ﷺ ومنعوا الزّكاة ـ درساً لا ينسونه، فباغت جموعهم مباغتة بالغة؛ إذ هجم عليهم في وقت لا يتوقّعونه، وبذلك شلّ طاقاتهم الفكريّة لإعداد خطّة مناسبة يتصدون بها لسريته ويصدّون بها هجوم

(١) انظر نص الخطابين في مغازي الواقدي (٣/ ٩٧٦ ـ ٩٧٧)، وسيرة ابن هشام (٤/ ٢٢٤).
(٢) انظر نص القصيدتين في مغازي الواقدي (٣/ ٩٧٧ ـ ٩٧٨)، وسيرة ابن هشام (٤/ ٢٢٥ ـ ٢٣٢).
(٣) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ٤).
(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ١٦٠ ـ ١٦١)، وعيون الأثر (٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٥).

السريّة المباغت، فتبدّدت إدارتهم على القتال، ولم يَعُد أمامهم غير الهزيمة والنّجاة بأنفسهم، فتغلّبت الفئة القليلة وهي سرية عيينة على الفئة الكثيرة وهي حشود تميم، وكان لقيادة عُيينة أكبر الأثر في انتصار سريته على المنحرفين من بني تميم.

وقد كان حول حياة عيينة بعد إسلامه شكوك، مما أدّى إلى اختلاف الناس في أمره، كما سننوّه بذلك في الحديث عنه إنساناً، ولا أعتقد أنّ هناك مَنْ يختلف في حسن قيادته لسريته، ولعلّ هذا الواجب هو النقطة المضيئة في حياة عيينة التي لا يختلف في تقديرها حق تقديرها اثنان.

الإنســـان

كان حِصْن أبو عيينة سيِّد قومه، وكان له من الأبناء عشرة ذكور منهم: عُيَيْنة بن حِصْن، وقيس بن حِصْن، وخارجة بن حصن، وحَسَّان بن حصن، وجابية بن حصن، وعُقْبَة بن حِصْن، وعمرو بن حِصْن[١].

ولم يكن عُيَيْنَة أكبر إخوتـه، ولكن أباه سوّده على إخوته وقومه من بعده دون سائر إخوته، فقد جمع حِصْن بن حُذيفة أولاده العشرة على فراش الموت، وكان سبب موته أنّ كُرْز بن العُقَيل طعنه فاشتدّ مرضه، فقال لأولاده بعد أن جمعهم: «الموت أروح مما أنا فيه، فأيّكم يطيعني؟»، قالوا: كلُّنا! وبدأ حِصن بالأكبر فقال: «خذ سيفي هذا، فضعه على صدري، ثم اتّكِىءْ عليه حتى يخرج من ظهري»، فقال: «يا أبتاه! هل يقتل الرَّجل أباه!!»، فعرض ذلك عليهم واحداً واحداً، فأبوا إلاّ عُيينة، فقال له: «يا أبَتِ! أليس لك فيما تأمرني به راحة وهوى. ولك فيه مني طاعة؟»، قال: «بَلَى»، قال: «فَمُرْني كيف أصْنَع!»، قال: «ألق السّيْفَ يا بُنيّ، فإني أردتُ أن أبلوكُم فأعرف أطوعكم لي في حياتي، فهو أطوع لي بعد موتي، فإذا أنت سيِّد ولدي من بعدي ولك رياستي». فجمع بني بَدْر، فأعلمهم

(١) جمهرة أنساب العرب (٢٥٦).

ذلك، فقام عُيينة بالرياسة بعد أبيه وقَتَل كُرْزاً[1] الذي قتل أباه.

وكان لعيينة من الأبناء: عِمْران، وأَبَان، وسعيد، وعُقْبَة، وحبيب، وزيد، وعَنْبَسَة[2].

وكان عيينة في الجاهلية من الجرّارين يقود عشرة آلاف[3]، ولم يكن الرجل يسمى: جراراً، حتى يرأس ألفاً[4]، وقد قاد غطفان إلى بني تَغْلِب[5].

وأصبح من المؤلَّفة قلوبُهم بعد إسلامه[6]، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس، يتألّفهم النبيّ ﷺ ويتألّف بهم قومهم[7]، وسائر المؤلفة قلوبهم منهم الخيِّر الفاضل المُجْمَع على خيره، وحسنُ إسلام المؤلّفة قلوبهم حاشا عُيينة، فلم يزل مغموزاً عليه[8]، وكان أعرابيّاً جافياً جِلْفاً مجنوناً أحمق مطاعاً في قومه[9]، وهو الأحمق المطاع[10]؛ وكان معدوداً من حمقى العرب[11].

قيل: إنّه دخل على النبيّ ﷺ من غير إذن، فقال له النبيّ ﷺ: «أين الإذن؟»، فقال: «ما استأذنتُ على أحد من مُضَر!»[12].

---

(١) الإصابة (٥/ ٥٥ ـ ٥٦).
(٢) جمهرة أنساب العرب (٢٥٦).
(٣) أسد الغابة (٤/ ١٦٧)، وانظر المحبّر (٢٤٩).
(٤) المحبّر (٢٤٦).
(٥) المحبّر (٢٤٩).
(٦) سيرة ابن هشام (٤/ ١٣٩)، والدرر (٢٤٦).
(٧) سيرة ابن هشام (٤/ ١٣٩).
(٨) الدرر (٢٥٢).
(٩) الدرر (٢٧١).
(١٠) المحبّر (٢٤٩).
(١١) المحبّر (٣٨٠).
(١٢) أسد الغابة (٤/ ١٦٧).

وجاء عُيينة إلى النبيّ ﷺ وعنده عائشة، فقال: «مَنْ هذه؟» ـ وذلك قبل أن ينزل الحِجَاب ـ قال: «هذه عائشة!»، قال: «أفلا أنزل لك عن أُمِّ البنين فتنكحها؟»، فغضبت عائشة، وقالت: «مَنْ هذا!»، فقال رسول الله ﷺ: «هذا أحمق مطاع»، يعني في قومه[1].

وفي غير هذه الرواية في هذا الخبر، أنّه دخل على رسول الله ﷺ بغير إذْنٍ، فقال له رسول الله ﷺ: «وأين الإذْن؟»، فقال: «ما استأذنت على أحدٍ من مُضَر!»، وكانت عائشة مع النبيّ ﷺ جالسةً، فقال: «مَنْ هذه الحُمَيْراء؟»، فقال: «أُمّ المؤمنين»، فقال: «أفلا أنزل لك عن أجمل منها!»، فقالت عائشة: «مَنْ هذا يا رسول الله؟»، فقال: «هذا أحمق مُطَاع، وهو على ما ترين سيِّد قومه»[2].

ورأى عُيينةُ عند رسول الله ﷺ سلمانَ الفارسي يوماً وعليه شَمْلة، فقال له: «إذا دخلنا عليك فَنَحِّ عنّا هذا وأمثاله، فنزل فيه قوله تعالى: **﴿واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الذين يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ بالغَداةِ والعَشِيِّ يُرِيدونَ وَجْهَهُ ولاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ولا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا واتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾**[3]، أي عجلاً يفرط منه بغير فكرٍ[4].

كما نزل قوله تعالى: **﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأعرابِ مُنَافِقُوْن﴾**[5]، في رجال من العرب منهم عُيينة وقومه معه، يُرضون أصحاب النبيّ ﷺ ويُرونهم أنّهم معهم ويُرضون قومهم[6].

وارتدّ عيينة حين ارتدّت العرب بعد التحاق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى،

---

(١) الاستيعاب (٣/ ١٢٤٩ ـ ١٢٥٠).

(٢) الاستيعاب (٣/ ١٢٥٠)، وانظر أنساب الأشراف (١/ ٤١٤).

(٣) الآية الكريمة من سورة الكهف (١٨: ٢٨).

(٤) أنساب الأشراف (١/ ٤٨٧).

(٥) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩: ١٠١).

(٦) مغازي الواقدي (٣/ ١٠٢٥) و (٣/ ١٠٧٢).

ولحق بطُلَيْحَة بن خُوَيْلِد الأَسَدِي حين تنبَّأَ وآمن به، فلما هُزم طُليحة وهرب، أخذ خالد بن الوليد عُيينة، فبعث به إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه في وثاق، فقدم به المدينة، وجعل صبيان المدينة ينخسونه بالجريد، ويضربونه، ويقولون: أَيْ عدوّ الله! لقد كفرت بالله بعد إيمانك! فيقول: «والله ما كنتُ آمنتُ!!»، فلما كلّمه أبو بكر، رجع إلى الإسلام، فقبل منه، وكتب له أماناً[1].

وجاء الأقرع بن حابِس وعُيينة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقالا: «يا خليفة رسول الله! إنّ عندنا أرضاً سبخة ليس فيها كَلأٌ ولا منفعة، فإن رأيت أن تقطعناها»، فأجابهما وكتب لهما وأشهد القوم، وعمر بن الخطّاب رضي الله عنه ليس فيهم. وانطلقا إلى عمر ليُشهداه فيه، فتناول الكتاب وتفل فيه ومحاه، فتذمّرا له وقالا له مقالة سيِّئة، فقال لهما: «إنّ رسول الله ﷺ كان يتألّفكما والإسلام يومئذ قليل، وإن الله قد أعزّ الإسلام! اذهبا فاجهدا على جهدكما لا رعى الله عليكما إنْ رعيتما»، وأقبلا إلى أبي بكر وهما يتذمّران، فقالا: «لا ندري والله أنت الخليفة أو عمر»، فقال: «بل هو لو كان شاء». وجاء عمر فغضب حتى وقف على أبي بكر، فقال: «أخبرني عن هذا الذي أقطعتها، أرض هي لك خاصة أو للمسلمين عامة»، قال: «بل للمسلمين عامة»، قال: «فما حملك أن تخصّ بها هذين؟!»، قال: «استشرت الذين حولي وقد أشاروا عليّ بذلك، وقد قلت لك: إنك أقوى على هذا مني، فغلبتني»[2].

ومضى أبو بكر الصدِّيق إلى الله، وجاء عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، وكان لعُيينة ابن أخ له دِينٌ وفَضْل، وكان من جلساء عمر بن

(١) المعارف (٣٠٣ ـ ٣٠٤)، وانظر ابن الأثير (٢/ ٣٤٢) و (٢/ ٣٤٨)، والتنبيه والإشراف (٢٨٥)، والعبر (١/ ١٢ ـ ١٣).

(٢) الإصابة (٥/ ٥٦)، وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي (٣٢ ـ ٣٣)، صحّحه حسن الهادي حسين ـ القاهرة، بلا تاريخ.

الخطّاب، وهو الحُرُّ بن قيس، وكان جلساء عمر أهل القرآن شباباً وكهولاً، فجاء عُيينة وقال لابن أخيه: «ألا تُدْخلني على هذا الرّجل؟»، قال: «إني أخاف أن تتكلّم بكلام لا ينبغي»، فقال: «لا أَفْعَل»، فأدخله على عمر، فقال: «يا بـن الخطّاب! والله ما تَقْسِم بالعَدْل، ولا تُعْطي الجَزْل»، فغضب عمر غضباً شديداً حتى همّ أن يُوقع به، فقال له ابنُ أخيه: «يا أمير المؤمنين! إنّ الله يقول في مُحْكم كتابه: ﴿خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِيْنَ﴾[1]، وإنّ هذا لمن الجاهلين، فخلّى عمر عنه، وكان وقّافاً عند كتاب الله عزّ وجلّ[2].

ومضى عمر بن الخطّاب، فخلفه عثمان بن عفّان رضي الله عنهما، فتزوّج عثمان ابنة عُيَيْنَة[3]، فدخل على عثمان في خلافته، فقال له: «يا ابن عفّان! سِرْ فينا بسيرة عمر بن الخطّاب، فإنّه أعطانا فأغنانا، وأخشانا فأتقانا»، فقال له عثمان: «أما والله على ذلك ما كنت بالرّاضي بسيرة عمر»، ثمّ قال له: «هل لكَ إلى العشاء؟»، قال: «إني صائم!»، قال: «أمواصل أنت؟!»، قال: «وما الوِصَال؟!»، قال: «تصوم يومك وليلتك حتى تُمسي»، قال: «لا، ولكني وجدتُ صيام اللّيل أيْسَر عليّ من صيام النّهار!!!»[4].

وسُمع عُيينة يقول لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أنا ابن الأشياخ الشُمّ!»، فقال ابن مسعود: «ذاك يُوسُف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم»، فسكت[5].

وكان فيه جفاء سكّان البوادي[6]، وكان من الأعراب الجُفَاة[7]،

---

(١) الآية الكريمة من سورة الأعراف (٧: ١٩٩).
(٢) أسد الغابة (٤/ ١٦٧)، والاستيعاب (٣/ ١٢٥٠ ـ ١٢٥١).
(٣) الاستيعاب (٣/ ١٢٥٠)، وأسد الغابة (٤/ ١٦٧).
(٤) المعارف (٣٠٤).
(٥) أسد الغابة (٤/ ١٦٧)، والإصابة (٥/ ٥٥)، والاستيعاب (٣/ ١٢٥٠).
(٦) الإصابة (٥/ ٥٥).
(٧) أسد الغابة (٤/ ١٦٧)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٤٩).

ولم تصح له رواية عن النبيّ ﷺ[1]، وكان من عمّال رسول الله ﷺ على صدقات فِزَارة[2]، وتوفي في خلافة عثمان بن عفّان[3]، ولا نعرف سنة ولادته ولا سنة وفاته، وله عقب، وعَمِيَ في آخر عمره[4].

وقد حاولت أن أجمع أخبار عيينة من مصادرها دون أن أعلّق عليها إلاّ قليلاً، لأنّ أخباره كما يبدو لي واضحة للغاية، وهي كفيلة بوصف شخصيته وحياته إنساناً، فاكتفيت بجمع تلك الأخبار وتنسيقها دون تعليق عليها، لأنّها ليست بحاجة إلى التعليق لوضوحها.

ومهما قيل في عُيينة، فيبدو أنّ تمسُّكه برئاسته القبليّة واهتمامه بتأكيد أهميته رئيساً لإحدى القبائل العربيّة العريقة، وتعاليه وتكبّره، ومحاولته جمع المكاسب الماديّة، وإغراقه في الالتزام بالتقاليد الجاهلية، تلك الأمور التي حاربها الإسلام حرباً لا هوادة فيها، حرمته من عطف كثير من المسلمين في أيامه، وعطف الذين أرّخوا له بعد موته، مع أنّ النبيّ ﷺ حاول مداواة عُقَده فولاّه القيادة، وجعله عاملاً من عمّاله، وأغدق عليه العطاء بسخاء نادر وحنان وعطف، وحاول أن يرفع منزلته في المجتمع الإسلامي لرفع معنوياته وترويضه على نسيانه ماضيه في الجاهليّة بما فيه من آلام وتقاليد، وانحراف، ولكنّه ظلّ يتذكّر الماضي ويذكره ولا ينساه أو يتناساه، بل يتشوق إليه ويهفو إليه قلبه.

على كلِّ حال، فقد نال عيينة شرف الصُّحبة، وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد عليه الصّلاة والسّلام، وشرف قيادة إحدى سراياه، وشرف تولي أحد مناصبه الإدارية، وحسبه بذلك شرفاً، والإسلام يَجُبُّ ما قبله على كلِّ حال.

---

(١) الإصابة (٥/ ٥٥).
(٢) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٦٣)، وأنساب الأشراف (١/ ٥٣٠).
(٣) الإصابة (٥/ ٥٦).
(٤) المعارف (٣٠٤).

القائـــد

كان عيينة قائداً في الجاهليّة، وقائداً في الإسلام، بل كان أحد الجرّارين المعدودين من العرب في الجاهلية، وهم أكابر القادة العرب في حينه.

وقد رفعه إلى تولي المنصب القيادي على قبيلته في الجاهلية، أنّه رئيس تلك القبيلة الشّرعي خلفاً لأبيه وتنفيذاً لوصيّته وهو على فراش الموت قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة.

ولكنّه لم يتولّ القيادة على عهد النبيّ ﷺ لأنّه كان رئيساً لقبيلة عريقة من قبائل العرب حسب، بل لأنّه كان أوّل مَن انتدب من المسلمين لحرب المنحرفين من بني تَميم الذين منعوا الزكاة ولم يستجيبوا للمصدِّق الموفد إليهم من النبيّ ﷺ لجمع الصّدقات.

ولكنّ القول بأنّه تولى منصبه القيادي في الإسلام، لأنّه كان أوّل مَن انتدب من المسلمين لحرب المنحرفين من بني تميم، لا يُغني عن كلّ قول، لأنّ النبيّ ﷺ كان قمّة في تطبيق مبدأ: تولية الرجل المناسب العمل المناسب، فلا بدّ أن يكون عيينة ذا مزايا قيادية معيَّنة أهّلته لتولي القيادة.

فهو حائز على صفتين من صفات القيادة الرئيسة هما: التجربة العملية، والعلم المكتسب.

فقد كانت لعيينة تجربة عملية طويلة في الحروب قبل الإسلام وبعده، منتصراً تارة ومندحراً تارة أخرى، وبخاصة حربه على المسلمين، فقد كانت اندحاراً متواصلاً، فكان إسلامه نوعاً من استسلام القائد المندحر لخصمه المنتصر، بعد أن بذل قصارى جهده لإحراز النّصر دون جدوى.

أما علمه المكتسب في العسكرية، فهو ابن رئيس مرموق من رؤساء القبائل له مشاكل لا أوّل لها ولا آخر مع القبائل العربية الأخرى، وهو

رئيس قبيلة مرموق بعد أبيه. ورث عن أبيه مشاكل كثيرة وخلق لنفسه مشاكل جديدة، تكون الحرب هي الحلّ الوحيد غالباً لتلك المشاكل القديمة والجديدة، وكانت الحرب هي القاعدة والسلام هو الاستثناء بين القبائل، وليس للعدو غير السَّيف، وليس لحماية القبيلة غير السَّيف، فمن الطبيعي أن يتعلّم ابن الحرب فنون الحرب، أسوة بغيره من رؤساء القبائل العربية بخاصة، وبغيره من العرب بعامة.

أما الصفة الثالثة للقيادة، وهي: الطبع الموهوب، فمن الصّعب جداً أن نقرِّر، هل كان ذا طبع موهوب، أم لم يكن كذلك، لأنّه لم يَخُضْ معارك حاسمة تُبرز طبعه الموهوب للعيان، ومعاركه التي خاضها في الجاهلية قبل إسلامه، والتي خاضها بعد إسلامه، لا تقدِّم الدليل القاطع على إثبات هذه المزية فيه أو نفيها.

أما مزاياه القيادية الفرعية، فقد كان صاحب قرار سريع صحيح، ويبدو أنّه كان أقرب إلى التهوّر منه إلى الاتِّزان.

وكان يتمتّع بشجاعة شخصيّة لا غبار عليها، وإرادة قوية ثابتة، وكان يتحمل المسؤولية ويحبّها إلى درجة كبيرة نظراً لاعتزازه بنفسه ونسبه ومقامه، ذا شخصية قويّة نافذة مسيطرة إلى درجة الاستبداد بالرأي والابتعاد عن المشورة.

وأشك أنّه كان ذا نفسية لا تتبدّل في حالتي النصر والاندحار، فقد كان يطربه النصر ويرفع معنوياته ويؤلمه الاندحار، ويضعف معنوياته ويؤدي بها إلى الانهيار.

كما أشكّ في أنّه كان يتمتّع بمزية: سبق النظر، فقد كان على عجل من أمره ولم يكن قائداً مكيثاً.

كما أشك في تمتعه بمزية معرفة نفسيات رجاله وقابلياتهم، فقد كان يعتبر نفسه هو الأصل ويعتبر غيره فرعاً لا أهمية له.

وأشكّ بأنّه كان موضع ثقة رجاله ومحبّتهم، ولم يكن له ماضٍ مجيد في خدمة الإسلام.

ونعود إلى معرفته لمبادىء الحرب، فقد كان يطبّق مبدأ: التعرّض، فكلّ حروبه تقريباً تعرضيّة، وكان يطبّق مبدأ: المباغتة، أهم مبادىء الحرب على الإطلاق، وقد رأينا كيف باغت بني تَميم بالزمان.

وكان يطبّق مبدأ: حشد القوّة، ويهتمّ بذلك غاية الاهتمام، لحشد أكبر ما يمكن من قوة بشرية في الزمان والمكان المناسبين، لإرضاء نزعته الشخصية إلى حبّ هذا الفخر والتّعالي والأمجاد لهذا كان على طرفي نقيض من مبدأ: الاقتصاد بالمجهود.

ولم أجد له اهتماماً بتطبيق مبدأ الأمن، كما كانت خططه غير مرنة، تكاد تكون في قوالب جامدة صلبة، تسير على وتيرة واحدة من دون تحوير ولا تغيير.

وكان لا يهتمّ بالقضايا الإدارية إلّا بالقدر الذي يستفيد منه شخصياً من الغنائم.

لقد كان أعرابياً في قيادته، لم يتأثر بالمجتمع الإسلامي الحديث إلا قليلاً.

عُيَيْنَة في التّاريخ

يذكر التاريخ لعُيَيْنَة أنّه نال شرف الصّحبة وشرف الجهاد تحت لواء النبيّ ﷺ.

ويذكر له، أنّه الأعرابي الأول الذي تولّى قيادة سرية من سرايا النبيّ ﷺ، ولم يتولَّ هذا المنصب القيادي في حياة النبيّ ﷺ أعرابيّ قبله ولم يتولا أعرابيّ بعده عداً الضحّاك بن سُفيان الكِلابي.

ويذكر له، أنّه ارتدّ عن الإسلام بعد التحاق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى، ولكنّه عاد إلى الإسلام وحسن إسلامه الذي رشحه لتولي مثل هذا المنصب الرّفيع أقدميته في الإسلام بالإضافة إلى مزاياه القيادية الأخرى.

ويذكر له، أنّه كان من الشخصيات العربيّة القياديّة المعدودة في الجاهلية، وكان من المؤلّفة قلوبهم في الإسلام.

رحم الله الأعرابيّ القائد جزاء ما قدّم للإسلام والمسلمين وغفر له.

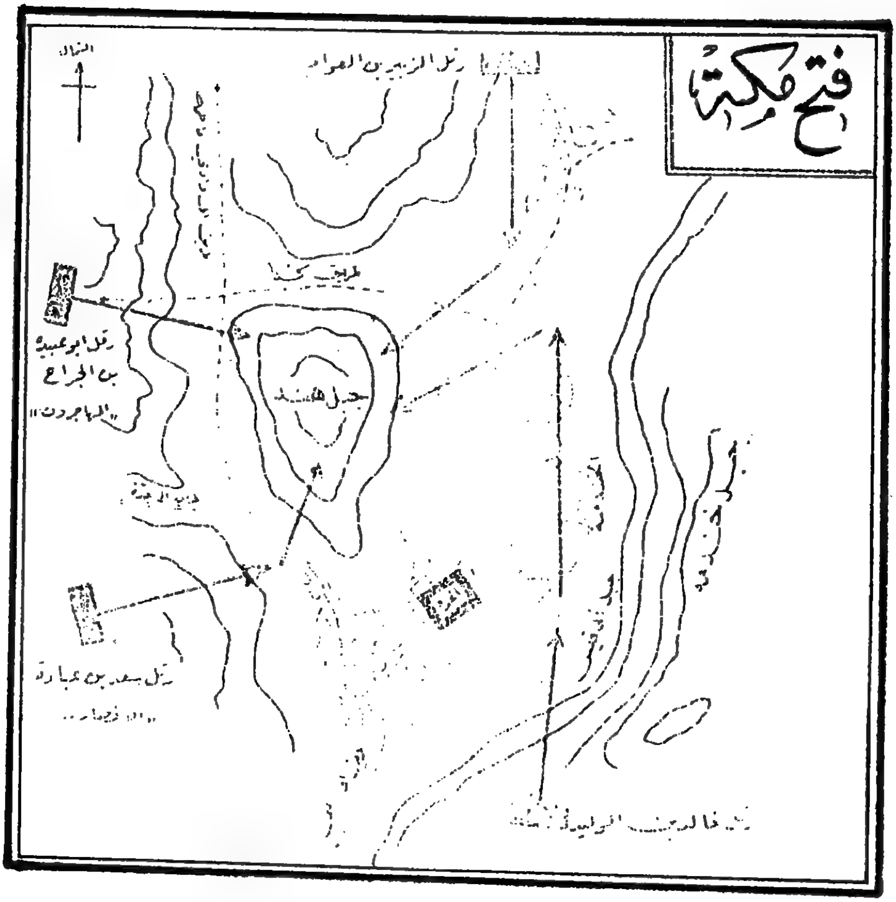
فتح مكة
الشمال
رتل الزبير بن العوام
طريق كدا
رتل ابو عبيدة
بن الجراح
"المهاجرون"
رتل سعد بن عبادة
رتل خالد بن الوليد

قُطْبَة بن عامِر بن حَدِيْدَة الأَنْصاريّ الخَزْرَجِيّ العَقْبِيّ البَدْرِيّ القائد

نسبه وأيامه الأولى

هو قُطْبَة بن عامِر بن حَدِيْدَة بن عمرو بن سَوَاد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمَة[1]، الأنصاري الخَزْرَجِيّ السَّلِمِي، يكنى: أبا زيد[2].

أمّه: زينب بنت عمرو بن سِنَان بن عمرو بن مالك بن بُهْثَة بن قُطْبَة بن عَوْف بن عامِر بن ثعلبة بن مالِك بن أَفْصَى بن عمرو بن أَسْلَم[3].

ولا نعلم شيئاً مذكوراً عن حياته قبل إسلامه، وكان أحد الستة السّابقين الذين أسلموا من الخزرج، فقد لقي رسول الله ﷺ ستة نفرٍ من الأنصار كلّهم من الخزرج أحدهم قطبة بن عامِر، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام فآمنوا وأسلموا وانصرفوا إلى المدينة، فدعوا إلى الإسلام، حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلاّ وفيهم ذِكْرٌ من رسول الله ﷺ[4]، فقطبة من الستة النفر الذين يروى أنّهم أوّل مَنْ أسلم من الأنصار بمكّة ليس قبلهم أحد[5]، فهو من السابقين الأولين من الأنصار.

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٧٨)، وأسد الغابة (٤/ ٢٠٥)، والاستيعاب (٣/ ١٢٨٢)، والإصابة (٥/ ٢٤٢)، والاستبصار (١٦٣).

(٢) أسد الغابة (٤/ ٢٠٥)، والاستيعاب (٣/ ١٢٨٢).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٧٨).

(٤) جوامع السيرة (٦٩ ـ ٧١)، والدرر (٧٠ ـ ٧١)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٣٨ ـ ٣٩)، وانظر أنساب الأشراف (١/ ١٣٩).

(٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٧٨).

ولما كان العام المُقْبِل وَافَى من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوا النبيّ ﷺ في العَقَبة أيام موسم الحج، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وهي بيعة العقبة الأولى، وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب[١]، وكان ذلك سنة اثنتي عشرة من مبعثه[٢] ﷺ وكان من المبايعين قطبة[٣]: بايعوا على أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتون ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصون في معروف، فإن وفوا فلهم الجنّة ولم يذكر القتال[٤].

وفي سنة ثلاث عشرة من مبعث رسول الله ﷺ[٥]، كانت بيعة العَقَبَة الثانية، فخرج سبعون من الأنصار في ثلث الليل الأول متسللين من رِحالهم إلى العَقَبة، فبايعوا رسول الله ﷺ عند العَقَبة على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءَهم وأبناءَهم وأُزُرَهم[٦]، وأن يرحل هو وأصحابه إليهم، واختار رسول الله ﷺ اثني عشر نقيباً، وكان ممن شهد العَقَبة الثانية قطبة[٧].

لقد شهد قطبة بيعة العَقَبَتين جميعاً في روايتهم كلِّهم[٨]، لا خلاف في ذلك[٩].

ولمّا تمت بيعة العَقَبة الثانية، أمر رسول الله ﷺ مَنْ كان معه بمكة من

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٩).
(٢) ومضات من نور المصطفى (١٩) ـ ط ٢ والبدء والتاريخ (٤/ ١٦٥).
(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٤١)، وأنساب الأشراف (١/ ٢٣٩).
(٤) أنساب الأشراف (١/ ٢٣٩)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٤١)، وانظر جوامع السيرة (٧١ ـ ٧٤)، والدرر (٧٢ ـ ٧٣).
(٥) ومضات من نور المصطفى (١٩)، والبدء والتاريخ (٤/ ١٦٦).
(٦) الأزر: جمع إزار، وهو كناية عن المرأة والنفس، والثانية هي المقصودة هنا.
(٧) انظر التفاصيل في سيرة ابن هشام (٢/ ٤٧ ـ ٧٥)، وأنساب الأشراف (١/ ٢٤٠ ـ ٢٥٧)، وجوامع السيرة (٧٤ ـ ٧٥)، الدرر (٧٤ ـ ٧٩).
(٨) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٧٨).
(٩) أسد الغابة (٤/ ٢٠٥).

المسلمين بالهجرة إلى المدينة، فخرجوا أرسالاً[1].

وهاجر النبيّ ﷺ من مكّة إلى المدينة، فآخى بعد بنائه المسجد بين الأنصار والمهاجرين، وقيل: إنّ المؤاخاة كانت والمسجد يُبْنَى، بين المهاجرين والأنصار على المواساة والحق، فكانوا يتوارثون بذلك دون القرابات، حتى نزلت: ﴿وَأُوْلُوْا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[2]، وواضح أنّ هذه الآية الكريمة نسخت ما فرضته هذه المؤاخاة من التوارث، أما ما وراءها من الحق والمواساة، فقد ظلاّ قائمين، فآخى النبيّ ﷺ بين عبد الله بن مَظْعُون وقطبة بن عامِر[3].

وهكذا أصبح قطبة جاهزاً لأداء واجبه في خدمة الإسلام والمسلمين في السلام والجهاد، في عقيدته الراسخة، وفي قيادته، وفي مجتمعه الإسلامي الجديد.

في الغزوات والسرايا

١ ـ شهد قطبة سرية حمزة بن عبد المطّلب عمّ النبيّ ﷺ وهو أوّل لواء عقده النبيّ ﷺ، وكانت في رمضان من السنة الأولى الهجريّة في ثلاثين راكباً من المهاجرين في رواية[4]، وفي خمسة عشر من المهاجرين وخمسة من الأنصار في رواية أخرى، من بينهم قُطْبَة[5].

وكان هدف هذه السرية الوصول إلى (العِيْص)[6] على ساحل البحر الأحمر، لتهديد طريق تجارة قريش بين مكّة والشّام.

---

(١) جوامع السيرة (٨٥ ـ ٨٦).

(٢) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨: ٧٥)، انظر الدرر (٩٦).

(٣) الدرر (٩٩).

(٤) طبقات ابن سعد (٢/٦).

(٥) مغازي الواقدي (١/٩).

(٦) العيص: موضع في بلاد بني سُلَيْم، وهو من ناحية ذي المَرْوَة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٤٨).

ولكن مَجْدِي بن عمرو الجُهَنِيّ ـ وكان حليفاً للفريقين، حجز بينهما فعاد حمزة إلى المدينة بدون قتال[1].

٢ ـ وشهد غزوة (بَدْرٍ) الكبرى الحاسمة[2] التي كانت في شهر رمضان من السنة الثانية الهجريّة[3].

وكان مع المسلمين سبعون بعيراً، وكانوا يتعاقبون الإبل: الاثنين، والثلاثة، والأربعة، وكان خِراش بن الصِّمَّة، وقطبة، وعبد الله بن عمرو بن حَرام على بعير[4]، وذلك مسير الاقتراب من المدينة إلى موقع بَدْرٍ.

ورمى يوم بدرٍ، حجراً بين الصفين وقال: «لا أفرّ حتى يفرّ هذا الحجر»[5].

وقد أسر قطبة في هذه الغزوة مالك بن عُبَيْد الله[6] بن عثمان أخا طلحة بن عُبَيْد الله من بني تَيْم[7] من قريش.

٣ ـ وشهد غزوة (أُحُد)[8] التي كانت في شهر شوال من السنة الثالثة الهجريّة[9]، وكان أحد الرماة من أصحاب النبيّ ﷺ الذين برزوا في تلك الغزوة[10]، وقد جرح يوم أُحد تسع جراحات[11]، فلم تمنعه جراحاته

---

(١) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٢/٦)، ومغازي الواقدي (١/٩ ـ ١٠)، وعيون الأثر (١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٤٦)، والدرر (١٣٣)، وجوامع السيرة (١٣٨).

(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ١٢).

(٤) مغازي الواقدي (١/ ٢٤).

(٥) أسد الغابة (٤/ ٢٠٦).

(٦) ورد في مغازي الواقدي (١/ ١٤٠): مالك بن عبد الله بن عثمان، والصواب: مالك بن عبيد الله.

(٧) أنساب الأشراف (١/ ٣٠٢).

(٨) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٧٨).

(٩) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦).

(١٠) مغازي الواقدي (١/ ٢٤٣)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٢٣).

(١١) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٧٩).

من المبادرة إلى الخروج في اليوم التالي من يوم (أُحُد) مع النبيّ ﷺ إلى (حَمْراء الأسد)[١]، فشهد معه تلك الغزوة[٢].

٤ ــ وشهد غزوة (الخندق)[٣] التي كانت في شهر شوّال من السنة الخامسة الهجرية[٤]، كما شهد فارساً غزوة بني قُرَيْظَة وهم يهود[٥]، وكانت في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة الهجرية[٦].

٥ ــ وشهد معركة (مُؤْتَة) التي كانت في شهر جمادى الأولى من السنة الثامنة الهجريّة[٧]، فلما استُشهد القادة الثلاثة بالتعاقب: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رَوَاحة، وكانت الهزيمة وقُتل المسلمون، جعل قطبة يصيح: «يا قوم! يُقْتَل الرّجل مُقْبِلاً أحسن من أن يُقْتَل مُدْبِراً»، يصيح بأصحابه فما يتوجه إليه أحد[٨].

٦ ــ وشهد غزوة فتح مكّة، فعقد النبيّ ﷺ الألوية والرايات في (قُدَيْد)، فجعل راية بني سَلِمَة مع قُطْبَة[٩].

٧ ــ تلك هي الغزوات والسرايا التي ورد ذكر قطبة فيها.

والواقع أنّه شهد المشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ[١٠]، لم يتخلّف عنه في مشهد من مشاهده، بالإضافة إلى السرايا التي شهدها مع قادة السرايا الآخرين.

---

(١) حمراء الأسد: موضع على ثمانية أميال من المدينة، إليه انتهى رسول الله ﷺ في طلب المشركين بعد يوم أحد مباشرة، انظر معجم البلدان (٣/ ٣٣٧).
(٢) مغازي الواقدي (١/ ٣٣٥).
(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٧٨).
(٤) جوامع السيرة (١٨٥)، والدرر (١٧٩).
(٥) مغازي الواقدي (٢/ ٤٩٨).
(٦) مغازي الواقدي (٢/ ٤٩٦).
(٧) طبقات ابن سعد (٢/ ١٢٨).
(٨) مغازي الواقدي (٢/ ٧٦٣).
(٩) مغازي الواقدي (٢/ ٨٠٠ ـ ٨٠١)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٥٧٩).
(١٠) أسد الغابة (٤/ ٢٠٦)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٥٧٨).

قائد السريّة

ولّى النبيّ ﷺ في صفر سنة تسع الهجرية قُطبة على سرية مؤلفة من عشرين رجلاً[1] إلى حَيٍّ من خَثْعَم بناحية (بِيْشَة)[2] قريباً من (تُربَة)[3] بناحية (تَبَالَة)[4]، في منطقة مدينة الطّائف. وأمره أن يشنّ الغارة عليهم، وأن يسير اللّيل ويكمُن النّهار، وأمره أن يُغذَّ السير.

وخرجوا على عشرة أبْعِرَة يعتقبونها، قد غيّبوا السّلاح، فأخذوا على (الفَتْق)[5] حتى انتهوا إلى بطن (مَسْحاء)[6]، فأخذوا رجلاً فاستعجم عليهم، فجعل يصيح بالحاضِر[7]، فضرب قُطْبَة عنقه.

وأقاموا حتى كان ساعة من اللّيل، فأخرجوا رجلاً منهم طليعة، فوجد حاضِر نَعَمٍ، فيه النّعَم والشّاء، فرجع إلى أصحابه وأخبرهم بما رآه.

وأقبل القوم يَدِبُّون دبيباً يخافون الحَرَس، حتى انتهوا إلى الحاضر، وقد ناموا وهدأوا، فكبّروا وشنّوا الغارة.

وخرج إليهم رجال الحاضر، فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتى كثرت الجراح في الفريقين.

وأصبحوا وجاء الخَثْعَمِيُّون الدَّهْم[8]، فحال بينهم سَيْلٌ أَتِيٌّ، فما

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ١٦٢).

(٢) بيشة: وادٍ يصب سيله من الحجاز حجاز الطائف، ثم ينصبّ في نجد، انظر معجم البلدان (٢/ ٣٣٤).

(٣) تُرَبة: وادٍ بالقرب من مكة على مسافة يومين منها، انظر معجم البلدان (٢/ ٣٧٤).

(٤) تبالة: بلدة بالقرب من الطّائف، انظر معجم ما استعجم (١٩١)، وانظر معجم البلدان (٢/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨).

(٥) الفتق: قرية بالطائف، ومن مخاليف الطائف، انظر معجم البلدان (٦/ ٣٣٨).

(٦) مسحاء: من مخاليف الطائف، انظر معجم البلدان (٨/ ٥١).

(٧) الحاضر: القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنها.

(٨) الدهم: العدد الكثير، انظر النهاية (٢/ ٣٨).

قدر رجل منهم يمضي، حتى أتى قطبة على أهل الحاضر، فأقبل بالنَّعَم والشاء والنساء إلى المدينة، فكان سهامهم أربعة أربعة، والبعير بعشرة من الغنم، بعد أن خرج الخُمُسُ(1).

وربما يتبادر إلى الأذهان، صعوبة تنقّل النَّعَم والشاء والنساء من منطقة الطائف إلى المدينة المنورة، لأنّ المسافة بين المنطقتين شاسعة جداً، ولكن الصعوبة في إخراج تلك الغنائم من منطقة خَثْعَم الذين كانوا من المشركين، أما ما حول خثعم في الطائف إلى المدينة المنورة، فكان قد انتشر الإسلام في ربوعها، فلا يستطيع المشركون مطاردة المسلمين في مناطق إسلاميّة، مما يسَّرَ لقطبة التنقّل بسلام وأمن واطمئنان بين إخوته في الدين بعيداً عن المشركين.

لقد أدّى قطبة واجبه في قيادة السرية حق الأداء، فأغار على المشركين من خَثْعَم، وكبّدهم خسائر بالأرواح والممتلكات، وباغتهم مباغتة كاملة بالزمان، إذ أغار عليهم في وقت لا يتوقّعونه، فانتصرت سريته القليلة في عَدَدها على خَثْعَم الكثيرين عَدَداً وعُدَداً، فكان قطبة بحق قائداً متميِّزاً من قادة سرايا النبيّ ﷺ.

الإنسان والقائد

١ ــ أخبار قطبة قليلة جداً، وبخاصة بعد التحاق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى، فلا تكاد تجد له خبراً في المصادر المعتمدة.

كان له من الولد: أمُّ جميل، وهي من المبايعات، وأمّها: أمّ عمرو بنت عمرو بن خُلَيْد بن عمرو بن سواد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمَة(2).

---

(1) مغازي الواقدي (٢/ ٧٥٤ ـ ٧٥٥)، وانظر طبقات ابن سعد (٢/ ١٦٢) و (٣/ ٥٧٩)، وعيون الأثر (٢/ ٢٠٦)، وأنساب الأشراف (١/ ٣٨٠)، والبدء والتاريخ (٤/ ٢٣٩).

(2) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٧٨).

وقال البغوي: «لا أعلم لقطبة بن عامر حديثاً»[1]، لذلك لا تجد لقطبة ذكراً في كتب الحديث الشريف.

ولا نعرف سنة ولادته، وقد توفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه[2]، وليس له عقب[3].

وحسبه شرفاً أنّه نال شرف الصحبة، وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد عليه الصّلاة والسّلام، وشرف قيادة أحد سراياه في حياته المباركة.

٢ ــ وإذا كان القائد المثالي، لا بد من أن تتوفّر فيه ثلاث مزايا رئيسة: الطبع الموهوب، والعلم المكتسب، والتجربة العملية. فبالإمكان أن نتبيّن في قطبة مزيتين من تلك المزايا الثلاث، هي التجربة العملية، فقد شهد غزوات النبيّ ﷺ كافة وقسماً من سراياه، وهي تجربة عملية طويلة مثمرة. أما العلم المكتسب، فقد كان العربي يتعلّم فنون القتال ويمارس تلك الفنون، فلما جاء الإسلام أصبح تعلّم تلك الفنون من تعاليم الإسلام التي يُقْتَضى أن يطبّقها كلّ مسلم ويلتزم بها، ويبدو أنّ قطبة بَـزَّ أقرانه في الرّمي، فكان من الرماة المعدودين من صحابة رسول الله ﷺ الذين يشار إليهم بالبنان.

أما تيسّر الطّبع الموهوب في قيادته، فلا يمكن إثباته أو نفيه، إذ لم ينهض بأعمال عسكرية تثبت تمتّعه بهذه المزيّة.

أما سماته القياديّة الفرعية، فيبدو أنّه كان سريع القرار وصحيحه، ذا شجاعة شخصية نادرة، وإرادة قوية ثابتة، يتحمّل المسؤولية ويحبّها ولا يلقيها على عواتق الآخرين، ذا نفسية لا تتبدل في حالتي النّصر والاندحار، عارفاً بنفسيات رجاله وقابلياتهم ويكلّف كلّ فرد منهم وفقاً لقابلياته، يثق

---

(١) الإصابة (٥/ ٢٤٢).

(٢) ابن الأثير (٣/ ١٩٩)، وأسد الغابة (٤/ ٢٠٦)، والاستيعاب (٣/ ١٢٨٢)، والإصابة (٥/ ٢٤٢)، والاستبصار (١٦٣).

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٥٧٩).

برجاله ويثقون به ويحبّهم ويحبّونه، ذا شخصية قوية، وقابلية بدنية فائقة، وله ماضٍ ناصع مجيد في خدمة الإسلام والمسلمين.

وكان من أولئك المجاهدين والقادة الذين يعملون لعقيدتهم الرّاسخة، ويدفعهم إيمانهم العميق إلى العمل الدائب المثمر لرفع كلمة الله والدعوة إلى الله، ونشر الدين الحنيف.

وكان يطبّق مبادىء الحرب، وبخاصة: المباغتة، أهمّ مبادىء الحرب على الإطلاق، كما يطبّق مبدأ: اختيار المقصد وإدامته. ومبدأ: التعرّض، ومبدأ: المرونة، ومبدأ: التعاون، ومبدأ: الأمن.

كما كان يساوي نفسه برجاله، ويستشيرهم في أموره.

قُطْبَة في التّاريخ

يذكر التّاريخ لقطبة، أنّه كان أحد الستّة النّفر من الخزرج الذين أسلموا بمكة قبل عام من بيعة العَقَبَة الأولى، فهو من السابقين الأولين إلى الإسلام من الأنصار.

ويذكر له، أنّه عاد إلى المدينة بعد إسلامه يدعو الأنصار إلى الإسلام، ثم عاد إلى مكة وشهد بيعة العقبة الأولى بعد عام من إسلامه، وشهد بيعة العقبة الثانية بعد عامين من إسلامه.

ويذكر له، أنّه شهد غزوة بدر الكبرى الحاسمة، وثبت فيها ثبات الراسيات.

ويذكر له، أنّه شهد غزوات النبيّ ﷺ كافةً ولم يتخلّف عن غزوة من غزواته، كما شهد قسماً من سراياه.

ويذكر له، أنّه قاد إحدى سرايا النبيّ ﷺ إلى النصر في حياته المباركة.

رضي الله عن الصحابيّ الجليل، المجاهد الصادق، القائد البطل، قُطْبَة بن عامِر الأنصاري الخزرجيّ.

الضَحَّاك بن سُفْيَان الكِلاَبِيّ
سياف النبيّ ﷺ
والقائد الشّهيد

نسبه وأيامه الأولى

هو الضَحَّاك بن سُفْيان بن عَوْف بن كَعْب بن أبي بَكْر بن كِلاَب بن ربيعة بن عامِر بن صَعْصَعَة العامِري الكِلابيّ، يكنى: أبا سعيد[1].

أسلم وصحب النبيّ ﷺ[2]، ولكن لا نعلم متى أسلم بالضبط. وهو معدود من أهل المدينة، كان ينزل باديتها[3]، وكان ينزل نَجْداً[4] أيضاً في موالي (ضَرِيَّة)[5] وكان والياً على مَنْ أسلم هناك من قومه[6].

ومن الواضح أنّ الرجل كان من الأعراب الرُّحَّل، ينتقل من مكان إلى آخر، فهو ينزل بادية المدينة تارة، وأرض نجدٍ تارة أخرى، فلا اختلاف بين الروايتين.

---

(١) أسد الغابة (٣/ ٣٦)، وانظر الاستيعاب (٢/ ٧٤٢)، والإصابة (٣/ ٢٦٧)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٤٤٤).

(٢) أسد الغابة (٣/ ٣٦).

(٣) الاستيعاب (٢/ ٧٤٢)، وانظر أسد الغابة (٣/ ٣٦).

(٤) تهذيب التهذيب (٤/ ٤٤٤).

(٥) ضريّة: قرية عامرة قديمة على وجه الدهر في طريق مكّة من البصرة من نجدٍ. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/ ٤٣١ ـ ٤٣٤).

(٦) الإصابة (٣/ ٢٦٧)، وانظر تهذيب التهذيب (٤/ ٤٤٤٤).

وكان الضحّاك أحد الأبطال، وكان يقوم على رأس رسول الله ﷺ متوشّحاً سيفه، وكان يُعَدُّ بمائة فارسٍ وحده[1]، فكان سيّاف رسول الله ﷺ قائماً على رأسه متوشّحاً بسيفه[2].

وذكرت عائشة أمُّ المؤمنين رضي الله عنها، أنّ الضحَّاك نزل على رسول الله ﷺ، فقال له وبيني وبينه الحجاب ـ أي بين عائشة والضحّاك الحجاب ـ: «هل لك في أُخت أمِّ شَبِيْب؟» ـ وأم شبيب امرأة الضحاك، فتزوّجها النبيّ ﷺ ثم طلّقها ولم يدخل بها[2]. واسمها فاطمة الكلابِيّة، فقد تزوّجها النبيّ ﷺ، فلما دنا منها قالت: «أعوذ بالله منك»، فقال ﷺ: «عذت بعظيم! الحقي بأهلك»[3]. وتزوجها رسول الله ﷺ في سنة ثمان الهجرية، مُنْصَرَفه من (الجِعْرَانَة)[4] بعد فتح مكّة وغزوة حُنَيْن وحصار الطّائف، وقال بعض الرّواة: إنّ هذه الكلابية هي ابنة الضحّاك[5].

وفي سرية (بئر مَعُوْنَة)[6] التي كانت مؤلّفة من سبعين رجلاً من الأنصار شَبَبَةً يُسَمُّون القُرّاء بقيادة المُنْذِر بن عمرو الأنصاري، وكانت في صفر من السّنة الرابعة الهجرية[7]، غدر المشركون بهذه السرية، فاستُشهد أفراد السرية، وكان من بين الشّهداء عامِر بن فُهَيْرَة مولى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنهما. وكان الذي قتله رجل من بني كِلاب يُقال له: جَبَّار بن

(١) الاستيعاب (٢/ ٧٤٢)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٥٠)، وانظر التراتيب الإدارية (١/ ٣٤٧).
(٢) الإصابة (٣/ ٢٦٧).
(٣) أنساب الأشراف (١/ ٤٥٤).
(٤) الجعرانة: ماء بين الطّائف ومكّة، وهي إلى مكّة أقرب، انظر معجم البلدان (٣/ ١٠٩).
(٥) أنساب الأشراف (١/ ٤٥٥).
(٦) بئر معونة: ماء من مياه بني سُلَيْم بين أرض بني عامر وأرض بني سُليم، انظر معجم البلدان (٨/ ١٠١).
(٧) طبقات ابن سعد (٢/ ٥١ ـ ٥٢).

سُلْمَى، ذكر أنّه لما طعنه قال: «سمعته يقول: فُزْتُ واللهِ! فقلت في نفسي: ما قوله: فُزْتُ!! فأتيت الضحّاك بن سُفيان الكِلابيّ فأخبرته بما كان، وسألته عن قوله: فُزْتُ! فقال: الجنّة». وعرض عليه الضحّاك الإسلام، فأسلم، وكتب الضحّاك إلى رسول الله ﷺ يخبره بإسلام قاتل عامر بن فُهَيْرَة[1].

وهذا يدلُّ على أنّ الضحّاك أسلم قبل سنة أربع الهجريّة، دون أن نعرف بالضبط موعد إسلامه.

وقد أهدى الضحّاك للنبيّ ﷺ لَقْحَة[2] تدعى: (بُرْدَة)، لم يُر من الإبل سناً كان أحسن منها ولا أغزر: كانت تحلب ما تحلب لقحتان، فربما حُلِبَتْ لأضياف رسول الله ﷺ غبوقاً[3] وصبوحاً[4].

ويبدو أنّ الضحّاك كان قريباً من نفس النبيّ ﷺ وموضع ثقته ومحبّته: سيّافه، وينزل عليه ضيفاً، ويفاتحه بقضايا الزواج، ويوليه على قومه، ويهدي له، وهذا دليل على أنّ الضحاك أسلم وحسن إسلامه وكان مخلصاً للإسلام والمسلمين محبّاً لله ورسوله.

في الغزوات

شهد الضحّاك غزوة فتح مكة التي كانت في شهر رمضان من السنة الثامنة الهجريّة[5]، فإن النبيّ ﷺ لما سار إلى فتح مكّة كان بنو سُلَيْم تسعمائة، فقال لهم: «هل لكم من رجل يعدل مائة يوفيكم ألفاً»، فوفاهم بالضحّاك وكان رئيسهم[6]، وإنّما جعله عليهم لأنّهم جميعاً من قيس

---

(١) مغازي الواقدي (١/ ٣٤٩).
(٢) لقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللّبن.
(٣) الغبوق: ما يُشرب بالعشيِّ، وما يُحلب بالعشيِّ.
(٤) أنساب الأشراف (١/ ٥١٣).
(٥) طبقات ابن سعد (٢/ ١٣٤).
(٦) الإصابة (٣/ ٢٦٧)، والمعارف (٨٩).

عَيْلَان[١]، فقال عبّاس بن مِرْداس السُّلَمِيّ:

نـذودُ أخـانـا عـن أخينـا ولـو نَـرى   وصـالاً لكُنَّـا الأقـربيـن نُتـابـعُ
نُبَـايـع بيـن الأَخْشَبَيْـن[٢] وإنّمـا   يـدُ الله بيـن الأخشبيـن تُبـايـعُ
عَشِيّـة ضحّـاك بـن سفيـان مُعْتَـصٍ   لسيـفِ رسـول الله والمـوت واقـع[٣]

كما شهد الضحّاك غزوة (حُنَين) التي كانت في شهر شوّال من السنة الثامنة الهجرية[٤]، فضمّ إليه النبيّ ﷺ بني سُلَيْم، فكانوا إليه ومعه[٥].

وشهد حصار الطّائف الذي كان في شهر شوّال من السنة الثامنة الهجرية[٦]، وقد كانت ثَقِيْف أصابت أهلاً لمروان بن قيس الدَّوْسِيِّ، وكان قد أسلم وظاهر رسول الله ﷺ على ثَقِيْف، فزعمت ثقيف ـ وهو الذي تزعم به ثقيف أنّها من قيس ـ أنّ رسول الله ﷺ قال لمروان بن قيس: «خُذْ يا مَرْوان بأهْلِك أوّل رجل تَلْقَاه من قَيْس»، فلقي أُبَيّ بن مالك القُشَيْرِيّ، فأخذه حتى يؤدوا إليه أهله، فقام في ذلك الضَحّاك، فكلَّم ثقيفاً حتى أرسلوا أهل مروان، وأطلق لهم أُبَيَّ بن مالك، فقال الضحّاك في شيءٍ كان بينه وبين أُبَيّ بن مالِك:

أَتَنْسَى بَلَائِي يا أُبَيّ بنَ مالِكٍ   غَدَاةَ الرَّسُولُ مُعْرِضٌ عَنْكَ أشوسُ[٧]
يَقُـوْدُكَ مَرْوَانُ بـنُ قَيْسٍ بِحَبْلِهِ   ذليلاً كمـا قِيْدَ الذَّلُـولُ المُخَيَّـسُ[٨]

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٥٠).
(٢) الأخشبان: جبلان يضافان تارة إلى مكّة وتارة إلى منى، وهما واحد، أحدهما أبو قبيس والآخر قيعقعان، انظر معجم البلدان (١/ ١٥٠).
(٣) الاستيعاب (٢/ ٧٤٣).
(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ١٤٩).
(٥) سيرة ابن هشام (٤/ ٧٦).
(٦) طبقات ابن سعد (٢/ ١٥٨).
(٧) البلاء هنا: النعمة. والأشوس: الذي يعرض بنظره إلى جهة أخرى.
(٨) الذلول: الذي تروضه حتى يذل وينقاد. والمخيّس: المذلل.

فَعَـادَتْ عليـكَ مـن ثَقِيْـفٍ عِصَـابَـةٌ　　مَتَى يَأْتِهِمْ مُسْتَقْبِسُ الشَّرِّ يُقْبِسُوا[1]
فكانوا هُمُ المَوْلى فَعَادَتْ حُلُوْمُهُمْ　　عليكَ وقد كَادَتْ بِكَ النَّفْسُ تَيْأَسُ[2]

تلك هي الغزوات التي ورد للضحّاك فيها ذكر، وما دام قد أسلم قبل سنة أربع الهجرية، فمن المعقول أنّه شهد غير هذه الغزوات فلم يُذكر دورُه فيها في المصادر المعتمدة التي بين أيدينا، وما كانت تلك المصادر لتسكت عنه ـ كما لم تسكت عن غيره ـ من الخوالف، لو كان منهم.

ومهما يكن من أمر، فقد نال الضحّاك شرف الصحبة[3]، وشرف الجهاد تحت لواء الرّسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام.

والقول بأنّ واجبه الإداري والياً على مَنْ أسلم من قومه في ناحية من نواحي نَجْدٍ، شغله عن واجبه في الجهاد، ليس صحيحاً، فقد كان شهود الغزوات هو ومَن معه من بني كلاب فرضٌ لا يستطيع أن يتخلّى عنه، والصواب أنّه شهد الغزوات فذكر المؤرخون قسماً منها، وأغفلوا قسماً آخر منها.

قائـد السريّـة

بعث رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول من سنة تسع الهجريّة جيشاً إلى (القُرَطاء)[4] بقيادة الضحّاك، ومعه الأَصْيَد بن سلَمَة بن قُرْط بن عبد، حتى لقوهم بـ(الزُّج)[5] زُجّ لاوَه، فدعوهم إلى الإسلام فأَبَوْا، فقاتلوهم فهزموهم.

(١) مقتبس الشر: الذي يطلبه، وأصل المقتبس الذي يطلب قبساً من النار. وقوله: ويقبسوا: يعطوه ما يطلبه.
(٢) الحلوم: العقول.
(٣) الإصابة (٣/ ٢٦٧)، وأسد الغابة (٣/ ٣٦).
(٤) القرطاء بطن من بني بكر، شرح المواهب اللدنية (٣/ ٥٧).
(٥) الزُّج: موضع بناحية ضرية بنجد، انظر وفاء الوفا (٢/ ٣١٧).

ولحق الأَصْيَد أباه سَلَمَة بن قُرْط، وسَلَمَة على فرس له على غدير زُجّ، فدعا أباه إلى الإسلام وأعطاه الأمان، فسبّه وسبّ دينه، فضرب الأَصْيَد عُرْقُوبَي فرس أبيه، فلما وقع على عُرقوبيه ارتكز سَلَمَة على رمحه في الماء، ثمّ استمسك به، حتى جاءه أحدهم فقتله، ولم يقتله ابنه[1].

لقد أدّى الضحّاك واجبه في قيادة هذه السرية، وأعطى درساً قاسياً للمشركين في منطقة نَجْدٍ ومَنْ حولهم من الأعراب، فأثّر ذلك في معنوياتهم كثيراً، ففشا بينهم الإسلام وانضمّوا إلى المسلمين.

وقد ذكره عبّاس بن مِرْداس السُّلَمِيّ في شعره بما هو أهله، منوِّهاً به وبرجاله في هذه السرية فقال:

إنّ الذين وَفَوْا بما عاهدتهم ... جيش بعثْتَ عليهم الضحّاكَا
أمّرْته ذَرِب[2] اللِّسان كأنّهُ ... لما تكَنَّفَهُ[3] العَدُوّ يَرَاكَا
طَوْراً يُعَانِقُ باليَدَيْنِ وتارةً ... يَفْرِي[4] الجماجِم صارماً بَتَّاكا[5]

والضحّاك ورجاله يستحقّون مثل هذا الثناء.

الشّهيد

لما التحق النبيّ ﷺ بالرّفيق الأعلى، ارتدّت بنو سُلَيْم وتبعوا الفُجَاءَة السُّلَمِيّ، فقال لهم الضحّاك: «يا بني سُلَيْم! بئس ما فعلتم!»، وبالغ في وعظه، فشتموه وهمّوا به ـ وكان صاحبَ راية بني سُلَيْم ورأسهم ـ فارتحل

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ١٦٢ ـ ١٦٣)، ومغازي الواقدي (٣/ ٩٨٢)، وعيون الأثر (٢/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧)، وانظر أنساب الأشراف (١/ ٣٨٢).
(٢) ذرب: سليط اللِّسان.
(٣) تكنّفه: أحاط به.
(٤) يفري: يشق، يفتّت.
(٥) بتك: قطع، والبتّاكا: القاطع، انظر الاستيعاب (٢/ ٧٤٢)، والإصابة (٣/ ٢٦٧).

عنهم، فندموا وسألوه أن يُقيم، فأبى، وقال: «ليس بيني وبينكم مودّة»، وقال في ذلك شعراً منه:

لقد جَرَّ الفجاءة على سُلَيْمٍ مخازي عارها في الدّهر باقِ[1]

ورجع الضحّاك مع المسلمين إلى قتالهم، فاستُشهد[2]، سنة إحدى عشرة الهجريّة، وأُسر الفُجاءَة السُّلَمِيّ، فقتله أبو بكر الصدِّيق عقاباً له على رِدَّته وقتل المرتدين من قومه[3].

لقد كان لثبات الضحّاك على عقيدته الرَّاسخة العميقة، أعظم الأثر في بني سُلَيْم مسلمهم ومرتدّهم، فقد كان الأسوة الحسنة للمسلمين الذين لم يرتدّوا عن الإسلام، كما كان الخصم اللّدود للذين ارتدّوا، فوعظهم وأنّبهم واشتدّ عليهم، فلما أخفقت محاولاته السلميّة قاتلهم مع الذين قاتلوهم من المسلمين في حروب الرِدَّة، فضحّى بروحه من أجل عقيدته، ولم يُضَحِّ بعقيدته من أجل روحه، واستُشهد في ساحة الجهاد، ولكنّ دمه لم يذهب عبثاً، بل كان من عوامل النصر الذي حقّقه المسلمون على المرتدِّين من سُلَيْم وغيرها من القبائل، فعاد المرتدون من سُلَيْم إلى الإسلام من جديد، وعادت الوحدة إلى هذه القبيلة العربيّة تحت لواء الإسلام، فحقّق الضحّاك ما كان يتمنّاه لسُلَيْم في حياته من العودة إلى الإسلام، وبذل روحه رخيصة من أجل تحقيق أغلى أمانيه، فخسر روحه وربح بني سُلَيْم، وحقّق بموته أعزّ ما كان يتمنّاه لقومه في حياته، فكان الرّابح بميزانه وبميزان أهل القلوب.

(١) الإصابة (٣/ ٢٦٧)، واسم الفجاءة: إياس بن عبد ياليل، انظر ابن الأثير (٢/ ٣٥٠)، وانظر المعارف (٤١٢).

(٢) الأصابة (٣/ ٢٦٧)، وجاء خبر استشهاده في سيرة الضحّاك بن سفيان بن الحارث لا في سيرة الضحّاك بن سفيان بن عوف، فقال ابن حجر العسقلاني في سيرة الأول: «قلت: ويخطر لي أنّ صاحب هذه الترجمة هو هذا الآتي»، أي الضحاك بن سفيان بن عوف، وكلّ الدلائل تدل على صحة ما ذهب إليه ابن حجر العسقلاني رحمه الله، وبه أخذ صاحب الأعلام، انظر (٣/ ٣٠٨).

(٣) ابن الأثير (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥١).

الإنسـان والقائـد

١ ـ كتب النبيّ ﷺ إلى الضحّاك أن يورِّث امرأة أَشِيْم الضِّبابي من ديّة زوجها وكان قُتل خطأً، وشهد بذلك الضحّاك عند عمر بن الخطّاب، فقضى به وترك رأيه[١]. وكان عمر رضي الله عنه يقول: «الديّة للعاقلة، ولا ترث المرأة من ديّة زوجها شيئاً»، حتى قال له الضحّاك: «كتب إليّ رسول الله ﷺ أن أُوَرِّث امرأة أشيم الضِّبابي من ديّة زوجها»[٢]، وحديثه هذا صحيح، رواه أبو داود والترمذي والنِّسائي وغيرهم، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»[٣].

روى عنه سعيد بن المسيّب والحسن البصري[٤]، وروى عن النبيّ ﷺ أربعة أحاديث[٥].

وكان شاعراً مجيداً بحق، وقد أوردنا نموذجاً من شعره، ولكن لا ندري أكان شاعراً مُقِلاًّ، أم عَفَا الزمن على شعره، فأصبح أثراً بعد عَيْن.

وكان سيّاف النبيّ ﷺ[٦] يقوم على رأس رسول الله ﷺ متوشحاً بسيفه، وكان من الشجعان الأبطال[٧]، ولاّه رسول الله ﷺ على مَنْ أسلم من قومه[٨] قديماً، ولما رجع من (الجِعْرانة)[٩] بعد غزوة الطّائف إلى

---

(١) الاستيعاب (٢/ ٧٤٢)، وانظر الإصابة (٣/ ٢٦٧).
(٢) أسد الغابة (٣/ ٣٦).
(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٥٠).
(٤) الاستيعاب (٢/ ٧٤٣)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٥٠)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٤٤٤)، وأسد الغابة (٣/ ٣٦).
(٥) أسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ـ (٢٩١).
(٦) جوامع السيرة (٢٦).
(٧) أسد الغابة (٣/ ٣٦).
(٨) الاستيعاب (٢/ ٧٤٢).
(٩) الجعرانة: ماء بين الطّائف ومكّة، وهي إلى مكّة أقرب، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ١٠٩).

المدينة، بعث المصَدِّقين، فبعث الضحّاك إلى بني كِلاب، وكان ذلك في شهر محرَّم من السّنة التاسعة الهجريّة[1].

وتوليته المناصب الإدارية دليل على قابلياته في القضايا الإدارية وأمانته أيضاً.

وكان كريماً مضيافاً، يُعطي عطاء مَنْ لا يخشى الفقر، وكان أميناً صادقاً وفياً، وكان من الدعاة الأولين إلى الإسلام، قضى حياته داعياً إلى الله بين قومه، فلما انحرف قسم منهم فارق المنحرفين وانضمّ إلى الذين استقاموا، ففصل السّيف في اختلاف الفئتين، فانتصر الحق على الباطل والنور على الظلام.

٢ ــ وكان أحد الأبطال، يُعَدّ بمائة فارس وحده[2]، وكان من الشجعان يُعدّ بمائة فارس[3]، فقد كان أحد الأبطال الشجعان المعدودين لا يخفى مكانه ولا مكانته على أحد من المسلمين وغير المسلمين.

ومفتاح شخصيّته القياديّة، هي شجاعته الفائقة التي زادها الإيمان الراسخ جذوة ونشاطاً، فوجهها إلى الخير والإصلاح، بعد أن كانت للشر والبطش، وللعدل والبناء، بعد أن كانت للظلم والهدم.

لقد حاز بدون شك على صفتي القيادة من صفاتها الثلاث، فحاز على العلم المكتسب بإتقان فنون القتال، وحاز على التجربة العملية في الغزوات والسرايا وفي حرب الرِدَّة.

أما الصفة الثالثة، وهي الطبع الموهوب، فلا يمكن إثباتها فيه ولا نفيها عنه، لأنّه لم يَخُض حروباً كبرى تسجِّل له انتصارات حاسمة، تثبت تمتّعه بالطبع الموهوب للقيادة، دون إمكان نفيها عنه.

(١) مغازي الواقدي (٣/ ٩٧٣)، وأنساب الأشراف (١/ ٥٣١).
(٢) الاستيعاب (٢/ ٧٤١).
(٣) الإصابة (٣/ ٢٦٧).

أما مزاياه القياديّة الأخرى، فلا تكاد تختلف كثيراً عن أمثاله من قادة النبيّ ﷺ، فهم خريجو مدرسة قيادية واحدة، وعاشوا في بيئة واحدة، من أمة واحدة، في ظروف اجتماعية واحدة.

فقد كان قادراً على إصدار قرارات سريعة صائبة، شجاعاً مقداماً على جانب عظيم من الشّجاعة والإقدام، ذا إرادة قوية ثابتة، يتحمّل المسؤولية ويحبّها ولا يخافها، ذا نفسية رصينة لا تتبدّل في حالتي النصر والهزيمة، يتمتّع بمزية سبق النظر فقد سبق قومه إلىٰ الإسلام، فلما ارتدّ بعضهم حذّرهم وبشّرهم بالعاقبة الوخيمة التي تنتظرهم، عارفاً بنفسيّات رجاله وقابلياتهم، يثق بهم ويحبهم ويثقون به ويحبّونه، ذا شخصيّة قويّة نافذة، وذا قابلية بدنية متميزة، وذا ماض ناصع مجيد في خدمة الإسلام والمسلمين.

وكان يطبّق مبادىء الحرب في قتاله: فهو يختار مقصده ويسعى إلى تحقيقه، يطبّق مبدأ: التعرّض، ومعاركه كلّها تعرضيّة، يباغت خصمه كلّما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ويحشد القوّة المناسبة للواجب المناسب، ويقتصد بالمجهود، ويطبّق مبدأ: الأمن لحماية قواته من مباغتة العدو لها.

لقد كان الضحّاك قائداً متميِّزاً.

الضحّاك في التاريخ

يذكر التاريخ للضحّاك، أنّه سبق قومه إلى الإسلام، ونهض بواجب الدعوة إلى الله بينهم، وقضى حياته كلّها في دعوة بين قومه داعياً إلى الله.

ويذكر له، أنّه نال شرف الصحبة، وشرف الجهاد تحت لواء النبيّ ﷺ.

ويذكر له، أنّه كان قائداً من قادة سرايا النبيّ ﷺ، وأنّه أبلى بلاءً حسناً في قيادته.

ويذكر له، أنّه كان أحد ولاة النبيّ ﷺ، وأحد عمّاله على الصّدقات.

ويذكر له، أنّه كان سيّافَ النبيّ ﷺ قائماً على رأسه متوشّحاً بسيفه.

ويذكر له، أنّه ختم حياته بالشّهادة، فضحّى بروحه من أجل عقيدته، ولم يُضَحِّ بعقيدته من أجل روحه.

رضي الله عن الصحابيّ الجليل، الإداري الحازم، العامل الأمين، القائد البطل، الضحّاك بن سُفْيَان الكِلابيّ.

عَلْقَمَة بن مُجَزِّز المُدْلِجيّ
القائد الشَّهيـد

نسبه وأيامه الأولى

هو عَلْقَمَة بن مُجَزِّز بن الأَعْوَر بن جَعْدَة بن مُعَاذ بن عُتْوارة بن عمرو بن مُدْلج[1] بن مُرَّة بن عبد مَنَاة بن كِنَانَة[2] الكِنَانِيّ المُدْلِجيّ[3].

أبوه: مُجَزِّز المُدْلِجيّ القائف[4]، وإنما قيل له: مُجَزِّز، لأنّه كلّما أسر أسيراً جَزَّ ناصيته[5]، والذي سرّ النبيّ ﷺ بقيافته[6]، فقد روت عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها، أنّ النبيّ ﷺ دخل عليها مسروراً تبرق أسارير وجهه فقال: «أَلَمْ تَرَيْ أنّ مُجَزِّزاً مَرَّ على زيدٍ بن حارثة وأُسامة بن زيد قد غطيّا رءوسهما وبدت أقدامهما، فقال: هذه الأقدام بعضها من بعض»[7].

وأخوه: وَقَّاص بن مُجَزِّز، قتل في غزوة (ذي قَرَد)[8] التي كانت في

(١) جمهرة أنساب العرب (١٨٧)، وأسد الغابة (٤/ ١٤)، والإصابة (٤/ ٢٦٧).
(٢) جمهرة أنساب العرب (١٨٧).
(٣) أسد الغابة (٤/ ١٤)، والإصابة (٤/ ٢٦٧).
(٤) القائف: مَنْ يُحسن معرفة الأثر وتتبّعه.
(٥) أسد الغابة (٤/ ٣٠٣).
(٦) جمهرة أنساب العرب (١٨٧).
(٧) أسد الغابة (٤/ ٣٠٣).
(٨) ذو قرد: ماء على ليلتين من المدينة، بينها وبين خيبر. انظر معجم البلدان (٧/ ٥٠)، وانظر سيرة ابن هشام (٤/ ٣١٧)، وأسد الغابة (٥/ ٨٩)، حول قتل وقّاص في غزوة ذي قرد.

شهر ربيع الأول من السنة السّادسة الهجريّة[1].

ووالد علقمة وأخوه كانا مُسْلِمَيْن، ولكن لا ندري متى أسلم علقمة ولا متى أسلم أبوه وأخوه، إلاّ أنّ علقمة سأل رسول الله ﷺ أن يبعثه في آثار القوم الذين قتلوا أخاه في غزوة ذي قَرَد ليدرك ثأره فيهم[1]، مما يدلّ على أن إسلامه كان قبل شهر ربيع الأول من السنة السّادسة الهجرية، فلا بدّ من أن يكون إسلامه قد تَمَّ قبل فتح مكّة، وقد أطلق بعض الرواة على علقمة أنصارياً بالمعنى الأعمّ[2]، وهذا دليل على أنّه كان في المدينة مع الأنصار قبل فتح مكّة.

ولم تذكر المصادر المعتمدة أنّه تخلّف عن النبيّ ﷺ في غزواته بعد إسلامه، وإغفال ذكر ما شهده من غزوات ليس دليلاً على أنّه لم يشهدها، وبذلك نال علقمة شرف الصّحبة وشرف الجهاد تحت لواء النبيّ ﷺ، وقد اقتصرت المصادر على ذكر أنّه شهد غزوة ذي قَرَد[3]، ولم تفصِّل الغزوات الأخرى التي شهدها.

قائد السريّة إلى الحبشة

بلغ رسول الله ﷺ، أنّ ناساً من الحبشة تراياهم[4] أهل (جُدَّة)[5]، فبعث في شهر ربيع الآخر من السنة التّاسعة الهجريّة سرية مؤلّفة من ثلاثمائة مجاهد بقيادة عَلْقَمة بن مُجزِّز المُدْلِجيّ.

وانتهى علقمة بمن معه إلى جزيرة في البحر، وقد خاض إلى الحبشة البحر، فهربوا منه، فرجع هو وأصحابه ولم يَلْقَ كَيْداً.

---

(١) سيرة ابن هشام (٤/ ٣١٧).
(٢) الإصابة (٤/ ٢٦٧).
(٣) سيرة ابن هشام (٤/ ٣١٧).
(٤) تراياهم: أي نظروهم ورأوهم، انظر شرح المواهب اللدنية (٣/ ٥٨).
(٥) جُدَّة: بلدة على ساحل البحر الأحمر الحجازي، وهي فرضة مكة، بينها وبين مكة ثلاث ليال، انظر معجم البلدان (٣/ ٦٧).

وفي طريق عودة علقمة، تعجّل بعض القوم إلى أهلهم، فأذّن لهم، فتعجّل عبد الله بن حُذَافة السَّهْمِيّ فيهم، فأَمَّرَهُ على مَنْ تَعَجَّل.

وكانت في عبد الله بن حُذافة دُعابة، فنزل ببعض الطريق وأوقد ناراً يصطّلون عليها ويصطنعون الطّعام، فقال للقوم: «أليس لي عليكم السَّمع والطّاعة؟»، قالوا: بلى! قال: «أفما أنا آمركم لشيءٍ إلاّ فعلتموه؟»، قالوا: نعم! قال: «فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلاّ تواثبتُم في هذه النار!»، فقام بعض القوم يَحْتَجِزُ حتى ظنّ أنّهم واثبون فيها، فقال لهم: «اجلسوا، فإنما كنتُ أضحك معكم!».

وذُكر ذلك لرسول الله ﷺ بعد أن قدموا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أمركم منهم بمعصيةٍ، فلا تُطيعوه»[1].

لقد كان الحبشة يعتبرون غزو البلاد العربية نزهةً من النزهات، فكان لهم شأن في اليمن، وكان لهم شأن في مكّة عام الفيل سنة مولد النبيّ ﷺ (٥٧١ م)، وكان ذلك قبل الإسلام.

أما بعد الإسلام، فقد أصبح الأمر مُختلفاً جداً، فلم يبق في بلاد العرب نفوذ أجْنَبيّ، وما محاولة الحبشة في السنة التّاسعة الهجرية التي تصدّى لها علقمة، إلاّ إحدى المحاولات التي باءت بالإخفاق الذريع.

وكان علقمة أحد الحماة القادرين الذين تصدّوا للغزو الأجنبيّ، فقنع الغزاة بدلاً من الغنيمة بالهزيمة ومن الاستيطان بالإياب.

---

(١) سيرة ابن هشام (٤/٣١٧ ـ ٣١٨)، وطبقات ابن سعد (٢/١٦٣)، ومغازي الواقدي (٣/٩٨٣ ـ ٩٨٤)، وعيون الأثر (٢/٢٠٧)، وانظر البدء والتاريخ (٤/٢٣٩)، وجوامع السيرة (٢١)، وأنساب الأشراف (١/٣٨٢)، والإصابة (٤/٢٦٧)، وأسد الغابة (٤/١٤).

بعد النبيّ ﷺ

شهد علقمة معركة اليرموك[١] الحاسمة التي كانت بقيادة خالد بن الوليد سنة ثلاث عشرة الهجرية[٢].

وكان أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، قد سمّى لكلِّ أمير من أمراء الشام كُوْرَةً، فسمى لأَبي عُبَيْدَة بن الجَرَّاح حِمْصَ، وليزيد بن أبي سُفيان دِمَشْق، ولشُرَحْبيل بن حسنة الأُرْدُن، ولعمرو بن العاص ولعلقمة بن مُجَزِّز فلسطين[٣]، فلما شارفوا الشّام، وهم مع كلّ أمير منهم جمع كثير، فأجمع رأيهم أن يجتمعوا بمكان واحد، وأن يلقوْا جَمْعَ المشركين بجمع المسلمين فخاضوا معركة اليرموك الحاسمة مجتمعين، ولم يبقوا كما كانوا متفرِّقين، ولولا اجتماعهم لما انتصروا أبداً[٤].

وشهد معركة (الجابِيَة)[٥]، وهي التي فتحت أبواب دِمَشق للمسلمين، وكان ذلك في سنة ثلاث عشرة الهجريّة[٦].

وحَصَر علقمة بـ(غَزَّة)[٧] الفِيْقَار[٨]، وجعل يراسله، فلم يشفِه أحد بما يريد، فأتاه كأنّه رسول علقمة فقال: «إنّ معي نفراً يشركونني في

(١) الإصابة (٤/ ٢٦٧).
(٢) الطبري (٣/ ٣٩٤)، وابن الأثير (٢/ ٤١٠).
(٣) انظر سيرة أبي عبيدة بن الجرّاح ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص في كتابنا: قادة فتح الشام ومصر.
(٤) الطبري (٣/ ٣٩٤).
(٥) الجابية: قرية من أعمال دمشق، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ٣٣)، وانظر الإصابة (٤/ ٢٦٧) حول حضوره هذه المعركة.
(٦) اَنظر تفاصيل فتح دمشق في ابن الأثير (٢/ ٤٢٧ ـ ٤٢٩).
(٧) غزَّة: مدينة من أقصى بلاد الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقلّ، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ٢٨٩ ـ ٢٩١).
(٨) الفيقار: والي غزة من الروم.

الرأي، فأَنْطَلِقُ فآتيكَ بهم»، وكان الفيقار قد بعث رجلاً من رجاله يقف على الطريق ليقتله، فبعث الفيقار إلى ذلك الرجل ألاّ يعرض له، فخرج علقمة من عنده، فلم يَعُدْ[1]، وكان ذلك سنة خمس عشرة الهجرية[2]، ففتح عمرو بن العاص في هذه السنة غَزَّة[3].

ولما قدم عمر بن الخطّاب رضي الله عنه من المدينة إلى بلاد الشّام لفتح القُدْس التي يحاصرها المسلمون، وفتحت القُدسُ أبوابها للمسلمين، واستسلم المدافعون عنها للمسلمين، فرّق عمر فلسطين على رجلين: فجعل علقمة بن حكيم على نصف فلسطين (الشمالي) وأسكنه (الرَّملة)[4]، وجعل علقمة بن مُجَزِّز على نصفها الآخر (الجنوب) وأسكنه (إِيْلِيَاء)[5]. فأصبح علقمة والياً على جنوبي فلسطين وكانت عاصمته القُدْس، وكان ذلك سنة خمس عشرة الهجريّة[6].

وأصبح علقمة سنة سبع عشرة الهجرية على فلسطين كلها[7]، ويومها كان الوالي مسؤولاً عن القضايا العسكرية كمسؤوليته عن القضايا الإداريّة، فهو قائد ووالٍ في وقت واحد، يؤدي واجبه الإداري في السّلام، وينهض بأعباء القتال في الحرب.

الشّهيد

بقي علقمة عاملاً لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه على حرب

(١) الطبري (٣/ ٦٠٤)، وابن الأثير (٢/ ٤٩٦). .
(٢) ابن الأثير (٢/ ٤٩٧).
(٣) ابن الأثير (٢/ ٤٩٧).
(٤) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين، انظر معجم البلدان (٤/ ٢٨٦) وهي قرب مدينة اللّدّ.
(٥) إيلياء: اسم مدينة بيت المقدس، انظر معجم البلدان (١/ ٣٩٢). .
(٦) الطبري (٣/ ٦١٠)، وابن الأثير (٢/ ٥٠١). .
(٧) الطبري (٤/ ٦٧)، وابن الأثير (٢/ ٥٣٦).

فلسطين[1]، وفي سنة عشرين الهجرية (٦٤٠ م) بعث عمرُ علقمةَ إلى الحبشة، وكانت قد تعرّضت ببلاد المسلمين فأصيب قسم من المسلمين، وقد بعث عمرُ علقمة في البحر لحرب الحبشة، فأصيب المسلمون في البحر[2]، وهلكوا كلّهم[3]، فجعل عمر على نفسه أن لا يحمل في البحر أحداً للغزو من المسلمين[4] فرثى حَوّاس العذري علقمة فقال:

إنّ السّلام وحسن كلّ تحيّةٍ تغدو على ابن مُجَزِّزٍ وتروح[5]

وهكذا انتهت مسيرة حياة علقمة في الجهاد لخدمة الإسلام والمسلمين بالشّهادة، وكانت الشهادة من أغلى أمانيه، فتحقّقت أمنيته فضحّى بروحه دفاعاً عن الإسلام والمسلمين.

وكان استشهاده سنة عشرين الهجرية (٦٤٠ م).

الإنسان والقائد

١ ـ كان علقمة أحد قادة النبيّ ﷺ وأحد أمرائه[6]، وكان أحد عمّال أبي بكر الصدِّيق وقادته، وكان أحد عمّال عمر بن الخطّاب وقادته، فكان موضع ثقة النبيّ ﷺ وخلفائه من بعده، لم يتخلّوا عنه، واستعانوا به في أعمالهم الإدارية والعسكرية وفي السّلم والحرب.

وكان جواداً مُمَدَّحاً[7]، يُعطي عطاء مَنْ لا يخشى الفقر، ويكرم

(١) الإصابة (٤/ ٢٦٧)

(٢) الطبري (٤/ ١١٢)، وابن الأثير (٢/ ٥٦٩)، والإصابة (٤/ ٢٦٧).

(٣) أسد الغابة (٤/ ١٤).

(٤) الطبري (٤/ ١١٢)، وابن الأثير (٢/ ٥٦٩)، والإصابة (٤/ ٢٦٧).

(٥) الإصابة (٤/ ٢٦٧)، وأسد الغابة (٤/ ١٤)، والبداية والنهاية (٧/ ١٤٣)، وقد جاء فيه: أنّ علقمة توفي سنة ثلاث وعشرين الهجرية، دون أن يذكر أين تُوفّي وكيف توفّى، وقد انفرد بذلك فلم نأخذ به.

(٦) البداية والنهاية (٧/ ١٤٣).

(٧) البداية والنهاية (٧/ ١٤٣).

الضيوف، ولا يَرُدّ عن بابه قاصداً له بل يحقِّق له أمله في عطائه ولا يردّه خائباً. لذلك مدحه الشعراء في حياته ورثوه بعد موته، ولكن يبدو أنّ ما قيل فيه من الشِّعر قد ضاع في طيّات النسيان.

ومن الواضح أنّ علقمة كان رجل دولة بكلِّ ما في هذا التعبير من معاني، وهب كلّ طاقاته الماديّة والمعنوية للمصلحة العامة وحدها، فكأنّه لم يخلق إلّا لخدمة المصلحة ناسياً مصلحته الذاتية في خضمّ مصالح الإسلام والمسلمين، ومصالح غيره من الناس، فلم يُشغل نفسه بالحديث وروايته، ولا رواية له في كتب الحديث، وذكره جاء على لسان غيره لا على لسانه، لهذا لم يكن لاسمه ذكر في المصادر المعنية بالحديث والمحدِّثين.

ولا نعلم متى وُلِد، ولا متى أسلم، والأضواء على حياته إنساناً لا تبدي من سماته شيئاً مذكوراً.

وحسبه شرفاً أنّه نال شرف الصُّحبة وشرف الجهاد تحت لواء النبيّ ﷺ وشرف قيادة سرية من سراياه، وشرف العمل بإمرة الشيخين: أبي بكر الصدِّيق وعمر الفاروق رضي الله عنهما قائداً وإدارياً، وهو شرف بدون شك عظيم.

٢ ــ لقد قضى حياته كلّها مجاهداً، تارة جندياً من جنود المسلمين، وتارة قائداً من قادتهم، وفاضت روحه إلى خالقها في آخر لحظة من لحظات حياته، ولا يزال السيف بيده، فهو بدون شكّ ذا تجربة عملية على إدارة القتال وممارسته.

وتوليته القيادة على عهد النبيّ ﷺ وعلى عهد الشيخين من بعده، يدلّ على أنّه كان عالماً بفنون القتال، وهو بذلك قد حاز على مزيتين رئيستين من مزايا القائد المتميِّز: العلم المكتسب، والتجربة العملية.

أما المزية الثالثة وهي: الطبع الموهوب، فلا نستطيع إثباتها له ولا نفيها عنه، فما خاض معارك حاسمة وأثبت وجوده فيها لنتبيّن له: الطبع

الموهوب، كما أنّ حرمانه من خوض المعارك الحاسمة لسبب أو لآخر، لا ينفي عنه هذه المزيّة.

وفي دراستي: قادة الفتح الإسلامي، كان في نيتي إدخال علقمة بين قادة فتح الشّـام، باعتباره أحد الذيـن تولوا قيادة من قيادات بلاد الشّام مع الرعيل الأول من القادة الذين ولاّهم أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه مناصب القيادة بعد انتهاء حروب الرِدَّة وعودة الوحدة إلى العرب تحت لواء الإسلام.

ولكنّني لم أجد له فتحاً كالذي وجدت لغيره، فلم أدخله مع قادة فتح الشّام، فدخل مع قائمة قادة النبيّ ﷺ في هذا الكتاب، وهذا أجدى عليه من دخوله مع قائمة قادة الفتح، فتزكية النبيّ ﷺ له قائداً من قادة سراياه أهم من تزكية غيره له، وهو شرف عظيم.

وما كان النبيّ ﷺ ليولي رجلاً من أصحابه منصب القيادة، إلاّ إذا كان مستحقاً لهذا المنصب استحقاقاً لا مزيد عليه، فقد كان عليه الصّلاة والسّلام ملتزماً بمبدأ: (تولية الرجل المناسب العملَ المناسب)، التزاماً صارماً، ليعلِّم أتباعه ضرورة الالتزام بهذا المبدأ الحصيف، وليكون قدوة حسنة لهم في كلِّ زمان ومكان.

وأدّى النبيّ ﷺ الأمانة وبلّغ الرّسالة، وبقيت أعماله وأقواله سُنَّة للمسلمين، سار عليها قسم منهم فأراحوا واستراحوا، ولم يستطع أن يسير عليها قسم آخر فَدَمَّرُوا ودُمِّروا، وأتعبوا وتعبوا، وقاد الذين اتّبعوها بلادهم وأُمّتهم إلى النصر، وقاد الذين عجزوا من اتّباعها بلادهم وأُمّتهم إلى الهزيمة.

لقد كان من مزايا علقمة، إيمانه العميق بالله ورسوله وثقته المطلقة بهما، وتوكّله على الله في كلِّ أعماله ما عظم منها وما حقر وما كبُر منها وما صَغُر، فكان من أصحاب العقائد الذين يعملون لخدمتها ولا يعملون لخدمة أنفسهم.

وكان قادراً على إصدار القرارات السريعة الصحيحة، لذكائه اللّماع أولاً، ولأنّه يعتمد على الاستطلاع لمعرفة قوّة العدو وقيادته وأرضه ونياته.

ولعلّ ما فعله علقمة من استطلاع الفِيقار والي غَزَّة في أثناء حصارها كان عملاً فذاً لا يُقدم عليه إلاّ الأقلّ القليل من القادة. فقد كان علقمة قد حصر الفِيقَار بغَزّة وجعل يراسل فلم يُشفه أحدٌ بما يريد، فأتاه كأنّه رسول علقمة، فأمر الفيقار رجلاً أن يقعد له في الطريق، فإذا مرّ به قتله. وفطن علقمة، فقال: «إنّ معي نفراً يشركونني في الرأي، فأنطلق فآتيك بهم»، فبعث الفيقار إلى ذلك الرجل ألاّ يعرض له، فخرج علقمة ولم يَعُدْ، وفعل كما فعل عمرو بن العاص في الأرطبون[1].

فقد أقام عمرو على (أجْنـادِيْن)[2] لا يقدر من الأرطبون على شيءٍ ولا تشفيه الرُّسل فسار إليه بنفسه، فدخل عليه كأنّه رسول، ففطن به الأرطبون وقال: «لا شكّ أنّ هذا هو الأمير أو مَنْ يأخذ الأمير برأيه». فأمر إنساناً أن يقعد على طريقه ليقتله إذا مرّ به، وفطن عمرو لفعله فقال: «قد سمعتَ مني وسمعتُ منك، وقد وقع قولك مني موقعاً، وأنّا واحد من عشرة بعثنا عمر إلى هذا الوالي لنكايته، فأرجع فآتيك بهم الآن، فإن رأوا الذي عرضت عليَّ الآن، فقد رآه الأمير وأهل العسكر، وإن لم يروه رددتَهم إلى مأمنهم»، فقال: «نعم»، ورد الرّجل الذي أمر بقتله، فخرج عمرو من عنده. وعلم الروميّ أنّها خدعة اختدعه بها، فقال: «هذا أدهى الخَلْق».

وبلغت خديعته عمرَ بن الخطّابِ فقال: «لله درّ عمرو!»[3].

---

(١) ابن الأثير (٢/٤٩٧).

(٢) أجنادين: موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين، وهو من الرّملة من كورة بيت جبرين، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/١٢٦ ـ ١٢٧).

(٣) ابن الأثير (٢/٤٩٨ ـ ٤٩٩).

ولا تختلف عملية علقمة عن عملية عمرو في أسلوبها وفي أهدافها ولا في طريقة التخلّص من مخاطرها، ويبدو أنّ عملية عمرو شاعت لقولة عمر بن الخطّاب فيه: «لله درّ عمرو!»، بينما بقيت عملية علقمة معروفة في أضيق نطاق.

وعملية علقمة تدلّ على حرصه على الاستطلاع الشخصي حرصاً لا مزيد عليه، كما أن ذكاءه الخارق وحضور بديهته وحسن تصرّفه، مزايا تجعل القائد قادراً على وضع خطّة سريعة وصحيحة في آن واحد.

وكان يتمتّع بشجاعة شخصيّة فائقة، ولعلّ إقدامه على استطلاع أحوال الفِيقار استطلاعاً شخصياً مع احتمال انكشاف أمره وتعرّضه من جراء ذلك إلى الهلاك دليل على شجاعته الشخصية الفائقة.

وقد ركب البحر مرتين قائداً، مرة على عهد النبيّ ﷺ، ومرّة على عهد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، وإقدام أعرابيّ على ركوب البحر دون سابق تجربة في معاناة ركوبه لا يخلو من شجاعة نادرة.

وكان ذا إرادة قويّة ثابتة، إذا قرّر أمراً أبرمه بدون تردّد، ولا يتخلّى عن هدفه قبل أن يبذل من أجل تحقيقه ما يستطيع من جهد مادّي ومعنويّ.

وكان ذا نفسية لا تتبدّل في حالتي النّصر والاندحار، أسوة بنفسيّة المؤمن الحق، الذي يرى أنّ الجهاد يتوّج دوماً بإحدى الحسنيين: النصر أو الشّهادة، وهما خيران من الله على كلِّ حال، فلا مجال لأن تتبدل نفسيّته في حال من الأحوال.

وكان يتمتّع بمزيّة سبق النظر، فكان يحسب لكلِّ أمرٍ حسابه بدقّة وحذر، ويدخل في حسابه أسوأ الاحتمالات.

وكان يعرف نفسيّات رجاله وقابلياتهم، لأنّه يعيش معهم أكثر مما يعيش مع أهله، فكان يكلّف كلّ واحد منهم ما يناسب نفسيّته وقابليته، ولا يكلِّف المرءَ ما لا يطيق.

وكان موضع ثقة النبيّ ﷺ وموضع ثقة الشيخين: أبي بكر الصدِّيق وعمر بن الخطّاب رضي الله عنهما، وموضع ثقة رجاله، وكان يبادلهم ثقة بثقةٍ وحبّاً بحبٍّ، والثقة والحبّ المتبادلان بين القائد ورجاله أساسان رئيسان من أُسس نجاح القائد في قيادته.

وكان ذا شخصيّة قويّة نافذة، يسيطر بالمثال الشخصي والعدل والثقة والحبّ، لا بالإكراه والظلم والكبت والكراهيّة.

وكان ذا ماضٍ ناصع مجيد في خدمة الإسلام والمسلمين، والواقع أنه قضى حياته كلّها في خدمة عقيدته، ونسي أوّل ما نسي نفسه في خضمّ خدمة عقيدته بأمانة وقوّة وإخلاص.

وكان من القادة الذين لا يكتفون بما تمليه عليهم أفكارهم الخاصة وتجاربهم العملية بل يستشيرون رجالهم ويعملون بما يشيرون عليهم.

وكان يطبّق أكثر مبادىء الحرب أهميّة بكفاية واقتدار.

فقد كان يطبّق مبدأ: اختيار المقصد وإدامته، فلا يتحرّك إلّا مفتوح العينين على هدى وبصيرة من غير تهوّر ولا ارتجال.

وكانت خططه كلّها تعرضيّة، ولم يتّخذ خطّة دفاعيّة في حياته العسكرية أيام النبيّ ﷺ وأيام الشيخين من بعده.

وكان يطبّق مبدأ: المباغتة، فقد باغت الحبشة في خوض البحر إليهم قائداً من سرايا النبيّ ﷺ، وباغت قائد حامية غَزَّة بزيارته مفاوضاً، فلم يعرف حقيقة أمره إلّا بعد نجاته، مما فتّ من عضد قائد حامية غَزَّة وأثّر في معنوياته، لأنّه وجد المسلمين يستأثر دونهم بالخطر ويؤثرهم بالأمن.

وكان يطبّق مبدأ: حشد القوّة، فيحشد القوّة المناسبة للنهوض بالواجب المقدس مع ملاحظة مبدأ: الاقتصاد بالمجهود، الذي يحول دون الإسراف بالقوّة دون مسوِّغ.

وكان يطبّق: مبدأ: الأمن، فلا نعرف أنّ العدو استطاع مباغتة قواته في معركة خاضها.

وكان يطبّق مبدأ: المرونة، فخططه قابلة للتحوير حسب ظروق القتال المستمرة بسرعة، وليست جامدة في قوالب صلبة.

وكان يطبّق مبدأ: التعاون، وقد برز تعاونه بوضوح في معركة اليرموك الحاسمة وفي معارك فتح فلسطين.

وكان يطبّق مبدأ: إدامة المعنويات، بالمثال الشخصي، والعقيدة الرّاسخة والقيادة الحكيمة، والنّصر.

وكان يطبّق مبدأ: الأمور الإدارية، فما عانت قوّاته من نقص في الشؤون الإدارية.

لقد كان علقمة بحق قائداً متميزاً، ولا عجب فهو أحد قادة النبيّ ﷺ.

علقمة في التاريخ

يذكر التاريخ لعلقمة، بأنّه نال شرف الصّحبة ونال شرف الجهاد تحت لواء النبيّ ﷺ.

ويذكر له، أنّه كان أحد قادة سرايا النبيّ ﷺ وأحد عمّاله.

ويذكر له، أنّه كان أحد عمّال الشيخين: أبي بكر الصدِّيق وعمر وأحد قادتهما.

ويذكر له، أنّه وهب حياته لخدمة الإسلام والمسلمين، فمات شهيداً ولم يسقط السيف من يده.

رضي الله عن الصحابيّ الجليل، الإداريّ الحازم، القائد الشهيد عَلْقَمة بن مُجَزِّز المُدْلِجيّ.

جيش النبي ﷺ

مجمل السِّيرة

ـ ١ ـ

تتلخّص سيرة النبيّ ﷺ وحياته المباركة في: التوحيد والجهاد.

لقد وحّد النبيّ ﷺ منذ مبعثه في مكّة المكرَّمة إلى هجرته إلى المدينة المنوّرة من أجل الجهاد: وحّد الأفكار بالتوحيد، ووحّد الصفوف بالتوحيد، ووحّد الأهداف بالتوحيد، وجمع الشّمل بالتوحيد، وبنى الإنسان بالتوحيد، وأزال نعرات الجاهليّة بالتوحيد، وغرس التضحية والفداء بالتوحيد، وجعل المسلمين كافة كالبناء المرصوص بالتوحيد.

لقد كانت حياته المباركة في مكّة المكرّمة عبارة عن توحيد من أجل الجهاد.

وجاهد النبيّ ﷺ منذ هجرته إلى المدينة المنوّرة من مكّة المكرّمة إلى أن التحق بالرفيق الأعلى من أجل التوحيد؛ فكان جهاده لتبليغ الدَّعوة إلى الناس كافة، ولتكون كلمة الله هي العليا في الأرض.

وكانت همّته العالية منصرفةً بكل طاقاتها الماديّة والمعنويّة، بتأييد من الله وتوفيقه، إلى غاية سامية واضحة المعالم هي (بناء الإنسان المسلم)، ليكون قدوة للآخرين في السِّلم والحرب، أخلاقاً وسلوكاً،

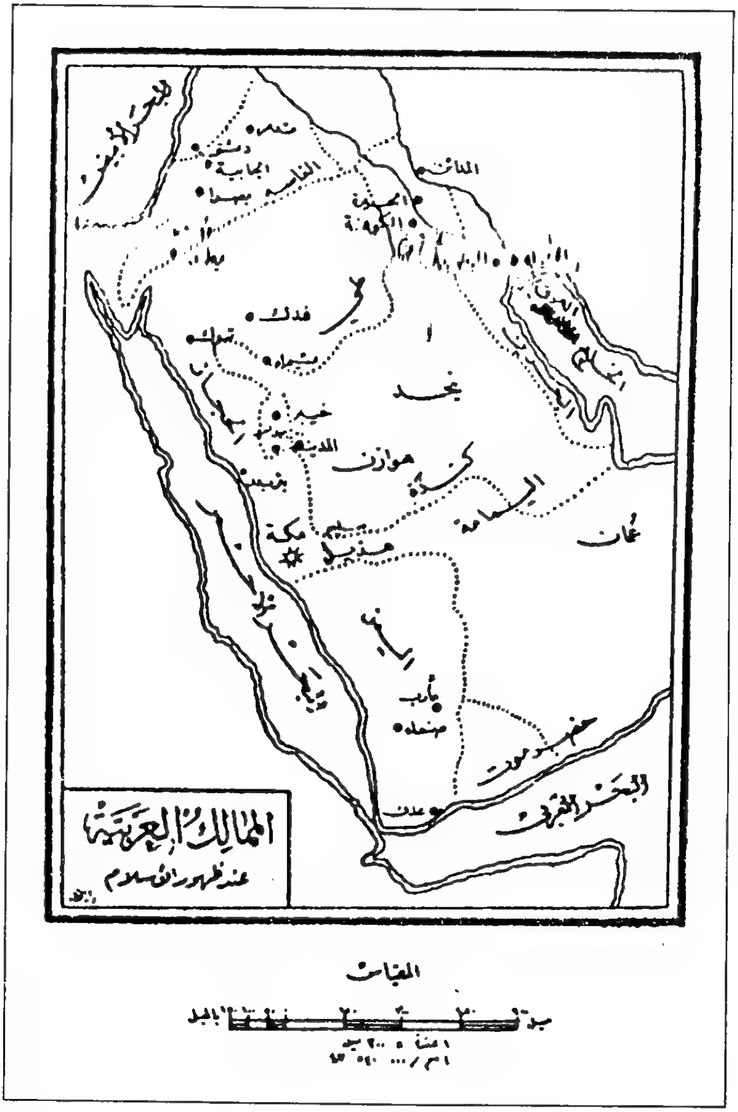
الممالك العربية
عند ظهور الإسلام
البحر الأبيض
تدمر
دمشق
الجابية
المدائن
الحيرة
الكوفة
فدك
تبوك
تيماء
نجد
خيبر
المدينة
هوازن
كندة
اليمامة
عمان
مكة
هذيل
اليمن
مأرب
صنعاء
حضرموت
عدن
البحر العربي
المقياس

ومعاملةً ومنهجاً، وأسلوباً للحياة الدنيا والآخرة معاً.

وكان سبيله إلى بناء الإنسان المسلم، هو التوحيد من أجل الجهاد، والجهاد من أجل التوحيد.

بالتوحيد، أشاع الانسجام الفكريّ لأول مرة بين المسلمين في التاريخ، وهذا الانسجام جعل التعاون الوثيق بينهم ممكناً، إذ لا تعاون وثيقاً مؤثراً بدون انسجام فكريّ يُذيب الاختلافات ويقضي على النزعات ويحمي من الأهواء.

كما أنّ هذا الانسجام جعل الجهاد ممكناً أيضاً، يقود إلى النّصر ويؤدي إلى الظّفر، إذ إنّ التعاون الوثيق والجهاد المقدّس الذي تستثيره العقيدة الرّاسخة الواحدة، جعل من المسلمين قوّة لا تُقهر أبداً، فوحّد الرّسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام في أيامه شبه الجزيرة العربيّة كلها تحت لواء الإسلام، ولا نعرف لها وحدةً بأيِّ شكل من الأشكال وبأية صورة من الصّور قبله أبداً، فكان جيش النبيّ ﷺ الذي أنشأه وأرسى دعائمه خلال عشر سنوات من عمره المبارك، هو الذي حمل رايات المسلمين شرقاً وغرباً من بعده، وتحمّل أعباء الفتح الإسلامي العظيم الذي شمل خلال تسعة وثمانين عاماً (١١ هـ - ١٠٠ هـ) من الصّين شرقاً إلى قلب فرنسا غرباً، ومن سِيبيريا شمالاً إلى المحيط جنوباً، فكان هذا الفتح فتحاً مُستداماً، لم ينحسر عن البلاد المفتوحة على الرغم من تقلّبات الظروف وتطوّرات الزمن، إلاّ عن الأندلس الذي انحسر عنها انحساراً سياسياً وعسكرياً، وبقي ثابتاً راسخاً فيها فكرياً وثقافياً واجتماعياً حتى اليوم.

مجمل تاريخ جيش النبي
- ٢ -

وتاريخ جيش النبيّ ﷺ، يبدأ من يوم مبعثه عليه الصّلاة والسّلام، فقد عمل جاهداً في ميدان بناء الإنسان المسلم، الذي هو المجاهد المسلم

قائداً وجندياً، ولكنّ تاريخه في التطبيق العملي للجهاد عشر سنوات فقط بدأت في المدينة المنوّرة.

وحين هاجر النبيّ ﷺ من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة وأمر أصحابه بالهجرة إليها، بدأ تنظيم الجيش الإسلامي وتسليحه وتجهيزه وقيادته (عملياً) جيشاً نظامياً له كيان واحد، وهدف واحد، وفكر واحد، وقيادة واحدة.

ومعنى الهجرة إلى المدينة المنوّرة، من الناحية العسكرية، هو حشد المجاهدين في قاعدة أمينة، تمهيداً للنهوض بأعباء الجهاد.

وبادر النبيّ ﷺ مباشرة، بعد استقراره في المدينة المنوّرة، إلى اختيار مكان مناسب لبناء مسجده، وبدأ ببنائه باللّبن، وشارك أصحابه في حمل اللَّبِنات والأحجار على كواهلهم، فَتَمَّ للمسلمين بناء المسجد: فراشه الرَّمل والحصى، وسقفه الجريد، وأعمدته الجذوع[1].

وتمّ ببناء مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنوّرة، بناء الثُّكْنَة الأولى لجيش النبيّ ﷺ، والثكنة الأولى في الإسلام.

وفي مسجد النبيّ ﷺ، أخذ بناء الإنسان المسلم يؤتي أكله مرتين: غيرُ القادرين على الجهاد من أولاد المسلمين الصغار ليكونوا جيش المستقبل وجنود الفتح الإسلامي وقادته، والقادرون على الجهاد من شباب المسلمين، وكهولهم وشيوخهم أيضاً ليكونوا جيش الحاضر والمستقبل وجنود الفتح الإسلامي وقادته، والقادرون وغير القادرين على الجهاد من المسلمين يُحقنون في المسجد النبويّ الشّريف بمصل الجهاد مادياً ومعنوياً، ليصبح الإنسان المسلم مجاهداً من الطراز الأول بماله ونفسه في سبيل الله.

---

(١) انظر التفاصيل في: طبقات ابن سعد (١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠)، وسيرة ابن هشام (١/ ١١٤)، والطبري (٢/ ٣٩٧)، وابن الأثير (٢/ ١٠٩)، والبداية والنهاية (٣/ ٢١٤)، وابن خلدون (٢/ ٧٤٠ ـ ٧٤١)، ومختصر تاريخ البشر (١/ ١٢٧)، وعيون الأثر (١/ ١٩٥)، وخلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١٤٦)، ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه (٢٤).

ولم يُؤْذَن للمسلمين بالقتال، وهو الجهاد الأصغر، قبل الهجرة من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة، بالرغم مما تَحَمّلوه من تعذيب وتشريد وعناء واضطهاد. وفي مكة المكرّمة اجتمع النبيّ ﷺ بسبعين رجلاً من مسلمي المدينة المنوّرة ليلاً في (العَقَبة)[1] في بيعة العقبة الثانية، فاستمع أحد المشركين وهو يتجوّل بين مضارب الخيام ومنازل الحجيج إلىٰ ما دار في اجتماع (العقبة) من حديث بين النبيّ ﷺ وأولئك المسلمين القادمين من المدينة المنوّرة، فصرخ يُنْذِرُ أهل مكة بأعلى صوته: «إنّ محمداً والصُبّاء[2] معه، قد اجتمعوا على حربكم».

ولم يكترث مسلمو المدينة من أهل العقبة الثانية بانكشاف أمرهم، بل أرادوا مهاجمة المشركين من قريش وغيرهم بأسيافهم، ولكنّ النبيّ ﷺ أمرهم بالتفرق والعودة إلى رحالهم، إذ لم يأذن الله لهم بَعْدُ بالقتال[3].

وبعد الهجرة إلى المدينة المنوّرة، نزلت أوّل آية من آيات القتال: **﴿أُذنَ للذين يُقَاتِلُون بأَنّهم ظُلموا وإنّ اللّهُ على نَصْرِهِمْ لَقَدِيْرٌ. الذين أُخْرِجوا من دِيارِهِمْ بِغَيْـرِ حَقٍّ إلاّ أَنْ يَقُولُوا: ربُّنا اللّهُ﴾**[4]، فخَرج الرّسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام غازياً في شهر (صَفَر) على رأس اثني عشر شهراً من مَقْدَمه إلى المدينة المنوَّرة، وبذلك بدأ الجهاد الأصغر عملياً في الإِسلام[5].

---

(١) العقبة: الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه، وهو طويل صعب إلى صعود الجبل. وأما العقبة التي بويع فيها النبي ﷺ، فهي: عقبة بين (منى) ومكة، بينها وبين مكة نحو ميلين، وعندها مسجد ومنها ترمى جمرة العقبة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ١٩٢ ـ ١٩٣)، والمشترك وضعاً والمتفق صقعاً (٣١١).

(٢) الصباء: جمع صابىء، وصبأ الرجل: ترك دينه، وكان المشركون يقولون لمن أسلم مع رسول الله ﷺ: الصابىء.

(٣) انظر التفاصيل في: سيرة ابن هشام (٢/ ٥٤ ـ ٥٧).

(٤) الآيتان الكريمتان من سورة الحج (٢٢: ٣٩ ـ ٤٠).

(٥) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٣)، والدرر (١٠٣)، وانظر كتابنا: الرسول القائد (٢٧ ـ ٢٨).

رسالة المسجد العسكرية

ـ ٣ ـ

لقد قضى النبيّ ﷺ اثنتي عشرة سنة من عمره المبارك في مكّة المكرّمة وسنة واحدة في المدينة المنوّرة بعد هجرته إليها يعمل جاهداً في ميدان: بناء الإنسان المسلم، منفِّذاً رسالة الله في مجال الجهاد الأكبر.

وقضى عشر سنوات في المدينة المنوّرة من عمره المبارك، من بداية الجهاد الأصغر حتى التحق بالرفيق الأعلى منفِّذاً رسالة الله في مجال الجهاد الأكبر وهو بناء الإنسان المسلم، وفي مجال الجهاد الأصغر، وهو الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس لإعلاء كلمة الله.

وقد بُعث النبيّ ﷺ في الأربعين من عمره المبارك، والتحق بالرفيق الأعلى عن ثلاث وستين سنة، فكان نبيّاً ورسولاً، ومعلماً ورائداً، وقدوة وأسوة ثلاثاً وعشرين سنة، وكان نبياً ورسولاً، ومعلماً ورائداً، وزعيماً وقائداً عشر سنوات، بلّغ الرِّسالة، وأدّى الأمانة، خلال عمره المبارك من مبعثه إلى وفاته في مجالين حيويين: مجال الجهاد الأصغر، ومجال الجهاد الأكبر، فعلّمنا أنّ الجهاد الأكبر هو الأصل، ولكنّ هذا الجهاد لا يبلغ غايته ويحقّق أهدافه ويصان ويُحمى إلاّ بالجهاد الأصغر، فلا حقّ بغير قوّة، ولا قوّة بغير مجاهدين صادقين، يجاهدون أنفسهم أولاً بالعقيدة الرّاسخة، لينتصروا على أعداء الإسلام بالأنفس الطّاهرة ذات الأخلاق المحاربة، لا بضخامة العَدَد والعُدَد، إذ لم ينتصر المسلمون على أعدائهم بالتفوّق العَدَدِيّ والعُدَدِيّ في أيام النبيّ ﷺ ولا في أيام الفتح الإسلامي العظيم، بل انتصروا بتطبيق تعاليم الدين الحنيف نصّاً وروحاً، فلما بدّلوا ما بأنفسهم وتغلّبت عليهم نفوسهم الأمّارة بالسُّوء، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، أصبحت انتصاراتهم هزائم، ولم يُفْلحوا أبداً.

إنّ تاريخ جيش النبيّ ﷺ، بدأ من أوّل نزول الوحي على المصطفى

عليه الصّلاة والسّلام، فأعدّ جنوده وقادته بالتدريج (أفراداً)، في مكّة المكرّمة ببناء الإنسان المسلم، فلما هاجر إلى المدينة المنوّرة وشيّد مسجده فيها، بدأت مرحلة جديدة من مراحل ذلك الجيش هي مرحلة تنظيم (الأفراد) قادة وجنوداً، استعداداً للجهاد الأصغر، ولم تمض سنة كاملة على إكمال تشييد المسجد النبويّ الشّريف، إلاّ وأصبح جيش النبيّ ﷺ متكامل التنظيم، قليل العَدَد ولكنه كثير المَدد، في قاعدة أمينة هي المدينة المنورة، يرتكز عليها في جهاده، وينطلق منها لتحقيق أهدافه، ويعود إليها من غزواته، ويحشد فيها الرجال والمعدات.

واتّخذ النبيّ ﷺ من مسجده النبويّ الشريف مقراً للقيادة: يُعِدّ فيه الخطط العسكريّة، ويعقد في رحابه مجالس الجهاد، ويهيّىء فيه المجاهدين الصّادقين، ويصدر فيه القرارات والأوامر والوصايا، وينصت فيه إلى ذوي الرأي من أصحابه، لأنّ أمرهم شورى بينهم.

وكان يحشد أصحابه في المسجد، ليشحنهم بطاقات ماديّة معنويّة لا ينضب معينها، ويحرِّض المؤمنين على القتال، ويأمرهم بالثبات وينهاهم عن الفرار، ويحذِّرهم الفرقة والنزاع، ويأمرهم بالطّاعة والنِّظام، ويشيع فيهم المحبّة والألفة والتآخي.

وكانت الغزوات والسّرايا تنطلق من المسجد، وتُعقد الرايات والأعلام والبنود للمجاهدين في المسجد، وتوزّع فيه الأسلحة والمعدّات، وكان أصحابه يجتمعون في المسجد حين يداهمهم الخطر، ويعود المجاهدون من الغزوات والسرايا إلى المسجد، وتضمّد جروح المصابين في المسجد، ويتعلّم المسلمون أحكام الجهاد في المسجد.

والفرق بين الغزوات والسّرايا، أنّ الغزوات يقودها النبيّ ﷺ بنفسه، والسرايا يقودها قادة النبيّ ﷺ من أصحابه الغرِّ الميامين.

أخرج الشيخان ـ واللّفظ لمسلم ـ عن أنسٍ رضي الله عنه، قال: «كان

رسول الله ﷺ، أجود النّاس، وكان أشجع النّاس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق النّاس قِبَلَ الصّوت، فتلقّاهم رسول الله ﷺ راجعاً وقد سبقهم إلى الصّوت، وهو على فرس لأبي طلحة رضي الله عنه، يجري في عنقه السّيف، وهو يقول: «لم تُراعوا... لم تُراعوا».

سبق النبيّ ﷺ جماعة الاستطلاع إلى الصّوت، وكان الصّحابة رضي الله عنهم قد تحشّدوا في المسجد انتظاراً لأوامر الرسول القائد عليه الصّلاة والسّلام وتوجيهاته.

لقد كان المسجد في أيام النبيّ ﷺ (مَثَابَةً) للمجاهدين قادة وجنوداً، والمثابة في المصطلحات العسكرية، هي: مكان اجتماع القائد برجاله لإصدار الأوامر إليهم ومكان استلام الأوامر، وكان المنادي ينادي حين يتعرّض المسلمون لخطر داخلي أو خارجي: الصّلاة جامعة.. الصّلاة جامعة... فيتقاطر المجاهدون إلى المسجد زرافات ووحداناً تلبية للنداء، عليهم السِّلاح كاملاً ويجهِّز لهم مَنْ وراءهم الخيل والدواب والإبل أو يجهِّزونها لأنفسهم ويربطونها خارجَ المسجد، وتُعَدُّ لهم الأمتعة اللاّزمة والتجهيزات، ليصاولوا العدو فوراً ويقضوا على الخطر الدّاهم، تنفيذاً لخطّة قائد واحد، تحقيقاً لغاية واحدة، هي الدفاع عن الإسلام والمسلمين.

بناء الإنسان المسلم

ـ ٤ ـ

وقد استطاع النبيّ ﷺ بناء الإنسان المسلم على ثلاث دعائم: العقيدة الراسخة، والقدوة الحسنة، واختيار الرجل المناسب للعمل المناسب.

أما العقيدة الإسلامية، فهي عقيدة منشئة بنّاءة، صالحة لكل زمان ومكان، لأنّها تهتمّ بالمادة اهتمامها بالرّوح، وتُعنى بالحياة الدنيا عنايتها بالدار الآخرة، وتغرس الضبط والنِّظام في القلوب والنفوس معاً، وتلتزم

انتشار الإسلام
في عهد النبي ﷺ
دمشق
مدائن
أهواز
قادسية
البصرة
دومة الجندل
مكة
الطائف
الأحقاف
عمان
البحر العربي
بلاد الحبشة
المقياس

بالخلق الكريم والمعاملة الحسنة والمُثُل العليا الأخرى، وتأمر بالشجاعة والثبات، وتنهى عن الجبن والفرار.

أما القدوة الحسنة، فقد كان خلق النبيّ ﷺ القرآن، وكان تعاليمُ الإسلام تمشي على الأرض بشراً سويّاً، لا يأمر بشيء إلاّ طبّقه على نفسه أقوى ما يكون التطبيق، ولا ينهى عن شيءٍ إلاّ ابتعد عنه أشد ما يكون البُعْد، وكان مثالاً عالياً للشجاعة والإقدام، وكان كالقمّة العالية في عمله ومعاملته بالنسبة لأصحابه وكلّهم قِمَمٌ عالية، وكان يؤثر رجاله بالخير والأمن ويستأثر دونهم بالخطر والمشقّة، وكان مثالاً شخصياً لأصحابه في كلّ عملٍ يبتغي به وجه الله والدار الآخرة، فكان قرنه خير القرون، لأنّ تأثيره المباشر في أصحابه كان عظيماً.

أما اختياره الرّجل المناسب للعمل المناسب، فقد كان مثالاً رائعاً حقاً في الالتزام بالعمل الصالح والإيمان العميق والخدمة المثمرة والكفاية العالية والماضي الناصع المجيد في اختيار قادته وعماله وقضاته وجُباته.

وكلّ مَن قرأ سِيَرَ عظماء الأمم في مختلف العصور، وفكّر كثيراً في طرق اختيارهم للذين يوكلون إليهم المناصب العامة، لا يمكن أن يجدوهم شيئاً مذكوراً بالنسبة لأسلوب النبيّ ﷺ في اختيار الذين يُوكِل إليهم المناصب العامة عسكريّة أو مدنية.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وَلِيَ من أمر المسلمين شيئاً، فوَلّى رجلاً وهو يجد مَنْ هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله ورسوله»، وفي رواية: «مَنْ قَلّدَ رجلاً عملاً على عِصَابة[1] وهو يجد في تلك العِصَابة أرضى منه، فقد خان الله وخانَ رسوله وخان المؤمنين»، رواه الحاكم في صحيحه[2].

(١) العصابة: الجماعة من الناس.
(٢) السياسة الشرعية للإمام ابن تيمية (١٠).

لقد دلت سُنّة رسول الله ﷺ، أن الولاية أمانة يجب أداؤها، فقد قال لأبي ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه في الإمارة: «إنّها أمانة، وإنّها يوم القيامة خزي وندامة، إلاّ مَنْ أخذها بحقّها، وأدّى الذي عليه فيها»، رواه مسلم[1]

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه: «أن النبيّ ﷺ قال: إذا ضُيِّعت الأمانة، انتظر السّاعة، قيل: يا رسول الله! وما إضاعتها؟ قال: إذا وُسِّد[2] الأمر إلى غير أهله، فانتظر السّاعة»[3] .

لم يكن عليه الصّلاة والسّلام يُقدِّم رجلاً على رجل إلاّ بالحق، وكان يختار الرجل المناسب للعمل الذي يناسبه، فولّى قيادة الجيش صاحب الطبع الموهوب والعلم المكتسب والخبرة العملية، لذلك انتصر قادته في السرايا التي تولّوا قيادتها في حياته المباركة، فلما رحل إلى لقاء الله، أصبح قادته أبرز قادة الفتح الإسلامي لأنهم من خريجي مدرسته في اختيار الرجال.

لقد ولّى النبيّ ﷺ خالد بن الوليد قيادة الصحابة بعد إسلام خالد مباشرة[4] .

وما يقال عن خالد بن الوليد يقال عن عمرو بن العاص، فقد ولّاه الصحابة بعد إسلام عمرو مباشرة[5] .

وقال عنهما لأصحابه الذين كانوا من حوله: «ألقت إليكم مكّة أفلاذ كبدها»[6] .

---

(١) السياسة الشرعية (١٣).
(٢) وسد الأمر إلى فلان: أسند إليه القيام بتصريفه.
(٣) السياسة الشرعية (١٣).
(٤) أسد الغابة (٣/ ٣٨٢) والاستيعاب (٧/ ١٠٣٤).
(٥) أسد الغابة (٣/ ٣٨٢) والاستيعاب (٧/ ١٠٣٤).
(٦) أسد الغابة (٣/ ٣٨٢) والاستيعاب (٧/ ١٠٣٤).

وكان عثمان بن عفّان رضي الله عنه غنياً، فأفاد المسلمون من ثرائه، ولم نسمع[1] أنّ الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام كلّف عثمان بمنازلة الأقران يوم الطعان.

وكان حسّان بن ثابت الأنصاريّ رضي الله عنه شاعراً مجيداً، فاستفاد المسلمون من قابليته الشعريّة، ولكنّ النبيّ ﷺ كان يجعله مع النِّساء عندما يتوجّه للجهاد.

وكان كثير من أصحاب النبيّ ﷺ يُعَدُّون من أشجع الشُّجعان، ولكنهم بقوا جنوداً في جيش المسلمين، ولم يتولّوا مناصب قيادية، لأنهم كانوا جنوداً متميِّزين، ولم يكونوا قادة متميِّزين.

وكان من بين أصحابه مَنْ يُحسن القراءة والكتابة، فجعلهم كتّاباً للوحي ومحرِّرين لرسائله إلى الملوك والأمراء.

وكان من بينهم إداريون ودعاة وجباة وقضاة، فولّى كلّ واحدٍ منهم ما يناسب قابلياته وكفاياته.

لقد كان النبيّ ﷺ يعرف حقَّ المعرفة كلّ مزايا أصحابه، فيفيد من تلك المزايا ويبرزها للعيان، ويُشجع أصحابها ويثني عليهم أطيب الثناء.

ولكنه في الوقت نفسه، يغضّ الطّرف عن النواقص، ويتستّر عليها ويبذل جهده لإصلاحها، ولا يذكرها بل يذكر المزايا حسب، ويأمر أصحابه بذكر مزايا إخوانهم حسب أيضاً.

واستفادته عليه الصّلاة والسّلام من كلِّ مزية لكلِّ مسلم، واستقطاب تلك المزايا لبناء المجتمع الإسلامي الجديد، فلا يضع لبنة إلاّ في مكانها اللائق بها والمناسب لها، جعل هذا البناء يرتفع ويتعالى سليماً مرصوصاً يشدّ بعضه بعضاً.

---

(١) سنن النسائي (٢/ ١٢٤)، وانظر حاشية السندي على هامش سنن النسائي (٢/ ١٢٤).

وكان ذلك سبباً من أهم أسباب انتصار النبيّ ﷺ عسكرياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً، وفي أيام الحرب وأيام السلام.

فلما التحق عليه الصّلاة والسّلام بالرفيق الأعلى، خلّف بين المسلمين عدداً لا يكاد يُعَدّ ولا يُحصى من القادة والأمراء والولاة والجباة والعلماء والفقهاء والمحدثين، قادوا الأمة الإسلامية عسكرياً وسياسياً وإدارياً ومالياً واجتماعياً وفكرياً إلى المجد والسؤدد والخير، وإلى الفتح والنصر والتوفيق، وإلى طريق الحق وسبيل الرَّشاد.

وصدق رسول الله ﷺ: «أصحابي كالنجوم، فبأيِّهم اقتديتم اهتديتم»[1]، فهؤلاء هم القادة الرّواد، من خريجي مدرسة المصطفى عليه أفضل الصّلاة والسّلام.

لقد نسي النبيّ ﷺ نفسه، وركّز كلّ تفكيره عملاً دائباً لمصلحة المسلمين.

نسي مصلحته الخاصة، وانصرف إلى مصلحة المسلمين العامة، لذلك استطاع تخريج القمم السّامقة من مختلف القابليات والكفايات لمختلف المناصب والواجبات.

استطاع بالدعامة الأولى: العقيدة الراسخة، أن يجعل من ضمير الفرد رقيباً عتيداً عليه، يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، وأن يجعل من المجتمع الإسلامي إخوة متحابين في الله: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾[2].

واستطاع بالدعامة الثانية: القدوة الحسنة، أن يجعل من الفرد المسلم مؤمناً بأنّ العقيدة الإسلامية قابلة للتطبيق عملياً، وأن ما لا يمكن أن يكون، يمكن فعلاً أن يكون، وأن يجعل المجتمع الإسلامي مؤمناً بأنه المجتمع

---

(١) رواه البيهقي في السنن، انظر مختصر الجامع الصغير للمناوي - مصطفى محمد عمارة - (١/ ٣٧٩).

(٢) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ١٠).

المثالي الذي يؤمن بعقيدة مثالية جاءت لمصلحة المؤمنين والناس جميعاً: **﴿وكذلك جعلناكم أُمّةً وَسَطاً، لتكونوا شُهداء على النّاسِ، ويكونَ الرَّسولُ عليكم شهيداً﴾**[1].

واستطاع بالدعامة الثالثة: اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب، أن يجعل الفرد المسلم يعتمد على قدرته وكفايته وإيمانه للتقدم ولا يعتمد على حسبه ونسبه وانحرافه عن مبادئه، ويجعل المجتمع الإسلامي يثق بعدل القيادة وترفّعها عن التحيّز والأهواء.

هكذا أعدّ الرَّسول القائد عليه الصّلاة والسّلام الفرد المسلم، وكلّ فردٍ مسلم جندي مجاهد في جيش المسلمين، مؤمناً بعقيدته الرّاسخة، واثقاً بقيادته الأمينة، لا يخشى على مستقبله الظلم والانحراف، مطمئناً على حاضره ومستقبله غاية الاطمئنان.

وهؤلاء الأفراد يؤلِّفون المجتمع الإسلامي، وهو جيش المسلمين المجاهدين في سبيل إعلاء كلمة الله، يشيع فيه الانسجام الفكري بالعقيدة الرّاسخة، يثق بقادته، ويتولّى أمره الزبدة المختارة من أبنائه من أصحاب الكفايات العالية، والقابليات المتميِّزة، والإيمان العميق، والماضي المجيد.

هذا المجتمع الذي يدافع عن عقيدته، ويحملها إلى الناس كافة لا يحملهم عليها، ويدافع عن أرضه وعرضه ـ ولا أقول عن أعراضه ـ لأنّ عرض كل مسلم عرض المسلمين جميعاً، كلّ أفراده يتساوون بالحقوق والواجبات، يسعى بذمّتهم أدناهم، وهم قوّة على سواهم، ليس بينهم تمييز طبقيّ ولا عرقي، هو جيش النبيّ ﷺ، ومثل هذا الجيش لا يُقهر ولا يَتَقَهْقَر أبداً.

---

(١) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢: ١٤٣).

أدوار بناء الجيش

ـ ٥ ـ

وجيش المسلمين الأول في تاريخه، يتلخّص بأربعة أدوار، تدرّج بها من الضّعف إلى القوّة، ومن الدفاع إلى الهجوم، فأصبح بالتدريج قوّة ضاربة ذات عقيدة راسخة ومعنويات عالية، تعمل تحت قيادة واحدة، لتحقيق غاية واحدة.

وهـذه الأدوار الأربعة هي بحسب تسلسلها الزمنيّ وتطورها التدريجي:

الدور الأول هو دور الحَشْد: من بعثته ﷺ سنة (٦١٠ م)، إلى هجرته من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة سنة (٦٢٢ م) واستقراره هناك.

وفي هذا الدور، اقتصر النبيّ ﷺ على الدعوة ونشرها: يبشِّر وينذر، ويرسّخ العقيدة، ويجاهد بكل طاقاته لتبليغ الدعوة ونشر الإسلام.

وبهذا الجهاد الأكبر، كوّن الخميرة الأولى لجيش المسلمين، ثمّ حشدهم في المدينة المنوّرة بالهجرة إليها، فكانت المدينة هي القاعدة الأمينة الأولى لجيش المسلمين.

والدَّور الثاني، هو دور الدفاع عن العقيدة: وقد اقتصر في السنة الأولى من الهجرة، على تنظيم الجيش الإسلامي وإعداده للجهاد.

وبدأ النبيّ ﷺ بعد نزول آية الإذن بالجهاد الأصغر: **﴿أُذِنَ للذين يُقَاتَلونَ بأنّهم ظُلِموا وإنَّ اللَّهَ على نَصْرِهِمْ لَقَدير. الذين أُخْرِجوا من دِيَارِهِم بغَيْرِ حَقٍّ إلاَّ أَنْ يَقُولوا: ربُّنا اللَّهُ﴾**[1]، يرسل السّرايا بقيادة القادة من أصحابه، وقاد بنفسه الغزوات، وانتهى هذا الدور: دور الدفاع عن العقيدة، بانسحاب الأحزاب عن المدينة المنوّرة بعد غزوة (الخَنْدق) في شوال من

(١) الآيتان الكريمتان من سورة الحج (٢٢: ٣٩ ـ ٤٠).

السنة الخامسة الهجريّة[1] ، وقيل: في ذي القعدة سنة خمس الهجريّة[2] ، ومعنى هذا، أنّ هذا الدور استمر أربع سنوات تقريباً.

وفي هذا الدّور كان مولد الجيش (تنظيمياً)، مولد الجيش الإسلامي جيشاً مجاهداً في ظلِّ مسجد النبيّ ﷺ، فازداد تعداد المسلمين، وأحرزوا انتصاراً حاسماً في غزوة (بَدْرٍ الكبرى) في رمضان المبارك من السنة الثانية الهجريّة[3] ، وأثبت جدارته في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وعن حريّة نشر الدعوة الإسلاميّة بين الناس كافّة، تجاه أعداء المسلمين من المشركين والمنافقين ويهود، المتفوّقين على المسلمين عَدَداً وعُدَداً.

وفي هذا الدّور اجتاز الجيش الإسلامي الوليد وقتاً عصيباً بنجاح باهر وانتصارات حاسمة، وصفهُ الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام قبل خوض غزوة (بدر الكبرى) بقوله وهو يناجي ربّه: «اللّهم إنْ تَهْلكْ هذه العصَابة لا تُعْبَد»[4]، مشيراً إلى موقف المسلمين العصيب، ولكنّه قال عليه الصّلاة والسّلام بعد انسحاب الأحزاب من غزوة (الخندق): «الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم»[5] ، مشيراً إلى تَحَسُّن موقف المسلمين من حال الخطر المحدق بهم إلى حال القوّة والمَنَعة.

والدَّور الثالث، هو دور (التَعَرُّضِ): من بعد غزوة (الخندق) إلى غزوة (حُنَيْن)[6] التي كانت في شهر شوال من السّنة الثامنة الهجريّة[7] .

---

(١) الدرر (١٧٩)، وعيون الأثر (٢/ ٥٥).

(٢) طبقات ابن سعد(٢/ ٦٥)، والمغازي للواقدي (٢/ ٤٤٠).

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٦)، وطبقات ابن سعد (٢/ ١٢)، والدرر (١١٠)، والمغازي (١/ ٢) و (١/ ٢١)، وعيون الأثر (١/ ٢٤٥).

(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٧)، وعيون الأثر (١/ ٢٥٥).

(٥) عيون الأثر (٢/ ٦٦).

(٦) حنين: واد قبل الطائف، بينه وبين مكة ثلاث ليال، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ٣٥٤).

(٧) طبقات ابن سعد (٢/ ١٤٩)، والمغازي للواقدي (١/ ٦)، وجوامع السيرة (٢٤١).

وفي هذا الدّور، انتشر الإسلام في شبه الجزيرة العربيّة كلّها، وأصبح جيش المسلمين قوّة ضاربة ذات اعتبار ووزن وأثر في البلاد العربيّة، واستطاع سحق كلّ قوّة باغية من المشركين ويهود تعرّضت بالمسلمين.

والدّور الرّابع هو دور (التّكامل): من غزوة: (حُنَيْن) إلى أن التحق النبيّ ﷺ بالرّفيق الأعلى، في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول من سنة إحدى عشرة الهجريّة[١].

وفي هذا الدّور تكاملت قوّات المسلمين، فسيطرت على شبه الجزيرة العربيّة سيطرة تامّة بدون منازع، ووحّدتها توحيداً كاملاً لأول مرة في تاريخها تحت لواء الإسلام.

ثمّ أخذت هذه القوّة تحاول أن تجد لها مُتَنفّساً في خارج شبه الجزيرة العربيّة، فكانت غزوة (تَبُوك)[٢] التي كانت في شهر رَجَب من السّنة التّاسعة الهجريّة[٣]، إيذاناً بمولد الدولة الإسلامية[٤].

ولستُ بحاجة إلى إثبات قابليّة النبيّ ﷺ القياديّة وكفايته العسكريّة[٥]، وصدق الله العظيم: ﴿الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[٦]، فقد كانت قابلياته وكفاياته القياديّة والعسكريّة وغيرها فذّة نادرة لا تتكرّر أبداً[٧].

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٢٧٢)، وسيرة ابن هشام (٤/ ٣٣٢)، والدرر (٢٨٧).
(٢) تبوك: موضع بين وادي القرى والشام، وهو حصن فيه عين ونخل، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/ ٣٦٥).
(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ١٦٥)، والدرر (٢٥٣).
(٤) انظر كتابنا: الفاروق القائد (٢٨ ـ ٢٩).
(٥) انظر كتاب: السبيل إلى القيادة للمشير مونتكمري (١٧ و ٢٨٢)، وكتاب: المائة الأوائل للدكتور مايكل هارث الذي اختار النبيّ ﷺ ليكون الأول في أهم رجال التاريخ.
(٦) الآية الكريمة من سورة الأنعام (٦: ١٢٤).
(٧) انظر التفاصيل في كتابنا: الرسول القائد (٤٢١ ـ ٤٨٠).

فقد قاد النبيّ ﷺ بنفسه سبعاً وعشرين غزوة[1]، وفي رواية أخرى: أنه قاد بنفسه خمساً وعشرين غزوة[2].

ولكنني بمقارنة تعداد الغزوات وتوقيتها في المراجع المعتمدة للسيرة النبويّة المطهّرة والمغازي والتاريخ، وإحصاء الغزوات التي قادها النبيّ ﷺ بنفسه، وجدت أنّ عدد الغزوات التي قادها بنفسه هي ثمان وعشرون غزوة (انظر الملحق أ المرفق)، ويبدو أنّ قسماً من المصادر أغفلت غزوة من الغزوات سهواً، وقسماً منها أغفلت أكثر من غزوة واحدة، ولكنّ تعداد الغزوات التي اعتمدتها في الملحق المرفق وردت في أكثر من مصدر معتمد، فآثرت إثباتها مُنَسّقة مبسّطة، لعلّ فيها فائدة للمعنيين بالدراسات العسكريّة الإسلاميّة[3].

وقد قاتل في تسع غزوات: بدر، وأُحد، والمُرَيْسِيع، والخندق، وقُريظة، وخَيْبر، وفتح مكة، وحُنَيْن، والطّائف[4]. بينما فرّ المشركون في تسع عشرة غزوة من غزوات النبيّ ﷺ بدون قتال[5].

وكانت سراياه التي بعث بها سبعاً وأربعين سرية[6]، وفي رواية: أنه بعث عدداً أكثر من السّرايا، والأول أصحّ (انظر الملحق ب المرفق).

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٥)، والمغازي للواقدي (١/ ٧)، وعيون الأثر (١/ ٢٢٣).
(٢) جوامع السيرة (١٦).
(٣) انظر التفاصيل في كتابنا: الرسول القائد (٤١٢ ـ ٤١٨)، ولم يدرج قسم من كُتّاب مصادر الغزوات غزوة بني قينقاع مع غزواته عليه الصّلاة والسّلام، انظر (مثلاً) سيرة ابن هشام (٤/ ٢٨٠).
(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ٥ ـ ٦)، وعيون الأثر (١/ ٢٢٣)، وجوامع السيرة (١٨ ـ ٢١).
(٥) انظر كتابنا: الرسول القائد (٤٣٤).
(٦) طبقات ابن سعد (٢/ ٦)، وعيون الأثر (١/ ٢٢٣)، وجوامع السيرة (١٧ ـ ٢١).

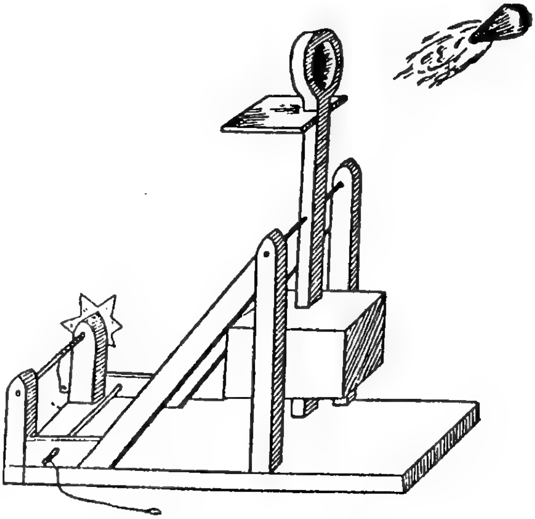

منجنيق لرمي النفط

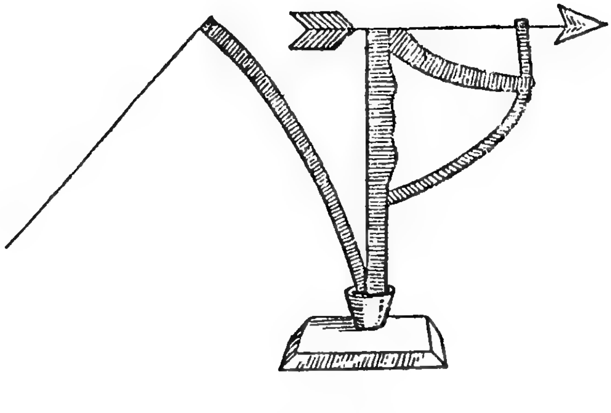

منجَنيَق لرَمي السهام الثقيلة

وقد قاد عليه الصّلاة والسّلام غزواته خلال سبع سنين بدأت من بعد هجرته من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة، فقد خرج إلى غزوة (وَدّان)[1] وهي أوّل غزوة قادها بنفسه في شهر صَفَر من السّنة الثانية الهجريّة[2]، وكانت غزوة (تبوك) آخر غزواته في شهر رجَب من السّنة التاسعة الهجرية، وكان من ثمرات تلك الغزوات توحيد شبه الجزيرة العربيّة تحت لواء الإسلام لأول مرة في التاريخ.

رائـد الفتـح
ـ ٦ ـ

وبدأ الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام يخطّط للفتح الإسلامي العظيم، فهو الذي رسم الخطّة التمهيديّة التي حملت جيش المسلمين على فتح (أرض الشام)[3] : فلسطين والأردن وسوريّة ولبنانَ، وتأسيس أوّل ركن لدولة الإسلام خارج شبه الجزيرة العربيّة على شواطىء البحر الأبيض المتوسّط الشّرقيّة.

ذلك أنّ الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام إلى جانب تبليغه الدعوة الإسلاميّة إلى قادة العالم في وقته: كسرى فارس، وقيصر القُسْطَنْطِينِيّة، وأُمراء وقادة العراق وأرض الشّام ومصر والخليج العربي واليمن والحبشة، كان قائداً ماهراً يقظاً لا يغضّ الطرف عن أيِّ مظهر عدوانيّ قد يحطّ من شأن دعوته أو يعمل على النّيل منها أو يضع العراقيل

(١) ودان: قرية قريبة من الجحفة، وهناك ودان بين الأبواء والجحفة، وهي من الجحفة على مرحلة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٨/ ٤٠٥).

(٢) المغازي للواقدي (١/ ٢)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٨)، والدرر (١٠٣)، وعيون الأثر (١/ ٢٣٤).

(٣) أرض الشام: حدودها من الغرب بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)، ومن الشرق البادية من (أيلة) إلى الفرات إلى حد الروم، ومن الشمال بلاد الروم (تركيا) ومن الجنوب حد مصر وتيه بني إسرائيل، راجع التفاصيل في المسالك والممالك للإصطخري (٤٣)، ومعجم البلدان (٥/ ٢١٩).

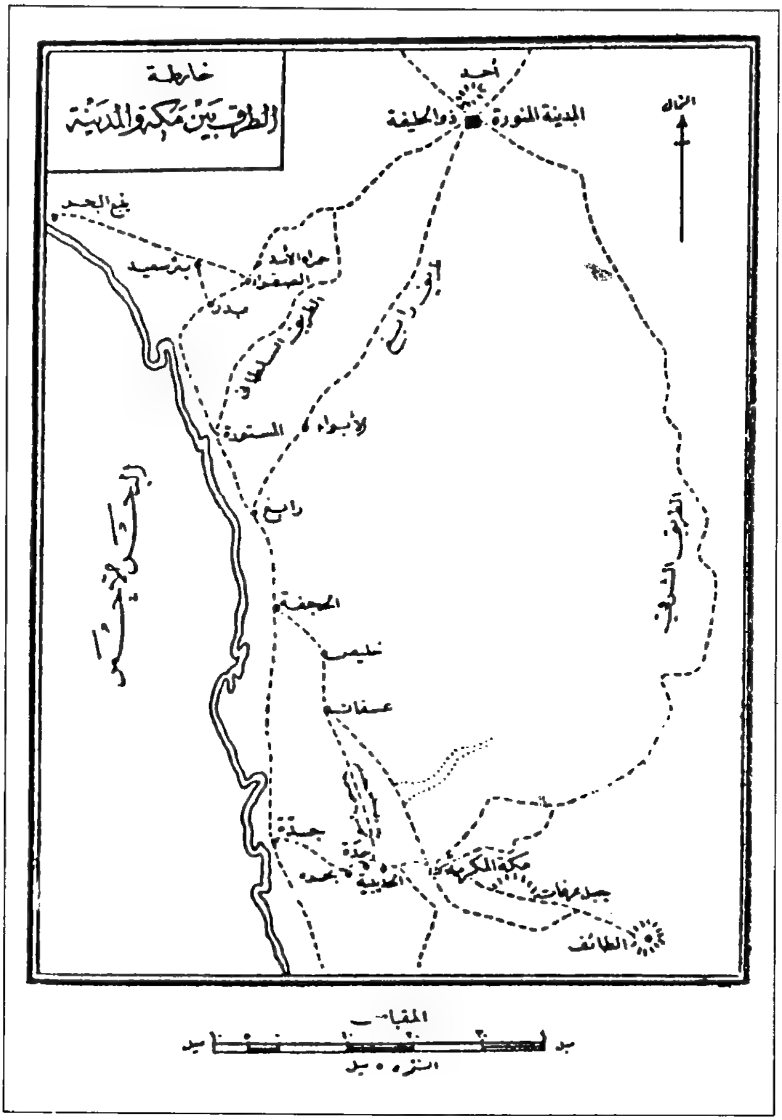
خارطة
الطرق بين مكة والمدينة
الشمال
أحد
المدينة المنورة
ذو الحليفة
ينبع البحر
بئر سعيد
الصفراء
بدر
الأبواء
المستورة
رابغ
الجحفة
خليص
عسفان
جدة
الحديبية
مكة المكرمة
جبل عرفات
الطائف
الطريق الشرقي
البحر الأحمر
المقياس

في طريق حريّة انتشارها، فلم يقف ساكناً أمام استشهاد رسوله الذي بعثه إلى أمير الغساسنة في (بُصْرَى)[1] ، فأرسل في السنة الثامنة الهجريّة (٦٢٩ م) أحد قادته المقرَّبين إليه، وهو زيد بن حارثة الكلبيّ على رأس حملة تعدادها ثلاثة آلاف رجل إلى الحدود الشماليّة الغربيّة من حدود بلاد العرب، وهناك عند (مُؤْتَة)[2] ، الواقعة على حدود (البَلْقَاء)[3] إلى الشّرق من الطرف الجنوبيّ للبحر (المَيِّت)، التقى المسلمون بقوّات الرُّوم وحلفائهم[4] الغساسنة.

ومهما تكن الخاتمة التي لقيتها غزوة (مؤتة)، فإنّ نتائجها وآثارها كانت بعيدة المدى، فبينما رأى الرّوم تلك الغزوة (غارة) من الغارات التي اعتاد البدو شنّها بين حين وآخر، كانت سرية زيد إلى (مؤتة) في الحقيقة غزوة من نوع آخر، لم تقدِّر امبراطورية الرّوم أهميتها، فهي حرب منظّمة كانت لها مهمة جديدة خاصة، جعلت المسلمين يتطلّعون جدّياً لفتح أرض الشام.

وفي السنة التالية، أي في السنة التاسعة الهجريّة (٦٣٠ م)، قاد النبيّ ﷺ بنفسه غزوة (تَبوك)، فأظهر قوّة المسلمين للرُّوم المتربِّصين بهم ثمّ عاد إلى المدينة المنوّرة، فكانت تلك الغزوة غزوة استطلاعيّة، بالإضافة إلى تأثيرها المعنويّ في الرّوم وحلفائهم الغساسنة.

وفي السنة الحادية عشرة الهجريّة (٦٣٢ م)، أعدّ النبيّ ﷺ سرية بقيادة أُسامة بن زيد بن حارثة الكلبي[5] (حِبّ رسول الله وابن حِبّه)،

(١) بصرى: قصبة كورة (حوران) من أعمال دمشق، انظر التفاصيل في البلدان (٢/ ٢٧٨).

(٢) مؤتة: قرية من قرى البلقاء على حدود الشام ووادي القرى، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ١٩).

(٣) البلقاء: كورة من أعمال دمشق ووادي القرى، قصبتها: عمان، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/ ٢٧٦).

(٤) انظر تفاصيل سرية (مؤتة) في كتابنا: الرسول القائد (٢٩٥ ـ ٣٠٢).

(٥) انظر تفاصيل سيرته في كتابنا: قادة فتح الشام ومصر (٣٣ ـ ٥١).

لمهاجمة الرُّوم، فولّى وجوه المسلمين شطر قِبْلَة عيّنها لهم وأهداف واضحة جليّة شرحها لهم، وأصدر إليهم أوامر حاسمة جازمة.

وهكذا وقف الرّسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام بثاقب نظره على أنّ أشدّ الأخطار التي يمكن أن تحلّ ببلاد العرب ودعوته الإسلاميّة، موطنها أرض الشّام حيث الرُّوم وعمّالهم الغساسنة، وقد أثبتت حوادث الفتح الإسلامي فيما بَعْدُ صدق هذه الإشارة، فكان الرُّوم أشدّ المحاربين عناداً[1].

تلك هي قصّة جيش المسلمين الأول، الذي أنشأه وسهر على رعايته، ودرّبه وجهّزه ونظّمه، وهيّأ له القادة الحُماة القادرين، وأشاع فيه المعنويات العالية بالعقيدة الرّاسخة، حتى أصبح جيشاً لا يُقْهَر من قلّة ولا بكثرة، حقّق وحدة قويّة، وأنشأ أمة عظيمة، وحمى عقيدة راسخة، في حياة قائده ورائده، ومؤسّس بنيانه، ومشيِّد أركانه، ومرسِّخ إيمانه بقوّة الله وعزّته وإرادته وهديه.

وقد نشأ هذا الجيش في المسجد، وشبَّ وترعرع في المسجد، واستوى على ساقه في المسجد، وتلقّى تعاليمه في المسجد، فقد جعل الله الأرض كلها مسجداً وطهوراً.

وفي المدينة المنوّرة، في مسجد النبيّ ﷺ، انطلق جيش المجاهدين الأولين للدفاع عن الإسلام والمسلمين، ثمّ انطلق لحماية الدعوة الإسلامية وحرية نشرها وتبليغها إلى الناس، ثمّ اندفع لصيانة الكيان الإسلامي، ثمّ تكفّل بصيانة الدولة الإسلامية مكانة وأرضاً وعِرْضاً، ثمّ نهض بأعباء حرب المرتدّين وإعادة الوحدة إلى شبه الجزيرة العربيّة، ثم تحمّل أعباء الفتح الإسلامي العظيم أقوى ما يكون عزماً وإرادة وتصميماً، فنقل المسلمون بهذا الفتح الإسلام إلى الأمم، ولم ينقلوا به الأمم إلى الإسلام، فكان نشر

(١) الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم (٤١).

الإسلام بالحسنى لا بالإكراه، بالحكمة لا بالقوّة.

لقد أُسّس بنيان هذا الجيش على تقوى من الله ورضوان، لذلك أحرز انتصارات باهرة لا تزال أعجوبة من أعاجيب الدهر، وحقّق فتوحات فذّة لا تزال باقية على الدَّهر، وصدق الله العظيم: ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ ورِضْوانٍ خَيْرٌ، أَمْ مَنْ أَسّس بنيانه على شَفا جُرُفٍ هارٍ فانهارَ به في نارِ جَهَنَّمَ، واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[١].

والدّرس الذي يمكن أن نسأله من بناء هذا الجيش الإسلامي الأول، جيش النبيّ ﷺ، هو أن نبني الجيوش العربية والإسلاميّة على أسس رصينة من تعاليم الدين الحنيف، لتتحلى تلك الجيوش بالمعنويات العالية التي ترتكز على تلك التعاليم.

وأن نُحسن لها اختيار القادة المؤمنين حقاً، من ذوي الطبع الموهوب والعلم المكتسب والتجربة العملية، القادة الذين يؤثرون مصلحة أمتهم وبلدهم على مصالحهم الذاتيّة.

وأن نُعِدَّ لها السِّلاح المتطوِّر، وندرِّبها التدريب المتكامل، ونهذِّبها التهذيب النّاجع، ونجهِّزها التجهيز المتميِّز، وننظمها التنظيم الدقيق.

وأن نعيد للمسجد مكانته ليؤدي رسالته في غرس العقيدة الرّاسخة والمعنويات العالية، فهو وحده يؤدي هذه الرِّسالة، أما غيره من الأماكن فهي تؤدي رسالة من نوع آخر، هي من مصلحة الأعداء لا من مصلحة الأصدقاء.

إنّ المسجد يكون في الأرض، ولكنّ السماء تكون فيه.

والنفوس المؤمنة لا تتشبّع بالماء كالإسفنْج، بل تتشبع بروح المسجد.

وكلُّ مَسْجِدٍ أُسِّس على التقوى ثكنة لجيش المسلمين ومدرسة، فمتى يعود المسلمون إلى المسجد، ليستعيد مكانته ويؤدي رسالته؟!.

---

(١) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩: ١٠٩).

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلّى الله على إمام المجاهدين الصادقين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطّاهرين.

والله أسأل أن يفيد بهذا البحث، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

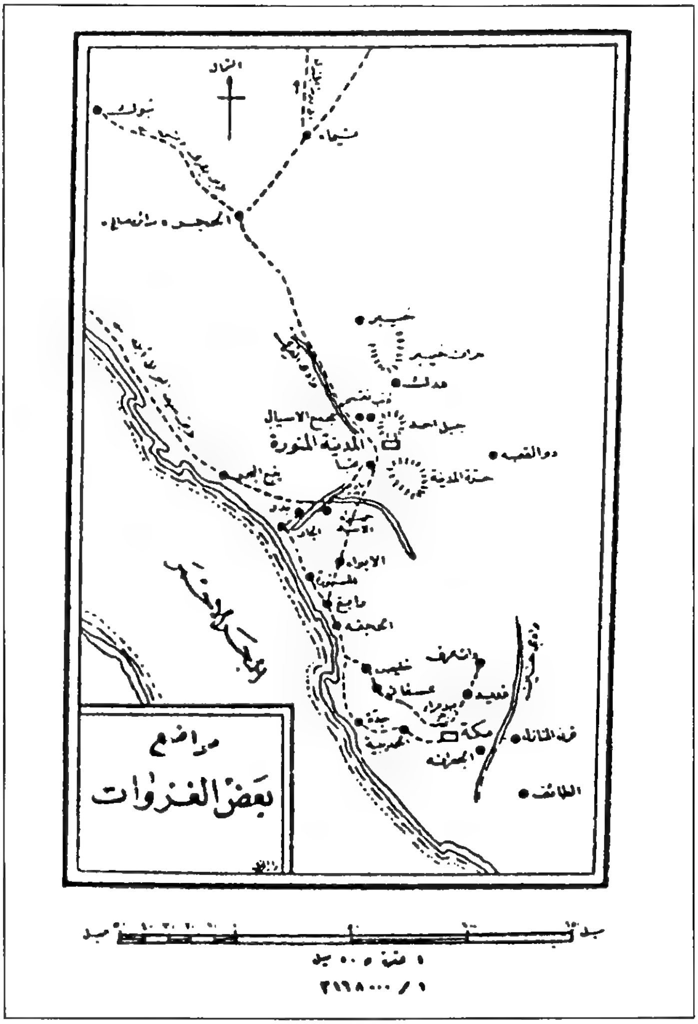

الأَسلِحَةُ العَرَبِيَّةُ الإِسلامِيَّةُ القَدِيْمَةُ

١ ـ الأهميــة

استعمل العرب المسلمون الأَسلحة العربية الإِسلامية في غزوات النبيّ ﷺ وسراياه، وفي معارك حروب الرِدَّة، وفي معارك الفتح الإِسلامي العظيم، وفي معارك استعادة الفتح، وفي المعارك الدفاعية عن البلاد الإِسلامية، وفي معركة (عَيْن جَالُوْت) بقيادة قطز على التتار، وفي معارك صلاح الدين الأَيّوبي على الصليبيين.

وكان من نتائج غزوات النبيّ ﷺ وسراياه، التي استمرّت سبع سنوات فقط[1]، توحيد شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإِسلام، لأول مرة في التاريخ، ولربما لآخر مرة أيضاً، إذ لم يوحِّدها غيره حتى اليوم.

وكان من نتائج معارك حروب الرِدَّة، التي استمرّت سنة أو بعض السَّنة، إعادة الوحدة إلى شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإِسلام، وإعادة الوحدة إلى صفوف المجاهدين التي لولا إعادتها لما كان الفتح الإِسلامي ممكناً، ولظلّ العرب في ديارهم يتّخذون خُطّة الدفاع، والمدافع لا ينتصر أبداً.

وكان من نتائج معارك الفتح، فتح بلاد شاسعة تمتدّ من الصين شرقاً إلى قلب فرنسا غرباً، ومن سيبيريا شمالاً إلى المحيط جنوباً، وإحراز انتصارات حاسمة على أعظم امبراطوريتين: الفُرس والرُّوم، وغيرهما من الأمم العريقة.

---

(١) الرسول القائد (٤٢٣).

وكان من نتائج معارك استعادة الفتح، إعادة فتح البلاد التي انتقضت إلى حظيرة الدولة الإسلامية من جديد بعد انتقاضها لسبب أو لآخر من الأسباب.

وكان من نتائج المعارك الدِّفاعية عن البلاد الإسلامية، بسط الحماية القادرة على تلك البلاد، وصدّ غارات المعتدين والطامعين عنها.

وكان من نتائج معركة (عين جالوت)، كسرُ شوكة تعرّض التتار الكبير لأول مرة على بلاد المسلمين، وصدُّهم عن تنفيذ خُطّتهم التعرضية للسيطرة على سائر بلاد المسلمين.

وكان من نتائج معارك صلاح الدين الأيوبي، تحرير كثير من البلاد من سيطرة الصليبيين، وكان على رأس البلاد المحرّرة مدينة القدس والمسجد الأقصى أول القبلتين وثالث الحرمين الطاهرين.

وكان استعمال العرب المسلمين للأسلحة العربية الإسلامية القديمة، سبباً من أسباب انتصارهم في تلك المعارك على أعدائهم، فمن المفيد معرفة هذه الأسلحة وأساليب استعمالها، لمعرفة سبب من أسباب انتصار المسلمين في مسيرتهم الطويلة المظفرة، ولتفصيل المعارك القتالية التي استعملت فيها هذه الأسلحة من أجل تقريبها إلى الأفهام، وهذا التفصيل مفيد للغاية في إعادة كتابة تأريخ المعارك العربية الإسلامية من جديد بأسلوب واضح خالٍ من التعقيد.

٢ ـ المنهاج

والأسلحة العربية الإسلامية كثيرة العدد، وازداد عددها كمّاً ونوعاً بالتدريج، ولم تبقَ على ما عليه من أيام غزوات النبيّ ﷺ وسراياه إلى أيام المعارك الدفاعية، بل تطوّرت وتكاثرت يوماً بعد يوم.

لقد كان العرب المسلمون يتحلّون بمزية: (المرونة) في القضايا

العسكرية عامة: في التسليح، والقضايا التعبويّة، والتنظيمية، وأساليب القتال.

وكمثال على ذلك، فإنّ خالد بن الوليد اقتبس أسلوب الكَراديس، قبل معركة اليرموك، نتيجة لاستطلاعه الشخصي لقوات الروم قبل أن ينشب القتال، وخرج في تعبية لم تُعبِّها العرب من قبل في ستة وثلاثين كردوساً إلى الأربعين[1]، وباشر القتال بهذا الأسلوب القتاليّ، فأحرز النصر على الروم في تلك المعركة الحاسمة.

وما كان خالد لينتصر على الروم، لو جمد على أسلوب العرب القتالي القديم: أسلوبِ الكَرّ والفرّ، وأسلوب الصفوف، ولكنّه اقتبس من الروم ما وجده صالحاً لجيش المسلمين في القتال وطبّقه فوراً، ولم يبق جامداً على الأساليب القتالية القديمة.

كذلك كان العرب المسلمون يقتبسون صنوف الأسلحة من أعدائهم، كما كان أعداؤهم يقتبسون منهم صنوف الأسلحة، نتيجة للمعارك التي يخوضونها، فكانت هجرة الأسلحة من جانب إلى جانب من جملة الدروس المستفادة من تلك المعارك.

لقد كانت أسلحة المسلمين عند ظهور الإسلام في غاية البساطة، رماحهم من مُرَّان[2]، وأسنَّتهم من قرون البقر، يركبون الخيل في الحرب أَعْرَاء، فإن كان الفرس ذا سرج فسرجه رِحالة[3] من أَدَم[4]، ولم يكن ذا ركاب، والرِّكاب من أجود آلات الطاعن برمحه والضّارب بسيفه، وكان فارسهم يطعن بالقناة الصمَّاء، بينما الجوفاء أخفّ حملاً وأشدّ طعنةً، وكانوا يفخرون بطول القناة ولا يعرفون الطّعن

(١) الطبري (٣/ ٣٩٦).
(٢) المران: شجر تتخذ من فروعه رماح فيها صلابة ولدونة.
(٣) الرحالة: سرج من جلدٍ بلا خشب.
(٤) الأدم: الجلد غير المدبوغ، ويطلق على المدبوغ أيضاً.

بالمَطارِد[1]، وإنما القنا الطوال للرجّالة والقصار للفرسان، وكانوا في ابتداء الفتح الإسلامي لا يعرفون الرتيلة[2] ولا العرّادة[3] ولا المجانيق ولا الدبابات ولا الخنادق ولا الحَسَك[4]، ولا يعرفون الأقْبِيَة[5] ولا السراويلات ولا تعليق السيوف ولا الطبول ولا البنود[6] ولا التجافيف[7] ولا الجواشِن[8] ولا الرمي بالمنجنيقات ولا الزّرق بالنفط والنيران[9].

تلك بعض مطاعن الشعوبية على العرب بشأن آلات الحرب كما نقلها الجاحظ في كتابه: (البيان والتَّبْيين) وردّ عليها[10]؛ ولا أرى في هذه المطاعن شيئاً يستحق الرد، فهي مفاخر لا مطاعن، وكفى العرب فخراً أنهم تغلّبوا على أعدائهم بهذه الأسلحة البسيطة البدائية، بينما كانت أسلحة أعدائهم أفضل من أسلحة العرب، فالأهم من السلاح هي اليد التي تستخدمه، وقد انتصر العرب المسلمون بهذه الأسلحة البدائية بفضل الأيدي المتوضئة التي استخدمتها في القتال.

ومن المعروف في تأريخ السِّلاح في العالم، أنّ السِّلاح ينتقل من أمة إلى أخرى بعد انكشاف أمره وفضح أسراره، وبمجرّد استعماله في المعركة

(١) المطارد: جمع مطرد، وهو الرمح القصير.
(٢) الرتيلة: آلة تقذف الحصيات على العدو.
(٣) العرّادة: آلة حربية تشبه المنجنيق.
(٤) الحسك: خناجر تصنع من الحديد الصّلب، لها شعب تفرز أنصبتها في الأرض حول المعسكر، أو حول الموضع الدفاعي، حتى إذا دب العدو إلى المعسكر أو الموضع، أنشبت في أرجل الخيل أو الرجالة، فتمنعهم من الدنو.
(٥) الأقبية: جمع قباء، ضرب من الثياب، أخذتها العرب من الفرس.
(٦) البنود: جمع بند، والبند: العلم الكبير.
(٧) التجافيف: جمع التجفاف (بكسر التاء)، آلة يغطى بها الفارس والفرس في الحرب للوقاية.
(٨) الجواشن: صدور الدروع، وقد تطلق على الدروع كلّها.
(٩) البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ (٣/ ١٣ ـ ١٦) ـ تحقيق السندوبي ـ ط ٤ ـ ١٣٧٥ هـ.
(١٠) البيان والتبيين (٣/ ١٧ ـ ٢٤).

لا يبقى سراً من الأسرار العسكرية، بل يصبح معروفاً للصَّديق والعدو معاً.

والمنهاج الذي اعتمدته في هذه الدراسة، يهدف إلى التركيز على أهمية دراسة الأسلحة العربية القديمة، للدلالة على الطريق حسب، تاركاً للباحثين سلوكه، لأنّ الدخول في تفصيلات سلاح واحد كالسيف مثلاً، يستغرق كتاباً مستقلاً ووقتاً طويلاً.

ولكن لا بد من التطرّق إلى أنواع الأسلحة وبخاصة المهمة منها، مع شيء من الوصف لها، لنُعِيْن الدّارس على سلوك الطريق.

٣ ــ التدريب على السِّلاح

لا قيمة لأيِّ سلاح من الأسلحة إلّا باستعماله، والتدريب على استعمال السِّلاح تدريباً راقياً دائباً هو الذي يؤدي إلى استعماله بكفاية، والمقاتل المدرّب على استعمال سلاحه هو وحده يستطيع استعماله بنجاح، أما المقاتل غير المدرب فلا يستفيد من سلاحه كما ينبغي، والمدرَّب يستطيع التغلّب على غير المدرب بسهولة ويُسر.

ومن الضروري أن يثق المقاتل بسلاحه، والثقة تتمّ بالتدريب على استعمال السِّلاح، فإذا كان المقاتل لا يثق بسلاحه لضعف تدريبه أو لضعف السّلاح، فإنّ مصير هذا المقاتل مصيرٌ لا يُحسد عليه.

وقد كان العرب قبل الإسلام يتدرّبون على استعمال السِّلاح، ولكن لم يكن تدريبهم إلزامياً، فكان منهم من يتدرّب ومنهم من لا يتدرّب بحسب رغبته وهواه.

فلما جاء الإسلام أمر بالتدريب وحثّ عليه، لأن الجهاد فرض على كلّ مسلم قادر على حمل السِّلاح، فالمسلمون كلّهم جند في جيش المسلمين، يجاهدون في سبيل الله، لتكون كلمته هي العليا.

وقد وردت أحاديث كثيرة في الحثِّ على الرّمي، والرّمي كما هو

معروف، هو الاختبار العلمي للتدريب على السِّلاح، فإذا كان الرامي (هَدَّافاً) كان ذلك دليلاً على تدريبه المتقن الرَّاقي، وإذا كان الرّامي (وَسَطاً) كان تدريبه وسطاً أيضاً، أما إذا كان (ضعيفاً)، فهو ضعيف في تدريبه.

فقد مرّ الرسول ﷺ على نفرٍ من (أسْلَم) ـ إحدى القبائل العربية ـ يَنْتَضِلون بالسّوق، فقال: «ارموا بني إسماعيل، فإنّ أباكم كان رامياً. ارموا وأنا مع بني فلان»، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: «ما لكم لا ترمون؟»، فقالوا: «كيف نرمي، وأنت معهم؟»، فقال: «ارموا وأنا معكم كلّكم»، رواه أحمد والبخاري.

وعن عَقْبَة بن عامر رضي الله عنه قال: «سمعت النبيّ ﷺ يقول: ﴿**وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة**﴾[1]، ألا إنّ القوة الرّمي، ألا إنّ القوّة الرّمي، ألا إنّ القوة الرمي»، رواه أحمد.

وقال عليه الصّلاة والسّلام: «مَنْ عَلِمَ الرمي، ثم تركه، فليس منا»، رواه أحمد. وقد شوهد كثير من الأئمة وكبار العلماء يمارسون الرمي بعد أن بلغوا الشيخوخة المتقدمة، ومنهم الإمام أحمد بن حَنْبل رضي الله عنه، فإذا سُئلوا عن سبب هذه الممارسة أو لمحوا استغراب الناس مما يفعلون، أجابوا المتسائلين والمستغربين بهذا الحديث النبوي الشريف.

ومعنى هذا الحديث أنّ المسلم يجب أن يمضي في تدريبه على السِّلاح من المهد إلى اللَّحد دون توقّف بسبب العمر أو العمل أو غيرهما من أسباب قد تشغله عن ممارسة التدريب العملي على الرّمي.

وعن النبيّ ﷺ أنه قال: «إنّ الله يُدخل بالسّهم الواحد ثلاثة نَفَرٍ في الجنة: صانعه الذي يحتسب في صنعته الخير، والذي يُجهِّز به في سبيل الله، والذي يرمي به في سبيل الله»، وقال: «ارموا واركبوا، وأَنْ ترموا خير لكم من أن تركبوا»، وقال: «كلّ شيء يلهو به ابن آدم فهو باطل، إلا ثلاثاً

(١) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨: ٦٠).

رَمْيَه عن قوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله»، رواه الخمسة: أحمد والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كانت بيد رسول الله ﷺ قوس عربيّة، فرأى رجلاً بيده قوس فارسية، فقال: «ما هذه؟ أَلْقِها، وعليك بهذه وأشباهها، ورماح القَنَا، فإنهما يؤيِّد الله بهما في الدين، ويمكِّن لكم في البلاد»، رواه ابن ماجه.

وعن عمر بن عَنْبَسة، قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «مَنْ رمى بسهمٍ في سبيل الله فهو له عَدْلٌ مُحَرَّر»[1]، رواه الخمسة، وصحّحه الترمذي.

وبالإمكان اتِّخاذ أهداف للتصويب عليها في التدريب على الرمي من الأحجار أو الأخشاب وسائر المواد التي لا روح فيها، فقد لعن النبيّ ﷺ مَنْ اتّخذ شيئاً فيه الروح غَرَضاً. وقال عليه الصّلاة والسّلام: «لا تتّخذوا شيئاً فيه الروح غَرَضاً»[2]، رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه.

ودخل أنس بن مالك رضي الله عنه دار الحكم بن أيّوب، فإذا قوم نصبوا دجاجة يرمونها، فقال: «نهى رسول الله ﷺ، أن تُصْبَرَ البهائم»، رواه البخاري ومسلم وأحمد[3].

وكان الذي يجيد الرماية في عهد الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام يُشار إليه بالبنان، ويرفع ذكره بين الناس.

فسعد بن أبي وقّاص كان يرمي بين يدي النبيّ ﷺ في غزوة (أُحُد)، وكان من أرمى الناس، فكان يجمع له الرّسول ﷺ أبويه ويقول له: «اِرمِ

---

(١) مثل عتق رقبة حرَّرها، انظر مختصر الجامع الصغير للمناوي (٢/ ٢٩٧).

(٢) غَرَضاً: هدفاً يرمي بالسهام.

(٣) انظر التفاصيل في: المنتقى من أخبار المصطفى (٢/ ٨٤٩ ـ ٨٥١)، وانظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (٢/ ٣١٠).

فداك أَبي وأُمي»[1]، قال سعد: «جمع لي النبيّ ﷺ أَبويه يوم أُحُد»[2].

وكان من مهرة الـرمـاة يوم (أُحُد) سَهْل بن حُنَيْف الذي بايع النبيّ ﷺ على الموت، وجعل ينضح عنه بالنَّبل حتى كشف الناس، فكان عليه الصّلاة والسّلام يقول لأصحابه: «نبِّلوا سَهْلاً»[3] أي: أعطوه نبلكم.

وكان رماة المسلمين يوم (أُحُد) خمسين، ويومها رمى النبيّ ﷺ عن قوسه (الكَتوم) حتى صار شظايا، فرمى بالحجر[4]، وكسر أبو طلحة يومئذ قوسين أو ثلاثة[5].

هؤلاء الهدّافون ذكرهم النبيّ ﷺ وذكرهم أصحابه ولا يزال ذكرهم يضيءُ صفحات التأريخ وكتب الرجال بالتقدير والثناء، لأنّ أحدهم كان هدّافاً، ماهراً في الرمي.

ولا أعرف عقيدة عسكرية غير العقيدة العسكرية الإسلامية أمرت بالتدريب على السِّلاح ونهت عن التخلّف عنه وشجّعت المتفوقين فيه وكرّمتهم في حياتهم وبعد موتهم، مما أدّى إلى تفوّق المسلمين في التدريب على استخدام أسلحتهم ومهارتهم في استعمالها في مبادىء القتال.

ومن الواضح أنّ حرص المسلمين على التدريب، وتفوّقهم فيه كان سبباً من أسباب انتصارهم في المعارك التي خاضوها.

---

(١) شرح النووي على مسلم (٥/١٥٨)، والطبري (٢/١٩٨)، وجوامع السيرة لابن حزم (١٦٢).

(٢) فتح الباري بشرح البخاري (٧/١٦).

(٣) أسد الغابة (٢/ ٣٦٥).

(٤) طبقات ابن سعد (٢/ ٢٩).

(٥) البخاري شرح القسطلاني (٥/ ٩٥).

٤ ـ الأسلحة الفردية القديمة

أ ـ القوس والسَّهم[١]:

أولاً: القوس:

القوس[٢] في الأصل عود من شجر جبلي صلب، يُحنى طرفاه بقوة، ويُشدّ فيهما وتر من الجلد أو العصب الذي يكون في عنق البعير، وهو يشبه إلى حد ما قوس المنجِّدين في هذه الأيام.

وكان العرب يسمّونها الذِّراع، لأنها في طولها، ولذا كانوا يتّخذون منها وحدة للقياس فيقيسون بها المذروع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[٣]، أي قدر قوسين عربيتين أو قدر ذراعين.

وعلى الرامي إذا أراد الرمي، أن يمسك وسط القوس باليسرى، ثم يثبت السّهم في وسط الوتر باليمنى، ثم يجذبه إليه مساوياً مرفقه الأيمن بكتفه، مسدِّداً بنظره إلى الهدف، فإذا بلغ الوتر نهايته تركه من أصابعه، فاندفع إلى وضعه الأول، دافعاً أمامه السّهم إلى هدفه.

وللقوس أجزاء، تجد أسماءها في الشكل المرفق (الشكل رقم ١) و (الشكل رقم ٢).

ثانياً: السّهـم:

القوس للرامي كالبندقية، والأسهم كطلقاتها، ولا بد للرامي من أن يحتفظ في كنانته بعدد من الأسهم عند القتال.

والسّهم والنَّبل والنُّشَّاب أسماء لشيءٍ واحد، وهو عود رفيع من شجر

---

(١) انظر التفاصيل في: الفن الحربي في صدر الإسلام (١٣٠ ـ ١٤٢) ـ عبد الرؤوف عون ـ القاهرة ـ ١٩٦١ م.

(٢) القوس: كما جاء في نهاية الأرب (٦/٢٢٧)، وتذكّر وتؤنّث كما جاء في المعجم الوسيط (٢/٧٦٦) ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ ١٣٩٣ هـ.

(٣) الآية الكريمة في سورة النجم (٥٣: ٩).

القــوس

الشـكل رقـم (١)

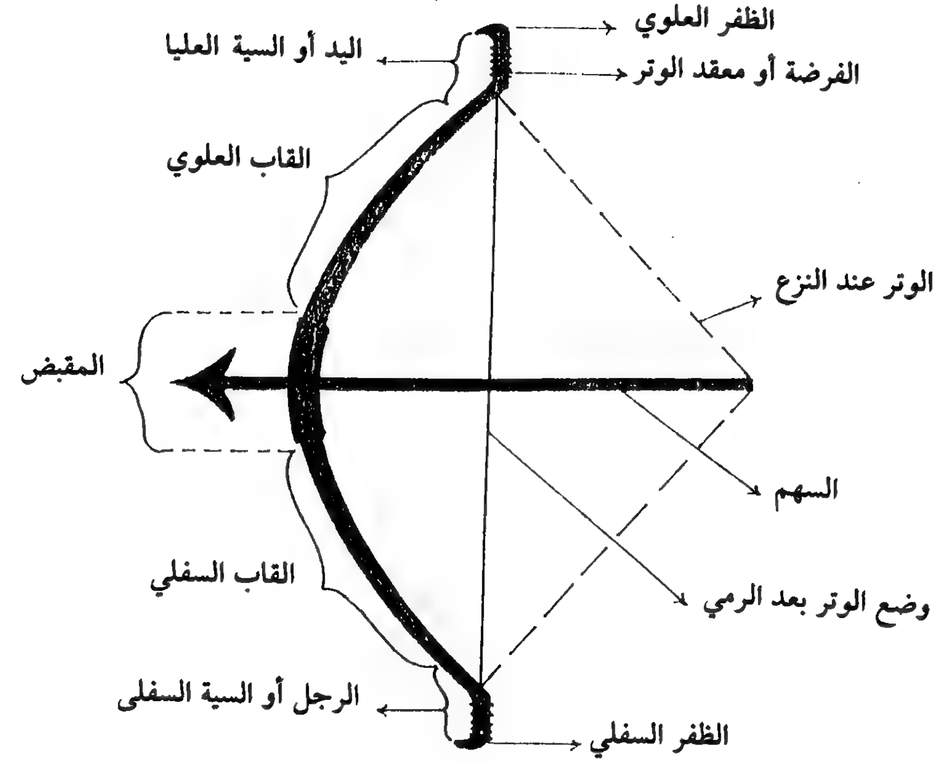

الشكل رقم (٢)

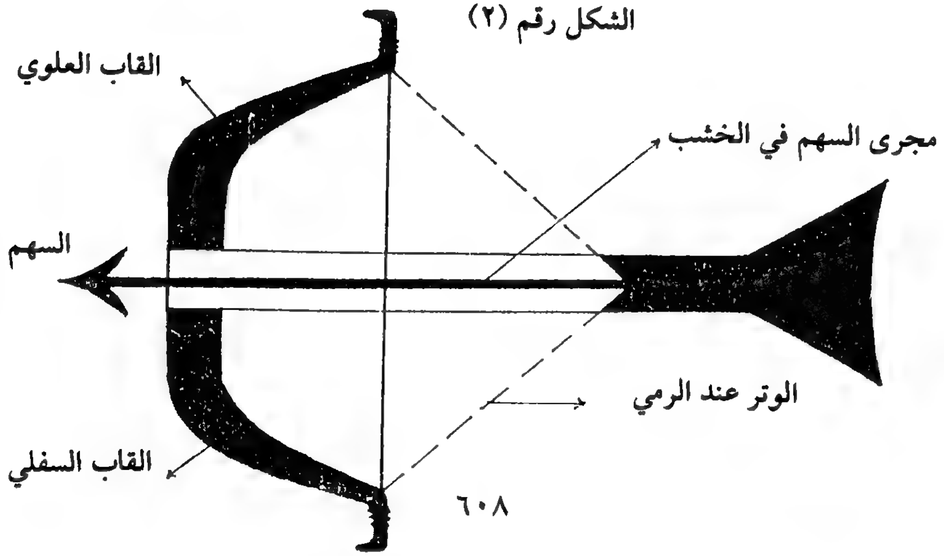

صلب في طول الذراع تقريباً، يأخذه الرامي فينحته ويسويه، ثم يفرض فيه فِراضاً دائرية، ليركِّب فيها الريش، ويشدّه عليها بالجلد المتين أو يلصقه بالغراء ويربطه ثم يركِّب في قمته نصلاً من حديد مدبب له سنتان في عكس اتجاهه، يجعلانه صعب الإخراج إذا نشب في الجسم.

وأجود الخشب للقوس والسّهم ما اجتمع فيه الصلابة والخفّة ورقّة البشرة وصفاء الأديم، وكان طويل العرْق غير رخو ولا متنفِّش، وأجود الخشب بالمشرق عود الشوحط وبالأندلس الصنوبر الأحمر الخفيف.

ومجمل أجزاء السهم تجدها في الشكل الرقم (٣).

والأصل في السِّهام أن يرمي بها عن بُعد، سواء أكان ذلك في ميدان مكشوف أم من وراء الأسوار والحصون، وهو سلاح قَتَّال فَتَّاك، وبخاصة إذا سقي نصله بالسّم.

وفي بعض الأحيان، كانت السِّهام تستعمل كأداة للتخاطب، يكتب عليها راميها ما يشاء، ثم يرميها لمن يشاء، حفظاً للسرية.

ب ــ الرمــح:

كان العربي يتّخذ رمحه من فروع أشجار صلبة، أشهرها النبع والشوحط، وأحياناً كان يأخذه من القصب الهندي المجوّف بعد تسوية عُقده بالسكِّين وتركيب نصل من حديد في رأسه.

ومجمل أسماء أجزاء الرّمح تجدها في (الشكل رقم ٤).

والرمح سلاح عريق في القدم، شاع استعماله عند الشعوب القديمة، وكان أكثر شيوعاً عند الأمم التي ترتاد الصحراء، ومنهم العرب.

وكان للرماح أطوال مختلفة، تتراوح بين الأربعة أذرع والخمسة والعشرة وما فوقها، الرماح الطوال خاصة بالفرسان حيث تساعدهم الخيل على حملها، أما النيازك أو المطارد وهي الرماح القصيرة فقد يستعملها الراجل والفارس أيضاً.

الشكل رقم (٣)

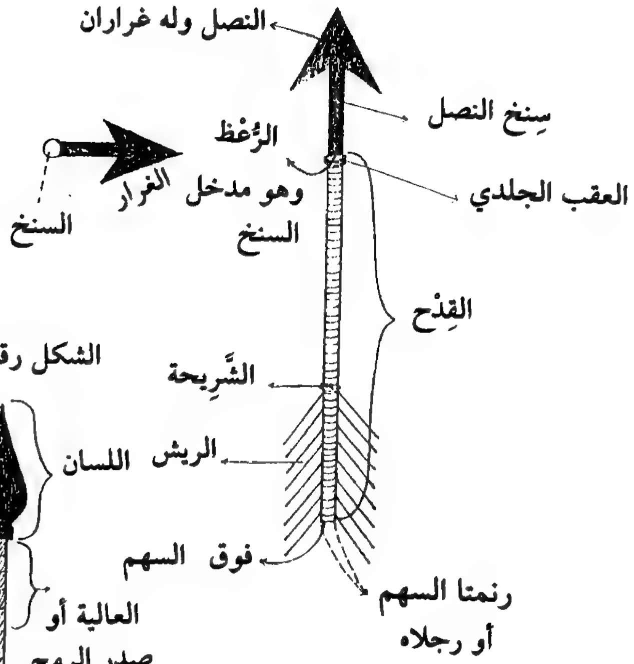

(السهم)

الشكل رقم (٤)

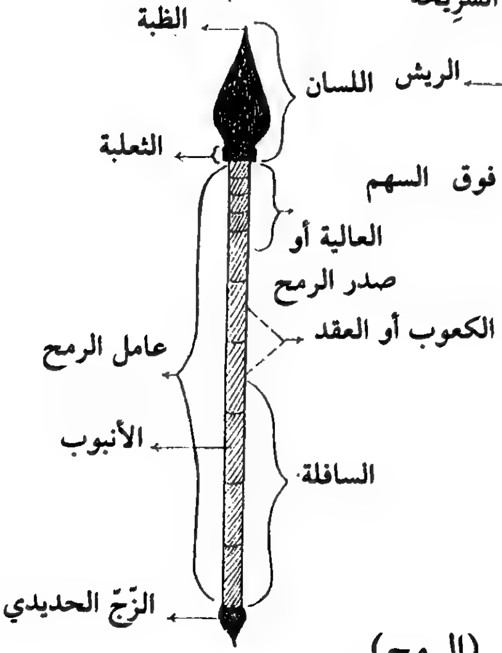

(الرمح)

وفي اللغة العربية الفصحى أن الحربة والنيزك والمزراق والمطرد والعَنَزَة، كلها أسماء لشيء واحد، وهي القصار من الرماح التي لم تبلغ أربعة أذرع، وهي أشبه شيء بالعصا[1].

وكان العرب يعنون بالرمح، ويفضِّلون القناة الصماء على الجوفاء لصلابتها وغنائها في المعارك، فيوالون دهنها بالزيت لتحافظ على مرونتها ولدونتها.

وطريقة حمل الرمح، كانت في الغالب الاعتقال، وهو خاص بالفرسان، وهو جعل الرمح بين الركاب والساق[2]، بحيث يكون النصل لأعلى والزج لأسفل. على أنه كان لقسم من القبائل العربية طرائق خاصة في حمله، فبنو سُلَيْم كانوا إذا ركبوا يضعون رماحهم بين آذان خيلهم، والأوس والخزرج كانوا يحملونها عليها مستعرضة، أما قريش فكانوا يحملون رماحهم على عواتقهم[3].

وكان المسلمون يقضون وقتاً طويلاً في التدريب على استخدام الرماح: إما بمطاردة الوحوش وطعنها بها، وإما بإعداد حَلْقَة من الحديد تسمى: (الوَثْرة) يتمرّنون على الطعن داخلها حتّى حذقوا الطعن بها.

جـ ـ السّيـف[4]:

السيف أشرف الأسلحة عند العرب وأكثرها غَناء في القتال، يحافظ العربي على سيفه ولا يكاد يفارقه، وقد امتلأت بتمجيده أشعارهم، وجاوزت أسماؤه المئة في لغتهم.

وهو آخر الأسلحة استعمالاً في المعركة بعد القوس والرمح، وذلك

---

(١) انظر التفاصيل في: الفن الحربي في صدر الإسلام (١٤٣ ـ ١٤٨).

(٢) نهاية الأرب (٦/٢١٨).

(٣) سيرة ابن هشام ـ طبعة الحلبي بالقاهرة ـ ١٣٤٨ هـ ـ (٣/ ٢٥٢).

(٤) انظر التفاصيل في: الفن الحربي في صدر الإسلام (١٤٨ ـ ١٥٤).

الشكل رقم (٥)

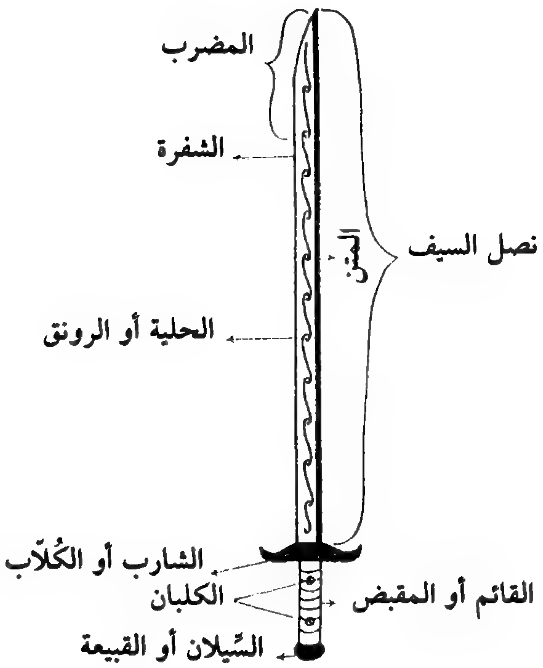

(السيف)

الشكل رقم (٦)

(الدبُّوس)

الشكل رقم (٧)

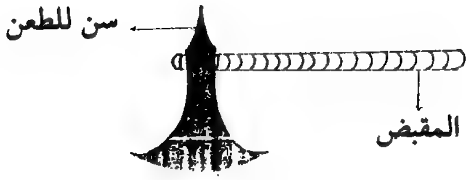

(الفأس أو البلطة)

أن القتال يكون أول أمره بالسِّهام عن بعد، ثم تطاعناً بالرمح عند المبارزة واقتراب الصفوف، ثم تصافحاً بالسيوف عند الاختلاط، ثم تضارباً بالأسلحة البيضاء، وخلساً بالخناجر عند الالتحام والاختلاط[1].... فهو الذي يحدِّد مصير المعركة، وعلى حسن بلائه تتوقف نهايتها.

ويكفي لبيان فضل السيف قول النبيّ ﷺ: «الجنة تحت ظلال السيوف»[2].

ومجمل أجزاء السيوف تجدها في الشكل رقم (٥).

وسيوف العرب أنواع كثيرة تختلف باختلاف صُنّاعها وأماكن صُنعها، أشهرها: السيف اليماني نسبة إلى اليمن، والهندي أو الهندواني أو المُهَنَّد وهو المصنوع في الهند، وهو يلي اليماني بالجودة، والمشرفي المنسوب إلى مشارف الشّام، والقَلَعي نسبة إلى القَلَعة حصن بالبادية، والبُصْرَوِيّ المنسوب إلى بُصْرَى بالشَّام.

وطريقة حمل السيف، تكون بتعليقه في الأكتاف والعواتق، ولذا يقال: تقلّد سيفه، أي جعله كالقلادة، وذلك بحمله على الكتف الأيمن وتركه متدلياً في جنبه الأيسر.

أما إذا كان الفارس يحمل سيفين، فإنّه كان يتقلَّد بأحدهما ويجعل الآخر في وسطه، وقد علّق كلّ واحد منهما في حمالته محفوظاً في قرابه الجلدي، انظر الشّكل الرقم (٥).

د ـ الخنجر[3]:

وهو معروف، يحمله المحارب في منطقته، أو تحت ثيابه، فإذا اختلط بآخر طعنه به خلسة.

---

(١) نهاية الأرب (٦/ ٢٣٨).

(٢) رواه الحاكم، انظر: مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (١/ ٢٤٩).

(٣) انظر التفاصيل في: الفن الحربي في صدر الإسلام (١٥٤ ـ ١٥٥).

الشكل رقم (٨)

الدرع البتراء ـ حلقات منسوجة

الشكل رقم (٩)

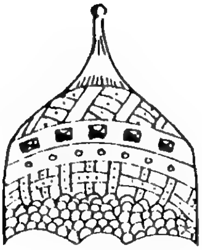

الخوذة

الشكل رقم (١٠)

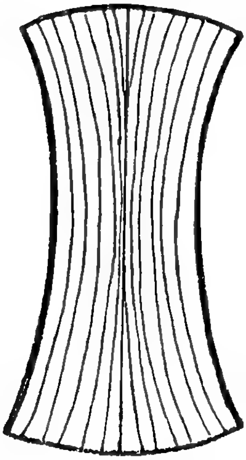

الترس المستطيل

الشكل رقم (١١)

الترس المقبب

وقد كانت قسم من نساء المسلمين يحملن الخناجر في الغزوات المختلفة تحت ثيابهن للدفاع الشخصي.

هـ ـ الدبّوس:

وبعضهم يسميها: المِطْرَقة، وهي عصا قصيرة من الحديد لها رأس حديد مربَّع أو مستدير، وهي في العادة للفرسان، يحملونها في سروجهم، ويقاتلون بها عند الاقتراب، انظر الشّكل رقم (٦).

و ـ الفأس أو البلطة:

وهو سلاح له نصل من الحديد، مركب في قائم من الخشب، كالبلطة العادية، بحيث يكون النصل مدبباً من ناحية، ومن الناحية الأخرى رقيقاً مشحوذاً كالسكين، وللاطلاع عليهما (انظر الشكل رقم ٧).

٥ ـ الأسلحة الجماعية القديمة(١)

أ ـ المنجنيق والعَرَّادة:

هذا السِّلاح الشديد النكاية بالأعداء، بعيد الأثر في قتالهم، فبحجارته تهدم الحصون والأبراج، وبقنابله تحرق الدور والمعسكرات، وهو يشبه سلاح المدفعية الحديثة. انظر الأشكال من (١٢) وحتى (١٦).

والعرَّادة آلة من آلات الحرب القديمة، وهي منجنيق صغير.

وقد كان الإنسان أول مرة يحارب بالحجر يرميه بيده، ثم اتخذ المِقلاع بعد ذلك لتكون رميتهُ بعيدةً قويةً، ثم فكّر في طريقة لرمي حجارة أكبر ولهدف أبعد، فهداه تفكيره إلى المنجنيق. واتّخذه أولاً على هيئة (الشّادوف) الذي يسقي به قسم من الفلاحين زرعهم، وهو عبارة عن رافعة، محور الارتكاز فيها في الوسط، والقوة في ناحية والمقاومة في

---

(١) نفس المصدر (١٥٦ ـ ١٧٤).

الشكل رقم (١٢)

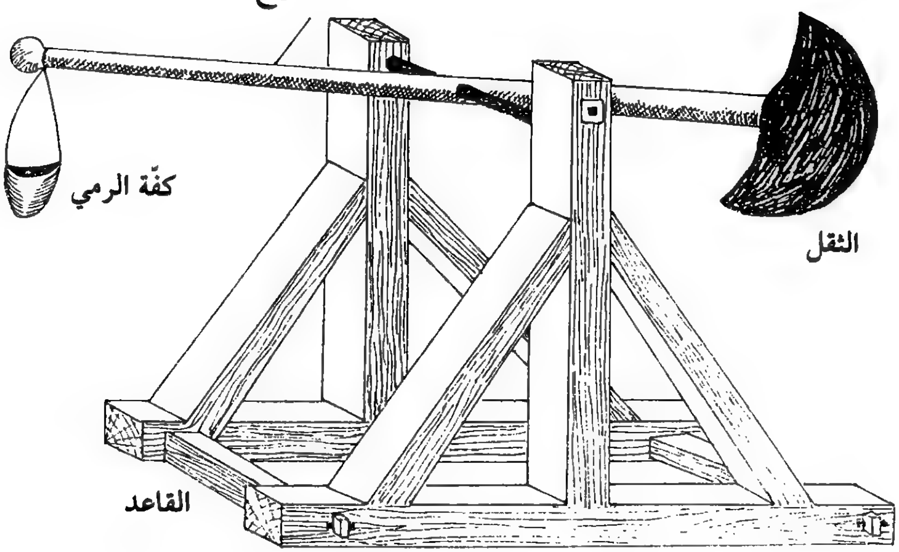

الشكل رقم (١٣)

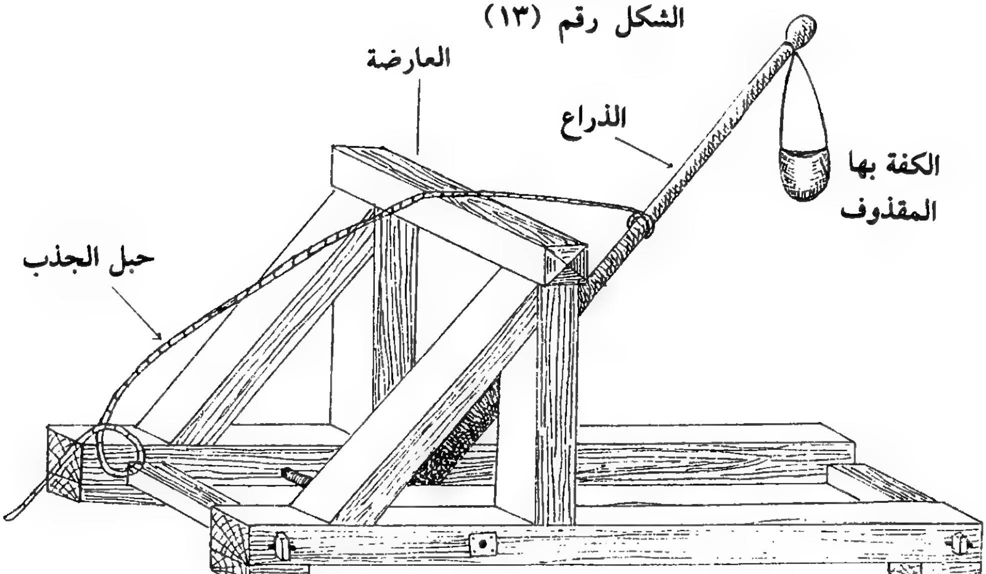

المنجنيـق

أخرى، على أن يكون ثقل الحجارة هو المحرِّك له، بحيث إذا هوى الثقل ارتفع الشيء المرمي في كفته.

وقد جعل في أوّل أمره على شكل قاعدة من الخشب السميك، مربعة، أو مستطيلة، يرتفع في وسطها عمود خشبي قوي، ثم يركّب في أعلاه ذراع المنجنيق قابلاً للحركة كذراع الشادوف، بحيث يكون ربعه تقريباً للأسفل يتدلّى منه صندوق خشبي مملوء بالرصاص والحجارة والحديد أو نحوها، ويختلف حجمه باختلاف المنجنيق، وتكون ثلاثة أرباع الذراع للأعلى تتدلى في نهايتها شبكة مصنوعة من حبال قوية، يوضع فيها الحجر المراد قذفه. وعند القذف به يُجذب أعلى الذراع إلى الأرض بقوة الرجال، فيرتفع الثقل المقابل من الحجارة والرصاص والحديد الذي بالصندوق، ثم تترك الذراع فجأة فيهوي الثقل، ويرتفع أعلى الذراع بالشبكة قاذفاً ما فيها من الحجارة إلى الهدف المعيَّن (انظر الشكل رقم ١٢).

وبمرور الزمن، شمل التحسين هذا السلاح، فصار يصنع من نفس القاعدة المتقدمة وفوقها قاعدة أخرى على شكل مربّع ناقص ضلع من أسفل، ثم تركب ذراع المنجنيق في وسط السطح العلوي لهذه القاعدة بحيث تكون قابلة للحركة، وبحيث يكون ثقل الرصاص في الناحية القصيرة السفلى، ثم يسحب الذراع كما سبق ذكره وتترك فجأة فيهوي الثقل بشدة، وتصدم الذراع بالعارضة السفلى في المربع فتقذف الشبكة ما فيها بشدة لاصطدام الذراع بالحائط الخشبي (انظر الشكل رقم ١٣).

وبعد أن شاع استعمال هذا السلاح لحقه كثير من التطوير فعرف منه نوع قوي يعمل بقوة الأوتار وهو عبارة عن قاعدة مصنوعة من كتل خشبية ضخمة تجر بقوة الرجال على الزحّافات أو العجلات الصغيرة، وقد ارتفعت القاعدة من ناحية على شكل جدار خشبي وثبت الذراع في أسفل القاعدة قابلة للحركة، وخلفها وتر قوي مُستعرَض يمنع سحبها للخلف، بينما ربطت بحبال مثبَّتة إلى مؤخر القاعدة تجذبها إلى الخلف، وعند الرمي يَلفّ

الشكل رقم (١٤)

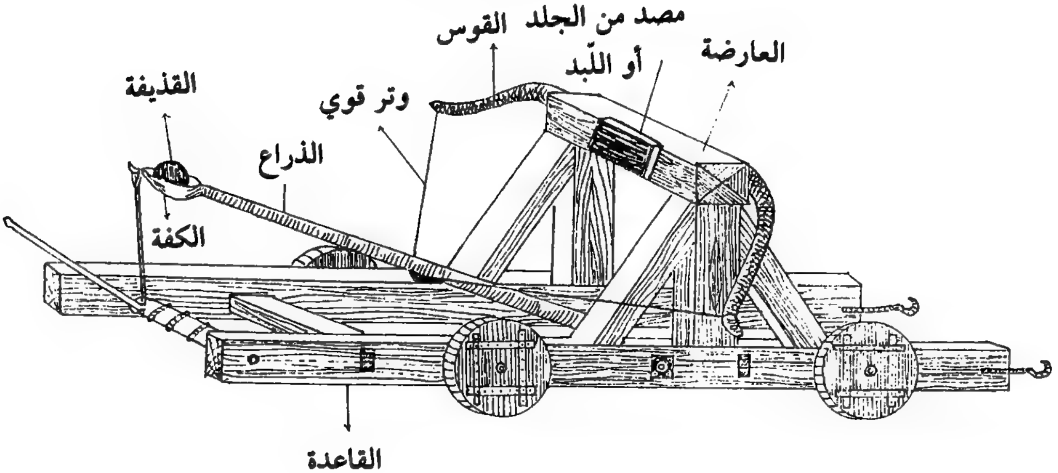

المنجنيق

الشكل رقم (١٦)

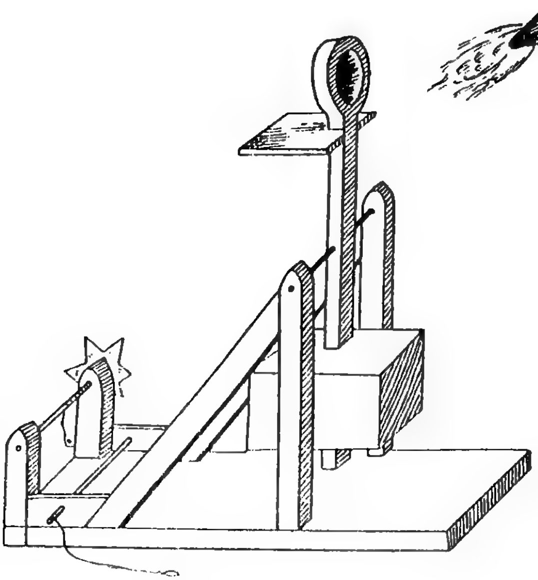

منجنيق لرمي النفط

الشكل رقم (١٥)

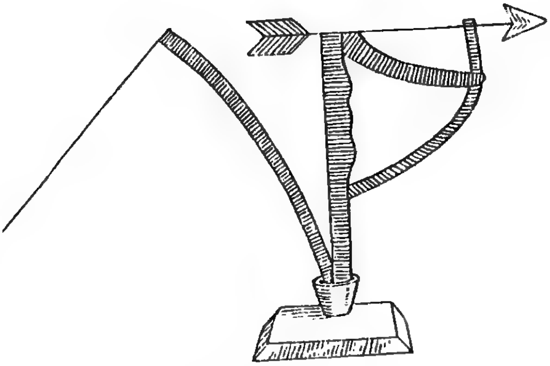

منجنيق لرمي السهام الثقيلة

الرجال العمود الخشبي المربوط به الذراع، فتجذب الذراع إلى الخلف، فيمتد الوتر الذي خلفها إلى نهايته، ثم يوضع الجسم المراد رميه في كفة الذراع، ثم تفك الحبال الخلفية مرة واحدة، فيجذبها الوتر بقوة عند انكماشه، فتصدم الذراع بالحائط الخشبي المثبت أمامها بقوة فترمي رميَها كأبعد وأقوى ما يكون الرمي. (انظر الشكل رقم ١٤).

ولم يستخدم العرب في الجاهلية المنجنيق، وأول من استعمله الرسول ﷺ في حصار مدينة الطائف[(١)].

ب ــ الدبّابة:

الدبابة آلة تتخذ للحرب وهدم الحصون[(٢)]، وسميت بذلك لأنها تدبّ حتى تصل إلى الحصون، ثم يعمل الرجال الذين بداخلها في ثقب أسوارها بالآلات التي تحفر.

والضّبْرُ هي الدبابة تتخذ من خشب يغشّى بالجلد، يحتمي بها الرجال ويتقدمون بها إلى الحصون لدق جدرانها ونقبها[(٣)].

وكانت الدبابة أول الأمر عبارة عن هودج مصنوع من كتل خشبية صلبة، على هيئة برج مربع، له سقف من ذلك الخشب ولا أرض له، وبين كتل البرج مسافات قليلة يستطيع الرجال العمل من خلالها، وقد ثبت هذا الهودج على قاعدة خشبية، لها عجلات أربع أو أكثر، أو بكرات صغيرة كالعجل، متّخذين منها درعاً يقيهم سهام الأعداء من فوق الأسوار، أو دفعوها وهم بداخلها، فإذا ألصقوها بالسور عملوا من داخلها بمساعدة آلات الحفر الحديد على نقض حجارة السّور من الموضع الذي أوهنته حجارة المنجنيق، وكلما نقضوا منه قدراً علقوه بدعائم خشبية حتى لا ينهار

---

(١) ابن الأثير (٢/٢٦٦).

(٢) الوسيط (١/٢٦٨).

(٣) الوسيط (١/٥٣٣).

الشكل رقم (١٧)

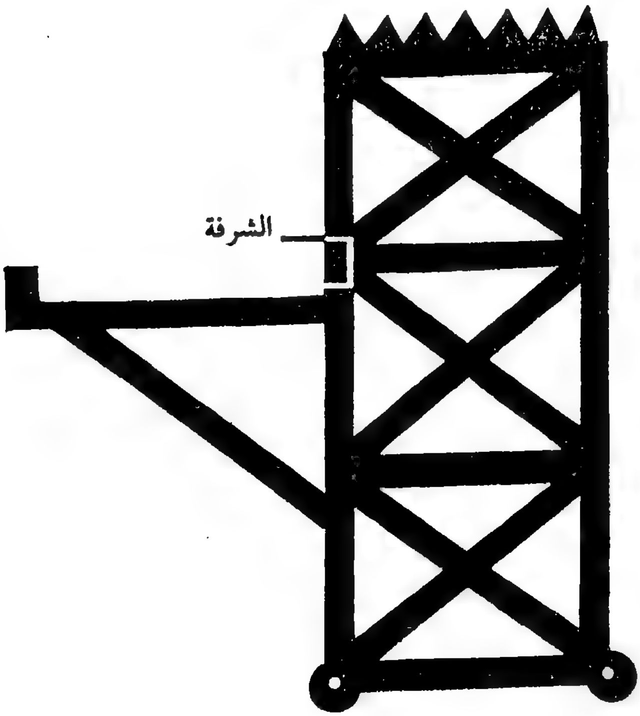

الدبابة

السور عليهم، فإذا فرغوا من عمل فجوة متسعة فيه، دهنوا الأخشاب بالنفط ثم أشعلوا فيها النار، وانسحبوا إلى الدبابة، فإذا احترقت الأخشاب انهار السور مرة واحدة تاركاً ثغرة صالحة للاقتحام منها. (انظر الشكل رقم ١٧).

واستعمل النبيّ ﷺ الدبابة في غزوة حصار الطائف[١]، ثم أدخل المسلمون عليها كثيراً من التحسينات، حتى صارت ضخمة كثيرة العجل، فجعلوها برجاً مرتفعاً بارتفاع السور، وبداخلها سلالم مستعرضة تنتهي إلى شرفات فيها تقابل شرفات الحصن، فيصعد الرجال في أعلاها ويستعلون على السور وينتقلون من شرفاتها إليه، ثم يطردون منه رماة الأعداء.

وبمرور الزمن زاد المسلمون من حجم الدبَّابة، فصاروا يصنعونها كبيرة بحيث تجرّ على ست عجلات أو ثماني عجلات، وتتسع الواحدة لعشر رجال أو أكثر، يعملون بها على نقب السور فهي سلاح يتعاون مع المنجنيق.

جـ ـ رأس الكبش وسُلَّم الحصار:

يحمل رأس الكبش داخل برج خشبي أو داخل دبابة، وهي عبارة عن كتلة خشبية ضخمة مستديرة يبلغ طولها حوالي عشرة أمتار أو أكثر، قد رُكِّب في نهايتها مما يلي العدو رأس من الحديد أو الفولاذ تشبه رأس الكبش تماماً بقرونها وجبهتها كما يركب السنان الحديدي على الرمح الخشبي وتتدلى هذه الكتلة من سطح البرج أو الدبابة محمولة بسلاسل أو حبال قوية تربطها من موضعين، فإذا أراد الجند هدم سور أو باب قرَّبوا البرج منه، ثم وقفوا داخله على العوارض الخشبية، ثم يأخذون في أرجحة رأس الكبش للخلف والأمام، وهو معلق بيبالسلاسل ويصدمون به السّور عدة مرات، حتى تنهار حجارته، فيعملون على نقبه وهدمه (انظر الشكل رقم ١٨).

وفي كثير من الحالات، كان رأس الكبش يُحمل داخل الدبابة الكبيرة

---

(١) الطبري (٣/ ٨٤).

الشكل رقم (١٨)

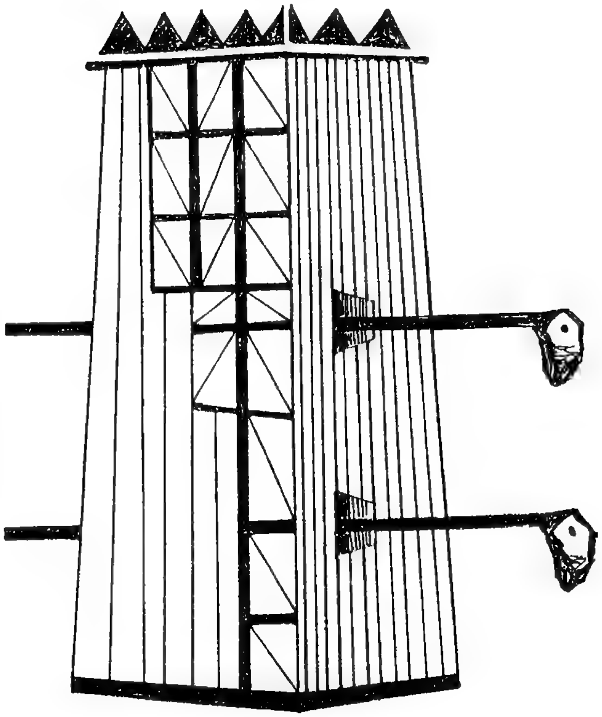

رأس الكبش

الشكل رقم (١٩)

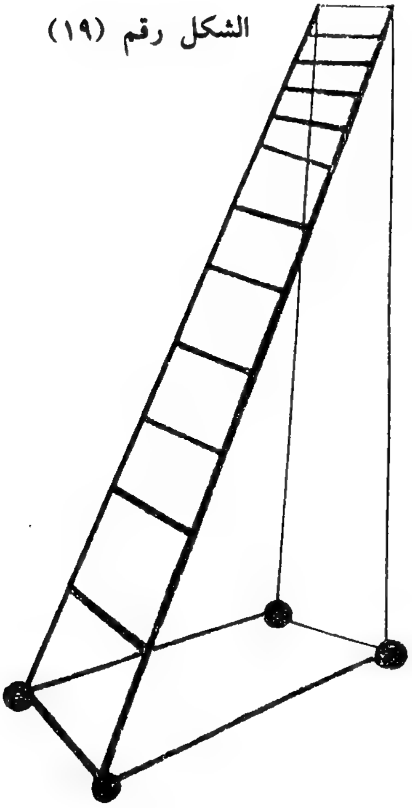

سلّم الحصار

ذات البرج في الجزء السفلي منها لاستخدامه عند الحاجة إليها.

أما السُلَّم، فهو من آلات الحصار أيضاً وهو يساعد المحاصر على اعتلاء الأسوار وفتح مغاليق الحصون.

وبمرور الزمن صارت السلالم تصنع من الأخشاب والحديد، مرتفعة بارتفاع السور تقريباً يصعد فيها الرجال بعد أن يسندوها إلى السور من مكان أمين (انظر الشكل رقم ١٩).

واهتم المسلمون بالسلالم لأهميتها في اعتلاء الأسوار واقتحام الحصون، فطوَّروها وأدخلوا التحسينات عليها، فصار السلم بعد ذلك يصنع على قاعدة خشبية كبيرة، تساعد على إثباته وأحياناً، كان يقام عليها سُلَّمان يلتقيان في النهاية العلوية ليدعم كل منهما الآخر، وجعلوا لهذه القاعدة بكرات من خشب أو عجلات ثابتة، ليسهل بها نقله من مكان إلى آخر. ثم أكثروا من إعداد السُّلَّم في الجيوش، وصار من أهم آلات الحصار كالمنجنيق والدبابة وغيرهما.

٦ ــ أسلحة النصر

لم يبق للأسلحة العربية الإسلامية القديمة من أثر في الحروب الحاضرة، فقد تخطّاها الزمن إلى أسلحة جديدة تضاعف الخسائر وتطيل أمد الحرب وتلحق الويلات بالغالب والمغلوب.

ولكن هذه الأسلحة القديمة تبقى بالنسبة للعرب والمسلمين أسلحة النصر التي تذكِّرهم بماضيهم المجيد.

ولا تزال قسم من الأمم الحديثة تحتفظ في متاحف السِّلاح بكامل أسلحتها القديمة على اختلاف أنواعها، تذكِّرها بتاريخها الحربي، وقد أحسنت قسم من الدول العربية صنعاً بإنشاء متاحف لأسلحتها القديمة، فأصبحت تلك المتاحف مصدراً للدارسين وعبرة للمعتبرين.

إنّ معرفة الماضي هي وحدها تطوِّع لنا تصوّر المستقبل وتوجِّه جهودنا إلى الغاية الجديرة بتراثنا العظيم، فالماضي والحاضر والمستقبل وحدة لا سبيل إلى انفصامها، ومعرفة الماضي هي وسيلتنا لتشخيص الحاضر ولمعرفة المستقبل.

والسِّلاح العربي الإسلامي جزء لا يتجزأ من العسكرية الإسلامية عقيدة وتاريخاً، ولغة وسلاحاً، وهذه العسكرية هي (روح) انتصاراتنا وفخر تاريخنا، فلا بد من دراسة تلك الأسلحة ومعرفة أنواعها وأساليب استخدامها وتأثيرها المباشر في الحرب، فذلك يوضِّح المعارك العربية والإسلامية ويقرّبها إلى الأفهام.

وقد دأب المؤرخون القُدامى المعتمدون على السكوت عن وصف خواص الأسلحة وكيفية عملها في المعركة وبخاصة الأسلحة الجماعية كالمنجنيق والدبابة مثلاً، وسكوتهم قد يكون سببه معرفتهم الكاملة لخواصها وتشغيلها، لأنها كانت معروفة يومذاك. أما اليوم فقد اختلف الأمر، فأصبح ما كان معروفاً قبل قرون غير معروف اليوم، فلا بد من السعي الحثيث لتعريف خواص الأسلحة وآليتها بدراسة كتب الأسلحة القديمة ونشرها، وبدراسة الأسلحة المتيسرة في المعارض والمتاحف العربية والأجنبية، فنضيف دراسة عسكرية للأسلحة العربية الإسلامية القديمة تفيدنا كثيراً في دراساتنا التاريخية وفي إعادة كتابة المعارك العسكرية العربية الإسلامية.

الخَـاتـمَة

الإسلام والحرب الإجماعيّة

الحرب الإجماعيّة الحديثة

ـ ١ ـ

الحرب الإجماعية، أو الحرب الاعتصابيّة، أو الحرب الشاملة، مصطلحات عسكرية معروفة، تدلّ على معنى عسكريّ واحد.

ومعنى الحرب الإجماعية هو حشد الطاقات الماديّة والطاقات المعنوية كافة للأمة، لا للجيش النظاميّ وحده، أو للقوات العسكرية النظامية وحدها، من أجل المجهود الحربي.

وهذا يعني أنّ الطاقات الماديّة كلّها: بشرية وطبيعيّة، وسلاحاً وعتاداً، ومعامل ومصانع، ومزارع وحقولاً، ووسائل نقل ووسائل تنقّل، ومستشفيات وأطباء، وأدوية وعقارات، وألبسة وتجهيزات، ومخازن ومستودعات، وغيرها من الطاقات المادية الأخرى التي تفيد المجهود الحربي قليلاً أو كثيراً، تحشد كلُّها لهذا المجهود من أجل إحراز النصر.

وهذا يعني أيضاً، أنّ الطاقات المعنوية كلّها: التوجيه المعنوي، خطباء المساجد، رجال الدين، أساتذة ومدرِّسين، أجهزة إعلام مكتوبة ومسموعة ومرئية، حرباً نفسية، مكافحة للتجسس، قضايا الترفيه، وغيرها من الطاقات المعنوية الأخرى التي تؤثّر في المجهود الحربي، تحشد كلّها لإحراز النصر.

وقد كانت القوّات المسلّحة النظامية مسؤولة وحدها عن إحراز النّصر، فأصبح كلّ قادر على حمل السّلاح مسؤولاً عن هذا النصر.

وكانت أموال الدولة ومصانعها الحربية مسؤولة عن تمويل الجيش النظاميّ وتسليحه وتجهيزه، فأصبحت في الحرب الإجماعية كلّ أموال الدولة أفراداً وجماعات، وكلّ مصانع البلاد الخاصة والحكوميّة، وكلّ إنتاج الأمة زراعياً وصناعياً، مسؤولة عن تمويل المحاربين وتسليحهم وتجهيزهم.

وحين صدر كتاب: (الأمة في الحرب) الذي ألّفه المشير لودندروف رئيس هيئة أركان حرب المشير هندنبرغ أبرز قادة ألمانيا القيصرية في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨)، وأصدره بعد الحرب العالمية الأولى، ظنّ الناس أنّ لودندروف أوّل مَن وضع أُسس الحرب الإجماعيّة في التاريخ العسكري، وسرى هذا الظنّ في الشرق والغرب قضيّةً مُسلّمةً بها، وكان من الذين صدّقوا هذا الظن الآثم العسكريون العرب والمسلمون، فدرسوا هذا الكتاب القيِّم ودرّسوه في المدارس والمعاهد والكليات والجامعات العسكرية: في مدارس ضباط الصف والضبّاط، وفي معاهد إعداد الفنيين العسكريين، وفي كليات إعداد الضباط وكليات الأركان والقيادة، وفي جامعات الدراسات العسكرية العليا.

وكان من حقِّ الجيوش النظاميّة الحديثة أن تدرس هذا الكتاب وتدرِّسه في الدول غير الإسلامية، أما في الدول الإسلامية فالحرب الإجماعية معروفة نصاً في الكتاب العزيز وتطبيقاً في عهد الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام وفي أيام الفتح الإسلامي العظيم (١١ هـ ـ ١٠٠ هـ)، حين كان المسلمون يطبّقون فريضة الجهاد ويلتزمون بمبادىء الإسلام.

والمهم: أنّ الحرب الإجماعية لم تطبّق إلاّ خلال الحرب العالمية

الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) تطبيقاً كاملاً كما جرى في بعض دول الحلفاء كبريطانيا والاتحاد السوفياتي السابق، وبعض دول المحور كألمانيا الهتلرية واليابان، كما طبّقت هذه الحرب تطبيقاً جزئياً في إيطاليا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.

أما قبل الحرب العالمية الثانية، فلم تطبّق هذه الحرب في أية دولة غير إسلامية من دول العالم.

الحرب الإجماعية الإسلاميّة في القرآن
ـ ٢ ـ

إنّ الاعتقاد السّائد بين المعنيين بالدراسات العسكرية من عسكريين ومدنيين، بأنّ المشير لودندروف هو الذي وضع أسس الحرب الإجماعية لأول مرة في التاريخ، لا يمتّ إلى الحقيقة بصلة قريبة أو بعيدة، وهو محض افتراء على حقائق التاريخ العسكريّ.

كما أنّ الفكرة السائدة، بأنّ ألمانيا الهتلرية وبريطانيا والاتحاد السوفياتي واليابان، هي التي طبّقت الحرب الإجماعيّة تطبيقاً كاملاً في خلال الحرب العالمية الثانية لأول مرة في تاريخ الحرب، خطأ فاحش لا يمتّ إلى الحقيقة التاريخيّة بصلة، ويدخل في عداد الجهل المطبق، بالواقع التاريخي أو في التزييف المتعمَّد لحقائق التاريخ.

إنّ الإسلام هو الذي وضع أُسس الحرب الإجماعيّة بنص القرآن الكريم وحديث رسول الله ﷺ، والمسلمين هم الذين طبّقوا هذه الحرب عملياً في عهد الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام وفي أيام الفتح الإسلامي العظيم في القرن الأول الهجري الذي كان خير القرون.

قال تعالى في كتابه العزيز: **﴿انفِروا خِفافاً وثِقالاً، وجاهدوا بأموالكم**

وأَنْفُسِكُم في سَبيلِ الله، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لكم إنْ كنتم تَعْلمون﴾[1]، وهذه الآية وغيرها من سورة (التوبة) ومن الآيات الأخرى في السُّور الأخرى، تقرِّر أسس الحرب الإجماعية بإحكام رائع وإيجاز غير مُخل.

ذكر المفسِّرون، ومنهم الإمام الزمخشريّ في تفسير (الكشاف) تفسيراً لهذا الآية الكريمة في معنى: **﴿خِفافاً وثقالاً﴾**[2]: «خفافاً في النفور لنشاطكم له، وثقالاً عنه لمشقّته عليكم؛ أو خفافاً لِقِلَّة عيالكم وأذيالكم، وثقالاً لكثرتها، أو خفافاً من السِّلاح، وثقالاً منه؛ أو ركباناً أو مشاة، أو شباباً أو شيوخاً، أو مهازيل وسماناً، أو صِحَاحاً ومِراضاً».

المحبّون للنفير وهم خفاف، والكارهون له وهم ثقال.
وغير المعيلين وهم خفاف، والمعيلون وهم ثقال.
وغير المسلّحين وهم خفاف، والمسلّحون وهم ثقال.
والركبان وهم خفاف، والمشاة وهم ثقال.
والشباب وهم خفاف، والشيوخ وهم ثقال.
والمهازيل وهم خفاف، والسمان وهم ثقال.
والصِحاح وهم خفاف، والمرضى وهم ثقال.
والفقراء وهم خفاف، والأغنياء وهم ثقال.

فمن يبقى من الأمة، إذا شهد الحرب الشباب والشيوخ، والركبان والمشاة، والفقراء والأغنياء، والأصحّاء والمرضى، والمعيلون وغير المعيلين؟!.

ومعنى ذلك، أنّ النفير العام للجهاد الإسلامي، الذي يطلق عليه الفقهاء مصطلح: (فرض عَيْن)، ويطلق عليه العسكريون المحدثون: (النفير

---

(١) الآية الكريمة في سورة التوبة (٩: ٤١).
(٢) الزمخشري (محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي) الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٢/ ٣٤) ـ مطبعة بولاق ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ـ ١٣١٨ هـ).

العام)، يشمل جميع القادرين على حمل السِّلاح من المسلمين، الذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، ولا يتخلّف مسلم عن الجهاد إلاّ إذا سلك سبيل غير المؤمنين، فينبذه المجتمع الإسلاميّ، وينظر إليه نظرة لا تشرِّفه ولا يقبل بها مسلم حق.

﴿**وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله**﴾، إيضاح لما سبقها في الآية الكريمة: ﴿**انفروا خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله**﴾، فكلّ قادر على حمل السّلاح يجاهد بنفسه، وكلّ قادر على الجهاد بالمال يجاهد بماله، وكلّ قادر على الجهاد بماله ونفسه يجاهد بهما معاً.

وهذا هو حشد الطاقات المادية والمعنوية كلّها للمجهود الحربي، وهو ما نطلق عليه اليوم: الحرب الإجماعيّة.

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة في الجهاد بالأموال والأنفس، وفي كلِّ آية من تلك الآيات تسبق كلمة (الأموال) كلمة (الأنفس)، لأنّ المال عصب الحرب، وبالإمكان الاستفادة منه تموينا وتسليحاً وتجهيزاً وتنقّلاً في أيام الحرب، وإعداداً للجيش وتأسيساً للمصانع الحربية وإعالة لعوائل المجاهدين وعوائل الشهداء في أيام السّلام والحرب.

الحرب الإجماعيّة الإسلاميّة في الحديث
ـ ٣ ـ

أما الأحاديث النبويّة التي وردت في الجهاد والحثّ عليـه، فكثيرة جداً.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[1]، والجهاد باللِّسان هو الحرب الدعائية أو الحرب الإعلاميّة.

(١) حديث صحيح، رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي وابن حبّان في صحيحه والحاكم في مستدركه، انظر: مختصر الجامع الصغير للمناوي (١/ ٢٤٥).

وقال ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[1]، حثاً على إعداد الخيل للجهاد، وهو جزء من إعداد القوّة.

وقال عليه الصّلاة والسّلام: «إنّ الله يُدخل بالسّهم الواحد ثلاثة نفر الجنّة: صانعه يحتسب في صنعه الخير، والرامي به، ومُنَبِّلَه... وارموا واركبوا، وإن ترموا أحبّ إليّ من أن تركبوا، ومَنْ ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه، فإنها نعمة تركها، أو قال: نعمة كفرها»[2]، حثاً على التسليح والتدريب واستمراريّة التدريب.

وعن أبي أُمامَة البَاهِلِيّ[3] رضي الله عنه، أنّ النبيّ ﷺ قال: «مَنْ لم يَغْـزُ ولم يجهِّز غازياً، أو يخلف غازياً في أهله بخير، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة»[4]، حثٌّ على الجهاد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ ماتَ ولم يَغْزُ ولم يحدِّث نفسه بغزوٍ، مات على شعبة من النفاق»[5]، حثاً على الجهاد في سبيل الله.

وقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لوَدِدْتُ أني أُقتلُ في سبيل الله فأُحْيَا، ثم أُقْتَلُ فأُحيا، ثم أُقْتَل فأُحيا، ثمّ أُقتل»[6].

وقال عليه الصّلاة والسّلام: «لغَدْوَة أو رَوْحَة في سبيل الله، خير مما

(١) رواه الإمام البخاري ومسلم والترمذي وأحمد والنسائي وابن ماجة والطبراني، انظر: مختصر الجامع الصغير للمناوي (٢/ ٢٠).
(٢) رواه الإمام البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد، انظر: مختصر الجامع الصغير للمناوي (١/ ١٢٩).
(٣) انظر تفاصيل سيرته في كتابنا: قادة فتح الشّام ومصر (١٦٤ ـ ١٦٨).
(٤) رواه الدارمي بسَنده، انظر سنن الدارمي (٢/ ٢٠٩) ـ بيروت ـ بلا تاريخ.
(٥) رواه مسلم وأبو داود والنسائي، انظر التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول (٤/ ٣٢٩) ـ القاهرة ـ ١٩٦٢ ـ الطبعة الثالثة.
(٦) رواه الشيخان واللفظ للبخاري، انظر التاج (٤/ ٣٢٧).

تطلع عليه الشمس وتغرب»[1]. وهذان الحديثان يبرزان أهميّة الجهاد في سبيل الله.

وسئل النبيّ ﷺ: «أيُّ الناس أفضل؟»، فقال: «مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله»، قالوا: «ثمّ مَنْ؟»، قال: «مؤمن في شِعْبٍ[2] من الشِّعاب يتّقي الله ويدع الناس من شرّه»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «ما اغبرّت قَدَما عبدٍ في سبيل الله، فتمسَّهُ النار»[4].

وقال رسول الله ﷺ: «واعلموا أنّ الجنّة تحت ظِلال السيوف»[5].

ومالت نفس رجل إلى العُزْلَة، فسأل النبيّ ﷺ عنها، فقال: «لا تفعل، فإنّ مَقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً. ألا تحبّون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنّة؟ أُغزوا في سبيل الله، مَن قاتل في سبيل الله فُواقَ ناقة[6] وجبت له الجنّة»[7].

التطبيق العملي
للحرب الإجماعية الإسلاميّة بالأنفس
ـ ٤ ـ

وكان التطبيق العمليّ للحرب الإجماعيّة في الإسلام على عهد النبيّ ﷺ، في قرنه الذي كان خير القرون رائعاً حقاً.

---

(١) رواه الخمسة إلاّ أبا داود، انظر التاج (٤/ ٣٢٧)، والغدولة من أول النهار إلى الزوال، والروحة من الزوال إلى آخر النهار. وفي رواية: «الروحة والغدوة في سبيل الله، أفضل من الدنيا وما فيها».

(٢) الشِّعْبُ: الوادي بين جبلين، ويدع الناس من شرّه: يمنعه عنهم.

(٣) رواه الخمسة، انظر التاج (٤/ ٣٢٨).

(٤) رواه البخاري والنسائي والترمذي، انظر التاج (٤/ ٣٢٩).

(٥) رواه الشيخان والترمذي، انظر التاج (٤/ ٣٢٩).

(٦) فُواق ناقة: قدر حلبها.

(٧) رواه الترمذي بسند حسن، انظر التاج (٤/ ٣٣٠ ـ ٣٣١).

شهد القتال في هذا القرن شباب صغار السن، فقد ردّ النبيّ ﷺ أُسامة بن زيد بن حارثة الكلبي[1] يوم (أُحُد) لصغر سنّه، وأجاز يومئذ سَمُرَة بن جُنْدَب الفَزَارِي[2] ورافع بن خَدِيْج[3] من بني حارثة ولهما خمسة عشر سنة، وردّ أُسامة وعبد الله بن عمر بن الخطّاب وغيرهما لصغر سنِّهم، ولكنـه عاد فأجازهم عام (الخندق) بعد ذلك بسنة، وكان لعبد الله بن عمر يوم (أُحد) أربعة عشر عاماً، وكان سائر مَن ردّ معه في هذه السنِّ أيضاً[4].

وشهد عُمَيْر بن أبي وَقَّاص[5] غزوة (بدر)، وهو أخو سعد بن أبي وقاص[6]، قال سعد: «رأيت أخي عُمَيْر قبل أن يعرض رسول الله ﷺ للخروج إلى (بدر) يتوارى! فقلت: ما لك يا أخي؟! فقال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ، فيستصغرني، ويردّني، وأنا أحبّ الخروج، لعلّ الله يرزقني الشّهادة. قال: فعرض رسول الله ﷺ فاستصغره، فقال: ارجع! فبكى عمير! فأجازه رسول الله ﷺ، فكنتُ أعقد حمائل سيفه من صغره»، وقد استُشْهِد يوم (بدر) وهو ابن ست عشرة سنة[7].

وشهد القتال في هذا القرن كبار وشيوخ، وأصحاب عاهات مستدامة كالعرج وضعف البصر والشيخوخة.

فقد خرج النبيّ ﷺ إلى (أُحد)، فرفع حِسْل بن جابِر والد حُذَيْفَة بن اليَمان[8]

---

(١) انظر سيرته في كتابنا: قادة فتح الشام (٣٣ ـ ٥١).
(٢) انظر سيرته في الإصابة (٣/ ١٣٠ ـ ١٣١)، وانظر جمهرة أنساب العرب (٢٥٩).
(٣) انظر سيرته في الاستيعاب (٢/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠)، وانظر جمهرة أنساب العرب (٣٤٠).
(٤) طبقات ابن سعد (٤/ ٦٢)، والإصابة (٣/ ١٣٠)، والاستيعاب (٢/ ٤٧٩).
(٥) انظر سيرته في أسد الغابة (٤/ ١٤٨).
(٦) انظر سيرته في كتابنا: قادة فتح العراق والجزيرة (٢٤٨ ـ ٢٩٦) ـ الطبعة الثانية.
(٧) طبقات ابن سعد (٢/ ١٤٩)، وأسد الغابة (٤/ ١٤٨).
(٨) انظر سيرته في كتابنا: قادة فتح بلاد فارس (١٠٨ ـ ١١٧)، وانظر سيرة حسل، وقيل: حسيل بالتصغير، في الإصابة (٢/ ١٣).

وثابت بن وَقْش[1] إلى الآكام مع النساء والصبيان، وكانا شيخين كبيرين، فقال أحدهما للآخر: «لا أبالك! ما ننتظر؟! إنّا نحن هامة[2] اليوم أو غدٍ»، فلحقا بالمسلمين ليرزقا الشّهادة، فلما دخلا في الناس قتل المشركون ثابت بن وَقْش، والتقت أسياف المسلمين على حِسْل والد حُذَيْفة بن اليمان، فنادى حذيفة: «أبي... أبي...»، فقتلوه، وهم لا يعرفونه، فقال حذيفة: «يغفر الله لكم»، وتصدّق بديَّته على المسلمين[3].

وقُتِل عمّار بن ياسر[4] يوم (صِفِّين)[5] مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان عمره يومئذٍ أربعاً وتسعين سنة، وقيل: ثلاث وتسعون سنة، وقيل: إحدى وتسعون سنة[6].

وعن صَفوان بن عمرو أنه قال: «كنت والياً على (حِمْص)، فلقيت شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه من أهل (دِمَشْق) على راحلته يريد الغزو، فقلت: يا عم! لقد أعذر الله إليك، فرفع حاجبيه وقال: يا بن أخي! استنفرنا الله خفافاً وثقالاً، ألا إنه مَنْ يحبّه الله يبتله»[7].

وخرج سعيد بن المُسَيّب[8] إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل

(١) انظر سيرته في الإصابة (١/ ٢٠٤).
(٢) هامة: جثة هامدة.
(٣) فتح الباري بشرح البخاري (٧/ ٩٩)، وجوامع السيرة (١٦٤)، والإصابة (١/ ٢٠٤).
(٤) انظر سيرته في: الإصابة (٤/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤)، وأسد الغابة (٤/ ٤٣ ـ ٤٧).
(٥) صفين: موضع بقرب الرقّة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي بين الرقّة وبالس، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/ ٣٧٠)، وآثار البلاد وأخبار العباد (٢١٤).
(٦) أسد الغابة (٤/ ٤٧).
(٧) تفسير الكشاف (٢/ ٣٤).
(٨) انظر سيرته في البداية والنهاية (٩/ ٩٩ ـ ١٠١)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢١٩ ـ ٢٢١)، وانظر مفصل سيرته في: فقه الإمام سعيد بن المسيب (١/ ١٣ ـ ١٥٠).

له: إنّك عليل صاحب ضرر، فقال: «استنفرنا الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثّرت السواد وحفظت المتاع»(١).

وشهد القتال في هذا القرن نساء أيضاً، قاتلن في صفوف المسلمين، ونهضن بواجبات إدارية في الميدان لا تقلّ أهمية عن الواجبات القتاليّة.

فقد شهدت نَسِيْبَة بنت كَعْب أم عمارة المازنيّة الأنصارية(٢) غزوة (أُحُد) مع النبيّ ﷺ. قالت نسيبة: «خرجت يوم (أُحد) ومعي سِقَاء وفيه ماء، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ، فكنت أباشر القتال وأذبّ عنهم بالسيف وأرمي عن القوس، حتى خلصت الجراح إليّ»، وكان على عاتقها جرح أجوف له غور(٣).

وشهدت نسيبة معركة (اليمامة)(٤) مع خالد بن الوليد، وعاهدت الله أن تموت دون مسيلمة الكذاب أو تُقتل، فقاتلت حتى قطعت يدها وجرحت اثني عشر جرحاً(٥)، ومعركة (اليمامة) كانت من معارك حروب الرِدَّة الفاصلة في عهد أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه كما هو معروف، وكانت هذه المعركة الحاسمة سنة إحدى عشرة الهجريّة(٦).

وركبت أُمّ حرام بنت مِلحان(٧) زوج عُبَادة بن الصَّامِت(٨) البحر مع

---

(١) تفسير الكشاف (٢/ ٣٤).
(٢) انظر سيرتها في الإصابة (٨/ ١٩٨ ـ ١٩٩)، وأسد الغابة (٥/ ٥٥٥).
(٣) سيرة ابن هشام (٣/ ٢٩ ـ ٣٠)، والأصابة (٨/ ١٩٨ ـ ١٩٩).
(٤) اليمامة: كان اسمها قديماً: جَوّاً والعَروض، وهي معدودة من نجد، قاعدتها: حِجْر، بينها وبين البحرين عشرة أيام، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ٥١٠ ـ ٥٢٢).
(٥) الإصابة (٨/ ١٩٨ ـ ١٩٩)، وانظر سيرة ابن هشام (٢/ ٧٤ ـ ٧٥).
(٦) الطبري (٣/ ٢٨١)، وابن الأثير (٣/ ٣٦٠)، والعبر (١/ ١٣ ـ ١٤).
(٧) الإصابة (٨/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣)، وأسد الغابة (٥/ ٥٧٤ ـ ٥٧٥).
(٨) انظر سيرته في كتابنا: قادة فتح الشام ومصر (٢٥٣ ـ ٢٦٣).

زوجها، سنة سبع وعشرين الهجرية[١] في غزوة (قُبْرُس)[٢] بقيادة معاوية بن أبي سفيان[٣] في عهد عثمان بن عفّان رضي الله عنه، فلما وصلت إلى أرض الجزيرة قُرِّبت لها بغلة، فركبتها، فصرعتها، فماتت[٤].

وركبت في تلك الغزوة أيضاً زوج معاوية ـ فاختة بنت قرظة من بني نوفل بن عبد مناف، وقيل: كنود بنت قرظة ـ البحر مع زوجها[٥].

وأراد حبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرِيّ[٦]، أن يبيِّت (المُوْرِيَان)[٧]، فسمعته امرأته أم عبد الله بنت يزيد الكَلْبِيَّة[٨] يذكر ذلك، فقالت له: «وأين موعدك؟»، فقال: «سُرادق (المَوْرِيان) أو الجنّة»، ثمّ بيَّتهم، فقتل مَنْ أشرف له، وأتى السّرادق، فوجد امرأته قد سبقت[٩].

---

(١) الإصابة (٨/ ٢٢٣)، والعبر (١/ ٢٩).

(٢) قبرس: جزيرة في بحر الروم، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/ ٢٦): بحر الروم هي البحر الأبيض المتوسط.

(٣) انظر سيرته في كتابنا: قادة فتح الشامن ومصر (١٧٤ ـ ١٩٤).

(٤) الإصابة (٨/ ٢٢٣)، وانظر الحديث الذي روته أم حرام في: التاج (٤/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠)، وقد رواه الخمسة، وانظر تفاصيل الحديث في: فتح الباري بشرح البخاري (٦/ ٥٧).

(٥) انظر سيرة فاختة في الإصابة (٨/ ١٥٤)، وسيرة كنود في الإصابة (٨/ ١٧٧)، وانظر ركوبها البحر في الإصابة (٨/ ١٥٤) و (٨/ ٢٢٣)، وانظر فتح الباري بشرح البخاري (٦/ ٥٧) وفيه: فاختة بنت قرظة، وفي الإصابة: فاختة بنت قرطة، والأول أصح، لأنه ورد في الصحيح.

(٦) انظر سيرته في كتابنا: قادة فتح المشرق الإسلامي.

(٧) الموريان: صاحب أرْمِنيَاقُس (البلاذري ٢٧٣)، رجل من أرمنياقس (البلاذري ٢٧٧)، بطريق أرمنياقس (البلاذري ٢٧٨)، والبطريق رتبة عسكرية تعادل رتبة اللواء في الجيوش العربية الحديثة ومنصب قائد فرقة فيها، والموريان: حاكم (إِرْمِيْنِيَة)، انظر ما جاء عنها في معجم البلدان (١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٦).

(٨) أم عبد الله بنت يزيد الكلبية: زوج حبيب بن مسلمة، مات عنها فخلف عليها الضحاك بن قيس الفِهْرِيّ، فهي أم ولده، وهي أول امرأة من العرب ضرب عليها سرادق، انظر الطبري (٤/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩).

(٩) الطبري (٤/ ٢٤٨)، وانظر البلاذري (٢٧٨).

وفي صحيح الإمام البخاري: باب جهاد النِّساء، وباب غزو المرأة في البحر، وباب حمل الرَّجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه، وباب غزو النِّساء، وقتالهنّ مع الرجال، وباب حمل النساء القِراب إلى الناس في الغزو، وباب مداواة النساء الجرحى في الغزو، وباب ردّ النساء الجرحى والقتلى[1].

التطبيق العملي للحرب الإجماعية الإسلاميّة بالأموال

ـ ٥ ـ

لقد قرن الإسلام دائماً الجهاد بالأرواح بالجهاد بالأموال: ﴿**والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسِهم أعظمُ درجةً عند الله، وأولئك هم الفائزون**﴾[2]، ﴿**مَثَلُ الذين يُنْفِقُون أموالَهم في سبيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ، في كلِّ سُنْبُلَةٍ مائة حَبَّةٍ، واللَّهُ يُضَاعِفُ لمن يَشاء، واللَّهُ واسعٌ عَليم**﴾[3]، ﴿**وما لكم ألاّ تُنْفِقُوْا في سَبِيْلِ اللَّهِ، وللَّهِ مِيْراثُ السمواتِ والأرض**﴾[4]، ﴿**تؤمنون باللَّهِ ورسوله، وتجاهدون في سَبِيْلِ اللَّهِ بأموالِكم وأنفسِكم**﴾[5]، ﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضَّرَرِ والمجاهدون في سبيل اللَّهِ بأموالهم وأنفسِهم، فَضَّلَ اللَّهُ المجاهدين بأموالهم وأنفسِهم على القاعدين درجةً**﴾[6].

بل يلاحظ في تلك الآيات الكريمة، أنّ (الأموال) تُقدَّم على (الأنفس) دائماً، مما يدلّ على أهمية الجهاد بالأموال.

إنّ الأموال هي عصب الحرب، وبدونها لا تدور رحى الحرب ولا تؤدي إلى النصر.

---

(١) انظر التفاصيل في: فتح الباري بشرح البخاري (٦/٥٨ ـ ٦).
(٢) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩: ٢٠).
(٣) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢: ٢٦١).
(٤) الآية الكريمة من سورة الحديد (٥٧: ١٠).
(٥) الآية الكريمة من سورة الصف (٦١: ١١).
(٦) الآية الكريمة من سورة النساء (٤: ٩٥).

وقد كان أغنياء المسلمين، لا يكتفون بالجهاد بأنفسهم، بل يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله: يجهِّزون أنفسهم بما يحتاجون إليه من سلاح ودوابّ وأرزاق، ويجهِّزون إخوانهم المجاهدين بما يحتاجون إليه من سلاح ودوابّ وأرزاق، ويخلفون المجاهدين من إخوانهم بالخير في عوائلهم وذويهم، وينفقون عليهم كما ينفقون على مَن يعولون من عوائلهم وذويهم، ويواسونهم ويسهرون على مصالحهم.

كانت غنائم يوم (حُنَيْن)[1] أربعة وعشرين ألف بعير، وأربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقيّة من الفضّة[2].

فهل أبقى رسول الله ﷺ لنفسه ولأهله شيئاً من هذا المال أو من غيره من الأموال؟.

بل هل أبقى لنفسه ولأهله شيئاً من ماله الخاص؟.

إنه لم يفكِّر أبداً بنفسه، كما لم يفكِّر أبداً بأهله، فعاش فقيراً، ومات فقيراً، وأنفق كلَّ ما يملك في سبيل الله[3].

وأنفق أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه جميع ماله، وكان له أربعون ألفاً أنفقها كلّها على رسول الله ﷺ وفي سبيل الله، وقد أعتق سبعة كانوا يعذّبون في الله منهم: بِلال بن رَباح[4]، فمات متخلِّلاً بعباءته.

وأنفق عمر بن الخطّاب رضي الله عنه نصف ماله[5] في سبيل الله.

وأنفق عثمان بن عفّان أموالاً طائلة: جهّز جيش العُسْرَة[6] بتسعمائة

---

(١) حنين: وادٍ قبل مدينة (الطّائف)، بينه وبين مكة المكرّمة ثلاث ليالٍ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ٣٥٤).

(٢) سيرة ابن هشام (٤/١٣٨ ـ ١٣٩).

(٣) انظر التفاصيل في كتابنا: قادة فتح الشام ومصر (٢٩٦ ـ ٣٠٠).

(٤) الرياض النضرة (١/ ١١٦).

(٥) الرسول القائد (٣٢٢) ـ ط ٢.

(٦) جيش العسرة: جيش غزوة (تبوك) في السنة التاسعة الهجرية.

وخمسين بعيراً، وأتمَّ الألف بخمسين فرساً[1]، ولما قدم المهاجرون المدينة استذكروا الماء، وكان لرجل من بني غِفار عين يقال لها، (رُوْمَة)[2]، وكان يبيع منها القربة بمدّ، فاشتراها عثمان بخمس وثلاثين ألف درهم وجعلها للمسلمين[3].

وكان للزبير بن العوّام رضي الله عنه ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فما كان يدخل منها بيته درهمٌ واحد، كان يتصدّق بذلك كلِّه. وباع داراً له بستمائة ألف، فقيل له: «يا أبا عبد الله! غُبِنْتَ!»، فقال: «كلا! والله لتعلمنّ لم أُغبن... هي في سبيل الله»[4].

وباع عبد الرحمن بن عَوْف أرضاً من عثمان بن عفّان رضي الله عنهما بأربعين ألف دينار، فقسّم ذلك المال في بني زُهرة وأمهات المؤمنين وفقراء المسلمين. وتصدّق على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله: أربعة آلاف، ثمّ تصدّق بأربعين ألف دينار، ثمّ حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثمّ حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله، وقد وردت له قافلة من تجارة الشام فحملها إلى رسول الله ﷺ[5].

وتصدق سعد بن أبي وقّاص بثلث ماله على عهد رسول الله ﷺ[6].

وحين سار المسلمون لفتح الشّام، خرج أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه يودِّع المجاهدين، فبصر بخباء عِكْرِمة بن أبي جَهْل رضي الله

(١) الرياض النضرة (٢/ ١١٨).
(٢) رومة: أرض بالمدينة المنورة بين الجُرْف وزِغابة: نزلها المشركون عام الخندق، وفيها بئر رومة: بئر رومة، ابتاعها عثمان بن عفّان رضي الله عنه وتصدق بها، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/ ٤) و (٤/ ٣٣٦).
(٣) الرياض النضرة (٢/ ١٢٢)، والمد: مكيال قديم، وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز، ورطلان عند أهل العراق.
(٤) الرياض النضرة (٢/ ٣٦٤).
(٥) الرياض النضرة (٢/ ٣٨٥).
(٦) الرياض النضرة (٢/ ٤٠٦).

عنه[١] يضمّ ثمانية أفراس ورماحاً وعُدَّة ظاهرة، فسلّم عليه أبو بكر وجزاه خيراً وعرض عليه المعونة، فقال: «لا حاجة لي فيها، معي ألفا دينار»، فدعا له بخير[٢].

ولما مات خالد بن الوليد رضي الله عنه، لم يترك إلّا سلاحه وفرسه وغلامه[٣]، وهو القائد الفاتح الذي خاض خلال اثنتي عشرة سنة إحدى وأربعين معركة في اليمن والحجاز ونجد والعراق والشّام لم ترتد له راية أبداً[٤]، وما تركه حبسه في سبيل الله[٥].

ولما قدم عمر بن الخطّاب رضي الله عنه الشّام، تلقاه أمراء الأجناد وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: «أين أخي؟»، فقالوا: مَنْ؟ فقال: «أبو عبيدة»، قالوا: يأتيك الآن! فجاء أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه القائد العام في أرض الشام والرجل الثاني بعد عمر أمير المؤمنين، على ناقة مخطومة بحبل، فسلّم عليه، فقال عمر للناس: «انصرفوا عنّا!»، وسار عمر مع أبي عبيدة حتى أتى منزله عليه، فلم ير في بيته إلّا سيفه وترسه، فقال عمر: «لو اتّخذت متاعاً ـ أو قال: شيئاً»، فقال أبو عبيدة: «يا أمير المؤمنين! إنّ هذا سيبلغنا المقيل»[٦]، فقال عمر: «غيّرتنا الدنيا كلّنا غيرك يا أبا عبيدة»[٧].

وكان عُمَيْر بن سعد الأنصاري[٨] على (حِمْص) لعمر بن الخطّاب رضي الله عنهما، فكتب عمر إلى أهل (حمص): «اكتبوا لي فقراءكم»،

(١) انظر سيرته في كتابنا: قادة فتح الشام ومصر (٨٥ ـ ٩٥).
(٢) أسد الغابة (٤/ ٦).
(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٩٨).
(٤) انظر كتابنا: خالد بن الوليد المخزومي (٢٥٢).
(٥) الإصابة (٢/ ١٠٠).
(٦) المقيل: النوم عند الظهيرة. يريد: أنّ ما لديه من طعام يكفيه إلى الظهر.
(٧) الإصابة (٤/ ١٢)، وأسد الغابة (٣/ ٨٦).
(٨) انظر سيرته في كتابنا، قادة فتح العراق والجزيرة (٥١٣ ـ ٥١٩)، ط ٢.

فكتبوا إليه أسماء فقرائهم، وذكروا فيهم عمير بن سعد. فلما قرأ عمر اسمه قال: «مَنْ عمير بن سعد!!»، فقالوا: أميرنا! فقال: «أوَ فقيرٌ هو!!»، فقالوا: ليس أهل بيت أفقر منه! فقال عمر: «فأين عطاؤه!!»، فقالوا: يخرجه كلَّه لا يُمسك منه شيئاً!! فوجّهَ إليه عمر بمائة دينار، فأخرجها كلّها للفقراء، فقالت له امرأته: «لو كنتَ حبستَ لنا منها ديناراً واحداً»، فقال لها: «لو ذكّرتني فعلت»[١].

ولقد اقتصرت على ذكر أمثلة من جهاد القادة بأموالهم في سبيل الله، في عهد النبيّ ﷺ وفي أيام مدّ الفتح الإسلاميّ حين انهمرت الغنائم على المسلمين انهماراً، وكان بإمكان أولئك القادة أن يثروا بالحلال لا بالحرام، ولكنهم عفّوا فعفّ رجالهم، ونسوا مصالحهم الذاتيّة لأنهم شغلوا بمصالح المسلمين العليا، فكانوا خير سلف للأجيال المتعاقبة، وبقوا أسوة حسنة لتلك الأجيال.

ذلك هو أحد أسرار الفتوح، التي كانت ولا تزال وستبقى من أعاجيب الدهر، فقد كانت الأسوة الحسنة عاملاً من أهم عوامل انتصار الفئة القليلة على الفئة الكثيرة بإذن الله.

مقارنة بين الحرب الإجماعية الحديثة والحرب الإجماعيّة الإسلاميّة

ـ ٦ ـ

تلك هي الحرب الإجماعيّة التي طبّقها المسلمون الأولون في الصدر الأول للإسلام، فوحّد الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام خلال عشر سنوات (١ هـ ـ ١١ هـ) لأول مرّة في التاريخ، شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام.

---

(١) ألف باء للبلوي (١/ ٤٣٣).

وامتد الفتح الإسلامي العظيم بعد التحاق النبيّ ﷺ خلال تسعين سنة (١١ هـ - ١٠٠ هـ) حتى شمل دولاً كثيرة لا تغرب عنها الشمس، هي أوسع من أيِّ مملكة في التاريخ القديم والحديث.

ولكن شتّان بين الحرب الإجماعية الإسلامية التي طبقها المسلمون قبل خمسة عشر قرناً، وبين الحرب الإجماعية التي طبقتها الدول الحديثة في القرن العشرين الميلادي.

الحرب الإجماعية في الإسلام، حرب وقائية، هدفها حماية حرية نشر الدعوة الإسلامية، والدفاع عن بلاد المسلمين، وإقرار السّلام القوي - سلام الأقوياء.

والحرب الإجماعية في الدول الحديثة حرب عدوانية، هدفها استعباد الشعوب واستغلال الطّاقات والسيطرة على الموارد الاقتصادية والخامات.

والحرب الإجماعيّة في الإسلام حرب عادلة، هدفها هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وصدق الله العظيم: ﴿**ولَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ، إنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيْز. الذين إنْ مَكَّنَّاهُمْ في الأرضِ، أقاموا الصَّلاة وآتَوُا الزَّكاةَ، وأَمَرُوا بالمَعْروفِ، ونَهَوْا عن المُنْكَر، ولِلَّهِ عاقِبَةُ الأمور**﴾، وصدق غوستاف لوبون: «لم يعرف العالم فاتحاً أعدل وأرحم من العرب».

والحرب الإجماعيّة في الدول الحديثة حرب غير عادلة، هدفها التوسّع والقهر والتضليل والاستغلال والاستعباد.

والحرب الإجماعيّة في الإسلام متفوّقة فواقاً كاسحاً على الحرب الإجماعية في الأمم الحديثة كماً ونوعاً.

* أما تفوّقها من ناحية (الكَمِّ)، فإنّ قاعدة النفير العام في الحرب الإجماعية الحديثة تنصّ على حشد عشرة بالمئة فقط من تعداد السكّان للحرب، إذ تبدأ الجنديّة من سنِّ ثمانية عشر عاماً غالباً، وتنتهي خدمة

الاحتياط في سن تسع وثلاثين سنة للرجل وأربع وثلاثين سنة للمرأة[1]. أما المسلمون في حربهم الإجماعية، فقد استطاعوا حشد أربعين بالمئة من تعداد نفوسهم، إذ تبدأ الجندية في سنِّ السادسة عشر أو الخامسة عشر عاماً، وتشمل كلّ قادر على الجهاد بما له أو نفسه أو بهما معاً، ولا تنتهي في سنٍّ معيّنة، ويبقى المسلم مجاهداً ما دام قادراً على حمل السّلاح.

وكلُّ قادر على حمل السّلاح من المسلمين جنديٌّ أو قائدٌ في جيش المسلمين، ولا أعلم مسلماً حقاً تخلّف عن الجهاد في عهد النبيّ ﷺ إلاّ بأمرٍ منه أو لعذر مشروع، غير الثلاثة الذي خُلِّفوا عن غزوة (تبُوك)، فقاطعهم المسلمون وهجرهم أهلهم الأقربون حتى زوجاتهم، فلما تابوا تاب الله عليهم، بعد أن تحمّلوا الأهوال من مقاطعتهم.

فإذا قارنا نسبة الطّاقة البشريّة في الحرب الإجماعيّة الإسلاميّة وهي أربعون بالمئة بالنسبة لتعداد المسلمين، بنسبة الطّاقة البشرية في الحرب الإجماعية الحديثة وهي عشرة بالمئة، وجدنا البون شاسعاً، وأين الثرى من الثريّا؟!.

أما تفوّقها من ناحية (النّوع)، فإنّ المسلمين الأولين جنوداً وقادة يؤمنون بعقيدة راسخة، يسترخصون في سبيلها أموالهم وأنفسهم حمايةً لها ودفاعاً عن حرية نشرها، يعملون تحت إمرة قيادات تمثِّل أفضل القادرين منهم تقوى وكفاية، يشكِّلون بأنفسهم لرجالهم أسوة حسنة شجاعة وإقداماً وبذلاً وإنفاقاً.

هؤلاء المجاهدون الصادقون، بقياداتهم القادرة، قدّموا الشهداء الذين تساقطوا في ميدان الجهاد، فبلغت نسبة الشهداء ـ وبخاصة من الصحابة رضي الله عنهم ـ ثمانين بالمئة، وهي نسبة عالية جداً لا مثيل لها في تاريخ الحرب قديماً وحديثاً.

---

(١) انظر التفاصيل في كتابنا: الوجيز في العسكرية الإسرائيلية (٧٣ ـ ٧٤) ط ٣.

لقد شهد معركة (اليمامة) في حروب الرِدّة ثلاثة عشر ألفاً[1] بقيادة خالد بن الوليد، وكانت خسائر المسلمين ألفاً ومائتي شهيد[2]، أي عشرة بالمائة من مجموع المجاهدين.

فإذا أحصينا عدد المعارك التي خاضها المسلمون في الغزوات والسرايا على عهد النبيّ ﷺ وفي أيام الفتح الإسلامي العظيم، استطعنا أن نقدِّر مبلغ جسامة عدد الشهداء من المجاهدين.

وكمثال على ذلك، فإنّ الحارث بن هشام خرج في سبعين من أهل بيته، فرجع منهم أربعة فقط، ومات سائرهم بالطاعون[3]، والشهيد يكون في الطعن والطاعون.

وكان شهداء المهاجرين والأنصار أكثر من نصف الشّهداء في معركة (اليمامة)، فقد استشهد منهم من سكّان المدينة المنورة يومئذٍ ثلاثمائة وستون، ومن المهاجرين من غير أهل المدينة ثلاثمائة[4].

وكان شهداء المهاجرين والأنصار وشهداء التابعين بإحسان الذين كانوا ثلاثمائة شهيد من التابعين[5] في تلك المعركة ثمانين بالمائة من مجموع الشهداء، إذ يبلغ عدد شهداء المهاجرين والأنصار والتابعين تسعمائة وستين شهيداً من مجموع ألف ومائتي شهيد.

وهذا يدلّ على أثر الإيمان في تصاعد عدد الشهداء، ويكفي أن نذكر أنّ عدد الشهداء من القراء في معركة (اليمامة) ثلاثمائة شهيد في رواية وخمسمائة شهيد في رواية أخرى.

والقرّاء هم حاملو القرآن الكريم، وهم علماء المسلمين حينذاك، أي

---

(١) فضائل القرآن لابن كثير (١٢) ـ ملحق بالجزء التاسع من تفسير ابن كثير.
(٢) الطبري (٣/ ٣٠٠). (٣) المرجع السابق نفسه.
(٤) الطبري (٣/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧)، وابن الأثير (٢/ ٣٦٥).
(٥) الطبري (٣/ ٢٩٧).

أنّ نسبة الشهداء من القراء في معركة واحدة فقط خمسة وعشرون بالمائة في رواية، وخمسة وأربعون بالمائة في رواية أخرى، وهي نسبة عالية جداً على أي حال.

هذه القدوة الحسنة متمثلة بالقادة الذين يقودون رجالهم من الأمام، وبالعلماء الذين يعملون أكثر مما يقولون، ألهبت مشاعر المجاهدين وحرّضتهم على القتال، وصدق رسول الله ﷺ: «صنفان من الناس إذا صَلَحَا صَلَحَ الناس، وإذا فَسَدَا فَسَد الناس: العلماء والأمراء»[1].

ذلك لأنّ شعار المجاهدين كان يومذاك: **﴿قُلْ: هل تَرَبّصون بنا إلاّ إحْدَى الحُسْنَيَيْنِ!؟﴾**[2]: الشهادة أو النصر.

وقد تطوّرت الأسلحة الحديثة في الجيوش الحديثة التي طبقت الحرب الإجماعية في القرن العشرين، ولم تبق أسلحة بدائية كالسيف والرمح والسّهم كما كانت قبل خمسة عشر قرناً، ومع هذا لم يبلغ عدد القتلى في الجيوش الحديثة ثمانين بالمائة من مجموع المقاتلين.

والذين يبحثون في مصادر الصحابة عليهم رضوان الله، يجد واحداً من كل خمسة منهم مات على فراشه، وأربعةً استُشهدوا في ميادين الجهاد!.

فلا تعجب من سرعة الفتوح المذهلة في القرن الأول الإسلامي الذي كان خير القرون ومن دوام تلك الفتوح وثباتها، فقد كان السلف الصالح يحرصون على الموت كحرص الخلف الطالح على الحياة.

وصدق الله العظيم: **﴿انفروا خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، ذلكم خيرٌ لكم إن كنتمْ تعلمون﴾**.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية، انظر مختصر الجامع الصغير للمناوي (٢/ ٧٥).
(٢) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩: ٥٢).

والخير الذي بشّر به سبحانه وتعالى، في هذه الآية الكريمة، هو خير الدنيا وخير الآخرة.

وخير الدنيا، هو إحراز النّصر، والحياة الكريمة في هذه الحياة: أفراداً وجماعات وشعوباً وأمّة واحدة، فلا كرامة لضعيف، ولا مكانة لضعيف، والمسلمون حين تخلّوا عن الجهاد ذلّوا وهانوا واستُعبدوا.

عن عبد الله بن عمر بن الخطّاب رضي الله عنهما، أنّ النبيّ ﷺ قال: «... وإذا تركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذلاًّ، لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم»، صدق رسول الله عليه أفضل الصّلاة وأزكى السّلام.

ولن يعود المسلمون إلى سالف عزّهم ومجدهم، ما لم ينهضوا بفريضة الجهاد بما فيها من تكاليف البذل والتضحية والفداء.

أما خير الآخرة، فجنّة عرضها السموات والأرض، ونعيم خالد مقيم فيها للمجاهدين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

تلك هي الحرب الإجماعية في الإسلام، طبّقها المسلمون قبل خمسة عشر قرناً خلت، فلا يقولنّ قائل بعد اليوم: إنها من صنع الأجانب نظريةً وتطبيقاً، فقد شرّعها الإسلام يوم كان الأجانب يغطّون في سبات عميق، فسادوا العالم فكريّاً وعسكريّاً، وقادوا الحضارة العالمية قروناً طويلة.

فلمّا تخلّوا عنها فكراً وتطبيقاً، تخلّى عنهم النصر، وتكاثرت هزائمهم، وأصبحت بلادهم مستعمرَة، وخيراتهم لغيرهم، فما غُزي قوم في عقر دارهم إلاّ ذلّوا.

أعاد الله المسلمين إلى دينهم عوداً حميداً، وإلى الجهاد عوداً مجيداً، ولا غالب إلاّ الله، وصلّى الله على إمام المجاهدين وخاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الملحقات

الملحق (أ)

الغزوات التي قادها النبيّ ﷺ بنفسه

التسلسل	اسم الغزوة	قوات الطرفين		مكان الغزوة	التاريخ	مجمل النتائج
		المسلمون	المشركون			
١	وَدّان (الأبواء)	(٢٠٠) راكب وراجل	—	ودّان	صفر من السنة الثانية الهجرية	تملّص مشركو قريش من لقاء المسلمين، فحالفوا قبيلة بني ضَمْرَة
٢	بُواط بناحية رضوى	(٢٠٠) راكب وراجل	(١٠٠) راكب وراجل من قريش	بُواط	ربيع الأول من السنة الثانية الهجرية	لم يدرك قافلة قريش
٣	العُشَيْرَة من بطن يَنبع	(٢٠٠) راكب وراجل	قوّة من قريش وبني مدلج وبني ضمرة	العُشَيْرة	جمادى الأولى من السنة الثانية الهجرية	وادع بني مُدْلج وحلفاءهم بني ضمرة
٤	بدر الأولى	(٢٠٠) راكب وراجل	قوّة خفيفة بقيادة كرز بن جابر الفِهْري	بدر	جمادى الآخرة من السنة الثانية الهجرية	فرّ المشركون بما غنموه من المسلمين، ولم يستطع المسلمون إدراكهم
٥	بدر الكبرى	(٣١٥)معهم فرسان وسبعون بعيراً	(٩٥٠) منهم (٢٠٠) فارس وهم من قريش	بدر	رمضان من السنة الثانية الهجرية	انتصار المسلمين الحاسم على المشركين من قريش
٦	بنو قَيْنُقَاع من يهود	مسلمو المدينة المنورة	بنو قينقاع من يهود	المدينة المنوّرة	أوائل شوّال من السنة الثانية الهجرية	تطهير داخل المدينة المنوّرة من يهود بني قينقاع
٧	بنو سُلَيْم	(٢٠٠) راكب وراجل	بنو سليم	قَرْقَرة الكُدْر بين مكة والمدينة	أواخر شوّال من السنة الثانية الهجريّة	فر بنو سُليم وتركوا أموالهم للمسلمين
٨	السَّوِيْق	قوة مطاردة خفيفة من المسلمين	(٢٠٠) فارس من مشركي قريش	قَرْقَرة الكُدْر	ذو الحجّة من السنة الثانية الهجريّة	فرار مشركي قريش من مطاردة المسلمين لهم

٩	ذو أَمَرّ من يهود	٤٥٠بين راكب وراجل	بنو ثَعْلبة ومحارب	ذو أَمَرّ موضع في نجد	محرم من السنة الثالثة الهجرية	فرّ بنو ثعلبة ومحارب، وبقي المسلمون في ديارهم نحو شهر
١٠	بُحْران	(٣٠٠) بين راكب وراجل	بنو سُلَيْم	بحران على طريق المدينة ـ مكّة	ربيع الأول من السنة الثالثة الهجريّة	فرّ بنو سليم فبقي المسلمون في ديارهم نحو شهر
١١	أُحُد	(٧٠٠) بينهم خمسون فارساً	(٢٩٠٠) من قريش وحلفائها ومائة من بني ثقيف بينهم (٢٠٠) فارس	جبل أُحُد في ضواحي المدينة المنورة	شوّال من السنة الثالثة الهجرية	استطاع المشركون تكبيد المسلمين سبعين شهيداً، وكان انتصار المشركين انتصاراً تعبوياً
١٢	حمراء الأَسَد	(٦٣٠) راكب وراجل	(٢٩٧٨) من قريش وحلفائها وثقيف	حَمْراء الأسد بين المدينة ومكة	شوّال من السنة الثالثة الهجرية	طارد المسلمون قريشاً وحلفاءها إلى حمراء الأسد بعد انتهاء غزوة أُحُد مباشرة، ولكن المشركين انسحبوا
١٣	بنو النَّضِير من يهود	مسلمو المدينة كافة	بنو النَّضِير من يهود	ضواحي المدينة المنوّرة	ربيع الأول من السنة الرابعة الهجرية	إجلاء بني النّضير عن ضواحي المدينة المنوّرة
١٤	ذات الرِّقاع	(٤٠٠) راكب وراجل	بنو ثعلبة ومحارب من غطفان	ذات الرقاع بنجد	شعبان من السنة الرابعة الهجرية	فرار بني ثعلبة وبني محارب من ديارهم
١٥	بدر الآخرة	نحو ألف راكب وراجل	(٣٠٠٠) من مشركي قريش وحلفائها	بَدْر	شعبان من السنة الرابعة الهجرية	عادت قريش أدراجها إلى مكة ولم تذهب للقاء المسلمين في بدر حسب موعدها
١٦	دُوْمَةُ الجَنْدَل	ألف راكب وراجل	قبائل دُوْمَة الجَنْدَل	دُوْمَة الجندل	ربيع الأول من السنة الخامسة الهجرية	لاذت القبائل بالفرار
١٧	بنو المُصْطَلِق	ألف راكب وراجل	بنو المُصْطَلِق	المُرَيْسِيع	شعبان من السنة الخامسة الهجرية	فرّ بنو المصطلق بعد معركة قصيرة وانتصر المسلمون
١٨	الخندق	ثلاثة آلاف	عشرة آلاف من قريش وحلفائهاعدايهودالمدينة	المدينة المنورة	شوّال من السنة الخامسة الهجرية	عودة الأحزاب عن حصار المدينة المنورة خائبين

التسلسل	اسم الغزوة	قوات الطرفين		المكان	التاريخ	مجمل النتائج
		المسلمون	أعداء المسلمين			
١٩	بنو قُرَيْظة من يهود	ثلاثة آلاف بينهم (٣٦) فارساً	(٦٠٠) إلى (٧٠٠) من قريظة	ضواحي المدينة المنوّرة	ذو القعدة من السنة الخامسة الهجرية	القضاء على بني قريظة
٢٠	بنو لِحْيَان	نحو (٣٠٠٠) مجاهد	بنو لحيان	غُرّان بين أَمَجٍ وعُسْفان	جمادى الأولى من السنة السادسة الهجرية	فرّ بنو لحيان
٢١	ذو قَرَد	جماعة مطاردة خفيفة	غطفان	ذو قَرَد	ربيع الأول من السنة السادسة الهجرية	فرّ بنو غطفان تاركين الغنائم التي أخذوها من المسلمين
٢٢	الحُدَيْبِيَّة	(١٦٠٠) راكب وراجل	قريش في مكة المكرّمة	الحُدَيْبِيَّة	ذو القعدة من السنة السادسة الهجرية	عقدَت هدنة الحديبية بين المسلمين ومشركي قريش
٢٣	خَيْبَر	(١٦٠٠) راكب وراجل	يهود خيبر	خَيْبَر	محرم من السنة السّابعة الهجرية	فتحت خيبر واستسلم يهود فدك ووادي القرى وتيماء
٢٤	عُمْرَةُ القضاء	(١٤٠٠) راكب وراجل	مشركو قريش	مكّة المكرّمة	ذو القعدة من السنة السابعة الهجرية	بقي المسلمون ثلاثة أيام في مكة بعد أن خرج المشركون عنها
٢٥	فتح مكّة المكرمة	عشرة آلاف	قريش وبنو بكر	مكة المكرّمة	رمضان من السنة الثامنة الهجرية	فتح مكة المكرَّمة
٢٦	حُنَيْن	(١٢٠٠٠) ألفاً	ثقيف وقسم من هوازن	وادي أوطاس قرب الطائف	شوّال من السنة الثامنة الهجرية	هربت ثقيف ومَن معها من هوازن وانتصر المسلمون عليهم
٢٧	حصار الطائف	(١٢٠٠٠) ألفاً	ثقيف وقسم من هوازن	الطائف	شوّال من السنة الثامنة الهجرية	لم تستسلم الطائف ففك الحصارَ المسلمون عنها ورحلوا عائدين إلى المدينة المنوّرة
٢٨	تَبُوك	ثلاثون ألفاً منهم عشرة آلاف فارس	جيش كبير من الرُّوم وحلفائهم من الغساسنة	تَبوك	رجب من السنة التاسعة الهجرية	فضّل الروم ألا يشتبكوا بالمسلمين، فأقام المسلمون في تبوك نحو عشرين يوماً، وصالحوا قبائل وسُكان منطقة الحدود الشمالية بين الحجاز وبلاد الشّام، فأمنوا بذلك قاعدة متقدمة أمامية لعملياتهم المقبلة باتجاه الرُّوم في بلادالشّام

الملحق (ب)

سرايا النبيّ ﷺ

التسلسل	اسم السريّة	قوّة السريّة	قائد السريّة	قوّة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
١	حَمْزة بن عبد المطلب	ثلاثون من المهاجرين	حمزة بن عبد المطلب	(٣٠٠) راكب	أبو جَهْل ابن هشام	العِيْص	رمضان من السنة الأولى	حجز بين الطرفين مَجْدي ابن عمرو الجُهْنِيّ
٢	عُبَيْدة بن الحارث	ستون من المهاجرين	عبيدة بن الحارث	أكثر من مئتي راكب وراجل	أبو سُفْيان ابن حرب	ماء بوادي رابغ	شوّال من السنة الأولى	جرت مناوشات بين الطرفين، ورمى فيها سعد بن أبي وقاص أول سهم رمي في الإسلام
٣	سَعْد بن أبي وقّاص	عشرون من المهاجرين	سعد بن أبي وقّاص	قافلة لقريش	ـ	الخَرّار	ذو القعدة من السنة الأولى	تملّصت القافلة ونجت من المسلمين
٤	عبد الله بن جَحْش	اثنا عشر رجلاً من المهاجرين	عبد الله ابن جَحْش	أربعة رجال	عمرو بن الحَضْرَمِيّ	نَخْلَة	رجب من السنة الثانية	١ ـ أول قتيل من المشركين ٢ ـ أول أسير من المشركين ٣ ـ أول غنيمة للمسلمين ٤ ـ استعمال الرسائل المكتومة
٥	عُمَيْر بن عَدِيّ ابن خرشة	رجل واحد	عمير بن عَدِيّ ابن خرشة	امرأة واحدة	عصماءبنت مروان	المدينة المنوّرة	رمضان من السنة الثانية	تعيب الإسلام وتؤذي النبيّ وتحرّض عليه وتهجوه شعراً
٦	سالم بن عُمَيْر	رجل واحد	سالم بن عُمَيْر	عدو واحد	أبو عَفَك اليهودي	المدينة المنوّرة	شوال من السنة الثانية	يحرّض على رسول الله ويقول الشعر في هجائه
٧	محمد بن مَسْلَمة	نفر من الأوس	محمد بن مسلمة الأنصاري	عدو واحد	كعب بن الأشرف	المدينة المنوّرة	ربيع الأول من السنة الثالثة	يهجو النبيّ بشعره ويهجو المسلمين ويحرّض عليهم ويؤذيهم

التسلسل	اسم السريّة	قوّة السريّة	قائد السريّة	قوّة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
٨	زيد بن حارثة الكلبيّ	مائة راكب وراجل	زيد بن حارثة الكلبيّ	قافلة لقريش	صَفْوان بن أمية	الغَزْوَة من أرض نجد	جمادى الآخرة من السنة الثالثة	غنم قافلة قريش وأسر فرات بن حيان فأسلم
٩	عبد الله ابن أُنَيْس	رجل واحد	عبد الله ابن أُنَيْس	جماعة حشدوا لقتال المسلمين	سُفيان بن خالد الهُذَليّ	عُرَنَة	المحرم من السنة الرابعة	حشد الجموع لقتال المسلمين
١٠	أبو سَلَمة بن عبد الأسد	—	أبو سلمة بن عبد الأسد	بنو أسد	رئيس بني أسد	قَلَى	المحرم من السنة الرابعة	لحشدهم على المسلمين
١١	المنذر بن عمرو الأنصاري	سبعون رجلاً من الأنصار	المنذر بن عمرو الأنصاري	سبعون من سُلَيْم	سليم بن ملحان والحكم بن كيسان	بئر مَعُوْنَة	صفر من السنة الرابعة	غدر المشركون بدعاة المسلمين
١٢	مَرْثَد بن أبي مَرثد الغَنَوِيّ	عشرة رجال	مَرْثَد بن أبي مرثد الغنويّ	عَضَل والقَارة	رئيسا القبيلتين	الرَّجيع	صفر من السنة الرابعة	غدر المشركون بالمسلمين
١٣	محمد بن مَسْلمة	ثلاثون راكباً	محمد بن مَسْلمة الأنصاري	القُرَطاء بطن من بني بكر من كلاب	رئيس القبيلة	القُرَطاء في البكرات بناحية ضريّة	محرّم من السنة السادسة	قتل نفراً منهم وهرب سائرهم وعاد بالغنائم
١٤	عُكّاشة بن مِحْصَن الأسدي	أربعون رجلاً	عُكّاشة بن مِحْصَن الأسدي	بنو أسد	رئيس القبيلة	الغَمْر غَمْر مرزوق	ربيع الأول من السنة السادسة	استاق المسلمون مائتي بعير وهرب المشركون
١٥	محمد بن مَسْلمة الأنصاري	عشرة رجال	محمد بن مسلمة	بنو ثَعْلبة وبنو عوال من ثعلبة	رئيس القبيلة	ذو القَصَّة	ربيع الآخر من السنة السادسة	استشهد المسلمون وجرح قائدهم
١٦	أبو عُبَيْدة ابن الجراح	أربعون رجلاً	أبو عبيدة ابن الجراح	بنو ثعلبة	رئيس القبيلة	ذو القَصَّة	ربيع الآخر من السنة السادسة	هرب المشركون وغنم المسلمون مواشيهم وأمتعتهم

١٧	زيد بن حارثة الكلبيّ	—	زيد بن حارثة الكلبيّ	سُلَيْم	رئيس القبيلة	الجَموم	ربيع الآخر من السنة السادسة	غنم المسلمون شاةً ونعماً وأسرى
١٨	زيد بن حارثة الكلبيّ	سبعون ومائة راكب وراجل	زيد بن حارثة الكلبيّ	قافلة لقريش	صفوان بن أميّة	العِيْص	جمادى الأولى السنة السادسة	غنم المسلمون القافلة
١٩	زيد بن حارثة الكلبيّ	خمسة عشر رجلاً	زيد بن حارثة الكلبيّ	بنو ثعلبة	رئيس القبيلة	الطَّرَف	جمادى الآخرة السنة السادسة	غنم المسلمون عشرين بعيراً وهربت الأعراب
٢٠	زيد بن حارثة الكلبي	خمسمائة رجل	زيد بن حارثة الكلبيّ	جُذام	الهُنَيْد بن عارض	حِسْمَى	جمادى الآخرة السنة السادسة	غنم المسلمون ألف بعير وخمسمائة شاء مع مائة من الأسرى، فأعادها النبيّ لهم
٢١	زيد بن حارثة الكلبي	—	زيد بن حارثة الكلبي	الأعراب في وادي القرى(بنو فزارة)	رئيس القبيلة	وادي القرى	رجب من السنة السادسة	كبدهم خسائر في الأرواح وأصاب أسرى
٢٢	عبد الرحمن ابن عوف	—	عبد الرحمن ابن عوف	بنو كلب	الأَصْبَغ بن عمرو الكلبيّ	دُومة الجندل	شعبان من السنة السادسة	أسلم الأَصْبَغ بن عمرو الكلبي وأسلم معه ناس كثير
٢٣	علي بن أبي طالب	مائة رجل	علي بن أبي طالب	بنو سعد ابن بكر	رئيس القبيلة	فَدَك	شعبان من السنة السادسة	إحباط حشدهم مدداً ليهود خيبر، فهرب بنو سعد وخلّفوا خمسمائة بعير وألفي شاة غنمها المسلمون
٢٤	زيد بن حارثة الكلبيّ	مفرزة خفيفة	زيد بن حارثة الكلبيّ	فزارة من بني بدر	رئيس القبيلة	أمّ خِرفة بوادي القُرى	رمضان من السنة السّادسة	انتقم من بني بدر لنهبهم قافلة تجارية للمسلمين
٢٥	عبد الله بن عَتِيك	رجل واحد مع مفرزة من خمسة رجال	عبد الله بن عَتِيك	أبو رافع ابن أبي الحُقَيق	أبو رافع سَلام بن أبي الحقيق	خَيْبَر	رمضان من السنة السادسة	قتله لأنه حرّض غطفان على المسلمين

التسلسل	اسم السريّة	قوّة السريّة	قائد السريّة	قوّة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
٢٦	عبد الله ابن رَواحة	ثلاثون رجل	عبد الله ابن رواحة	رجل واحد	أسير بن زارم اليهودي	خَيْبَر	شوّال من السنة السادسة	قتله لأنه سار في غَطفان وغيرهم يجمعهم لحرب المسلمين
٢٧	كُرْز بن جابر الفِهْري	عشرون فارساً	كرز بن جابر الفِهْري	ثمانية من العُرَنيّين	ثمانية من العُرَنيين	الطريق القريبة من المدينة	شوّال من السنة السادسة	خانوا الأمانة فعوقبوا على خيانتهم
٢٨	عمرو بن أُميّة الضَّمْري	رجلان	عمرو بن أُمية الضّمري	أبو سفيان ابن حرب	أبو سفيان ابن حرب	مكّة	شوال من السنة السادسة الهجرية	أرسل أبو سفيان ليغتال النبي ﷺ فعاد هذا إلى أبي سفيان بعد إسلامه
٢٩	عمر بن الخطّاب	ثلاثون رجلاً	عمر بن الخطّاب	عَجُز هوازن	—	تُرَبة	شعبان من السنة السابعة	هرب المشركون فعادوا إلى مكة
٣٠	أبو بكر الصِّديق	—	أبو بكر الصدِّيق	بنو كلاب	—	ضُرِيَّة بنجد	شعبان من السنة السابعة	هرب المشركون وسبي قسم منهم
٣١	بشير بن سعد الأنصاري	ثلاثون رجلاً	بشير بن سعد الأنصاري	بنو مُرَّة	—	فَدَك	شعبان من السنة السابعة	غنم المسلمون فاستعاد المشركون الغنائم وكبدوا المسلمين خسائر فادحة
٣٢	غالب بن عبد الله اللّيْثي	مائة وثلاثون رجلاً	غالب بن عبد الله اللّيْثي	بنو عُوَال وبنو عبد بن ثعلبة	رئيس القبيلة	المَيْفَعَة بناحية نجد	رمضان من السنة السابعة	كبّدوا المشركين خسائر في الأرواح وغنموا نعماً وشاء
٣٣	بشير بن سعد الأنصاري	ثلاثمائة رجل	بشير بن سعد الأنصاري	غَطَفان	عُيَيْنَة بن حِصن	يَمْن وجَبَار	شوال من السنة السابعة	هرب المشركون وغنم المسلمون نعماً كثيراً
٣٤	ابن أبي العوجاء السُّلميّ	خمسون رجلاً	ابن أبي العوجاء السُّلَمِي	سُلَيْم	رئيس القبيلة	الجُموم	ذو الحجة من السنة السابعة	استشهد أكثر المسلمين

٣٥	غالب بن عبد الله الليثي	بضعة عشر رجلاً	غالب بن عبد الله الليثي	بنو الملوح	بنو الملوح	الكَديد	صفر من السنة الثامنة	غنم المسلمون النعم
٣٦	شجاع بن وهَب الأسديّ	أربعة وعشرون رجلاً	شجاع بن وَهب الأسديّ	بنو عامر من هوازِن	رئيس القبيلة	السّبي ناحية الركبة من وراء المَعْدن	ربيع الأول من السنة الثامنة	غنم المسلمون نعماً وشاءً
٣٧	كَعب بن عُمير الغفاريّ	خمسة عشر رجلاً	كعب بن عُمير الغِفاري	قبائل حربية	—	ذات أطلاح	ربيع الأول من السنة الثامنة	اسشهد المسلمون
٣٨	زيد بن حارثة جعفر بن أبي طالب، عبدالله ابن رواحة	ثلاثة آلاف رجل	زيد بن حارثة، جعفر بن أبي طالب، عبد الله ابن رُواحة	مائة ألف من من غسّان وحلفائهم	شُرَحبيل بن محمد الغسّاني	مُؤْتَة	جمادي الأولى من السنة الثامنة	انسحب المسلمون بقيادة خالد ابن الوليد بعد استشهاد القادة الثلاثة، وتكبد المسلمون خسائر فادحة بالأرواح لتفوّق المشركين عليهم تفوقاً ساحقاً
٣٩	عمرو بن العاص	ثلاثمائة رجل معهم ثلاثون فرساً وأمدهم النبي بمائتي رجل	عمرو بن العاص، وعلى المدد و أبو اعبيدة بن الجراح	قضاعة	رؤساء قبائل بلى وعُذَرة وبَلقين	ذات السّلاسل	جمادى الآخرة من السنة الثامنة	وطىء بلاد بلى ودوّخها حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد عُذرة وبلقين ولقي جمعاً بعد ذلك فحمل المسلمون عليهم فهربوا في البلاد وتفرقوا، والهدف من السرية إحباط تجمعات قضاعة وحثهم للهجوم على المسلمين

التسلسل	اسم السريّة	قوّة السريّة	قائد السريّة	قوّة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائـج
٤٠	أبو عبيدة ابن الجراح	ثلاثمائة رجل	أبو عبيدة ابن الجراح	جُهَيْنَة	رئيس القبيلة	القبيلة مما يلي ساحل البحر الأحمر	رجب من السنة الثامنة	لم يلقوا كيداً
٤١	أبو قتادة بن رِبْعِيّ الأنصاري	خمسة عشر رجلاً	أبو قتادة بن رِبْعِي الأنصاري	محارب من غطفان	مُحارب من من غطفان	خَضِرة في نجد	شعبان من السنة الثامنة	غنم المسلمون مائتي بعير وألفي شاة
٤٢	أبو قتادة بن رِبْعِيّ الأنصاري	ثمانية رجال	أبو قتادة بن رِبْعِي الأنصاري	قريش وحلفاؤها	أبو سفيان ابن حرب	بطن مكة	رمضان من السنة الثامنة	الهدف هو التضليل من التوجّه نحو مكّة لفتحها، فسارت هذه السرية بعكس اتجاه مكة، ثم تحرّك المسلمون نحو هدفهم الأصلي مكّة
٤٣	خالد بن الوليد	ثلاثون فارساً	خالد بن الوليد	العزى صنم لقريش وجميع بني كِنانة	ـ	العُزّى (صنم) في نَخْلة	رمضان من السنة الثامنة	هدم العُزّى
٤٤	عمرو بن العاص	مفرزة خفيفة	عمرو بن بن العاص	سواع صنم هذيل	رئيس هذيل	ديار هذيل	رمضان من السنة الثامنة	هدم سُوَاع
٤٥	سعد بن زيد الأشهلي	عشرون فارساً	سعد بن زيد الأشْهليّ	صنم للأوس والخزرج وغسان بالمشلل	ـ	مُناة (صنم)	رمضان من السنة الثامنة	هدم مُنَاة
٤٦	خالد بن الوليد	ثلاثمائة وخمسون رجلاً	خالد بن الوليد	جَذِيمَة من كِنانة	رئيس قبيلة جذيمة	ناحية يَلَمْلَمْ	شوال من السنة الثامنة	كبّد جذيمة خسائر في الأرواح
٤٧	الطُّفَيلُ بن عمرو الدَّوسيّ	مفرزة خفيفة	الطُّفيل بن عمرو الدّوسيّ	ذو الكَفَّين (صنم عمرو بن حَمَمة الدّوسيّ)	ـ	في منطقة الطائف	شوّال من السنة الثامنة	هدم ذا الكَفّين

٤٨	عُيَيْنَة بن حِصْن الفِزاري	خمسون فارساً	عُيَيْنَة بن حِصْن الفزاري	بنو تَمِيْم	رئيس بني تميم	بين السُّقْيا وأرض بني تميم	المحرّم من السنة التاسعة	هرب المشركون فأسر أحد عشر رجلاً وسبى إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً أعادهم النبي إلى أهليهم
٤٩	قُطْبَة بن عامر بن حَدِيْدَة	عشرون رجلاً	قُطبة بن عامِر بن حَدِيْدَة	خَثْعم	رئيس خَثْعم	ناحية بيشة قريبًا من تُربة في ناحية تبالة	صفر من السنة التاسعة	تكبّد المشركون خسائر بالأرواح وغنم المسلمون النَّعم والشاء والأسرى
٥٠	الضحّاك بن سفيان الكلابيّ	—	الضحّاك بن سُفيان الكلابيّ	بنو كلاب	رئيس بني كلاب	القُرَطاء بناحية زُجّ لاَوَة	ربيع الأول من السنة التاسعة	انتصر على بني كلاب
٥١	عَلْقَمة بن مُجزِّز المُدْلجيّ	ثلاثمائة رجل	علقمة بن مُجزِّز المُدْلِجيّ	الحبشة	رئيس الحبشة في الجزيرة التي تقابل مدينة جُدَّة	الحبشة في الجزيرة تقابل جُدَّة	ربيع الآخر من السنة التاسعة	هرب الأحباش
٥٢	عليّ بن أبي طالب	مائة وخمسون رجلاً على مائة بعيروخمسين فرساً	عليّ بن أبي طالب	الفَلْس صنم طيّء وفي كتاب الأصنام الفلس بفتح الفاء	عَدي بن حاتم الطائي	محلّة آل حاتم الطائي بأرض طيء على جبلهم : أجأ	ربيع الآخر من السنة التاسعة	هدم الفُلْس وعاد بالسّبي والنّعم والشاء
٥٣	عُكاشة بن مِحْصن الأسدي	—	عكاشة بن مِحصن الأسدي	عُذْرَة وبَلِيّ	رئيس القبيلة	الجناب أرض عُذرة وبلِيّ	ربيع الآخر من السنة التاسعة	التفاصيل غير متيسّرة عن هذه السريّة ويبدو أنها سريّة من سرايا الدعوة
٥٤	خالد بن الوليد	—	خالد بن الوليد	بنو عبد المَدان	رئيس القبيلة	نَجْران	ربيع الأول من السنة العاشرة	التفاصيل غير متيسّرة عن هذه السرية ويبدو أنها سرية من سرايا الدعوة

التسلسل	اسم السريّة	قوّة السريّة	قائد السريّة	قوّة الأعداء	قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
٥٥	عليّ بن أبي طالب	ثلاثمائة فارس	عليّ بن أبي طالب	مَذْحِج	رئيس القبيلة	اليمن (بلاد مِذْحِج)	رمضان من السنة العاشرة	قاتلهم فانتصر عليهم، فغنم منهم النَّعَم والشاء وأسر الأسرى، ثم أعلنوا أسلامهم
٥٦	أسامة بن زيد ابن حارثة الكلبيّ	ثلاثة آلاف مجاهد بين راكب وراجل	أسامة بن زيد (حِبُّ رسول الله وابن حِبِّه)	الرُّوم وحلفاؤهم من قضاعة	رئيس قضاعة	أُبْنَى وهي أرض السّراة ناحية البلقاء	صفر من سنة إحدى عشرة	١ ـ أمر النبي ﷺ بإنفاذ بعث أسامة في صفر ٢ ـ تحرك أسامة بجيشه إلى هدفه في ربيع الآخر بعد وفاة النبي ﷺ وتولي أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة ٣ ـ شنّ أسامة غارة، سريعة فانتصر، فعاد أدراجه إلى المدينة المنورة ٤ ـ أثّرت هذه السرية في الروم وحلفائهم تأثيراً بالغاً مما مهد للفتح الإسلامي القريب.

إيضـــاح الملحـق (ب)

١ ــ اعتمدت ما جاء في الجزء الثاني من طبقات ابن سعد في ترتيب سرايا النبيّ ﷺ التي أدرجتها في الملحق (ب)، بعد مقارنتها بالمصادر المعتمدة الأخرى.

٢ ــ وقد ذكر ابن سعد في الطبقات خمساً وخمسين سرية فقط، بينما عدد السرايا الواردة في الملحق (ب) ست وخمسون سرية، بزيادة سرية واحدة على ما ذكره ابن سعد في طبقاته.

والسرية التي أضفتها إلى الملحق (ب) هي سرية أبي سَلَمَة بن عبد الأسد إلى بني أسد في (قَطَن)، وهي ذات الرقم (١٠) في الملحق (ب).

وقد اقتبست هذه السريّة وأضفتها إلى الملحق (ب) من مغازي الواقدي لأنها وردت في مصادر معتمدة أخرى.

٣ ــ أجمعت المصادر المعتمدة كلها بأنّ عدد سرايا النبيّ ﷺ هي سبع وأربعون سريّة، وقد ذكرت ذلك في صلب هذا البحث.

والسرايا التي عدّدها ابن سعد في طبقاته خمس وخمسون سريّة، على الرغم من أنه ذكر في كتابه: أنّ سرايا النبيّ ﷺ سبع وأربعون سرية.

ويبدو أنّ ابن سعد لم يَعتبر السرايا التي هدفها القضاء على رجل معـادٍ واحد أو امـرأةٍ معاديـةٍ واحدة ـ سرايا بالمعنـى الصحيح كالتـي هدفها تعبوي أو سَوْقِيّ للقضاء على جماعة أو قبيلة أو مجموعة من القبائل المعادية أو فرض الحصار الاقتصادي على أعداء الإسلام والمسلمين بجعل الطرق التجارية التي يسلكها الأعداء غير آمنة.

وهذه السرايا التي كان هدفها القضاء على شخص معادٍ واحد هي ذات التسلسل: (٥ و ٦ و ٧ و ٩ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٧) في الملحق (ب)، فلْيَعُدْ إلى هذا الملحق من أراد الاطلاع على التفاصيل.

كما يبدو أنّ ابن سعد لم يعتبر السرية ذات التسلسل (٤٢) من السرايا لأنها سرية خرجت للتضليل وحَسْب، أي لتوجيه أنظار الأعداء إلى اتجاه حركتها شمالاً، تمهيداً لحركة النبيّ ﷺ إلى الجنوب لفتح مكة المكرّمة، وبذلك يبقى من تعداد سراياه التي ذكرها سبع وأربعون سريّة.

٤ ــ وأما بالنسبة للملحق (ب) الذي عدّد ستاً وخمسين سرية، بإضافة السرية ذات التسلسل (٥٦) وهي سرية أسامة بن زيد؛ لأنها نفِّذت بعد التحاق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى في عهد أبي بكر، وهذه تضاف إلى السرايا التي لم يعتمدها ابن سعد والواردة في المادة (٣) في أعلاه، فيبقى تعداد السرايا في الملحق (ب) سبعاً وأربعين سرية، والله أعلم.

المصادر والمراجع

١ ـ المراجع العربية:

ابن الأثير (عزّ الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشّيبانيّ المعروف بابن الأثير الجزريّ):

١ ـ أُسد الغابة في معرفة الصّحابة ـ طهران ـ ١٣٧٧ هـ

٢ ـ تجريد أسماء الصّحابة ـ حيدر آباد الدكن (الهند) ـ ١٣١٥ هـ.

٣ ـ الكامل في التّاريخ ـ بيروت ـ ١٣٨٥ هـ.

ابن تغري بردي الأتابكيّ (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي):

٤ ـ النجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ القاهرة ـ ١٣٨٣ هـ.

ابن تيميّة (تقيّ الدين أحمد بن عبد الحليم بن مجد الدين أبو البركات عبد السّلام بن تيميّة):

٥ ـ السِّياسة الشّرعيّة ـ تحقيق الشيخ محمد المبارك ـ بيروت ـ ١٣٨٦ هـ.

ابن حبيب (أبو جعفر محمد بن حبيب بن أُميّة بن عمرو الهاشمي البغدادي):

٦ ـ المحبّر ـ تحقيق الدكتورة إيلزه ليختن شتيتر ـ بيروت ـ ١٣٦١ هـ.

ابن حجر العسقلانيّ (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلانيّ):

٧ ـ الإِصابة في تمييز الصَّحابة ـ القاهرة ـ ١٣٢٥ هـ.

٨ ـ تهذيب التهذيب ـ حيدر آباد الدكن (الهند) ـ ١٣٢٧ هـ.

٩ ـ فتح الباري بشرح البخاري ـ القاهرة ـ ١٣٠١ هـ.

ابن حزم الأندلسي (أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي):

١٠ ـ جمهرة أنساب العرب ـ تحقيق عبد السّلام هارون ـ القاهرة ـ ١٣٨٢ هـ.

١١ ـ جوامع السيرة ـ تحقيق الدكتور إحسان عبّاس والدكتور ناصر الدين الأسد ـ مراجعة محمود محمّد شاكر ـ القاهرة ـ بلا تاريخ.

ابن خَرْدَاذْبَة (أبو القاسم عُبَيْد الله بن خَرْدَاذبة):
١٢ ـ المسالك والممالك ـ طهران ـ ١٩٦٣ م.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون):
١٣ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ القاهرة ـ ١٣٨٤ هـ.

ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري):
١٤ ـ الطبقات الكبرى ـ بيروت ـ ١٣٧٦ هـ.

ابن سيِّد الناس (محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيِّد الناس):
١٥ ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسِّيَر ـ القاهرة ـ ١٣٥٦ هـ.

ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البر):
١٦ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ القاهرة ـ بلا تاريخ.
١٧ ـ الدّرر في اختصار المغازي والسِّير ـ تحقيق الدكتور شوقي ضيف ـ القاهرة ـ ١٣٨٦ هـ.

ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر الشافعيّ):
١٨ ـ تهذيب ابن عساكر ـ هذّبه الشيخ عبد القادر بدران ـ دمشق ـ ١٣٢٩ هـ.

ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمذاني المعروف بابن الفقيه):
١٩ ـ مختصر البلدان ـ لايدن ـ ١٨٨٥ م.

ابن قدامة المقدسي (موفّق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي):
٢٠ ـ الاستبصار ـ تحقيق علي نهويض ـ بيروت ـ ١٣٩١ هـ.

ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ):
٢١ ـ البداية والنهاية في التاريخ ـ القاهرة ـ بلا تاريخ.
٢٢ ـ تفسير ابن كثير ـ القاهرة ـ ١٣٤٧ هـ.

ابن ماجه (محمد بن يزيد بن ماجه القزويني):
٢٣ ـ سنن ابن ماجه ـ القاهرة ـ ١٣١٣ هـ.

ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور):
٢٤ ـ لسان العرب ـ بيروت ـ ١٣٧٤ هـ.

ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري):
٢٥ ـ السيرة النبويّة ـ تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ـ ١٣٥٦ هـ.
أبو الفدا (إسماعيل بن علي عماد الدين صاحب حماة):
٢٦ ـ تقويم البلدان ـ باريس ـ ١٨٤٠ م.
٢٧ ـ المختصر من أخبار البشر ـ القاهرة ـ ١٣٢٥ هـ.
أبو نعيم (أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني):
٢٨ ـ حلية الأولياء ـ بيروت ـ بلا تاريخ.
أبو يوسف (القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب الإمام أبي حنيفة):
٢٩ ـ الخراج ـ القاهرة ـ ١٣٤٦ هـ.
أحمد بن حنبل (الإمام):
٣٠ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ القاهرة ـ ١٣١٣ هـ.
الإدريسيّ (الشّريف الإدريسيّ):
٣١ ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ـ نشره دوزي ودي جوجه ـ لايدن ـ ١٨٦٦ م.
الإصطخريّ (أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد الفارسيّ الإصطخريّ):
٣٢ ـ المسالك والممالك ـ تحقيق محمد جابر عبد العال الحسينيّ ـ القاهرة ـ ١٣٨١ هـ.
البخاري (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريّ):
٣٣ ـ صحيح البخاري ـ بولاق ـ ١٣٠٠ هـ.
البشاري (المقدسي المعروف بالبشاري):
٣٤ ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ لايدن ـ ١٩٠٦ م.
البغوي (الإمام البغويّ):
٣٥ ـ تفسير البغوي ـ على هامش تفسير ابن كثير ـ القاهرة ـ ١٣٤٧ هـ.
٣٦ ـ شرح السنّة ـ بيروت ـ ١٣٩١ هـ.
البلاذريّ (أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري):
٣٧ ـ أنساب الأشراف ـ تحقيق الدكتور محمد حميد الله ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ م.

٣٨ ــ فتوح البلدان ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ م.

البلخيّ (أبو زيد أحمد بن سهل البلخيّ):

٣٩ ــ البدء والتاريخ ـ باريس ـ ١٨٩٩ م.

البيضاوي (القاضي أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي):

٤٠ ــ تفسير البيضاويّ ـ القاهرة ـ ١٣٣٠ هـ.

البيهقيّ (أبو بكر أحمد بن الحسين البيقهي):

٤١ ــ دلائل النبوّة ـ القاهرة ـ ١٣٨٩ هـ.

الجوزيّ (أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي):

٤٢ ــ صفة الصّفوة ـ حيدر آباد الدكن (الهند) ـ ١٣٥٥ هـ.

الحلبيّ (علي بن برهان الدين الحلبيّ):

٤٣ ــ إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون (السيرة الحلبيّة) ـ القاهرة ـ بلا تاريخ.

الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي):

٤٤ ــ شذرات الذّهب في أخبار مَن ذهب ـ القاهرة ـ ١٣٥٠ هـ.

الخزرجيّ (أحمد بن عبد الله الخزجي):

٤٥ ــ خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال ـ القاهرة ـ ١٣٢٢ هـ.

الذهبيّ (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ):

٤٦ ــ تاريخ الإسلام ـ القاهرة ـ ١٣٨٦ هـ.

٤٧ ــ دول الإسلام ـ القاهرة ـ ١٣٨٦ هـ.

٤٨ ــ سير أعلام النبلاء ـ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ـ القاهرة ـ بلا تاريخ.

٤٩ ــ العبر ـ تحقيق فؤاد سيد ـ الكويت ـ ١٩٦١ م.

٥٠ ــ ميزان الاعتدال ـ القاهرة ـ ١٣٢٤ هـ.

الزاوي (طاهر أحمد الزاوي الطرابلسي):

٥١ ــ ترتيب القاموس المحيط ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ م.

الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري):

٥٢ ــ تفسير الكشّاف ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ـ ١٣١٩ هـ.

السمهودي المدنيّ:

٥٣ ـ خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ـ القاهرة ـ ١٣٦٧ هـ.

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري):

٥٤ ـ تاريخ الأمم والملوك ـ القاهرة ـ ١٣٥٨ هـ.

٥٥ ـ تفسير الطبري ـ القاهرة.

الظاهري (غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري):

٥٦ ـ زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ـ باريس ـ ١٨٩٤ م.

العصامي (عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي):

٥٧ ـ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ـ القاهرة ـ ١٣٧٩ هـ.

عياض (القاضي عياض):

٥٨ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ القسطنطينيّة ـ ١٣١٢ هـ.

القرطبيّ (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي):

٥٩ ـ الجامع لأحكام القرآن ـ القاهرة ـ ١٣٥٦ هـ.

القزويني (زكريا بن محمد القزويني):

٦٠ ـ آثار البلاد وأخبار العباد ـ بيروت ـ ١٣٨٠ هـ.

الكلبي (أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي):

٦١ ـ الأصنام ـ القاهرة ـ ١٣٢٢ هـ.

الماوردي (أبو الحسن علي بن حبيب البصري الماوردي):

٦٢ ـ الأحكام السلطانيّة ـ القاهرة ـ ١٣٤٧ هـ.

مجمع اللغة العربية في القاهرة:

٦٣ ـ المعجم الوسيط ـ القاهرة ـ ١٣٢٧ هـ.

محمد رشيد رضا:

٦٤ ـ تفسير المنار ـ القاهرة ـ ١٣٢٥ هـ.

محمد فؤاد عبد الباقي:

٦٥ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ القاهرة ـ ١٣٧٨ هـ.

محمد مصطفى عمارة:

٦٦ ـ مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي ـ القاهرة ـ ١٣٧٣ هـ.

محمود شيت خطّاب:

٦٧ ـ الرسول القائد ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ـ بلا تاريخ.

٦٨ ـ الفاروق القائد ـ الطبعة الرابعة ـ بيروت ـ ١٣٩١ هـ.

٦٩ ـ قادة فتح الشام ومصر ـ بيروت ـ ١٣٨٥ هـ.

المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي):

٧٠ ـ مروج الذّهب ومعادن الجوهر ـ تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ م.

النووي (أبو زكريا محيي الدين بن شرف الدين النووي):

٧١ ـ تهذيب الأسماء واللغات ـ دمشق ـ بلا تاريخ.

الهرثمي (صاحب المأمون):

٧٢ ـ مختصر سياسة الحروب.

الواقدي (محمد بن عمر بن واقد):

٧٣ ـ كتاب المغازي ـ تحقيق الدكتور مارسدن جُونس ـ أوكسفورد ـ ١٩٦٦ م.

ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي):

٧٤ ـ المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ـ لايدن ـ ١٨٤٦ م.

٧٥ ـ معجم البلدان ـ القاهرة ـ ١٣٢٣ هـ.

اليعقوبي (أحمد بن يعقوب):

٧٦ ـ البلدان ـ لايدن ـ ١٨٩٢ م.

٢ ـ المراجع الأجنبية:

1 - The spirit of Islam by Sayed Amir Ali.
2 - Life of Mahomet by Sir William Munir.
3 - Mohammad by Margaliouth.
4 - Quran and war by Maulvi Sadr-ud Din.
5 - War and religion by Muhammad Marmaduke Pickthall.
6 - The Battelfields of the Prophet Muhammad by Muhammad Hamidullah.
7 - Chamber's Encyclopedia.
8 - Encyclopedia Britannica.

الفهـرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
مقدمة الكتاب	٧
الغزوات والسرايا	٩
اختيار القادة	١١
مصائر القادة	١٩
مصارع القادة	٢٠
تأليف هذا الكتاب	٣٦
قادة النبي ﷺ	٤٥
١ ـ حمزة بن عبد المطلب	٤٧
٢ ـ عبيدة بن الحارث بن المطلب	٧٨
٣ ـ عبدالله بن جحش الأسدي	٨٨
٤ ـ عمير بن عدي الخطمي الأوسي	١٠٥
٥ ـ سالم بن عمير الأوسي	١١١
٦ ـ محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري	١١٦
٧ ـ زيد بن حارثة الكلبي	١٥٠
٨ ـ عبدالله بن أنيس الجهني	١٨٧
٩ ـ عبدالله بن جبير الأوسي الأنصاري	١٩٦
١٠ ـ أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي	٢٠٥

الموضوع | الصفحة

١١ ـ المنذر بن عمرو الساعدي الخزرجي الأنصاري ٢٢١
١٢ ـ مرثد بن أبي مرثد الغنوي ٢٣٢
١٣ ـ عكاشة بن محصن الأسدي ٢٤٢
١٤ ـ عبد الرحمن بن عوف ٢٥٢
١٥ ـ عبدالله بن عتيك الخزرجي ٢٩٨
١٦ ـ عبدالله بن رواحة الخزرجي ٣٠٨
١٧ ـ كرز بن جابر الفهري ٣٤٠
١٨ ـ عمرو بن أمية الضمري ٣٤٥
١٩ ـ بشير بن سعد الأنصاري الخزرجي ٣٧١
٢٠ ـ غالب بن عبدالله الليثي ٣٨٧
٢١ ـ ابن أبي العوجاء السلمي ٤٠١
٢٢ ـ شجاع بن وهب الأسدي ٤٠٦
٢٣ ـ كعب بن عمير الغفاري ٤١٩
٢٤ ـ جعفر بن أبي طالب ٤٢٢
٢٥ ـ أبو قتادة بن ربعي الأنصاري ٤٥٤
٢٦ ـ سعد بن زيد الأوسي ٤٨٥
٢٧ ـ الطفيل بن عمرو الدوسي ٤٩٥
٢٨ ـ عينية بن حصن الفزاري ٥٠٦
٢٩ ـ قطبة بن عامر الخزرجي ٥٤١
٣٠ ـ الضحاك بن سفيان الكلابي ٥٥٠
٣١ ـ علقمة بن مجزز المدلجي ٥٦١

جيش النبي ﷺ ٥٧٣
١ ـ مجمل السيرة ٥٧٣
٢ ـ مجمل تاريخ جيش النبي ٥٧٥
٣ ـ رسالة المسجد العسكرية ٥٧٨

الموضوع	الصفحة
٤ ـ بناء الإنسان المسلم	٥٨٠
٥ ـ أدوار بناء الجيش	٥٨٧
٦ ـ رائد الفتح	٥٩٢
الأسلحة العربية الإسلامية القديمة	٥٩٩
١ ـ الأهمية	٥٩٩
٢ ـ المنهاج	٦٠٠
٣ ـ التدريب على السلاح	٦٠٣
٤ ـ الأسلحة الفردية القديمة	٦٠٧
٥ ـ الأسلحة الجماعية القديمة	٦١٥
٦ ـ أسلحة النصر	٦٢٢
الخاتمة ـ الإسلام والحرب الإجماعية	٦٢٥
١ ـ الحرب الإجماعية الحديثة	٦٢٥
٢ ـ الحرب الإجماعية الإسلامية في القرآن	٦٢٧
٣ ـ الحرب الإجماعية الإسلامية في الحديث	٦٢٩
٤ ـ التطبيق العملي للحرب الإجماعية الإسلامية بالأنفس	٦٣١
٥ ـ التطبيق العملي للحرب الإجماعية الإسلامية بالأموال	٦٣٦
٦ ـ مقارنة بين الحرب الإجماعية الحديثة والحرب الإجماعية الإسلامية	٦٤٠
الملحقات	٦٤٦
المصادر والمراجع	٦٥٩
الفهرس	٦٦٧